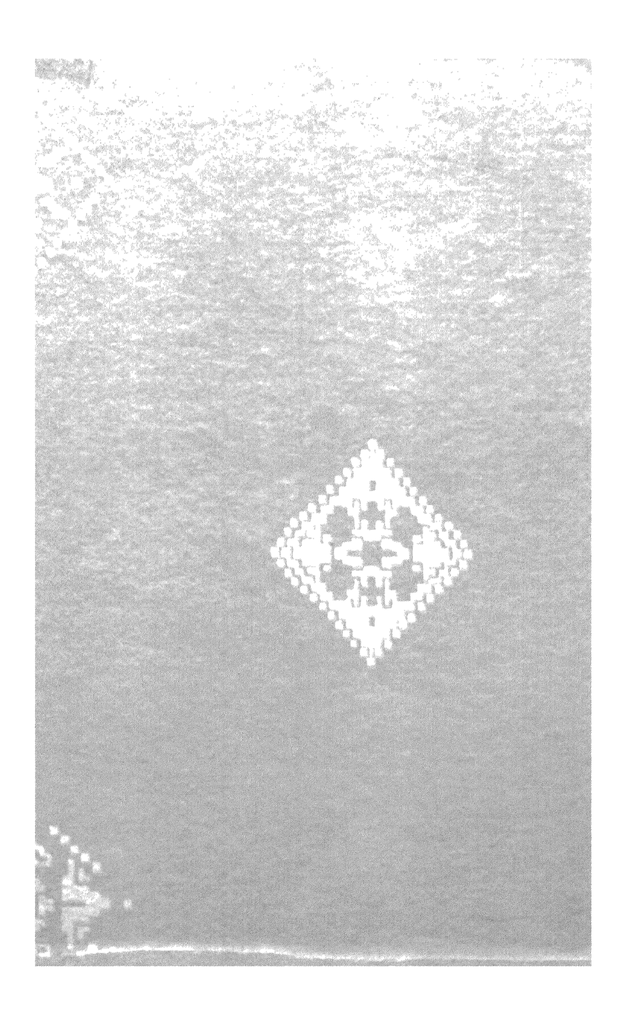
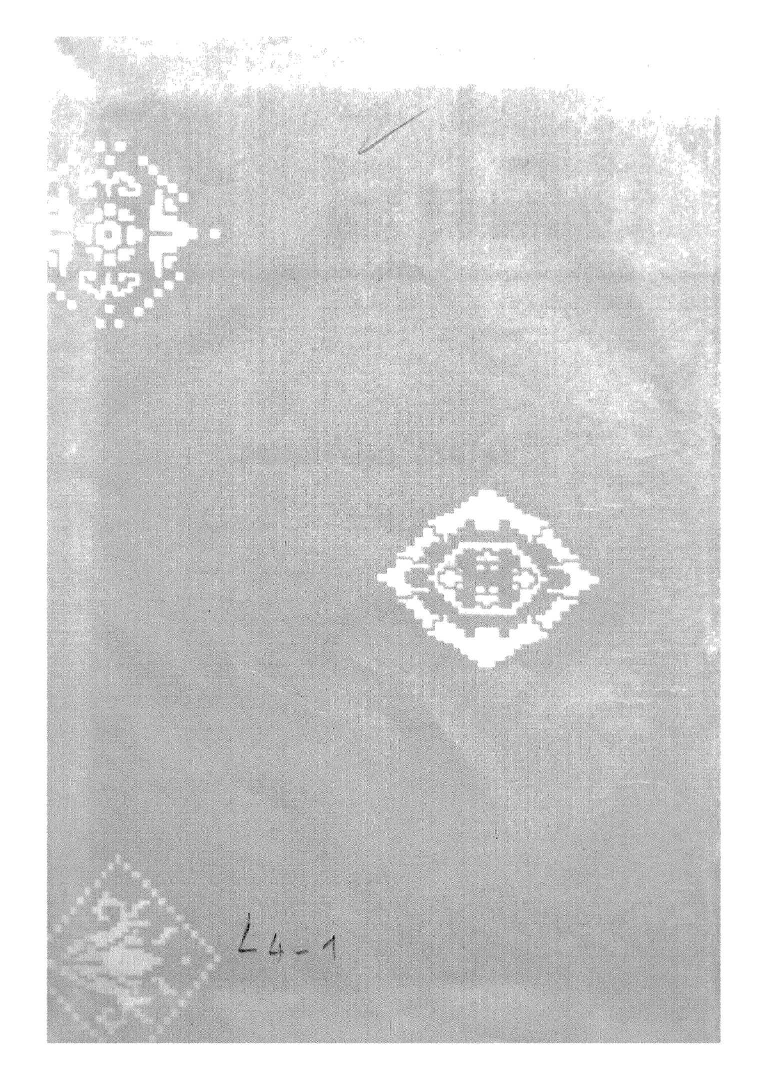






L4-1

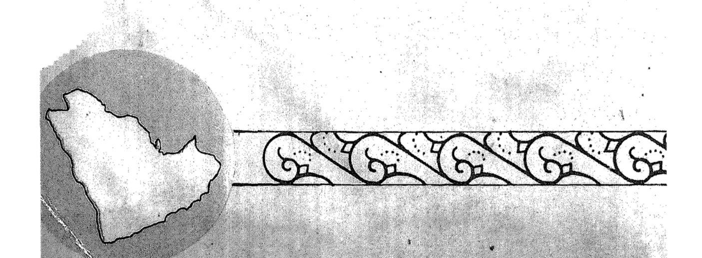


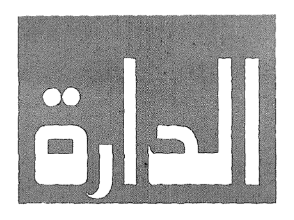


مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
العدد الثالث / السنة الخامسة ربيع ثان ١٤٠٠ هـ / مارس ١٩٨٠

من محتويات العدد

- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا.
- الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب.
- حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة.
- رحلات العرب إلى جزيرة العرب.
- تاريخ المسرح عند العرب.





مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي مماله صلة بالجزيرة العربية

العدد الثالث / السنة الخامسة
ربيع ثان ١٤٠٠ هـ / مارس ١٩٨٠

الريـــاض
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٢٩٤٥
تلفون ٣٨٦٤٦

من محتويات العدد

صفحة

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالا وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشا سعوديا للعدد أو ما يعادل خمسة عشر ريـالا للسنـة . في جمهوريـة مصر العربيـة خمسة وعشرون قرشا . في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة .

ترسل الاشتراكات باسم أمين عام الدارة أما المقالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب . أراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .



افتتاحية العدد لرئيس التحرير

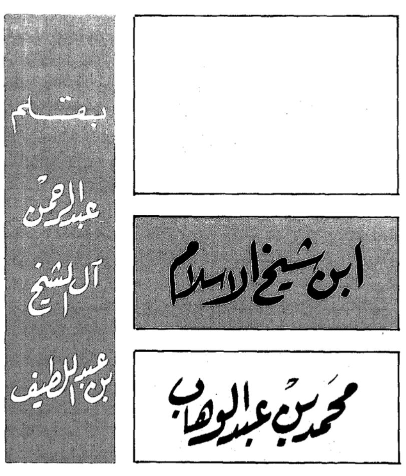
ولم يكن إنتكاسا تأخير المجلة ، وإنما هي أسباب من نواحي عدة لا داعي للاعتذار منها أو الألم . فالمسئولية لتكون بين يدي القارىء في وقتها قد حددها القارىء نفسه .. يريدها أن تكون بين يديه ، لهذا توالت على المجلة الأسئلة والاستفسارات وكلها تعبر عن حرص واهتمام ... تسألنا عن التأخير كأنما القارىء بهذه المواكبة يرسل سؤالا تلو سؤال ، قد وضع نفسه مسئولا عنها .. أكثر من جهاز المجلة ، وتلك فرصة نأخذها حظوة للمجلة لدى قارئها — فلو انصرف القارىء عن السؤال .. لجاء هذا الانصراف قوة من الأسباب التي أخرتها ، ولكن جاء بالقوة التي أظهرتها .

وأحسبني بهذا كله في موقف الاعتذار (ومن نوقش الحساب عذب) .

أرجو من القارىء الكريم ألا يكون قارئا فحسب لأني أدعوه أن يكون الكاتب والناقد والموجه — فالتلاحم بين المجلة والقارىء يوجب علينا جميعا أن نكون على هذا المستوى .

وأسأل الله التوفيق

محمد حسين زيدان



هو الإمام العلّامة الأوحد ، الثقة الثبت ، التقي الورع المجاهد المحتسب ، ذو الهمة العالية والشجاعة المتناهية ، الذي خلف والده شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في مؤازرة الإمام[1] عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وخلفه في بث العلم والقيام بدعوة التوحيد ونشرها ، والدفاع عنها بالقلم واللسان ، والحجة والبيان ، عالم نجد بعد أبيه ومفتيها ، من له الفتاوى السديدة والأجوبة العديدة ، والردود العظيمة ، من ضربت إليه أكباد الإبل من سائر بلدان نجد وتوالت عليه الأسئلة من جميع قرى نجد ومدنها الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

ولد هذا العالم الكبير في الدرعية سنة ١١٦٥ هـ ، ونشأ بها في كنف والده نشأة دينية صالحة ، وقرأ القرآن حتى حفظه ، ثم شرع في القراءة على والده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيره من علماء الدرعية فتفقه في المذاهب الإسلامية ومهر في علمي الفروع والأصول ، وكان مع هذا عالماً بارزاً في علم التفسير والعقائد وأصول الدين ، عارفاً بالحديث ومعانيه ، وبالفقه وأصوله وعلم النحو واللغة .

وله اليد الطولى في جميع العلوم والفنون ، كرس جهده وأوقف حياته على تحصيل العلم وتعليمه ونشره تدريساً وتأليفاً ، فأخذ عنه العلم خلق كثير ، من فطاحلة علماء نجد وجهابذتهم ، نذكر منهم في هذه الترجمة الموجزة أبناءه الثلاثة : الشيخ سليمان والشيخ عبد الرحمن والشيخ علي وابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن سلطان والشيخ عثمان بن عبد الجبار بن شبانة ، والقاضي عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم الوهبي التميمي والشيخ أحمد الوهيبي نزيل الاحساء والشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر والشيخ سعيد بن حجي . والشيخ جمعان بن ناصر ومسفر بن عبد الرحمن بن جعيلان نزيل قرية العرين في عسير بوادي أبها ، والشيخ إبراهيم بن سيف ، ومحمد بن الشيخ عبدالله بن أحمد بن عبد القادر الاحسائي وخلق لا يحصون كثرة .

قال الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر عندما ذكر أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأربعة المترجم له وإخوانه : (وقد رأيت لهؤلاء الاربعة العلماء الأجلاء مجالس ومحافل في التدريس في بلد الدرعية وعندهم طلبة علم من أهل الدرعية ومن أهل الآفاق من أهل صنعاء وزبيد واليمن وعُمان وغيرهم من نواحي نجد والأقطار ما يفضي لمن حكاه إلى التكذيب ولهؤلاء الأربعة من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم ولكل واحد منهم قريب بيته مدرسة فيها طلبة علم يأخذون عنهم كل وقت ونفقتهم جارية لهم من بيت المال) . فأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاموا بتدريس العلم ونشره أتم قيام .

والشيخ عبدالله ـــ كان إلى جانب قيامه بتعليم العلم وبثه ونشر مذهب السلف ودعوة التوحيد الإسلامية مرجع قضاة المملكة السعودية في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وابنه الإمام سعود وابنه الإمام عبدالله ، فكان في ذلك الوقت بمثابة رئيس قضاة ومفتي . وقد ألف مؤلفات كثيرة : منها جواب (١) أهل السنة النبوية رد به ـــ رحمه الله على من اعترض على دعوة التوحيد السلفية ، وألف مختصر السيرة النبوية في مجلد ضخم ، والكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، طبعت مراراً ، وآخرها بالمطبعة السلفية بمصر ، وألف منسكاً صغيراً للحج ، وكتب رسائل وفتاوى كثيرة ، لو أفردت على حدة وجمعت لبلغت مجلداً ضخماً كبيراً ، ولكنها طبعت مفرقة في مجاميع الرسائل والمسائل النجدية التي طبعت سابقاً بمصر وأخيراً بمطبعة أم القرى ، وكلا الطبعتين المذكورتين على نفقة الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود رحمه الله تعالى .

وكانت له دروس خاصة يحضرها الإمام سعود بن عبد العزيز وابنه الإمام عبدالله بن سعود في الدرعية ، وقد صحب الأمير (٢) سعود ابن الإمام عبد العزيز ابن الإمام محمد بن سعود ،

ابن محمد بن مقرن في دخوله مكة المكرمة المرة الأولى في حياة والده الإمام عبد العزيز — رحمه الله — وذلك في يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام ١٢١٨ سنة ألف ومائتين وثماني عشرة من الهجرة وكتب حال دخوله مكة المكرمة رسالة إجابة لمن سأله عما يعتقدونه و يدينون الله به . وقد رأيت له — رحمه الله تعالى — تصديقاً على وقف كائن بمكة المكرمة للشيخ عبد الكبير زيني متوكل قال في تصديقه عليه ما نصه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد فقد نظرت في هذا الوقف فرأيته وقفاً صحيحاً لازماً لا يجوز تغييره ولا تبديله لاشتماله على شروط الوقف الصحيحة قاله عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

(الختم)

ثم ختمه بختمه غير أنه مع الأسف لم يؤرخه اكتفاء بتاريخ ورقة الوقف المصدق عليها ، وقد أخذت لهذا التصديق صورة فوتوغرافية وأثبتها هنا .

ورأيت في القسم الثاني من كتاب «تحفة المستفيد بتأريخ الاحساء في القديم والجديد» لمحمد بن عبدالله بن عبد القادر ص ٩٦ بالحرف الواحد ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم صدر الأمر من الأمير سعود بن عبد العزيز نشر الله في الآفاق صيته وعزه وعدله ، وأظهر في الرعايا معروفه وإحسانه وفضله ، بإقامة الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد آل عبد القادر مدرساً ومعلماً للناس ما خلق الله لأجله الخليقة ، ونصب الدلائل على أنه الواجب المقدّم واللازم المحتم في الحقيقة ، وهو توحيد الله جلّ جلاله في أسمائه وذاته وصفاته وخلقه وأمره ونهيه وما يتبع ذلك من تفسير كتاب الله وقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه في ذلك تقوى الله سرّاً وعلانية ومراعاة ما تجب مراعاته وبذل الوسع في بث هذا الخير الذي خص الله به من شاء من عباده فشرفوا به وظهروا على أهل الضلال والإلحاد وملكوا ببركته أقاصي البلاد . جرى في اليوم الحادي والعشرين من شهر رجب الحرام عام واحد وعشرين ومائتين وألف وعلى التوقيع هذه العبارة : ليعلم الواقف عليه أن الأمير سعود بن عبد العزيز قرر ما في هذه السجلة بمحضر مني وختمها بيده قال ذلك عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب .

وكان — رحمه الله — مع هذا شجاعاً مقداماً ، وقف في باب البجيري المعروف بالدرعية ، وشهر سيفه وقاتل قتال الأبطال قائلا كلمته الخالدة : بطن الأرض على عز ، خير من ظهرها على ذل ، حتى نحى العساكر وزحزحهم عن مواقفهم ، وذلك في آخر حرب الباشا للدرعية ، وقد سلم الله الشيخ ونقله إبراهيم بن محمد علي باشا إلى مصر بعدما استولى على الدرعية وذاك سنة ١٢٣٣ هـ ونقل معه ابنه عبد الرحمن وبقي بمصر محدود الإقامة حتى توفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ[1] .

وقد أنجب ثلاثة أبناء علماء هم : الشيخ سليمان الذي قتله إبراهيم باشا في الدرعية شهيداً ، وعلي قتل فيما بعد على يد بعض عساكر الباشا بنجد وعبد الرحمن[2] ، نقل معه إلى مصر

صغيرا وتعلم بها ودرّس برواق الحنابلة . وتوفي بها سنة ١٢٧٣ هـ وخلف بها ثلاثة أبناء هم أحمد الأجزجي . وعبدالله كاتب في قلعة الوجه بالحجاز ، ثم رجع الى مصر، ومحمد وقد ظهر محمد إلى نجد وسنكتب ترجمة للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبدالله المذكور ، ونذكر فيها أبناءه وأحفاده إن شاء الله تعالى . رحم الله الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأبناءه الأعلام وجميع المسلمين إنه سميع مجيب وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(١) بعد مضي سبع وعشرين سنة من ولاية الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود توفي المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ فخلفه في مؤازرة الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود . وفي القيام بدعوة التوحيد ونشرها المترجم له ابنه الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١) أصله من وادي الدواسر ونزح منها الى عسير ونزل قرية (العرين) بفتح العين وكسر الراء . توفي بها .

حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة

الحلقة الخامسة (١)

«كتب التاريخ - تتمة»

بقلم الدكتور أحمد محمد الضبيب
عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض

أما الكتاب الثاني من كتب الفاسي فهوكتابه الموسوعي الضخم «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» في ثمانية أجزاء . وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٩ هـ . وتوالى عليه ثلاثة محققين فبدأه محمد حامد الفقي ولكن الأجل وافاه وهو يعمل في هذا الجزء . فأكمله ابنه محمد الطيب . وليس في هذا الجزء في الحقيقة جهد علمي كبير . ثم عهد إلى فؤاد السيد بتحقيق الجزء الثاني وما بعده فأخرج الجزء الثاني سنة ١٣٨١ هـ/١٩٦٢م . وقدم له بمقدمة وافية تحدث فيها عن تطلعه منذ خمسة عشر عاما إلى تحقيق هذا الكتاب وحديثه مع الشيخ سليمان الضنيع مدير مكتبة الحرم المكي حوله . ثم مواتاة الفرصة للشيخ محمد حامد الفقي بالحصول على صورة المجلد الأول من الكتاب من نسخة العلامة ابن فهد . وهو محفوظ بمكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة . ثم ترشيح الشيخ سليمان الصنيع له بإكماله بعد وفاة الفقي ثم ذكر منهجه في التحقيق معتمدا على أصول خطية ثلاثة هي :

أ — نسخة العلامة ابن فهد (ف) .
ب — نسخة مكتبة قوله بدار الكتب المصرية رقم ٦ تاريخ (ق) .
جـ — نسخة الخزانة التيمورية .

أما في الأجزاء الأخرى فقد أضاف نسخا خطية أخرى منها :
نسخة مكتبة الأزهر رقم ٧٠٩ تاريخ (ز) وتحوى الربع الثاني من الكتاب .
ونسخة كمبردج رقم ٦٨٢ (ك) .

وتختلف النسخ باختلاف الجزء المحقق ، فتارة تنقص نسخ أو تزيد أخرى أو يقتصر على بعضها دون البعض الآخر وقد صدر كل جزء بذكر المخطوطات التي اعتمد عليها فيه .

اما منهجه في التحقيق فقد ذكره في المقدمة فأشار الى أنه لم يثبت أصلا من النسخ التي بين يديه بل جعلها في مرتبة واحدة من حيث القيمة والأصالة ، فأثبت ما صح لديه في المتن من القراءات السليمة ، وأشار الى الاختلافات والتعليقات . مع الاستعانة بمصادر المؤلف الوثيقة ومؤلفات من نقل عنهم . وقد تولى ضبط الأعلام والأماكن والأنساب بالشكل أو العبارة ، وعلق على النص دون توسع ، واستفاد من حواشي ابن فهد على نسخته ، كما عارض نصوص المؤلف التي نقلها عنه المتأخرون من بعده وأشار الى الاختلاف بين الأصل والنص المنقول عنه . واستمر فؤاد السيد في تحقيق الكتاب حتى أنهى الجزء السابع فانتقل الى رحمة الله وبقي الجزء الثامن والأخير ، فعهد به الى تلميذه محمود الطناحي فحقق الجزء الثامن وهو كتاب «اسمه أسماء النساء والكنى» على النسق الذي كان يعمل عليه فؤاد السيد .

ان كتاب «العقد الثمين» أهم كتب التراجم التي عرفت بمشاهير قطان مكة المكرمة من

العلماء والأدباء والعظماء وغيرهم وهو موسوعة علمية كبرى تلقي الضوء على تاريخ الحياة الثقافية لهذا البلد الأمين . وهو من أحسن الكتب التي حققت وأنفقت عليها بلادنا وظهرت بالمظهر العلمي الحديث .

ومع ذلك فان هذا الكتاب الجليل على الرغم مما بذل فيه من جهد علمي متقن فان كنوزه لا تزال مغلقة أمام الباحث اذ أنه لم يزود بفهارس دقيقة تكشف مادته الغزيرة . فما أكثر الأعلام الذين ذكروا فيه من غير المترجمين ، وما أكثر الأماكن والمواضع والكتب والمؤلفات . ولو الحق بفهارس تشملها جميعاً لجعل مهمة الباحث سهلة ممتعة بدلا من أن يضطر الى قراءته بأجزائه الثمانية حتى يحصل على ما يريده من معلومات .

أما تواريخ المدينة المنورة فقد مر بنا ما طبع منها في المطبعة الميرية في مكة . وفي العهد السعودي نشرت كثير من هذه التواريخ وأعيد نشر بعضها ، وأكثر طبعاتها طبعات تجارية لا نكاد نرى فيها التحقيق العلمي الحديث . ومن أبرز هذه الكتب التاريخية كتب السمهودي مؤرخ المدينة فقد تكرر طبعها . وقد طبع « وفاء الوفاء » طبعتين كان آخرها طبعة محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية في المدينة المنورة . وقد عهد بها الى محمد محي الدين عبد الحميد لتحقيقها وصدرت عن مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٥م) ، والحق الجزء الرابع منها بنبذة عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي . استقاها الناشر محمد سلطان النمنكاني من مدير مكتب مشروع التوسعة محمد صالح القزاز . وتحقيقات الشيخ عبد الحميد رحمه الله في غير بعض كتب النحو فيها نظر كبير ومن ذلك كتاب التاريخ هذا ... ومن الغني عن الذكر أن لا تكون هذه الطبعة قد صدرت عن أصل صحيح فأكثر تحقيقات محمد محي الدين عبد الحميد مأخوذة عن طبعات قديمة .. وقد بين خطته في مقدمة هذا الكتاب فقال : « قمت بضبط غرائبه ، وتفصيل عباراته بوضع علامات الترقيم المحدثة ووضع عناوين موجزة على هامش النسخة » ، وهذا منهج في التحقيق قاصر يعرفه كل من عانى تحقيق كتب التراث . وبذلك لم يخرج الكتاب في الواقع عن مجال النشر التجاري .

وفي تحدث حمد الجاسر عن طبعتي « وفاء الوفاء » واحداهما هذه الطبعة فقال : « وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء طبعتين كثيرتي الأخطاء غير محققتين مع وجود نسخ خطية منه جيدة » . وقال في موضع آخر : [٢]

« ولقد كان السمهودى رحمه الله خدم طية الطيبة بتاريخها وخدم كتاب الفيروز آبادى بما أضافه اليه ، الا أن مما يحزن حقا أن مطبوعتي « الوفاء » كثيرتا التحريف والتصحيف بدرجة سيئة جدا مما يحمل على القول بأنه لا يصح الاعتماد عليهما ، وقد رجعت الى نسخة من مخطوطات القرن العاشر من الكتاب فاستعنت بها » [٣]

والى جانب ذلك ذكر حمد الجاسر أن مطبوعة « وفاء الوفاء » قد وقع فيها اضطراب وخلل « وخاصة فيما نقله السمهودى من كلام الهجرى عن الأحماء » [٤]

وقد نشر أسعد طرابزوني جملة من تواريخ المدينة منها «عمدة الأخبار في مدينة المختار» لأحمد بن عبد الحميد العباسي «من رجال القرن العاشر الهجري» عن نسخة في مكتبة آل هاشم بالمدينة بخط ناسخه السيد جعفر هاشم ، وصحح الكتاب محمد الطيب الأنصاري . ويقول حمد الجاسر عن هذا الكتاب انه «لا يعدو أن يكون تلخيصا لكتاب» خلاصة الوفاء «وقد طبع طبعة كثيرة التحريف والأخطاء»[٥] .

كما نشر أسعد طرابزوني أجزاء من «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢) وهو من أهم كتب تاريخ المدينة ويبحث في تراجم علمائها وأعيانها . وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م عن مطبعة السنة المحمدية في القاهرة . وقام بتصحيحه محمد حامد الفقي ونشر على نفقة حسن الشربتلي ، ويقول حمد الجاسر : «ان مما يؤسف الباحث أن كتاب التحفة لم يعرف منه حتى الآن نسخة كاملة وانما وصل الينا من نسخة ناقصة مع أن الكتاب كان معروفا الى عهد ليس بالبعيد فقد نقل عنه الموسوى في «نزهة الجليس» في ترجمة محمد بن الحنفية ونقل عنه غيره وهذه النسخة الناقصة كانت في المدينة كما يفهم من كتابات في طرتها حوت أسماء علماء مدنيين»[٦] .

وقد صدرت منه ثلاثة أجزاء كاملة اطلعنا عليها ويقول حمد الجاسر انه صدر من الجزء الرابع الى «عياش بن سليمان» وهي الترجمة الـ ٣٣٥٦ في ١٩٢ صفحة . ويعقب على ذلك بقوله : ويظهر أن الباقي من الكتاب يقارب الثلثين اذ أن أكثر التراجم هم المحمدون وليس في المخطوطة منهم سوى اليسير»[٧] .

وقد قدم الجزء الأول بمقدمة لمحمد حامد الفقي وصف فيها النسخة المخطوطة وقال : انها نسخة عادية مكتوبة بخط عادي ... وذكر أن تاريخ الفراغ من نسخها سنة ٩٥٢هـ ، والمخطوطة من مخطوطات استانبول وعنها فيلم مصور بمعهد المخطوطات ، ثم أعقب بقوله : «وبعد فهذا جهد المقل مع أني تعبت فيه ما لم أتعب في غيره مما حققت وصححت من قبل»[٨] ، ثم أتبعت هذه المقدمة بمقدمة أخرى للدكتور طه حسين تحدث فيها عن الكتاب ثم شكر للمحقق والناشر والمنفق على النشر . وعلى الرغم مما ذكره حامد الفقي رحمه الله من اجتهاده في تحقيقه فقد أشار حمد الجاسر الى أن «المطبوع من التحفة كثير الخطأ لأن المخطوطة سيئة الكتابة»[٩] .

ومن مطبوعات أسعد طرابزوني في تاريخ المدينة «كتاب التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة» للامام جمال الدين محمد بن احمد المطرى (ت ٦٩٠) ، وقد صدر سنة ١٣٧٢ هـ كتب على طرة الكتاب «قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ محمد بن عبد المحسن الخيال» قاضي المستعجلة بالمدينة المنورة ، وفي مقدمة الكتاب نشر الناشر تقريظا للكتاب بقلم الشيخ الخيال ذكر فيه أنه اطلع على الكتاب ووجده من أحسن ما جمع في أخبار المدينة ، خصوصا وقد أشار الى تغيير شيء من البدع المحدثة ، و«بمطالعته يظهر أن البناء على القبور محدث بعد القرون المفضلة . وقد نبهنا على شيء من المواضع التي يلزم التبيين عليها

ولم نستوعب ذلك لكثرة الشواغل » . فليس في الكتاب تحقيق وانما نظر عابر واصلاح لبعض المواطن وتنبيه على عقيدة السلف في بعض الأمور . ومن التجاوز أن يسمى ذلك تحقيقا ، وغير ذلك لا نجد مقدمة في توثيق النسخة ولا حديثا عن الكتاب بل لا نجد موازنة بين ما قاله هذا المؤلف ولا حديثا عن مصادره ولا شيئاً مما يمكن أن يعزى الى التحقيق . وبالجملة فهي طبعة تحتاج الى اعادة طبع وتحقيق جيد . ويمكن أن يقال مثل ذلك بل أكثر من ذلك في نشر السيد أسعد الطرابزوني لكتاب « الأوائل » لأبى هلال العسكرى وهى نشرة مشوهة كثيرة الهنات مغرقة في التوجيه المغلوط والقراءة الخاطئة . ويطول بنا الحديث كثيرا عن هذه الطبعة لو استقصينا هناتها .

ومن كتب تاريخ المدينة المحققة كتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر المراغي ، وقد نشره محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية وصححه وحققه محمد عبد الجواد الأصمعي ، وقد استوفت هذه الطبعة جميع شكليات التحقيق العلمي من حيث الحديث عن المخطوطات وابراز صورها ، ووضع الفهارس للاعلام والأمم والقبائل والبطون وأسماء البلاد والجبال والأودية والآبار والقوافي والموضوعات حتى استغرقت الفهارس خمسين صفحة من مجموع ٢٧٣ صفحة . وقد ألحق بالكتاب ملحق عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف بقلم الناشر .

وقد أشار حمد الجاسر في رسائل في تاريخ المدينة الى أن أبا بكر ابن الحسين بن عمر المراغي القاهري المدني (٧٢٧ — ٨١٦) لخص كتابي النجار والمطري وذيل عليهما بكتاب « تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة » .
وقال : ان الكتاب طبع طبعة كثيرة الأخطاء[١٠] .

ونشر حمد الجاسر مجموعة من ست رسائل في تاريخ المدينة هي :

١ — وصف المدينة المنورة لعلي بن موسى عن مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٣١٦٩٠/١٦٤٤ تاريخ .

٢ — التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة لمؤلفها الجلالي محمد بن خضر الرومي الحنفي (ت ٩٤٨ هـ) وهي مخطوطة دير الاسكوريال .

٣ — الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ، للامام نور الدين علي السمهودي (ت ٩١١ هـ) عن مخطوطتين احداهما في الاسكوريال ، ونسخة من مكتبة الحرم المكي عنوانها « ذروة الوفا بأخبار دار المصطفى ، رقم ١٢٢١ من كتب الشيخ عبد الستار الدهلوي . وقد اطلع عليها الناشر بعد الطبع ، وأجرى مقابلة بينها وبين ما لديه ووضع مستدركا للأخطاء .

٤ — كائنة أمير المدينة ، لمجهول ، ولا يستبعد الناشر أن يكون مدون الخبر هو السمهودي ، وهي رسالة ملحقة بنسخة الاسكوريال من مخطوطة « الوفا » بما يجب لحضرة المصطفى .

٥) أول بناء سور للمدينة ، نبذة لمجهول يرجح الناشر أن يكون مؤلفها هو مؤلف « التحفة اللطيفة » . وهي ضمن المجموع المحتوى على « الوفا » في الاسكوريال .

٦ — وضع الأهلة على القبة والمنائر (في الحرم المدني) ، نبذة قصيرة متصلة بالرسالة السابقة .

ولا يستبعد الناشر أن تكون ملخصة من التحفة اللطيفة .

قدم المحقق لهذه الرسائل بمقدمة ضافية تحدث فيها عن كل رسالة على حدة ذاكرا مؤلفها ومخطوطاتها وقد خص السيد السمهودي بترجمة واسعة وتحدث عن كتاب «الوفاء» باسهاب . ثم أورد النصوص مشيرا الى بعض المواضع بتعليقات مختصرة ثم أتبعها جميعا بفهارس لمحتويات المقدمة ولكل رسالة على حدة ، وفهرس للأعلام وآخر للمواضع ، وثالث للجماعات . ورابع للكتب .

أما تاريخ شرقي الجزيرة العربية ووسطها فأهم مصادره مصدران : تاريخ حسين بن غنام أو «كتاب روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» وتاريخ الشيخ عثمان بن بشر المسمى «عنوان المجد في تاريخ نجد» ، وعلى الرغم من أن هذين المصدرين هما أوسع المصادر في تاريخ نجد وخاصة في وصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتاريخ السعودية . وعلى كثرة طبعاتهما فاننا لا نجد للأسف بين أيدينا طبعة محققة موثقة من هذين الكتابين ، وكل ما نراه هو طبعات تجارية أو شبيهات بالتجارية . ومن تلك الطبعات طبعة تاريخ ابن غنام التي صدرت بعنوان «تاريخ نجد» للشيخ الامام حسين بن غنام . حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد ، وقد قام (المحرر أو المحقق) بكتابة تاريخ ابن غنام بأسلوب غير أسلوبه . وتصرف فيه ليجاري ذوق العصر وحتى لا يكون عسيرا على القارئين وطلاب العلم لأن أسلوبه يجافي أذواقهم وما ألفوه من أساليب الكتابة»[1] ، وتعجب أن يقول هذا الكلام استاذ من أساتذة الجامعة الذين عرفوا بالتحقيق والتمحيص وأن يجيز لنفسه التغيير والتبديل في كتاب ليس من تأليفه وأن يحيل كتاب ابن غنام عن طريقته التقليدية البسيطة التي تعبر عن محصوله العلمي والثقافي وبيئته النجدية فيجرى فيه قلمه بتجريده من السجع والعبارات المتكررة والحشو ، ويعيد صياغة بعض جمله ، ويغير تقسيم الكتاب» وبذلك يحيل الكتاب عن وضعه الأصلي الى كتاب آخر لابن غنام فيه الأرواح وليس الأشباح .

ومثل هذا العمل ليس تحقيقا وإنما تغيير وتبديل وهو ليس تحريرا ولكنه تحريف واذا كان المراد من تحريره وتنقيحه وتغييره وتبديله هو مجاراة روح العصر فلماذا لا يؤلف كتابا جديدا يحوى المعلومات وينسب لمؤلفه لا للمؤلف القديم . ثم ان المكتبات ملآى بالكتب التي تتحدث عن تاريخ المملكة بأسلوب حديث فلماذا لا يكتفي بها بدلا من تغيير كتاب ابن غنام .

لقد نظرت في هذه الطبعة فلم أجد مبررا لوجودها ، اذ لو طبقنا هذه النظرة على كل كتب التراث لاحتجنا الى تغيير كتب كثيرة وتحريفها وتبديلها من أجل أن تساير روح العصر التي نعيشها .

ان تاريخ ابن غنام لا يزال بحاجة الى خدمة جديدة تعتمد الأصول وتقارن بين الحوادث وتجعله متاحا للقارىء بالفهرسة العلمية المتقنة ، والشروح الوافية والتعليقات المفيدة .

أما كتاب ابن بشر فقد سبق أن ذكرنا أنه طبع مختصرا في العراق سنة ١٣٢٨ هـ ، وكانت أول طبعة تامة له هي طبعة مكة سنة ١٣٢٩ هـ في المطبعة السلفية وهي طبعة من مجلدين

اشترك في نفقتها محمد حسين نصيف وصاحب المطبعة السلفية . وليس في هذه الطبعة أي ذكر للأصول التي اعتمد عليها الناشرون ولا مقابلة عليها ، وفي مقدمتها صفحة بمعاني بعض الكلمات العامية النجدية ، وأخرى في ضبط أسماء بعض المدن الواردة في الكتاب وقد ضبطت باللغة الفصحى وليس بالعربية المعاصرة المحلية فبدت غريبة مفصحة . وطبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات آخرها فيما أعلم طبعة وزارة المعارف وهي طبعة عادية تمتاز بحذف سوابق الكتاب (أي حوادث السنين التي سبقت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ووضعها مستقلة في آخر الكتاب ... وليس في الكتاب جهد تحقيقي علمي فهو أيضا لا زال بحاجة الى العناية به .

ومن تواريخ نجد المختصرة تاريخ حمد بن لعبون الوائلي ، وقد طبع في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧ هـ ، وقد أشار حمد الجاسر الى أن هذه الطبعة طبعة ناقصة .

ونشر حمد الجاسر بعض النصوص التاريخية الحديثة نسبيا منها : « نبذة تاريخية عن نجد » ، أملاها الأمير ضارى بن فهيد الرشيد (ت سنة ١٣٣١ هـ) وكتبها وديع البستاني ، والحق بها مقتطفات من رسالة « القول السديد في أخبار امارة آل رشيد » ، لسليمان بن صالح الدخيل (ت ١٣٦٤ هـ) وذلك سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

كما نشر كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان ق ٧٠٠ هـ الى ١٣٤٠ هـ ، تأليف ابراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣ هـ) .

ومن الكتب المختصرة المحققة تحقيقا علميا في تاريخ نجد « تاريخ الشيخ أحمد المنقور » وقد حققه عبد العزيز الخويطر وطبعه سنة ١٣٩٠ هـ في الرياض وهو تاريخ مختصر جدا .

لقد استعرضنا أهم كتب التاريخ التي طبعت في المملكة(١٢) ورأينا أن كثيرا منها قد صدرت عن طبعات عادية وبعضها رديئة محرفة غير محققة ولا مراجعة على نسخ خطية الى جانب أن الوصول الى المعلومات التي فيها عسير صعب بسبب افتقارها الى الفهارس العلمية الصحيحة ، ولا نكاد نستثني من هذه المطبوعات سوى تحقيق رشدي ملحس لكتاب الأزرقي وقليل من الكتب . أما الكتب الأخرى في أخبار مكة والمدينة وعلمائها والمقيمين فيهما فان أكثرها طبع طبعات تحتاج الى جهود اضافية لجعلها تصل الى مرحلة التحقيق العلمي .

ان العناية بكتب التاريخ هذه وتحقيق أصولها وخدمتها خدمة علمية من مهات الجامعات السعودية التي تملك المقدرة العلمية والمال الكافي من أجل اخراج تراث المملكة وتاريخها على أسس علمية . واننا لنرجو أن يتاح لطلاب الدراسات العليا في الجامعات أن ينهضوا بتحقيق هذه النصوص المهمة من تواريخ الجزيرة العربية .

د. أحمد محمد الضبيب
استاذ بكلية الآداب — جامعة الرياض

(١) انظر لكاتب : «حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة» . الدارة . ع ١ م ١ . ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/ مارس ١٩٧٥ م ص ص ٤٤ — ٦٢ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب العقيدة والتشريع) . الدارة . ع ٤ م ٣ . صفر ١٣٩٨ هـ/ يناير ١٩٧٨ م ص ص ٨ — ٢١ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» (كتب التفسير) . الدارة . ع ٣ م ٤ . شوال ١٣٩٨ هـ/ سبتمبر ١٩٧٨ م صص ٨ — ١٤ . و «حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة» . الدارة . العدد السابق لهذا العدد .

(٢) الفيروزآبادي . المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) . تحقيق حمد الجاسر . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٨٩ هـ ص . ك .

(٣) نفس المصدر ص . ق .

(٤) حمد الجاسر . رسائل من تاريخ المدينة . الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٩٢ هـ ص ٣٨ .

(٥) الفيروزآبادى . المغانم المطابة في معالم طابة . تحقيق حمد الجاسر . الرياض . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . ١٣٨٩ هـ . ص . ك .

(٦) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٧ .

(٧) نفس الموضع .

(٨) مقدمة الكتاب .

(٩) رسائل في تاريخ المدينة . ص ٣٨ .

(١٠) حمد الجاسر . رسائل في تاريخ المدينة . ص ٤١ .

(١١) ص ٦ .

(١٢) لقد أوردنا جميع الكتاب في قسم «البيليوجرافيا» من هذه الدراسة .

المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية

بقلم :
الشيخ / عبدالله بن محمد بن خميس

تشكل طبيعة الجزيرة العربية ميولا تدريجياً من الغرب الى الشرق ، فيما عدا منحدرات جبال (السروات) الغربية .. فان مجاري سيولها تشكل أودية كبيرة تتجمع فيها هذه السيول ، فتعبر منطقة (تهامة) وماسامتها شمالاً ، حتى تصب في البحر الأحمر .. وهذه تشكل شقيقة من رقعة المملكة العربية السعودية مستطيلة من الشمال الى الجنوب ، أي من الحدود (الأردنية) شمالا الى الحدود (اليمنية) جنوبا ، بما يزيد طوله عن ألفي ميل ، وبما يشكل معدلاً عرضه خمسون ميلا .. وهذه المنطقة تعتبر أخصب المناطق الزراعية ، وأوسعها رقعة ، وأكثرها ماء ، وأصلحها زراعة .. وسوف نعود للحديث عنها ضمن بحثنا هذا .

وتأخذ سلاسل جبلية ورملية في الامتداد من الشمال الى الجنوب يستوعب بعضها عرض المملكة العربية السعودية . ويتعرض بعضها بما يقل طوله ويكثر بحسب امتداده ، فتكون هذه السلاسل الجبلية والرملية بمثابة حواجز طبيعية تتلقف سيول سلسلة الجبال التي فوقها ، حسب تكوين طبيعة الجزيرة .. وكل سلسلة ينطلق منها عشرات الأودية مشرقة ، فتجد السلسلة التي تحتها تتلقفها لتحجز سيولها ، وهكذا .. ويكون من أحضان هذه السلاسل الجبلية أو الرملية مستقرات مياه تكبر وتصغر ، وتقل وتكثر بحسب ما يفرغ بها من الأودية ، وما تتلقفه من وفرة السيول لتشكل في باطن الأرض مخزونا مائيا ، وعلى سطحها تربة خصبة تغمرها مياه السيول ، وتحمل اليها حميلا من التربة الخصبة ، وتهبها مناخاً زراعياً صالحاً بقدر ما يتكاثر فيها من السيول .. وهذه الظاهرة تشكل بالنسبة للمملكة العربية السعودية ثلثيها تقريباً ؛ أي من سلسلة جبال (السروات) غربا الى رمل (الدهناء) شرقا ، ومن الحدود (الأردنية) وبعض الحدود (العراقية) شمالا الى الحدود (اليمنية) جنوباً .. أما ما تحت (الدهناء) شرقا الى (الخليج العربي) ، وعلى طول الامتداد الذي أسلفنا من الشمال الى الجنوب ؛ أي ما يشمل : (الصمان) و(الصلب) و(الحتائف) و(الفروق) و(الغوار) و(الجوف) — جوف الخط — وجل أرض المنطقة الشرقية .. فتختلف طبيعة أرضه عما فوقها ؛ فتكوينها يشكل رياضاً وخبارى وجواء ومنخفضات ومرتفعات و(جندليات) و(خفوشا) و(خبوتا) .. كلها تتلقف ما يسيل حولها من سيول ، ولا تقوم فيها أودية ذات بال مهما كثر الغيث وسخت السماء بمائها — باذن الله — فهو يبقى مخزوناً على سطحها فترة ، ثم يتلقفه جوفها أبد الدهر .

ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن هذه المنطقة أي المنطقة الشرقية تضم مخزونا من الماء الجوفي عظيماً ، ولا شك أنه بسبب تكوين أرضها ، وحفظها لما تتلقفه من ماء السماء ، سواء ما ينزل عليها مباشرة ، أو ما ينحدر نحوها مما تضمه السلاسل التي فوقها .

ولذا .. فان هذه المنطقة بما فيها من : رياض ، وجواء ، ومناطق شاسعة واسعة ، وبما فيها من وفرة الماء المخزون ، وبما عرف عنها من الخصب والنماء وطيب المرعى وصلاحية المناخ ، وخصوصا غربيها .. فانني أرشحها لمستقبل زراعي لم تعرف منه بعد قليلا ولا كثيرا .

ولنعد للحديث عن سلاسل جبال (العالية) ، ووسط المملكة ، وسلاسل رمالها :

١ — من أكبر هذه السلاسل وأطولها ، وأهمها ، وأكثرها سكانا ، وأجودها مناخاً ، وأخصبها .. سلسلة جبال (السروات) ؛ هذه تبدأ بالنسبة لمملكتنا من حدودنا مع (اليمن) جنوباً ، الى حدودنا مع (الأردن) شمالا .. أي بما تزيد مسافته عن ألفي ميل في عرض يتراوح بين أربعين الى خمسين ميلا .. ومعظم هذه السلسلة أخضر مغطى بأشجار الزيتون ، والقرض ، والطلح ، والسمر ، والسلم ، والمرخ ، والصنوبر .. الى جانب الأشجار البستانية الكثيرة المنتشرة في تضاعيف هذه السلسلة الجبلية العظيمة .

وتضم من المناطق : منطقة (نجران) ، ومنطقة (عسير) ، ومنطقة (الباحة) ، ومنطقة (مكة المكرمة) بما فيها منطقة (الطائف) ، ومنطقة (المدينة المنورة) ، ومنطقة

(تبوك) ..

وينحدر منها مشرقا أودية كثيرة ، من أهمها وأكبرها ما يلي :

أ — وادي (نجران) : وهو من أكبر الأودية وأعظمها ، وينتظم جل منطقة (نجران) وينتهي بمفائض ومرابخ ومنخرقات واسعة ، كلها لا تزال بوراً .

ومنطقة (نجران) تعتبر من المناطق الزراعية الهامة سعة ، وخصوبة ، وكثرة ماء .

ويقام الآن فوق مدينة (نجران) من هذا الوادي سد ضخم جداً ، يختزن كميات من المياه هائلة ، بما يؤمل أن يجعل من هذه المنطقة منطقة زراعية نموذجية مهمة جداً .

ب — وادي (تثليث) : وهذا الوادي يضم مجموعة من الأودية كثيرة ، تنحدر من (سراة عبيدة) وما حولها شمالا وجنوباً ، وينتظم جل بلاد (قحطان) من : بلاد ، وقرى ، ومزارع .. ويذهب مشرقاً حتى يفضى الى بلاد (تثليث) — البلد المسمى به هذا الوادي — فيجتازها ، ويذهب مشرقاً بميل قليل نحو الشمال ، ويتعرض في مسيله الى رمال ومرابخ وخمائل وعفاج .. فتوقفه ، إلا ما كان من مرة مضى على تاريخها نحو من خمسين سنة ، فانه قد أخذ مجراه الطبيعي القديم ، فاجتاح ما كان أمامه من منطقة وادي (الدواسر) ، ثم أخذ مجراه الى منطقة (السليل) ، ثم أخذ مجراه الى حضن (الربع الخالي) .

واذن .. فهذا الوادي يقبل من قمة جبال (السروات) ، فينتظم بلاد (قحطان) ، مارا بـ (تثليث) ، فوادي (الدواسر) ، فـ (السليل) ، فـ (الربع الخالي) .. ولكثرة ما يسيل هذا الوادي صيفا وشتاء وربيعاً وخريفاً فان جوفه يشمل مخزوناً من الماء منذ أن يصحر الى أن يصل جانب (الربع الخالي) ، أثبتت الدراسات والواقع العصري أنها ثروة مائية هائلة .

واذن .. فنستطيع أن نقول أن حوض هذا الوادي يضم ثلاث مناطق زراعية لا يستهان بها ، هي : منطقة (تثليث) ، ومنطقة وادي (الدواسر) ، ومنطقة (السليل) .. وكلها لا يشكل المزروع منها الآن نسبة تذكر ، وتنتظر مستقبلا زراعياً يستغل ما بها من خيرات ويتواءم وواقعها الخصب الرحب .

جـ — وادي (بيشة) : يتكون هذا الوادي — أول ما يتكون — من قمة (السراة) في (عسير) وما جاورها شمالا ، وتقبل روافده فتتجمع تحت وادي (ابن هشبل) تحت (خميس مشيط) ، ويذهب متجهاً نحو الشمال الشرقي ، وتمده بعدئذ أودية أخرى : كـ (تبالة) و (ترج) وغيرها ، حتى يفضى الى (بيشة) فينتظمها كلها ، ومنها يفضى الى مستقره منطقة (رغوة) ؛ خميلة ممتدة أشبه ما

تكون بـ (الروضة) ، يحجزها من الشرق امتداد جبال (هضب ال زايد) ؛ كجبل (جخجوخ) وما حوله ، كما تحجزها رمال متراكمة تقع بينها وبين منطقة وادي (الدواسر) ، ويستقر سيل هذا الوادي هنالك في منطقة ممتدة رحبة ، يحمل هذا الوادي إليها حميله ، منذ مئات السنين لم تمتد إليها يد مزارع بعد .

وهو يمر بـ (بيشة) مروراً عابراً ، وفائدتها منه) — غير ما يستقر من مائه في الأرض — قليلة .

وتعتبر منطقة (بيشة) من المناطق الزراعية الهامة ، غير أنها لم تستغل بعد إلاّ استغلالا بدائياً ضعيفاً .

د — ويلي وادي (بيشة) من الناحية الشمالية من أودية جبال (السروات) المنحدرة شرقاً ، واديا (رنية) و (تربة) .. واديان متوازيان كبيران ، ينحدران من قمة جبال (السروات) ، ويقبلان مشرقين فيفضيان الى سهل منبسط ، يقطعان بعده (حرة الشلاوي) و (البقوم) ، ويشق الجنوبي منهما جبل (الكور) منتظماً (رنية) ، وينتظم الشمالي بلاد (تربة) ومنها بلاد (الخرمة) ، ثم ينتهيان معاً في سهب ممتدة من الشمال الى الجنوب كأنها ساقية يحجزها من الشرق رمال (نفوذ سبيع) ، وتستقران هنالك على سمت منطقة (رغوة) مستودع مياه وادي (بيشة) .

ولا تزال مستقرات واديي (رنية) و (تربة) قفراً ، لم تمتد إليهما يد لامس .

هـ — أودية منطقة الطائف : ومن أهمها (ثمالة) و (لية) و (وج) .. وكلها تنتظم مزارع منطقة (الطائف) ، وتفضى الى منطقة (ركبة) ، فتبتلعها سهولها وسهوبها .

و — بعد أودية (الطائف) شمالا .. وادى (العقيق) (عشيرة) ، وأودية (حرة بني سليم) وما حولها ، وتستقر في أحضان جبال (عالية نجد) ورمالها .

ز — وادي (الرملة) : أكبر واد ينحدر من جبال (السروات) ، وتمده أودية كثيرة منها ، وتتجمع فيه هذه الروافد غرب (القصيم) ، فينتظم منطقة (القصيم) ، وتقف رمال (الصريف) وما حولها حاجزاً أمامه فيستقر هنالك .. وكان قبل يشق هذه الرمال ، وبعدها رمل (للظهور) و (الثويرات) فـ (الدهناء) ، ويأخذ مع (الاجردي) فوادي (الباطن) ، ويفرغ في (الخليج العربي) تحت (البصرة) .. أما الآن فقد قهرته الرمال ، ولا يعلم إلاّ الله متى يقتحمها ويعود الى مجراه القديم .

وتتربع منطقة (القصيم) في حوض هذا الوادي ، وحوله ، وتشكل منطقة زراعية هامة هي من أبرز مناطق المملكة الزراعية حيوية ونشاطاً .. وهذا يرجع — ولا شك — الى الكثافة السكانية في منطقة (القصيم) من ناحية ، والروح الزراعية الموجودة لدى أهلها من ناحية أخرى ، والدسامة المادية لدى أهل المنطقة من ناحية ثالثة .. ومع ذلك فالزراعة في (القصيم) لا تزال تفتقر الى مزيد من عناية ورعاية .

ح — منطقتا (تيماء) و(تبوك) : تمدهما جبال (السروات) بروافد تنحدر عليهما مشرقة ، وتفضى الى مستقرات ومنخرقات غنية جداً بالمياه الجوفية .. ففي (تبوك) اذا اخترقت طبقة من الأرض معينة اندفعت المياه تارة عذبة ، وتشكل المنطقة امتداداً رحباً ، كله صالح للزراعة والاستغلال .

ولقد صرفنا النظر هنا عن منطقة (المدينة المنورة) الزراعية ، لأن أوديتها تذهب مغربة ضمن المنطقة الغربية لجبال (السروات) ، وإلا فهى منطقة زراعية جيدة .

ما تقدم هي الأودية التي تسيل من جبال (السروات) مشرقة ، وتفضى الى المناطق الزراعية آنفة الذكر ؛ أي منطقة (نجران) ، ومنطقة (تثليث) ، ومنطقة (وادي الدواسر) ، ومنطقة (السليل) ، ومنطقة (بيشة) و(رنية) و(تربة) و(الخرمة) ، ومنطقة (الطائف) ، ومنطقة (القصيم) ، ومنطقة (تيماء) و(تبوك) ... أما ما يسيل من سلسلة جبال (السروات) مغربا ، فهى أودية عظيمة وكثيرة وخصبة وشجرة منبتة ، وتدفع الى سهول (تهامة) الزراعية الغنية ، المدعوة لدى علماء الجغرافيا المحدثين بـ (سلة الخبز) .. ولنقسم هذا الساحل التهامي الى قسمين بالنسبة لبلادنا : فـ (تهامة) الجنوبية تبدأ من حدودنا مع (اليمن) جنوبا الى مدينة (جدة) شمالا ، و(تهامة) الشمالية تبدأ من (جدة) جنوباً وتنتهي بحدودنا مع (الأردن) شمالا .

ويصل على (تهامة) الجنوبية من أودية (السروات) أودية كثيرة كما قلنا ، من أهمها : وادي (بيش) ، ووادي (صبيا) ، ووادي (ريم) ، ووادي (تعشر) ، ووادي (عتود) ، ووادي (بيض) ، ووادي (لية) ، ووادي (القنفذة) ، ووادي (الليث) ، ووادي (مر الظهران) بروافده العظيمة ، ومن أهمها نخلتان (اليمانية) و(الشامية) .

فـ (تهامة) الجنوبية هذه تعتبر هي المنطقة الزراعية الأولى بالنسبة لمناطق المملكة الزراعية ، فالى جانب سعة رقعتها ، وخصبها ، وجودة زراعتها ، وكثير انتاجها .. فهى أيضا مصب لعشرات الأودية التي تنحدر عليها من جبال (السروات) صيفا وشتاء وربيعاً وخريفاً .. ولكنها الآن تكاد تكون معطلة ،

فعشرات الأودية هذه تمر (تهامة) مرا سريعا ، وتذهب الى البحر ما عدا وادي (جيزان) ، الذي أقيم عليه سد خزن هذا العام من السيول ما يقرب من سبعين مليون من الأمتار ، ولكن بطء السير في مشروع استغلاله الذي يحبو حبوا جعله لم يحقق بعد ، ما أريد له ومنه .

أما بقية الأودية فشأنها ما ذكرنا .. وبالجملة فهذه المنطقة الزراعية ، التي اعتبرها الأولى في مناطقنا الزراعية لا تزال كلها غامرة .. وعسى أن يأذن الله لها بالحياة .

أما المنطقة الزراعية الثانية من (تهامة) ؛ فهى ما بين (جدة) جنوباً الى حدود (الأردن) شمالا ، ويبلغ طولها ما يقرب من ألف وخمسمائة كيل ، في معدل عرض خمسين كيلا .. ويدفع فيها أيضا عشرات الأودية ، التي تنحدر من جبال (السروات) مغربة .. ومن أهمها : وادي (خليص) ، ووادي (رابغ) ، ووادي (بدر) ، ووادي (الصفراء) ، ووادي (الحمض) ، وأودية (ضبا) و (الوجه) ، وجبال (شار) و (اللوز) ، وغربي (تبوك) .

هذه المنطقة غنية بأوديتها ، غنية بمياهها ، غنية بتربتها الجيدة ، واسعة جدا .. غير أنها لم تعرف الزراعة بعد ، إلاّ ما هنالك في منطقة (المدينة المنورة) وبدايات في ديار (بني سليم) على قلة وضعف .

أما ظهر جبال (السروات) فتربع فوقه مناطق زراعية ذات بال .. كمنطقة (عسير) الزراعية ، ومنطقة (غامد) و (زهران) الزراعية .

هذه هي سلسلة جبال (السروات) والحديث الموجز عنها .

٢ — سلسلة جبلي طيء (أجأ) و (سلمى) : هذه السلسلة أيضا معترضة من الشمال الى الجنوب ، ولقد زحفت رمال (عالج) فالتحمت أو كادت بالجانب الغربي الشمالي من جبل (أجأ) ، وظلت الأودية التي تقبل من (العالية) يعترضها الجانب الغربي الجنوبي من جبل (أجأ) ، ويعترضها أيضا جبل (سلمى) وما حوله من جبال .. وينطلق من هذه السلسلة أيضا أودية مشرقة تتلقفها سلسلة (رمل المظهور) ، هي : وادي (الحميمة) ، ووادي (حائل) ، ووادي (العش) ، ووادي (الحويض) ، ووادي (الترمص) .. وكل هذه تستقر في مرابخ ورياض ومغائض في حضن (رمل المظهور) شمالي (القصيم) وشرق (حائل) .

٣ — سلسلة جبل (طويق — اليمامة —) : أطول سلسلة جبلية في قلب جزيرة العرب بعد جبال (السروات) ، تبدأ من (الربع الخالي) جنوباً وتنتهي برمال (الثويرات) خلف منطقة (الزلفى) شمالاً ، أي بما تبلغ مسافته ما يزيد على ألف كيل طولا ، في عرض يتراوح بين خمسة وعشرين الى ثلاثين كيلا .

وحسب تكوين الجزيرة العربية — كما قلنا — فإن هذا الجبل ينحدر منه مشرقاً ما يزيد على أربعين وادياً ، كلها تمر وتنتهي بمناطق زراعية هامة ، ومن أهم هذه المناطق :

أ — منطقة (الافلاج) : وهي منطقة زراعية هامة ، تجيء في الدرجة الثانية بعد منطقة (تهامة) الجنوبية .. وفيها بحيرات ساجية ، وعيون جارية ، ولها ماض تاريخي عظيم تحدثت عنه كتب التاريخ والجغرافيا ، وأفاضت فيما له من أثر وخطر في قلب جزيرة العرب ، وما به من مدن وحصون وقلاع وتجارة وزراعة ومقامات كريمة .. هذه المنطقة تحدها (الدهناء) من الشرق ، ومنطقة (الخرج) و(الفرع) من الشمال ، و(الربع الخالي) من الجنوب ، و(جبل طويق) — جبل اليمامة — من الغرب .. ويدفع فيها من أودية (طويق) الكبيرة الشهيرة سبعة أودية ، هي من الشمال الى الجنوب : (الغيل) ، و(شطاب) ، و(الحمر) ، و(الهدار) ، و(العجلية) ، و(الضبعية) ، و(حمام) .

وكل هذه الأودية منذ تبدأ من قمة (طويق) حتى تفرغ في مصباتها وهي تمر بقرى ومزارع جلها غامر ، وتمر بمساحات زراعية واسعة لكنها بور .

ومنتهى هذه الأودية السبعة رياض واسعة ومستقرات مياه وخمائل ، كلها مما هو في الدرجة الأولى من أرض الزراعة ، هي : منطقة (المقرن) ، ومنطقة (البياض) ، ومنطقة (هريسان) سهوب مترامية الأطراف ، تبلغ مسافتها من منطقة (الخرج) شمالا الى منطقة (الربع الخالي) جنوباً حوالي خمسمائة كيل ، ومن منطقة (الدهناء) شرقاً الى قمة جبل (طويق) ما يقرب من مائتين وخمسين كيلا ، ولا يبلغ المعمور زراعياً من هذه المنطقة أكثر من واحد بالمائة .. أما بحيراتها فلا يدرك لها قعر .. وأما مياهها الجوفية فلا أعتقد أن بجزيرة العرب ما يضاهيها كثرة واتساعاً .. وأما جوها فهو معتدل شتاء ، ويميل الى الحرارة صيفاً .. وتمتاز هذه المنطقة بجودة المراعي ونمو الماشية بشكل ملحوظ .. وأما تمرها فقد تحدث عنه المؤرخون مادحين بما لا يتسع المجال لا يراده هنا .

ب — منطقة (الخرج) : تلي منطقة (الأفلاج) من الناحية الشمالية ، وهي من المناطق الزراعية المشهورة في جزيرة العرب بما تحدث عنه التاريخ وبما كانت تمون به الحجاز منذ العصر الجاهلي ، . وكانت (اليمامة) تهدد الحجاز بقطع الميرة من (الخرج) اذا اختلفت معها .

هذه المنطقة من مناطق (العارض) الزراعية ، يبعد قلبها عن (الرياض) أربعة وثمانين كيلا نحو الجنوب الشرقي ، وتحدها شمالا منطقة (الرياض) ومنطقة (العرمة) و(المغر) ، ومن الغرب جبل (طويق) ، ومن الجنوب منطقة

(الافلاج) وبها عيون راكدة لا يدرك لها قعر ، وهي من أكثر المناطق الزراعية الجنوبية حركة ونمواً ، فيها نخيل كثيرة وبساتين وبث وحرث .

ويصب فيها من الأودية الكبيرة عشرة أودية ، سبعة تنحدر إليها من جبل (طويق) وهي : وادي (حنيفة) بجميع روافده ، ووادي (نساح) ، ووادي (العين) ، ووادي (ماوان) ، ووادي (أثيلان) ، ووادي (الفرع) (نعام) و(بريك) ، ووادي (العقيمي) وفيه يصب وادي (برك) .

أما الثلاثة الأخرى : فوادي (الثلماء) ويصب فيها من قبل جبل (الدام) ، ووادي (الحنية) ويصب فيها من قبل جبل (خنزير) ، ووادي (الترابي ويصب فيها من قبل (العرمة) الجنوبية .

وبها من الرياض . روضة (التوضيحية) وروضة (البجادية) وروضة (السهباء) .

جـ — منطقة (الرياض) : تلي منطقة (الخرج) من الشمال ، وهي حيث تتجمع عدة أودية وتصب في وادي (حنيفة) ، وتشكل منطقة زراعية جلها عامر بالنخيل والبساتين والمزارع .. ويصب بها من الأودية روافد وادي (حنيفة) الغربية الشمالية ، وتتجمع سيول هذه الأودية — أول ما تتجمع — في سد بني فوق (الدرعية) ، وبعد أن تفيض يتلقفها سد بني فوق (الرياض) ، وبعد أن تفيض يتلقفها سد بني فوق (الحائر) .. الى جانب سدود فرعية ، أحدها بوادي (الحريقة) ، والثاني بوادي (غبيراء) ، والثالث بوادي (صفار) ، والرابع بوادي (لبن) ، والخامس بوادي (نمار) .. وهي من أصغر المناطق الزراعية ، الا انها عامرة نوعا ما

د — منطقة (الشعيب) و (المحمل) : هذه المنطقة داخل جبل (طويق) ، شمالي منطقة (الرياض) ، في لهزوم من الأرض ، تمتد فيه عدة أودية تسيل مشرقة ، وهي : وادي (خريملاء) — قران قديماً — ، ووادي (حليفة) — كنزة قديماً — ، ووادي (صلبوخ) — وتر قديماً — ، ووادي (المخمر) ، ووادي (دقلة) ، ووادي (الحسى) ، ووادي (الصفرات) ، ووادي (البير) ، ووادي (العتك) الأعلى ، ووادي (عبيثران) .. فيما عدا الخمسة الأخيرة من هذه الأودية فإنها اذا خرجت من الجبل تذهب مشرقة وتصب في رياض (الخفس) ؛ رياض رحبة خصبة جميلة ، وقد أبقيت مرتعاً ومتنزهاً لأهل المناطق التي تليها ، مع ما يليها من الرياض كروضة (ملهم) ، وروضة (أبي عويشزة) .

أما خمسة الأودية الأخيرة .. فتصب في متسع من الأرض به رياض وقريان وسهوب ، تسمى (الملتهبة) ، لا تزال قفرا من الزراعة .

ومنطقة (المحمل) و(الشعيب) من أقل المناطق الزراعية شأنا .

هـ ـــ منطقة (سدير) : تقع شمال منطقة (الشعيب) و(المحمل) ، وجلها يقع داخل جبل (طويق) ، وهي واقعة بينه وبين سلسلة جبلية أخرى ، هي سلسلة جبل (مجزل) .. أو نستطيع أن نقول : أن سلسلة (مجزل) تتوسط منطقة (سدير) ، وهذه المنطقة واسعة ، ويصب فيها من الأودية الكبيرة التي تنحدر من (طويق) : وادي (الفقى) ، ووادي (المياه) ، ووادي (جوى) ، ووادي (المشقر) .. ونلحق بها وادي (مرخ) زراعياً .

هذه الأودية بعد أن تنتظم مدن وقرى (سدير) يصب الأولان منها في سهل (الملتهبة) ، والثالث والرابع يجتمعان ويخترقان جبل (مجزل) ، ويصبان في (البطين) ، والأخير يصب في روضة (السبلة) .

أما الأودية التي تنحدر من سلسلة جبل (مجزل) مشرقة .. فكثيرة ، منها : (الأمغر) ، و(بقر) ، و(جراب) ، و(السحيمي) ، و(الارطاوية) ، و(الاصوف) ، و(منخفض ممتد من الشمال الى الجنوب ، كله رياض ومستقرات مياه وأرض خصبة جميلة زراعية من الدرجة الأولى ، يدعى (البطين) ـــ تصغير بطن ـــ وهو لم تمتد اليه بعد يد حارث ، يبلغ طوله ما يقرب من مائة وخمسين كيلا ، ومتوسط عرضه ما بين الخمسة والعشرين الى الثلاثين كيلا ، لكنه من المناطق الزراعية الممتازة .

هذه هي الأودية والمناطق الزراعية الواقعة بوجه سلسلة جبل (طويق) الشرقية .

اما ما هو واقع في وجهه الغربي .. فبطن ممتد على نحو ما وصفناه من (بطين) مجزل رياض وقريان ومستقرات مياه وأرض صالحة خصبة جيدة على طول امتداد جبل (طويق) ، يسمى الشمالي من هذا البطن بـ (قرقري) قديماً ، ويبلغ طوله نحوا من ثلاثمائة كيل في عرض عشرين الى خمسة عشر كيلا .. وأما الجنوبي منه فيدعى (الساقية) وهو يشبه القسم الشمالي ، الاّ أنه أقل منه قيمة زراعية ، ويبلغ طوله حوالي سبعمائة كيل ، ويسيل على هذا البطن شمالية وجنوبية شعاب جبل (طويق) الغربية ، وبعض الشعاب التي تأتيه من الغرب .

٤ ـــ سلسلة رمل (الرغام) (عريق البلدان) : هذا رمل يقبل من رمال (الثويرات) شمالا ، ويذهب مجنبا حتى يقف عند نهاية منطقة (الوشم) من الجنوب ، وتقع منطقة (الوشم) الزراعية غربه بينه وبين (صفراء الوشم) ، وتقبل أودية (صفراء الوشم) مشرقة ، فتنتظم بلدان (الوشم) وقراه ، ثم تستقر في حضن هذا الرمل من الغرب ، فتشكل رياضاً وقرياناً وسهوباً ومرابخ صالحة للزراعة جدا ، طيبة المرعى وفيرة النبات .

وأشهر أودية هذه الصفراء هي : (المنحني) ، (الريمة) ، (العنبري) ، (المسمى) ، (الأواعر ، وادي (أثيفية) ، (الرعن) ، (كافت) (النخيل) ، (أبو

خشبة) .

٥ — ويشابه منطقة (الوشم) الزراعية منطقة (السر) الزراعية .. فهي واقعة بين (نفود السر) شرقاً ، وبين (صفراء السر) غربا ، ويحدها (القصيم) شمالا ، وطريق (الحجاز) جنوباً .. وهي منطقة واسعة ، وكثيرة الرياض والقريان ومستقرات المياه ، وأوديتها تأتيها من (صفراء السر) مشرقة ، ومن (التسرير) و (القرنة) جنوباً بميل الى الغرب .

ومنطقة (السر) الزراعية منطقة مهمة ، ولها مستقبل زراعي جيد ، وبها الآن حركة زراعية .

ويقع خلف (صفراء السر) من الغرب حوض تستقر فيه سيول وادي (الرشا) — التسرير قديماً — وما حولها من الأودية ، هذا الحوض يقال له : (الخرما) و (خريمان) ، وفوقه منطقة (عنز) أمكنة زراعية جيدة .

٦ — منطقة (العرض) : هذه المنطقة قاعدتها (القويعية) ، وبها أودية كثيرة ورياض وسهول زراعية ، لكن جلها لا يزال غامرا .

٧ — منطقة (الفرع) الزراعية : (الحوطة) ، و (الحريق) ، و (نعام) ، و (الحلوة) .

تقع في ثلاثة أودية عظيمة من جبل (طويق) ، هي : وادي (نعام) ، ووادي (بريك) ، ووادي (برك) .. منطقة زراعية ، أهلها أشداء ، ولهم نشاط زراعي ملحوظ .

٨ — منطقة (الجوف) الزراعية : شمالي المملكة ، في منخرق وادي (السرحان) ، مياهها تيارة ، وأرضها طيبة ، وانتاجها وفير ، وزراعتها نشطة ، ومستقبلها جيد .

٩ — سلسلة جبل (العرمة) : سلسلة جبلية طويلة تمتد من الشمال من محاذاة رمال (الثويرات) و (السيارات) ، وتأتي مجنبة حتى محاذاة أسفل (الخرج) عند (التوضيحية) ، أي بما نقدر مساحته بخمسمائة كيل .

وتنحدر من هذه السلسلة أودية كثيرة ، وتستقر في حضن (الدهناء) في رياض هي من أبدع وأمنع ما ضمته جزيرة العرب من رياض ذات شأن كبير .

ومن أهم أودية (العرمة) التي تدفع في هذه الرياض : وادي (العصيل) ، ووادي (الشوكي) ، ووادي (الطيري) ، ووادي (الطوقي) ، ووادي (الثمامة) ، ووادي (المسعودي) ، ووادي (أثيلان) ، ووادي (الجافي) ، ووادي (سعد) ، ووادي (الحلال) ، ووادي (عشيران) .. والخ .

ولا تزال منطقة (العرمة) الزراعية الجيدة معطلة من الزراعة كلياً ، لم تمتد بعد إليها يد مزارع .

* * *

هذه هي مناطق المملكة الزراعية أعطينا عنها المامات موجزة ، وهي تحتاج الى دراسة جغرافية طبيعية شاملة مستوعبة تطلعنا على حقيقة بلادنا ، وتوقف وزارة زراعتنا على هذه الحقيقة التي لا تزال مجهولة أو مجهول أكثرها بالنسبة لها .. فكذلك تحتاج الى دراسة فنية عميقة بالنسبة لتربتها ، وبالنسبة لمناخها ، وبالنسبة لمياهها ، وبالنسبة لنوعية مزروعاتها ، وبالنسبة لطرقها وصلتها بمناطق التصريف والتسويق .

والله الهادي الى سبيل الرشاد ،

عبدالله بن خميس

[illegible]
في جزيرة العرب

(البلاد العربية السعودية ١٩٠١-١٩٧٢م)

بقلم : الدكتور منصور ابراهيم الحازمي

تمهيد :

لا تزال الرحلة ، حتى في عصرنا هذا — عصر الطائرات والصواريخ — مصدر متعة وعلم وثقافة ، وان فقدت ذلك البريق الذي كان يحوطها في الماضي ، وافتقرت الى عنصر الخيال والمغامرة ، حينما كان العالم متباعدا مجهولا ، ووسيلة الأنتقال بدائية محدودة . ولكن الانسان رحّال بطبيعته ، توّاق أبداً الى المعرفة واكتشاف المجهول . فإن لم تتيسر له أسباب الرحلة ، أنصت الى الذين أوتوا الحظ في المشاهدة والتجوال . وليس من رأي كمن سمع .

وتراث الأمم حافل بالرحلات ، أبقى الزمن على بعضها ، فوصلتنا مدونة نقرأها ونلتذ بها ، ونرى فيها صورا صادقة لحياة الانسان القديم ، وصفحات من جهاده وأخلاقه ومعتقداته . هكذا رأينا العالم القديم من خلال ما دونه هيرودوت ، في تاريخه الشهير ، عن مشاهداته في مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وايران ، وما سجله بلوتارك ويوليوس قيصر وتاسيت وبطليموس ، من وصف الأصقاع والمواضع وأخبار الأمم والشعوب .

أما العرب فقد بزّوا الأمم التي سبقتهم فيما خلفوه من آثار في ميدان الرحلات . ساعدهم على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وازدهار في التجارة والزراعة ، وتقدم في الحياة العلمية والثقافية ؛ هذا الى جانب عامل مهم آخر وهو العامل الديني ، الذي يقضي بشد الرحال الى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة . والمكتبة العربية تزخر بعشرات الرحلات المطبوعة والمخطوطة التي تؤكد اهتمام العرب الأوائل بهذا اللون الطريف من الكتابة ، وتدل على حيوية ونشاط فائقين[1] .

ومع أهمية الرحلة وخطورتها وغناها في التراث العربي والإسلامي ، فانها لم تحظ بالاهتمام الكافي من جانب النقاد والباحثين المحدثين . وقد نبه الى ذلك مرارا الأستاذ حمد الجاسر في مجلته : «العرب» ؛ ووجه الأنظار ، بما كان ينشره من نصوص ودراسات ، الى أهمية الرحلة في الكشف عن حلقات تكاد تكون مفقودة مجهولة في تاريخ الجزيرة العربية[2] .

وللدكتور شوقي ضيف كتيّب عن الرحلات ، لخص فيه أمهات الرحلات العربية ، مثل ابن جبير وابن بطوطة والمقدسي . وقد صنع صنيعه الأستاذ جورج غريّب في كتابه : «أدب الرحلة» ؛ غير أنه آثر أمين الريحاني بالجزء الأعظم من الصفحات . وكذلك فعل الدكتور

حسني محمود حسين في كتيّبه : «أدب الرحلة عند العرب» ، الذي نشر في سلسلة المكتبة الثقافية المصرية ؛ فقد اكتفى بالحديث عن ابن جبير وابن بطوطة ، وأضاف اليهما ابن خلدون ورفاعة الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق[٣] .

ولا شك أن لهذه الجهود قيمتها ، ولكنها لا تكفي ، ومعظمها لا يتجاوز منهجها التعريف أو التلخيص والعرض ، ولا تتكافأ مع ذلك الانتاج الضخم الذي خلفته العقلية العربية طوال القرون الماضية . ولعل أعظم كتاب اطلعت عليه في هذا الميدان هو كتاب المستشرق الروسي المعروف كراتشكوفسكي : «تاريخ الأدب الجغرافي» . اذ أنفق في جمع مادته وتأليفه سنوات طويلة ، وتتبع فيه الرحلات العربية منذ بدايتها حتى القرن الثامن عشر الميلادي . ويتميز منهجه بالدقة العلمية ، سواء في إحاطته بمادة موضوعه ، او في طريقة عرضه لها ومناقشتها وتحليلها . على أن كراتشكوفسكي لا يعني بكلمة «أدب» ، التي جاءت في عنوان كتابه ، المصطلح النقدي لهذه الكلمة ، بل يعني بها مدلولها العام . ويتسع هذا المدلول لتراث الأمة في جميع جوانبه الابداعية وغيرها . ويدل هنا على كل ما أنتجته العقلية العربية والإسلامية في أدب الرحلات الجغرافية بصورة خاصة .

والرحلة ميدان واسع يتنافس فيه التاريخ والأدب ، وربما فنون وعلوم كثيرة أخرى لا تدخل تحت حصر . ولكنها في بعض أشكالها فن أدبي خالص ، أو أقرب الى الفن الأدبي .

وكنت أبحث عن تحديد لأدب الرحلة ، بمعناه الضيق ، فلم أجد ، فيما اطلعت عليه ، ما يشفي الغلة . ولعل العرب ، وقد خلفوا لنا هذا التراث العظيم من كتب الرحلات ، لم يفكروا في إلحاقها بدائرة الأدب الخالص ، ومن ثم لم يعنوا بوضع القواعد لها ، كما فعلوا في فنون القول الأخرى ، من شعر وخطب ورسائل . وهم كذلك قد أهملوا فن القصة على الرغم من اعترافهم بفن المقامة ، وعلى كثرة ما خلفوه من تراث قصصي .

وربما كان للقدماء العذر في اغضائهم عن الرحلة ، وعدم اعترافهم بها كفن أدبي — فالرحلة ، كما ذكرت ، مزيج من فنون شتى ، وتختلف باختلاف كتّابها وأغراضهم منها . فرحلة ابن جبير ، على سبيل المثال ، كتبت في شكل مذكرات يومية ، تروي ما شاهده المؤلف في طريقه الى الأراضي المقدسة ، لأداء فريضة الحج ، وعودته منها[٤] . بينما اهتم ابن المجاور ، في كتابه : «تاريخ المستبصر» ، بما رآه في جنوبي الجزيرة العربية والحجاز الأوسط من المظاهر الشعبية المختلفة ، بالاضافة الى اهتمامه بوصف المقاطعات والطرق والمسافات[٥] . أما ابن بطوطة فقد تأثر تأثرا كبيرا بالمعتقدات السائدة في المغرب ، فكان يهتم اهتماما ملحوظا بأخبار الأولياء والدراويش وما يحكى عنهم من خوارق وكرامات[٦] . وغلب الطابع الأدبي على رحلة ابن معصوم الموسومة بـ : «صلوات الغريب وسلوة الاريب» ، إذ اتجهت الى السيرة الذاتية ، مع الاستطراد أحيانا الى بعض الموضوعات الأدبية ، وقد كتبها في وصف رحلة أسرته من المدينة المنورة الى الهند[٧] .

تلك نماذج قليلة لاختلاف الرحلات ، وتباين مناهجها واتجاهاتها وأشكالها . لهذا فقد

قسمها بعض الباحثين حسب موضوعاتها ، فعدّد للرحلات خمسة عشر نوعا ، هي : (١) الرحلات الحجازية ، (٢) الرحلات السياحية ، (٣) الرحلات الرسمية ، (٤) الرحلات الدراسية ، (٥) الرحلات الأثرية ، (٦) الرحلات الاكتشافية ، (٧) الرحلات الزيارية ، (٨) الرحلات السياسية ، (٩) الرحلات المقامية ، (١٠) الرحلات الفهرسية ، (١١) الرحلات العلمية ، (١٢) الرحلات الدليلية ، (١٣) الرحلات الخيالية ، (١٤) الرحلات السفارية ، (١٥) الرحلات العامة[٨] .

ورغم ما في هذا التقسيم من فائدة وراحة للباحث ، إلا أنه لا يخلو من اعتساف وقصور عند التطبيق . فقد تتجمّع في الرحلة الواحدة أنواع عدة . فرحلة ابن بطوطة ، مثلا ، حجازية ، سياحية ، اكتشافية ، سفارية ، زيارية ، علمية — وهكذا[٩] .

وهناك رأى آخر في تصنيف الرحلات العربية ، لعله أكثر دقة وشمولا وطواعية عند التطبيق . وهو الرأي الذي يعتمد على صلة الرحلة بكاتبها . فهي إما «ذاتية» ، تهتم بكل ما يقع للمؤلف من حوادث وأحوال أثرت في نفسه وفكره ووجدانه ؛ وإما «موضوعية» تركز على تسجيل الأشياء مجردة عن الذات . ومن النوع الثاني ماكتبه الجغرافيون العرب في علم المسالك والممالك ، فقد عنوا بقياس المسافات والطرق ووصف البلدان من النواحي الزراعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية وغير ذلك . فالرحلة «الموضوعية» بهذا المفهوم ، أقرب الى التقرير العلمي ، الذي يهتم صاحبه بالدقة العلمية وايراد التفاصيل ، دون العناية بالأسلوب الأدبي ، أو التعبير عن الذات[١٠] .

ومع وجاهة هذا الرأي ، وقربه الى النظرة النقدية في تفسير النصوص ، فانه لا يخلو من ثغرات . ذلك لأنه غالبا ما يمتزج العنصران : الذاتي والموضوعي في الرحلة الواحدة . بل ان كثيراً من الرحلات العربية قد تبدأ كترجمة ذاتية لحياة الرحّالة نفسه ، ثم لا تلبث أن تتحول الى معجم يترجم فيه المؤلف لشيوخه والعلماء الذين التقى بهم ، أو الى مختارات أدبية ، قد تفيد الباحث في معرفة الذوق العام لذلك العصر[١١] .

ومن ناحية أخرى ، فقد لاحظنا ان لاتجاه الرحالة وثقافته وظروف عصره شأنا مهما في توجيه الرحلة ، وصبغها باللون الذي ينسجم مع النزعة الذاتية والظروف الموضوعية العامة . ونضرب مثالا على ذلك باهتمام العلماء بالجزيرة العربية أثناء عصر التدوين ، فقد كانوا في حاجة الى جمع اللغة ووضع قواعدها ورواية التراث الأدبي من أفواه القبائل — فلما استقرت أصول اللغة وجمع التراث ، لم يعودوا في حاجة الى شدّ الرحال وتكبد المشاق . وكذلك نرى عناية الرحالة المتأخرين بمشائخ الطرق الصوفية والأولياء والدراويش والصالحين ، وذلك لغلبة الجمود على الفكر الاسلامي في العصور المتأخرة ، وتفشي الجهل وأعمال الدجل والشعوذة بين طبقات الأمة[١٢] . وقد رأينا أن من الرحالة من أملت عليه اهتماماته او دراساته الخاصة العناية بجانب معين دون الجانب الآخر . فالمقدسي قد اهتم اهتماما شديدا بالسكان وأحوالهم [١٣] ، وناصر خسرو كان معنيًّا بابراز مواقفه وانطباعاته[١٤] ، كما اهتم الزمخشري بالمواضع في الجزيرة العربية وماله علاقة بالقرآن والسيرة النبوية[١٥] . الخ ...

ومثل هذا التنوع أو التلوين في كتابة الرحلة ، لا يزال مشاهدا حتى اليوم في الرحلات الحديثة التي قام بها أصحابها الى البلاد العربية السعودية منذ مطلع هذا القرن حتى الوقت الحاضر. فمنهم من قام برحلة من أجل أداء فريضة الحج وزيارة الاماكن المقدسة ، فهو لذلك معنى بوصف الطريق ومواضع المياه واجراءات السفر وذكر المناسك والآثار الاسلامية التي شاهدها . ومنهم من قام برحلة لأغراض قومية سياسية ، وأشهرهم أمين الريحاني في كتابه : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» . ولم يكن الريحاني بطبيعة الحال مهتمًا بوصف طريق أو مشاهدة أثر ، بل كان مشغوفا في الدرجة الأولى بالشخصيات التي كان يقابلها ويتحدث اليها ، ولاسيما الشخصيات السياسية . ومن الرحالة أدباء وصحفيون ساقتهم الصدفة أو المناسبة — فهم لذلك يتصيّدون الأخبار ويجمعونها ويكتبون ، فيما يشبه التقرير الصحفي ، عن مظاهر النهضة التي وصلت اليها بلادنا في العهد السعودي الزاهر.

ولكن الرحّالة مهما كانت مشاربهم وأهواؤهم ، فانهم لا يستطيعون إغفال جانب الفضول في أنفسهم ، ومن ثم نراهم ، على تعدّد أغراضهم واتجاهاتهم ، يكتبون القليل أو الكثير عن العادات والتقاليد التي شاهدوها واسترعت انتباههم . وقد تكون هذه العادات والتقاليد سلوكا معينا أو طريقة في المآكل أو الملبس أو المشرب . وقد كتب بعضهم عن لغة أهل المدن ولغة بعض القبائل . كما أورد بعضهم نصوصا للأغاني الشعبية والبدوية التي سمعها ، الى غير ذلك من المظاهر الطريفة التي يراها الرحالة جديرة بالتسجيل .

وعلى هذا النمط تسير الرحلة ، فنا مختلطا لا يجمع شتاته سوى صاحب الرحلة . وللكاتب الحرية أن يكتب ما يشاء ، وبالطريقة التي يريدها . ومن هنا فان الرحلة أقرب في الحقيقة الى المذكرات التي يدون فيها كاتبها ، وبشكل عفوي ، ما حدث له أو سمعه أو شاهده في فترة معينة من حياته[١٦] . والرحلة فترة محدّدة في حياة انسان ، وهي غالبا ما تبدأ بتاريخ وتنتهي بتاريخ ، وقد تستمر اياما أو شهورا أو سنوات . غير أن بعض هذه الرحلات قد تنحرف عن الطريقة العفوية الى طريقة البحث العلمي ، الذي نلمس من ورائه الجهد ورشح الجبين . هكذا نرى رحلة محمد حسين هيكل : «في منزل الوحي» التي بلغت مئات الصفحات ، بينما لم يمكث صاحبها سوى بضعة أسابيع . ومن الواضح أن المؤلف قد أعدّ مواد كتابه قبل قدومه الى الحجاز بفترة طويلة وأمثال هذه الرحلات قد تشبع نهم القارىء المتطلع الى العلم والمعرفة ، ولكنها لا تشبع احساسه الفني ، اذ هي غالبا ما تفقد روح المفاجأة والعفوية ، وتتلاشى فيها الجوانب الانسانية للكاتب الى حد كبير.

وقليلة هي الرحلات التي يطلق فيها الكاتب نفسه على سجيتها دون تصنّع أو إعداد . ومن أبرز ما قرأت من هذا النوع رحلة الأديب ابراهيم عبد القادر المازني التي قام بها الى الحجاز سنة ١٩٣٠ م . ففي هذه الرحلة الكثير من شخصية المازني ، في عنفها ، وانطلاقها ، وسخريتها ، وتمردها . وهو لا يكاد يستقر على شيء ، ولا يكتب كما يكتب الصحفي أو المؤرخ ، بل يرسم بقلمه ويتفنن في صوره ، دون أن يتكلف ذلك ، بل هي فيه سليقة الشاعر وطبيعة الأديب . وكثيراً ما يعمد الى الأسلوب القصصي ، ويستخدم الحوار استخداما بارعا ، فاذا أنت أمام

لوحات فنية رائعة ، او امام شريط متحرك نابض بالحياة . وواضح ان المازني في رحلته هذه لم يقصد الى تقديم معلومات تاريخية أو آثارية أو اجتماعية ، كما فعل ابراهيم رفعت في «مرآة الحرمين» ، أو البتنوني في «الرحلة الحجازية» ، بل قصد الى امتاع القارىء وتسليته ، وهذا هو الهدف الذي يتوخاه القصصي أو الأديب بصورة عامة .

ويتبيّن مما قدمنا أن للرحلة وجوها مختلفة تجذب دارس الأدب أو الجغرافي أو المؤرخ أو الباحث الاجتماعي ، أو غير هؤلاء . وكلٌّ ينظر الى الرحلة من زاويته الخاصة . لهذا ، فقد حاولت عند جمعي لمادة البحث ، أن التقط من بين الركام المتداخل في الرحلة ما يهم دارس الأدب في المقام الأول . وكنت أطمع في العثور على شيء مما كتب الرحّالة عن أدبنا في العهود الثلاثة : التركي والهاشمي والسعودي . ولكن قلة ما عثرت عليه في هذا الموضوع جعلتني أنصرف الى ما كتبوه عن الحياة الثقافية بصورة عامة . على أن ما سجلوه من مظاهر الحياة الاجتماعية ، بشتى صورها وألوانها ، يستحق التنويه ، لأنه يعبّر عن التطور التاريخي الذي مرت به بلادنا خلال فترة تزيد على السبعين عاما .

الرحلات الحديثة : بواعثها وأنواعها

صلات العرب بالجزيرة العربية قديمة منذ فجر الإسلام . بل إنها لتمتد الى العصر الجاهلي حينما اندفعت أفواج من أبناء الجزيرة العربية لتعيش خارج حدود وطنها الأم — في الشام والعراق ، ولكن العرب بعد الفتح الإسلامي تغلغلوا في أعماق الأمصار البعيدة ، ولم يكتفوا بالعيش على حدود البادية . لقد حملوا الآن رسالة جديدة جعلتهم السادة بعد أن كانوا قانعين بالتبعية لفارس والروم .

أعطى الإسلام للجزيرة العربية أهمية خاصة ، جعلتها مطمح الأنظار في شتى العصور ، فهي مهد الإسلام من ناحية ، ومنبع اللغة التي نزل بها القرآن من جهة أخرى . وطبيعي أن يحتل الحجاز ، حيث الأماكن المقدسة ، المكانة الأولى في نفوس المسلمين ، وأن يكون الحج أهم باعث يدفعهم الى الرحلة . وعلى الرغم مما لقيته الجزيرة العربية من إهمال بعد انتقال مركز الخلافة عنها ، فقد ظلت للبقاع المقدسة مكانتها الدينية ، واحتلت مكة المكرمة مركزا ممتازا لا بصفتها الدينية فحسب بل لدورها الثقافي كذلك إذ كانت وما زالت «نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية . ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة بين تلك الاقطار ، وكانت صلة وصل بين علماء الأقطار الإسلامية ، في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها في مختلف العصور الماضية[١٧]

فالحج إذن هو العامل الرئيسي في توجه الكثير من قوافل الرحالة المسلمين الى الحجاز طوال القرون الغابرة : ابن جبير وابن بطوطة وابن المجاور والعياشي وغيرهم . وقد لاحظ الأستاذ

حمد الجاسر تفوق علماء المغرب العربي على علماء المشرق في هذا الميدان ، كما لاحظ عمق الصلات الثقافية التي تربط المغاربة والاندلسيين بالأراضي المقدسة . وهو يعدّد الكثير من العلماء المغاربة الذين رحلوا الى الحجاز لنشر العلم وتلقيه ، [١٨] كما يشير الى ما سجله الشيخ عبد الحي الكتاني من رحلات المغاربة فقد بلغت ستة واربعين كتابا ، ويقول ان هناك العشرات من هذه الرحلات لا تزال مخطوطة تحفل بها مكتبات المغرب العامة منها والخاصة .

وهذه الرحلات لا تزال مخطوطة تحفل بها مكتبات المغرب العامة منها والخاصة [١٩]

واذا كان الحج ، وربما كذلك الرغبة في طلب العلم ، قد ساعدا على الاحتفاظ بتاريخ المدينتين المقدستين طوال العهود الماضية ، فقد فقدت بقية انحاء الجزيرة العربية مغريات الرحلة فظلت مجهولة لا يلتفت اليها حتى عهد قريب . بل ان الطائف ، على صلاته التاريخية ببدء الدعوة وانتشار الإسلام ، وقربه من مكة المكرمة ، قد أهمل الكثير من تاريخه . ذلك لأن الرحالة الذين قدموا لغرض الحج والزيارة لم يكن يهمهم في الغالب سوى المدينتين المقدستين وما يمت اليهما من وصف الطريق وما إليه . فإن تحدثوا عما سوى ذلك فهم إنما يتحدثون في معظم الأحيان عن سماع لا عن خبرة ومعاينة [٢٠] . ويمكن القول انه كلما أوغلنا في داخل الجزيرة العربية ازداد جهلنا بتاريخها ، ومن ثم ضعفت الصلة بين تلك المناطق والعالم الخارجي .

ولقد ظل الحال على هذا المنوال حتى اوائل هذا القرن . وليس غرضنا هنا تتبع جميع الرحلات العربية الحديثة الى الجزيرة العربية بشكل عام ، بل أردنا ، كما حدّدنا في عنوان البحث ، الاقتصار على المناطق التي تضمها حاليا الدولة السعودية . وليس الهدف من التحديد سوى التسهيل على الباحث الالمام بجوانب الموضوع ، الذي سيتسع كثيرا لو فاضت أطرافه على جميع سواحل الجزيرة العربية . والمملكة بعد ذلك تضم معظم أجزاء الجزيرة العربية وأهم وأقدس بقاع فيها . وكثير من رحلات العرب المحدثين الى هذه البقاع ان هي الا استمرار لرحلات أسلافهم في العصور القديمة ، ومن ثم فهي ترضي الباحث المتطلع الى تحسس الصلات التاريخية العميقة وفحص الروابط المتأصّلة في النفس العربية والمقارنة بين القديم والحديث .

وغني عن القول ان المملكة العربية السعودية ، بحدودها الحالية ، لم تكن قد وجدت في مطلع هذا القرن ، وهو التاريخ الذي حددناه لبداية البحث . بل ان اسمها الرسمي لم يعلن الا في سنة ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م [٢١] ، حينما أراد الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله ، أن يعبّر عن تلك الوحدة السياسية التي صنعها بجهوده لأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية ولمّ بها الأطراف الضعيفة المتناثرة المتحاربة .

كانت تلك الأطراف إمارات صغيرة ، صنعتها السياسة ولم تصنعها الحدود الدينية أو اللغوية أو الطبيعية أو الاجتماعية ، وهي مستقلة اسما وخاضعة فعلا للقوى الأجنبية : الحجاز ونجد والاحساء والمنطقة الشمالية تحت سيطرة الأتراك ، وتهامة الادارسة متضامنة مع السياسة

البريطانية . وبعد الحرب العالمية الأولى ظلت بريطانيا تحرك الأحداث في الحجاز وتهامة ، وكان عبد العزيز في هذه الأثناء قد تمكن من استعادة الرياض وضم المنطقة الشرقية والشمالية والجنوبية الى سلطنته . ولم يكن توحيد هذه الامارات بالعمل السهل فقد استغرق جهدا مضنيا وكفاحا متواصلا امتد طوال الربع الأول من هذا القرن ، أو من تاريخ فتح الملك عبد العزيز للرياض سنة ١٣١٩ هـ/١٩٠٢ م ، حتى الاستيلاء على الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ/١٩٢٤ — ١٩٢٥ م . بل ان الجهاد في سبيل توطيد دعائم تلك الوحدة واستقرارها قد امتد الى ما بعد ذلك ، أي الى حين اعلان الاسم الجديد : «المملكة العربية السعودية » في ٢١ جمادي الأولى عام ١٣٥١ هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢ م[٢٢] . فالرحلات التي اتجهت الى احدى هذه الامارات قبل توحيدها ، لم تكن بطبيعة الحال معبرة عنها أو مصورة لواقعها السياسي والاجتماعي والثقافي بعد انضمامها الى الوحدة . فالحجاز ، على سبيل المثال ، في رحلة البتنوني سنة ١٩٠٩ م في عهد الأتراك ، يختلف عنه في رحلة هيكل سنة ١٩٣٦ م في أوائل العهد السعودي . ولا نقصد اختلافا في الطبيعة أو التاريخ أو الآثار ، أو تغيرا مفاجئا في معايش الناس وأخلاقهم وعاداتهم ، ولكننا نقصد اختلافا في طبيعة الحكم الجديد الذي أدخل كثيرا من الاصلاحات الجوهرية على البلاد مما جعلها تستقبل عهدا جديدا لم تعرفه من قبل . ومن أهم هذه الاصلاحات ، كما سنرى فيما بعد ، تحقيق الأمن والنهوض بالتعليم . لقد شغل البتنوني بمشكلة الأمن ، كما شغل الكثيرون غيره من رحالة العصور الغابرة . ولكن هذه القضية لم تعد تشغل هيكل بعد أن تحقق الأمن وزالت المخاوف في العهد السعودي الجديد . وهذا يدل على ضرورة التمييز بين العهود السياسية المتباينة عند دراستنا للرحلات العربية الى المملكة . على ألاّ يجنح هذا التحديد السياسي الى التكلف أو التعسف ، إذ لا بد من التمييز بين ما يقبل التغيير فجأة كقضية الأمن وبين ما يحتاج في تغييره أو تطويره الى عامل الزمن ، كأمور التربية والتعليم والقضايا الاجتماعية الأخرى .

ورحلات العرب في هذا القرن الى الحجاز قد صورت ثلاثة عهود سياسية مختلفة : العهد التركي الذي انتهى بالثورة العربية سنة ١٩١٦ ؛ والعهد الهاشمي من سنة ١٩١٦ الى تاريخ استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز سنة ١٩٢٤ م ؛ والعهد السعودي الذي يبتدىء في الحجاز منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر . أما العهد الأول فقد مثلته في هذا البحث رحلتان : [٢٣] رحلة ابراهيم رفعت باشا المسماة : «مرآة الحرمين — أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية» ؛ وهي رحلات أربع قام بها الكاتب في مواسم الحج في الأعوام : ١٩٠١ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٨[٢٤] . أما الرحلة الثانية فهي رحلة محمد لبيب البتنوني التي قام بها الى الحجاز مرافقا للخديو عباس حلمي في أواخر عام ١٩٠٩ م ، في حجة سنة ١٣٢٧ هـ . وكانت رحلات ابراهيم رفعت في أواخر إمارة الشريف عون الرفيق ثم إمارة الشريف علي باشا ؛ بينما صادفت رحلة البتنوني بداية امارة الشريف حسين باشا ابن علي سنة ١٣٢٧ هـ .

أما العهد الهاشمي فقد مثلته ثلاث رحلات : رحلة الامام محمد رشيد رضا التي قام بها

الى الحجاز في اوائل ثورة الحسين على الأتراك سنة ١٩١٦ [٢٥] ؛ ورحلة خير الدين الزركلي : «ما رأيت وما سمعت» سنة ١٩٢٠ م ؛ ورحلة أمين الريحاني : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» سنة ١٩٢٢ . والرحلتان الأخيرتان وقعتا ، كما نرى في أواخر العهد الهاشمي وقبيل استيلاء السعوديين على الحجاز بسنوات قليلة . ورحلة الريحاني لم تقتصر على الحجاز بل شملت معظم انحاء الجزيرة العربية : نجد وعسير واليمن ولحج والنواحي التسع المحمية والبحرين ، وكذلك العراق .

وفي أثناء العهد السعودي الحالي كثرت الرحلات وتنوعت ، ويكفي أن نذكر منها في هذا المقام : رحلة ابراهيم عبد القادر المازني : «رحلة الى الحجاز» ، سنة ١٩٣٠ م ؛ ورحلة الأمير شكيب ارسلان : «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف» ، حوالي سنة ١٩٣٠ م ؛ ورحلة محمد حسين هيكل : «في منزل الوحي » ، سنة ١٩٣٦ ؛ ورحلات عبد الوهاب عزام التي قام بها الى الحجاز وبعض مناطق المملكة الأخرى في أوقات متفرقة ابتداء من سنة ١٩٣٧ م ؛ ورحلة أحمد حسين : «مشاهداتي في جزيرة العرب» ، سنة ١٩٤٨ م ؛ ورحلة الدكتورة بنت الشاطىء : «أرض المعجزات — ورحلة الدكتور محمد بديع شريف : «في مهبط الوحي » ، سنة ١٩٦٣ م [٢٦] . ومما تجدر الاشارة اليه ، ان معظم هذه الرحلات التي ذكرنا في العهود السياسية الثلاثة ، قد توجهت الى الحجاز ، والى المدينتين المقدستين بشكل خاص . فهي من هذه الناحية انما تكمل تلك السلسلة الطويلة من رحلات «الحج والزيارة» التي عرفها الأسلاف من المسلمين . وقل من تجاوز منهم حدود الحجاز الى المناطق المجاورة الأخرى ، أو من جمع بين أداء الفريضة الدينية وأداء الواجب العلمي في الكشف عن الحقيقة أو استكشاف المجهول . ولم يقدم على هذه المغامرة سوى رجل واحد ، لظروفه الخاصة ، هو تلميذ الرحالة الغربيين في هذا الجانب — أمين الريحاني .

أما الذين قاموا بزيارة بعض المناطق في نجد أو الأحساء أثناء العهد السعودي ، مثل أحمد حسين وبنت الشاطىء ، فقد فعلوا ذلك لأغراض صحفية أو سياحية ، فجاءت كتاباتهم مطابقة لأغراضهم .

والحقيقة أن إحجام الرحّالة العرب عن اقتحام مجاهل الجزيرة العربية قبل العهد السعودي ، يمكن رده الى عدة أسباب أهمها اضطراب الأمن من ناحية وانعدام الحافز من ناحية أخرى . ولم تكن حالة الأمن في الحجاز ، في العهدين التركي والهاشمي ، بأفضل منها في المناطق الأخرى ، ولكن توفر الحافز — وهو هنا الحافز الديني — يجعل للمغامرة معنى سامياً ترخص في سبيله الأموال والأرواح . أما ما عدا المدينتين المقدستين فلم يكن هناك من الأسباب ما يدفع الرحالة العربي الى الضرب في الفيافي وتحمل المشاق والتعرض للأخطار . وذلك عكس ما نراه عند الرحالة الغربيين الذين جابوا انحاء الجزيرة العربية منذ القرن السادس عشر ، وتحملوا في سبيل أهدافهم — علمية أو سياسية استعمارية — الكثير من الأذى ، بل وتجرع بعضهم غصص الموت — لقد توفر لديهم الحافز الى خوض المغامرة [٢٧] .

ولم يستأثر الحجاز بالمركز الديني فحسب ، بل كان قطب الرحى في السياسة العربية منذ اوائل هذا القرن ، ولاسيما بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى واعلان الثورة على الأتراك سنة ١٩١٦ . وقد كان يجسد في أذهان الكثيرين من مفكري العرب خارج الجزيرة العربية الفكرتين : الدينية والعربية معا . فمحاولات الاستقلال عن الدولة العثمانية في اواخر القرن الماضي كانت مقترنة احيانا بالدعوة الى التقارب من الجزيرة العربية : مهد العروبة وموطن الإسلام . كما أن الحديث عن الخلافة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد قد وجه الأنظار الى الجزيرة العربية ، والى إمكانية تأسيس خلافة عربية تعيد للإسلام مجده وتحفظ للعرب حقوقهم . ولا شك ان عبد الرحمن الكواكبي ، في كتابه «أم القرى» ، كان متأثرا بهذه الفكرة ، فهو يدعو الى جعل مكة المكرمة مركزا لجمعية «أم القرى» التي تضم ممثلين من جميع انحاء العالم الإسلامي . ويرى الكواكبي أيضا أن الجزيرة العربية هي أصلح البلدان الإسلامية لأن تكون مركزا للسياسة الدينية (٢٨) ، وأن أهلها أكثر الناس ملاءمة للمحافظة على الدين الإسلامي (٢٩) .

وعندما شبت الثورة العربية سنة ١٩١٦ ، ازدادت آمال العرب ، وظنوا ان حلمهم الطويل في الاستقلال والوحدة قد تحقق ، وازداد تبعا لذلك تعلقهم بالجزيرة العربية والحجاز بصورة خاصة . وقد عبر شعراؤهم وكتابهم عن ذلك بعشرات القصائد والمقالات (٣٠) . أما أمين الريحاني فقد فضل أن يشد الرحال من أمريكا الى الجزيرة العربية ، بعد أن كان يتابع أخبار العرب ويكتب عنهم وعن تحركاتهم من بعيد :

«رافقت العرب في خروجهم على الترك أثناء الحرب ، رافقتهم في المجلات الانكليزية والجرائد العربية ، فكنت أقوم في ما أكتب ببعض الواجب الذي يفرضه الحب والاعجاب . وتوفقت في تلك الايام الى زيارة الأندلس ، فوقفت في الحمراء في الغرفة التي كتب فيها واشنطن ارفين كتابه النفيس ، فسمعت أصواتا تناديني باسم القومية ومن أجل الوطن ، وتدعوني الى مهبط الوحي والنبوة» (٣١) .

لقد تحققت أمنية الريحاني بزيارة الجزيرة العربية ولقاء حكامها والكتابة عنها وعنهم . كان يهدف ، كما يقول ، الى خدمة القضية العربية عن طريق تعريف حكام الجزيرة بعضهم ببعض ، وايجاد نوع من الوفاق بينهم (٣٢) . ولكن الوفاق لم يتم . ورجع الريحاني بخفى حنين .

كان الملك عبد العزيز آل سعود في هذه الأثناء يعمل ويخطط بصمت وحكمة . كان يجاهد — بعيدا عن الصخب والأضواء — في سبيل التوحيد وتحقيق تلك الوحدة ، عزيزة المنال ، والتي عجزت الآمال والوعود والمفاوضات عن تحقيقها . لقد استطاع عبد العزيز بما حققه من انتصارات حربية وسياسية واصلاحية أن يوجه أنظار العرب مرة أخرى الى الجزيرة العربية ، بعد أن كادت تنصرف ساخطة عنها إثر فشل الحسين وتقسيم البلدان العربية بين الحلفاء . يقول محمد حسين هيكل إنه لما استقر حكم عبد العزيز في الحجاز «بدأ الحديث عن

هذا الفاتح النجدي لبلاد العرب يتردد في صحف الغرب والشرق . وقد لقيت إذ ذاك غير واحد من الصحفيين المشهود لهم بالاتزان وبدقة الحكم على الأشياء والأشخاص ، فما كان أشد عجبي حين سمعت من أحدهم «فون فيزل» الألماني المعروف ، مبالغته في الثناء على ابن السعود الى حد نعته إياه بأنه بسمرك الشرق . هذا وكان فون فيزل قد لقي ابن السعود وتحدث اليه وعرف مرامي سياسته(٣٣) .

لقد أسهم الحكم السعودي ، إذن ، بما وطده من دعائم الأمن وما أدخله من تطوير وسائل الحياة الحديثة ، في اجتذاب العديد من الكتاب والمفكرين والصحفيين الى زيارة البلاد السعودية والكتابة عنها . وقد كان كرم الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، مضرب المثل ، وكانت الدولة تنفق بسخاء على ضيوفها حتى قبل اكتشاف البترول ، وحين كانت مواردها ضئيلة محدودة . ومن ناحية أخرى ، فقد كانت تدرك ، ما للاعلام من أهمية قصوى في كشف الحقائق ، ودحض ما يروجه أعداؤها من أباطيل ، ولاسيما بعد فتح الحجاز مباشرة وتوتر العلاقات بينها وبين بعض الدول العربية المجاورة . ومن هنا فقد قدم الى المملكة من العلماء والأدباء والصحفيين خلال هذه الفترة القصيرة من تاريخها ، ما لم تعهد له البلاد مثيلا في عهودها الغابرة .

يتضح من استعراضنا السابق إنه بالإمكان تقسيم الرحلات العربية الحديثة إما حسب العهود التاريخية التي وقعت فيها ، وإما حسب مضامينها والأهداف التي كتبت من أجلها . بل ان الباحث لا يعدم مناهج أخرى ، كأن ينظر مثلا ، في قالب الرحلة أو أسلوبها أو تعبيرها عن شخصية كاتبها ، أو تحري الخطأ والصواب في جانبها التاريخي أو غير ذلك . ونحن مع تسليمنا بأهمية هذه التقسيمات والمناهج الا اننا نفضل الأخذ بالتقسيم الموضوعي مع مراعاة الجوانب الأخرى بقدر الامكان ، مدركين مبلغ الصعوبة التي يواجهها الباحث اذا ما حاصرته الحدود والتقسيمات الضيقة . فاذا ما أخذنا هذا في الاعتبار أمكننا أن نميز في نصوص الرحلات العربية الحديثة الى البلاد السعودية بين مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى : رحلات الحج والزيارة
المجموعة الثانية : الرحلات السياسية .
المجموعة الثالثة : الرحلات الصحفية .

وسنتناول كل مجموعة من هذه المجموعات بكلمة نبين فيها أهدافها وظروفها التاريخية وخصائصها العامة .

أولا : رحلات الحج والزيارة :

ذكرنا أن الباعث الديني باعث قديم منذ فرض الله الحج على المسلمين وجعل الرحلة في سبيله ركنا من أركان الإسلام : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) . كما أشرنا الى أن رحلات العرب المحدثين الى الديار المقدسة ليست الا

استمرارا للرحلات التي كان يقوم بها أسلافهم . وقد عبرت هذه الرحلات عن أهدافها في اسمائها ، اذ كثيرا ما نرى الكتّاب يستوحونها من البقاع المقدسة : «مرآة الحرمين» ، «الرحلة الحجازية» ، «في منزل الوحي» الخ ... وكثيرا ما تشرح المقدمة الظروف التي أحاطت بالرحلة والأغراض الدينية التي من أجلها قام المؤلف بتدوين رحلته أو وضع كتابه . يقول ابراهيم رفعت : «كنت ولوعا بالحج مشغوفا بأداء هذا الفرض ، متضرعا الى الله أن يوفقني لرؤية بيته الحرام وما اكتنفه من المناسك ، فمنّ الله عليّ بالاجابة بعد الاهابة وبارك في دعوتي كما بارك لابراهيم في دعوته الطيبة التي أحيت أمة الى يوم القيامة وعمرت قطرها الجدب ونشرت فيه المدنية الصادقة والشرعة القائمة ، فعينت في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندانه) فرأيت أن نعمة الله علي لا يفي بشكرها الا تدوين رحلتي من أول خطوة فيها الى آخر خطوة ، واخراجها للناس لينتفعوا بها ويستضيئوا بنورها اذا حجوا الى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة ، فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت الا قيدتها ...» (٣٤) . ولقد وفق الله المؤلف الى الحج ثلاث مرات أخرى بعد حجته الأولى ، كان فيها أميرا للحج المصري . وكتب مبينا الأسباب التي جعلته يتكبد النفقات الطائلة في سبيل اخراج هذه الرحلات الأربع ونشرها : «ولقد كان من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات وتكلف النفقات الباهظة في سبيلها أنها أبين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان يصف مهد النبوة ومبعث التشريع وانها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شرفت به حتى كأنك ترى رأي العين» (٣٥) .

أما البتنوني فقد كان مرافقا للخديو عباس الثاني أثناء ادائه فريضة الحج . وكان «مندوبا خصوصيا في خدمة ركابه العالي مدة سفره الى الأقطار الحجازية» . وبعد عودته أمره الخديو أن يضع شيئا «عن هذه الرحلة المباركة» (٣٦) . ويقول البتنوني : «..... ولما كانت هذه البلاد غير معروفة لـلآن كما يجب لذوي البصيرة والعرفان ... رأيت أن أضيف الى الرحلة الخديوية كلمة عن المشاعر الدينية المقدسة» (٣٧) . ويقول أيضا :

«.... واني قياما بهذا الواجب الأقدس لم أقتصر على الكلام في النقط الدينية ، بل تناول بحثي ما يهم القارىء من المسائل العمرانية والاجتماعية والجغرافية والتاريخية مما لم يسبقني اليه أحد من الذين كتبوا عن هذه الديار» (٣٨) .

ويتضح من مقدمتي رفعت والبتنوني انهما كانا ينظران الى كتابة الرحلة من الزاوية الدينية فهي بمثابة التعبير عن الشكر لله عز وجل على تحقيق أمنيتهما في الحج والزيارة ، وتوخي المثوبة على عمل الخير وتبصير المسلم بأموره الدينية . لهذا فانه على الرغم مما كتب عن مكة والمدينة منذ فجر الاسلام حتى العصر الحاضر ، فلا يزالان ينظران الى هذه البقاع على أنها «مجاهل» لا بد من اعادة اكتشافها ، ولا بد من تضمين الرحلة قدرا كبيرا من المناسك والشعائر المتعلقة بالحج والزيارة . وقد أدى ذلك ، بطبيعة الحال ، الى تضخم الرحلة وتحولها الى ما يشبه كتب السير والمراجع الفقهية والتاريخية . ويكفي ان نلقى نظرة خاطفة على كتاب البتنوني لنتبين هذا الاتجاه في كتابة الرحلات . فقد بدأه بتمهيد استغرق اربعا وخمسين صفحة تحدث فيه عن

الأمة العربية — العماليق وعاد والمعينيين وطسم وجديس وثمود وسبأ وحمير وملوك العدنانية قبل الاسلام . ثم تحدث عن الأمويين والعباسيين والتتار والفرس الخ . وأتى بنبذه جغرافية عن الجزيرة العربية وأقسامها وتاريخها الحديث . ولم يكتف بما أورده في تمهيده ، بل انه كثيراً ما يقطع تسلسل الحوادث في رحلته ويرجع الى مصادره التاريخية مستطردا ، كما يورد بعض المناسك والأدعية أو يفرد لها فصولا مستقلة (٣٩) .

والى جانب الباعث الديني في رحلتي رفعت والبتنوني ، فهناك الباعث الدنيوي الذي لا ينبغي أن نغفله . فلا ننسى ان كلا المؤلفين إنما قدما الى الحجاز بصفتهما الوظيفية — كان رفعت رئيس حرس للمحمل المصري ثم أميرا للحج ، وكان البتنوني منتدبا لمرافقة الخديو مدة اقامته بالحجاز . ومن الطبيعي أن يحرص كل منهما على تنفيذ ما أسند اليه من مهام ، وان يولي الجانب الوظيفي كل عناية واهتمام . وتشبه وظيفة البتنوني وظيفة الصحفي المرافق لرئيس الدولة والمكلف بتغطية اخبار سيده وتنقلاته . وقد كتبت الرحلة — كما رأينا — بناء على تكليف رسمي من الخديو نفسه (٤٠) . أما ابراهيم رفعت فقد كان مكلفا ، بحكم منصبه ، بكتابة التقارير المطولة عن رحلته ورفعها الى جهة الاختصاص في الحكومة المصرية .

ولا شك أن الجانب الرسمي في رحلتي البتنوني ورفعت قد أثر تأثيرا كبيراً لا على آرائها ومواقفها من حياة الناس في الحجاز فحسب — وهو ما ستتحدث عنه فيما بعد — بل على قالب الرحلة نفسها من حيث الشكل . فكثيرا ما تطغى النزعة التقريرية على اسلوب الكاتب ، بل وكثيرا ما نواجه بالتقارير الرسمية المطولة مندسّة بين الفقرات والفصول . وقد يكون لهذه التقارير أهمية خاصة بالنسبة للمؤرخ والباحث ، ولكنها ليست كذلك للقارىء العادي ، أو لعلها مبعث املال وسخط لمن ينشد اللذة الفنية أو لمن يبحث عن العناصر الجمالية في الرحلة (٤١) .

وقد تطورت رحلة الحج والزيارة على يدي محمد حسين هيكل تطوراً ملحوظاً ، فهي لم تعد تعنى بتكديس المعلومات أو النقل من المصادر القديمة والحديثة كيفما اتفق ، بل أصبحت تختار منها ما يناسب المقام ، وما يعبر عن الموقف الشخصي للمؤلف نفسه . والحقيقة أن هيكل يختلف كل الاختلاف عن رفعت والبتنوني في نزعته الفكرية التأمليه واتجاهه الأدبي وافادته من الأساليب الغربية في المنهج والصياغة . ولم يكن دافع هيكل لزيارة الأماكن المقدسة اداء مناسك الحج والزيارة فقط ، بل كان معنيا بالكشف عن «حقيقة هذه البلاد واختيار القدر اياها للوحي والرسالة على نحو يقنع تفكير هذا العصر ، وكان ماكتبه العلماء الأجانب بعيدا عن تناول الظاهرة الروحية التي تغير لها وجه التاريخ منذ أربعة عشر قرنا ، والتي ستظل عاملا خالد الأثر في حياة العالم ما كان للقوة الروحية في توجه العالم أثر وسلطان» (٤٢) . فزيارة المؤلف ، اذن ، كانت من أجل غرض معين ، وهو غرض علمي ، يعد استكمالا لمباحثه في السيرة النبوية عندما كان يعد كتابه فيها عن «حياة محمد» (٤٣) . لقد أراد هيكل أن يسلك سبيل العلماء التجريبيين الذين لا يطمئنون إلا الى ما يكتشفونه بأنفسهم ويخبرونه بحواسهم . فالقراءة لا تغني عن التجربة والمعاينة : «... شعرت آخر الأمر بأنني سأظل ينقصني جوهر ما أبحث

عنه اذا أنا لم أذهب الى بلاد النبي العربي بنفسي ، ولم أقف حيث وقف في أدق ما مر به أثناء حياته ... »[٤٤] .

كان هيكل دقيقا في رسم خطة البحث لرحلته وتحديد ما يريده منها ، فجاءت هذه الرحلة ، على ضخامتها ، واضحة المعالم ، مترابطة الأجزاء الى حد كبير . وآثار النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متفرقة في مناطق متعددة من الحجاز ، استطاع المؤلف أن يتتبع معظمها وان يربط بعضها ببعض برباط دقيق من الصنعة الفنية . وسبيله الى هذا الربط بين الحقائق التاريخية طريقة التأمل الذاتي واستحضار صور الماضي حيث نتمثلها أمامنا شريطا يتحرك نشاهده بأعيننا وننفعل بأحداثه ومواقفه ونشارك فيه بعواطفنا وأفكارنا .

ثانيا : الرحلات السياسية :

لا تكاد تخلو رحلة من جانب سياسي ، ولكن الرحلة العربية الوحيدة التي يغلب عليها الطابع السياسي من أولها الى آخرها هي رحلة أمين الريحاني الشهيرة : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» ؛ وقد طوف فيها بلدانا عربية كثيرة في الجزيرة العربية ، بادئا بالحجاز في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٢٢ م ، الموافق للثامن من رجب سنة ١٣٤٠ هـ . والمؤلف لا يخفي هدفه من وراء هذه السياحة اذ يؤكد في مقدمته انه إنما قام بوضع كتابه من أجل خدمة القضية العربية ولكي يعرّف الحكام العرب بعضهم بعضا ، فليس «في ملوك العرب اليوم ملك ساح في البلاد العربية كلها ، وليس فيهم من يستطيع أن يقول : إنني أعرف بلاد العرب وحكامها وسكانها وقبائلها وأحوالها الاقتصادية والزراعية وشؤونها السياسية الداخلية والخارجية مما لدى من تقارير العارفين وأخبار المنزهين عن الأغراض السياسية والتحزّبات المذهبية ... »[٤٥] . ويأسف الريحاني لهذا الجهل المطبق بأحوال الجزيرة العربية ، وأن تكون وزارة المستعمرات بالحكومة البريطانية هي الجهة الوحيدة العليمة والمتخصصة في هذا الميدان ؛ فهي تصدر نشرة بعنوان : ، تستقى معلوماتها من تقارير وكلائها السياسيين وما يكتبه الرحالة من العلماء الغربيين ، وتقوم بتصحيح هذه النشرة واعادة طبعها كل بضع سنوات . ومع ذلك ، فان هذه النشرة لا تخلو من الأخطاء ، وتوزيعها مقصور على الدوائر الرسمية[٤٦] .

والريحاني لا ينكر هذه المهمة السياسية التي ندب نفسه أو انتدب للقيام بها . فبالاضافة الى العنوان الرئيسي لرحلته : «ملوك العرب» ، فهو يذكر صراحة أن كتابه يحوي جانباً سياسياً : «وليس في الكتاب ، أدبا كان أو سياسة ، وصفا أو نقدا إلا الحقيقة غير المجردة ... »[٤٧] . وهو يقول بعد زيارته لكل من الحجاز واليمن وعسير : «هاهنا تنتهي مهمتي السياسية في اليمن وعسير . رغبت في خدمة الامام [يحيى] بتقريب قضيته من فهم الانكليز ومصلحتهم ، وبتقريب الانكليز من عقلية الامام ، وبتمهيد السبيل الى الصلح بينه وبين

الادريسي . فاقترحت أن يعقد مؤتمر يتبادل هو وخصومه فيه الآراء ويتعارفون ويتفقون . فأبى حضرته لأسباب أدركها ولا سبيل الى تداركها . ان الامام طامع بالاستيلاء على اليمن كله ، وهو طامع كذلك ، على ما أظن ، باللقب الذي لا يعترف به للملك حسين . ورغبت في خدمة الملك حسين بعقد معاهدتين تربطان الحجاز واليمن وعسير في البداءة ولو بخيط من حرير ، لاعتقادي أن جلالته يمثل فكرة عربية قومية شريفة . فلم يوقع واحدة منهما ولا أظنه استحسنهما لأسباب أدركها ولا سبيل الى تداركها . ولم يعترف الامام يحيى ولا السيد الادريسي بأن جلالة الملك حسين هو ملك العرب . ولكنهما مدا اليه يد الولاء والموازرة فرفضها . من هو حجر العثرة اذن في سبيل النهضة العربية ؟ »[٤٨] .

وعلى الرغم مما يؤكده الريحاني في مقدمته من أنه قد قام بهذه المهمة الشاقة في التوفيق بين ملوك العرب متطوعا وخدمة للقضية العربية ، إلا أن الشكوك قد قامت حوله وحول مهمته ، وقد صورها المؤلف نفسه رواية عن الملك عبد العزيز عند أول مقابلة له معه : « ... قالوا لنا انك امريكي جئت تنشر الدين المسيحي في البلاد العربية ، وقالوا انك تمثل بعض الشركات وجئت تبغي الامتيازات . وقالوا انك قادم من الحجاز وانك شريفي تسعى لتحقيق دعوة الشريف . وقالوا غير ذلك . فقلنا اذا كان في الرجل ما يضر فنحن نعرف كيف نتقيه ، واذا كان فيه ما ينفع فنعرف أيضا كيف ننتفع . ونحن أعلم يا حضرة الأستاذ بمهمتك ، بارك الله فيك »[٤٩] . وفي مقابلة أخرى يذكر الريحاني ان الملك عبد العزيز أطلعه على خطاب من الملك حسين وانه طلب رأيه فيه — يقول على لسان الملك عبد العزيز : « ما رأيك يا حضرة الأستاذ ؟ لا تقل لي ان لادخل لك بالسياسة وان سياحتك في بلادنا سياحة علمية فقط . « حنًا » نفهم . ومر يده على لحيته ، وهو يبسم بسمته الخلابة ... »[٥٠] .

والحقيقة أن في مغامرة الريحاني ما يدعو الى الشك والتأمل ، فلقد قدم المؤلف الى الجزيرة العربية في فترة حرجة من تاريخها الحديث ، وبعد أن خيم اليأس على النفوس ، بعد فشل الحسين واخلال بريطانيا بوعودها ، واقتسامها — مع شريكتها فرنسا — ما تبقى من تركة الرجل المريض . فهل قام الريحاني بما قام به بايعاز من بريطانيا التي كانت ترغب في ايجاد حل للأوضاع القائمة في الجزيرة العربية آنذاك ؟ قد يدعم هذا الرأي عدة أمور ، أولها أن هذا المسلك لم يكن غريبا على السياسة البريطانية ، وقد فعلت مثله في تمهيدها للثورة العربية حين أرسلت « صنائعها » — كما يقول خير الدين الزركلي — الى أمراء الجزيرة العربية يفاوضون هذا ويذاكرون ذاك[٥] . والأمر الثاني أنه من غير المعقول أن يقوم الريحاني بمحادثاته السياسية مع الزعماء العرب بصفته الشخصية ، إذ أنها محادثات تتجاوز المألوف في الزيارات العادية والمقابلات الصحفية الاستطلاعية الى حد اقتراح العهود وابرام الاتفاقيات بين الامارات العربية ؛ وسرعان ما توطدت علاقات الصداقة بينه وبين وكيل بريطانيا السياسي في الحديدة[٥٢] ، وكان يرافقه في رحلته لمقابلة الادريسي في جيزان .

ومن ناحية أخرى ، فقد يقال دفاعا عن الريحاني إنه لم يكن الوحيد الذي جذبته الأحداث السياسية في الجزيرة العربية آنذاك ، فقد سبقه الكثيرون من الاخوة العرب الذين

أسهموا في الثورة العربية ، وكانوا شركاء في التخطيط لها وفي اشعالها . ومن اولئك مسلمون ومسيحيون على حد سواء ، قدموا الى الحجاز فرارا من مظالم الاتحاديين ؛ رأوا في الحسين «المنقذ الأكبر» فعاونوه في ميدان السياسة وفي ميدان الحرب . وكان منهم الوزراء والسفراء والقواد والمستشارون والصحفيون والاداريون الخ . ونذكر على سبيل المثال : يوسف ياسين وخير الدين الزركلي وفؤاد الخطيب ومحب الدين الخطيب ونوري السعيد وكامل القصاب وسليم سركيس وقسطنطين يني الخ . فلم يكن الريحاني ، اذن ، بدعا بين هؤلاء ، غير أنه قد وسع دائرة اتصالاته فشملت كافة الزعامات العربية ، وذلك تبعا لتغير الأحوال السياسية أثناء الفترة التاريخية التي قدم فيها . فبالاضافة الى تنصيب فيصل بن الحسين ملكا على العراق ، وانشاء امارة شرق الاردن لأخيه عبدالله ، فان نجم الحسين في الحجاز قد أخذ في الأفول ، وانفضّ عنه كثير من السياسيين العرب الذين كانوا ملتفين حوله إبان الثورة (٥٣) .

وقد يقال أيضا ان الريحاني لم يأت في كتابه بما يخالف ما أعلنه من أهداف ومبادىء . فهو عربي المنزع ، يهيم في العروبة جنسا ولغة وتاريخا ، ويكاد يبلغ به هذا الحب حد التعصب . نرى ذلك كله متمثلا فيما نقله المؤلف في رحلته من أحداث وصور وأفكار ، اذ تكاد العروبة تتحول على يديه معيارا يحتكم اليه في الفصل بين الحسن والسيء أو الفضيلة والرزيلة (٥٤) . ولم يكن حبا طارئا ، بل نتيجة تأمل وتفكير طويلين — شعور بالضياع سنوات طويلة في المهجر الأمريكي ؛ وقراءات واسعة في كتب الرحالة الغربيين الذين ساحوا في ارجاء الجزيرة العربية من أمثال بركهارت وبرتن وداوتي ، وفي كتب المؤرخين الغربيين الذين كتبوا عن الأمجاد الاسلامية من أمثال كرليل وواشنطن ارفنج ؛ واعجاب لاحد له بالتراث العربي القديم ولا سيما آثار أبي العلاء المعرى : «ورحت أفاخر بأني من الأمة التي نبغ فيها هذا الشاعر الحر الجسور الحكيم» (٥٥) .

ومهما يكن من أمر ، فان الريحاني قد استطاع ، رغم العقبات والمشاق ، أن يخترق الحدود لأول مرة بين تلك الامارات العربية الصغيرة المتنافسة ، وأن يحمل فكرته الى الأمراء والملوك العرب . وهو وإن فشل في مساعيه السياسية ، فقد حقق نجاحاً كبيراً في كتابة الرحلة ، وتسجيل تلك الحقبة الهامة في تاريخ الجزيرة العربية المعاصر .

والرحلة السياسية ، كما كتبها الريحاني ، نمط فريد ؛ إذ مزج فيها بين الماضي والحاضر ، بين التاريخ والسياسة ، وطبعها بطابعه الشخصي وفلسفته وأفكاره ، ولونها بخياله الشعري وأسلوبه الأدبي المتأنق المتدفق . ولعل أهم جانب فيها رسمه الذكي للشخصيات السياسية ، ومحاولة استبطان نوازعها وأفكارها . وهو يكتب عن الشخصية في مناسبات عدة ، ويحرص على نقل الموقف كما هو ، فلا ينسى ظروف المقابلة وسمات الشخصية ، من ناحية الشكل والهيئة والسلوك ، مسجلا النظرة والحركة والاشارة . ويستخدم العبارات القصيرة الرشيقة الموحية . وفي كثير من الأحيان يحاول تقريب الحوار من الواقع باستخدام كلمات الشخصية أو «اللازمة» التي ترددها . وهو بارع في التصوير الدرامي ، ولكنه واقعي ، وقد يكتب عن انطباعاته بطريقة صريحة مباشرة .

ان كتاب «ملوك العرب» عمل ابداعي في بنائه وأسلوبه وتأثيره ، وقد استحوذ على اعجاب الكثير من النقاد والباحثين . يقول عنه جورج غريب : «أقل ما نصاب به أمام هذا الكتاب : الذهول . فالريحاني فيه أول فاتح في عهد انغلاق المشارق على نفسها ، وأول مشرع للأبواب في وجه الزمن . وهو بين انتقاله من مليك الى مليك تقوم الدنيا وتقعد على جنباته ، لكثرة ما يؤرخ ويصف ويحلل متجاوزا حدود التاريخ والوصف والتحليل الى مناحي الفلسفة والفن والأدب والاجتماع ، فالسرد على ريشته محلول اللجام والفكر مرخى الأعنة ، يلف انتاجه بعلم صحيح وآراء مقرونة بالبراهين ، ومشاهدات مشفوعة بالتفحص لخفايا الأمور ، وأدب يعلو بالنسق القصصي الى أوج التعبير»(٥٦) .

ذكرنا أن الطابع السياسي يغلب على رحلة الريحاني ، أما رحلة خير الدين الزركلي : «ما رأيت وما سمعت» فيغلب عليها الطابع العلمي ، ولو أن قدوم كاتبها الى الحجاز كان أشبه باللجوء السياسي . يقول الزركلي إنه فرّ من دمشق عقب هزيمة السوريين في موقعة ميسلون سنة ١٩٢٠ م ، وتوجه الى مصر عن طريق فلسطين ، وقد حكم عليه المحتلون الفرنسيون غيابياً بالاعدام مع مجموعة أخرى من الأحرار السوريين ، منهم كامل القصاب وشكرى القوتلي وتوفيق اليازجي . وبعد أن أقام في القاهرة نيفا وشهرين توجه الى الحجاز بناء على دعوة من الشريف الحسين ، وكان الزركلي قد كتب اليه خطابا من مصر يعلمه بأحواله ويستفسر عما ينوي الشريف عمله لمقاومة الفرنسيين . ويقول الزركلي إنه سافر الى الحجاز بجواز سفر حجازي يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ م الموافق ٦ محرم سنة ١٣٣٩ هـ(٥٧) ، وقضى في ضيافة الحسين أكثر من ثلاثة أشهر(٥٨) ، رجع بعدها الى مصر في يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٢١ م ، الموافق ١٣ جمادي الأولى سنة ١٣٣٩ هـ(٥٩) .

ورغم أن الزركلي إنما قدم الى الحجاز ، كما يبدو من خطابه ، مستنجدا بالشريف لنصرة سوريا والوقوف بجانبها في محنتها ، الا أننا لا نراه يذكر شيئا عما دار بينه وبين الحسين في هذا الموضوع ، اللهم الا ما جاء في قصيدة ألقاها أمامه في احدى المناسبات ، يذكر فيها ما تكابده سوريا من ويلات الاحتلال الفرنسي ، ويستحثه على النهوض لنجدتها ، يقول فيها :

يـا ابن بنت النبـي أرهقنـا العسف ، فجرد لـــــه الحسام الرقيقـــــا
بـــالـــذي شاد «كبكبــا» و «ثبيرا» وأحـــاط الهداة «بيتـــا» عتيقـــا
بالصفا ، بالحجون ، بالركن ، بالكعبة ، لب الصريـخ واقض الحقـوقـــــا
إن في الشام أمـــة لا تطيق الضيم ، تــــأبـى لها العلى أن تطيقـــا
أوسعوهـــا تعلـــة ووعـــودا وسقوهـــا من الخـــداع رحيقـــا
أنـذرونـا بـالموت ، مـا أعذب الموت اذا كـــان للحيـــاة طريقـــا(٦٠)

وفيما عدا هذه القصيدة لا نجد في الحلة ما يدل على أن الزركلي قد فاتح الحسين أو فاوضه في أمر سوريا ، مع أنه أقام في «دار الحكم» وكان يجتمع بجلالته ساعتين كل ليلة طيلة مدة اقامته التي تزيد على التسعين يوماً(٦١) . ومع ذلك ، فان الزركلي قد أفاد من هذه الاقامة الطويلة بجوار الحسين ، فكتب عنه وعن أولاده الأربعة ـــ علي وفيصل وعبدالله وزيد ـــ

صفحات مهمة لا يستغني عنها الباحث في تاريخ هذه الفترة ، كما ألمّ بتاريخ الثورة العربية وما انتهت اليه من أحداث وتطورات معروفة . أما معظم صفحات الرحلة فقد خصها المؤلف للحديث عن رحلته من مكة الى الطائف(٦٢) ، وفيها نرى الزركلي العالم المحقق الذي لا يكتفي بما يشاهده أو يسمعه بل يرجع الى المصادر القديمة للتثبت والتصويب والمقارنة . وهو في هذا الجزء رائد ولا شك لمن أتى بعده من الباحثين المهتمين بتاريخ القبائل وتحقيق المواضع .

لقد شغل الزركلي في رحلته بالتاريخ والآثار وتقاليد البدو وآدابهم عن الخوض في السياسة . ولعله كان يائسا من قدرة الحسين على تغيير الأحوال في سوريا ، أو نقض ما اتفقت عليه الدولتان العظميان : بريطانيا وفرنسا . وهو يعبر عن خيبة أمله هذه متمثلا بقول الشاعر :

وارحمتا للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا(٦٣)

بل لعل ظروفه الخاصة قد حالت بينه وبين تحديد موقفه واضحا صريحا كما فعل الريحاني . فالزركلي لم يكن سوى أديب مناضل ، فر بحياته وحريته من بطش المستعمر . وهو بعد ذلك من رعايا الدولة الهاشمية أثناء حكمها القصير في سوريا . فعلاقته بالحسين أشبه بعلاقة المواطن بولي أمره . ولا يستبعد أن يكون جلالته قد أسر اليه ببعض الأمور ، وأسند اليه بعض المهام أثناء زيارته تلك . يدلنا على ذلك ما ذكره الزركلي في ترجمته الشخصية في «الأعلام» اذ يقول انه بعد عودته من الحجاز الى مصر تجنس بالجنسية العربية في الحجاز سنة ١٩٢١ ، وان الملك حسين انتدبه لمساعدة ابنه عبدالله أثناء توجهه الى شرقي الأردن . وعند تأسيس الحكومة الهاشمية في عمان كان الزركلي من أوائل المعينين فيها مفتشا عاماً للمعارف ثم رئيسا لديوان رياسة الحكومة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٣ م(٦٤) .

الرحلات الصحفية :

ونقصد بها ذلك النوع من الرحلات القصيرة التي يقوم بها بعض الصحفيين والأدباء العرب الى البلاد بين الحين والآخر ، لتغطية أخبار بعض المناسبات المهمة أو لمجرد الاستطلاع . وقد تتم هذه الزيارات بناء على دعوة رسمية من الحكومة ، أو على مبادرة شخصية من الكاتب نفسه . وربما صادفت الزيارة موسم الحج ، فتمكن الكاتب من اداء الفريضة ، وجمع بذلك بين الواجب الديني والعمل الصحفي .

ولعل أول مناسبة مهمة استقطبت اهتمام الصحفيين ، في العهد السعودي ، كانت انعقاد المؤتمر الأول للعالم الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) استجابة لدعوة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . لقد شهد ذلك المؤتمر عدد من الصحفيين العرب ، من بينهم السيد محمد علي حسن — صاحب جريدة ومطبعة نهضة الشرق ومندوب جريدة اللواء المصري ، لسان حال الحزب الوطني — الذي قام بالكتابة العامة في المؤتمر ، ولخص أعماله في

كتيب بعنوان : «صحيفة موجزة بأعمال مؤتمر العالم الإسلامي الأول بمكة المكرمة عام ١٣٤٤ هـ» ، وضمنه نص الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك عبد العزيز في افتتاح المؤتمر ، وبيان جلالته الموجه الى المؤتمرين [٦٥] . ويغلب الطابع الرسمي على الكتيب ، ولا نستطيع أن نسميه : رحلة ، ولكنه كان البداية للرحلات الصحفية التي لن تكتفي بتغطية الأخبار ، بل ستحاول أن تصور بعض جوانب الحياة العامة في البلاد ، وأن تعبر عن موقف أو رأي معين . في سنة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م ، نشر السيد محمد شفيق أفندي مصطفى كتابا بعنوان : «في قلب نجد والحجاز» ، وصفه بأنه : «سلسلة مقالات سياسية اجتماعية دينية ، تتضمن حقائق ومشاهدات في قلب شبه الجزيرة العربية ، لم يسبق لرحالة تدوينها قبل الآن» ؛ وقد نشرت تباعا بجريدة السياسة [٦٦] . ويقول المؤلف إن النهضة الجديدة في العهد السعودي ، وبعد توحيد القطرين العربيين — نجد والحجاز — في حكم واحد ، قد حفزت الكثيرين الى استطلاع الأحوال والوقوف على الحقائق عن كثب . ويقول ان «سمو الأمير» سعود ، أثناء زيارته لمصر آنذاك ، قد دعا المفكرين المصريين لزيارة بلاده «واستطلاع شؤونها ونشر الحقائق المجردة عنها للناطقين بالضاد ممن لا يزالون يجهلون عنها كل شيء» [٦٧] .

وفي سنة ١٩٣٠ م قام الأديب المعروف ابراهيم عبد القادر المازني برحلة الى الحجاز ، أسماها : «رحلة الى الحجاز» ، لم يذكر فيها أسباب الزيارة ، ولكنه أشار الى الاحتفال بمبايعة عبد العزيز ملكا على الحجاز [٦٨] ، كما تحدث عن المأدبة التي أقامها «الأمير فيصل» نائب الملك في قصر الكندرة ، وحضرها المؤلف مع رفاقه من الوفد المصري ، كما حضرها المعتمدون الأجانب في جدة : «وخطب فؤاد بك حمزة في ختام المأدبة لمناسبة انقضاء عام على مبايعة ابن السعود ملكا على الحجاز ، فبين ما قامت به الحكومة السعودية من الاصلاح ، وما تفكر فيه من وجوهه المختلفة» [٦٩] . ويذكر المازني من رفاقه القادمين معه من مصر : أحمد زكي باشا ، شيخ العروبة ، ونبيه بك العظمة ، وخير الدين الزركلي [٧٠] . وفي كتاب محمد حسين هيكل : «في منزل الوحي» ما يلقي بعض الضوء على رحلة المازني ؛ فقد أشار هيكل الى أن الحكومة السعودية قد دعت ، في مستهل شتاء ١٩٣٠ م ، الصحافة المصرية لزيارة الحجاز بمناسبة تتويج الملك عبد العزيز ، وأن الدعوة قد وجهت اليه أصلا كممثل لجريدة السياسة ، فاعتذر عنها ، لظروف عمله ، وأناب عنه صديقه وزميله الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني [٧١] . ويقول المازني في رحلته إنه قد قام بهذه المهمة الصحفية ، وانه كان وزملاؤه الصحفيون العرب يبعثون «التلغرافات» من الحجاز الى مكاتب صحفهم في مصر [٧٢] .

أما عبد الوهاب عزام فقد زار البلاد السعودية أكثر من مرة ، وكتب عنها في رحلاته «الأولى» ورحلاته «الثانية» — ففي الأولى قدم الى الحجاز ضمن أعضاء بعثة جامعة فؤاد لأداء فريضة الحج سنة ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م [٧٣] ، وفي الثانية قدم كوزير مفوض للحكومة المصرية في جدة سنة ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨ م . وقد تمكن في المرة الأخيرة من التجول في منطقتي الحجاز ونجد ، وتدوين ملاحظاته عنهما — يقول انه قطع الطريق من جدة الى المدينة المنورة

تسع مرات بالسيارة غير مرتين بالطائرة(٧٤) — بينما لم تمكنه زيارته القصيرة الأولى الا من وصف مناسك الحج وصفا سريعا مقتضبا ، وتسجيل انطباعاته عن بعض الآثار الإسلامية التي وقف عليها .

ولا يختلف كتاب الأستاذ علي الطنطاوي : «من نفحات الحرم» عن كتاب عبد الوهاب عزام من حيث كونه سجلا لرحلات متعددة ، قام بها الكاتب في فترات متفرقة الى الأراضي المقدسة ، أقدمها وأهمها تلك الرحلة التي قدم فيها لأول مرة لأداء فريضة الحج مع الوفد السوري سنة ١٩٣٥ م ، مفتتحا بها طريق الحج البري للسيارات .

ورحلة بنت الشاطىء : «أرض المعجزات — رحلة في جزيرة العرب» سنة ١٩٥١ م ، كانت وليدة رغبة متأصلة في نفس الكاتبة لزيارة الأراضي المقدسة ، ولو أن الصدفة قد لعبت فيها دورا كبيرا . تقول : «في مستهل عام ١٩٥١ ، تلاقى جمع من اساتذة جامعة القاهرة وطلابها ، يتحادثون في أمر عطلة نصف العام التي كانت تدنو إذ ذاك ، فاختار فريق أن يذهب الى السودان لنتعرف الى اخواننا ابناء الجنوب ، وآثر آخرون أن يحجوا الى الحجاز معتمرين زائرين . وهي رحلة كانت جديرة بأن تستهوي كل المسلمين منا ، وتجذب اليها دارسي العربية وأدبها والإسلام وتاريخه . لكن قيمة الاشتراك في الرحلة حددت بمبلغ خمسة واربعين جنيها ، فحال هذا الرقم دون أكثر الراغبين ، ولم يبق منهم سوى عشرة .....» . وتقول المؤلفة إن برنامج الرحلة كان في بادىء الأمر مقتصرا على جدة ومكة والمدينة وأداء العمرة والزيارة والطواف بالمشاهد التاريخية ؛ غير أن «الأمير» فيصل آل سعود قد علم بمشروعهم فشملهم برعايته ومكنهم من زيارة مناطق أخرى من المملكة لم تخطر على بال ، فوصلوا الى نجد والدهناء وشرقي الجزيرة العربية حتى الأحساء ومنطقة البحرين . وتقول أيضا إنه حين وصولهم الى جدة فوجئوا بإبلاغهم أنهم ضيوف حضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة طوال إقامتهم(٧٥) .

ان هذه الرحلات تختلف بطبيعة الحال من حيث تناول الموضوع والفكرة والأسلوب ، تبعا لاختلاف كتّابها وظروفهم وتباين مشاربهم وأذواقهم . وقد تقترب من رحلات الحج والزيارة في وصف المناسك والتعبير عن التأملات الروحية ، كما يقترب بعضها من الرحلات العلمية في الاهتمام بالمواضع والقبائل واللهجات الخ . ولكن يجمعها ، مع ذلك ، الطابع الصحفي في الميل الى السرعة والاستطراد . وكثير منها قد نشر منجّما في صحف سيارة تخاطب القارىء العادي وتستجيب لرغباته في حب التنقل والتلوين والاثارة . وقد عبّر الأمير شكيب أرسلان عن هذا الطابع الصحفي في رحلته «الارتسامات اللطاف» عندما ذكر أنه كان ينشرها مقالات متفرقة في جريدة «الشورى» مما اضطره الى استطرادات لا حدّ لها والاستجابة الى ذوق القارىء . يقول : «ومن حيث اني كنت أصدرها [الرحلة] من وقت الى آخر في جريدة سيّارة ، كانت هيئتها أقرب الى أسلوب الجرائد منها الى أسلوب الكتب ، لأن الكاتب إذا كتب بين اسبوع وآخر متأثرا بالعوامل المختلفة ، ملاحظا المتجددات اليومية ، مراعيا حال قرائه الروحية ، ذهب به الاستطراد كل مذهب ، وشردت به شجون القول فشرّق

وغرب ....»[٧٦] .

واذا كان أرسلان قد أراد أن يفيد قراءه بحشد معلومات كثيرة متنوعة — جغرافية وتاريخية واجتماعية ولغوية وأدبية — فان المازني أراد أن يسليهم وأن يثيرهم بوصف بعض المواقف أو العادات الاجتماعية التي تبدو غريبة في نظره ، فبالغ في رسمها حتى غدت «كاريكاتيرية» مضحكة . وما أكثر هذه الصور في رحلة المازني . وهي تنسجم مع طبيعته المرحة ، وفي ميله الى النقد عن طريق التهويل في الوصف والسخرية .

ومن الرحالة الصحفيين من يقع في الخطأ وهو ينشد الاغراب والطرافة ، وخطأه اما نتيجة الجهل أو السذاجة المتناهية أو هما معا ، كقول محمد شفيق مصطفى ، في رحلته : «في قلب نجد والحجاز» ، إن فيصل الدويش هو زعيم قبيلة الارطاوية وان سلطان بن بجاد هو زعيم قبيلة الغطغط[٧٧] . ومن المعروف أن الأرطاوية هجرة لقبيلة مطير ، والغطغط هجرة لعتيبة[٧٨] . ويقول في موضع آخر تحت عنوان : «عقائد النجديين في الحياة والخلود» ؛ إن مما يستحق الذكر أن أهل نجد يعتقدون ان النجدي انما خلق لعبادة الله وطاعة شريعته وان أجله محدود وان هناك بعثا بعد الحياة الدنيا» ، ويقارن بين ما يسميه «عقائد النجديين» وبين عقائد الفراعنة في البعث[٧٩] . وهذا كلام لا يحتاج الى تعليق ، لأنه يدل على غفلة متناهية من الكاتب ، فتلك عقيدة المسلمين جميعهم وليست عقيدة النجديين وحدهم . وهو يكتب عن «النجديين» وكأنه يكتب عن قبائل بدائية من افريقيا أو الشرق الأقصى .

والى جانب الاستطراد والاثارة ، فان الرحلة الصحفية تتميز بطابعها الاعلامي في الكشف عن الحقائق المجهولة ، والاشادة بما وصلت اليه البلاد من نهضة وتطور . وقد كانت بلادنا حتى عهد قريب تنقصها وسائل الاعلام الفعالة النشطة التي تستطيع ان تنقل الصورة الحقيقية للحياة في المملكة خارج الحدود . لهذا فقد قام هؤلاء الصحفيون والأدباء ، حسب امكانياتهم ، بهذه المهمة ، وتمكنوا من نقل بعض الجوانب المشرقة التي شاهدوها الى قرائهم في الوطن العربي . ومن هذه الجوانب التي توقفوا عندها طويلا جانب الأمن ونهضة التعليم وتطور وسائل الحياة الحديثة في البلاد . وقد عبّرت بنت الشاطىء عن دهشتها للتقدم الهائل الذي وصلت اليه المملكة سنة ١٩٥١ م ، فالطائرة قد حلت محل الجمل في الربط بين اطراف الجزيرة المتباعدة . والرحلة بين جدة والظهران لم تستغرق سوى اربع ساعات ؛ وتقف المؤلفة متعجبة لتلك الطفرة ، وقد جلست بجوارها في الطائرة احدى البدويات :

«هكذا من الناقة الى الطائرة في وثبة واحدة ؟
هكذا من الهودج الى صالون داكوتا وبريستول ؟
هكذا من ماء الأمطار والعيون الى شراب الأناناس والكوكاكولا !

يا لها من وثبة عاتية ، لم تمر بمراحل التطور التي مررنا بها ، فما عرفت الدهناء من قبل العربة أو السيارة ، ولا رأت حتى اليوم ، قطارا يجوس خلالها ويعرق بين كثبانها ووهادها»[٨٠] .

ولكنها «أرض المعجزات» التي تقول عنها بنت الشاطىء انها قد غيرت بالإسلام قبل أربعة عشر قرنا تاريخ العالم ، وقررت «مصاير دول وشعوب وعروش وتيجان وحضارات وديانات . واليوم يكتب لها أن تدفع سيل الزيت دافقا كالدم الحار في شرايين الدنيا فتشارك في تقرير المصير لعالم اليوم»(٨١) .

وفي رحلتها الثانية سنة ١٩٧٢ م ، تدهش بنت الشاطىء لما وصلت اليه الفتاة السعودية من تقدم كبير في مضمار العلم ، وقد عهدتها في زيارتها الأولى سنة ١٩٥١ م جاهلة خاملة متخلفة تقبع وراء الأسوار . تقول :

«وتركت الجزيرة ، من عشرين سنة ، وليس فيها مدرسة واحدة لتعليم البنات . المدنية العصرية غزت بيوت نجد والأحساء ، فسمحت للضوء والسينما والراديو بدخول أجنحة الحريم ولم تسمح بدخول الكتاب . ومضى جيل واحد فحسب ، فتحت فيه ابواب العلم الموصدة في وجوه البنات ، فاجتزن المراحل الى التعليم العالي . وهؤلاء هن في (جامعة الملك عبد العزيز بجدة) ، يوشكن أن يتممن مرحلة الليسانس ، ويحققن ما لم يجرؤ عهد العاهل الراحل على الخوض فيه ، فتركه امانة لعهد ابنه فيصل ، الذي جعل لتعليم البنات في المملكة رياسة خاصة تعوض ما فات ، وتصل ما انقطع من ماضي هذه الأمة ، يوم كانت المرأة تشارك في صنع تاريخها مشاركة ذات بال ، وتفرض وجودها الفعال المؤثر على حياة قومها في الجاهلية والإسلام»(٨٢) .

الهوامش والمصادر

(١) انظر : شوقي ضيف ، الرحلات ، ص ٦ — ٨ .
(٢) يقول الجاسر ان الرحلات من أهم النواحي الثقافية العربية ، وهي لا تزال في حاجة الى اهتمام الباحثين ، وقد حاولت مجلة «العرب» الاتجاه في هذا السبيل . مجلة العرب ، جـ ٦ ، س ٤ ، ذو الحجة ٨٩ هـ/ فبراير ٧٠ م ، ص ٤٧٣ ، وانظر ايضا : مجلة العرب ، جـ ٥ ، ٦ س ٩ ، ذو القعدة ٩٤ ه/ يناير ٧٥ م ، ص ٣٢١ — ٣٣٦ .
(٣) أدب الرحلة عند العرب ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م) .
(٤) شوقي ضيف : المصدر نفسه ، ص ٧١ .
(٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي — تعريب صلاح الدين عثمان (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣) ، القسم الأول ص ٣٤٩ — ٣٥١ .
(٦) المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٤٢٨ .
(٧) المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٧٢٨ .
(٨) محمد أديب غالب : «طرابلس الشام في الرحلات العربية» ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، س ٧ ، محرم ٩٣ هـ/ فبراير ٧٣ م ، ص ٥٥٣ .
(٩) المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ٥٥٦ .
(١١) انظر : كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، القسم الثاني ، ص ٧٥٣ . ويمكن ان نضرب مثالا على

ذلك بكتاب ابن معصوم : «سلافة العصر في محاسن أعيان العصر» .

(١٢) أنظر : حمد الجاسر : «في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات الى الحج» ، مجلة العرب ، جـ ٥ ، ٦، س ٩ ، القعدة ٩٤ هـ/ ٧٥ م ، ص ٣٢١ — ٣٣٦ .

(١٣) شوقي ضيف ، المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(١٤) كراتشكوفسكي ، المصدر نفسه ، القسم الأول ، ص ٢٦٠ .

(١٥) المصدر السابق ، القسم الأول ، ص ٣١٧ — ٣١٨ .

(١٦) لقد عبّر خير الدين الزركلي أحسن تعبير عن طبيعة فن الرحلة عندما سمى رحلته الى الحجاز ، سنة ١٩٢٠ م : «ما رأيت وما سمعت» ، وهو يقول فيها :

«... وانما أنا ناقل ما سمعت وما رأيت نقل المحدّث لا المؤرخ ، والمصوّر لا الكاتب ، متحريا ايراد الحقيقة كما هي عارية مجردة . ولو استطعت لأخذت بيد القارىء أريه ما وقعت عليه عيناي ، وأسمعه ما وعته أذناي . على أن الخبر قد يغني عن الاختبار ، وفي الرواية ما قد يغني عن المشاهدة» .

ما رأيت وما سمعت (المطبعة العربية ومكتبتها بمصر ، ط ١ ، القاهرة ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٣ م) ، ص ١١١ .

(١٧) حمد الجاسر : «في رحاب الحرمين — من خلال كتب الرحلات الى الحج» ، مجلة العرب ، جـ ٥ ، ٦ ، س ٩ ، ذو القعدة والحجة ٩٤ هـ/ يناير ٧٥ م ، ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٣٢٢ .

(١٩) انظر مقـــالتــــه : «كتب الرحلات» ، مجلـــة العرب ، جـ ٩ ، س ٦ ، ٩٢ هـ/٧٢ م ، ص ٧٤٦ — ٧٥١ . ويقول الأستاذ حمد الجاسر إن الكتاني لم يبين ما يتعلق من هذه الرحلات بالحجاز — انظر : «جولة في المغرب العربي» مجلة العرب ، جـ ٩ ، س ٧ ، ٩٣ هـ/٧٣ م ، ص ٦٤١ — ٦٤٢ .

(٢٠) الزركلي : المصدر نفسه ، ص ٤٧ — ٤٨ .

(٢١) انظر فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية (مطبعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٧م) ، ص ٧٨ .

(٢٢) لعله من المفيد أن نورد هنا ثبتا بالحوادث المهمة في تاريخ هذه الوحدة الملحمية التي كان بطلها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود : فتح الرياض : ١٩٠٢ ، ضم الخرج والمحمل والشعيب والوشم : ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ، فتح القصيم : ١٩٠٣ — ١٩٠٦ ، القضاء على الثورات الأهلية : ١٩٠٩ ، فتح الاحساء : ١٩١٣ ، التوسع الى تربة والخرمة : ١٩١٩ ، ضم عسير : ١٩٢١ ، فتح حائل والجوف : ١٩٢١ ، الاستيلاء على الحجاز ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، بسط الحماية على تهامة : ١٩٢٦ ، القضاء على الفتن الـــــداخليـــــة : ١٩٢٨ — ١٩٣٢ . أنظر فؤاد حمزة : المصدر نفسه ، ص ١٩ — ٢٠ .

(٢٣) وفي اواخر العهد التركي كتب محمد كرد علي رحلته التي اسماها : «الرحلة الأنورية الى الأصقاع الحجازية والشامية» ، وهي في وصف رحلة أنور باشا ، وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية في الدولة العثمانية — الى المدينة المنورة وسورية وفلسطين — وتقع في حوالي ثلاثمائة صفحة ، وقد طبعت في بيروت سنة ١٩١٦ .

(٢٤) مع أن ابراهيم رفعت قد سبق البتنوني في رحلاته الأربع الى الحجاز ، كما رأينا ، إلا أنه لم ينشر ما سجله عن تلك الرحلات الا بعد ظهور كتاب البتنوني بمدة طويلة ، سنة ١٩٢٥ . لذلك نراه يرجع الى البتنوني في بعض المواضع من كتابه .

(٢٥) نشرت منجمـــة في مجلـــة المنـــار ، في الجزءين ١٩ ، ٢٠ سنـــة ١٩١٦ — ١٩١٧ م وسنـــة ١٩١٧ — ١٩١٨ ، ثم جمعت في كتاب ، مع رحلاته الأخرى بعنوان : رحلات الإمام محمد رشيد رضا — جمعها وحققها الدكتور يوسف إيبش ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت

١٩٧١ م) .

(٢٦) التواريخ التي نذكرها هنا لا تمثل تاريخ الطبع ، بل تاريخ قيام المؤلف بالرحلة . ولا يفوتنا أن نشير في هذا الموضع الى رحلة الأستاذ علي الطنطاوي التي قام بها الى الحجاز مع الوفد السوري سنة ١٩٣٥ ، وقد نشرت سنة ١٩٤٠ م . وطبعت مرة أخرى ضمن مقالات له أخرى في نفس الموضوع في كتاب : «نفحات الحرم» — (مطابع دار الفكر ، ط ١ دمشق سنة ١٩٦٠ م) .

(٢٧) انظر كتاب :

ويقول المؤلف في هذا الكتاب عن الرحالة الغربيين في اوائل القرن العشرين ، إنهم قد أكملوا العمل الذي بدأه الرحالة السابقون ، ولكنهم كانوا يتجهون الى الجوانب العلمية . ولم يكونوا رومانتيكيين كأسلافهم ، فلا زال أمامهم جزء كبير من الجزيرة العربية لم يحقق علميا من النواحي الجغرافية والجيولوجية وغير ذلك .

(٢٨) انظر : الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م) ، ص ٣٠١ — ٣٠٤ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣٠) انظر أنيس المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث (ط ٢ ، بيروت ١٩٦٠ م) ، ص ١٤٦ — ١٥٧ .

(٣١) انظر كتابه : «ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية» (مطابع صارد ريحاني ، ط ٣ ، بيروت ١٩٥١ م) ، جـ ١ ، المقدمة ، ص ١٥ .

(٣٢) المصدر السابق ، جـ ١ ، المقدمة ، ص ١٨ .

(٣٣) في منزل الوحي (مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١ ، القاهرة ١٩٣٧ م) ، ص ١٤٤ . لقد كان هيكل في ذلك الوقت من المعجبين بالزعماء والمفكرين الغربيين ، وبيسمارك (١٨١٥ — ١٨٩٨) من أبطال المانيا في القرن التاسع عشر ، الذين استطاعوا أن يحققوا لها الوحدة الالمانية .

(٣٤) مرآة الحرمين — أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ م) ، المقدمة ، ص ٣ .

(٣٥) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٣ — ٤ .

(٣٦) الرحلة الحجازية (مطبعة الجمالية ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٢٩ هـ) ، المقدمة ، ص ٥ .

(٣٧) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٥ .

(٣٨) المصدر نفسه ، المقدمة ، ص ٦ .

(٣٩) أنظر ، مثلا ، الصفحات : ٦٩ — ٧٣ ، ٩٤ — ١٠١ ، ١٠١ — ١٣٣ ، وانظر أيضا العناوين الآتية : «كيف تحج أيها المسلم — الأدعية المأثورة من الابتداء في الحج الى النهاية منه» . ص ١٧٢ — ١٧٦ ؛ «محرمات الاحرام ، جدول بمناسك الحج على المذاهب الأربعة» ص ١٧٦ — ١٧٩ .

(٤٠) يقول كراتشكوفسكي ان هذا الضرب من الرحلات ، الذي يؤلف بناء على تكليف أمير كبير أو لنيل عطفه ، كان مألوفا في العصور الماضية . ومن هذه الرحلات رحلة ابن الجيعان : «القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف» ، والتي وصف فيها رحلة السلطان قايتباي الى الشام . وكان المؤلف ضمن حاشية السلطان . ويقول كراتشكوفسكي : «وقد استمر هذا الضرب من الرحلات مزدهرا لعدة قرون . بل اننا نلتقي به في القرن العشرين في وصف مشابه ، ولكنه يقوم على اساس مخالف كل المخالفة ، أعني رحلة البتانوني التي رفعها الى خديو مصر عباس حلمي» . المصدر نفسه ، القسم الثاني ، ص ٤٧٦ .

(٤١) انظر مثلا الى نماذج من تقارير ابراهيم رفعت ، وهي قليل من كثير : «تذاكر السفر في شركة البواخر»

(جـ ٢ ، ص ١٦٥) ؛ «جدول بما لكل عامل في المحمل من الجمال والخيام وغيرها» (جـ ٢ ، ص ١٦٢) الخ . ولقد كان بإمكان المؤلف أن يفرد قسما خاصا في آخر الكتاب يجمع فيه ما يريد الحاقه من تقارير ووثائق ومستندات وما الى ذلك .

(٤٢) في منزل الوحى ، تقديم ، ص ١٠ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٤٥) ملوك العرب ، المقدمة ، ص ١٨ .

(٤٦) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٤٧) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ١٩ .

(٤٨) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ .

(٤٩) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

(٥٠) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٣ .

(٥١) ما رأيت وما سمعت ، ص ١١٤ .

(٥٢) ملوك العرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ ، ٢٥٧ وما بعدها .

(٥٣) انظر حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ القاهرة ١٩٣٥) ، ص ٢٤٠ .

(٥٤) سنتحدث عن ذلك بالتفصيل في القسم الذي سنخصصه للحديث عن الرحّالة ومواقفهم .

(٥٥) ملوك العرب ، المقدمة ، ص ١٢ .

(٥٦) جورج غريب : أدب الرحلة — تاريخه وأعلامه (دار الثقافة ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٦ م) ، ص ١٠٥ .

(٥٧) ما رأيت وما سمعت ، انظر ص ٣ — ٢٧ .

(٥٨) المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٦١) المصدر السابق ص ١١١ .

(٦٢) من ص ٢٧ الى ص ١٠٩ ، وانظر حديثه عن البادية — تقاليدها وأدبها ، من ص ١٣٧ الى ص ١٨٦ . في حين أن مجموع صفحات الرحلة لا يتجاوز ١٩٠ صفحة .

(٦٣) ص ١٠٨ .

(٦٤) انظر ترجمته في الأعلام ، جـ ١٠ (المستدرك) ، ص ٢٥٧ .

(٦٥) صحيفة موجزة — (مطبعة نهضة الشرق ، الاسكندرية ، سنة ١٣٤٥ هـ) .

(٦٦) ثم طبعت بعد ذلك في مطبعة المنار ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ/١٩٢٧ م .

(٦٧) في قلب نجد والحجاز ، ص ٧ .

(٦٨) رحلة الى الحجاز (مطبوعات الجديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ م) ، ص ٧ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٧٠) المصدر السابق ، ص ١٠ — ١١ .

(٧١) في منزل الوحى ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٧٢) رحلة الى الحجاز ، ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٧٣) رحلات عبد الوهاب عزام — الرحلات الأولى (مطبعة الرسالة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٠ م) ، انظر

مقدمة الطبعة الأولى .

(٧٤) رحلات عبد الوهاب عزام — الرحلات الثانية (مطبعة الرسالة ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥١ م) ، ص ٣٦٣ .

(٧٥) أرض المعجزات — رحلة في جزيرة العرب (سلسلة «اقرأ» ، دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٩ م) ، ص ٧ — ٩ .

(٧٦) الارتسامات (مطبعة المنار ، ط ١ ، القاهرة ١٣٥٠ هـ) ، ص ٤ . يقول ارسلان انه عدل بعد ذلك عن نشر مقالاته في جريدة الشورى ، لأن ذلك يأخذ وقتا طويلا ولا ينتهي في أقل من سنتين أو ثلاث ، وانصرف الى اكمال التصنيف فورا — فكان ما نشر في «الشورى» نحو الثلث ، وما لم ينشر في الشورى ولا في جريدة غيرها نحو الثلثين . ص ٤ — ٥ .

(٧٧) في قلب نجد والحجاز ، ص ٤١ .

(٧٨) انظر أمين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاته (المطبعة العلمية ليوسف صادر ، ط ١ ، بيروت ١٩٢٨) ص ٤١٢ — ٤١٤ .

(٧٩) في قلب نجد والحجاز ، ص ٤٢ — ٤٣ .

(٨٠) أرض المعجزات ، ص ٦١ — ٦٢ . لقد عرفت الدهناء السيارة قبل رحلة بنت الشاطىء بوقت طويل ، اذ يشير فؤاد حمزة في كتابه : قلب جزيرة العرب (المطبعة السلفية ، ١٩٣٣) انه اجتاز الدهناء في طريقه من الكويت الى الرياض بالسيارة يوم ١٨ يوليه سنة ١٩٣٢ — انظر الهامش ، ص ٣٢ . ولم يكن فؤاد حمزة أول من خاض تلك المغامرة . ومعنى هذا ان السيارات كانت معروفة ومنتشرة في البلاد السعودية قبل سنة ١٩٥١ ، خلافا لما تظنه بنت الشاطىء .

(٨١) المصدر السابق ، المقدمة .

(٨٢) أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ (دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ م) ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

عند علماء المغرب

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ان البحث العلمي يشمل كل مجالات الفكر الذي ينطلق من جماع مقومات الحضارة ، فالمجتمع المتوازن هو الذي تساوقت عناصره وتكاملت معطياته فتحرر فيه النظر في مساندته للواقع وانطلقت التجربة غير مقيدة في مسارها الطبيعي المنبثق من ملابسات فعلية يعد فيها الفكر العمل كما يساند العمل الفكر ولذلك تبلور التوازن بين المقومين في المجتمع العربي في أروع مظاهره فكانت سمة المشاركة تطبع الثقافة في اطار تكوين عام لا يترك مندوحة للبس أو الغموض في التفكير العملي أو العمل الفكري لدى البحاث العربي .

فهذا الباحث قد امتاز إذن بروحه الواقعية فلم يأنف من الاقتباس من النص القديم بعد تمحيصه على ضوء المعطيات الجديدة التي تتواكب كلها في المجتمع الواحد وهذا هو سر عبقرية الفكر العربي في العصور الأولى للنهضة العربية أي ما يسمى بالقرون الوسطى التي كانت فترة ذهبية في حياة الانسانية لأن الفكر ظل فطريا في أبعاده المخبرية يلتزم بواقع الحياة ويعطي لكل الظروف حقها من التمحيص ليضع الخاص في اطاره العام دون أن ينساق في التيارات السطحية التي تحدو الفكر الساذج الى التعميم السريع انطلاقاً من نظرات جزئية .

فالمجتمع العربي — مهما تكن أبعاده ومقاساته من القرية الى المدينة الوسطى الى الحاضرة — كان يرتكز) منذ الانطلاقة الأولى — على دعامات توفر له ظروف الحياة التي لا يعوقها خصاص ولا يحجزها عائق وقد كان من المقرر — بدائياً — في حضارة العرب أنه «لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر ونهر جار وقاض عدل وسوق قائم» (زهرة الاش ص ٢٤) . ومنذ ذلك أصبحت المدينة الاسلامية الفاضلة هي التي تساوق فيها المحيط الطبيعي الخصب والعدل الاجتماعي الموفور والاقتصاد الاكتفائي السابغ والمنطلق الحر الذي يكفل للفكر المسار الانساني في غير قيد ولا شرط عدا الأقيسة المنطقية الرصينة ؟.

ولذلك كانت التجربة أساس الابتكار والابداع عند العرب فتفوقوا في العلوم التجريبية خاصة وقد أكد كودار في تاريخ المغرب (ص ٤٤٩) أنه اذا كان العرب قد تفوقوا تفوقاً بارزاً على اللاتين في عهد من العهود فان ذلك لا يمكن أن يكون إلا في الحساب والطب والجغرافية والعلوم الطبيعية والصيدلية والكيمياء والفيزيائية (البصريات) اذ جابر بن حيان الكماوي وابن الهيثم الفيزيائي في طليعة من أقام هذين العلمين على قاعدة تجريبية راسخة ، وقد بنى العرب تجاربهم على أجهزة مخبرية فسبقوا الأوربيين الى وضع الأواني الزجاجية الكبرى التي تحتوي على السوائل الملونة للفرز والتمييز بدقة وضبط وهي اليوم أساس تحليلات وتمحيصات المختبرات العصرية في مختلف العلوم[1] ، وقد شعر العرب منذ القرن الثاني الهجري بأهمية علم الصيدلة في التجارب الطبية كما اقتنعوا بأن معرفة الكيمياء أساسية في البحوث الصيدلية والطب .

وكان ابن جلجل الأندلسي أعظم طبيب طبائعي في عصره حيث عرب مفردات (ديسقوريوس) وزاد عليها الأدوية المعروفة عند العرب والتي جهلها (ديسقوريوس) فأكمل بذلك هذا الكتاب انطلاقاً من معالجة أنواع الأعشاب المتوافرة في الوطن العربي وخاصة في المغرب والأندلس ، وإنما برز أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي فكان أبا للطب العربي بفضل ما حققه من تجارب فله ما يناهز مائتي كتاب ترجمت جميعها الى اللاتينية منها كتاب «تجارب المارستان» وقد وصف فيها أثر تحليلات ميدانية الجدري والحصبة وأدخل الى الطب أجهزة ووسائل عيادية جديدة فكان أول من استعمل الفتائل في العمليات الجراحية وكذلك الأنابيب التي يمر منها الصديد والقيح والافرازات السامة ، كما برز كطبيب اخصائي بفضل تجاربه في حقل بكر هو «طب الأطفال» الذي قام فقيه بدراسات وأبحاث ضمنها كتاباً خاصاً .

وقد أكد (رينو)[2] أن تاريخ الأندلس امتزج بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين منذ

بعد أن كان طبيب المعتمد بن عباد الذي استدعاه لمعالجة (الرميكية) عندما كان أسيراً في أغمات ووالد أبي العلاء أبو مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر هو الذي تولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان(١١) . وكانت له آراء شاذة امتاز بها في تجاربه منها منعه من الحمام اعتقاداً منه بأنه يعفن الأجسام ويفسد تركيب الأمزجة(١٢) . وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب عن تأليفه لكتاب (التذكرة) الذي ترجمه (كولان) وطبعه عام ١٩١١ م بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالأدواء الغالبة في مراكش والأدوية المناسبة .

وبعد ما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى اسفرت عنها تجارب زهر بن زهر في المختبر حيث سجلها في تقارير سماها (المجربات)(١٣) . وقد جمعت بمراكش عام ٥٢٦ هـ وقد ترجم (جان دوكابو) (التذكرة) من العبرانية الى اللاتينية (نسخة في مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالت التراجم عام ١٢٨٠ م والمطبوعات (عشر مرات بين ١٤٩٠ و ١٥٥٤ م) ، وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها الى ١٥٣١ م وهي تحتوي على كليات ابن رشد .

وهنالك رسالة في أمراض الكلى كتبها أبو العلاء لعلي بن يوسف لا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧ م كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة باريس ومنه استقى أبو البيطار خواص لحوم الحيوانات .

ولأبي العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحاق الكندبي حول تركيب الأدوية . وتوجد نسخة من (جامع أسرار الطب) لأبي العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط (تحتوي على ١٨٥ ورقة) .

وقد خالف أطباء عصره عندما أدى بحثه المخبري الى الوصية باستعمال بطيخ فلسطين (أي الدلاح أو الدلاع بالمغرب) في أمراض الكبد والمعالجة بجس النبض والنظر الى قوارير البول وهو كشف ماهر كان بادرة جريئة لعلماء العصر الحديث .

وأبو مروان عبد الملك بن زهر هو ولد أبي العلاء ، وقد ألف كتاب (الاقتصاد)(١٤) عام ٥١٥ هـ لابراهيم بن يوسف أخي علي المرابطي لخص فيه التجارب الطبية وأوضح الفروق بكيفية عملية بين الجذام والبهق كما شرح أبعاد العدوى انطلاقاً من تجارب ميدانية ، وقد أفرد لهذه المسألة رسالة لم تصلنا .

وعلى كل فإن روحه العملية وفكره العلمي الجلي جعلا منه طبيباً ممتازاً فاق (ابن سينا) ولا يعد له في الشرق عدا (الرازي) .

ومن خواص منهجية الوضوح والضبط تحليل الحالات الجزئية للتدرج من الخاص الى العام مع استعراض نماذج من القضايا تلقى الأضواء على جوانب دقيقة يقفلها البحاثون الذين يكتفون بالنظرات العامة والتعميمات السطحية المرتجلة ، وقد خالف ابن زهر هذا زملاءه من

أطباء عصره الذين كان يبادر بعضهم فيصف لمن استشاره من المرضى دواء دون تمحيص للحالة القائمة في جميع خواصها وقد حكى قصة واقعية تمت فصولها في بيت أمير مرابطي استدعى ثلة من الأطباء للاستشارة فتحدث كل واحد عن تجربته في خصوص الداء الذي يشكو منه الأمير مبادراً بوصف الدواء ، وقد أكد ابن زهر تعليقاً على ذلك أن كل هؤلاء الأطباء لم يوفق سوى واحد منهم مع عجز مع ذلك عن استكناه أصل الداء فهذه السطحية أو السمة الجزئية في منهجية البحث هي التي أدت الى اختلاف النظر والحياد عن الوجهة الصحيحة في تحديد العلاج النافع وقد كان ابن زهر هذا جريئاً في تجاربه معتمدا بما يصل اليه من نتائج ينطلق في جرأة لا يعبأ بتقليديات عصره فيدعو مثلا الى استعمال الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل وللأطفال كذلك حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه ، وكانت هذه التقاليد قد أصبحت مسلمات دون أن تسندها في البداية تجربة علمية صحيحة .

وقد صنف أبو مروان عبد الملك بن زهر كتابه (التيسير) بطلب من ابن رشد كتذليل لكتابه الكليات (١٥) . وقد نهج ابن زهر في كتاب (التيسير) هذا أسلوباً جديداً في الحكمة القياسية مستخدماً التمحيص العقلي للوصول الى احسن النتائج فكان طبيب التمحيص العلمي يحضر الأدوية بنفسه غير مستعمل الخمر في تركيبها على سنن والده أبي العلاء حتى ولو أوصى بذلك (جالينوس) على خلاف (الرازي) وكان منهجه العلمي يقضي باسناد الأعمال اليدوية الى أعوانه مثال الفصد والكي وفتح الشرايين في حين كان هو يشرف بنفسه على التحليلات الهادفة الى تقرير نظام الأكل عند المريض ووصف الأدوية وقد توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية الى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فاهتم بالأمراض الرئوية وأجرى عملية القصبة المؤدية الى الرئة وتمكن من تشريحها في مرض الذبحة ، وقام بتجارب في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع كما استعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلة الجرب وسماها (صؤابة الجرب) كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة — اذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر شأن الجهاز البشري — تكفي وحدها في الغالب لعلاج الأدواء (١٦) وسر العبقرية في هذا المنهج هو أن الطبيب أبا مروان كان ينسى نفسه ويستهلك في مريضه فاذا عرضت عليه حالة شائكة حاول أن يعيشها واستمد من ذكرياته وتجاربه ومنطقه ولهذا كان نسيج وحده فانكب اطباء العصور الوسطى على دراسة كتابه (التيسير) الذي ترجم أولا عن العبرانية من طرف شخص مجهول (٧) . وهكذا استعاض أبو مروان بالمنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد في ممارسة فن الطب وأدت تجاربه العملية — علاوة على ذلك — الى تطوير ثلاث شعب حاول توحيدها وهي الصيدلية والجراحة والطب العام .

ومن أغرب مجالي الابتكار ما قام به أبو مروان عبد الملك بن زهر حيث أنبت كرمة عنب سقاها من ماء مسهل واستخرج منها ما سماه (الترياق السبعيني) فصار يعطي منه لعبد المؤمن ابن علي الموحدي لكراهيته شرب المسهلات (١٨) . أما الحفيد أبو بكر بن أبي مروان الطبيب الشاعر (المتوفي عام ٥٩٦ هـ) بمراكش فقد ألف (الترياق الخمسيني) ليعقوب المنصور

أواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلادي وهما أبرز عصور اسبانيا المسلمة ثم قال : «وكيف إذن يمكن أن نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين أنجبتهم الأندلس أو الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية أو قرطبة الى فاس ومراكش أو أغمات فللمغرب الحق اذن في أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد الخ .

واذا قارنا بين شقي العروبة وجدنا أن الروح التجريبية عند علماء المغرب والأندلس جعلتهم يبذون أحياناً سلفهم من المشارقة فهذا ابن رشد قد صنف شرحاً لرجز ابن سينا في الطب المعروف عند الأوربيين بـ (كانتيكوم) فامتاز الفرع على الأصل حيث أكد ابن زهر الأوسط أفضليته على كتاب (القانون) الذي هو أعظم مصنفات ابن سينا لأنه جامع لمبادىء العلم .

فالفكر التوليفي هذا هو الذي يعتبر من عوامل النجاح في التجربة العلمية المغربية ، وقد حكم المجتمع الطبي عام ١٥٠٠ م/٩٠٦ بالسبق لابن سينا في خمس محاضرات من أصل عشر ولجالينوس في أربع ولا بقراط في واحدة (كازيط المستشفيات — عدد مارس ١٩٣٢ محاضرة الأستاذ فوسك .

كل ذلك راجع لروح الأصالة التي بدرت في تجارب ابن سينا .

وأكبر طبيب تجريبي ظهر في الأندلس في القرن الرابع الهجري هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي صاحب كتاب (التعريف لمن عجز عن التأليف) الذي قال فيه أحد الجراحين الغربيين : «لا شك أن الزهراوي أعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى وكتابه هو اللبنة الأولى في هذا الفن وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة واستخرجها بعملية جراحية وعالج الشلل وأول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية والظاهرة الطريفة التي امتاز بها كتاب التعريف هي احتواؤه بازاء النصوص على آلات دقيقة ووضعه لمبدا أساسي منذ البداية يتلخص في أن علم التشريح أساس للجراحة[3] فكتابه هو أول تعبير للجراحة كعلم (ص ٤٥٦) .

وتوجد في (خلع ١٤٢٧ د)[4] بعد المقالة الثامنة من كتاب التعريف مقالة تحتوي على ٢٨ صورة لحدائد الكي وآلات العمل وهذه المكاوي الدقيقة الصنع تختلف حسب العضو المريض من الرأس الى الأذن والفك والعين داخلا وباطناً والأضراس والمعدة والمقعدة والكبد والطحال والقدم والساق والتآليل والرحم والمثانة الخ .

ومن جملة الأطباء الذين انطلقوا من التجربة الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن شهيد الذي عرف الأدوية المفردة ورتب قواها ودرجاتها في المختبر وقارن بين العشب الأصلي والدواء المستحضر فقرر عدم استعمال الأدوية ما أمكن العلاج بالأغذية أو ما يقرب منها حتى اذا اضطر الى الأدوية فضل المفردة على المركبة واختصر التركيب في هذه فوصل الى نتائج غريبة في الابراء من الأمراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج وأقربه[5] .

وكان منطلق التجربة العربية المصلحة الجماهيرية فقد كان من مهام المحتسب تحليف الأطباء أن لا يعطوا أحداً دواء مراً ولا يركبوا له سما ولا يصنعوا السمائم عند أحد من العامة ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل والغض عن المحارم وعدم افشاء الاسرار (أو السر المهني) والتوفر على جميع الآلات[٦].

وقد أدت التجربة بأفراد الشعب في المجتمع البربري منذ عهود سحيقة الى حقن جراثيم الجدري التي كانوا يستعملونها لتحصين المصاب[٧].

وقد لاحظ لوكلير[٨] أن المغرب هو أشد أقطار الاسلام عمقاً من الناحية العلمية كما أكد أن علماً تجريبياً هو الطب ازدهر في المغرب الأقصى منذ القرن العاشر الميلادي أي الرابع الهجري[٩]، ونقل الكانوني (في شهيرات المغرب) عن كتاب «فن الأسنان بالمغرب الأقصى» أنه كان بفاس في القرن الرابع مدرسة طبية.

ولم يسبق للفكر العلمي أن تحرر في المغرب كما وقع في القرنين الخامس والسادس الهجريين في عهد الموحدين وذلك بفضل العناية التي أولاها الخلفاء للبحث العلمي ولتجارب العلماء يشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن رشد وبني زهر في الطب وابن العوام النباتي والادريس في فنون الهيئة والجغرافية والفلك والفلسفة، وقد أصبحت مصنفاتهم مرجعاً لرجال القرن السابع وما بعده أمثال ابن البيطار (المتوفي عام ٦٤٦ هـ وأستاذه أبي العباس النبطي مما مكن للأندلس والمغرب حمل راية الفلسفة والعلوم في العالم الاسلامي[١٠].

وقد خلف أبو عبيد البكري صاحب المسالك كتاباً حول أعشاب الأندلس وأشجارها فوصف ظواهر غريبة في تاريخ علم الطبيعة كالأعشاب المسهلة وشجر (أركان) الذي وجده في طريق أغمات الى فاس.

وهكذا ففي العهد الذي كانت الأندلس خاضعة لسكان مراكش تكونت — كما يقول لوكلير (ج ٢ ص ٢٤٠) جماعة من الأطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في البحث والتصنيف وتدريس الطب والفلسفة والعلوم فأفاد المغرب كثيراً من نكبة الأندلس.

ورغم ما أظهره المنصور في موقفه ضد الفلاسفة فإن هدفه الأساسي كان هو ضمان التوازن بين المعقول والمنقول باعتبار أن هذا التوازن هو أساس نجاح كل تجربة علمية لأن النظر الذي لا يعززه الواقع لا يمكن أن تدعمه قاعدة راسخة، فلذلك ساند علوم الطبيعة في نفس الوقت الذي عمد الى تدوين الأحاديث النبوية وترتيب الجرايات لحفظها وبالرغم عن اعتقال المنصور لابن رشد وأبي جعفر الذهبي فإنه ما لبث أن أعاد الخطوة لهذا الأخير عندما أناط به مهمة السهر على مصالح الأطباء وطلبة الطب في سبيل تنظيم البحث العلمي طبقاً لمنهجية التوازن بين كفتي الفكر والعمل. ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس، وقد كان طبيباً خاصاً ليوسف بن تاشفين

وكانت أمه وأختها عالميتين بالطب لا سيما في أمراض النساء تمارسان علاجها بمراكش (ابن أبي اصيبعة ص ١٦٧) وقد برهن أبو بكر هذا عن حظ وافر من التوازن الفكري والتواكب بين المعقول والمنقول والتجربة والعقلانية مما حداه الى حفظ صحيح الامام البخاري[١٩] ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة حيث كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (المطرب لابى دمية).

وقد أصبحت التجربة العلمية منطلق الكشوف في شتى الميادين حتى كان الأطباء والبحاثون يبرزون هذه الظاهرة كبادرة جوهرية في دعم اتجاهاتهم فسمى أبو الحسن سفيان الاندلس (المتوفي عام ٥٣٧ هـ) طبيب علي بن يوسف المرابطي — كتابه في الطب — (كتاب التجربتين) وأضاف الى تقاريره محاضر شيخه أبي بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف بابن باجة (المتوفي بفاس عام ٥٣٣ هـ). واشتراك عالمين في تصنيف كتاب واحد أو القيام بتجربة مشتركة كان نتيجة للروح الواقعية عند علماء العصر الموحدي فهذا أبو الوليد ابن رشد قصد بكتابه الكليات ابن زهر ليلحق به دراسة عن الجزئيات لتكون جملة الكتابين ككتاب كامل في صناعة الطب.

وقد توصل ابن رشد في مخبره الى نتائج مدهشة جعلته يقترح في شرحه لابن سينا ما يصفه الأطباء اليوم وهو تبديل الهواء في الأمراض الرئوية وقد أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية، وابن رشد هو أول من أشار الى الدورة الدموية الكبرى وحللها في كتابه (الكليات) الذي استمد منه (ويليام هارفي) معظم نظرياته في حين اكتشف ابن النفيس العصري الدورة الدموية الرئوية الصغرى قبل الغربيين بثلاثة قرون[٢٠].

ويعتبر محمد بن أحمد بن خليل السكوني (٦٤٦ هـ) نموذجاً لرجل مشارك اتقن عدة علوم فصنف في الطب والبيطرة وصنعة ركوب الخيل وتدبير الحروب وتعليم الثقاب والرمي وسمات الخيل ودلائل العتاقة كما جمع بين كتابي أبي مروان بن زهر وابنه أبي بكر في الأغذية وأضاف اليهما فصل الخواص والكليات الواقعة في (تيسير) ابن زهر وهو اشبيلي أقام بمراكش متلبساً بعقد الشروط كعدل موثق[٢١]. ومن المختبرات مستشفى مراكش الذي وسمه عبد الواحد المراكشي (في المعجب ص ١٧٧) بروعة البناء والتخطيط ووفرة السرير والفرش وخزائن الأدوية وتحضيرات الصيادلة للأدهان والأكحال والأشربة والألبسة الخاصة للمرضى مما جعل المؤرخ (ميليبي) يعترف[٢٢] بأن مصحات أوربا تخجل منه بل كذلك مستشفيات القرن العشرين.

وهكذا شجع الموحدون اقامة المخابر العلمية في شكل مستشفيات مجهزة بمختلف الآلات والأجهزة والأدوية والاختصاصيين والمساعدين الفنيين وبعض العلوم التجريبية قد اعتبرت أشبه بالعلوم الدينية لأن فيها خدمة للفكر الديني كالفلك والتوقيت والحساب أو خدمة للانسان كالطب وقد قال الشافعي: «لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب[٢٣]» فالضلاعة في الحديث بجانب الطب والصيدلة والعلوم الطبيعية كانت شنشنة الكثير من أرباب الفكر أيام

الموحدين فهذا أبو جعفر بن هارون الترجالي طبيب يوسف بن تاشفين قد تتلمذ لابي بكر المعافري في الحديث ، وكان شيخ ابن رشد في الطب والتعاليم واخصائيا في صناعة الكحل (أي طب العيون)[٢٤] ومما يدل على وحدة منهاج البحث في مجموعة من العلوم أن بعض الأطباء استخدموا في دراساتهم طريقة الاسناد والتحري في ضبط النصوص والمقارنة والتنظير بين العناصر الخارجية لمقابلة التجربة بنظرية النص وهي منهجية لقنها لهم أساتذتهم في علوم الحديث ، وقد أشار علي بن ميمون في تأليف له الى أنه ما رأى مثل فاس ومثل علمائها في حفظ نصوص كل علم مثل المنطق والتوحيد والبيان والطب وسائر العلوم العقلية ملاحظاً أنها تفوقت في ذلك على تونس والشام والحجاز ومصر ومعززا وجهة نظره بالمشاهدة والعيان[٢٥] . وقد ألف الامام السنوسي شارح البخاري شرحاً على رجز ابن سينا في الطب وشرحاً كبيراً على الحوفية في الحساب والرياضيات ألفه وهو ابن تسع عشرة سنة (نيل الابتهاج ج ص ٣٥٣) . وبهذه المشاركة تبلور الفكر الاسلامي العلمي فشمل كل مجالات المعرفة ووازن بين نتاج التجربة العملية من جهة ونتاج الفكر النظري بما ينطوي عليه من عقل ونفس وقلب وروح كمدارك تجمعها «لطيفة ربانية» تشمل أيضاً الوجدان الى جانب الحدس والالهام وبذلك اكتملت نظرة الباحث المسلم الذي انطلق من توازن ذاتيته التي ازدوج فيها الجسم (أو المادة) والروح . وقد وجد الأطباء في الطب النبوي حقلا خصباً جعل ببادرات سبقت الكشوف العلمية من ذلك قوله عليه السلام : «ان هذا الطاعون رجز سلط على من كان قبلكم أو على بني اسرائيل فاذا كان بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه واذا كان بأرض فلا تدخلوها[٢٦] . أما قوله عليه السلام (مسلم ص ٣٠) : «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» فيقابله قوله عليه السلام «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وما ورد في صحيح مسلم (ص ٣١) من أن أبا هريرة كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «لا يورد ممرض على مصح «وكان يحدث كلتيهما ثم صمت عن قوله لا عدوى ولا طيرة الخ . وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح وعلق أبو سلمة على ذلك فقال : «لا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر .

وقد كان أبو العباس النبطي أحمد بن محمد بن مفرج الاشبيلي المعروف بأبي الرومية أو ابن العشاب «اماما في الحديث حافظاً نافذاً» قام على الصناعتين لوجود القدر المشترك بينهما — كما يقول ابي الخطيب في (الاحاطة) — وهما الحديث والنبات اذ موادهما الرحلة والتقييد وتصحيح الأصول .

وهنا ننتقل الى علم النبات لنعطي نظرة عن منهجية علمائه فقد درس (النبطي) الأعشاب في محاولات شخصية دون اعتماد على النصوص الكلاسيكية مثل كتب (ديسقوريوس) و(جالينوس) واقتبس منه تلميذه الأندلسي ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع وقد رحل الى الشرق عام ٦١٣ هـ بعدما درس أعشاب الأندلس والمغرب ودعاه الملك الأفضل للاستيطان بالقاهرة فأبى وعند وصوله الى مصر لم يكن قد مر على وفاة موسى بن ميمون سوى القليل ، وقد اقتبس ابن ميمون هذا خلال مقامه بفاس الكثير مما نقله الى مصر حيث حاول بلورة الفكرين الشرقي والغربي في أبحاثه .

وقد كان ابن البيطار أعظم نباتيي العرب[٢٧] لايضاهيه سوى الغافقي والشريف الادريسي والنبطي ورشيد الدين الصوري الذين درسوا كلهم الطبيعة ووسعوا دائرة المعلومات البشرية بتجاربهم وأبحاثهم وقد تنقل ابن البيطار في جبال الشام صحبه رسام كان يصور له الأعشاب وهذا مظهر جديد لمنهجية العرب في العلوم الطبيعية استأنسوا بها في «مسالكهم» عندما حددوا أيضا الأطوال والعروض الجغرافية بدقة تحدوا بها ما وصل اليه العلم آنذاك ، وقد خلف لنا ابن البيطار أعظم مجموعة في هذه العلوم وقد رحل الى الشرق عام (١٢١٦ م) ومر ببلاد اليونان والمغرب حيث سجل ملاحظات شتى حول الأعشاب والاسماء البربرية التي اندرجت منذ ذاك في القاموس العربي فكانت تلك وسيلة دقيقة للتعرف بالضبط على نوع وخواص النبت المقصود حتى لا يختل مع غيره وذلك انطلاقاً من الصورة أولا ثم من الفحوى الناتجة عن مقارنة التعريفات في كل لغة وهذه العبقرية الفذة هي التي حدت الملك الأفضل الى تعيين ابن البيطار المغربي رئيسا لعشابي مصر القاهرة وكذلك الكامل بن العادل (النفح ج ٢ ص ٦٨٣) ولم يهمل ابن البيطار نتائج تجاربه ركزها في جزازيات بتعاون مع تلميذه ابن أبي اصيبعة علاوة على الرسام المذكور حيث رتبها على حروف المعجم وصنفها الى أشجار وجنبات وأعشاب وأزهار اسوة بشيخه النبطي الذي رتب أيضا كتابه في الحشائش على حروف المعجم وواجه سيلا من التلاميذ والمعجبين عندما فتح دكانا لبيع الأعشاب باشبيلية حيث توفي عام ٦٣٨ هـ/[٢٨] فلذلك حمل علماء النبات في الشرق أسماء متعددة هي العشابون والشجارون والنباتون والحشائشيون (التذكرة التيمورية) .

وعنصر آخر في منهجية البحث عند ابن البيطار هو عدم الاكتفاء بتنقيباته الخاصة بل حاول دعمها واكمالها بالتجارب التي أجراها زملاؤه قبله في مختلف الأقطار كالغافقي والزهرواوي والادريسي وعبدالله بن صالح الكتامي الذي كتب أيضاً عن أعشاب الأندلس والمغرب وخاصة أرباض فاس[٢٩] ولذلك استوعب كتابه «جامع المفردات» ألفي وصفة من أوصاف العقاقير فكان أكمل وأوسع ما صنفه العرب في الطب .

و (كتاب الأدوية) للشريف الادريسي الذي أشار اليه ابن أبي أصيبعه صورة حية للأسلوب التجريبي أيضاً فهو حامل بالملاحظات الشخصية التي اقتبس منها ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه في الأعشاب[٣٠] ، واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعاً[٣١] وقد ترك لنا وصفا دقيقاً عن حشائش المغرب وأعشابه معرفاً اياها أحياناً بأسمائها البربرية فراراً من اللبس وامعاناً في التوثيق والشريف الادريسي هذا مغربي صميم خلافاً كما ذكره الحسن بن محمد الوزان من أنه ولد في صقلية[٣٢] وما توهمه أيضا من وفاته عام/١١٢٢ م في حين أنه انتهى من تأليف كتابه (نزهة المشتاق) عام ٥٤٨ هـ/١١٥٤ م .

وقد عرف المغرب في عهد بني مرين أزهر عصوره في تشييد المدارس أي أحياء الطلبة للتفرغ للبحث والدرس ، وقد أكد ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن[٣٣] أن أبا الحسن أنشأ أول مدرسة هي مدرسة الحلفائيين (وهي مدرسة الصفارين الحالية) عام ٦٧٠ هـ بينما أسس أبو سعيد مدرسة العطارين ومدرسة المدينة البيضاء ومدرسة الصهريج ومدرسة الوادي

ومدرسة مصباح ، وقد والى أبو الحسن اقامة المدارس في المغارب الثلاثة حيث انبسط الحكم المريني ، والمدينة البيضاء هي فاس الجديد التي أقام فيها المولى محمد بن عبد الرحمن العلوي عام ١٨٤٤ م/ مدرسة للمهندسين أدرج فيها كمعهد للتعليم دراسة العلوم فاستحال بذلك مفهوم المدرسة كحي جامعي الى مفهومها كمعهد ومؤسسة تعليمية ، ولعل العامل الجوهري في تبلور المنهجية العلمية الصحيحة بفاس حوالي ٦٢٠ هـ/ أي بعد مرور بضع سنوات على ظهور المرينيين (عام ٦١٣ هـ/ هو أن حاضرة المغرب الاسماعيلية أصبحت آنذاك مجمعاً لعلم القيروان وقرطبة حيث رحل علماء المدينتين متخذين مقراً لهم هذه المدينة التي أصبحت تسمى (بغداد المغرب) ومعنى ذلك أن معطيات الفكر العلمي التي كيفت منهجيات الدراسة والبحث منذ القرن الرابع الهجري في افريقية والأندلس قد تجمعت وتبلورت بفاس لتعطي أروع نتاجها لذلك اعتبر (باديا ليبليش) المعروف بعلي بأي العباسي مدينة فاس بمثابة (اثينة افريقيا) التي هي عاصمة الفكر اليوناني كما اعتبر القرويين أول جامعة في الدنيا (رحلة ص ١٢) . كما وصف الدكتور (رينو) مدينة فاس بمهد الحضارة التي تجلب العلماء والطلبة من العالم أجمع «ملاحظاً أيضا أنها كعاصمة اثينة بالنسبة للاسلام» حيث كانت تدرس جميع العلوم والفنون والآداب[٣٥] . وقد لاحظ (دوكامبو) أن جامعة القرويين كانت ملتقى الأجانب من مختلف الجنسيات والأديان[٣٦] . وقد أشار (كابريال شارمس)[٣٧] الى «عصر المجد الذي كان المغرب فيه ملتقى جميع العلوم وجميع الفنون التي تنتشر من هنالك في أوربا معرجاً على مدينة فاس التي يرى معظم مسلمي افريقيا أنها أعظم مدينة مقدسة بعد مكة نظراً لأصلها وللدور الذي قامت به في تاريخ الاسلام حيث كانت مركز القوة العربية عندما كان نورها يتالق وحتى عندما أصبحت مراكش عاصمة المغرب السياسية كانت فاس بمعاهدها ومساجدها عاصمة الغرب الاسلامي فكرياً وأدبياً بل ان مدارسها كانت طوال مدة مديدة أولى مدارس العالم (ص ٢٩٧) وهنا في هذه المدينة «انبثق ما يسمى بالحضارة الغربية التي أشع نورها في اسبانيا» فأضاء جوانب أوربا المتوحشة» (ص ٢٩٨) . ولكن «ملكة العلم والتعليم» كما سماها ابن خلدون وهي طريق النظار لم يعد لها وجود في نظره في المائة الثامنة من الهجرة وهي عصر ابن خلدون وابن الخطيب وهو يقصد التمكن في المشاركة دراية ورواية أي فهما وحفظاً أو تجربة ونظراً بحيث بدأ التوازن يختل في عنصري منهجية البحث وهما النقل الصحيح انطلاقاً من النص والتمحيص الدقيق لمعطيات الوجود والكون أي التجربة العملية الرصينة التي تتلمس في تؤدة وعمق وشمولية مدى انطباق الفكر والنظر على الواقع .

ومهما يكن فان نكبة أبي الحسن بأفريقية وطريف بالأندلس وتوالى الأزمات الاقتصادية والأوبئة التي جرفت بالعالم أجمع آنذاك وكابد المغاربة من جرائها المرائر فانتشر الفقر والمرض وانتكس العمران وهلك العلماء وكادت تندرس معالم العرفان تم في آخر القرن الثامن تبدلت — كما يقول الناصري —[٣٨] أحوال المغرب بل واحوال المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس وما لوفاتهم وازيائهم «وذلك حسب ابن خلدون نظراً لما» نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الحيل وطوى كثيراً من محاسى العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداهها فقلص من

ظلالها وفل من حدها وأوهى من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمطار المصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه » وهذا العصر هو عصر ابن الخطيب الذي قال فيه (رينو)[٣٩] » ان دراسة عصر ابن الخطيب مفيدة للطبيب لأنها عصر الطاعون الأسود والأكبر الذي هلك فيه حسب المؤرخين ثلث سكان المعمور» وأضاف الدكتور (رينو) الى ذلك أن الأطباء المغاربة صنفوا مؤلفات في علل هذا الداء وطرق علاجه وهذا الملحظ يبرز لنا البحاث المغربي منكباً في مكتبه أو عيادته يمحص وينقب غير مشتكين لحوافز الانهيار التي جرفت بزملائه محاولا استكناه أصل هذا الطاعون والكشف عن أسبابه لوصف ما يمكن أن يستأصل شافته أو يحدد على الأقل من لأوائه .

وهذه خاصة تعد من ضروريات النجاح في استكمال البحوث والكشوف والواقع أن الفكر العلمي العربي بدأ يتحجر لا لعوامل ذاتية بل تحت ضغط ظواهر خارجية عجلت في الشرق أيضا بعصر الانحطاط العلمي منذ أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع على اثر السيول التي حكمت معالم المدينة تحت سياط (جنكيزخان) و(تيمورلنك) الذي واكبه في المغرب غزو البرتغال لجيوب استمر احتلاله لها أزيد من ثلاثة قرون بعد أن استولى على سبتة عام ٨١٨ هـ/١٤٧١ م ثم قصر المجاز ٨٦٢ هـ/١٤٥٧ م ثم طنجة ٨٦٩ هـ/١٤٥٤ م ثم أصيلا عام ٨٧٦ هـ/١٤٧١ م ثم الجديدة والبريجة في حدود ٩٠٧ هـ/١٥٠١ م والعرائش عام ٩١٠ هـ/١٥٠٤ م وآسفي عام ٩١٢ هـ/١٥٠٦ م وأزمور عام ٩١٤ هـ/١٥٠٨ م ثم المعمورة والمهدية حوالي ٩٢٠ هـ/١٥١٤ م وقبيل ذلك بنحو العقد من السنين كان المستعمر قد بسط نفوذه على أكادير وما اتصل بها من سواحل السوس فلم يبق من الثغور سوى سلا والرباط وهذه هي المرة الأولى التي كابد فيها المغرب غزوا أجنبياً في مثل هذه الأهمية منذ الفتح الاسلامي فطويت صفحة في شمال المغرب على أثر سقوط سبتة التي ازدهرت فيها الفلسفة والطب ومختلف العلوم[٤٠] .

وقد لاحظ لوكلير[٤١] أنه امكن في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعين عالماً نصفهم من الأندلس لا يوجد بينهم طبيب مشهور لقلة الأصالة وللاقتصار على الجمع والتأليف» .

وعندما أعاد الملوك السعديون وحدة البلاد بعد الفوضى التي أقحمته فيها حروب آخر ملوك بني مرين انبعث المغرب فكريا وقد تحدث ليفي بروفنصال[٤٢] عن نهضة المغرب من الوجهة الأدبية مبرزاً أنه من الغريب أن لا نجد مثل هذه النهضة في العلوم الطبية «والواقع أن الفكر العلمي التجريبي تقلص في هذه الآونة وحتى الأطباء الذين برزوا خلال هذه الفترة كانوا من النوع الذي توازنت عناصر تكوينه العام دون اختصاص علمي دقيق من هؤلاء عبد الرحمن سقين القصري الفاسي (٩٥٦ هـ/١٥٤٩ م كان مشاركاً في الحديث والأدب والتصوف يقرىء (الفية ابن سينا) في الطب بجامعة القرويين[٦] وعبد الوهاب الزقاق (٩٦١ هـ/١٥٥٣ م الذي شارك في الآداب والأصلين والطب والتفسير والحديث والنحو، وأحمد بن عبد الحميد

المعروف بالمريد المراكشي الذي كان اماماً في جميع الفنون حكيماً ماهراً في الطب (١٠ هـ/١٦٣٨ م[٤٤]) وهذا لم يمنع ظهور عالم فذ اختص في الطب والنبات هو أبو القاسم الوزير الغساني صاحب (شرح حميات ابن عزرون) و(حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار ألفه للسلطان المنصور السعدي عام ٩٩٤ هـ/١٥٨٥ م[٤٥]).

والواقع أن رجز ابن عزرون موسى بن اسحاق هذا الذي شرحه أيضاً أبو الفضل محمد العجلاني[٤٦] ومحمد بن يحيى اللمتوني إنما هو تكميل لا رجوزة ابن سينا في الطب ولكنه محاولة من الطبيب المغربي لتعريف المغاربة فيه بنظريات الأقدمين وأطباء العرب مع اضافة معلومات تكميلية في أنواع الحميات ووسائل علاجها ونفس طابع الأصالة يتجلى في منهجية كتاب (الحدائق) الذي تحدث عنه الدكتور (رينو)[٤٧] فأشاد بالمنهاج الواضح الذي امتاز به في الوصف النباتي «الذي يتسم غالباً بطابع الأصالة والطرافة لإشارته الى منابت الأعشاب بالقرب من فاس ولتوفره على معلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بهذه المنطقة مع محاولة لترتيب ثلاثي يدخل عنصراً جديداً في وصف أعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية». كما جلى محمد الأندلسي الصوفي صاحب الطائفة الأندلسية (٩٨٠ هـ/١٥٧٢ م) في الكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة[٤٨].

ولكن العنصر الجديد هو أن العطاء العربي في المغرب بدأ يتقلص حيث تحجرت مناهج البحث بل انقلبت كفة التوازن واندرج في سلك أطباء البلاط السعدي أطباء أجانب مثل:

١) كيوم بيرار الطبيب الجراح الفرنسي الذي كانت ثقافته العلمية مع ذلك متواضعة[٤٩].
٢) (كريسطوف داكوسطا) الطبيب النباتي الذي ولد بسبتة ثم جال في آسيا عام ١٥٧٨ م/٩٨٢ هـ[٥٠].
٣) الطبيب (دوليل) قنصل ملك فرنسا (هنري الرابع) الذي عوضه الطبيب (هوبير) استاذ اللغة العربية بباريس (ص ٤٩٩).
٤) الطبيب (اندرياس كاميليلو) الاسباني.

وقد أسس الرهبان الاسبان في فاس ومكناس وسلا وتطوان مستشفيات لمعالجة النصارى والمغاربة معا[٥١]. واتسمت العلوم التطبيقية كالصيدلة بالعقم حيث لاحظ الحسن الوزان أن العقاقيريين بفاس أصبحوا غير قادرين على تركيب الأثرية والادهان طبقاً لما يصفه الأطباء فيجتمعون كلهم لاعداد المستحضرات وهذه الظاهرة تتم على الأقل عن أمانة واخلاص للمهنة، غير أن الرصانة الحضارية ومناعة التقاليد السليمة كان لوازمها الموصولة بالرغم عن فوضى الفكر وهلهلة المنهج وانخفاض المستوى الاجتماعي قلة الوفيات حيث ظل معدل التعمير متراوحاً – كما يقول الحسن الوزان – بين ٦٥ و ٧٠ سنة بل يرتفع في الأطلس الى ما بين ٨٠ و ١٠٠ سنة[٥٢].

وإذا كان العهد العلوي قد اتسم بنوع من الازهار في العلوم النقلية والعقلية خاصة في رحاب جامعة القرويين فإن الدراسات العلمية أمست سطحية بل اندرس التعليم الرسمي للطب

والعلوم أواخر القرن الماضي(٥٣) وان كان العلماء ظلوا يعتنون بكتب الطب الكلاسيكية إلا أن الروح العلمية التجريبية وحتى التطبيقية الصحيحة تقلصت فأصبح المغرب في الحقل الطبي مثلا يتأرجح بين ممارسات العجائز والحجامين الذين يتقنون الفصد وجبر الأعضاء المكسرة والطلبة الذين يقضون بضعة أشهر في أوربا ويحملون معهم أدوية يسيئون استعمالها نظراً لعدم الضبط في وصفات العلاج ولما أبرزه (رينو) (ص ١٢٨) من غموض في المعلومات «حول أسباب الأمراض وخواص الأدوية المفردة» وهذا لم يمنع طبعا من استمرار وجود رواسب لمهارة علمائنا الأقدمين تركزت في بعض التطبيقات التقليدية مما جعل بعض الأطباء الجراحين يتسمون بحذق في اجراء عمليات التشريح الصغرى التي لم تكن تتمخض عن مضاعفات ناتجة عن التعفن أو الاصداد والتقيح بسبب استئناس عامة الناس بتقاليد طبية كتضميد القروح بالزيت الغليان أو القطران الساخن والحناء والفحم وصمغ الصنوبر لاستئصال جراثيم التعفن أو مقاومة النزيف بالصوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين ودقيق الفول في اللفافات الضاغطة أو محاولة التئام الجروح بخياطة حافتي الجرح في شكل منحرف ، ثم جبر العظام المكسرة بعملية الدلك الذي أكد (رينو) أن المغاربة سبقوا فيه كشوفات (لوكاس شامبيو نيير) حيث كان الطبيب يصف في كسر العظام حب (ايلان) الغني بمادتي الفوسفاط وكاربونات الجير كما يوصي لايقاف داء الفتق بآلات من جلد أو ثوب محشو بالصوف من استخدام الكي دائماً في الأمراض الباطنة وكثير من العمليات الجراحية (ص ١٣٤) وقد لاحظ (كودار) في كتابه(٥٤) أن الكي أعظم دواء للجراحات بالمغرب ، وقد نجح المغاربة حيث أخفق جراحون فرنسيون أشاروا بقطع العضو المجروح في حين انكار المغاربة الى كي العضو بحديدة محماة ، وقد وصف أطباء غربيون بعض المظاهر التطبيقية الرائعة في أساليب العلاج وتحضير الدواء حتى خلال فترة التحجر المنهجي فتحدثوا عن تبنيج المريض أثناء العمليات الجراحية بالسيكران وهو عشب مخدر وكذلك جوز الطيب في عملية الختان وظلت طريقة التطبيق منطلقة كما كانت من الثالوث الكلاسيكي أي علم الطبيعة وعلم الصيدلة وعلم الطب وهو ثالوث كان للمغرب فضل تنظيمه على أساس علمي وبذلك أمكن مثلا تشخيص الداء ووصف الدواء اعتباراً من هذا التشخيص والاستمداد من علم الأحياء الانتقاء أصلح العشب أو المعدن استجابة لدواعي المرض وقد أخذ الدكتور (رينو) أن الطبيب الجراح الحسن ركب دواء من السيكران والكبريت يكون البخار المتصاعد من طبخه بمثابة مخدر يستمر تأثيره أربعاً وعشرين ساعة (رينو) كما لاحظ الدكتور (مكيريز)(٥٥) بالجزائر أن الأطباء المغاربة كانوا يستخدمون وسائل الايحاء والتنويم في معالجة مرضاهم واجراء عمليات جراحية لهم بحيث يتوصلون الى درجات شتى من التنويم لا تختلف عن الأساليب المستعملة عند الاوربيين منها تعليق زجاجة لامعة أمام المريض فينام بينما المباخر ترسل روائح العطر والعود(٥٦) كما حلل (كوادر) في تاريخه(٥٧) عمليات التنويم التي أشار إليها الدكتور (ميكيريز) وهي وضع زجاجة فوق طاولة مغطاة بخوان أبيض يتلألأ وراءها مصباح فيجلس المريض على مسافة قريبة مصوباً نظره نحو الضوء فيشعر بتثاقل وبعد بضع دقائق ينام وتتسارع دقات قلبه ويحرق البخور في الغرفة فيفقد النائم احساسه على أن بعض التخصصات قد امتاز فيها أطباء المغرب الى ما

قبيل الحماية الفرنسية ١٣٣١ هـ/١٢١٢ م كالأوجاع وأمراض العيون والحميات كذلك وطب فن الاسنان الذي أكد (رينو) ممارسته بمهارة كبرى (ص ١٢٢) في المغرب .

ولم تكن عناصر هذه المنهجية تحيد بكثير عما وصلته أوربا حيث كان أطباؤنا يستمدون من (علم الاحياء) طريقة رصينة لاستخدام بعض الحيوانات في معالجة الأمراض وهو نفس ما يستعمله الغربيون[٥٨] وقد صدر في القرن الماضي كتاب لبعد الرزاق بن محمد بن حمادوش الذي حج عام ١١٣٠ هـ/١٧١٧ م اسمه «كشف الرموز في شرح العقاقير والاعشاب» مرتباً على الحروف ومحتوياً على نحو الألف عشبة كما صدر لنفس المؤلف كتاب «تعديل بحسب قوانين العلاج» وقد أشار ابن حمادوش في (كشف الرموز) الى خواص بعض أعضاء الحيوانات في العلاج منها استئصال داء الكلب بمثقال (جرام) من كلية الكلب العقور بمجرد قتله وهي نظرية أشار الى جدواها الدكتور (فزانتزان) حيث لاحظ[٥٩] أن مرارة الكلب العقور تحتوي على مادة مضادة لجراثيم داء الكلب ويستعمل الكحالون (أطباء العيون) أيضا أعضاء حيوانية خاصة في مرض العين منها خلاصة الكبد واكياس ما فوق الكليتين وقد استخدمها الدكتور (باطيس) في (نيويورك) ضد التهاب القرنية الملتحمة وكذلك الدكتور (ضور) في مدينة (ليون) والدكتور (دراي) في (باريس)[٦٠] على أن لهؤلاء الكحالين مهارة في معالجة أنواع الرمد بأساليب وضعوها فاستطاعوا بها ازالة غشاوة العين المانعة من الابصار بل نجحوا في عمليات أصعب من ذلك[٦١] . وقد صنع اطباء الأسنان أدوات وآلات خاصة لقلع الأضراس والثنايا المسوسة ذكر (رينو) مجموعة منها (ص ١٣٥) كما مهر الطبيب المغربي في معالجة قروح الأذن حيث مارس عمليات خطيرة كللت بالنجاح . وقد وصف طبيب مختص هو الدكتور (بنسيمون)[٦٢] جدوى منهجية الطب التقليدي بالمغرب في عدة حالات لم يعد نزاع في جدواها — على حد تعبيره — منها أن المصاب بالحصبة أو الحميرة (بوحمرون) كان يجعل في غرفة يكسى فراشها وجدرانها وأغطيتها بلون أحمر وهي طريقة في العلاج لا يزال يستعملها الدكتور (شاطينير) الذي لاحظ أن الفضل يرجع إليها في تخفيف تفجر الحميرة والحمى وتدارك الاستعصاءات .

وقد تأخر علم البيطرة في القرن الماضي رغم توفر بياطرة في جميع المدن كان لهم معرفة ببعض الأمراض الحيوانية بل لهم اختصاص في أدواء الافراس والبغال والحمير والجمال يستعملون فيها بالاخص الكي والفصد والخصاء وقد لاحظ (رينو) بمزيد من الدهشة استعمال البيطري المغربي للتلقيح ضد مرض منتشر عند المعز وهو المعروف بالبيور وقد ساق رينو (ص ١٧١) ستة وثلاثين نوعا من الأمراض التي تصاب بها الدواب وكذلك أنواع الماشية مثل البقر والغنم والمعز مع الأودية المركبة لعلاجها من طرف البياطرة المغاربة .

واذا كان المغرب قد سلم من كثير من الاوبئة التي عرفتها أوربا في القرن الماضي كالحمى الوبائية والحمى الحصبية او قلت فيه الاصابات بالدفترية أو التفويد[٣٦] فإن ذلك ليس راجعاً الى علاجات وقائية بقدر ما هو راجع الى طبيعة المناخ ، وكذلك أسلوب العيش لدى المسلم المغربي بقطع النظر عن المستوى الاجتماعي وكان لحسن التربية التقليدية أي منهجية علماء

التربية أثر في المناعة الوقائية حيث كان السل نادراً ولم يظهر الوباء منذ ١٢٣٤ هـ/١٨١٨) كما ظهرت الكوليرا (بوكليت) لآخر مرة عام ١٣١٣ هـ/١٨٩٥ م وكان أول ظهورها عام ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤ م فاستعمل الطب المغربي لمكافحتها زيت الزيتون المصلح بجدوى (رينو ٨٦) ثم تفشت عام ١٢٧٦ هـ/١٨٥٩ م منحدرة من (اسبانيا) وكذلك عام ١٨٦٥ حيث استؤصلت بتدابير صارمة اتخذها المخزن في المعزل الصحي بالصويرة حيث طرد البواخر الواردة من الأقطار المنكوبة بأوربا .

وقد عرف المغرب إبان الحماية مجاعات واوبئة رغم وسائل العلاج والوقاية المتطورة وكان الجدري يظهر كل سبع سنوات تقريباً فيلقح بحقن جراثيم بثور ودماميل الفحل أو الناقة أو باستعمال الكبريت والملح مع الاخلاد الى الراحة في مكان مظلم . واذا أردت أن تعرف سر ذلك فاقرأ كتاباً صنف في نفس السنة لمؤرخ هو (موليراس) اسمه (المغرب المجهول) حيث لمس الكاتب الرحالة من خلال تطوافه بمختلف قبائل شمال المغرب المظاهر الحضارية التي رسمها الاسلام بسمات الروعة والعمق والفعالية ومن ذلك الطهارة التي هي احدى دعائم الاسلام والتكافل الاجتماعي الذي كان يجعل من المواطنين ذاتاً واحدة رغم ضعف الوازع الديني في نفوس الكثير منهم مما أدى الى نوع من التضامن أسفر عن تضاؤل المجاعات المؤدية الى سوء التغذية وانتشار الأمراض فبينما لم يعرف المغرب منذ ١٠٢٣ هـ/١٦١٤ م طوال ثلاثة قرون القحط والمجاعة إلا ثماني مرات أي مرة كل خمس وثلاثين سنة تقريباً(٦٤) لاحظنا تفشي المجاعة في جنوب المغرب إبان الحماية بصورة أودت بحياة أزيد من مليون نسمة .

وكانت المنهجيات العلاجية العلمية تعزز بوسائل وقائية ادارية كوجود لجنة صحية في كافة مدن المغرب تسهر على سلامة الصحة العمومية وطهارة المدينة وتموين الاسواق وجلب الماء كما كان المخزن يؤسس المحاجر الصحية للحيلولة دون تسرب الاوبئة من خارج المغرب كما ويحاصر في الداخل انتقال العدوى فمنذ أزيد من ثلاثة قرون أي عام ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨ م وقف الحراس من العبيد على (مشرع سبو) وغيره — عندما ظهر الطاعون بمكناس والقصر الكبير — يوقفون الواردين على فاس ومكناسة كما أمر السلطان بتحريق ما بسوق الخميس(٦٥) كما كان محظورا نقل جثث الموتى من خارج المدن الى داخلها حتى في الأوقات العادية . ورغم تضاؤل الاصالة في المنهجية العلمية ظهر أطباء وعلماء أمثال عبد الوهاب ادراق (١٠٧٦ هـ/١٦٦٥ م الذي نظم ارجوزة في حب الفرنج (الزهري) والجدري وقد ورد في كتاب (الاقنوم في مبادىء العلوم) لعبدالرحمن بن عبدالقادر القاسي (١٠٩٦ هـ/١٦٨٤ م) ٢٨١ فصلا حلل فيها علوم عصره منها ستة فصول خصصها للطب والتشريح والبيطرة والزردقة (أو طب الحيوان) والصيدلة وطرائق العلاج (يوجد مخطوط في خع في مجلدين) وقد أفرد أبو زيد هذا علم النبات برسالة سماها (تفسير الأعشاب) .

ولاحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج (١٣١٦ هـ/١٨٩٨ م) كتاب (الدرر الطبية المهداة للحضر الحسنية) خصصها لمبادىء الطب والطبائع وضروريات الحياة (الهواء والاغذية والأشربة) والادوية المفردة والامراض وطرق علاجها والخواص الطبية .

وقد لاحظ (رينو)[٦٦] أن ابن الحاج أعطانا للمرة الاولى في تاريخ المغرب تقسيما فنيا للادوية[٦٧].

وقد أصبح للمغرب منذ ذلك قاموس طبي ما فتىء يتضخم منذ ذلك، وقد وصف (رينو) الارجوزة الشقرونية لابن شقرون المكناسي) بأنها اسهام في بلورة المصطلحات التقنية في هذا المجال. ولكن في بداية هذا القرن انبثق نموذج جديد في شخص الطبيب والنباتي والصيدلي عبد السلام العلمي الذي بعثه الحسن الأول لدراسة الطب بالقاهرة فحاول وصل تراث المغرب بتراث المشرق بتحديثنا عن علماء مصر المعاصرين وبتوليف رصيد الفكر العربي من خلال خمسين مصنفاً تمثل خلاصة المنهجية العلمية في شتى العروبة فقد درس عام ١٢٩١ هـ/١٨٧٤ م الاسبطالية الكبرى بالقصر العيني الذي أسسه الخديوي محمد علي عام ١٢٤٣ هـ/١٨٢٧ م، فكانت البادرة التي دغدغت فكره لأول وهلة والتي تنم عن اهتمامات الفكر العربي وخاصة المغربي أوائل هذا القرن — هي تأليف كتاب حول «الاسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة» لتفسير المصطلحات التقنية في العلوم العصرية الدخيلة في العربية ولكنه اقتصر على جانب من هذا العمل الموسوعي الشامل تبلور في كتابه «ضياء النبراس في حل مفردات الانطاكي بلغه فاس» (الذي طبع عام ١٣١٨ هـ/١٩٠٠ م حيث أضاف مفردات بربرية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية.

فهذا الكتاب يشكل بمتين تحليلاته نقطة تحول في منهجية تاريخ العلم عامة والطب خاصة حيث حاول التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في الشرق والغرب مصححاً أغلاط سلفه ومنظراً بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر والطرائق المنهجية عند أطباء المغرب وصيادلته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة باوربا وامريكا ويأتي أحياناً بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والافرنجية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد والتقطير وتطبيقاته وتجارب شيوخه بمصر واسهامه الشخصي في هذه التجارب كتصبير الحيوانات لدراستها وتحضيرات المعمل الكيماوي وعندما عاد الى فاس أقام مصحة على نمط جديد قرب الحرم الادريسي بفاس واصل فيها تجاربه طوال ثمان عشرة سنة (توفي عام ١٣٢٣ هـ/١٩٠٥ م) فأتم كتاب (ضياء النبراس) ووضع (مفتاح التشريح) ورتب تذكرة الانطاكي على الأمراض بدلا من الحروف على النمط العصري لتسهيل البحث عن أسلوب علاج مرض مخصوص مخللا ذلك بنماذج من المنهجية التقنية الحديثة كأسلوب تقطير مخلوط النوشادر بجهاز (ولف) وتقسيمات الطب الى أمراض باطنة وتشريح هيكلي وعضلي ومفصلي وتشريح عصبي وتاريخ طبيعي وكيمياء طبية واقرباذين (صيدلة) وطب الرمد وأمراض الجلدية وداء الزهري وأمراض النساء والأطفال وعلم الحيوان وكيمياء المعادن الخ.

ولم تكن هذه النواة من المنهجية الحديثة مجرد امتداد لتطبيقات تقليدية فقد وصف لنا الدكتور (رينو) مشهدا من المشاهد الجامعية في ٨ شوال ١٣١٠ هـ/١٨٩٢ م حيث اجتمع أربعة من علماء فاس لامتحان طبيب مغربي فانهالت عليه الأسئلة في «الطب وقوانينه وتركيب

الادوية وتقاسيم الشرايين ووظائفها وعددها وعدد العظام وكيفية التمييز بين أنواع العصب والعضلات ومعرفة النباتات والأزهار والأعشاب الطبية وخواصها وأسمائها وطرق اذابتها والمواقيت المناسبة لوصفها للمرضى وبعد المداولة منحوا الطبيب الممتحن اجازة (٦٨) ومع ذلك فإن الطابع النظري أمسى مسيطرا على التعاليم حيث وصف لنا الدكتور رينو أيضا (ص ١١٧) مشهدا في (تالكزونت) بسوس حيث تابع خمسون طالباً تعليمهم في الطب بدون تطبيقات حول علاج المرض أو التشريح وكانت الدروس مجرد محفوظات ، ولذلك حاول الحسن الأول ارسال بعثات علمية الى أوربا مع تشجيع المؤسسات العلمية الاوربية بالمغرب كالمستشفى الاسباني بطنجة حيث تابع ستة طلبة مغاربة تمرينات في الفحص والتضميد والتشريح البسيط وقد مارس ثلاثة منهم التطبيب في الجيش واستفاد الناس من تجاربهم (٦٩) . والواقع أن الفكر العلمي تقلص بالمغرب أول هذا القرن وكان من أسباب ذلك جوارف الاستعمار الأوربي الجديد الذي أقام العراقيل في وجه النشء الصاعد فتسرب الدخيل الأجنبي كعنصر توطيني للاستعمار الفكري الذي تبلور في وجود اثنين وأربعين طبيباً بالمغرب أوائل هذا القرن مع عدة مستشفيات ركزتها البعثات البروتستانية في مختلف الحواضر وشلت بادرات المخزن وامسى المغرب يعيش ليومه وتوقفت البعثات الى الخارج وتحجرت دراسات العلوم بجامعة القرويين وروافدها وانفتح الباب على مصراعيه لغزو افتعلت أوربا أسبابه ومهدت باتفاقاتها السرية ضد مصر وليبيا والمغرب العربي الى سريان دائه الفتاك في مجموع دار الاسلام التي ما لبثت أن تفككت أوصالها تحت ضربات انهارت على اثرها الخلافة الاسلامية واسفرت الحرب الأولى عن فسيفساء من الدويلات والامارات التي شغلت احتكاكاتها ومحاذباتها الهامشة الفكر العربي والاسلامي عن مواصلة النضال في المسار الحضاري الذي كان للعرب فيه الدور المبدع الخلاق .

اما الهندسة والرياضيات فقد كان العرب — حسب سيديو أساتذة أوربا فيهما حيث أدرجوا الخطوط المماسة للدائرة في الحساب واستعاضوا عن الأساليب العتيقة بحلول مبسطة أصبحت أساساً في علم حساب المثلثات الحديث وقد لاحظ شال ( ) أن الفضل يرجع للعرب في تطبيق الجبر على الهندسة وتأكد ذلك عندما صدرت منذ عام ١٢٥٢ هـ/١٨٣٦ م مؤلفات لمحمد بن موسى الخوارزمي تحتوي على بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطريق هندسية وقد أبدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك وواصل الأندلس والمغرب كلاهما بلورة هذه المنهجية الرائدة . فظهر أمثال ابن حمزة لمغربي الذي استعمل في القرن الرابع طريقاً جديدة في اللوغريتم كما استخدم الحاج بعيش المالقي علم الهندسة في (الميكانيك) أو (علم الحيل) لصنع مقصورة عبد المومن بن علي في جامع القصبة بمراكش وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله ، كما صنع على التلمساني موقت القرويين (منجانة) مدرسة ابي عنان المريني بفاس عام ٧٥٨ هـ/١٣٥٦ م (٧٠) واستخدم عبيدالله بن يونس الاندلسي طرائق هندسية لاستخراج المياه من أجل سقي بساتين مراكش (٧١) وذلك في نطاق ما يسمى اليوم بالهيدرولوجيا كما استعمل أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة

الهندسة في البناء وهو ما يسمى اليوم بالهندسة المعمارية وذلك عندما «صنع البيلة والخصة» بصحن جامع القرويين عام ٥٩٩ هـ/١٢٠٢ م[٧٢] وقد تضخم عدد هؤلاء المهندسين المعماريين في عصر بني مرين حيث خرج السلطان يعقوب عام ٦٧٤ هـ/١٢٧٥ م الى ضفة وادي فاس» ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء فوقف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) حتى حدت وشرع في حفر أساسها[٧٣].

وقد عرف الرياضيون المغاربة علماً خاصاً هو (علم المساحات) ألف فيه أبو العباس بن البنا السعدي المراكشي (٧٢١ هـ/١٣٢١ م)[٧٤].

وضرب المنصور الذهبي المثل في هذا العمل الرائد حيث تضلع في المنطق والحساب والهيئة والهندسة فكان يفك كل يوم شكلا من مشاكل كتاب (اقليدس) (درة الحجال ص ٥١) علاوة على ضلاعيته في الجبر والمقابلة[٧٥]، وقد عرفت بمراكش في عصر ابن القاضي[٧٦] زمرة من الاختصاصيين في التعاليم عرفت بـ (جماعة الفنون) كان شيخها هو احمد التقليتي كما برع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن العلوي في الهندسة فكان يلقى دروسا تطبيقية فيها بمراكش ويحل اشكالها[٧٧]، ومن مظاهر التطبيقات الهندسية في الفلك والمساحات الآلة التي اخترعها محمد بن محمد بن سليمان الروداني (١٠٩٤ هـ/١٦٨٢ م) الذي كان نموذجاً لعالم مغربي شارك في مختلف التعاليم فبرز في (الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة) وكانت الآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف[٧٨]. وقد أصبحت لعلم الرياضيات في القرن الثاني عشر الهجري تطبيقات في علم الاقتصاد حيث صدر لمحمد المسناوي مرينو الرباطي (١٢٠٧ هـ/١٧٩٢ م) مؤلف في (تقدير قرض النفقات) «وضعه بعمل الرموز والارقام مرتباً على أطوار حياة المنفق عليهم»[٧٩].

ولم يتوقف العلماء مع ذلك عن ابداع الجديد في حقل الهندسة والرياضيات حيث وضع الرياضي الكبير محمد بن علي التركي الرباطي ما سماه بالشكل[٨٠] الكوري انتظمت فيه «سائر الزوايا في الخطوط والاشكال،»، كما تفنن الحيسوبي الفلكي أحمد بن عبدالله التناني الصويري في مختلف فروع الرياضيات فحل الكثير من الاشكال الهندسية ونقلها الى الأعمال الحسابية وكان رئيس الحيسوبيين والمهندسين في الحضرة الحنينية (أي فاس عاصمة الحسن الأول).

أما الفلاحة فقد برز فيها علماء أفذاذ اهتم معظمهم بهذا العلم كرافد للطب والصيدلة فدرسوا الاعشاب والعقاقير والاغذية الطبيعية وامتاز بعضهم بمنهجية أصيلة في البحث حيث كان ابن البيطار عبدالله بن صالح الكتامي ينتقل في الجبال صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وقد خلف لنا أعظم مجموعة في العلوم الطبيعية عند العرب وسجل بالمغرب بعد عام ٦١٣ هـ/١٢١٦ م ملاحظات شتى حول الاعشاب ضبطها على حروف المعجم[٨١] وعززها بما أفاده من رحلة ابن الرومية (وهو ابن العشاب) للمغرب وخاصة مدينة فاس وكان معلمه هو عبدالله بن محمد بن صالح الشجار الكتامي صاحب الدكان بمركش (٥٨٣ هـ/١١٨٧ م)،

وقد نالت أعشاب المغرب حظها من دراسة المحدث الطبيب النباتي الرحالة علي بن عبدالله الاشبيلي المعروف بغلام الحرة الذي جال في أقطار المغرب العربي وسجل أعيان الكثير من الحشائش والنباتات قبل رحلته الى الشرق .

وكانت التجربة والفحوص هي السمة البارزة في (كتاب الفلاحة) لابن العوام الاندلسي وهو كتاب لا يوجد له نظير في الأدب العربي بما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة ثمينة[٨٢] بل هو أعظم ما أنتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة (ص ١١٠) .

ولأحمد بن محمد الغافقي كتاب في الاعشاب يحتوي على ٣٨٠ رسماً ملوناً لنباتات وحيوانات متقنة الرسم[٨٣] ، كما للشريف الادريسي كتاب في الادوية أشار اليه ابن أبي اصيبعة مليىء بالملاحظات الشخصية اقتبس منه ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعاً .

وقد صنف أبو القاسم الوزير الغساني للسلطان أحمد المنصور السعدي عام ٩٩٤ هـ/١٥٨٥ م كتابه «حديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار» الذي ذكر الدكتور رينو[٨٤] أنه يمتاز بمنهاجه الواضح جداً في الوجود النباتي الذي يتسم غالباً بطابع من الاصالة والطرافة .

وفي علم الجغرافية والفلك عرف المغرب عالماً جغرافياً قام بدور طلائعي في وضع أسس علم الجغرافية الحديث وفي مقدمة هؤلاء الشريف الادريسي الذي رسم أول خريطة للعالم وكان بحق أستاذ أوربا في الجغرافية وقد طاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وفرنسا وانجلترا قبل أن يستدعيه ملك صقلية وهو أول من اكتشف أن النيل ينبع من بحيرات خط الاستواء في حين أن الاوربيين لم يكتشفوا ذلك إلا منذ عهد قريب[٨٥] .

وقد وضع لروجي الثاني ملك صقلية صورة كرة أرضية فلم يخطىء في تحديد الاهوال بين الاسكندرية وطنجة إلا في نصف درجة بينما غلط بطليموس قبله بألف عام في ثمان عشرة درجة ولم يعرف العالم طوال هذه الألف سنة عالماً جغرافياً في مثل ضلاعة الشريف الادريسي السبتي ، أما أبو علي الحسن بن عمر المراكشي (٦٢٧ هـ/١٢٣٠ م) فهو أحد أمجاد المغرب في القرن السابع : قام بتجارب أصيلة فقاس من المحيط الاطلنطيقي الى مصر ارتفاع القطب في إحدى وأربعين مدينة واقعة بين سبعمائة مرحلة في الساحل واليه يرجع التطوير في تخطيط المزاول الفلكية وقد لاحظ ماسينيون[٨٦] أن المراكشي جمع مائة وإحدى وثلاثين احداثية فلكية للمدن الاسلامية وضع أربعا وثلاثين منها بنفسه في سبع عشرة مدينة مغربية مر بها ولذلك كانت الخريطة الناتجة عن هذه المقاسات متقدمة بالنسبة لخريطة الشريف الادريسي حيث استطاع أن يوضح الاتجاه العام لشواطىء الاطلنطيك فكان أول جغرافي يرجع إليه الفضل في تخطيط خريطة المغرب ، وقد ضمن هذه المعلومات كتابه (جامع المبادىء والغايات في علم الميقات) في مجلدين مع رسوم هندسية وجداول[٨٧] وهنالك جغرافي مغربي ثالث هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي

(٩٥٧ هـ/١٥٥٠ م) فقد زار بلاد فارس والتتار والاستانة وافريقيا (مصر والصحرا) وعاش بفاس ككاتب في مستشفى المجانين وصنف بالايطالية كتابه (وصف افريقيا) عام ٩٣٤ هـ/١٥٢٧ م ترجمه الى الفرنسية وصدر بالعربية بتحقيق الدكتور جمال زكريا قاسم. كما صنف قاموساً عبرياً لاتينيا ألفه بروما عام ٩٣٠ هـ/١٥٢٤ م (مخطوط بالاسكوريال ٥٩٨) وولي نعمته بفاس هو السلطان محمد البرتغالي.

وقد كان التقسيم الجغرافي للحسن الوزان (كما يقول ماسينيون)(٨٨) منبثقاً عن الجغرافية الاحيائية والاقتصادية وذلك للمرة الاولى في تاريخ هذا العلم وهو تقسيم أسمى من التقسيم العربي الى الأقاليم»(٨٩).

ومن أبرز ما حققه علماء المغرب من بادرات ذات أهمية دولية قيام ابن رشد بالكشف عن (العالم الجديد) أي امريكا حيث اعترف (كريسطوف كولوب) نفسه بأنه لم يشعر بوجود قارة يابسة وراء المحيط إلا بعد أن قرأ كتاب (الكليات) في الطب لابن رشد(٩٠).

وقد امتاز الفكر المغربي في الدراسات الاسلامية بنوع من الانتقاءات الأصيلة يدعمها في شتى المجالات ابتكار وابداع.

فقد استظهر المغاربة القرآن بكامله على كل المستويات فأسست كتاتيب في السهل والجبال والمدن والقرى لتحقيقه بالقراءات السبع. ونظم الشعب بكل طبقاته تلاوته في المساجد في شكل «أحزاب» مرتبة على أيام الشهر مهدواً لها بقواعد رصينة للتجويد مع وضع طريقة فطرية لوقف آية القرآن تجمع بين اعتبارين اثنين هما المفهوم والنفس الطبيعي. وقد شعر رجالات المغرب بأسبقية الشرق في علوم القرآن فقننوا التفسير الذي لم يكن يتصدى له إلا علماء افذاذ باذن خاص من أمير المؤمنين فأمر المنصور السعدي أولا باختصار «الكشاف» للزمخشري مع تتبع سقطاته حفاظاً على صفاء العقيدة ثم بجمع تفسير ابن عرفة من تفسيري تلميذيه البسيلي والسلاوي وضرب ابنه زيدان المثل بالانكباب شخصياً على وضع تفسير اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري مع أبرز مظاهر الشذوذ انطلاقاً من روح عملية كيفت منهجية علمائنا فاقتصروا على شرح وحواشي وايضاحات حللوا فيها ما كان لهم من نظرات خاصة انبثقت عن الشعور بضرورة الحفاظ على وحدة الفكر الاسلامي بتصفية أسس العقيدة والارتكاز على مصدر مزدوج يتبلور أولاً في التأويلات القرآنية المعززة بالحديث الصحيح وثانياً في استقراء واقع فعل الرسول واصحابه وكبار القراء والمحدثين. ولهذا اتسمت منهجية الدراسات الدينية في كل العصور بالاستناد الى الأصلين الكتاب والسنة مع رفض سائر الاتجاهات الفردية أو الجماعية المحدودة من خلال نظرات الفرق والنحل الانفصالية فكان المنبع الثاني الذي ارتكزت عليه طرائق البحث هو السنة النبوية مستمدة من التوفيق بين أقوال الرسول عليه السلام وافعاله، وكان لعمل أهل المدينة الاثر القوي في تفضيل المذهب المالكي على غيره من المذاهب حيث كان منطلق الاقتباس هو صحيح الامام مسلم أولا ثم صحيح الامام البخاري ثانياً فنظمت دراسات الحديث باشراف الملوك منذ عهد الموحدين أي القرن السادس الهجري واستمر في ظل الدولة العلوية الى عهدنا هذا فكان مظهراً لسلفية الفكر المغربي في رجوعه الى

الاصالة .

وقد تواكبت منهجيات البحث العلمي منذ عهد الموحدين في مجالي النقل والعقل فتبارى العلماء للمشاركة في المجالين حيث برز أمثال ابن رشد وابن زهر واختص في تدريس الحديث والاستنباط من أصوله في مجلس المنصور الموحدي الشيخ ابن القطان الذي استبحر في علوم الحديث وبصر بطرقه وميز بين سقيمه وصحيحه ونقده رجاله فكان أول شخصية مغربية ركزت الدراسات الحديثة على الأساليب والمناهج المتبعة في الشرق مع نوع من الطرافة والاختصاص تبلورا في التركيز على الأصل الصحيح دون غيره والانطلاق بروح جديدة لفهم النص تحللا من تعقيدات بعض الفقهاء . فأدت هذه الروح التحررية الى احراق كتب المذهب المالكي منذ عهد يعقوب المنصور بعد تحريرها من الحديث[٩٠] . وكان جده عبد المؤمن بن علي قد أمر عام ٥٥٠ هـ/١١٥٥ م بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث في العدوتين معاً (المغرب والأندلس) فبرز المغاربة في علم الحديث دراية ورواية حتى تتلمذ الحافظ ابن حجر إمام أهل الحديث شرقاً وغرباً لمحدثين مغاربة كأبي البركات الكمال المكناسي وتقي الدين الفاسي وابن شقرا محمد بن بدر الدين السلاوي بل وصف العلماء محدثاً مغربياً ادريس العراقي الفاسي بأنه أحفظ من ابن حجر .

وكانت جامعة القرويين مناراً وهاجاً بدد الخلافات المذهبية التي سادت بفاس قبل القرن الرابع الهجري حيث انتشر مذهبا الامامين أبي حنيفة والاوزاعي بل وحتى المذهب الشافعي عن طريق ابي جيده الفاسي ولكن الفكر الوحدوي ما لبث أن تغلب فكان القرن الرابع آخر عهد بالفكرة الخارجية التي سادت في سجلماسة الى قيام الدولة الشاكرية .

وتداخلت العلوم الاسلامية ومنها علوم الآلة الاثنا عشر مع جلة من العلوم العقلية والتجريبية فكان لعلمي الاجتماع والاقتصاد شأنهما في اطار علم الفقه كما كان للفلسفة والمنطق دور في تكييف علم الأصول وعلمي الكلام والتصوف وكانت الرياضيات مدمجة في علم الفرائض كما اندرج الفلك في علم التوقيت ولنا مثال من القرن الحادي عشر في شخص ابن سليمان محمد بن محمد الروداني الفاسي (١٠٩٤ هـ/١٦٨٢ م) الذي كان محدثا فلكياً يحسن غالب الحروف ويتقن علم التوقيت حيث صنف منظومته التي بناها على تجاربه الخاصة وارصاداته فلم يقلد أحداً من المتقدمين كما عززها بآلة صنعها شخصياً بوسائله الخاصة في علم التوقيت والهيئة (نسخة في خع ٢١٩٧ د/وله أيضاً (تحفة أولى الالباب في العمل بالاسطرلاب) استخرج فيه تسوية البيوت من زيج الغبيك (الغ بيك) (خع ٢١٨٧ د) غوطا بالمانيا الشرقية ١٤١٥ .

وهو محدث ضليع استطاع أن يضع معلمة لكل كتب الحديث مما لم يسبق اليه بفضل فكره الموسوعي حيث جمع في كتابه «جمع الفوائد بجامع الاصول ومجمع الزوائد» (أحاديث الصحاح والسنن والمسانيد ومعاجم الطبراني[٩١] الثلاث الخ) وهو أيضا فقيه أصولي (له مختصر التحرير في أصول الحنفية لابن الهام وشرحه) ومؤرخ ضليع له «صلة الخلف لموصول السلف» وهو فهرست لترتيب أسماء الكتب على حروف الهجاء[٩٢] .

وقد احتفظت اللغة العربية بأصالتها في المغرب الأقصى بفضل رجالها المجدين الافذاذ ، وقد نشرنا بحثاً معززاً بالوثائق حول فصحى عامية المغرب[٩٣] وكان لعلماء اللغة في الشق الغربي للعروبة » دور فعال في بلورة معطيات اللغة مما فسح المجال لفاتين الحكمي (٣٢٩ هـ/١٠٠٨ م) فقام بمناظرة صاعد بن الحسن البغدادي في مجلس المنصور[٤٩] كما ورد على صاعد هذا ابن قزار البربري الذي صحت عن طريقه اللغة العربية .

ومن اللغويين الذين برزوا بابتكاراتهم في هذا الحقل : ١) عيسى بن عبد العزيز يلبخت المراكشي (٦٠٧ هـ/١٢١٠ م) الذي فاق ابن الشلوبين امام النحاة بالأندلس .

٢) ابن عصفور علي بن أبي الحسين الحضرمي (٦٥٩ هـ/١٢٦٠ م الذي سكن مدينتي أنفا ومراكش وكان خاتمة النحاة في الوطن العربي (بدأ النحو على وكذا : ختم النحو ابن عصفور كلبي) .

٣) محمد بن عمر الغماري (٨٠٢ هـ/١٣٩٩ م) الذي تفرد على رأس المائة الثامنة في النحو[٩٥] .

٤) محمد بن الطيب الشرقي الفاسي (١١٧٠ هـ/١٧٥٦ م) الذي أكمل قاموس الفيروز اباذي واعتمد تلميذه الشيخ مرتضى الزبيدي على حاشيته الكبرى على القاموس (وهي في أربعة مجلدات) وقد تتلمذ له علماء المشرق والمغرب .

٥) ابن مضا أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد قاضي الجماعة بفاس ومراكش (٥٩٢ هـ/١١٩٥ م) الذي أبرز في «كتاب الرد على النحاة[٩٦] بنظرية حريئة تقول بعدم القول بالقياس في هذا العلم (تبعا لإنكار الموحدين لفكرة القياس كمنهجية في الفقه) والاعتماد على السماع وهو يهدف الى هدم نظرية العامل والمعمول القائلة بأن كل حركة هي نتيجة وأثر لعامل لفظي يأتي بعدها وأن اللفظ لا يحدث حركة في اللفظ التالي له وإنما يحدثها المتكلم نفسه فليس الفعل هو الدافع للفاعل وإنما وردت اللغة هكذا فنحن ننحو كما نحا العرب .

والحقيقة أن ابن جني هو أول من انكر العامل في كتابه (الخصائص) حيث قال : «وأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالحركات من الرفع والنصب والجر والجزم انما هي للمتكلم نفسه لا لشيء غيره» ثم قال : «ان ضرب انتهت فلا يمكن أن تكون عاملا بمجرد النطق بها في زيد أو عمر والخ .

وأول من أسس تعليم العربية للاجانب بروما في القرن العاشر الهجري الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ، كما أن لبرات دونش اليهودي الفاسي (٣٤٩ هـ/٩٦٠ م) أول من دعا الى وجوب العناية باللغة العربية والاستعانة بها في فهم «العهد القديم» وقد اخضع يهود المغرب النحو العبري لكتاب سيبويه وقام داود بن ابراهام الفاسي بوضع قاموس اسمه (اجرون) انطلاقاً من معاجم اللغة العربية .

وقد برزت براعة الفكر الأندلسي المغربي في بادرات رائعة ضمن المعمار الهندسي

والموسيقى (او الآلة) اللذين امتازا باصالة ما زالت معالمها تثير اعجاب العالم فالفن المعماري بتصمياته وترخياته وتجبيساته وتسطيراته وترصيعاته وتلويناته وكذلك الآلة الأندلسية بطبوعها ونوباتها وترانيمها وتلحيناتها كل ذلك مظهر لعبقرية نادرة . وقد تبلورت روح الابداع في منهية التصنيع حيث كان المغرب منذ عهد الموحدين يبز العالم بانتاج الورق لامداد أوربا الغربية كما يصنع أنواع الزجاج والسكر المصفي الذي تنافس البلاطان الفرنسي والمغربي على اقتنائه في عهد السعديين وقد صنع المغرب أسطولا وصفه (اندري جوليان)[٩٧] بأنه أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط مما حدا صلاح الدين الأيوبي الى الاستنجاد له . كما أكد أن الموحدين هم أول من نظم الأساليب التجارية طبقاً لمقتضيات التجارة الدولية (راجع كتابنا) معطيات الحضارة المغربية) . وقد أشاد المؤرخ والقانوني الفرنسي (جاك كايبي) بالروح الدولية التي كانت تذكي السلطان سيدي محمد بن عبدالله لما كان يبديه من اراء سبق بها ما عرفته أوربا في العصر الحاضر اذ لم ينس في اتفاقاته البنود المتعلقة بالسلم والحرب والحصانات الدبلوماسية وبعض مظاهر الحرية المحددة في اطار دقيق برهن عن ادراكه العميق لمقومات القانون الدولي مما يدل على مدى اسهام المغرب في دعم التشريعات التي تعتبر أساساً للعلاقات بين الدول في القرن العشرين (راجع كتاب (كايبي) حيث نشر نصوص المعاهدات والاتفاقات المبرمة بين المغرب ودول أوربا في عهد محمد الثالث . وهذه الروح الخلاقة قد أذكت أيضا ملك المغرب محمد الرابع الذي نوه القنصل (لوكونط دووسكواط) عن حصافة فكره والمامه بمعطيات السياسة الأوربية وتعريبه لكتب علمية وانكبابه على دراسة العلوم حيث أسس مدرسة للمهندسين بفاس وبلغت مبادراته مبلغاً من الابداع جعل كلا من (فرانسو شارل رو» و (كايبي) يؤكدان اختراعه لمدفع (تاريخ المغرب — عبد العزيز بنعبدالله ج ٢ ص ٦٥) .

وقد ظل أقطاب الفكر ينتجعون الشرق لاستتام المعارف وتبادل الاجازات كما كان المشارقة يتوقون الى مبادلة علمائنا وجوه النظر ، وقد عرف الشرق كيف يقدر المغرب في شخص أفذاذه أمثال ابن سليمان الروداني والمقرى وابن الطيب الشرقي ويحيى الشاوي واليوسي وأحمد ابن ناصر وأحمد القادري ومحمد (فتحا) الفاسي ومحمد بن الطيب العلمي المتوفي بالقاهرة وأحمد بن الخياط الذي مكث طويلاً في القاهرة أيضا وأحمد الهلالي الذي ترك لنا وصفاً شيقاً لرحلته العلمية هذه ، لأن أساليب الشرق والغرب كانت تتكامل كما أن عناصرها الحيوية يتمم بعضها في هيكل موحد رصين . ولعل ما لاحظه المقرى — وقبله ابن خلدون — من فروق بين الشرق والغرب في الانجاهات الفكرية والمناهج العقلية قد ظل على ما كان عليه إذ بينما كان الشرق مطبوعاً بالعمق في ملكة العلوم النظرية طفق المغرب يوغل في البحث اللفظي مع تحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب وتصحيح الروايات وبيان وجوه الاحتمالات والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب واختلاف المقالات مع ما انضاف الى ذلك من تتبع الآثار ، وبينما غلب على تآليف المشارقة الايجاز (عدا البعض كالغزالي والفخر الرازي) مع انحصار في الموضوع سواء في التصنيف أم التدريس اذا بالمغاربة من القيروان الى القرويين يوغلون في الاستطراد . واذا كانت صناعة التأليف قد انتهت في علماء المغرب على صناعة أهل

المشرق في شخص ابن البناء المراكشي فقد عللوا ذلك (ببراءة نسبه من البداوة) غير أن الأمر لم يبلغ الحد الذي زعمه ابن خلدون في المائة الثامنة من انقطاع ملكة التعليم على طريق النظار ، لأن التحقيق العلمي ظل طابع الكثير من علماء عهد الشرفاء . هذا مع تحفظات منها نوع من التجمد في المنهج وايغال في استظهار النصوص حيث أدى الحال في بعض نواحي المغرب الى تطرف في الاستظهار تجاوز المتون الى معاجم اللغة . ولكن هذا الأسلوب الذي كان يحجر الفكر أحياناً عند من لا يستطيع أن ينسق بين واعيته وملكته التصورية قد ضخم — على العكس عند البعض — السليقة العربية .

غير أن العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سمتها العلمية فأمست مجرد «حرف» تقنية ضمت اختصاصين في الحساب والمهندسة والمساحات»)٩٨(

وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فإن الروح العلمية ظلت تذكي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تقسيمات أبي علي اليوسي للعلوم : الى فلسفية وملية ، وتحديده لماهية علم الفلسفة الذي يهدف الى «تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الأشياء بقدر الطاقة» وأنه — كما يقول — اما نظري واما عملي ، والأول اما مجرد عن المادة مطلقاً وهو العلم الالهي ، أو في الذهن فقط وهو العلم الرياضي ، أو مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي . والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، وسمى سياسة النفس وعلم الأخلاق ، أو بها وبما يحتاج اليه من شهوات قواها وهو علم تدبير المنزل ، أو بما يعم وهو الملكية والسلطنة» ..

وبذلك أصبحت التعاليم تنحصر في عمليات تطبيقية صرف تلك فذلكة مختصرة تعطينا صورة مكبرة عن بعض مظاهر منهجية البحث العلمي في المغرب .

الهوامش والمصادر

(١) (كتاب الطب الطب والأطباء بالمغرب — عبد العزيز بنعبدالله ص ٥) .
(٢) الطب القديم بالمغرب — نشرة معهد الدروس العليا المغربية عدد ١ ص ٧٢) .
(٣) (لوكلير — الطب عند العرب ج ١ ص ٤٥٥) .
(٤) هي المكتبة العامة بالرباط .
(٥) (النفح ج ٢ ص ٨٧٤) .
(٦) كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشعراوي) (مخطوط) .
(٧) (كوذار — وصف المغرب وتاريخه ج ١ ص ٢٣٩) .
(٨) الطب عند العرب ج ١ ص (٤٠) .

(٩) الطب والاطباء بالمغرب ص ١٤ — عبد العزيز بنعبدالله).
(١٠) (لوكلير ج ٢ ص ٧٢).
(١١) (نفح الطيب ج ١ ص ٤٤٥).
(١٢) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٦٤).
(١٣) يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (رقم ٨٤٤).
(١٤) (مخطوط بباريس عدد ٢٩٥٩ ونسخة في الاسكوريال حسب (رينو) محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية).
(١٥) (توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية بباريس عدد ٢٩٦٠ تحتوي على كتابي الأغذية والتيسير لابن زهر والتذكرة لأبي العلاء).
(١٦) (حضارة العرب — كوستاف لوبون — ص ٥٣٠ من الطبعة الفرنسية).
(١٧) (مخطوط بمكتبة ليد) ثم الى الايطالية عام ١٢٦٠ م.
(١٨) (ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٦٦).
(١٩) (الأنيس المرب ج ٢ ص ١٨٠).
(٢٠) (نشرة المعهد المصري ج ٢٦ عام ١٩٣٤ — بحث بقلم ماكس مايرهوف ص ٣٣، وقد أشار ابن النفيس الى ذلك في (الكتاب الشامل) الذي احتوى على ٣٠٠ مجلد) ولم يكمل منه سوى ثمانين.
(٢١) (الاعلام للمراكش ج ٣ ص ١٤٥).
(٢٢) في كتابه عن الموحدين عام ١٩٢٣ (ص ١٢٩).
(٢٣) آداب الشافعي ومناقبه ص ٣٢١).
(٢٤) (ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٧٥).
(٢٥) (سلوة الأنفاس ج ١ ص ٧٤).
(٢٦) (صحيح مسلم ج ٧ ص ٢٧ طبعة على صبيح).
(٢٧) (لوكلير ج ٢ ص ٢٢٥).
(٢٨) (النفح ج ١ ص ٦٣٥).
(٢٩) (لوكلير ج ٢ ص ٢٤٨).
(٣٠) (لوكلير ج ٢ ص ٨).
(٣١) (ص ٦٨ — ٢).
(٣٢) (لوكلير ج ٢ ص ٦٥).
(٣٣) (هسبريس ج ٥ ص ٣٥ عام ١٩٢٥).
(٣٤) كما لاحظ المراكشي في المعجب (ص ٢٢٠).
(٣٥) (الطب القديم بالمغرب ص ٧٧).
(٣٦) المغرب المعاصر مملكة تنهار ص ١٢ باريس ١٨٨٦ هـ).
(٣٧) في كتابة (سفارة المغرب ص ٢٥٤).
(٣٨) (الاستقصا ج ٣ ص ٤٧).
(٣٩) (في كتابه الطب القديم بالمغرب ص ٤٧).
(٤٠) كما يتجلى ذلك في كتاب «بلغه الامنية ومقصد اللبيب بيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب». (٤١) (ج ٢ ص ٢٥٨).
(٤٢) في كتابه (مؤرخوا الشرفاء — ٤٣) (النيل ص ١٥٣).

(٤٤) (الاعلام للمراكشي ج ٢ ص ١١٤) .
(٤٥) (النشر ٢ ص ١٢٥) .
(٤٦) (نسخة في خع) .
(٤٧) (في نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج ١٨ ص ١٩٥) .
(٤٨) (الاعلام للمراكشي ج ٤ ص ٣١٨) .
(٤٩) (رينو— نشرة معهد الدروس العليا ج ١٨ ص ٢٠٥) .
(٥٠) (كودار ص ٤٩٥) .
(٥١) (رينو ص ٢٧) .
(٥٢) (ماسينيون ص ٧٣) .
(٥٣) (الطب القديم بالمغرب ص ٧٧) .
(٥٤) (وصف وتاريخ المغرب ج ١ ص ٢٣٨) .
(٥٥) في كتابه (الاخبار الصادر عام ١٨٥٩ م .
(٥٦) (رينو ص ١٣١) .
(٥٧) (ج ١ ص ٢٤٠) .

(٥٨) (رينو ص ١٥٥) .
(٥٩) في بحث له في (الاسبوع الطبي) بتاريخ ١٤ مايه ١٨٩٨) .
(٦٠) (راجع رينو ص ١٦٠) .
(٦٢) (في بحث نشره في مجلة المغرب الطبي في عدد شتنبر عام ١٩٥١) .
(٦٣) (رينو ص ١٤٠) .
(٦٤) (رينو ص ٧٦) .
(٦٥) (نشر المثاني ج ٢ ص ٤٤) .
(٦٦) (الخطاب ص ٨) .
(٦٧) (الاعلام للمراكشي ج ٢ ص ٢٤٦) .
(٦٨) (ص ١٢١) .
(٦٩) (رينو ص ٦٠) .
(٧٠) (الجذوة ص ٣١) .
(٧١) (نزهة المشتاق — افريقيا والاندلس ص ٦٧) .
(٧٢) (الجذوة ص ٣٧ و ٥٧) .
(٧٣) (السلوة ج٣ ص ١٤٥) .
(٧٤) (الجذوة ص ٧٧) .
(٥٧) (السلوة ج ٣ ص ٢٢٦) .
(٧٦) (درة الحجال ص ٩٢) .
(٧٧) (الاعلام للمراكش ج ٢ ص ٢١٦) .
(٧٨) ((نشر المثاني ج ٢ ص ٢٧٣ مع رسالة في وصفها منشورة في الاعلام للمراكشي ج ٤ ص ٣٣٤ نقلا عن خلاصة الاثر) .
(٧٩) (الاغتباط ج ١ ص ١٣٦) .
(٨٠) (الاغتباط ج ٢ ص ١٩٢) .
(٨١) (النفخ ج ٢ ص ٦٨٣)

(٨٢) (لوكلير الطب عند العرب ج ٢ ص ١١) .
(٨٣) (نسخة في دار الآثار العربية بالقاهرة) .
(٨٤) (نشرة معهد الدراسات المغربية العليا ج ١٨ ص ١٩٥) .
(٨٥) (حضارة العرب — كوستاف لوبون — الطبعة الفرنسية ص ٥٠٨) .
(٨٦) في كتابه (المغرب في السنوات الاولى للقرن السادس عشر ص ٥١) .
(٨٧) (يوجد هذا المخطوط في عدة مكتبات (في وهي غير كاملة وفي مكتبة سليم اغا ٨٦٦/مكتبة ليدن/مكتبة احمد الثالث (الجزء الأول ٣٣٤٣/دار الكتب المصرية ١٢٠٨ (ميقات) نسخة غير كاملة . طبع نصفه المترجم الى الفرنسية من طرف في مجلدين عام ١٨٣٥ بباريس .
(٨٨) (في كتابه «المغرب في السنوات الاولى للقرن السادس عشر ص ٣٧) .
(٨٩) راجع كتاب (ابن رشد ومذهبه) للمؤرخ الفرنسي (رونان)
(٩٠) (المعجب للمراكشي ص ١٧١) .
(٩١) (خع ٢٥٨٤) طبع مرتين (عام ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦ م على الحروف بالهند ثم طبع في الستينات بالحرمين الشريفين في مجلدين) .(٩٢) (حزانة الاوقاف ٦٢٧٥) .
(٩٣) راجع كتابنا «نحو تفصيح العامية» .
(٩٤) الذيل والتكملة ج ٢ ص ٥٢٦ (طبعة احسان عباس) .
(٩٥) نيل الابتهاج ض ٢٨١) .
(٢٦) نشر كتاب الرد على النحاة حديثاً (ظهر الاسلام أحمد أمين ج ٢ ص ١١٨ و ج ٣ ص ٩٦) .
(٩٧) في كتابه تاريخ افريقيا الشمالية .
(٩٨) الاعلام للمراكشي ج ١ ص ٤٦ .



لو حصل وسألك سائل ، عن شاعر من شعراء العرب ... سألك عن أي جانب من جوانب حياته أو شعره .. فما هو ردّك ؟!... بدون شك سيكون الرد متناسباً مع السؤال تماماً ... تشترك فيه كل جوارحك .. ولنضرب لذلك مثلاً .. شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله .. لو سألك سائل عن تقويم هذا البيت الذي يتهم فيه (الانجليز والاستعمار الأجنبي) : —

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
الا بقية دمع في مآقينا !!!

فماذا تجيب ؟!.... للحقيقة نقول .. اذا كان المسؤول أديباً .. فسوف يجيبك عليه بصفحات وصفحات .. واذا كان المسؤول شاعراً فسوف يجيبك عليه بكتاب .. أما إذا كان المسؤول طبيباً مثقفاً ثاقب الفهم .. فسوف يجيبك عليه بأكثر من كتاب .

لقد حصل معي هذا الشيء وأنا استعرض كتاباً للأستاذ عبدالله ابن ادريس أمد الله في عمره : حصل معي وأنا أقرأ له فكرة .. يقول فيها (وتطورت الفكرة في ذهني الى شيء اكثر جدية وجدة ... وابلغ عمقاً وتأثيراً .. الى دراسة هذا الشعر على نحو جديد من البحث السيكولوجي .. أي النفسي .. للعوامل الاجتماعية والأحداث والمؤثرات الانسانية التي ساعدت على تطور الشعر في نجد .. كما في البلاد العربية الأخرى ... بل وربط شعر كل شاعر بالنظرية الفرويدية ... أي النفسية (والشعور واللاشعور) .. من حيث استشفاف نفسية الشاعر وعواملها الحياتية من شعره .. ذلك أن سيكولوجية الشاعر .. أي نفسيته ...هي التي تطبع بمؤثراتها وخصائصها ومنازعها ومناصيها المختلفة) .. انتهى .

الفرق بيني وبين الأستاذ ابن ادريس ... أنه جعل من المصطلحات الحديثة (لعلم النفس) دليلاً على ما يقول ... أما أنا فقد جعلت من قول (المتنبي) مجهراً استشف به نفسيات الآخرين .. نفسيات الأفراد والمجتمعات التي كان يعيش فيها ... قد أكون مبالغاً بعض الشيء في هذه المقارنة .. لأنني سأكون واضحاً فيما سأقول .. ولسوف أعود الى علماء النفس المعاصرين .. لأرى ماذا يقولون .

انهم بلا شك يقولون اشياء كثيرة .. منها ما هو محدود ... ومنها ما هو غير محدود .. وسوف أوجز انفعها للناس بهذه الأسطر : —

أولا : — يقال هناك دوافع نفسية داخلية :

أ — للتوازن الحيوي ... تكمن وراء (السلوك الانساني) وتتحكم به ... فإذا لم يستطع الفرد الحي اشباع حاجاته ... يلجأ الى القيام بأنواع مختلفة من النشاط الحيوي .. يرمي به الى استعادة حالة التوازن .

ب — ودوافع نفسية لخصائص السلوك الذي يتميز بالنشاط الحيوي .. (والاستمرار) الى أن يشبع هذه الدوافع ... ثم الى (التنوع) عند الكائن الحي .. الذي يتبعه تنويع في السلوك ، وتغيير في اساليب النشاط الحيوي .. الى أن يشبع تلك الدوافع .

ج — وليس هناك من قياس ظاهر للدوافع الخفية الا عن طريق (مظاهر السلوك) .

ثانياً : — واكثر من هذا .. توجد أصناف للدوافع النفسية .. منها : —

أ —الدوافع الأولية ... أو الطبيعية (الفسيولوجية) .... كالبحث عن الطعام .. أو الشراب .. أو الأمومة .. أو الجنس .. وتجنب الألم .. الخ .

ب — الدوافع الثانوية .... أو الاجتماعية (المكتسبة) .. كالحاجة الى الاجتماع .. والى التملك .. والى تقدير الذات .. والى الأمن والاستقرار .. الخ .

ثالثا : — بل وهناك انفعالات نفسية .. من خصائصها : —

ا — الضعف والاستجابة .

ب — القوة والصد .

ج — السلبية الذاتية .

السيطرة على هذه الانفعالات تتوقف على عدة أمور ... منها ما هو مادي .. ومنها ما هو

معنوي .. (كالمعرفة وتفهم الموقف .. وتكوين العادات ... ومرور الوقت) الخ .. فإما أن تهبط وإما أن تزول .

ومنها (التغييرات الجسمية) التي تصاحب الانفعالات .. كالغضب والخوف والحب .. الخ .. ومنها (أثر الوراثة) .. والمحيط (البيئة) التي قد تؤدي الى التربية السليمة والسلوك السليم .. أو الى التكيّف .. أو الى الانحراف .. الخ .

هذا هو الموجز عن علم النفس الحديث ... أما عن العلم القديم فاني سأستشهد بكلام العرب .. وتفهّم مدى قدرتهم على سبر أغوار النفس البشرية .. نقلته من كتاب (الصناعتين).. كلام جوهر .. وقول جميل .. اسمعه يرن في أذني ... فيؤثر في النفس .. وأتمنى أن يرن في أذنك .. لعل نفسك تتأثر .. اسمعه وهو يَغُوص في اعماق النفس العربية .. (فإذا الكلام قد جمع العذوبة والجزالة .. والسهولة .. والرصانة ... مع السلاسة والنّصاعة ... واشتمل على الرونق والطلاوة .. وسلم من حيف التأليف .. وبَعد عن سماجة التركيب .. وورد على الفهم الثاقب قَبِلَه ولم يردّه ... وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمّجه .. وعلى النفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ .. وتقلعه من الجاسي البشع ... وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن الى ما يوافقه ... وينفر عما يضاده ويخالفه ... والعين تألف الحسن ... وتقذى بالقبيح ... والأنف يرتاح للطيب وينفر للنتن ... والفم يلتذ بالحلو ويمج بالمر .. والسمح يتشوف للصواب الرائع .. وينزوي عن الجهير الهائل ... واليد تنعم باللّين الى المألوف .. ويصغي الى الصواب .. ويهرب من المحال .. وينقبض عن الوخم .. ويتأخر عن الجافي الغليظ .. ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب أو الروية الفاسدة) .. انتهى .

من كل ما فات .. وقفت موقف (الجامع) فقط ... أما التحليل فسوف أتركه للقارىء الكريم ... ولصاحب الفائدة الذي أريد منه أن ينعم النظر فيما أقول ... ومن ثم يميز الطيب من الخبيث .. ومن بعد هذا كله .. يتقرب الى السليم ويبتعد عن السقيم .

أنا معجب كل الأعجاب بالشاعر المتنبي .. اعجاباً يستحقه هو.. ولا لوم علي في ذلك .. فهو الذي يقول :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلّه ... ولكنْ لشعري منك من نفسه شعرُ

١ ــ فلقد كان شاعراً جذاباً مؤثراً في قوله ووصفه وتعبيره .

٢ ــ ولقد كان شاعراً حكيماً يتحكم بالعقل والمنطق فيما يقول .

٣ ــ ولقد كان (في رأيي) محللاً نفسانياً اعطيه شهادة (الدكتوراه) بلا تردد .

٤ ــ انني لم آت بشيء جديد ... فلقد كان محللاً نفسانياً للفرد .. وللمحيط .. ولكل المجتمعات التي عاش بها .. بطبعه وسليقته .

٥ ـــ وأكثر من هذا ... فقد كان محللاً نفسانياً لذاته هو ... وأن بالغ في بعض الأحيان .. ويسرني أن تسمع منه ما يقول : ـــ

وقـــــد ذقت حلواء البنين على الصبـــــا
فلا تحسبني قلت مـــــا قلت عن جهـــــلِ .

أو

ومـــــا التّيـــــه طبّــي فيهمُ غير أنني
بغيضٌ الى الجاهـــــل المتعـــــاقِـــــل

٦ ـــ للحقيقة أقول .... أنا لا أعتبر المبالغة عيباً فيه ... فقد كان ذا فنٍ في مبالغته .. لا سيما وهو في أطار الحكمة والعقل والواقع .. فقد كانت تلك المؤثراتُ تظهرها على شكلّ (علاج نفساني) يشهد لصاحبه بالفهم الثاقب ... للأسس والأصول .

٧ ـــ وبالمقارنة ما بين (ما قال) هو ... وبين ما جاء به (علماء النفس) المعاصرون ... نجد ركائز متعددة يتفق معهم فيها .. وبالخصوص :

أ ـــ الدوافع والرغبات .

ب ـــ السلوك والمعاملات .

ج ـــ الماضي ... قد استعمل فراسته الفطرية .. وفهمه الثابت .. في الفحص والعلاج الإجتماعي .. بينما الحاضر .. عرّضها للأسس والقواعد العلمية .

هـ ـــ الماضي .. قد أدخل الخبرة والتجربة (الواقعية) .. في تعامله مع الفرد والمجتمع .. بجميع أصنافهم .. بينما الحاضر أدخل التجربة العلمية والتطبيق العملي .

هذا هو عنوان خلوده .. لم يأت على أنه أنموذج أو مظهر من مظاهر عصر أو مجتمع .. أبداً .. وانما لأنه قد دخل في كل نفس .. وأثر في كل عقل .. وها أنذا أودعه وهو يمشي في طريقه الى المستقبل ... المستقبل اللانهائي .. ونحن سوف نبقى ها هنا ثم نختفي .. وليس لنا من عمل الا تمجيد الخلود ورواد الخلود ... نردد معهم أقواله الخالدة : ـــ

١ ـــ لا تعـــــذر المشتـــــاق في اشواقـــــه
حتى يكـون حشاك في أحشائـــــــــه

٢ ـــ فرب كئيب ليس تنـــــدى جفونـــــه
ورب كثير الـــــدمـــــع غير كئيب

٣ ـــ ضروب النـــــاس عشاقٌ ضروبـــــا
فـــــأعـــــذرهـم اشقّهم حبيبـــــا

٤ ـــ وشيخ في الشبـــــاب وليس شيخـــــاً
يسمّى كـــــل مـن بلـــــغ المشيبـــــا

٥ ـــ اذا لم تكن نفس النسيب كـــــأصلـــــه
فما الـــــذي يغنى كرام المنـــــاصب ؟ !

٦ — ومــــا قُربت اشبـــــاه قـوم أبــــاعــــدٌ
ولا بعـــــــدت أشبـــــــاه قـوم أقـــــارب
٧ — وكـــــــل امرىء يـولي الجميــــــل محبب
وكـــــــــل مكـــــــــان ينبت العز طيّب
٨ — وأظلم أهـــــل الظلم من بـــــات حـــاسداً
لمن بـــــــــات من نعائـــــــــه يتقلب
٩ — وحيـــــد من الخلان في كـــــل بلـــــدة
اذا عظم المطلوب قـــــــــلّ المساعـــــــــد
١٠ — وكـــــل يرى طُرق الشجـــاعـــة والنـــدى
ولكن طبـــــــع النفس للنفس قـــــائـــــد
١١ — فـــان قليـــل الحب بـــالعقـــل صالح
وأن كثير الحب بـــــالجهـــــــل فـــــاسد
١٢ — اذا أنت أكرمت الكريم ملكتــــــــــه
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
١٣ — ووضع النـــــدى في موضع السيف بـــالعلا
مضرّ كوضع السيف في موضع النـــــــــــدا
١٤ — فـــــإن الجرح ينفر بعـــــــد حين
إذا كـــــــان البنــــــــــاء على فساد
١٥ — فلا مجد في الـــدنيـــا لمن قـــل مـــالـــه
ولا مـــــال في الـــدنيـــا لمن قـــل مجده
١٦ — وفي النـــــــاس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبـــــــه رجلاه والثوب جلــــــــده
١٧ — كثير سهــــــاد العين من غير علـــــة
لـؤرقـــــــــه فيما يشرفــــــــه الفكر
١٨ — ومن ينفق الساعـــات في جمـــع مـــالـــه
مخـــافـــة فقر فـــالـــذي فعـــل الفقر
١٩ — والغنى في يـــــــــــد اللئيم قبيح
قـــــــــــــــدر قبح الكريم في الأملاق
٢٠ — قـــــد استشفيت من داء بـــــداء
تبيّن من بكى ممن تبـــــــــــــاكى
٢٢ — وكنت أعيب عـــــــــذلاً في سماحٍ
منهـــا أنـــا في السماح لـــه عـــذول
٢٣ — يراد من القلب نسيـــــــــــانكم
وتـــأبـى الطبّـــاع على النـــاقـــل

٢٤ — ومثلك لا يُبكى على قـــــدْر سنّــــه
ولكن على قـــــدر المخيلــــة والأصيــــل
٢٥ — ولم أر اعصى منك للحزن عَبرة
وأثبتَ عقلاً والقلوب بلا عقـــــــــــل
٢٦ — ومن كـــــان ذا نفسٍ كنفسك حرةٍ
ففيـــــه لها مُغْنٍ وفيهـــا لـــــه مُسلي
٢٧ — ومـــا الـــدهر أهـــل أن تؤمّــل عنــده
حيـــاة وأن يُستـــاق فيـــه الى النسلِ
٢٨ — فلا تنكرنّ لها صرعـــــــــةً
فمن فرح النفسِ مـــــا يقتـــــلُ
٢٩ — وقـــد أراني الشبـــاب الروح في بـــدني
وقـــــد أراني المشيبُ الروحَ في بَــــــدَلي
٣٠ — أقــلْ أنــل أقطــعْ أحمــل عَــل سل أعــدْ
زد هش بش تفضّل أدن سُرّ صِلِ
٣١ — يهون علينـــا أن تصاب جسومنـــا
وتسلم أعراضٌ لنـــــــا وعقـول
٣٢ — أجــــد الحزن فيك حفظـــاً وعقلاً
وأراه في الخلق ذعراً وجهلا
٣٣ — ولـــذيـــذ الحيـــاة انفس في النفس
واشهى من أن يملّ وأحلى
٣٤ — آلـــة العيش صحـــة وشبـــاب
فـــاذا وليـــا عن المرء ولّى
٣٥ — أشد الغم عنـــــــدي في سرور
تيقّن عنـــه صاحبـــه انتقـــالا
٣٦ — وأشرف فـــاخر نفسا وقومـــاً
وأكرم منتم عمّـــاً وخـــالا
٣٧ — ومن مـــــلٍءِ ذا فم مرٍ مريض
يجد مراً بـــــه الماء الزلالا
٣٨ — سرورك أن تسر النـــــاس طراً
تعلمهم عليك بـــه الـــدلالا
٣٩ — مـــا كـــل من طلب المعـــالي نـــافـــذاً
فيهـــا ولا كـــل الرجـــال فحولا
٤٠ — جمح الزمـــان فما لـــذيـــذ خـــالصٌ

مما يشوب ولا سرور كـــــامـــــلُ
٤١ — يريك مخبره أضعـــــاف منظره
بين الرجـــــال وفيهـــــا المال ولآل
٤٢ — واذا كـــــانت النفوس كبـــــاراً
تعبت من مرادهـــــا الأجسام
٤٣ — فكـــــان احسن خلق الله كلهم
وكـــــان احسن مـــــا في الأحسن الشيم
٤٤ — على قـــــدر أهـــــل العزم تـــــأتي العزائم
وتـــــأتي على قـــــدر الكرام المكـــــارم
٤٥ — وتعظم في عين الصغير صغـــــارهـــــا
وتصغر في عين العظيم العظـــــائم

الدكتور يوسف عبدالله الحميدان
٩٩/٦/٥ هـ

أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في غرب أفريقيا

بقلم : عبد الفتاح مقلد الغنيمي

في هذا الظلام الدامس والليل الحالك الذي أحاط بالأمة الاسلامية من جميع جوانبها حيث سادها التفكك والانهيار ، وانتشرت الضلالة والبدع والخرافات

وسادت الشعوذة وانحدر المسلمون في المتاهات ، بزغ على الأمة الإسلامية فجر جديد يتمثل في ظهور دعوة التوحيد والعودة بالإسلام الى نبعيه الخالدين لكي يستكمل التشييد الإسلامي وتنطلق الأمة الإسلامية في ركب الريادة من جديد .

ذلك لأنه في هذا الجو الذي تكاثفت فيه الظلمات ساد جو من التعصب وأغرق الناس في الجهل والايمان بالخرافات والاعتقاد بالقبور وبالموتى ومزارات المشايخ والأولياء وسطت على عقليات الناس بعض السخافات وظهر التخلف على كل شبر من الأرض الإسلامية .

ومن قلب كل هذه الأمور والظلمات ولد محمد بن عبد الوهاب في بلدية العينية شمال غرب الرياض وفي قلب نجد عام ١١١٥ هـ/١٧٠٣ م وتعرف أسرته بأنها فرع من آل مشرف وتنتمي الى قبيلة تميم وقد اشتهرت أسرته بالعلم والدين فجده عالم فاضل وأبوه قاضي العينية وعمه ابراهيم عالم فقيه وابن عمه عبد الرحمن بن ابراهيم عالم كذلك . وأخوه سليمان رجل من أولى العلم .

وعني به أبوه صغيرا وحفظه القرآن الكريم وتلقى مبادىء العلوم في بلدته ثم سافر لطلب العلم والمعرفة ودرس بعض الدروس لدى علماء المدينة ثم يمم وجهه نحو العراق فجاء البصرة وقرأ على بعض علمائها ومر على بلاد الشام وفيها درس كتب ابن تيمية ونقل كثيرا منها وفي طريق عودته الى نجد مر بالأحساء فتتلمذ لأحد فقهائها ونبغ في الفقه والحديث واللغة ، ثم عاد الى نجد وشرع يحارب البدع والخرافات وأخذ يدعو الى مذهب التوحيد ولكن العواصف عصفت به وتمرد الناس الذين سادهم الجهل المطبق عليه فهجرها الى الدرعية مقر آل سعود فرحبوا به بعد أن اقتنعوا بفكرته وشرعوا يناصرون دعوته الى الدين . ومن ثم بدأوا يدخلون في دعوته أفواجا وما مر وقت من الزمن الا والدعوة تخفق أعلامها خفاقة عالية في نجد والاحساء وكثير من مناطق الجزيرة وتتجه نحو الحجاز وتنتشر أنباء هذه الدعوة الى كل مكان .

ويتوفى محيي السنة ومبطل البدع والسائر على نهج السلف الصالح في الدرعية عام ١٢٠٦ هـ/١٧٩٢ م والحديث عن حركة التوحيد والعدل والايمان التي فجرها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية حديث طويل وممتد ومتسع ولا يتسع المجال للحديث عنها بالتفصيل في ذلك البحث الصغير الضيق .

ولكن هذه الحركة الإسلامية التوحيدية كان لها أثرها الواضح والقوي والفعال والمؤثر في تصحيح المسار الفكري في العالم الاسلامي وتنقية الدين الإسلامي مما علق به من الشوائب

والخرافات والبدع والخزعبلات والتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة باعتبارهما القواعد الأساسية للدين الإسلامي . والذي يجب أن تسير الأمة الإسلامية على هدى هذين النبعين الخالدين ونبذ ما يتنافى معهما من بدع وضلالات دخلت على الدين في عصور لاحقة للدعوة الإسلامية وسابقة لدعوة الامام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

أثر دعوة الشيخ :

لقد كان لهذه الدعوة الإسلامية التصحيحية أثرها البعيد المدى والواسع النطاق في العالم الإسلامي حيث تركت دعوة التوحيد والايمان والتي ناصرها رجال الشيخ من الموحدين آثارها الطيبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي فقد تركت أثرها في كل الحركات الاصلاحية التي ظهرت على أثرها في شتى أنحاء العالم الإسلامي في المغرب ومصر والعراق وبلغت الشرق الأقصى في الفلبين والملايو وأندونيسيا والهند .

ويمكن القول أن حركة التوحيد والعدل كانت تعمل ما وسعها العمل لأجل ايقاظ الشعور الإسلامي من جديد والعمل على وحدة المسلمين وتكتلهم واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتوحيد الجهود الإسلامية من أجل طرد الاستعمار من البلاد الإسلامية الى بسط نفوذها عليها وتحرير الأمة الإسلامية من الآثار الأجنبية .

وقد تركت الدعوة السلفية الاصلاحية التوحيدية أثرها في القارة الأفريقية حيث انطلقت على هدى من مبادئها وعلى أسس تعاليمها الحركة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي في السودان والحركة السنوسية في ليبيا . وكذلك منطقة غرب القارة الأفريقية تركت بصماتها وآثارها قوية في حركة الزعيم الديني الشيخ عثمان بن فوديو الذي اتبع نفس المنهج وسار على نفس الخط التي تحركت عليه حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة والتبليغ وفي الجهاد والانتشار .

غرب أفريقيا :

لقد تركت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أثرها في تلك المنطقة الواسعة من غرب القارة الافريقية وهي تلك المنطقة التي يحدها من الشرق بحيرة تشاد ومن الغرب ساحل المحيط الأطلسي وقرب الرأس الأخضر وتقع هذه المساحة بين خطي عرض ٩ درجة و٢٧ درجة شمال خط الاستواء تقريبا على أنها لم تشغل من هذه المساحة سوى أراضي السافانا التي تلي منطقة الغابات الاستوائية الساحلية وتبلغ مساحة غرب القارة الأفريقية نحو ٢,٤ مليون ميل مربع أي نحو مساحة المملكة المتحدة البريطانية ٢٥ مرة ونحو ٥/٦ مساحة الولايات المتحدة الاميركية وتبلغ المساحة بين طرفي هذا الأقليم الشرقي والغربي نحو المساحة بين موسكو ولندن .

ولقد تأثرت هذه المنطقة الواسعة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شخص الشيخ عثمان دن فوديو الذي قام بحركته المخلصة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وأوائل القرن التاسع عشر لكي يخرج مسلمي منطقة غرب القارة من رقدتهم وايقاظ وعيهم وبعث النشاط الإسلامي فيهم عن طريق دعوته السلمية وحركته التجديدية التي امتدت الى كل منطقة غرب القارة .

ولقد اتسع نطاق دعوته وانتشرت بوجه خاص في امارات الهوسا وهي كانو ، كاتسينا زاريا ، رانو ، جوبير ، بيرم ، دارا وأيضا امارات سوكوتو ، زنفارا ، كبيسبى ، نوبى ، بوشى ناورى ، جواري .

شعب الفولاني :

لقد اختلف الكثير بشأن هذا الشعب فمنهم من يقول شعب الفلانه ، والعرب هم الذين يطلقون عليهم هذا الاسم . في حين يطلق عليهم سكان امارات الحوصه شعب الفولاني وأما هم الذين عبارة عن بدو رحل رعاة فيطلقون على أنفسهم شعب الفوليه . وقد اختلف الباحثون من رجال الانترولوجيا والإكيولوجي والتاريخ بشأن أصل هذا الشعب ولكنهم اتفقوا جميعا على أنه شعب وافد على منطقة غرب القارة الافريقية فمنهم من يرى في أن هذا الشعب هم عبارة عن جزء من شعب بلاد النوبة في السودان الشرقي ويرى البعض الآخر أنهم من عناصر البربر الذين رحلوا من جنوب بلاد المغرب واستقروا في منطقة أعالي نهر السنغال مؤقتا . وقد خضعوا في بادىء أمرهم للدول التي قامت في منطقة غرب القارة (غانا ، مالي ، سنغاي) وان كانوا هم يدعون لأنفسهم أصولا عربية وشعبا عربيا شأنهم شأن الكثير من القبائل الافريقية التي انتسبت الى العرب ، ويقولون أن جدهم الأكبر عقبة بن نافع الفهري أو عقبة بن عامر الذي تزوج من ابنة ملك قبائل التورود وأنجب أربعة أولاد ومن سلالة هؤلاء الأولاد كان شعب الفولاني وهناك من يقول أن الفولانيين من مصر العليا هاجر أوائلهم غربا عبر شمال أفريقيا الى ساحل المحيط الأطلسي . ثم رحلوا الى الجنوب الشرقي وهم يعتبرون أنفسهم من الشعوب البيضاء ولاسيما الطبقة الحاكمة منهم وكانوا يتفوقون على الوطنيين سكان المنطقة بعمق الثقافة الاسلامية وكان لهم مركز خاص بين سكان غرب أفريقيا .

ومهما يكن من أمر فانهم منذ القرن الثالث عشر الميلادي بدأت حركة التنقل تأخذ طريقها من السنغال الى الشرق حيث استطاعوا أن يصلوا الى شمال غرب نيجيريا حيث استقروا للرعي والدعوة للإسلام بين القبائل التي سكنوا بالقرب منها وقد أقاموا لهم امارات محلية ، وان كانت جماعات من شعب الفولاني لم تتحرك الى نيجيريا حيث شعب الحوصا ولكن استقرت مع شعب الماندي بالقرب من نهر النيجر وقد اشتغل فريق منهم بالرعي والآخر قام بأعمال التجارة في المدن وقد امتدت هجرتهم شرقا حتى وصلت الى بلاد برنو ، ذلك لأنه في عهد السلطان الحاج عمر بن أدريس الذي حكم برنو تسعة عشر عاما وتسعة أشهر

(١٠٣٦ — ١٠٥٥ هـ — ١٦٢٥ — ١٦٤٥ م) وفد الى برنو في عهده بعض رعايا شعب الفولاني وكان من بينهم بعض المشايخ مثل الشيخ ولديد «الذي استوطن كلنبرد شمال برنو واتخذ هذه المدينة لنشر الإسلام. وكان معه الشيخ الوالي ابن الجرمي وقد قاما بهداية الناس وبتعليمهم الإسلام الصحيح الخالي من البدع والخرافات وقراءة القرآن وتزاحم الناس لأخذ التعاليم الدينية الإسلامية عنهما وقد تاب على أيديهما بعض موظفي سلطان برنو وكان سلطان البلاد من بين هؤلاء التائبين.

وقد استفاد شعب الفولاني من سقوط سلطنة سنغاي تحت الحكم المراكشي عام ١٥٩١ م اذ ساعد ذلك على تجمعهم وازدياد نشاطهم ووجودهم في المنطقة وهذا هو الذي ساعد عثمان دن فوديو في حركته اذ أخذهم عدته الأساسية في حركته الإصلاحية الكبرى التي اضطلع بها في القرن التاسع عشر للجهاد والعمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة في تلك المنطقة الواسعة ومحاربة كل ما يتنافى مع التعاليم الإسلامية السمحة.

أحوال المنطقة قبل دعوة عثمان دن فوديو

يبدو أن الظروف التي سادت المجتمع الإسلامي ككل قد كانت بشكل أوضح في منطقة غرب القارة ذلك لأن امارات الحوصا التي تعمق الإسلام فيها كانت تجد صعوبة ومشقة في محاولة نشر الإسلام بين القبائل الوثنية فضلا عن انقسامها على نفسها ومحاربة بعضها البعض فقاتلت كانوا التي هي من أغنى الامارات وأوسعها وهي أسبق إمارات الهوسا دخولا في الإسلام مدينة كاتسينا وكذلك تصارعت الامارات الأخرى مع بعضها البعض وهكذا كانت المنطقة مسرحا للصراع السياسي والاقتصادي من أجل بسط النفوذ وذلك بعد أن تخلصت بعض من هذه الامارات من سلطان سنغاي مثل امارة كبيسي وبعضها الآخر لم يعد لبرنو نفوذ عليها الا دفع الجزية مثل دارا وجوبير.

كذلك فإن الإسلام لم يكن قد تمكن من نفوس السكان بالمعنى الصحيح بل كانت لا تزال امارات كثيرة أغلب سكانها يعيش على الوثنية ويشكل المسلمون نسبة عددية قليلة بل أن هؤلاء لم يكن نصيبهم من الإسلام الا اسمه فقد ساد بينهم العديد من المفاسد الدينية والدنيوية وقد كان منهم من زال يكشف عورته ويشرب الخمر ويعمل عمل أهل الجاهلية كاكل الميتة والدم وكان البعض الآخر لا يحافظ على أداء الصلاة ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤتى الزكاة. بل أن امارات الهوسا المنقسمة على نفسها والمتصارعة فما بينها لم تستطع أن تقاوم هذه المفاسد التي كانت منتشرة بين السكان في المنطقة كلها والتي منها برنو وكانم وسنغاي وأن تغالب الوثنية وأن تجنب الدين الإسلامي الشر الذي انتشر بين السكان.

ولقد كانت كل هذه الظروف فرصة مهيأة لظهور شعب الفولاني المسلم الذي اشتهر بالدعوة للإسلام وكان الكثير منهم دعاة مخلصين لله قبل ظهور الشيخ عثمان دن فوديو.

ولقد سمحت امارات الهوسا لقبائل الفولاني المهاجرة من الشرق أو الشمال في شكل هجرات سلمية الاستقرار على تخوم أراضيها الشمالية ويذكر أن عرب الشوا في برنو هم الذين سهلوا للفولاني الاستقرار وهذا يؤيد لحد ما أن أصول الفلاني عربية — ولقد كانت هذه الهجرات السلمية لشعب الفولاني ذات أثر بعيد في تاريخ المنطقة. ذلك لأن تلك الهجرات السلمية قد استطاعت في نهاية الأمر أن تمتزج امتزاجا كاملا مع شعب الهوسا بعد خضوع الهوسا للسلطة الدينية الجديدة التي قادها عثمان دن فوديو وأن يقيم شعب الفولاني دولته الإسلامية الفتية التي اتخذت من مدينة سوكوتو عاصمة لها وأن تضم كل امارات الهوسا وأجزاء من برنو، وأن تنشيء دولة إسلامية مدت نفوذها على كثير من المناطق والتي عملت على ضرورة العودة الى أصول الدين الإسلامي ومحاربة البدع المنتشرة والخرافات السائدة في مثل ذلك المجتمع الإسلامي والتي كانت ظاهرة بصورة واضحة في إمارات الهوسا والتي منها تقديس العديد من الأرواح وعبادة الاشجار التي كان يعتقد أن الروح قد حلت بها وأيضا الأحجار والأنهار وتقديم القرابين وطغيان أولى الأمر من السلاطين والولاة وحلقات الرقص العارية.

ولقد كانت كل تلك الأمور واضحة في سلطنة برنو وكانم والهوسا وسنغاي ومن هنا وجدت حركة الشيخ عثمان دن فوديو طريقها للنجاح.

سيرة عثمان دن فوديو:

ينتسب هذا المصلح الديني الى شعب الفولاني وهو ينحدر من أسرة من هذه البطون الفولانية التي اتخذت وطنها الأول في فوتانورد ثم هاجرت حتى دخلت سهول نيجيريا وقامت في بلاد الحوصا وفي هذه البيئة الدينية التي كانت تحياها أسرته الصغيرة وعائلته التي كان بها الكثير من الدعاة. ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن فودى في قرية طفل بأمارة جوبير في مكان يدعى مارتا في عام ١١٦٩ هـ وان كان البعض يذكر أنه ولد في شهر صفر عام ١١٦٨ هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٧٥٤ م.

وكلمة فودى تعني في لغة الكانوري سكان برنو الرئيس أو شيخ البدو أو العالم وقد اكتسب والد عثمان هذه الصفة الأخيرة حيث كان عالما من علماء الدين الإسلامي في القرية التي ولد بها عثمان وكان بيته بيت علم ودين وفتوى واشتهر بذلك في ولاية جوبير، وقد أسلم أجداده منذ زمن طويل وتفقه ابوه في الدين واشتغل بالعلم وكان من أهل الفتيا واشتغل به بيته كله زوجته وبناته وأولاده، شب عثمان في هذه البيئة المتدينة فأولع بالعبادة والذكر. ونشأ نشأة دينية خالصة، ثم بدأ يخطو خطواته الأولى في طريق العلم والثقافة.

تلقى علومه الإسلامية والدينية ودروسه الأولى في اللغة العربية على يد والده الشيخ محمد فودى وجدته رقية وأمه حواء ويلاحظ القارىء هنا أن نساء شعب الفولاني كن يتمتعن بنصيب موفور وبحظ ليس بقليل من نيل العلم وتعلم العلوم الإسلامية ودراسة مبادىء القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ القرآن الكريم.

حياته :

وارتحل الشيخ عثمان مع أسرته المكونة من والده وأمه وجدته الى بلدة ديجيل من امارة جوبير وحفظ القرآن الكريم وهو صغير ثم بدأ يتجه للتمكن من العلوم العربية والإسلامية فدرس اللغة العربية وعلومها على يد الشيخ عبد الرحمن بن حمد وسمع الفقه من الشيخ محمد نبو بن عبدالله وارتحل الى إمارة زنفر عن إمارات الهوسا حيث سمع التفسير ودرس الصحيحين هناك .

ولكنه لم يقتنع بما درس وحصل عليه من العلوم ورغب في الاستزادة والتبحر فارتحل شمالا الى بلاد الطوارق جنوب الصحراء الكبرى حيث بلدة أغاديس ذات المكانة الدينية والإسلامية وهناك أخذ العلم عن الشيخ جبريل بن عمر . وعند الشيخ جبريل بن عمر تفتحت عيناه على أمور إسلامية جديدة وسمع لأول مرة ضرورة العودة الى التعاليم الاسلامية الصحيحة ونبذ كل ما لا يتفق مع الكتاب والسنة .

ذلك لأن الشيخ جبريل كان قد سبقه لأداء فريضة الحج حيث كان قد قام بأدائها للمرة الثانية في عام ١٢١٠ هـ وكان الشيخ جبريل قد التقى في مكة المكرمة ببعض مشايخ التوحيد أنصار دعوة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ودرس بعض الكتب التي ألفها الشيخ الإمام الصلح وارتوى التلميذ ابن فودى من هذا المنهل الاصلاحي على يد أستاذه جبريل .

وعاد الى بلاد الحوصا وهناك هاله حال المسلمين فهم يخالطون الوثنيين دون تحرج ويقلدون العامة وأصبح الدين الإسلامي تشوبه الكثير من البدع وانتشرت الخرافات وساد الجهل بقواعد الإسلام وتعاليمه بين المسلمين في تلك الجهات .

عثمان دن فودى في مكة المكرمة :

لقد كان ما سمعه عثمان عن شيخه جبريل بن عمر عن الدعوة الاصلاحية التي انتشرت في انحاء الجزيرة العربية دافعا قويا له على أن يشد الرحال الى بيت الله الحرام لكي يؤدي الفريضة ويلم بتعاليم الدعوة التوحيدية ويتطلع على كتب شيخها ويلتقي بالعديد من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكانت دعوة التوحيد قد انتشرت في الحجاز منذ عام ١٢١١ حيث جاء الى مكة على رأس الحجيج نفر من كبار علماء آل الشيخ وقام السعوديون في عام ١٢١٤ ، ١٢١٥ هـ بالحج في جموع بالغة الكثافة وكان على رأسهم سعود الكبير بن عبد العزيز وكانت دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب قد آتت ثمارها في الحجاز حيث انضم اليها العديد من قبائل الحجاز وجاء الأمير سعود الكبير الى مكة عام ١٢١٨ هـ حاجا ولكن ما احل عام ١٢١٩ هـ حتى كان أنصار دعوة الشيخ قد سيطروا على مكة المكرمة وظل حكمهم لها حتى عام ١٢٢٨ هـ .

وجاء الشيخ عثمان حاجا الى مكة المكرمة عام ١٢٢٠ هـ . وفي مكة المكرمة خالط عثمان أنصار الشيخ ابن عبد الوهاب ودعاة الدعوة التوحيدية واستمع اليهم وأطلع على العديد من الكتب والشروح التي ألفها الشيخ بنفسه ومنها . رسالة كشف الشبهات «أصول الايمان» معرفة العبد ربه ودينه ونبيه «المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية» فضل الإسلام «نصيحة للمسلمين» الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «رسالة في أن التقليد جائز لا واجب» . «كتاب الكبائر» .

وبعد أن اطلع على هذه الكتب والتي استطاع ان يستنتج بعضا منها ، ايقظت هذه الأفكار الاصلاحية الجديدة في نفسه الرغبة في أن يحارب البدع في بلاده كما حاربها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلادهم وفي سائر الجزيرة العربية وأن يعلنها ثورة على المفاسد التي يقوم بها أولى الأمر في بلاد الهوسا وفي منطقة غرب أفريقيا كما كانت دعوة الإمام محيي السنة ومبطل البدعة ثورة على المفاسد .

وقويت في نفسه الرغبة في ايقاظ مسلمي غرب القارة الافريقية من خمولهم وقدرتهم وحياتهم التي لا تسير على روح الإسلام وتعاليمه .

وقفل الشيخ عثمان دن فودى عائداً الى بلاده بعد أن مكث فترة تقترب من العام فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ويقول محمد بن بللو في كتابه أنصاف المسور . أن الشيخ ولديد بن جرمي الذي كان يدعو للإسلام في برنو قد تنبأ بظهور دعوة الشيخ عثمان دن فودى وأنه سوف يتزعم حركة جهاد مقدس وسوف يكثر أتباعه وسوف يخوض حروبا مقدسة وأن الشيخ ولديد قد نصح بأنه اذا ظهر هذا الشيخ فان المسلمين في غرب افريقيا يجب أن يتبعوه وأن يناصروه وأن يتلفوا حوله ، لأن دعوة هذا الرجل تكون أصولها في أرض الجزيرة العربية حيث ستنطلق دعوة تعيد للإسلام مجده وتجدد شبابه ويخلص الإسلام من كل شيء شابه .

وهذا ما ذكره ابن الشيخ عثمان دن فودى وقد يكون ذلك نوع من كسب التأييد لدعوة والده لانضمام الانصار حوله .



الصدع بالدعوة

عاد الشيخ عثمان الى بلاده وكله حماس للدعوة السلفية وتخليص العقيدة الإسلامية من كل شيء يتنافى مع الكتاب والسنة وأخذ يلقي الدروس والمواعظ في كبيسبي وجوبير ثم انتقل الى زمفارا ومن ثم بدأت سمعة الشيخ وشهرته في بلاد الهوسا تتزايد ويكثر أتباعه ولما رأى نفسه من القوة الروحية وترسخ العقيدة الايمانية وكثر اتباعه فانه سار على النهج الذي سار عليه المصلح ابن عبد الوهاب حيث التجأ الى سلطان زمفارا يدعوه لدعوته واتباعه ليساند الدعوة ولكنه لم يجد لديه قبولا .

وأعلن مبادئه على اتباعه وهذه المبادىء تظهر واضحة وجلية في المؤلفات التي ألفها ونشرها ويبلغ عددها اثني عشر مؤلفا أو ربما تصل الى العشرين مؤلفا .

ومنها كتاب الفرق ، كتاب وثيقة أهل السودان ، كتاب تنبيه الاخوان ، كتاب احياء السنة واخماد البدعة ، وكتاب نور الألباب .

ونقول هنا أن كتاب احياء السنة واخماد البدعة الذي طبع في القاهرة عام ١٩٦٢ م فإن الذي يلقى نظرة فاحصة على ما جاء فيه يجد نفس النمط والأسلوب والمعنى في أقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهذا يدحض كثيرا من الآراء والأفكار التي قال بها الكثير من الغربيين والمستشرقين الحاقدين على الإسلام وعلى الدعوة الاصلاحية للشيخ ابن عبد الوهاب بأنه لا يوجد أدنى صلة أو علاقة بين دعوة عثمان بن فودى ودعوة الشيخ ابن عبد الوهاب .

كذلك ظهر تأثير الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في مؤلفات أقارب عثمان ومنهم اخوة عبدالله وابنه محمد بللو وكلاهما ألف في العقائد وفصل وشرح وظهر المنهج واضحا في كتاب تذكرة الشيبان الذي أفرد ذيلا في كتابه للشيخ محمد بللو بن عثمان ولبعض خلفائه .

والذي عرف عنه انكاره للصلاة على روح الميت ، تعظيم من مات من الأولياء ، استنكاره المبالغة الزائدة والمفرطة في مدح الرسول وهاجم شرب الخمر وفساد الخلق .

وبدأت دعوة الشيخ ابن فودى على نفس منهج دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب وأنصاره في بادىء الأمر دعوة الى الدين بالحسنى والموعظة الحسنة ، وكذلك الدعوة للإسلام بين القبائل الوثنية وحض الناس على اعتناق مبادئه السمحة وتعاليمه الخالدة ومن ثم بدأت حلقات الطلاب تتسع ويزداد عدد أتباعه ومؤيديه .

ثم بدأ بعد ذلك الحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتاب على يديه خلق كثير وتزايد عدد أنصاره ومؤيديه ، وبدأ يدعو أمراء بلاد الهوسا جميعا للدخول في دعوته ويحضهم على إصلاح احوال الرعية ومحاربة البدع والقضاء على الفساد واعتصام قادة المسلمين في غرب أفريقيا واتحادهم وذلك عملا على نشر رسالة الإسلام بين القبائل الوثنية التي لا زالت تعيش على الفطرة ولم تعرف الإسلام بعد . ولكن أعرض عنه من أعرض واتبعه من اتبعه وكان الذين أعرضوا عنه هم الأكثرية حيث خافوا على سلطانهم وأملاكهم وسلطتهم في البلاد .

فحوى دعوة الشيخ عثمان

من خلال دراسة مؤلفات الشيخ عثمان ودراسة تعاليمه وخطته التي سار عليها في الدعوة الإسلامية يتضح لنا تمام الوضوح أنه كان يدعو من منطلق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن الذي يتمعن في دراسة الدعوتين يجد تطابقا شبه تام بينهما وهذا لا يدع مجالا للشك في الأثر القوي للدعوة الاصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوة الشيخ عثمان دن فودى ويتضح ذلك من رغبة الشيخ عثمان في دعوته السلفية الملحة في العمل من أجل

اعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس جديدة تعيد للإسلام بساطته الأولى أيام مهد الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونقاء الدعوة مما شابها كما كانت نقية أيام الخلفاء الراشدين كذلك التزام الشيخ عثمان بمبدأ الشورى فانه كان يتشاور مع أصحابه واتباعه في كل الأعمال التي ينوي القيام بها وذلك تمسكا بقوله تعالى : وأمرهم شورى بينهم ، «وشاورهم في الأمر» ، وذلك تمسكا بأفعال الرسول الكريم .

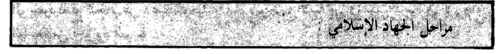
وكذلك الزم خلفاءه من بعده بالعمل على اتباع نظام البيعة الإسلامية وهذا هو نفس ما حدث في عهد الخلفاء الراشدين ، بل أنه كان يذكر أصحابه دائما أن العناية الالهية قد اختارته لاصلاح الدين مما أضيف اليه من بدع وتعاليم فاسدة لا يتمشى مع تعاليمه وسماحة هذا الدين في عهود لاحقة وأنه يعمل على اعادة حكم الأمة والجماعة كما أنه كان دائما يقول ان أساس دعوته هو رفع كتاب الله فوق كل مكان وانتشار راية التوحيد ، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل بقاع غرب أفريقيا .

ونفى عن نفسه في قوة وصرامة واصرار أن ما يقوم به هو من أجل الله والدين وليس من أجل الطمع في ملك أو سلطان أو أي غرض من أغراض الدنيا الزائلة .

وأنه عندما أراد استخلاف ابنه محمد بللو وأخذ البيعة له من بعده فانه روى أن خطيب المسجد قرأ على الناس وثيقة الشيخ في استخلاف ولده في الإمامة من بعده وذلك عملا على سياسة والده وان خالف ذلك فلهم الحق في عزله ولذا أتاه الأهل والأنصار من كل الآفاق وبايعوه على الخلافة من بعد والده .

وكان عثمان يأكل من كسب يده ويأبى أن يقتات من أموال المسلمين وكان أنصاره لا يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بل ان جيوشهم كانت عندما تقوم بالغزو والجهاد ، أن تقرأ قبل الزحف المقدس آيات الجهاد وسورة براءة لتقوى الروح المعنوية للجنود وليكون غاية الجهاد نشر الإسلام ومحاربة البدع أو الاستشهاد . وكان طابع جماعته التقشف والزهد في الدنيا والعمل من أجل نصرة دين الله . بل ان الشيخ واتباعه عملوا على تحطيم بيوت صنع الخمر وعقاب حاملها وساقيها وشاربها والقضاء على كل المفاسد في بلاد الهوسا حتى ان الأمر قد وصل بهم الى كسر آلات الطرب والموسيقى بل ان أحدهم قد قام بقتل ضارب الدف .

وقد قام الشيخ بتثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤدي الى الشرك كالاعتقاد في قدسية بعض الأرواح أو الاشجار أو الاحجار أو الآثار أو الأنهار وتقديم القرابين الى الجن لابعاد اذاه وزيارة قبور الأولياء بقصد نيل شفاعتهم والتبرك بهم .



مراحل الجهاد الإسلامي :

كان الشيخ عثمان بعد أن كثر أتباعه وازداد أنصاره قد قرر أن يستقل بدعوته الى وعظ

الامراء وارشادهم ولعله كان يريد أن يحقق ما حققه الشيخ ابن عبد الوهاب من قبل في أن يجد أحد من الأمراء يقتنع يدعونه ويدعوله بين الأقوام في إمارات الهوسا كما تم لآل سعود من قبل في احتضان دعوة الشيخ المصلح ابن عبد الوهاب .

فاتجه الى أمير جوبير يبين له الحق والباطل ويشرح له تعاليم الإسلام الصحيحة وطلب منه أن يعاونه في إقامة العدل واحياء الدين الإسلامي على أسس من التقوى والايمان والبعد عن الخرافات ولكن يبدو أن هناك خلافا دب بينه وبين أمير جوبير مما أضطره الى الرحيل الى إمارة زنفر وكيبسبى لنشر دعوته ومبادئه الاصلاحية وهناك وجد اقبالا شديدا على دعوته وبدأ الناس يدخلون في معيته بعد أن أسلم العديد من بين الوثنيين فكون تلك الامارتين وسرى أسمه ودعوته سريان النار في الهشيم بين سكان امارات الهوسا وازاء هذا النفوذ القوي أعلن أمراء الهوسا طرده من بلادهم وأمروه بالخروج وهددوه بالقتل هو وأعوانه .

ولما لم يجد أحد بنصر دعوته خرج مهاجرا الى الشمال الى أطراف الصحراء وكان ذلك في عام ١٨٠٤ م فاذا الأمراء يتعقبونه ويقفون عقبة في طريقه للرحيل شمالا .
وازاء هذه المواقف فانه لم يجد بدا من اعلان الجهاد المسلح للحفاظ على دعوته ورد كيد الاعداء عن دعوة الإسلام . فبايعه أصحابه على الجهاد أو الموت وطاعة الله ورسوله وبايعوه على اعتبار أنه أمير المؤمنين .

ووجدت دعوة الجهاد المسلح استجابة سريعة وقوية لدى أنصاره في كل أنحاء نيجيريا وذلك لاعلاء كلمة الدين الإسلامي ووقوفا أمام الحركات التي بدأت تطارد أبناء شعب الفولاني في كل مكان من امارات الهوسا وبرنو وكانم . وبدأ الناس يفدون من أنحاء كثيرة من البلاد وقدموا اليه مهاجرين ينضمون لجيشه الإسلامي ويؤيدون دعوته بأنفسهم وأموالهم .

ومن هنا فقد بدأت دعوته الاصلاحية تدخل مرحلة جديدة من مراحل الجهاد فبعد أن كان يدعو الناس للدخول الى الإسلام بالسلم والمجادلة الحسنة والدعوة الصالحة وجد عقبات تقف في سبيل دعوته وتحاول القضاء عليها فكان لا بد من درأ الخطر عن دعوة الإسلام الاصلاحية في نيجيريا ودفع خطر الكفر والوثنية وكيد الأعداء . فأعلن الجهاد المسلح .

وبذلك تكون قد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ نيجيريا بدأت منذ عام ١٨٠٤ م ، حيث استطاعت حركة الشيخ عثمان دن فودى أن تجد صدى سريعا لدى سكان المناطق بعد أن بدأت الحركة تحرز الكثير من الانتصارات على أمراء بلاد الهوسا وبدأت سمعتها تقوى في غرب أفريقيا بأمرها .

وذلك هو نفس الاسلوب الذي اتخذته دعوة الامام الشيخ ابن عبد الوهاب عندما تحرك آل سعود لدفع الخطر عن دعوة التوحيد والقيام بالواجب الاسلامي في نشر الدعوة في الارجاء الواسعة من الجزيرة العربية .

الجهاد المسلح :

لما كان ملك جوبير قد ألح في طلب الشيخ عثمان وأنصاره وهاجم المدينة التي يقيم فيها فهرب عثمان مع قومه و يعتبر تاريخ هذا الهرب أو الهجرة في ٢١ فبراير ١٨٠٤ م حادثا خطيرا بالنسبة للدعوة اذ ازدادت سطوة الفولاني وقوة الدعوة الإسلامية اذ بدأ دور الفتح والجهاد .

واستقر الشيخ عثمان في مدينة جودو وبدأ الشيخ عثمان جهاده ضد سمراكنة الهوسا وانتصر على ملك جوبير في يونيو ١٨٠٥ م وخشي كل أمير من أمراء الهوسا أن يكون مصيرهم هو نفس مصير سلطان جوبير فقام كل أمير من أمراء الهوسا بالقبض على رعايا الفولاني في كل من كاتسينا وكانوا وزاريا ودوري وبيرم وغيرها من الامارات مما أثار الفولاني .

فقام الشيخ عثمان بمهاجمة مدينة كانوا وهزم أميرها هزيمة ساحقة وولى أحد أتباعه أميرا عليها ثم هاجم امارة زاريا وتم له فتحها عام ١٨٠٧ م واستولى على مدينة سوكوتو أو سكت ، أو صكت بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء كما يكنيها الفولاني .

واتخذ هذه المدينة حاضرة لدعوته الإسلامية واختار الشيخ أربعة عشر قائدا من أعظم رجاله وقادته وأعطى لكل منهم علما وبارك هذه الاعلام ودعا رجاله الى الجهاد في سبيل الله ونجح الفولاني في اخضاع جميع بلاد الهوسا . فاستولوا على كل الامارات والتي منها كانو وكاتسيا وزاريا وأد وماوا وكيبسبي وكاتاجوم ونوب ودوري وبوتشي وبوسو وولى على كل أقليم من هذه الأقاليم أحد حملة الأعلام أو أحد سلالتهم .

وكان الحماس يوحد بين صفوف أنصاره ويدفع فيهم الرغبة الملحة في ضرورة رفع لواء الدين الإسلامي والذين يدفعهم ذلك الى طلب الشهادة ودخول الجنة أو الفتح والنصر والظفر ورفع راية التوحيد راية لا إله إلا الله ومحمد رسول الله في كل بقاع أرض الهوسا .

وحركة الشيخ عثمان الاصلاحية هذه شأنها شأن دعوة المصلح الديني محيي السنة ومبطل البدعة وحامل لواء السلف الصالح الشيخ محمد بن عبد الوهاب لقيت تشجيعا وتعضيدا من المخلصين لدين الله الواحد القهار والراغبين في الاصلاح ونشر دعوة الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، كما لقيت معارضة ومحاربة أنصار البدع والذين لم يعجبهم نهجها في الاصلاح كما مرت دعوة الامام ابن عبد الوهاب بكل هذه الأدوار وقد اتسع نطاق هذه الدعوة بعد أن أتسع بعدها ليشمل كل بلاد الهوسا ولتدخل في طور جديد من أجل بسط قواعد الحق والايمان ومن أجل القيام بالواجب الإسلامي في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمكين كلمة الله على الأرض واقامة الصلاة واتاء الزكاة والقضاء على البدع لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

ومن هذا المنطلق وقفت برنو في سبيل دعوته بعد أن استطاع الشيخ عثمان واتباعه أن

يستولوا على امارات الهوسا الشرقية التي كانت تخضع لنفوذ برنو وازاء ذلك حدث التصادم والصراع الطويل بين الفولاني والبرنو وظهر في برنو الشيخ محمد الأمين الكاني الذي دارت مراسلات بينه وبين الشيخ عثمان بن فودى .

الجهاد ضد برنو :

لقد استقر بعض الفولاني في الأقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة وتجمعوا في أقليم جوجيا واستطاعوا أن يكونوا قوة بشرية ودينية هائلة . وعندما وزع الشيخ عثمان الأعلام على أتباعه كان نصيب ماهر المختار وابراهيم زكي القلب أن يتوجها الى أطراف برنو الغربية حيث منطقة عملها ولم يكد يصل هذان المجاهدان الى مركز القيادة التي حددها لها الشيخ عثمان حتى انضمت اليه الجماعة المقيمة فنظم كل واحد منهما جيشا قوامه الايمان بالله وحده وطلب الشهادة في اعلاء كلمة دينه .

وقد استطاع قواد الفولاني هزيمة أمراء برنو الغربين الذين يحكمون الامارات الغربية من البلاد وبعد هذه الهزيمة فان الطريق أصبح مفتوحا الى عاصمة برنو أمام الجيش الثاني بقيادة ماهر المختار الذي سار جنوبا نحو العاصمة واستطاع أن يسيطر على العاصمة بعد معركة عنيفة تحت قيادة الماهر المختار وهرب السلطان احمد بن دوناما سلطان برنو الى كانم حيث طلب المساعدة من الشيخ محمد الأمين الكاني .

وقد بقي الماهر المختار في عاصمة برنو عدة شهور حتى استطاع طرده منها الشيخ الكانمي واضطر الفولاني الى الرحيل غرب البلاد الى بلاد الهوسا وطردوهم من البلاد . وعندما عاودوا الهجوم ثانية على برنو فان محمد الأمين الكانمي صدهم مرة أخرى وأجبرهم على العودة على الرغم من انهم استولوا على جزء من البلاد الا أنهم لم يستطيعوا أن يهزموا برنو هزيمة نهائية .

وسيطر الفولاني على كل شمال نيجيريا فيما عدا برنو وأنه لولا مقتل الماهر المختار قائد جيش الفولاني في برنو لتغير الوجه التاريخي للمنطقة اذ أن مقتل الماهر المختار قد فرق قواته .

كذلك التعاون بين شعب البرنو الكانوري وشعب الكانيو بقيادة محمد الأمين الكاني قد وقف في سبيل انطلاق دعوة الشيخ عثمان .

كذلك فان الظروف قد ساعدت شعب البرنو والأمين الكاني الى ان توفي الشيخ عثمان دن فودى عام ١٨١٧ م وبويع ابنه محمد بللو كأمير للمؤمنين في البلاد ولكن الادارة انقسمت بين الأمير محمد بللو بن الشيخ عثمان وبين عبدالله بن فودى شقيق الشيخ الراحل . وبقي القسم الشرقي تحت سيادة وسلطة أمير المؤمنين محمد بللو والقسم الغربي تحت سيادة عبدالله بن فودى .

وقد ذكر محمد بللو عن أهل برنو قوله أن لهم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ويرشون

الدماء على أبواب قريتهم ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها و يفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل في مصر أيام الجاهلية وأن لهم أعيادا يجتمعون فيها .

ومن هنا فان واجب الدعوة الإسلامية الاصلاحية بقيادة الشيخ عثمان محاربة برنو على الرغم من أنهم مسلمون الا أن البدع منتشرة بينهم والخرافات تسود مجتمعهم ولم ينتهوا عن ذلك بالطرق السلمية بل ذبحوا رجال الدعوة وطردوهم من بلادهم فخف جهادهم وبعد أن هدأت حالة الحرب بين الفولاني وبين الشيخ محمد الأمين الكانمي بعد وفاة الشيخ عثمان . فان الشيخ الكانمي رأى من الحكمة والحنكة السياسية أن يتفاهم مع الفولاني ولا بأس لديه أن يكرر رسائله اليهم بعد المراسلات العديدة الى ذكر الشيخ محمد بللو في كتابه نفاق الميسور فبعث برسالة الى محمد بللو سلطان سوكوتو أوضح له فيها أنهما أهل دين واحد هو الإسلام وأنه بين برنو وبلاد الفولاني بعض القبائل التي لا زالت تعيش على الوثنية ولا تعبد الله ولم تدخل دين الإسلام بعد فهم قوم يجوز فرض الجزية عليهم ودعوتهم لدخول الاسلام وعرض على سلطان سوكوتو أن تظل هذه القبائل حدا فاصلا بين برنو وبين سلطان الفولاني على أن يحترم كل منهما حدود الآخر .

فالى الشرق من هذه القبائل الوثنية تقع بلاد برنو التي أضحت تحت سلطان الكانمي والى الغرب من هذه القبائل تقع بلاد الفولاني .

وهنا تكاد الظروف تتشابه مع دعوة التوحيد في الجزيرة العربية فكما وقف السلطان العثماني في تركيا ومحمد علي في مصر في وجه الدعوة السلفية فإن الشيخ محمد الأمين الكانمي وقف في وجه دعوة الشيخ عثمان في غرب أفريقيا .

فلو أن الظروف السياسية في منطقة الشرق الإسلامي افسحت الطريق أمام دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب لتغير الوجه السياسي والديني لمنطقة الشرق العربي الإسلامي برمتها وانتشرت الدعوة خارج الجزيرة العربية الى آفاق أوسع وجهات أبعد ولكن المطامع السياسية في كل مكان هي نفس المطامع فقد حدت مطامع الكانمي في برنو من سرعة انطلاق الدعوة السلفية في غرب أفريقيا .

أثر دعوة عثمان دن فودى في غرب أفريقيا :

لقد تركت هذه الدعوة الاصلاحية أثرا عظيما وطيبا في جميع أحوال المسلمين في نيجيريا وفي غرب أفريقيا كلها . اذ عمت المفاهيم الإسلامية وعادت بالإسلام الى خطه السليم وسيرة السلف الصالح وقضت على كل الخرافات والبدع والشعوذة التي كانت سائدة في تلك المنطقة لا تتلائم مع التعاليم الإسلامية الصحيحة كذلك عملت تلك الدعوة على دفع حركة المد الإسلامي خطوات واسعة للامام اذ أرسل الفولاني وعاظهم ورجالهم الى أقاليم الوثنيين لنشر مبادىء الإسلام ولم يعتمد الفولاني على الجهاد وهذا ما نشر الإسلام ورفع لوائه ، وانما قاموا

بجهود طيبة لنشر الاسلام بالطرق السلمية اذ بفضلهم انتشر الإسلام في جنوب نيجيريا وبهذه البلاد ملايين عديدة من المسلمين دخلوا الإسلام على نطاق واسع بفضل هذه الحركة الاصلاحية العظمى .

كذلك فقد كان لهذه الحركة أثر عظيم وكبير في نشر اللغة العربية والعلوم العربية الإسلامية اذ أضحت اللغة العربية لغة المراسيم والمكاتبات والدواوين والمعاملات والتجارة وأضحت كذلك لغة التأليف والكتابة والمراسلات وتركت بصماتها قوية واضحة في لغة الهوسا ولغة الفولاني .

كذلك فان كل المؤلفات التي تركها الشيخ عثمان دن فودى وكذلك أخوه عبدالله دن فودى كانت كلها باللغة العربية بالاضافة الى مؤلفات محمد بللو بن عثمان كانت أيضا باللغة العربية وهي للشيخ عثمان : أصول الولاية ، احياء السنة ، بيان البدع ، ترغيب العباد ، التصوف ، تميز المسلمين ، الجهاد ، واليه المديح ، سوق الصادقين ، شفاء الغليل ، علوم المعاملة ، عمدة العلماء ، عمدة البيان ، العقل الأول ، كف الطالبين ، المهدي المنتظر ، المسائل المهمة ، نصائح الأمة ، نور الألباب ، الهجرة .

ولأخيه عبدالله بن فودى . ألفية الأصول ، بحر المحيط في النحو ، تزيين الورقات ، تخميس العشريات ، تفسير ضياء التأويل ، تفسير كفاية الضعفاء ، الحصن الحصين في الصرف دواء الوسواس ، سبيل النجاة ، ضوء المصلي ، ضياء السياسة ، ضياء الحكام . كتاب النيات ، مضالح الانسان ، مفتاح التفسير ، مفتاح الأصول ، نيل المرام ، نظم النقاية .

ولمحمد بللو بن عثمان : انفاق الميسور ، همزية البوصيري ، وقصيدة بانت سعاد والبردية للبوصيري وغيرها من المؤلفات الأخرى .

ان أثر دعوة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب لم يلق عليها الضوء الكافي حتى الآن فهي في أمس الحاجة الى الباحثين المجدين الذين عليهم أن يتحرّوا الدقة الموضوعية والأمانة العلمية في بيان أثر هذه الدعوة في العديد من أقطار العالم الإسلامي وليس فقط في غرب أفريقيا .

ومعذرة أخي القارىء الكريم حيث نكتفي بهذا العرض الموجز لأثر الدعوة الاصلاحية السلفية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر والمراجع

١ — آدم عبدالله الالوري : تاريخ الاسلام في نيجيريا . (بيروت) ١٩٥٦ م .
٢ — ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم — برنو ، الخرطوم ٧٠ م .
٣ — ابراهيم علي طرخان : امبراطورية برنو الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
٤ — احمد السباعي : تاريخ مكة ، مكة ، مطابع قريش ، ١٣٨٢ هـ .
٥ — بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية . بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
٦ — حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى . القاهرة ١٩٥٧ م .
٧ — حسن احمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في افريقيا . القاهرة ١٩٥٨ م .
٨ — تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان ، المؤلف مجهول ، نشرة هودامس ، باريس ١٨٩٩ م .
٩ — دائرة المعارف الإسلامية ، مادة فوليه ، الحوصة .
١٠ — عثمان دن فودى : احياء السنة واخماد البدعة ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
١١ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : سلطنة البرنو الاسلامية . رسالة ماجستير ١٩٧٥ م جامعة القاهرة .
١٢ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المسلمون وحضارتهم في غرب افريقيا : تحت الطبع .
١٣ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : مراكز الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا ، مجلة الفيصل .
١٤ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الدعوة الاسلامية وغرب افريقيا : مجلة الدعوة عدد ٦٥٢ .
١٥ — عبد الفتاح مقلد الغنيمي : الاسلام والمسلمون في نيجيريا . مجلة التضامن الاسلامي ، رجل ٩٨ هـ .
١٦ — علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا : رسالة دكتوراه ١٩٦٨ م جامعة القاهرة .
١٧ — أرنولد ، توماس :- الدعوة الى الإسلام . القاهرة ، ١٩٥٧ م .
١٨ — محمد بللو بن عثمان دن فودى : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .

عبد الفتاح مقلد الغنيمي
ماجستير تاريخ اسلامي — غرب أفريقيا

جامعة الملك عبد العزيز — مكة المكرمة

والندوات الثقافية

بقلم الأستاذ : الغزالي حرب

ما المراد بالجمعيات والندوات الثقافية ؟

جاء عن كلمة « الجمعية » في « المعجم الوسيط » — وهو من مطبوعات المجمع اللغوي بمصر — ما يأتي : الجمعية طائفة تتألف من اعضاء لغرض خاص ، وفكرة مشتركة ، ومنها « الجمعية الخيرية الاسلامية » والجمعية التشريعية « والجمعية التعاونية » وكلمة « الجمعية » من الكلمات المحدثة ، أي الكلمات التي استعملها المحدثون في العصر الحديث ، وشاعت في لغة الحياة ... مثل كلمة « البدال » بمعنى « البقال » عند العامة وكلمة « برج الحمام » بمعنى بناء خاص يأوي اليه الحمام ، وكلمة « براد الشاي » وكلمة « مضيفة الطائرة » ... وكلمة « الجمعية » .

وجاء فيه أيضا عن كلمة «ندوة» ما يأتي :

ندا القوم (برفع القوم) ندوًا : اجتمعوا في النادي وندا القوم (بنصب القوم) : جمعهم في النادي .. والندوة : اسم المرة من الفعل «ندا» ، والنادي : الجماعة يلتقون في ناد أو نحوه للبحث والمشاورة في أمر معين ... و «دار الندوة» كل دار يرجع اليها ، ويجتمع فيها للبحث والمشاورة ، وقد كانت لقريش في الجاهلية «دار الندوة» في مكة ، ويقول المؤرخون : ان قصي بن كلاب ، هو الذي بناها ، ثم انتقلت إلى ولده ، واخيرا اشتراها معاوية بن أبي سفيان ، الذي جعلها دار للامارة .

وجاء فيه كذلك عن كلمة «ثقافة» ما يأتي : — «ثقف» (بكسر القاف) ثقفا : صار حاذقا فطنا فهو ثقف ، «وثقف العلم والصناعة» : حذقها ، وثقف الشيء (بتشديد القاف) أَقَامَ المعوج منه وسوَّاه ، وثقف الانسان (بتشديد القاف أيضا) : أدبه وهذبه وعلمه ، والثقاف : آلة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل ، وجمعها : ثقف (بضم الثاء والقاف) على وزان كتب جمعا لكتاب . أو جمعها «أثقفة» على وزان «اغطبة» جمعا لغطاء .

و «الثقافة» في أصلها اللغوي : الملاعبة بالسيف ، ويراد بها في العصر الحديث : العلوم والمعارف والفنون ، التي يطلب الحذق والمهارة فيها ... وكلمة الثقافة بهذا المعنى من الكلمات المحدثة المشار اليها آنفا ...

وقد تطورت كلمة «التثقيف» من تثقيف وتقويم المادَّةِ بآلة الثقاف ، إلى تثقيف العقل ، وتهذيب الذوق والخلق ، بما تيسر من ألوان العلوم والمعارف والآداب والفنون ...

ومن الشخص المثقف ؟

من الطريف أن المجيبين عن هذا السؤال من الباحثين المحدثين قد اختلفت اجاباتهم عن هذا السؤال ، باختلاف ثقافاتهم أو اتجاهاتهم وميولهم الثقافية ، واتخذ كل من نفسه مثلا أعلى للشخص المثقف ، كما اتخذ من ثقافته معيارا مشرفا للثقافة ، التي لا يرضى بها بدلا ، ومهما يكن من اختلاف تعريفا تهم للثقافة والمثقف ، فمن الممكن ان نذكر هنا أهم العناصر ، التي لا غنى عنها للثقافة الحرة ، والمثقف الحر ، وهي :

١ — الاخذ من كل شيء بطرف ، ومعرفة شيء عن كل شيء .
٢ — والجمع بين الأدبين : أدب الدرس وأدب النفس .
٣ — ومتابعة القراءة الحرة لما تيسرت قراءته من القديم أو الحديث .
٤ — والترفع عن السفساف والتوافه .
٥ — والثقة بالنفس دون ما غرور أو تغرير .
٦ — وسلامة المنطق ، وسعة الافق وحسن التصرف .
٧ — والانتفاع بالخبرات والتجارب — كما ينبغي — وتلك أهم عناصر الثقافة الحرة الشاملة التي هي — ولاشك أوسع وأكمل .

وأعمق من الثقافة المقيدة بقيد معين ، أو الملونة بلون خاص مثل الثقافة المدرسية ، أو الثقافة الدينية ، أو الثقافة الفلسفية أو الثقافة العلمية ، أو ما إلى ذلك من الالوان الثقافية ، التي لا نريدها هنا قدر ما نريد .

الثقافة الحرة الشاملة المنوعة ، التي عناها جورج ديهاميل مثلا بعبارته المأثورة[1] :

« الثقافة كالايمان الذي لا يكفي أن نطلبه لنناله ، فهي نتيجة لمجموعة من الملابسات التي لم يكشف لنا العلم بعد تكوينها الحقيقي ومع ذلك ، فنحن نعرف على الاقل بعض عناصرها المكونة » وغنى عن البيان أن تلك العناصر السبعة ، التي مرت بنا ، لا تكفي في تكوين الشخصية الثقافية الحرة ، الا على أساس الشعور الدائم بمسيس الحاجة إلى المزيد بعد المزيد من العلوم والمعارف والآداب والفنون مصداقا لقول القرآن الكريم : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » « وقل رب زدني علما » ... وعن هذا الشعور عبر المرحوم الاستاذ أحمد حسن الزيات بعبارته الرشيقة البليغة : « الشعور بالنقص مبدأ الكمال ، والنفور من العجز سبيل القدرة ، والركون إلى الامل الحافز دليل الفوز » كما عبر عنه أحد شعرائنا المعاصرين بأبياته التصويرية المتسائلة :

هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقهُ الظل ويغريه بنوله
هو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الانسان في الدنيا ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما .. زاد ايقانا بجهله

وهذا الشعور الدائم بالحاجة إلى المزيد من العلم والمعرفة والأدب والفن ، توحيه الحياة وندواتها ، ومجتمعاتها وتجاربها إلى المثقف الحر الاصيل ، أكثر مما توحيه المدرسة أو الجامعة أو « الشهادة الرسمية » ، كائنة ما كانت ، ورحم الله أحمد شوقي الشاعر المصري الكبير :

وكم منجب في تلقي الدروس تلقي الحياة فلم ينجب

ولماذا ؟ لان النجابة الثقافية المنشودة ، انما هي النجابة التي يفيدها المثقف من الحياة وخبراتها التي لا نهاية ولا حدود لها ، وأن لم ينح لهذا المثقف أن يظفر باحدى الشهادات الدراسية ، التي يقول فيها المثل الفرنسي الساحر اللاذع : « الشهادة الدراسية أحيانا جلد حمار ...

ومن المثل العليا للنجابة الثقافية الشاملة قديما في أدبنا العربي :

أ — عبد الحميد الكاتب ، المقتول في آخر عهد الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية عام (١٣٢ هـ) وبفضل ثقافته المنوعة الرائدة كان أول من عرف بلقب « الكاتب » ، وكان له أسلوبه الثقافي الممثل للطور الاول من أطوار الاسلوب العربي في ذلك المجتمع الحضاري الجديد ، الذي بدأ فيه اختلاط العرب بالفرس .

ب ـــ ثم عبدالله بن المقفع (١٠٦ ـــ ١٤٢ هـ) الذي كان له أسلوبه الثقافي الممثل للطور الثاني ، استجابة لا تساع الخلافة وتنوع الثقافة ، وتفتح المخالطة بين العرب والفرس ...

جـ ـــ ثم أبو عثمان الجاحظ (١٥٩ ـــ ٢٥٥ هـ) الذي مثل بأسلوبه الثقافي الجامع المتفنن ، الطور الثالث للاسلوب العربي ، وهو طور الاستجابة لمقتضيات نقل العلوم الأجنبية ، وازدهار المدنية العباسية ، وانتشار المقالات الاسلامية ....

د ـــ ثم أبو الفضل محمد بن الحسين المشهور بابن العميد (٣٦٠ هـ) وبأسلوبه الثقافي الأنيق ، مثل الطور الحضاري الرابع مستجيبا لدواعي الترف والنعمة ، فتطور تطورا طرديا صاعدا من الضيق إلى السعة ، ومن الجوالة إلى الرقة ومن الترسل المتوازن إلى الصنعة المطبوعة ...

هـ ـــ ثم على بن محمد أبو حيان التوحيدي (٣١٠ هـ ٤١٤ هـ) ، وبفضل ثقافته العامة العريضة المنوعة ، عرف بلقب «الجاحظ الثاني» ولقب «فيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة» .

وبفضل الثقافة كان الخليفة المأمون العباسي مثلا ، على الرغم من نهوضه بأعباء الخلافة والسلطان ، رجلا مهيبا بعلمه وثقافته ، قبل أن ـــ يكون مهيبا بحكمه وخلافته ، حتى قال له يحي بن أكثم في أعقاب ندوة علمية ثقافية شاملة :

يا أمير المؤمنين ، ان خضنا في الطب كنت «الينوس» في معرفته أو في النجوم كنت «هرمس» في حسابه ، أو في الفقه كنت «علي بن أبي طالب» في علمه ...

فسر المأمون بهذه الشهادة الثقافية المشرفة من رجل له ثقله في الميزان الثقافي في ذلك العصر ، وقال له : يا أبا محمد : أن ـــ الانسان انما فضل على غيره من الهوام بفضله وعقله وتمييزه ، ولولا ذلك لم يكن هناك لحم أطيب من لحم ، ولا دم أطيب من دم .....

وإلى جانب «دار الندوة» كانت لهم جمعياتهم وندواتهم في أسواقهم المشهورة : عكاظ ومجنة وذي المجاز ، وفي سوق عكاظ ، ضربوا قبة للاعشي وغيره من الشعراء ، لانشاد الشعر أو الفصل والمفاضلة بين الشعراء ، ومن هنا وصف الأديب السعودي المعاصر الاستاذ عبدالله ابن خميس هذه السوق[1] ، بانها كانت «اعظم معرض في جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن ، وأعظم مؤتمر للرأى والسياسة والاجتماع ، وأعظم منتدي للشعر والخطابة والبلاغة» .

وفي عصر صدر الاسلام كانت «سقيفة بني ساعدة» منتدي للاجتماعات التي عرفت ـــ على خطورتها أحيانا ـــ باسم «اجتماعات السقيفة» .

وشهد العصر الأموى ندوات أدبية ثقافية ، تجمع أحيانا بين الرجال وبعض السيدات البرزات ـــ أي اللاتي عُرفن بالبروز لمواجهة الرجال ـــ في جرأة وعفة من طراز :

أ ـــ الندوة التي جمعت بين السيدة عائشة بنت طلحة ، حفيدة أبي بكر الصديق وزوج

مصعب بن الزبير ، وبين هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين وغيره من شيوخ بني أمية .
ب ــ والندوة التي جمعت بين السيدة سكينة[1] بنت الحسين صاحبة «الطرة السكينية» وبين بعض شعراء عصرها ، وقد اشتهرت هذه السيدة الأديبة الناقدة ، بذوقها الادبي السليم وشخصيتها القوية ، التي جعلت المستشرق «بيرن» يصفها بأنها «كانت سيدة عصرها ، اذ كانت موفورة الجمال ، كاملة الخصال ، ولا غرو فقد رغبت في العلم والمتعلمين ، وجالست العلماء والأتقياء وشاركتهم في كثير من العلوم والفنون» وقد حدثنا أستاذنا المرحوم أحمد[2] أمين « : أن أبا القاسم على بن محمد التنوخي كان من أعيان أهل العلم والادب في العصر العباسي الثاني ولما مات بالبصرة عام ٣٤٢ هـ ، خلفة ابنه أبو علي المحسن التنوخي ، الذي كان أديبا شاعرا أخباريا ، وهو صاحب كتاب «نشوار المحاضرة» الذي أراد أن يحقق فكرة لطيفة» وهي أن يدون تاريخ الاحداث التي تدور في المجالس ، وعلى ألسنة الرواة ، ولم تدون في الكتب» ، وممن عنوا بذلك أيضا في العصر القديم : أبو علي الفارسي الامام النحوي المشهور والمتوفي عام ٣٧٧ هـ فقد حدثنا عنه احمد أمين في الجزء الاول من «ظهر الاسلام» ص ٢٤٣ ،ـقائلا عنه : انه «كان يدون في كتاب ما يجري له من مناظرات في كل بلد ، ككتاب المسائل «الحلبيات» و «البغداديات» و «الشيرازيات» ...... الخ .

كما حدثنا الأستاذ المحقق المعاصر عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه كتاب «مجالس ثعلب» المتوفي في عام ٢٩١ هـــ أن هذا الكتاب «تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس» أبي العباسي أحمد بن يحي ثعلب ....

ومن ندوات ما بعد العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي تقريبا الندوات الاتية :
١ ــ الندوة التي كانت تعقدها السيدة شهدة[1] بنت أبي نصر أحمد بن فرج بن عمر المشهورة باسم «شهدة الدنيورية» نسبة إلى «الدينور» وهي بلدة كانت من بلاد الجبل ، واليها ينسب بعض العلماء والأدباء... وكانت «شهدة الدنيورية تعقد ندوات في جامع بغداد ، وهي ندوة أدبية تاريخية كانت لها شهرتها بين أبناء القرن الخامس الهجري .
٢ ــ والندوة بل الندوات التي شارك فيها أبو حيان التوحيدي المتوفي عام ٤١٤ هـ عن أكثر من مائة عام ، قضاها في خدمة العلم والادب والثقافة ، حتى استحق لقب «الجاحظ الثاني» بل «الجاحظ الأعظم» وبفضل ثقافة الوسيعة المنوعة وعلى الرغم من شظف عيشة وسوء حاله ، وضيق ذات يده ، شارك في ندوات لابن العميد والصاحب بن عباد ، والمهلبي ، وابن سعدان ، والمدلجي كما شارك في ندوات أستاذه الفيلسوف أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ، وأستاذه الآخر أبي الفضل بن العارض .. ومن الفلاسفة والادباء الذين كانوا يشاركونه في هذه الندوات : أبو الوفاء المهندس ، وزيد ابن رفاعة ، وابن زرعة الفيلسوف النسرائي ، ومسكوبة أو ابن سكوبة مؤلف «تهذيب الأخلاق» و «تجارب الأمم» وصاحب الأجوبة المعروفة باسم

« الشوامل » عن أسئلة أبي حيان المعروفة باسم « الهوامل » وقد سجل أبو حيان ما تيسر من هذه الندوات والمجالس في مؤلفاته ولا سيما « الامتاع[1] والمؤانسة » و « المقايسات » و « الهوامل والشوامل » وهذه الكتب كلها مطبوعة ومحققة ..... ومن المؤسف أن من الكتب المفقودة لابي حيان — حتى كتابة هذه السطور — كتابا يسمى « المحاضرات والمناظرات » — كما قال ياقوت ومنه اقتطف ابن العربي كثيرا في كتابه « المسامرات والمحاضرات » كما اقتطف منه أيضا الغزولي في كتابه « مطالع البدور » ، ولم يفت **القفطي**[2] ان ينقل لنا بعض ما دار بين أبي حيان وغيره في ندوة أبي الفضل بن العارض .

٣ — والندوة التي كانت عائشة بنت غالب تعقدها في أشبيلية وغيرها في الاندلس في النصف الاول من القرن الخامس الهجري وكان من أعظم شهودها : أبو الوليد ابن زيدون — الذي كان يتردد على هذه الندوة في بداية أمره ، ثم انتقل إلى ندوة .... حبيبته ولادة بنت المستكفي ومن الممكن ان نلتمس ندوات اخرى حقيقية أو خيالية في كتاب « البُخلاء » للجاحظ ، وفي مقامات بديع الزمان الهمزاني ثم في مقامات الحريري ، لان المقامات — كما قال الشريشي هي المجالس « واحدتها : مقامة ، والمقامة الحديث يجتمع له ، لا ستماعه ، ويسمى مقامة مجالسا لأن المستمعين للمتحدث ما بين قائم وجالس ولان المتحدث كان يقوم تارة ويجلس تارة اخرى » .. واحسب أن في هذا القدر من الحديث عن الجمعيات والندوات الثقافية العربية قديما ما يدل — **اول ما يدل — على أننا نحن ابناء العروبة والاسلام أمة لها ماضيها المجيد ، وتراثها الحضاري ، وتاريخها العريق فمتى يرتفع حاضرها إلى مستوى ماضيها ؟**

(١) انظر المجلد العشرين من مجلة « الرسالة » للأستاذ أحمد حسن الزيات : ٥٦٣ .

(١) في كتابه « المجازبين اليمامة والحجاز» ط ١٩٧١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ .

(١) انظر « الأغاني » : ٦ : ١٥٠ ، وج ١٠ : ٥٧ ، وج ١٤ : ١٥٩ ، ١٦٧ والمثل الكامل للمرحوم جاد المولى بك : ١٩٤ .

(٢) انظر « ظهر الإسلام» ط ٣ ج ١ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(١) انظر « وفيات الأعيان» لابن خلّكان ج ٢ : ١٧٢ وما بعدها .

(١) انظر « الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ، ج ٦ ص ٢٣ ، ١١٥ ، ١١٧ وانظر « المقابسات » ص ٢٥٩ ولا سيما المقابسة ٦٤ ص ٣٣ وما بعدها .

(٢) انظر « اخبار الحكماء» للقفطي ص ١٨٦ وما بعدها .

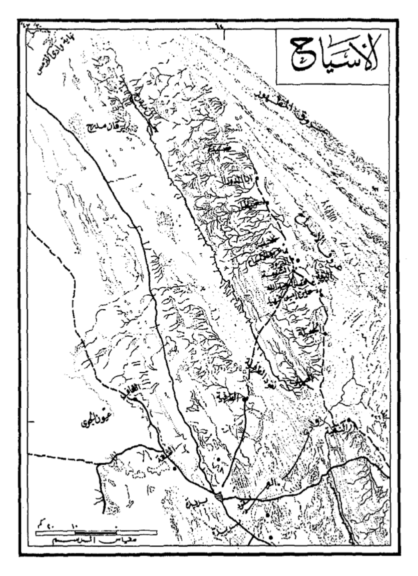


الاسياح منطقة صغيرة تابعة لأمارة القصيم وتقع في طرفها الشمالي الشرقي . كانت تسمى النباح لكثرة عيونها ؛ قيل عيون تنبجّ بالماء بمعنى تنبع من عدة منابع ضيقة . وقد وصفها الحسن الهمداني بأنها « بلاد كثيرة القرى يقال له نباج بني عامر وهي عيون تنبج بالماء ونخيل وزروع »[1] .

ثم سميت بالأسياح لأن فيها آباراً كانت مياهها تسيح على وجه الارض اذا كثر السيل[2] . وقد اعتبرت النباج الحد الشمالي الشرقي لنجد في رأي الكتاب القدامى[3] .

موقع الاسياح :

والاسياح عبارة عن هضبة مستطيلة الشكل تمتد من شمال الشمال الغربي الى جنوب الجنوب الشرقي ، ترتفع بين ٦٠٠ — ٧٠٠ م عن سطع البحر وينحدر سطحها إجمالا من الحافة الغربية نحو الحافة الشرقية (شكل ١) .



يحدها من الغرب رمال الطرفية ورمال القعرة وبرقان مدرج ، وتحدها من الشرق عروق الأسياح وهي امتداد لعروق المظهور ، كانت تسمى الشقيق أو شقيق النباج او الشقائق[٤] .
ويحدها من الشمال عرق نواظر الذي يقطع الطريق على وادي الترمس وهو امتداد آخر لعروق

المظهور ، ومن الجنوب نهاية وادي الرمة حيث يختفي تحت مقدمة رمال الثويرات في منطقة النبقية . ولذلك فهي تقع[٥] فيا بين خطي طول : ٤٥ْ ٤٣ْ ، ١٥ْ ٤٤ْ شرقا وخطي عرض ٣٢ْ ٢٦ْ ، ٢٠ْ ٢٧ْ شمالا .

وهضبة الأسياح هي إحدى صفراوات نجد[٦] ، وهي قفا كويستا ، تتجه حافتها الشديدة الانحدار باتجاه الغرب أي نحو الحفرة المرافقة والمملوءة برمال الطرفية ورمال القعرة . ويتمثل أعلى الكويستا بجبال مدرج وخشم القعرة . وينحدر قفاها تدريجيا ابتداء من أعلى حافة الجرف باتجاه الشرق وتنتهي على شكل منخفض خطي يطلق عليه اسم « جو الأسياح »[٧] .

وتعتبر الأسياح من حيث المناخ امتداداً لهضبة العارض بنجد التي يتصف مناخها بارتفاع درجات الحرارة كثيراً وعظم الفروق الحرارية اليومية والسنوية وتعرضها للرياح الجافة في معظم أيام السنة . وتعتبر أمطارها على قلتها (بين ١٠٠ — ١٢٥ ملم سنوياً) أكثر من من أمطار معظم مناطق المملكة الأخرى ما عدا المرتفعات في الجنوب الغربي[٨] .

هيدرولوجية الأسياح :

الأسياح حوض تصريف داخلي تبلغ مساحة منطقة تغذيته بالمياه نحو ٢٥٠٠ كم٢ ، وتشمل الصفراء التي تنتمي في معظمها لتكوين « الجلة » الترياسية المتكونة من صخور الرمل والطمي والطفال الحديدي والجصي والكلس والد ولوميت الرمليين وحجر الرمل الاوليتي ، والتي يبلغ سمكها بين ٢٢٦ — ٣٧٥ م . ويظهر تكوين المنجور التابع للترياسي الأعلى في الطرف الشرقي للأسياح ، وتظهر عليه بقع واسعة مغطاة بالطمي الحديث وما يقترن به من رواسب ناعمة تتجمع عادة في المنخفضات العديمة التصريف . وتجثم هذه الطبقات فوق صخور الزمن الأول المتنوعة التركيب والعظيمة السمك هي : تكوينات سدير والخف وتبوك والساق[٩] .

إن التصريف المائي في الأسياح من النوع التتابعي أي يتبع ميل الطبقات نحو الشرق ، غير أن وجود الرمال وتكدسها بعد المنخفض مباشرة حال دون التصريف واضطره ان يقطع مجراه .

ولذلك نشأ عدد لا يحصى من الوديان المتوازية والمتقاربة يبلغ معدل طولها نحو ٢٠ — ٢٥ كم فقط . فاذا ما سقطت أمطار غزيرة على الهضبة فإن المياه سرعان ما تنصرف الى هذه الوديان ثم لا تلبث ان تختفي نتيجة تسربها خلال الطمي الحديث ، وداخل الصخور المنفذة الكائنة تحتها على طول الحافة الشرقية للهضبة .

كما عملت هذه الوديان نتيجة تعريتها لسطح الهضبة على ترسيب كمية كبيرة من الطمي الحديث المشتمل على الرمل والحصى والصلصال لا سيا في الشرق حيث تنتهي الأودية الصغيرة ، زاد هذا الطمي من إمكانية تخزين المياه .

وقد فطن سكان هذه المنطقة منذ القديم الى أهمية مياه هذه السيول ، فأقاموا سدوداً ترابية على بعض تلك الوديان ، من أهمها السد الذي أقيم في القرن العاشر الهجري على الوادي الواقع في جنوب بلدة التنومة ، كان يعرف باسم **سد مارد** . وقد أقيم في مكانه سد آخر من الخرسانة المسلحة منذ عشر سنوات تقريباً حتى يساهم في زيادة تغذية الخزان بالمياه .

الخزانات المائية الجوفية بالأسياح :

ظهرت المياه في «جو الأسياح» (اي في طرفه الشرقي) منذ عشرات القرون على شكل عيون جارية ضعيفة ، وغيول (جميل غيل) تنضح بالماء ، كما امكن استنباطها بواسطة الآبار التي حفرت بالوسائل اليدوية بسبب قرب مياه هذا الخزان من سطح الارض . وظهرت عند بعضها الواحات الزراعية أو موارد مياه للبادية ، والتي تحول بعضها في القرن العشرين الى هجر استقر فيها البذو . هذه المياه هي مياه الخزان الجوفي السطحي .

ولكن يجب علينا الحذر من المغالاة في كمية هذه المياه ، فهي محدودة . والتاريخ ينبئنا بأن مياه النباج كثيراً ما غاضت وتعرضت آبارها للجفاف ، لا سيما بعد فترات من الازدهار أي بعد توسع أكثر من اللازم في استثمار تلك المياه المحدودة . وتعرضت واحاتها للاندثار بسبب إهمالها وقربها من المناطق الرملية التي تطمر معالمها . ومر على النباج (الأسياح) فترات من تاريخها كانت مجهولة .

يعود ذلك الى ضآلة كمية المياه المختزنة في هذا الخزان الجوفي السطحي بسبب صغر مساحة منطقة تغذيته بالمياه ، وندرة الأمطار وقلة كمية الفائض منها للتخزين من ناحية ، ولانخفاض إنتاجية تكويني المنجور والجلة الواقعين تحت طبقات الطمى مباشرة والمتصلين بها من المياه الجوفية من ناحية أخرى .

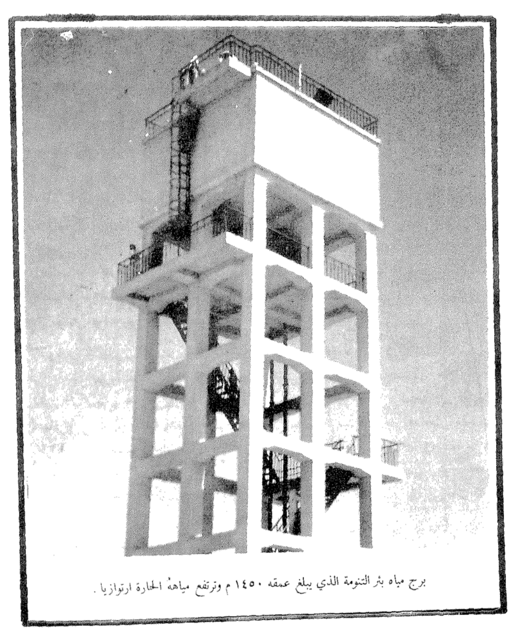
ولحسن الحظ تم اكتشاف الخزان الجوفي المائي الثاني والأكثر أهمية في الأسياح ، منذ أقل من عقدين من الزمن . إذ كانت كميات كبيرة من مياه الأمطار قد تسربت خلال العصر المطير الذي مر بالجزيرة العربية منذ أكثر من عشرين ألف سنة ، وتجمعت في الطبقات الصخرية المنفذة والعميقة والتي تفصلها بعضها عن بعض طبقات كثيرة . وقد بقيت مياه هذه الخزانات غير مستغلة خلال تاريخ المنطقة الطويل ، حتى تم اكتشافها في القصيم وفي الرياض وغيرها من مناطق المملكة ، خلال الخمسينات من القرن العشرين ، نتيجة تعميق الآبار بواسطة الحفارات الميكانيكية الحديثة الى مئات الامتار . فتدفقت المياه من تلك الآبار بفعل الضغط الطبيعي .

ففي خلال الستينات من هذا القرن أمكن حفر عدد كبير من الآبار في منطقة الأسياح الى أعماق مختلفة ، وقد ظهر الماء من بعضها حينما وصل الحفر الى أعماق معينة حسب التكوينات الخازنة للمياه ، وذات صفات من حيث الجودة مختلفة . وقد أمكن الاستفادة من مجموعتين

من الآبار :

المجموعة الاولى وهي الآبار المتوسطة الأعماق (إذ تتراوح أعماقها بين ١٠٠ — ٢٠٠ م) وتصل الى تكوين الجلّة كما هي الحال في آبار النبقية والجعلة في جنوب الأسياح، وأبى الدود في شمالها . وتحوي مياهها نسبة متوسطة من المعادن .

المجموعة الثانية وهي الآبار العميقة جداً والتي تصل الى تكوين الساق التي تقع قمتها في الأسياح على عمق يزيد عن ١٠٠٠ م ، كما هي الحال في آبار التنومة وحنيظل في وسط الأسياح التي حفرت آبارها الى عمق ١٤٥٠ م .



برج مياه بئر التنومة الذي يبلغ عمقه ١٤٥٠ م وترتفع مياههُ الحارة ارتوازيا .

اندفعت المياه من تكوين الساق الى السطح بفعل الضغط الطبيعي بمعدل ١٠٠ م فوق سطح الارض وبقوة (لتر/ثانية . وكانت مواصفاتها جيدة بالقياس الى مياه التكوينات الأخرى وتحوي نسبة قليلة من المعادن لا سيما من اكاسيد السيليكون والحديد . لا يتجاوز مجموعها ٨٠٠ — ٩٠٠ ملغرام/لتر ، غير ان درجة حرارتها عالية جداً ويلزم تبريدها قبل أي استعمال لها . وتدل دراسات تحليل كربون ١٤ على مياه تكوين الساق على أنها مختزنة منذ فترة تتراوح بين ٢٠ — ٢٥ ألف سنة .

سحبت مياه بئر التنومة الى برج يرتفع اكثر من ٣٠ م حتى تبرد ثم توزع منه الى البلدة المجاورة لموقع البئر وكذلك الى البساتين المجاورة . وباختصار دخلت منطقة الأسياح منذ استغلال المياه الجوفية العميقة عهدا جديداً من حياتها . (صورة رقم ٢) .

لمحة عن تاريخ وإعمار الأسياح :

عرفت «النباج» منذ عصر الجاهلية ، وكانت لعبس عند ظهور الاسلام . وقيل أن عبدالله بن عامر بن كريز ، وهو والي عثمان بن عفان على «البصرة» استنبط ماءها وشقق فيها عيوناً وغرس نخيلا ، ثم سكنها بنوكريز ومن انضم إليهم من العرب . ولذلك عرفت بنباج بني عامر(١١) . ثم آلت الى بني مجيد من قريش(١٢) .

وقد اكتسبت النباج أهمية خاصة منذ وقت مبكر كمنطقة تتوفر فيها المياه وسط مناطق صحراوية قاحلة جداً ، وليست بعيدة عن صحراء الدهناء التي تمتد على شكل قوس كبير في وسط شبه الجزيرة العربية يمتد من الشمال الى الجنوب ، ويعزل بذلك إقليم نجد الذي يليها غرباً عن بقية المناطق التي تليها شرقاً .

ولهذا اشتهرت النباج في الماضي كمحطة هامة من محطات القوافل التي تقطع الدهناء . فقد ذكر النباج على سبيل المثال ابن خرداذبة الذي عاش في القرن الثالث الهجري كمحطة من محطات قوافل الحجاج ، وذلك في معرض حديثه اولاً عن الطريق من البصرة الى مكة ، وثانياً في محطات قوافل الحجاج ، وذلك في معرض حديثه اولاً عن الطريق من البصرة الى مكة ، وثانياً في معرض حديثه عن الطريق من الكوفة الى مكة ، وجعلها تقع في الحالتين فيما بين المحطتين السّمينة والعوسجة(١٣) . وقد وصفها الهمداني بأنها «بلاد كثيرة القرى» وقال الحربي ان» بالنباج عينا ونخلا وتجارا كثيرين ومسجدا ومنبرا(١٤) .

غير ان كتاب القرون التالية تجاهلوا النباج مما يدل على أهمالها وتخريبها ، ولا أدل على ذلك مما ذكره الاصطخرى الذي عاش نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجريين بأن «ليس بين المدينة والعراق مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة (طول العام) مثل فيد» . في حين أن فيد نفسها كانت ضامرة الشأن كما وصفها هو نفسه إذ قال : بان «فيها نخيلا وزرعا قليلا لطيء وبها ماء قليل يسكنها بادية من طيء ينتقلون عنها في بعض السنة للمراعي(١٥) .

قيل أن النباج بقيت مجهولة حتى أمكن استنباط مياهها من جديد في القرن العاشر الهجري وذلك في عهد سلطان مارد . وقيل أن سلطان مارد كان واليا لأحد حكام العراق ، بعثه على رأس طائفة من الجند ليقيموا في الأسياح فيمنعوا الأعراب من الاعتداء على قوافل الحجاج فأجرى إحدى عيونها وعمر قصره مرتفعة الذي سمي باسمه (قصر مارد) [١٦] والذي لا تزال خرائبه باقية حتى الآن على صفاة مرتفعة في وسط روضة واسعة تقع (في شرق بلدة العين) (صورة رقم ٣) وهو غير قصر مارد في دومة الجندل . وبنى أيضا سداً ترابياً على الوادي الواقع فيما بين بلدتي العين والتنومة والذي عرف باسم «سد مارد» .



خرائب قصر مارد في شرق بلدة عين ابن فهيد .

اخضع مارد الأعراب وأمّن طريق الحج وعمر النباج ، لكنه امتنع على الوالي ، وأعلن استقلاله في الأسياح الى أن قتل على يد حميد ان ابن راشد من الضياغم من شمر ، فأهملت النباج وغارت العين ودثرت وانطمست الآثار[١٧] . وبقيت كذلك حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري . غير ان التاريخ يذكر أيضا أن التنومة وحنيظل وأبا الدود هي من المواقع التي استمر عمرانها مدة أطول لأنه ليس بها عيون جارية بل كانت تعتمد على الآبار ، كما يذكر أيضاً أن كثيراً من روضات الأسياح كانت تزرع الحبوب بعلاً .

خرب ثويني آل شبيب في القرن الماضي التنومة وقطع نخيلها وقتل أهلها وهرب الباقون ، ومنهم محمد بن فهيد الذي فر الى العراق ، وهناك اطلع على جانب من تاريخ الأسياح وعينها الجارية زمن مارد . فعاد إليها ونقب عن آثار العين حتى وجدها وحاول بعثها . فنشأت قرية حول العين سميت عين ابن فهيد نسبة اليه ، وكان قد استقطعها من إمام الدرعية ، لم تلبث ان تحولت الى بلدة . وهي اليوم قاعدة الأسياح وأهم قراها . ثم تتابع إحياء العيون في الأسياح حتى بلغت العشرة(٣)

سكان الأسياح :

عاش في «النباج جماعات قبلية عديدة تتابعت منذ عصر الجاهلية ، وتغيرت انتماءاتها عبر العصور . وكان يستقر جزء صغير من تلك الجماعات في الواحات التي تنشأ عند العيون أو الآبار في حين تبقى معظمها في حالة البداوة . وكانت ظروف النباج وإمكانية مواردها المائية تقتضي دائماً أن يكون مجموع سكانها قليلا ، فضلاً أن عددهم كان يتغير زيادة أو نقصا حسب تلك الظروف .

وأتبعت الأسياح في عهد الدولة السعودية الحديثة الى منطقة القصيم ولا تزال . وتتكون الآن من تسع أمارات فرعية من الأمارات الـ ٨١ التي تتكون منها منطقة القصيم . وتضم نحو ٢٠ قرية ومن مثل هذا العدد من الهجر وموارد المياه .

وقد حدث في العشرين سنة الماضية اتجاه نحو الاستقرار والتطور في الأسياح كصدى لما يحدث في المملكة ككل ، ونتيجة لاستثمار المياه الجوفية العميقة فيها . ومع ذلك فلا زال سكان المملكة لسنة ١٩٧٤ م سكان الامارات الفرعية في منطقة الأسياح :

سكان الأسياح في سنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤(١٨)

الرقم	الامارة	المستقرون	البدو	المجموع	عدد المسميات	عدد الاسر
١	أبا الدود	٧٨٨	٣١٢	١,١٠٠	٦	١٨٥
٢	حنيظل	٦١٠	٤٣٢	١,٠٤٢	٥	١٤٧
٣	خصيبة	٤٤٣	٥٣٧	٩٨٠	١	١٨٩
٤	البرود	٢٠٥	٤,٩٣٨	٥,١٤٣	١	٩٠٥
٥	التنومة	٦٥٤	٥٢٥	١,١٧٩	٦	١٠٧
٦	طريف الأسياح	١٣٩	٢٠٤	٣٤٣	١	٥٠
٧	عين ابن فهيد	٢,٧٣٤	٢٠٤	٢,٩٣٨	١١	٤٩٧
٨	الجعلة	٤٩٩	٢,٢٠٥	٢,٧٠٤	٢	٤٤٩
٩	النبقية	١٧٨	٣٦٣	٥٤١	٢	٩٢

المجموع	٦,٢٥٠	٩,٧٢٠	١٥,٩٧٠	٣٥	٢,٦٨٤
النسبة	٣٩٪	٦١٪	١٠٠٪		

مجموع سكانها ضئيلا لا يساهم لوحده ، وبشكل جدّي في أي من مشاريع التنمية التي تطمح إليها المملكة في مناطقها البعيدة . ونجمل في الجدول التالي والذي استخلصناه من نتائج تعداد

من دراستنا لأرقام الجدول السابق يمكن ملاحظة ما يأتي :

١ ـــ لا يبلغ عدد سكان الأسياح الآن العشرين ألف نسمة (اذ كانوا ٩٧٠ ١٥ في سنة ١٩٧٤ م) ، هذا بالرغم من قدم استثمار هذه المنطقة وتوفر مياهها . وهذا الرقم يعادل ٥,٦ ٪ من سكان القصيم . ومع ذلك فهو يزيد عن نصف عدد سكان منطقة القريات (٥٦,٥ ٪ منها) ، وهي أصغر الوحدات الإدارية الأربع عشرة في المملكة .

٢ ـــ لا زالت حياة البداوة والتجول هي الطاغية على سكان الاسياح ، إذ لم تبلغ نسبة السكان المستقرين ٣٩ ٪ من المجموع . ويعود ذلك بالدرجة الأولى الى قلة مساحة الاراضي الزراعية وضعف الموارد الإنتاجية إجمالا .

٣ ـــ ذكر في الجدول ٩ أمارات فرعية في الأسياح في حين ارتفع عدد المسميات الى ٣٥ بسبب وجود بعض القرى وهجر البادية وموارد المياه تابعة لمراكز تلك الامارات . وبذلك يبلغ معدل أفراد كل من المسميات السكانية ٤٥٦ فرداً ، وهذه الأرقام تدل على ازدحام ريفي أو بدوي مرتفع بالقياس الى مناطق الريف والبادية الأخرى في المملكة .

٤ ـــ بلغ معدل عدد أفراد الاسرة في الأسياح ٥,٩ فردا للاسرة الواحدة . ويعتبر هذا الرقم مرتفعاً بشكل عام ، غير أنه يقل عن معدل عدد أفراد الأسرة في منطقة القصيم ككل ، وعن معدلها في كل من مناطق المدن بريدة وعنيزه والرس ، وبالتالي فهي تشبه في هذه الناحية معدل عدد أفراد الاسرة في مناطق أطراف القصيم ، وهي المناطق الفقيرة كالجواء وعقلة الصقور وضرية[١٩] .

٥ ـــ تساعدنا أرقام هذا الجدول على ترتيب الأنماط الاجتماعية لسكان الأسياح حسب أهميتها على النحو التالي :

أ ـــ **البدو والرحل** : ارتفعت نسبة البدو في الأسياح في سنة ١٩٧٤ م الى ٦١ ٪ من المجموع . وتبلغ هذه النسبة مثلي نظيرتها في القصيم (٣٢ ٪) ، وهي تضع منطقة الأسياح في إطارها الطبيعي بين مناطق أطراف القصيم الفقيرة وكذلك اطراف المناطق الأخرى المشابهة والتي يزيد عدد البدو فيها عن نصف مجموع السكان . هذا بالرغم من عمليات الاستقرار التي تمت في الهجر القديمة أو الحديثة أو في القرى الهامة .

ويعود ارتفاع نسبة البدو في الأسياح الى اتساع مساحة مناطق الأعشاب وتفرقها في وديان المنطقة . اذ ينبت في مجاري تلك الوديان العديدة في صفراء الأسياح أو في جو الأسياح الكثير من الاعشاب عقب سقوط الأمطار ، كما أن الأعشاب تنبت كذلك على الكثبان الرملية المجاورة لا سيما في عروق الأسياح ، مما يؤهلها أن تعيل حياة حيوانية لا بأس بها قوامها الأغنام والابل .

ويمكن ان نلحظ من أرقام الجدول السابق ان الجماعات البدوية تتركز في منطقتين هما : وسط الأسياح خاصة في وادي البرود الواقع شمال التنومة مباشرة ويحوي لوحده نحو نصف بدو الأسياح . وجنوب الأسياح في منطقة الجعلة خاصة في وادي النبقية قرب نهاية وادي الرمة ، ويحوي نحو ربع بدو الأسياح .

يتخذ البدو من مراكز الأمارات الفرعية مثل عين ابن فهيد والبرود والتنومة وحنيظل وأبى الدود والجعلة وغيرها من القرى مراكز للتسويق وتبادل المنتوجات .

ب ـــ **المستقرون** : تواجد المستقرون في الأسياح في نحو ٢٠ قرية تقع جميعها في جو الأسياح أي في المنخفض الشرقي وهي مرتبة من الشمال الى الجنوب : بلعوم ، ضيدة ، فيضة الوسوس ، مغيرة ، عشيران ، ابا الدود ، السيّد ، حنيظل ، خصيبية ، البرود ، التنومة ، الحكار ، طريف الاسياح ، مطارق ، قصر العبدالله ، البرقة ، فيضة ابن مهنا ، عين ابن فهيد ، السيح ، الجعلة ، النبقية .

وقد تحكمت مواقع استغلال المياه الجوفية السطحية في انتظام هذه القرى بشكل خطي ، بالاضافة الى تواجد تربة الطمي الصالحة للزراعة . إذ أن جميع الوديان التي تصرف مياه صفراء الأسياح تنتهي الى « جو الاسياح » في الشرق كما سبق ذكره . وحتى ان « هجرات » البادية التي نشأت في خلال هذا القرن ظهرت في نفس النطاق وقد تحول بعضها الى قرى .

بلغ مجموع سكان هذه القرى في سنة ١٩٧٤ م ٦٢٥٠ فرداً ، اي بمعدل ٣١٣ فردا للقرية الواحدة وهو معدل ليس بالقليل لأنها تضم مراكز الامارات الفرعية والتي تغلب عليها الملامح الريفية . ولكننا اذا استثنينا عين ابن فهيد والتنومة منها ينخفض المعدل الى ٢٢٥ فرد للقرية الواحدة .

جـ ـــ **سكان المدن** : لم تتبلور وظائف المدن في منطقة الأسياح بعد ، لدرجة يصعب علينا التأكد أن أي من مواقع الاستقرار فيها يتمتع بالملامح المدنية الحقيقية . وحتى أن مراكز الأمارات الفرعية التسع والتي تتكون منها الأسياح ، لا تزال مراكز ريفية صغيرة الحجم اكتسبت بعد اتخاذها مواقع ادارية بعض

الملامح المدنية . وقد تجاوز عدد سكان بلدتين منها فقط مقدار ألف نسمة هما : عين ابن فهيد (١١١٢ نسمة) ، والتنومة ١٠٩٤ نسمة[٢٠] .

وقد نشأت في العهد الحاضر بعض الدوائر الحكومية والمدارس والمستوصفات وغيرها من الخدمات في مثل هذه المراكز الهامة ، وبزغت فيها بعض المشاريع الحكومية كالمشاريع المائية وشق الشوارع المرصوفة ، وظهرت فيها بعض المحلات التجارية ودكاكين الحرفيين ومحطة توليد الطاقة وبعض المشاريع الفردية ، وزادت أهميتها في غضون سنين معدودة وجذبت أعداداً من بدو المنطقة ليستقروا فيها ، وبدأت تكتسب شيئاً فشيئاً بعض الملامح المدنية .

هذا هو الجانب الكمي لعدد سكان الأسياح التي تعاني من قلة ذلك العدد ، قلةً ستترك أثرها — بطبيعة الحال — في إعاقة أي من مشاريع التنمية في المنطقة . وحتى تكتمل الصورة لا بد من التعرف على بعض خصائص هذا الكم الهزيل ، لأن نوعية السكان وقد راتهم وتركيبهم الديمغرافي تترك أثراً يضاعف من مصاعب قلة عددهم . ويمكننا إبداء الملاحظات التالية في وصف هذه الخصائص :

١ — أظهرت البيانات التفصيلية لتعداد السكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م وجود ٨٤٥٦ ذكرا و ٨٢٠٠ انثى[٢١] في منطقة الأسياح . أي أن نسبة الذكور تبلغ ٥٠,٧٧ ٪ من المجموع . وهذا يدل على ان الأسياح أظهرت صفة مخالفة لمناطق المملكة الشبيهة بها اي التي يسودها الفقر وتتغلب فيها حياة البداوة ، والتي تفقد قسماً كبيراً من أفرادها الذكور في سن الشباب الى مناطق الجذب السكاني . ومع ذلك يمكننا ملاحظة أن نسبة الذكور تنخفض الى ٤٩,٢ ٪ من المجموع لمن هم دون سن الأربعين ، مما يوحي أن نسبتهم يجب ان تكون اكثر من الرقم الاول لولا عامل الهجرة . ويؤيد هذه النتيجة ان نسبة الذكور لمن تزيد أعمارهم عن ٤٠ سنة ترتفع الى ٥٦,٤ ٪ ، وهي الفئة التي لا تنتابها الهجرة في الغالب وهي المسؤولة عن ارتفاع نسبتهم في المنطقة كلها ، وأن قسماً كبيراً منهم لا يساهمون في عملية الانتاج بشكل جدي .

٢ — يتصف المجتمع في الأسياح بالفتوة ، حيث يزيد عدد الأحداث المعالين عن نصف عدد أفراد المجتمع . اذ يؤخذ من نتائج تعداد السكان لسنة ١٣٩٤ هـ أن نسبة من هم دون سن العشرين في الأسياح ٥٩,٨ ٪ ، ونسبة من هم دون سن الخمس عشرة ٤٩,٤ ٪ من المجموع[٢٢] .

٣ — ساهم في عملية الإنتاج في سنة ١٣٩٤ هـ ٦٠ ٪ من مجموع الذكور لمن هم في سن ١٢ سنة فاكثر ، وقد انخفض هذا الرقم كثيراً بسبب وجود ١١ ٪ من الطلاب و ١٠,٥ ٪ من العاجزين عن العمل . في حين لم يساهم في العمل من الاناث سوى ٢ ٪ من عدد القادرات على العمل ، إذ وجد ما نسبته ٩٢,٦ ٪ من الاناث في سن ١٢ سنة فاكثر كربات بيوت لا يشاركن في عملية الانتاج .

ومن ارقام الفقرتين السابقتين نستنتج أن نسبة القوى العاملة الفعلية في الأسياح لم تتجاوز سنة ١٣٩٤ هـ ٣٢٪ من مجموع الأفراد في سن العمل او ١٨,٨٪ من مجموع السكان وهي نسبة ضئيلة حسب اي مقياس .

٤ — ترتفع نسبة الأمية في الأسياح الى ٨٦,٨ ٪ من مجموع السكان لمن هم فوق سن العشر سنوات . وقد ساهم في رفع نسبتها الى هذا الحد تفشي الأمية بين النساء ، حيث تبلغ ٩٧,٥ ٪ . وتؤثر هذه الظاهرة بشكل مباشر في نوع العمل الذي يمارسه العاملون وفي مستواه ، إذ أنهم يمارسون أعمالا ضئيلة المردود .

٥ — وجد أن ٧٣,٤ ٪ من مجموع العاملين باعمال تتعلق بالانتاج الزراعي أو الحيواني او بالخدمات المرتبطة بهما . في حين لا يعمل في مجالات المهن والكهرباء والماء والتشييد والتجارة والمال والعقار مجتمعة سوى ٣,٤ ٪ من مجموع العاملين .

وحتى تتمكن منطقة الاسياح أن تواكب حركة التطور التي تشهدها المملكة في الوقت الحاضر ، لا بد من مغالبة بعض الصعوبات الأساسية والتي في مقدمتها ضعف العنصر البشري وهزاله سواء من ناحية الكم أو الكيف . ومن هنا تتضح أهمية تدخل الدولة ، وقيامها بعدد من المشاريع الانشائية الاساسية أو الخدمات الاجتماعية التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١ — في طليعة المشاريع الحكومية تلك التي تقضي على عهد العزلة الماضي ، وذلك بتوصيل طريق بريده — الطرفية المرصوف الى عين ابن فهيد وانشاء خط آخر يربط جميع قرى الأسياح ويتجه من الشمال الى الجنوب .

٢ — العمل على افتتاح عدد كبير من المدارس الابتدائية وغيرها من مراحل التعليم خاصة للاناث حتى تستوعب جميع الاطفال في سن التعليم ، وذلك لأن نسبة الحضور المدرسي كانت في سنة ١٣٩٤ هـ منخفضة جداً ، فبالنسبة لفئة الاعمار من ٦ — ٩ سنوات لم تبلغ هذه النسبة ١٤ ٪ ولكنها ترتفع فيما بين الذكور وحدهم الى نحو ٢٢ ٪ .

٣ — العمل على افتتاح المستوصفات الصحية في قرى الأسياح حيث ان الموجود منها لا يفي بالغرض ، اذ تبين ان عدد العاملين فيها في هذا المجال كان في سنة ١٣٩٤ هـ ١٢ فردا فقط .

٤ — العمل على إنشاء محطة كهربائية كبيرة ، وتعميم الكهرباء الى جميع قرى الأسياح ، ومن ثم التحضير لربط كهرباء الأسياح بشبكة كهرباء القصيم .

٥ — ايجاد مكتب زراعي تابع لمديرية الزراعة ببريده ، يضم عدداً من الخبراء والاخصائيين يعني بارشاد المزارعين ووقاية المزروعات ومساعدة المزارعين في شئون استعمال الالآت والاسمدة والقروض وتسهيل عملية توسيع المساحات الزراعية ورفع إنتاجية الارض وتنمية الانتاج عموماً ، وإنشاء مزارع لتربية الحيوانات .

٦ — القيام بمشاريع مائية خاصة حفر المزيد من الآبار العميقة في مواقع قريبة من القرى ومن أحواض الوديان ليتسنى الاستفادة منها لأغراض الشرب أو ري الأراضي أو سقي الحيوانات .

٧ — تحسين مستوى معيشة السكان وذلك بايجاد أعمال مجدية لهم وانشاء مباني سكنية تتوفر فيها شروط الصحة العامة وزيادة الوعي الاجتماعي والتعاوني وتشجيع توطين البدو .

٨ — تشجيع بعض مواطني الأسياح على العمل في الخدمات المهنية والشخصية والفنية والاجتماعية ، اذ تبين من احصاء السكان لسنة ١٣٩٤ هـ أن عدد العاملين في هذا المجال لم يتجاوز ثلاثين فرداً .

د . عبد الرحمن الشريف

مراجع البحث

١ — ابن خرداذبة (ابو القاسم) — المسالك والممالك — ليون مطبعة بريل ١٨٨٩ م .

٢ — الاصطخري (ابن اسحق) — المسالك والممالك — تحقيق الحيني مراجعة غربال ١٩٦١ م .

٣ — الحسن الهمداني — صفة جزيرة العرب — نشر وتصحيح ابن بليهد ١٩٥٣ م . القاهرة .

٤ — الحربي (ابو اسحق) المناسك واماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة تحقيق حمد الجاسر — منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر — الرياض ١٩٦٩ م .

٥ — عبد الرحمن الشريف — جغرافية المملكة العربية السعودية — دار المريخ للطباعة والنشر وزارة الفني — الرياض ١٩٧٧ م .

٦ — عبد الرحمن الشريف — القصيم — في مجلة الخفجي — العدد ١ . السنة ٨ . ص ١٤ — ٢٦ .

٧ — محمد العبودي — الاسياح — في مجلة العرب . الجزء ٧ ، ٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ ص ٥٣١ — ٥٥١ .

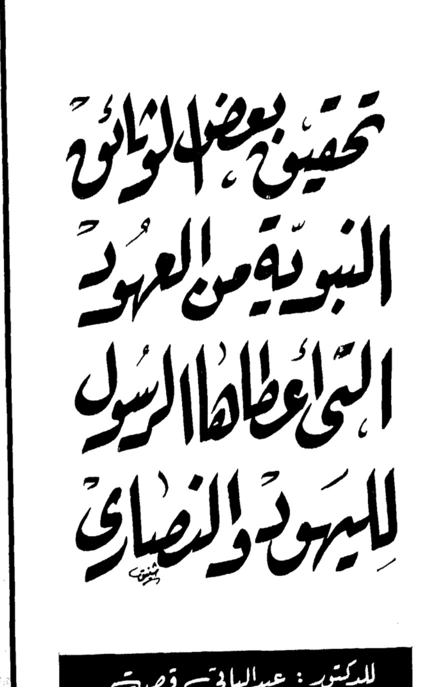
٨ — وزارة المالية والاقتصاد الوطني — مصلحة الاحصاءات العامة — التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م — البيانات الاولية . صدر سنة ١٣٩٦ هـ .

٩ — وزارة المالية والاقتصاد الوطني — مصلحة الاحصاءات العامة — التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م — البيانات التفصيلية لمنطقتي القصيم وحائل . صدر سنة ١٣٩٧ هـ .

١٠ — ياقوت الحموي — معجم البلدان — المجلد الخامس . دار صادر — بيروت ١٩٥٦ م .

١١ ــ خرائط المملكة الجغرافية ــ مقاييس مختلفة خاصة مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠
١٢ ــ خرائط المملكة الجيولوجية خاصة لوحة وادي الرمة

(١) الحسن الهمداني ــ صفة جزيرة العرب . ص ٢٨٠ .
(٢) محمد العبودي ــ مجلة العرب . الجزء ٧ ، ٨ محرم وصفر ١٣٩٥ هـ . ص ٥٣١ .
(٣) الحربي (أبو اسحق) ــ المناسك واماكن طرق الحج . ص ٥٣٦ .
(٤) محمد العبودي ــ نفس المكان .
(٥) لوحة وادي الرمة مقياس ١ : ٥٠٠ ٠٠٠ رقم .
(٦) يطلق في نجد على قفا الكويستا (صفراء) مثل : صفراء عنيزه ، وصفراء السر وصفراء الرويكبة وصفراء المستوى وصفراء حقيل وصفراء الدميثيات وغيرها .
(٧) يطلق في نجد اسم جو على المنطقة المنخفضة الناتجة عن التقاء السيول . وقد عرف في الجزيرة العربية عدد كبير من الاجواء منها منطقة الجواء شمال بريدة واجواء اخرى في الصمان وفي الدهناء وقد ذكر عبدالله بن خميس عدة اجواء في اليمامة هي جو السيباني في ضرما وجوجان في البياض وجو الخضارم في الخرج وذلك في كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ــ معجم اليمامة ص ٣٩ ، ٦١ ، ٢٨٠ .
(٨) عبد الرحمن الشريف ــ المملكة العربية السعودية . ص ٦٥ ــ ٨٨ .
(٩) انظر لوحة وادي الرمة الجيولوجية ١ : ٥٠٠ ٠٠٠ رقم
(١٠)
(١١) ياقوت الحموي ــ معجم البلدان . الجزء الخامس . ص ٢٥٥ .
(١٢) الهمداني ــ صفة جزيرة العرب ص ٣١١ .
(١٣) ابن خرداذبة (ابو القاسم) ــ المسالك والممالك . ص ١٤٦ ، ص ١٩٠ .
(١٤) الحربي (ابو اسحق) ــ المناسك واماكن طرق الحج . ص ٥٨٦ .
(١٥) الاصطخري (ابن اسحق) ــ المسالك والممالك . ص ٢٤ .
(١٦) محمد العبودي . مجلة العرب . ص ٥٤٤ .
(١٧) محمد العبودي . نفس المصدر السابق ونفس المكان .
(١٨) وزارة المالية والاقتصاد الوطني ــ مصلحة الاحصاءات العامة ــ التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م . ص ٣٢ ــ ٣٥ . البيانات الأولية .
(١٩) عبد الرحمن الشريف ــ القصيم ــ في مجلة الخفجي العدد ١ السنة ٨ نيسان ١٩٧٨ م . ص ١٤ ــ ٢٦ .
(٢٠) مصلحة الاحصاءات العامة ــ التعداد العام للسكان ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م البيانات التفصيلية لمنطقتي القصيم وحائل .
(٢١) ظهر اختلاف واضح في جملة سكان معظم الأمارات الفرعية لمنطقة الاسياج وكذلك في مجموع سكان المنطقة فيا بين التعداد العام للسكان لعام ١٣٩٤ هـ ــ البيانات الاولية الصادرة سنة ١٣٩٦ هـ وبين البيانات التفصيلية لمنطقة القصيم وحائل الصادرة سنة ١٣٩٧ هـ .
(٢٢) جميع الارقام المتعلقة بعام ١٣٩٤ هـ مستخلصة من النتائج التفصيلية لمنطقتي القصيم وحائل ــ التعداد العام للسكان لسنة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م .



تحقيق بعض الوثائق النبوية من العهود التي أعطاها الرسول لليهود والنصارى

للدكتور : عبد الباقي قصة

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم عهوداً لبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ممن عرفوا في الإسلام بأهل الذمة ، والذمة في اللغة : العهد والأمان ، وأهل الذمة هم أهل الكتاب الذين يعيشون في ديار الإسلام ، الذين التزموا بدفع الجزية ، فأصبح لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم .

ومن العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عهده للنصارى من أهل أيلة (في العقبة) وأهل أذرح أثناء غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد رسول الله ليحيى بن رؤبة وأهل أيلة : سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبيّ ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وانه طيب لمن أخذه من الناس ، وإن لا يحل أن يمنعوا ما يردونه ، ولا طريقا يردونه من بر وبحر »[١] .

ومن ذلك أيضا عهده إلى أهل أذرح وأهل قعنا وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حبلية وأهل قعنا سلم أنتم ، فإنه أنزل على أنكم راجعون إلى قريتكم ، فإذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون ، ولكم ذمة الله وذمة رسوله ، وإن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم ، وكل دم تبعتم به لا شريك لكم في قريتكم إلا رسول الله أو رسول رسول الله ، وإنه لا ظلم عليكم ولا عدوان ، وإن رسول الله يجيركم مما يجير منه نفسه ، فإن لرسول الله بزتكم ورفيقكم والكراع والحلقة ، إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله ، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم ، وربع ما صادت عرككم ، وربع ما اغتزلت نساؤكم ، وإنكم قد ثريتم بعد ذلك ، ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة ، فإن سمعتم وأطعتم فعلي رسول الله أن يكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم ، ومن ائتمر في بني جيله وأهل قعنا من المسلمين خيراً فهو خير له ، ومن أطلعهم بشر فهو شر ، **وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم** .»[٢] .

وهذه العبارة زائدة لم ترد في السيرة لابن هشام .

ومن العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب لحنين وأهل خيبر وقعنا بالصوت العربي والخط العبراني .. وهو من الوثائق التي زورها اليهود ، وقد كانوا يقدمونه للولاة .. وسوف نتناول هذه الوثيقة بالتحقيق بعد أن نورد نصها بالعربية ..

النص بالعربية :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لحنينا ، ولأهل خيبر والمقنا ولذراريهم ما دامت السموات والأرض ، سلام أنت إني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه أنزل علي الوحي وأنكم راجعون الى قراكم وسكن دياركم ، فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله ، ولكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورفيقكم وكل ما ملكت أيمانكم ، **وليس عليكم أداء جزية** ، ولا تجز لكم ناصية ، ولا يطأ أرضكم حين ، ولا تحشدون ، ولا تحشرون ، ولا تعشرون ولا تظلمون ، **ولا يجعل أحد عليكم رسما ، ولا تمنعون من لباس المشققات والملونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح ومن قاتلكم قاتلوه** ، **ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية** ، ومن **قتل منكم أحد المسلمين تعمداً فحكمه حكم** المسلمين ، **ولا يفترى عليكم بالفحشاء ولا تنزلون منزلة أهل الذمة** ، وإن استعنتم تُعانون ، وإن استردفتم تُرفدون ، **ولا تطالبون ببيضاء ولا صفراء ، ولا سمراء** ولا كرع ولا حلقة ، وشد الكشتيز ، ولا لباس المشهرات ولا يقطع لكم شسع نعل ، **ولا تمنعون دخول المساجد** ولا تحجبون عن ولاة المسلمين ، **ولا يولى عليكم وال إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله** ، **ويوسع لجنائزكم إلا (إلى ؟) أن تصير إلى موضع الحق اليقين** ، **وتكرموا لكرامتكم ولكرامة صفية ابنة عمكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين ان تكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم** ، ومن سافر منكم وهو (فهو ؟) في أمان الله وأمان رسوله ، ولا إكراه في الدين ، ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصية كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته ، **تعطون** عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً ، ذلك بفضل مني عليكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب فمن اطلع لحنينا وأهل خيبر والمقنا بخير فهو أخير له ومن اطلع لهم بـ [شر] فهو شر له ، ومن قرأ كتابي هذا أو قرئ عليه وغير أو خالف شيئا مما فيه فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من [الملائكة] والناس أجمعين ، ومن خصمني فقد خصم الله ، ومن خصم الله فهو في النار والـ [.....]ة وبئس المصير .

شهد [الـ]ـله الذي لا إله إلا هو وكفـ [ى] به شهيداً وملائكته [حملة عـ] رشه ومن حضر من المسلمين .

وكتب علي بن أبو [كذا] طالب بخطه ، ورسول الله يملي عليه حرفا حرفا . يوم الجمعة لثالث [كذا] ليال خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة ، شهد [عما] بن ياسر وسلمان الفارس [كذا] مولي رسول الله [كذا] وأبو ذر العفاري [٣] . والذي يثير الشك في هذه الوثيقة ما يأتي :

١ — انها وجدت بالصوت العربي ، والحرف العبراني .

٢ — انها اشتملت على امتيازات لم يعطها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من أهل الكتاب منها :

أ ـــ عبارة «وليس عليكم أداء جزية» .
ب ـــ عبارة «ولا يجعل أحد عليكم رسما»
جـ ـــ «ولا تمنعون من ركوب المشققات والملونات ، ولا من ركوب الخيل ، ولباس أصناف السلاح » .
د ـــ وعبارة «ومن قاتلكم قاتلوه ، ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية»

هـ ـــ عبارة «ولا تمنعون من دخول المساجد»
و ـــ عبارة «وتكرمو لكرامتكم ولكرامة صفية ابنة عمكم»
وتصل المبالغة في التزوير الى هذا الحد فيقولون في الأمان : «ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون ديناراً ! » والذي يثير الريبة أكثر هو تأكيد لم يرد أبداً في أي معاهدة ، وتخويف لا يليق ، وحرص ، مع خطأ في التوقيت .

والذي يؤكد وجهة نظرنا عبارة «وهو بريء من ذمتي» مع الركالة التي لا تتصل بأساليب العهود التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن الاخطاء النحوية .

وهناك وثيقة أخرى تعرف عند النصارى بالعهدة النبوية ، ويقولون إنه كتب أيضا بخط علي بن أبي طالب ، ووضع في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة (فهو خطأ آخر في التوقيت يدل على التزوير) وقد حملت منه نسخ الى الاديار ، ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طور سيناء . فنقلها السلطان سليم العثماني إلى الاستانة في أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، بعد أن عرضها على مجلس شرعي ، حيث نقلت الى التركية دون تمحيص ، أما الأصل العربي فقد أعيد للدير نسخة منه بالعربية وأخرى بالتركية .

وهذا هو نص هذه العهدة[٤]
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب **كتبه محمد بن عبدالله الى كافة الناس** أجمعين رسوله مبشراً ونذيراً ومؤتمنا على وديعة الله في خلقه ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيما ، كتبه لأهل الملة النصارى ولمن تنحل دين النصرانية ، ومن مشارق الأرض ومغاربها وقريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها ، جعل لهم عهداً ، فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه الى غيره ، وتعدى ما أمره ، كان لعهد الله ناكثا ، ولميثاقه ناقضا ، **وبدينه مستهزئا وللعنة مستوجبا ، سلطانا كان أم غيره من المسلمين** ـــ وإن احتمى راهب أو سائح من جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ربيعة ، **فأنا أكون من ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم بنفسي وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي** ، لأنهم رعيتي وأهل ذمتي ، وأنا اعزل عنهم الأذى في المؤن ، وتصل المبالغة في التزوير الى حد قولهم في هذا الأمان «ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قريش ، وهو خمسون دينارا » !

والذي يثير الريبة أكثر هو تأكيد لم يرد في أي معاهدة وتخويف ، وحرص مع خطأ في التوقيت والاشهاد ، والذي يؤكد وجهة نظرنا عبارة «وهو بريء من ذمتي» مع الركاكة التي لا تتصل بأساليب العهود التي أعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن الأخطاء النحوية .

ومما روى عن هذا الأمان أنه حمل في سنة ٤٤٧ هـ إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي ابن الحسن وزير القائم فعرضه على الخطيب البغدادي فقال : مزور لأن فيه شهادة سعد ، وقد مات قبل فتح خيبر بسنتين ، وفيه شهادة معاوية وإنما أسلم بعد خيبر عام فتح مكة [١] .

وقد زاد ابن القيم في افكاره فقال : «لم تكن الجزية وقت فتح خيبر ولم تنزل آية الجزية إلا بعد سنتين من غزوة خيبر ، ولم تكن على أهل خيبر كلف ولا سخرة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توضع عنهم» . [٥] .

ويبدو أن هذا النص تعرض للون من التصحيح فكتبوا أسماء عمار ، وسلمان وأبي ذر بدلا من سعد ومعاوية وأبقوا اسم عليّ ككاتب للصحيفة .

وهناك وثيقة أخرى تعرف عند النصارى بالعهدة البنوية يقولون إنها كتبت بخط علي بن أبي طالب ، ووضعت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية للهجرة (وهو خطأ آخر في التوقيت يدل على التزوير) وقد حملت منه نسخ الى الأديار ، ومن ذلك نسخة كانت محفوظة في دير طور سيناء ، فنقلها السلطان سليم العثماني الى الاستانة في اوائل القرن السادس عشر للميلاد ، بعد أن عرضها على مجلس شرعي ، حيث نقلت الى التركية ، ثم أعيدت نسخة منها بالعربية وأخرى بالتركية .

وهذا نص هذه الوثيقة [٦]

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب **كتبه محمد بن عبدالله الى كافة الناس أجمعين رسوله مبشراً ونذيراً** ومؤتمنا على وديعة الله في خلقه ، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما ، كتبه لأهل ملة النصارى ، ولمن تنحل دين النصرانية ، ومن مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها ، جعل لهم عهداً فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه الى غيره وتعدى ما أمره ، كان لعهد الله ناكثا ولميثاقه ناقضا ، وبدينه مستهزئا ، وللعنة مستوجبا ، سلطانا كان أم غيره من المسلمين — وإن احتمى راهب أو سائح في جبل أو واد او مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعة ، فأنا أكون من ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم بنفسي وأعواني وأهلي وملتي وأتباعي ، لأنهم رعيتي وأهل ذمتي وأنا أعزل عنهم الأذى في المؤن التي عمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت له نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك . ولا يغير أسقف من أسقفية ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا حبيس من صومعته ، ولا سائح من سياحته ، ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم ، وبيعهم ، ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مساجد المسلمين ولا في بناء

FACSIMILE OF FRAGMENT I, fol. [illegible] (see p. [illegible])

FACSIMILE OF FRAGMENT I, fol. [illegible] verso (see p. [illegible])

FACSIMILE OF FRAGMENT I, fol. [illegible] (see p. [illegible])

كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم لحنينا ولأهل خيبر ومقنا باللغة العربية ولكن بالخط العبراني ، (وثيقة ٣/٤/٣) .
(مأخوذ من مجلة جويش كوارترلي رڤيو) .

كتاب نسب إليه صلى الله عليه وسلم لحنينا ولأهل خيبر ومقنا باللغة العربية ولكن بالخط العبراني .
(مأخوذ من مجلة جويش كوارترلي رڤيو) .

منازلهم ، فمن فعل ذلك فقد نكث عهدالله وعهد رسوله ، ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة ، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من بر أو بحر في المشرق أو المغرب والجنوب والشمال ، وهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل مكروه ، وكذلك من ينفرد بالعبادة في الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعون لاخراج ولا عشر ، ولا يشاطرون لكونه يرسم أفواههم ولا يعانون عند إدارك الغلة ، ولا يلزمون بخروج في حرب وقيام بجبرية من اثني عشر درهما بالجملة في كل عام ، ولا يكلف أحد منهم شططا ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن ، ويحفظونهم تحت جناح الرحمة ، يكف عنهم أذية المكروه ، وحيثما كانوا وحيثما حلوا — وإن صارت النصرانية عند المسلمين فعليها برضاها ويمكنها من الصلاة في بيعها ، ولا يحال بينها وبين هوى دينها ، ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك عصى ميثاقه ورسوله ،

ويعاونون على مرمة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ، ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يذبون عنهم ، ولا يخالف هذا العهد أبداً الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا» . وهذا العهد لم يرد ذكر له لدى أحد من مؤرخي الفتوح أو غيرهم من المؤرخين في العصور الاسلامية الأولى ، ويلاحظ على هذا العهد ما يأتي :

١ ـــ أن العبارات والألفاظ التي وردت به ليست مما كتبت به المعاهدات والعهود في عصور صدر الإسلام فضلا عن ركاكتها .

٢ ـــ أنه أخف وطأة من الوثيقة السابقة ، ولم تتجاور الوصايا الإسلامية الخاصة بأهل الكتاب ، ويبدو أنهم «وضعوا هذا العهد من عند أنفسهم لغرض سياسي» [٧] .

دكتور عبد الباقي علي قصة
معهد العلوم الاجتماعية
جامعة قسنطينة

الهوامش والمصادر

(١) ابن هشام : سيرة حـ ٣ ص ٤٠

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٠ .

(٣) محمد حميدالله : الوثائق التاريخية في العهد النبوي والخلفاء الراشدين ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ .

(٤) راجع الهلال العدد ١٥ ، ١٧ من السنة السابعة نقلا عن كتاب «منشآت سلاطين» لأفريدون بك .

(٥) ابن كثير : البداية حـ ١٢ ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٦) ابن القيم : أحكام أهل الذمة ص ٧ ، ٨ .

(٧) راجع تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان ص ٤ ص ٣٨١ .



نبذة تاريخية :

التصنيف العشري الذي وضعه ملفيل ديوى وأصدره منذ أكثر من مائة عام هو أقدم نظم التصنيف العالمية وأشهرها وأوسعها انتشارا في المكتبات .

وفي هذا التصنيف تقسم المعرفة البشرية الى عشر شعب رئيسية هي : المعارف العامة والفلسفة والديانات والعلوم الاجتماعية واللغات والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية والفنون والآداب والتاريخ . وكل شعبة من هذه الشعب تنقسم بدورها الى عشرة أقسام القسم الأول منها عام ، والأقسام التسعة الباقية يختص كل منها بعلم من العلوم . فالعلوم البحتة — مثلا — يدخل تحتها الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء وعلوم الأرض والحفريات والأنثروبولوجيا وعلم النبات وعلم الحيوان .

وقد رمز ديوى لكل مجال من مجالات المعرفة برقم معين ، ومن ثم خصص لكل شعبة من الشعب مائة رقم وزعها على أقسامها بالتساوي بحيث يخص كل قسم منها عشرة أرقام . فالعلوم الاجتماعية — مثلا — تأخذ المائة الرابعة (٣٠٠ — ٣٣٩) وداخلها يخصص الرقم ٣٢٠ للسياسة ، والرقم ٣٣٠ للاقتصاد ، والرقم ٣٤٠ للقانون .. وهكذا .

ومنذ سنة ١٨٧٦ وطبعات الخطة تتابع واحدة بعد أخرى ، وصاحبها ينميها ويطورها ويعلن عنها ويدعو لتطبيقها وينفق كل ما تدرّه من المال على تطويرها وإنمائها . وفي سنة ١٩٣١ يموت ديوى بعد أن صدرت على يديه اثنتا عشرة طبعة وقبل أن تصدر الطبعة الثالثة عشرة بعام واحد .

ويبدو أن القائمين على إصدار الخطة بعد وفاة صاحبها قد ضاقوا بالقيود التي تعوقها عن ملاحقة تقدم المعرفة فحاولوا كسر الجدار الذي أقامه ديوى حولها منذ طبعتها الثانية التي أعلن فيها تثبيت الأرقام . ولهذا خرجت الطبعة الخامسة عشرة في سنة ١٩٥١ متمردة على كل الطبعات السابقة بما شملته من تحركات واسعة في أقسام الخطة ومن حذف للتفاصيل واختصار للأرقام . ولكن هذه الطبعة التي تصورت أنها ستحل مشاكل المكتبيين وستتغلب على عيوب الطبعات السابقة قد أوقعت المكتبيين في مشاكل معقدة وأثبتت أنها أعجز مما سبقها من طبعات ، ولهذا نبذها المكتبيون وراء ظهورهم ، وعادت الخطة في طبعاتها اللاحقة سيرتها الأولى ، فصدرت الطبعة السادسة عشرة في سنة ١٩٥٨ في مجلدين أولها للقوائم والآخر للكشافات ، وبعدها بسبع سنوات صدرت الطبعة السابعة عشرة (سنة ١٩٦٥) ، وأخيرا صدرت الطبعة الثامنة عشرة سنة ١٩٧١ في ثلاثة مجلدات أولها للمقدمات والقوائم الإضافية والخلاصات ، والثاني للجداول ، والثالث للكشافات .

والى جانب هذه الطبعات الكاملة للخطة ، صدرت حتى الآن عشر طبعات مختصرة أولاها سنة ١٨٩٤ م وآخرها سنة ١٩٧١ . ومنذ الطبعة السادسة المختصرة بدأت تلك الطبعات تسير جنبا الى جنب مع الطبعات الكاملة . فالطبعة السادسة المختصرة هي اختصار للطبعة الرابعة عشرة الكاملة ، والطبعة السابعة اختصار للطبعة الخامسة عشرة الكاملة ، والطبعة العاشرة المختصرة اختصار للطبعة الكاملة الثامنة عشرة

ديوى في الميزان :

ولقد تضافرت عوامل متعددة على انتشار التصنيف العشري بين المكتبات بمختلف أنواعها وفي شتى أرجاء المعمورة . فهو — من ناحية — يتمتع بقدر كبير من المنطق في بنائه وترتيب موضوعاته ، وهو — من ناحية ثانية — قد استخدم رمزا يجمع بين السهولة والمرونة والكثير من وسائل التذكر .

فالأرقام لغة عالمية سهلة التداول والتذكر والترتيب ، والكسر العشري يحقق مرونة كبيرة للرمز . ومعينات الذاكرة في الخطة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال أن الرقم ٤٢٠ في قسم اللغات قد خصص للغة الإنجليزية وفي قسم الأدب خصص الرقم ٨٢٠ للأدب الإنجليزي فاذا تركنا اللغة والأدب الى قسم التاريخ وجدنا قارة أوروبا تأخذ رقم ٩٤٠ ووجدنا تاريخ انجلترا يأخذ الرقم ٩٤٢ .

وفي شعبة المعارف العامة جعل الرقم (٠٥٠) للدوريات ، فإذا انتقلنا الى الشعب الأخرى وجدنا الدوريات الفلسفية في ١٠٥ والدوريات العلمية في ٥٠٥ ودوريات الفنون في ٧٠٥ وتثبيت الرقم(٢) في المثال الأول للدلالة على انجلترا والرقم (٥) في المثال الثاني للدلالة على الدوريات في مختلف فروع المعرفة يعتبر وسيلة ممتازة من وسائل التيسير والتذكر.

وثمة ميزة ثالثة تذكر لهذا التصنيف وهي أنه استعان بقوائم إضافية كقائمة التقسيمات الموحدة وقائمة الأماكن . وهذه القوائم توفر في حجم الخطة من ناحية (لأنها لا تحتاج الى تكرار مع كل علم) ، وتساعد على التذكر من ناحية ثانية .

أما العامل الرابع من عوامل انتشار التصنيف العشري فهو وجود الكشاف النسبي الذي يجمع مختلف جوانب الموضوع الواحد التي تبعثرت في صلب الخطة نتيجة للترتيب المقنن. فالبترول — مثلا — له جانب اقتصادي يأتي في الاقتصاد تحت ٣٣٨ وجانب جيولوجي في ٥٥٣ وجانب تكنولوجي في ٦٦٥,٥ . والأراضي لها رقم في اقتصاديات الأراضي (٣٣٣) ورقم في الجيولوجيا (٥٥٠) ورقم في الزراعة (٦٣٠) . وهذه الجوانب وغيرها وزعتها الخطة كل في موضعه ، والكشاف هو الذي يجمعها فيقدم بذلك خدمة جليلة للمصنفين وخاصة المبتدئين منهم .

واذن فالكشاف يعالج نواحي القصور في الخطة ويظهر الموضوعات التي قد تستتر فيها تحت رؤوس أعم . ويجمع شتات الموضوع الواحد في مكان واحد . ولم يغفل ديوى عن أهمية الكشاف لخطة التصنيف فاعتبره منذ البداية من أهم سمات خطته .

ولقد أضيف الى هذه العوامل الأربعة النابعة من طبيعة الخطة ذاتها عامل خامس يتصل بصاحب الخطة نفسه ، فقد قدر له أن يعيش خمسا وخمسين عاما من حياته بعد إصدار الطبعة الأولى منها ، وكانت هذه السنوات الطوال عاملا مساعدا على متابعته للخطة واستقرارها وانتشارها بين المكتبات . والواقع أن الرجل لم يألُ جهدا في الدعوة لخطته فقد كتب الى مكتبة الكونجرس الأمريكي يعرب لها عن رغبته ورغبة المكتبيين في أن تحمل بطاقات الفهرسة التي تطبعها المكتبة أرقام تصنيف المطبوعات حسب خطته بالإضافة الى أرقام التصنيف الخاصة بالمكتبة نفسها كنوع من التيسير على المكتبيين الذين يستعملون خطته ، وكوسيلة للترويج لبطاقات الكونجرس أيضا . واستجابت مكتبة الكونجرس لنداء الرجل فبدأت تطبع أرقام التصنيف العشري على معظم بطاقاتها منذ سنة ١٩٣٠ وكان ذلك في حد ذاته عاملا من عوامل انتشار الخطة ورواجها عند المكتبيين .

وننظر الآن فنرى آلافا من الببليوجرافيات تستخدم التصنيف العشري كالببليوجرافية الوطنية البريطانية والهندية والمصرية وكالببليوجرافيات والفهارس التجارية التي تنشرها شركتا ويلسون وبوكر في الولايات المتحدة الامريكية .

ومع أن هذه الخطة هي أوسع خطط التصنيف انتشارا في العالم شرقه وغربه ، ومع أنها

ترجمت الى معظم لغات البشر مع بعض التعديلات هنا او هناك لتلبي حاجات إقليمية لهذه الدولة أو تلك ، إلا أنه لا ينبغي أن يفهم من ذلك أنها قد بلغت حدّ الكمال ، أو أن يظن أنها قد برئت من العيوب والنقائص ، فكل ما نقوله أن حسناتها ترجح سيئاتها ولهذا قدر لها أن تعيش أكثر من مائة عام وأن تطبع خلال تلك الفترة ثماني عشرة طبعة .

ولعل أهم ما يعاب عليها أن بناء الخطة من حيث الشُعَب وترتيبها والأقسام داخل كل منها لا يسلم من النقد . فديوى قسم المعرفة الى تسعة أقسام جعلها متساوية وقدم لها بقسم عام جعله للمعارف العامة . ولا يستطيع أحد أن يزعم أن هذه القاعدة من ١ الى ٩ تكفى لتغطية مختلف فروع المعرفة . ولهذا اضطر ديوى الى جمع مجموعات من العلوم في بعض الشعب كالعلوم الاجتماعية في ٣٠٠ ، والعلوم البحتة في ٥٠٠ والعلوم التطبيقية في ٦٠٠ بينما أفرد علوما أخرى بشعب مستقلة كالفلسفة والدين والتاريخ . ولا نظن أن العدالة تقضي بأن يخصص للفلسفة مثل ما يخصص للعلوم التطبيقية بكل فروعها من أرقام ، أو أن يخصص للمسيحية ثمانون رقما في شعبة الديانات وأن يخصص للأديان الأخرى كلها عشرة أرقام .

وعلى الرغم من أن ديوى قد خصص لكل علم عشرة أرقام إلا أن أحجام العلوم تتفاوت كأحجام البشر ، وهو تفاوت يعكسه حجم الإنتاج الفكري في كل منها وليس من العدل أن يخصص للتربية بكل فروعها مثل ما يخصص للإحصاء من أرقام .

ومن عجب أنه في الوقت الذي خصص فيه ديوى مائة رقم للفلسفة ، لم يخصص لعلم الاجتماع سوى رقم واحد من المائة المخصصة للعلوم الاجتماعية هو رقم (٣٠١) .

ولم تكن قلة أعداد الشعب واستمرار تقسيمها على العلوم بالتساوي وعلى وتيرة واحدة هي المأخذ الوحيد على بناء الخطة وانما يعاب عليها أيضا أن ترتيب الشعب والأقسام بداخلها يحتاج الى تبرير في بعض الأحيان كالذي نجده من فصل العلوم البحتة (٥٠٠) عن التطبيقية (٦٠٠) ، وفصل اللغة (٤٠٠) عن الأدب (٨٠٠) . وإذا كان لهذا الفصل الأخير عند ديوى بعض المبررات على أساس أن اللغة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات ومن ثم وضعها تالية للعلوم الاجتماعية ، وأن الأدب فن من الفنون الإبداعية مما يبرر وضعه تاليا للفنون ، إلا أن الإنتاج الفكري في هذين المجالين متداخل دائما ، فكتب الأدب لا تخلو من اللغة ومباحث اللغة لا تستقيم بغير النصوص الأدبية .

وليست الملاحظات على الأقسام وتفريعاتها بأقل من الملاحظات على الشعب الرئيسية . ولسنا هنا بصدد حصر تلك الملاحظات أو إحصائها وانما نكتفي بالإشارة الى بعضها مثل فصل الاقتصاد (٣٣٠) عن التجارة (٣٨١ ، ٣٨٢) ، وفصل اقتصاديات المال (٣٣٢) عن المالية العامة (٣٣٦) ، وفصل علم الاجتماع (٣٠١) عن السكان (٣١٢) وعن العادات والفولكلور (٣٩٠) ، وتوزيع العمارة على أرقام متباعدة هي (٦٢٤ ، ٦٩٠ ، ٧٢١) ، وتوزيع الأثاث على (٦٤٥ ، ٦٨٤ ، ٧٤٩) .

ومن المآخذ الأساسية التي كثر الكلام فيها ثبات الخطة في هيكلها الرئيسي وإطارها العام

منذ الطبعة الثانية . فمع أن هذا الثبات قد أراح المكتبيين لأنه لم يعرضهم لهزات عنيفة تضطرهم الى إعادة تصنيف المجموعات القديمة كلما تطورت الخطة ، إلا أنه أتعبهم في تدبير أماكن مناسبة لما يستجد من مؤلفات في الفروع الحديثة من العلم .

ولكن هذه العيوب مجتمعة لا تعني فساد الخطة بقدر ما تعني أنها لم تبلغ حد الكمال . وبلوغ الكمال أمر أبعد من أن تصل اليه أي خطة من خطط التصنيف العامة أو الخاصة . ذلك أن اليقين العلمي والقول الفصل لا وجود لها في الدراسات الإنسانية ، وأن اختلاف وجهات النظر في التصنيف أمر لا يمكن تجنبه بحال من الأحوال . والمسألة لا تعدو أن تكون تفضيلا لموضع علم من العلوم أو كتاب من الكتب على موضع آخر .

ديوى ... عربيا :

وإحساساً من المكتبيين العرب بأهمية هذا التصنيف ، وإدراكاً منهم لسعة انتشاره بذلت عدة محاولات لترجمته الى العربية مع إجراء التعديلات الضرورية التي تقتضيها طبيعة المجموعات في المكتبات العربية . ولقد تمت المحاولة الأولى منذ أكثر من ثلاثين عاما على يد الفيكونت فيليب دي طرازي وذلك في كتابه «إرشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب» الذي صدر سنة ١٩٤٧ م . ومن بعده تتابعت التعديلات التي عملت في مصر والشام والتي بلغت ما يقرب من عشرة تعديلات .

وقد انصبت التعديلات التي أجرتها جميع الترجمات العربية للخطة على أقسام الدين واللغة والأدب ، وتكاد تتفق جميعها على تخصيص عشرة أرقام في قسم اللغة (٤١٠) للغة العربية وفروعها ، ومثلها في قسم الأدب (٨١٠) للأدب العربي وفنونه . أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد سلكت التعديلات سبلا شتى تتلخص فيما يلي :

أ — تخصيص عشرة أرقام للدين الإسلامي هي ٢١٠ وإبقاء بقية تفريعات شعبة الدين على ما هي عليه . وهذا ما صنعته ترجمة الدكتورين الشنيطي وكابش حتى يكون التعديل في أضيق نطاق . والسبب في ذلك أنها ترجمة لطبعة معتمدة من الخطة هي الطبعة الثامنة المختصرة .

ب — إحلال الدين الإسلامي بفروعه محل المسيحية التي شغلت معظم شعبة الدين عند ديوى . وهذا ما فعله حسن رشاد في تعديله للخطة ، وهو التعديل الذي نشره في كتابيه «المكتبة المدرسية الحديثة» و«المكتبات العامة» والذي خصص فيه الأرقام من ٢١٠ الى ٢٦٠ للإسلام ، وأعطى اليهودية ٢٧٠ ، والمسيحية ٢٨٠ والديانات الأخرى ٢٩٠ .

جـ — تقسيم شعبة الدين الى عشرة أقسام متساوية يخصص كل منها لدين من الديانات . وهذا ما فعله اللبناني فيليب دي طرازي في تعديله للخطة إذ خصص الأرقام ٢٣

للمسيحية ، و٢٤ للإسلام ، و٢٥ لليهودية و٢٦ للبوذية ، و٢٧ للمجوسية ، و٢٨ للصابئة . ولا يخفى أن البدء بالمسيحية ثم الإسلام ثم اليهودية وان كان يناسب لبنان إلا أنه يناقض التدرج التاريخي من ناحية ، ويناقض حجم الإنتاج الفكري عن هذه الديانات من ناحية أخرى . فلو أخذنا بالتدرج التاريخي لبدأنا باليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام ، ولو أخذنا بحجم الإنتاج الفكري لبدأنا بالإسلام ثم المسيحية ثم اليهودية ، ولكنها نظرة مسيحية متعصبة .

وكأنما أراد دي طرازي أن ينفي عن نفسه هذا التعصب فساوى بين الديانات السماوية والمعتقدات الدينية الأخرى كالبوذية والمجوسية والصابئة وفي ذلك خطأ كبير لأن هذه المذاهب لا ترتفع الى مصاف الديانات السماوية ، فضلا عن أن الإنتاج الفكري عنها لا يمثل شيئا ذا بال إذا قيس بما يكتب عن الإسلام أو غيره من رسالات السماء .

وعلى الرغم من أن التعريب الذي قام به الدكتور محمود الشنيطي والدكتور أحمد كابش هو أفضل التعريبات وأكثرها استخداما في المكتبات العربية ، ربما لأنه ترجمة لطبعة معتمدة من الخطة هي مختصر الطبعة السادسة عشرة ، وربما لأن القائمين به على أعلى مستوى من التخصص الأكاديمي والمهني ، ولأن كلا منهما يكمل صاحبه ، فأولهما ثقافته عربية إسلامية والآخر ثقافته علمية . أقول : على الرغم من ذلك فإن هذه الترجمة لم تسلم من العيوب فهي ترجمة لطبعة مختصرة ومن ثم لا تفي بحاجات المكتبات الكبيرة . وهي تفتقر الى كشاف يساعد المصنفين وخاصة المبتدئين منهم على استخدام الخطة[1] ثم إنها خصصت للإسلام عشرة أرقام فقط في مقابل سبعين رقما للمسيحية وهو أمر تعاني منه المكتبات وخاصة تلك التي تزخر بكنوز التراث الإسلامي فتضطر الى تكديسه في مساحة ضيقة بينما تحظى المسيحية بمساحة واسعة من الخطة قلما تجد في مكتباتنا ما يشغلها .

ومعنى هذا أن تلك الترجمة المعدلة وإن كانت أوسع الترجمات انتشارا في المكتبات العربية إلا أنها تقيد حركة المكتبات الكبيرة والمكتبات المعنية بالدراسات العربية والإسلامية . ولهذا كانت الحاجة ملحة الى توسيعها وتطويرها ، وهو عمل ضخم يحتاج الى كثير من الجهد والوقت . ومن ثم ظل المكتبيون العرب سنين طوالا لا يجدون أمامهم أفضل من هذه الترجمة رغم عيوبها ، حتى إذا كان العام الماضي طلعت علينا جامعة الملك عبد العزيز بجدة بعمل عملاق يقع في أكثر من ألف ومائة صفحة ، وهو ترجمة الطبعة الثامنة عشرة من الخطة بكاملها ، مع إجراء تعديلات أساسية في مجالات الدين واللغة والأدب . ففي شعبة الدين خصص ستون رقما للدين الإسلامي (من ٢١٠ الى ٢٦٩) وعشرون رقما للدين المسيحي (من ٢٧٠ الى ٢٨٩) وعشرة أرقام للديانات الأخرى (هي ٢٩٠ — ٢٩٩) .

وقد قسمت الأرقام المخصصة للإسلام على ست مجالات رئيسية لكل منها عشرة أرقام وخصصت الأرقام العشرة الأولى (٢١٠ — ٢١٩) للموضوعات العامة في الإسلام ، والأرقام العشرة التالية للقرآن الكريم وعلومه ، ثم عشرة أرقام للحديث الشريف وعلومه ، يليها عشرة

أخرى للتوحيد وأصول الدين والمذاهب الكلامية والسياسة ، وعشرة للفقه والمذاهب الفقهية والفتاوى والنظم الإسلامية ، والعشرة الأخيرة (٢٦٠ — ٢٦٩) للتصوف . وخصص الرقم ٢١٧ للدعوات السلفية كالدعوة الوهابية (٢١٧,٢) والسنوسية (٢١٧,٣) والمهدية (٢١٧,٤) والإخوان المسلمين (٢١٧,٦) ، كما خصص الرقم ٢١٩ لقضايا الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كقضية تحديد النسل والحجاب والسفور والبنوك والتأمين والتعليم المختلط . أما نظام الاقتصاد الإسلامي فقد وضع في (٢٥٧,٣) .

وفي شعبة اللغات خصصت الأرقام ٤١٠ — ٤١٩ للغة العربية ، واستغل الرقم ٤١٤ الذي تركته الطبعة الثامنة عشرة من الخطة خاليا ، فشغل بعلوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع) واستحدثت أرقام تصنيف خاصة بالترجمة والمترجمين منذ العصر الأموي حتى العصر الحديث (٤١٨,٠٢ وتفريعاتها) .

وفي شعبة الآداب خصصت الأرقام من ٨١٠ الى ٨١٩ للأدب العربي مع التفصيل الشديد في تفريعه . فإلى جانب التقسيم بالشكل الأدبي (من شعر وقصص ومقالات .. الخ) والتقسيم بالعصور الأدبية (جاهلي ، إسلامي ، أموي، عباسي ...)، قسم الأدب العربي أيضا حسب المدارس الأدبية من واقعية ومثالية ورومانسية ورمزية (٨٠١ ، ٨١٠ وتفريعاتها) وحسب فترات العمر والنوع أو الجنس ، فجعل الرقم ٩٠٩,٢٨ — ٨١٠ لتاريخ الأدب العربي ونقده للأطفال أو الشباب أو الشيوخ أو الرجال أو النساء . بل إن الشكل الأدبي الواحد قد قسم تقسيمات جديدة كتقسيم الشعر في ٨١١,٠١ — ٨١١,٠٩ بحسب موضوعاته وبحسب الأوطان التي قيل فيها ، وكتقسيم المسرحيات في ٨١٢,٠٤ الى مسرحيات ذات فصل واحد ومسرحيات ذات فصلين ومسرحيات متعددة الفصول ، وتقسيمها في ٨١٢,٠٥ الى تراجيدية وكوميدية وغنائية ، وتقسيمها في ٨١٢,٠٢ ، ٨١٢,٠٣ الى تمثيليات إذاعية وتلفزيونية وفيلمية .

وليست هذه هي كل التعديلات التي أجريت على تلك الطبعة في صورتها المعربة . وانما هناك تعديلات أخرى أقل خطرا نذكر منها تخصيص رقم للفنون الإسلامية (٧٠٩,١) والتوسع في تاريخ الدولة الإسلامية واستحداث بعض الأرقام مثل ٩٥٣,١ للمملكة العربية السعودية بدلا من ٩٥٣,٨ ، وتقسيم كل دولة عربية حسب الأحداث التي مرت بها ، ففي تاريخ المملكة العربية السعودية تأخذ الدولة السعودية الأولى الرقم ١٠١ ، ٩٥٣ ويأخذ عصر الملك فيصل ١٠٧ ، ٩٥٣ ، وفي تاريخ مصر تأخذ الوحدة مع سوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة رقم ٠٦٤ ، ٩٦٢ وتأخذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ (رمضان ١٣٩٣ هـ) رقم ٠٧٤ ، ٩٦٢ .

والى جانب استحداث أرقام للفترات التاريخية ، استحدثت أرقام للمناطق والمدن في كل دولة عربية ، فمكة المكرمة — مثلا — تأخذ ١٢١ ، ٩٥٣ والمدينة المنورة تأخذ ١٢٢ ، ٩٥٣ والقاهرة تأخذ ٩٦٢,١٦ .

ومن التعديلات التي أدخلتها هذه الترجمة أيضا التوسع في تراجم رجال الدين الإسلامي الذين احتلوا الأرقام ٩٢٢,١ الى ٩٢٢,٦٩ ، وتغيير بعض الأرقام في قوائم التقسيمات الموحدة الملحقة بالخطة لإكسابها الطابع العربي والإسلامي .

ومع أن هذه الطبعة العربية من الخطة لم تسلم من الاخطاء المطبعية إلا أن أهم ما يعاب عليها هو نقص الكشاف . ففي عمل ضخم كهذا يصبح وجود الكشاف من ألزم الضرورات . وإذا كان نقص الكشاف عيبا يؤخذ على كل الترجمات العربية لديوى ، فإن الجهد الكبير الذي بذل في ترجمة هذه الطبعة الضخمة من الخطة حَرِيٌّ أن يدفع القائمين عليها لعمل كشاف لها إتماما للفائدة المرجوة منها .

وإذا كانت خطة ديوى لم تسلم من النقد منذ ظهورها من أكثر من مائة عام الى الآن ، فطبيعي ألا تسلم هذه الترجمة من النقد والتجريح خاصة وأن الجهد الذي بذله الأستاذ فؤاد اسماعيل بإشراف الدكتور عباس طاشكندي عميد شئون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز لم يقتصر على الترجمة وحدها رغم ما فيها من جهد وعناء ، وانما تجاوز ذلك الى التعديل في بعض المواضع من الخطة حتى تناسب المكتبة العربية . وطبيعي ألا ترضى هذه التغييرات كل المتخصصين والمكتبيين وأن تلقى بعض الاعتراضات من أولئك وهؤلاء ، فهي قد سعت الى التفصيل حقاً ولكن ذلك كان على حساب اختصار الرمز وخاصة في مجال الأدب العربي حيث يصل الرمز في كثير من الأحيان الى سبعة أرقام ويصل في بعضها الى تسعة أرقام كما هو الحال في رقم مجموعات أدب الأطفال ٢٨٢ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ . وتلك هي المعادلة الصعبة في التصنيف ، فكلما سعينا الى التفصيل والتخصيص كلما طال الرمز لا محالة .

ولست أنكر أني اختلفت مع المترجم في بعض التفاصيل حول تفريعات الدين الإسلامي واللغة العربية والأدب العربي وأرقامها ، ولكن هذا الخلاف لا يفسد للودّ قضية — كما يقولون — ولا ينقص من قدر هذا الجهد الهائل الذي بذل في الترجمة والتعديل ، وهو جهد يستحق التقدير والعرفان لكل الذين شاركوا فيه .

فإلى كل فكر ساهم في هذا العمل الجليل وكل يد شاركت فيه ، والى جامعة الملك عبد العزيز التي تحملت عبء إصداره ، إليهم جميعا أتقدم بالتحية والتقدير ، وبرجاء أن يتموا الجميل بإصدار كشاف للترجمة ييسر استخدامها والاستفادة منها . كما أتوجه الى جميع المكتبيين برجاء أن يجربوا تلك الترجمة المستوفاة وأن يسجلوا ملاحظاتهم عليها ويكتبوا بها الى الذين أصدروها لتكون موضع دراستهم قبل نشرها على نطاق واسع . وأنا واثق أن صدورهم لن تضيق بنقد ، وأن رؤوسهم لن تسكرها نشوة ثناء لأن ما بذلوه من جهد وعرق وما أنفقوه من وقت ومال أكبر من أي نقد أو ثناء .

د . عبد الستار الحلوجي

(١) صدرت بعض كشافات للترجمة العربية لديوي ، ولكنها لا تخدم هذه الترجمة كثيراً . وقد أصدرت جامعة الكويت كشافاً أعده عبد المجيد المحميد لهذه الترجمة بعد أن أجرت فيها مراقبة المكتبات كثيراً من التعديلات والإضافات .

الحروف العربية

و

علاقتها بالحسّاب

الدكتور سيِّد حسب الله *
معهد الإدارة العامة بالرياض

تمهيد :

**هنـاك حقيقـة واضحـة يجب أن يعيها مجتمع مستخدمي « الحسّابات :
» . هذه الحقيقة هي أن « التجهيزات المادية : »
للحسّابات صنعت أساساً لخدمة مجتمعات غير عربية اللغة . ومن منطلق ضرورة استخدام هذه التجهيزات كعنصر أساسي في عمليات التنمية الشاملة التي تعم الوطن العربي ، كان الاهتمام الذي توليه بعض الهيئات في البلاد العربية لتطويع تلك التجهيزات بما يتلاءم ومعطيات الهجائية العربية ، أو تطويع الهجائية العربية بما يتلاءم ومتطلبات تلك التجهيزات .**

ومن هنا كان الاهتمام بقضية الحروف العربية وعلاقتها بالحسّاب . وأود أن أنبه في بداية المقال الى أنني لا أبحث في حل نهائي لتلك القضية ، ولا في ايجاد مجموعة معيارية للتمثيلات العربية ، سواء كان ذلك بتطويع هذه الحروف لمتطلبات الحسّاب ، أوكانت بتطويع الحسّاب لمتطلبات الحروف العربية . إنما هدف هذا المقال هو إثارة الموضوع والتنبيه إلى أهميته لدى المهتمين به سواء كانوا من علماء اللغة العربية أو من خبراء الحسّابات ليتكاتفوا للوصول إلى حل نهائي ، أو حلول مرحلية تؤدي الى حل نهائي بالنسبة لهذه القضية .

كمل يهدف المقال الى بيان الجهود التي بُذلت في هذه القضية حتى الآن ، سواءً كانت جهوداً محلية في كل دولة عربية على حدة . أو جهوداً اقليمية عربية ، أو جهوداً عالمية ، وهذا لا يمنع — بطبيعة الحال — من الادلاء بالرأي اسهاماً في حل هذه القضية التي يود كل عالم في مجال الحسّابات أن يرى لها حلاً سريعاً .

وقضية الحروف العربية تُمثّل تحدياً كبيراً لكل الأطراف الموجودة في استخدام الحسّابات بالعالم العربي ، سواء الشركات المنتجة للحسّابات نفسها وما يتبعها من أجهزة إتصال وطباعة ، أو واضعوا النظم ومنشئوا اللغات والمبرمجون ، أو علماء اللغة العربية والمتخصصون فيها ، أو المستفيدون العرب من امكانات الحسّابات كرجال التوثيق والببليوجرافيون — بصفة خاصة — ممن تتمثل مشكلاتهم في بيانات مكونة من الحروف والكلمات في اكثر الأحيان .

ولا شك أن جهود تلك الأطراف ، كي تؤتي ثمارها المطلوبة ، يجب أن تتم وفقاً لأسلوب متفق عليه ، أو سياسة مرسومة لعملية التطوير . والحادث حالياً هو أن التطوير والتطبيقات والتقنينات ، على مستوى الدول العربية كل على حده ، وعلى مستوى العالم العربي ككل ، يتم بطريقة متفرقة لا يربطها رابط . وإذا لم تستطع كل الدول العربية مجتمعة أن تضع سياسة واعية وسليمة للتطوير ، فإننا — كعرب — سنُحْرم من الكثير من المزايا التي يمكن تحقيقها من تكنولوجيا الحسّابات .

ماهيّة القضية :

تتمثل المشكلة الأساسية في قضية الحروف العربية وعلاقتها بالحسّابات ، في افتقاد المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية الملائمة ، التي تلقى مستوى القبول القومي الواسع من جانب المستفيدين ، ومن ثَـمَّ يمكن أن يُقبل عليها مصممو التكنولوجيات الحديثة بما فيها الحسَّابات والطابعات السطرية والآلات الكاتبة الكهربائية وغيرها ، مما يمكنِّها من التعامل بكفاءَة مع الأعمال والنصوص العربية . والحقيقة أن عقبة التمثيلات العربية المعيارية عامة بالنسبة لكل التطبيقات التكنولوجية الحديثة التي تتعامل مع النصوص بطريقة أو بأخرى ، أدناها الألة الكاتبة اليدوية ، وأعلاها الحسّاب الالكتروني .

واللغة العربية — كما هو معروف — لها بعض الملامح والمحددات الخاصة بها ، والتي قد تشترك في بعضها مع غيرها من اللغات . من هذه الملامح والمحددات أن عدد الحروف العربية الأساسية هو (٢٨) حرفاً ، إلا أن الكتابة العربية في صورها المعروفة ، تحتاج الى أضعاف هذا العدد بسبب تعدد شكل الحرف الواحد عند استخدامه في الكتاب ، أو الطباعة التقليدية ، أو في مدخلات ومخرجات الحسّابات ، وذلك حسب موقعه من الكلمة ، وحسب ارتباطه سابق أو لاحق .[١]

كما أن اللغة العربية العربية تكتب من اليمين الى اليسار بالنسبة الى الحروف ، إلا أنه بالنسبة للأرقام ، تكتب من اليسار الى اليمين ، وهذا يتطلب تطويعاً «للتجهيزات المادية » « والتجهيزات التنظيمية : » الخاصة بالحسّاب .
وهناك مشكلة التشكيل الذي قد نحتاج إليه لفهم بعض النصوص في اللغة العربية .

وهناك العدد الضخم من الأشكال الجمالية والفنية للحروف ، بالاضافة الى اختلاف مستوياتها الطباعية . وإذا أضيف الى كل ذلك أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم مما يدعو المهتمين بالعلوم الدينية ، والعلوم اللغوية الى التمسك بصور الحروف وعلامات التشكيل ... لاتضحت ملامح ومحددات هذه اللغة التي تحتاج لجهود ابنائها لدراسة قضيتها مع الحسّابات . وبصفة خاصة عند إعداد المجموعة المعيارية للتمثيلات الخاصة بها .

فما هي الجهود التي بذلت لاعداد مثل هذه المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي تتلاءم مع الملامح والمحددات الخاصة باللغة العربية ؟ والتي يمكن أن تلقى القبول القومي الواسع من جانب المستفيدين العرب ؟ لقد بذلت جهود على مستوى الدول العربية منفردة ، وبذلت جهود على مستوى دول عربية مجتمعة ، وبذلك جهود دولية أعوزها المال لاكتمالها . إلا أن القضية ما زالت في حاجة الى تحريك من حالة الجمود التي تعيشها من طول الابطاء في مواجهتها بتقديم الحلول السليمة ، مما سأتعرض له بعد استعراض تلك الجهود التي بذلت بمختلف مستوياتها .

الجهود التي بذلت لمعالجة المشكلة :
جهود منفردة في بعض الدول العربية :

كانت بعض الجهود المتناثرة في البلاد العربية لايجاد مجموعة معيارية للتمثيلات العربية . وكان ذلك في معظم الأحوال بمعونة بعض الشركات المهتمة بإنتاج التجهيزات المادية التي تتلاءم مع الحروف العربية ، والتي كان جل اهتمامها منصباً على تسويق تجهيزاتها المادية للدول العربية ، اكثر من اهتمامها بدراسة القضية دراسة علمية متأنية . وقد نتج عن ذلك فوضى وتضارب في أشكال الحروف العربية ، حتى وصل الأمر الى أن بعض الشركات الصانعة كانت تستخدم اكثر من تقنين واحد ، مما لا يُمكِّن من تداول البيانات المعدَّة على اكثر من حسّاب . تم ذلك في غيبة قواعد وطنية أو قومية تحكم أو تقنين هذه النوعية الجديدة من الدراسات .

ومن هذه الجهود ، تلك التي قامت بها شركتا «   » في الستينات والسبعينات لتطوير أشكال الحروف العربية الموجودة في الطابعات السطرية ، وفي مفاتيح آلات التثقيب . إلا أن هذه الجهود — كما سبق قوله — لم تكن مقننة أو موحدة على مستوى الدولة العربية ، بل ولا على مستوى جميع مستخدمي النظام الواحد من التجهيزات المادية . فقد كانت تلك الشركات تعتمد — بالدرجة الأولى — على طلبات العميل وشرائه للتجهيزات المادية أو أجزائها التي يحتاج إليها .

ولعل أول الجهود الفردية التي قامت في الدول العربية ، تلك التي تمت في مصر ، حين دخل أول حسّاب في معهد التخطيط القومي عام ١٩٦٢ م ، حيث بدأ التفكير وقتها في امكانية تمثيل كافة الحروف العربية بجانب الحروف الرومانية . وكان ذلك بالاكتفاء بشكل واحد لكل حرف عربي . وقد بُذلت محاولات أخرى في عام ١٩٦٩ م ، كانت تستهدف توفير تقنينات «شفرات» ثنائية خاصة للحروف والأرقام العربية ، ومنفصلة تماماً عن التقنينات الخاصة بالحروف والأرقام الرومانية . وكان ذلك على الحسَّابات من الجيل الثالث التي تتميز بقدرتها على تمثيل (٢٥٦) شكلاً مختلفاً . بعكس الجيل الذي يسبقه ، فقد كانت قدرته لا تتعدى (٦٤) شكلاً .(٢) .

ولقد كان مشروع «الفهرس المئوي» لدار الكتب القومية بالقاهرة ، وما يزال من أهم الأعمال التي يتم إعدادها في مصر باستخدام الحسّاب ، ليس فقط لضخامة المشروع ، أو لأهمية المقتنيات التي يحصرها ، ولكن أيضا بسبب أنه اكبر المشروعات حتى الآن . وترجع أهميته هذا المشروع الى أن جميع الصعوبات والعقبات والملامح والمحددات بالتطبيقات العربية متمثلة فيه . الا ان هذا المشروع لم يحظ بالتقارير المرحلية الكافية ، أو الدراسات العامة التي تستطيع أن تتحول به إلى تجربة تمد المشروعات الأخرى في الحاضر والمستقبل بحصيلة نادرة في قضية الحروف العربية وعلاقتها بالتحسيب .(٣) .

أما في العراق، فقد جاءت أول دعوة لتغيير رموز الأحرف العربية في عام ١٩٧٠ م ، وذلك في مؤتمر علمي لجمعية المهندسين العراقية . (٤) تلاه المركز القومي للحاسبات الالكترونية بمحاولات مختلفة عن طريق لجان متخصصة للوصول الى مجموعة معيارية للتمثيلات العربية ، وكان ذلك في عام ١٩٧٣ م توصلت هذه اللجان الى اقتراح تبين فيما بعد أنه لم يكن كاملاً أو وافياً بالغرض المطلوب . (٥) وفي يونيه من عام ١٩٧٦ م ، انعقدت اللجنة العربية التحضيرية لندوة المكتب الدولي للمعلومات
في بنزرت بتونس ، حيث تم نوع من التعاون بين العراق والمغرب لاقتراح مجموعة معيارية للتمثيلات العربية . (٦) .

وقد تعاقدت وزارة الصناعة والمعادن العراقية في عام ١٩٧٦ م مع إحدى الشركات المتخصصة في تصميم وصنع التجهيزات المادية لصنع (٢١) حسّاباً الكترونيا صغيراً لاستخدامها في المنشآت التابعة للوزارة في مختلف محافظات الجمهورية العراقية . وقد اشترط التعاقد على أن تقوم الشركة المجهزة ، وبالتعاون مع وزارة الصناعة والمعادن ، بتصنيع أجهزة ادخال واخراج بيانات ، وبالأخص المنافذ والطابعات السطرية ، بحيث تستخدم فيها اللغتان العربية والانجليزية بهجائيتيها العربية والرومانية في آن واحد . مستخدمة في ذلك المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي تم اقتراحها من قبل العراق والمغرب .

إن التعاون الذي قام بين العراق والمغرب — في هذا المجال — يقودنا إلى الحديث عن الجهود التي يقوم بها المغرب متمثلة في اهتمامات الأستاذ أحمد الأخضر غزال ، مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب في جامعة الملك محمد الخامس بالرباط ، إذ أصدر دراسة عصرية شاملة بعنوان « العربية المعيارية المشكولة ، الشفرة العربية الموحدة » . وتتكون هذه المحاولة الناضجة من عدة أقسام وفصول لتغطية كل المعالجات الآلية للهجائية العربية ، في الآلة الكاتبة ، وفي الطباعة ، وفي الارسالات البرقية أو التلفازية .

ولعل من أحدث التطورات في المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي وضعها الأستاذ/غزال ، هو ما أعلن في أغسطس عام ١٩٧٨ م من أن خدمة توثيق الفضاء « فضائيق : » التابعة لوكالة الفضاء الأوربية « وفابية : » قد قامت بتصميم إحدى التكنولوجيات الجديدة في مجال المنافذ : ، حيث يمكن للمنفذ الجديد أن يعرض جنباً الى جنب على نفس الشاشة نصين مكتوبين بهجائيتين مختلفتين .

ورأت « وفابية » أن تبدأ في تنفيذ هذا التصميم ، فطلبت الى إحدى الشركات الايطالية المتخصصة في هذا المجال أن تطبق هذا النظام للمرة الأولى بين الهجائية العربية والهجائية الرومانية . واختارت المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية التي وضعها الأستاذ/ غزال، لكن تدخل ضمن هذا النظام المتقدم في العرض الالكتروني . وسيتم إنتاج المجموعة الأولى من هذه المنافذ المزدوجة خلال عام ١٩٧٩ م(٧) .

لم يقتصر الأمر على الجهود التي بذلتها مصر والعراق والمغرب ، بل هناك دول عربية أخرى شاركت بجهودها في محاولات لحل قضية الحروف العربية وإن لم تصل تلك المحاولات الى ايجاد مجموعة معيارية لها ، إلا أنها تعتبر مؤشراً لاهتمام تلك الدول بالقضية وأبعادها .

ففي بعض الحسّابات الالكترونية التي تعمل في المملكة العربية السعودية ، وتحتوي على طابعات سطرية من طراز « » جرت محاولات لتطويرها وتعديلها ، بحيث أصبح في امكانها طباعة (٤٠) شكلاً مختلفاً للحروف العربية ، بالاضافة إلى عشرة أرقام ، وخمس علامات ترقيم ، إلا أن هذه الطابعات السطرية لا تسمح بطباعة علامات التشكيل ، ولم يتناولها أحد بالبحث[٨] .

تمثلت جهود المملكة العربية السعودية أيضاً في ندوات ومؤتمرات علمية تعقدها للتنبيه بأهمية هذا الموضوع . كان آخرها المؤتمر الذي عقدته جامعة البترول والمعادن بالظهران في فبراير ١٩٧٩ م . قدمت فيه بحوثاً تناولت هذا الموضوع لابراز أهميته بالنسبة للهجائية واللغة العربية .[٩]

جهود اقليمية عربية :

لعل أبرز الجهود الاقليمية العربية — في هذا المجال — هي الجهود التي قامت وتقوم بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية . فقد نبّهت الأذهان في جميع الدول العربية بأهمية الموضوع ، حين عقدت الحلقة الأولى لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال الببليوجرافية بالوطن العربي في الخرطوم ، وكان في ديسمبر عام ١٩٧٥ م . إذ وضعت تلك الحلقة الأساس للموضوع كله ، وذلك بما تضمنته من تحديد الأبعاد والقضايا والمسائل وبما وصلت إليه من التوصيات المحددة ، سواء منها ما تتحمل مسئوليته البلاد العربية نفسها ، أو ما تتحمله المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وما يهمنا من توصيات حلقة الخرطوم — بالنسبة الى هذا المقال ، هو ما خرجت به من توصية عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به المنظمة بالنسبة لتنسيق الجهود لتطويع الخط العربي واللغة العربية لمتطلبات المعالجة الآلية بعامة ، والالكترونية بخاصة . وإن كانت المنظمة قد قصرت — الى حد ما — في تنفيذ هذه التوصية ، إلا أن جهود الدول منفردة كالمغرب قد عوضت هذا التقيصر الى حد ما .

وقضية الحروف العربية مع الحساب ستبقى كذلك بدون حل نهائي ، ربما لعدة سنوات أخرى . وما زالت المشكلة في مركز الاهتمام بالمنظمة ، مما دعاها الى الدعوة للحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال الببليوجرافية بالوطن العربي ، وستعقد هذه الحلقة بالرياض في أواخر عام ١٩٧٩ م . ومع أن القضية لا تخص الاستخدام الببليوجرافي

للحسابات وحده ، إلا أن الحلول النهائية او المؤقتة لهذه المشكلة ستلعب دوراً كبيراً في تذليل كثير من الصعوبات أمام الاستخدام الببليوجرافي .

ولعل من أقوى مساهمات المنظمة في حل هذه المشكلة هو أنها قررت الدخول في قلب المشكلة بطريقة عملية ومثمرة معا . وذلك في شكل مشروعات لتحسيب بعض الأعمال الببليوجرافية بطريقة عملية ومثمرة معا . وذلك في شكل مشروعات لتحسيب بعض الأعمال الببليوجرافية التي بدأتها بالشكل التقليدي ، مثل « النشرة العربية للمطبوعات » ، ومثل « القائمة الموحدة لمداخل الأسماء العربية » . ومن الطبيعي أن هذه المشروعات ستواجه التحدي الرئيس ، بجوار تحديات أخرى ، وهو افتقاد المجموعة المعيارية للتمثيلات العربية الملائمة . إن الدخول في قلب المعركة بهذه الصورة سيدعو المنظمة الى التعاون مع كل الهيئات المتخصصة العالمية والوطنية لدراسة هذا التحدي ، وايجاد الحلول الدائمة أو المرحلية له .

وفي هذا المجال حظيت « النشرة العربية للمطبوعات » بدراسة استطلاعية خاصة قامت بها المنظمة للتعرف المبدئي على الحاجات الواقعة والمتوقعة ، التي يمكن أن تدعو الى استخدام الحساب في هذه الأداة الببليوجرافية القومية ، وعلى الجهود والتكاليف التي ستبذل في هذا المشروع لو تم تنفيذه ، وذلك في ضوء المتطلبات الفنية وفي مقدمتها المكونات المادية والتنظيمية الكفيلة بتحقيق الأهداف والأغراض التي تستجيب لتلك الحاجات .

كما تم إعداد المداخل المعيارية لـ « القائمة الموحدة لمداخل الاسماء العربية » ، حيث تم ذلك بالنسبة لحوالي عشرة آلاف اسم عربي من المؤلفين وغيرهم ، مع الاحالات اللازمة لها بمتوسط ثلاث احالات لكل اسم . والأمل أن تواصل المنظمة مسيرتها في تلك المشروعات التي ستضعها وجهاً لوجه أمام تحديات مشكلات الحروف العربية مع الحسابات ، مما يدعوها الى الوصول الى حلول مرحلية لها ، ثم في النهاية الوصول الى حلول دائمة .

جهود عالمية :

ويقصد بالجهود العالمية تلك الجهود التي تتم على مستوى فردي أو مستوى جماعي في مؤسسات ببليوجرافية تهتم بقضية الحرف العربي خارج الوطن العربي . والحقيقة أن هناك شركات وشخصيات كثيرة في الخارج تحرص على تنمية مجموعة معيارية للتمثيلات العربية للاستخدام في المعالجة الآلية سواءً بالحسابات أو بغيرها من أدوات التكنولوجيا الحديثة .

ومن أوائل هذه الجهود تلك التي قام بها الدكتور « بيير مكاي : » الأستاذ بقسم الآداب القديمة وقسم لغات الشرق الأدنى وآدابه ، بجامعة واشنطن في مدينة سياتل بالولايات المتحدة الأمريكية . إذ بدأ بمشروع متواضع في أوائل السبعينات ، يهدف الى استخدام الحساب في طباعة الكتب العربية ، والكتب التي تستخدم الهجائية العربية كالفارسية ، والأردية . وقد تطور هذا المشروع في السنوات الأخيرة ، واكتسب شهرة واسعة بين المتخصصين في هذا الميدان .

وأهداف مشروع مكاي تتركز في الوقت الحاضر على : [١٠]

أ ــ إنشاء جدول شامل للتمثيلات العربية المقننة الكترونيا في طراز (٧ حبة :) طبقا لمعايير المنظمة الدولية للتقييس ، ولغيرها من المعايير الدولية في معالجة المعلومات .

ب ــ تصميم مجموعة من التمثيلات بالخط غير الروماني ، لتظهر على منفذ من فئة أنبوبة أشعة كاتود متوسط الثمن .

جـ ــ إعداد برنامج للحساب من أجل تجهيز النصوص متعددة الهجائيات للطباعة .

د ــ إعداد برنامج آخر لاستخدام الحساب في عملية الجمع التصويري : السريع بدلاً من الجمع المعدني البارد أو الساخن

وفي أوربا قدّم « روبرت جابرييل : » الذي يعمل في مكتبة ألبرت الأول ، وهي المكتبة القومية لبلجيكا في بروكسل ــ قدم دراسة قصيرة في شكل مشروع بعنوان « مجموعة التمثيلات للهجائية العربية » إلى « جماعة العمل لمجموعات التمثيلات : » في اللجنة الفنية (٤٦) ، وهي إحدى اللجان الفنية في المنظمة الدولية للتقييس . وتتكون هذه المحاولة من عدة فقرات عن خصائص الهجائية العربية ، وعن التقنين الالكتروني الملائم لتمثيلاتها ، ثم الجدول المقترح لهذا التقنين .

وفي أوربا أيضا ، وبالتحديد في جامعة السوربون بفرنسا ، تجري محاولة أخرى على يدي باكستاني هو الأستاذ سيد صلاح الدين حيدر ، إذ قام بتصميم آلة طباعة بها جهاز إختيار مهمته تأجيل طباعة الحرف حتى يتعرف الجهاز على الحرف الذي يليه ، وبالتالي يعرف شكل طباعته . وقد تمكن من تحديد (٣٥) شكلا مختلفاً ، من الممكن أن تغطي معظم أشكال الحروف العربية مع استخدام النقط والأقواس والخطوط المستقيمة فيما بينها لرسم شكل الحرف المطلوب . [١١]

إلا أن أهم المحاولات التي يجب على العرب أن ينموها بالتعاون مع المؤسسة التي قامت بها ، هي المحاولة التي قامت بها مكتبة الكونجرس ، إذ قطعت مرحلة كبيرة في دراسة هذا الموضوع ، وذلك من أجل تجهيز مجموعة تمثيلات عربية لاستخدامها في مرصدها المشهور (الفهرسة المقروءة آليـا « من إنتـاج مكتبـة الكونجرس » ، فما :) ولكنها لأسباب مالية ، ولضرورات الوقت والأولويات في هذا الميدان الواسع ، قررت أخيراً أن تختزن التسجيلات الببليوجرافية بالهجائية الرومانية . وفي هذا القرار ــ كما سيتضح فيما بعد ــ خسارة كبيرة لمكتبة الكونجرس نفسها ، وللمؤسسات الببليوجرافية العربية المهتمة بهذا الموضوع .

وحينما قررت مكتبة الكونجرس أن يكون الاختزان في مرصدها « فما » بالهجائية الرومانية لكل الأعمال ، باستثناء الأعمال اليابانية والكورية والصينية ــ كانت حجتها في ذلك أن المكتبة لا تضمن الوقت ولا التمويل اللازمين لاعداد المكونات والتجهيزات المادية والتنظيمية ،

التي تعالج بطاقات الفهرسة بالهجائيات الأخرى غير الهجائية الرومانية ، بحيث تتلاءم مع النظم والمختزنات السابقة في مرصدها «فا» ، وبحيث يتم ذلك عند الوقت الذي حددته للانتهاء من هذا المشروع .

إن هذا القرار من جانب الكونجرس ، يمثل خسارة كبيرة بالنسبة لاستخدام الحسابات في أعمال الفهارس والببليوجرافيات بالوطن العربي . فلو أن مكتبة الكونجرس قد اسثنت اللغة العربية مع تلك اللغات الثلاثة السابقة ، وأعدت المكونات المادية والتنظيمية اللازمة لاختزان بطاقات واستخدامها في البلاد العربية ، على أساس من التعاون وتبادل الخبرات بين الجانبين . (١٢)

والحقيقة أن مكتبة الكونجرس كانت وما زالت تفضل أن يتم الاختزان لكل بطاقة فهرسة بهجائيتها بدون روفته ، وذلك لو ضمنت التمويل الضروري بالنسبة للهجائية العربية خلال العامين ١٩٧٩ — ١٩٨٠ ، مما يعطي فرصة للمؤسسات المهتمة بهذا المشروع في العالم العربي

أن تتعاون مع مكتبة الكونجرس باعتبارها مؤسسة لا تهدف الى الربح المادي كبقية الشركات الصانعة للمكونات المادية ، وباعتبارها اكبر المؤسسات الببليوجرافية في العالم ، مما يدعوها أن تولىٰ الاختزان الببليوجرافي بمختلف هجائياته أهمية بالغة .

ومما هو جدير بالتنويه ، أنه لو كان موجوداً مجموعة معيارية ملائمة للتمثيلات العربية مع تكويناتها المادية والتنظيمية ، لما لجأ المسئولون عن تحسيب الفهرس الموحد للمؤلفات العربية بأمريكا الى الاكتفاء باستخدام الهجائية الرومانية في تحسيبه . وهذا المشروع يعد أعظم عمل حتى الآن بالنسبة لمعالجة البيانات الببليوجرافية للكتب العربية ، وذلك بغض النظر عن استخدام الهجائية الرومانية في تحسيبه . (١٣)

الحل المنطقي :

بعد أن وضعنا يدنا على مشكلة الحروف العربية وعلاقتها بالتحسيب في العربية ، لا أود أن ينتهي هذا المقال دون أن نبدي رأياً نراه منطقياً بعد أن تم استعراض تلك الجهود التي بُذلت ، سواءً كانت جهوداً من قبل الدول العربية منفردةً ، كل دولة تقوم بجهد خاص في هذا الموضوع عن طريق خبرائها ، أو عن طريق الشركات المنتجة لتجهيزاتها المادية ، أو كانت جهوداً من قبل الدول العربية مجتمعةً متمثلةً في المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أو كانت جهوداً دولية من قبل أفراد أو مؤسسات لها إهتمامات بالحروف العربية وقضيتها مع الحساب — بعد كل ذلك نرى أن تلك الجهود مجرد محاولات لم تصل بعد إلى حل نهائي للقضية ، أو حتى الى حل مرحلي تتبعه حلول مرحلية أخرى تمهيداً للوصول الى الحل النهائي .

والحقيقة أن عقبة التمثيلات العربية المعيارية — التي تعتبر لب قضية التحسيب في العربية — تعتبر عامة بالنسبة لكل التطبيقات التكنولوجية الحديثة التي تتعامل مع النصوص

العربية بطريقة أو بأخرى في أعمال الفهارس والببليوجرافيات وفي غيرها من الأعمال على حد سواء . ومن هنا كان من الضروري للببليوجرافيين والالكترونيين العرب أن يقوموا من جانبهم بخطوة لتحريك هذه القضية التي تكاد تتجمد من طول الابطاء في مواجهتها بتقديم الحلول السليمة ، وذلك كما سبق قوله .

وأرى أنه يقع عبء كبير — في هذا المجال — على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إذ أنها المؤسسة الوحيدة في العالم العربي التي يمكنها التحدث باسم الببليوجرافيين والالكترونيين العرب بصفة خاصة ، والمثقفين العرب ممن تهمهم تلك القضية بصفة عامة . وهي المؤسسة التي يمكنها التفاوض مع الشركات المصممة والصانعة للتجهيزات المادية ، التي يمكنها صناعة التجهيزات التي تتفق ومتطلبات التمثيلات العربية التي يجب أن يتفق بشأنها مسبقاً ، خاصة وأن شركات التجهيزات المادية كانت وما زالت تستغل عدم وجود أي اتفاق في الرأي حول عدد وأشكال التمثيلات العربية لاقتراح تمثيلات فجة غير مدروسة بقصد ارضاء العميل الذي سيشتري تجهيزاتها .

وأرشح في هذا المجال مكتبة الكونجرس كي تتعاون معها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . إن مكتبة الكونجرس وهي الحريصة على ايجاد مثل هذه المجموعة المعيارية الملائمة للتمثيلات العربية كي تستخدمها في اختزان بطاقات الفهرسة الخاصة بالأوعية المكتوبة باللغة العربية وبهجائية عربية — ليسعدها أن يتم ذلك ، لو ضمنت التمويل الضروري لها .(١٤)

وهنا يجب أن تأتي المبادرة من المنظمة ، وذلك بالاتصال بالهيئات المعنية في العالم العربي والقادرة على التمويل . ومن أهم تلك الهيئات «المركز الوطني للعلوم والتكنولوجيا» بالرياض في المملكة العربية السعودية ، «وجامعة البترول والمعادن» في الظهران بالمملكة العربية السعودية أيضا . و «معهد الكويت للأبحاث العلمية» في الكويت ... وغيرها كثير من المؤسسات العلمية المهتمة بمثل هذه القضية في الوطن العربي . وأرى أن هذه المؤسسات في حاجة فقط الى تعريف بأهمية وجود مثل هده المجبوبة المعيارية للتمثيلات العربية الملائمة للعمل والمقبولة على مستوى المستفيدين ، والى أهمية وجود تجهيزات ومكونات مادية ملائمة لهذه المجموعة المعيارية ، ومصمَّمة ومصنَّعة بأعلى مستويات الكفاءة والأداء ، والى أهمية وجود تجهيزات تنظيمية ملائمة لها .

وليس أقدر من مكتبة الكونجرس للتعاون في مثل هذا المشروع ، وليس أقدر من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للمبادرة تبحث واقناع ومناقشة مثل هذه المؤسسات التمويل المشروع . خاصة وأنه سيعقد في نهاية العام الميلادي الحالي الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال الببليوجرافية بالوطن العربي ، تحت إشراف المنظمة ،(١٥) مما يعطيها فرصة لمخاطبة اكبر تجمع للببليوجرافيين والالكترونيين العرب عن هذا المشروع وتمويله .

وفي نهاية هذا المقال أود أن أنبه إلى قضية خطيرة ، هي عدم التمادي كثيراً في تطويع الحرف العربي لمتطلبات الحساب ، وذلك حتى لا نبتعد كثيراً عن مميزاته تحت تأثير ضرورة

مسايرة اللغة العربية للتبسيط الخطي الذي مرت به اللغات الأخرى ، أو بدعوى اقتصار أشكال الحروف على شكل واحد لكل حرف ، أو أن تطبع المطبوعات العربية بحروف منفصلة لتكون هناك فروق بين حروف الكتابة وحروف الطباعة ، أو أن تلغى أو تختصر علامات التشكيل ، أو ... الى آخر تلك المقالات التي يطالعنا بها بعض المهتمين بتلك القضية ، إذ أن المناسب هو تطويع الآلات والتجهيزات المادية نفسها لتتناسب مع متطلبات الحرف العربي ، فالآلة يجب أن تكون في خدمة الحرف ، وليس الحرف هو الذي يجب أن يكون في خدمة الآلة .

* أستاذ المكتبات والمعلومات المساعد بمعهد الادارة العامة ــ المملكة العربية السعودية .

(١) يقول الأستاذ/جيم آجينبرود : ، وهو أحد المهتمين بالتمثيلات العربية وعلاقتها بالحسّاب في مكتبة الكونجرس الأمريكية ، في مذكرة رفعها الى المسئولين في مكتبة الكونجرس ، لادخال الهجائية السيريليه عند اختزان بطاقات الانتاج الفكري الذي يُنتج باللغات التي تكتب بها في المرض الببليوجرافي الشهير «فما : » الخاص بمكتبة الكونجرس ، أن عدد التمثيلات التي تحتاجها اللغة العربية يبلغ (١٠٢) تمثيلية . انظر تفصيل ذلك في الفقرة الخاصة بجهود مكتبة الكونجرس في قضية الحروف العربية وعلاقتها بالحسّاب في هذا المقال .

(٢) أنظر تفصيل ذلك في :
عليش ، محمد سمير . معالجة البيانات العربية على الحاسبات الالكترونية . القاهرة ، مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، ١٩٧٩ . ص . ١٦ (بحث قدم الى ندوة اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات في طرابلس بليبيا من ٧ الى ٩ يناير ١٩٧٩) .

(٣) من أحسن الدراسات عن تجربة دار الكتب القومية بالقاهرة ، رسالة الماجستير الخاصة بهذا المشروع منذ بداية في أواخر ١٩٦٨ حتى المرحلة التي وصل إليها في أواخر ١٩٧٨ . تفاصيلها في :
علي ، أسامة السيد محمود . استخدام الحاسبات الالكترونية في إعداد فهارس المكتبات مع تقييم تجربة دار الكتب والوثائق القومية في إعداد فهرسها المئوي . القاهرة ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٩ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

(٤) أنظر تفصيل ذلك في :
الديوه جي ، عبد الاله . تنسيق أعمال الحاسبات في العراق ، وقائع المؤتمر العلمي لجمعية المهندسين العراقية حول مستقبل الحاسبات الالكترونية في العراق . بغداد ، جمعية المهندسين العراقية ، ١٩٧٠ م .

(٥) انظر تفصيل ذلك في :
الديوه جي ، عبد الاله . تقييس الألفبائية والأرقام العربية . بغداد ، المركز القومي للحاسبات الالكترونية ، ١٩٧٥ م . (بحث قدم الى ندورة الحرف العربي ، عقد بالمركز القومي للحاسبات الالكترونية في بغداد ، كانون الثاني ١٩٧٥ م)

(٦) انظر تفصيل ذلك في :
الديوه جي ، عبد الاله . مقترح معيار الرموز العربية في الاعلامية بغداد ، المركز القومي للحاسبات الالكترونية ، ١٩٧٧ م . (بحث قدم الى مؤتمر الكمبيوتر الرابع الذي عقد في جده عام ١٩٧٧ م) .

(٧) انظر تفصيل ذلك في :
الهجرسي ، سعد محمد . الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال الببليوجرافية بالوطن العربي ــ ورقة عمل . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩ م . (مسودة لورقة العمل للحلقة التي مستعقد في مدينة الرياض من ٢٠ ــ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ ، مسددة غير منشورة) .

(٨) انظر تفصيل ذلك في :

(٩) من أهم البحوث في هذا المؤتمر ما تناول قضية الحروف العربية وعلاقتها بالتحسيب وهي :

(١٠) تفاصيل وأهدافه في :
الهجرس ، سعد محمد . الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال البيليوجرافية بالوطن العربي — ورقة عمل . القاهرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩ . (مسودة الورقة عمل الحلقة التي ستعقد في مدينة الرياض من ٢٠ — ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م . مسودة غير منشورة) .

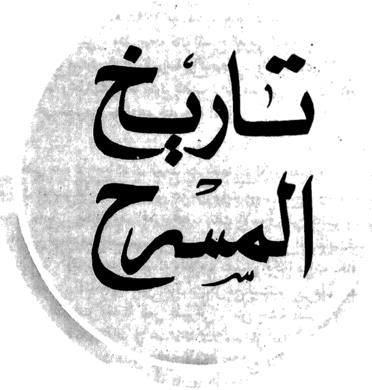
(١١) موكور ، محمد عبد الخالق . حول استخدام الحروف العربية في آلات الاتصالات والحاسبات الالكترونية ، استعراض لبعض الجهود المبذولة في هذا المقام في الدول العربية والخارج . القاهرة ، مركز التنمية الصناعية للدول العربية ، ١٩٧٥ . ص . ١٢ .

(١٢) علمت أثناء كتابه هذا المقال أن مكتبة الكونجرس قد تراجعت عن قرارها هذا ، واستثنت اللغة العربية مع اللغات الثلاثة المذكورة سابقاً ، أو على الأقل أجلت عمليات الاختزان بالهجائية الرومانية بالنسبة للكتب العربية حتى يتخذ قرار جديد . انظر في ذلك نشرة أنباء مكتبة الكونجرس رقم « » بتاريخ ١٩٧٩/٤/٩ .

(١٣) يعتبر هذا المشروع من المشروعات الرائدة في الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ بدأت المكتبات الكبرى في الولايات المتحدة تقتني المؤلفات العربية في أعداد محدودة منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ومعها بعض المؤلفات المكتوبة بالهجائية العربية ، كالفارسية والتركية القديمة . وقد بلغ مجموع المقتنيات بتلك اللغات حوالي مائة وخمسين ألف كتاباً ، منها بالعربية وحدها مائة ألف كتاب . ومن هنا نشأت فكرة المشروع الذي بدأ تنفيذه خلال عام ١٩٧٨ م ، وهو مشروع استخدام الحساب الالكتروني في اعداد فهرس موحد لتلك المقتنيات وربطه بـ « فما » . انظر في ذلك : الهجرسي ، سعد محمد . الحلقة الثانية لاستخدام الحساب الالكتروني في الأعمال البيليوجرافية بالوطن العربي ، ورقة عمل ... وصدر سابق .

(١٤) خاصة وأنه — كما سبق قوله — أن مكتبة الكونجرس قد أجلت قرارها بأن يكون الاختزان الخاص بالأعمال العربية بالهجائية الرومانية ، ورأت أن ينتظر حتى يمكن ايجاد حل مناسب للمجموعة المعيارية للتمثيلات العربية ، ومن ثم تصميم التجهيزات المادية والتنظيمية المناسبة . أنظر في ذلك نشرة أخبار مكتبة الكونجرس رقم « » في ١٩٧٩/٤/٩ م ، وملخص تقرير اجتماع رؤساء الأقسام في مكتبة الكونجرس المنعقد في ١٩٧٩/٤/٣ م . (تقرير داخلي رقم « : ١٩٦٩/١٥ » غير منشور) .

(١٥) عقدت هذه الحلقة بالرياض في المملكة العربية السعودية من ٢٠ — ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م .



تاريخ المسرح عند العرب

بقلم الأستاذ : مصطفى كمال ابراهيم منصور

تضاربت الآراء حول تاريخ المسرح عند العرب ، بعضها ينكر نشأة المسرح والفن المسرحي في العصور العربية الأولى ، ويؤكد أصحاب هذا الرأي أو يزعمون أن العرب لم يعرفوا المسرح إلا في القرن التاسع عشر ، حين وفدت إلى مصر الفرق المسرحية مع الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ ميلادية ، وقالوا إن هذا الفن بدأ ينتشر بطابعة الغربي وتراثه الأجنبي ، وعلى نهجه كان المسرح العربي الخالص . وهم بهذا الرأي الذي لا يرقى إلى مستوى الدقة والدراسة والتمحيص ، والى مستوى الأمانة العلمية المتأنية في دراستها وبحثها ينفون أن يكون للعرب تراث مسرحي ، أو أن يكونوا قد عرفوا المسرح في أي عصر من عصورهم التاريخية الأولى .

وبعض هذه الآراء يؤكد أن العرب منذ جاهليتهم الأولى قد عرفوا ألوانا مسرحية عديدة ، أولها تلك المواسم الأدبية التي كانت سمة من سمات موسم الحج . وقد ذاعت هذه المواسم أو الأسواق ومنها : عكاظ وذو المجاز ومجنه ، تلك الأسواق التي كانت تستغرق أسابيع يلقى الشعراء فيها قصائدهم وقصصهم وملاهمهم ، ويحتكمون فيها إلى نقاد لنقد هذا الشعر وتبيان قيمته الأدبية ، وكانت هذه القصائد والملاهم تتضمن أفكارا درامية تكاد تكون حوارا تمثيليا لا ينقصه جمهور المشاهدين الذين يأتون من كل فج ليستمعوا إلى هذه القصائد ، وانما ينقصه فقط بعض المقومات الحديثة للفن المسرحي ، مثل خشبة المسرح والديكورات والإضاءة وتعدد المرتلين ، وكان الشاعر في حد ذاته ممثلا وهو يلقي قصيدته ، وقد يحدث رد من شاعر آخر أو حوار من أحد المشاهدين يحمل الأفكار تتصارع فيما يشبه الحوار الدرامي ، كما كان في هذه الأسواق الأدبية القصاص أو المنشد الذي يقلد بصوته أصوات الذين تدور حولهم القصة ...

بعد تلك المقدمة عن نشأة المسرح عند العرب نعود إلى استعراض بعض آراء المنكرين وبعض آراء المؤيدين لوجود هذا الفن منذ العصور العربية الأولى .

آراء بعض المنكرين

* من بين هذه الآراء ما ذهب إليه الدكتور زكي نجيب محمود في كتابة «قشور ولباب» إذ يقول : لم يعرف العرب الأدب المسرحي بل والقصصي لعدم التفاتهم إلى تميز الشخصيات الفردية بعضها عن بعض ، لأنه لو نشأ الكاتب في جو ثقافي لا يعترف للأفراد بوجود ، ويطمسهم جميعا في كتلة واحدة من الضباب الأدكن ، فلا سبيل إلى تصويره هؤلاء الأفراد يصطرعون في مأساة ، والشرق كله في رأيي قد طمس الفرد طمسا ، ولم يترك له مجالا يتنفس فيه ، فهو جزء من القبيلة لا وزن له إلى جانبها ولا قيمة له بالقياس إليها ، ولا كذلك اليونان فالفرد عندهم هو محور التفكير .

* ويقول عباس محمود العقاد في كتابه «أثر العرب في الحضارة الأوربية» : التمثيل فن من الفنون التي ترتبط بالحياة الاجتماعية ارتباطا وثيقا ، وطالما أن بيئة العرب لم تتعدد فيها أدوار الحياة الاجتماعية على حسب اختلاف الأعمال والصناعات والطبقات لم يعقل أن ينشأ فيها فن التمثيل ، أو يظهر فيها أدب المسرح .

* ويذهب توفيق الحكيم في مقدمة الملك أوديب إلى أن العرب لم يعرفوا الأدب المسرحي، ولا نقلوه لأنه لم يكن لديهم مسرح ، لأنهم كانوا بدوا رحّلا لا يستقرون في أي مكان ، وطنهم متنقل على ظهور القوافل يجري هنا وهناك خلف قطرة غمام ، وطن يهتز فوق الابل ، كل شيء فيه يباعد بينه وبين المسرح ، لأن المسرح يتطلب أول ما يتطلب الاستقرار ، وحين استقر العرب في بغداد ودمشق وغيرها من المدن العربية الكبرى ، واتصلوا عن طريق حركة الترجمة بالثقافة اليونانية والهندية ظلوا متمسكين بنعرة قومية أو تاريخية تمجد ماضيهم الأدبي والفكري ، فكان الشعر الجاهلي هو المثل الأعلى للفن البياني عندهم .

* أما أحمد حسن الزيات ومحمود تيمور فيدلى كل منهما بدلوه في الانكار بوجود أدب مسرحي عند العرب ، وذلك في العدد «١١١ من مجلة المجلة» .. فيقول الأول : إذا علمت أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يستقرون في مكان ، وأن وحدة مجتمعهم كان القبيلة لا المدينة ، وأن بساطة دينهم وطبيعة أرضهم وضيق خيالهم وقلة أسفارهم قد حرمتهم الأساطير ، وهي من أغزر ينابيع القصص والتمثيل كما كان عند الإغريق ، أدركت في يسر وسهولة الأسباب الطبيعية والاجتماعية التي حالت بين شعراء العرب وبين الملاحم والمسرحيات .

* ويقول الثاني وهو محمود تيمور : إن العرب لم يعرفوا المسرح في زمن الجالية لأنهم كانوا يحيون قبائل متفرقة حياة بدائية ، وازدهار الفن المسرحي يتوقف على نشوء مستوى من الحضارة في مجتمعات من البشر. وحين ترجم العرب في زمن حضارتهم ونهوضهم من الثقافات الأجنبية ما تذوقوه واستساغوه لم يترجموا الملاحم أو القصص التي كان يزخر بها الأدب اليوناني لأسباب شتى : منها أن الشعر المسرحي في روحانيته وفي تعويله على الوقع الموسيقى لا تتأدى خصقاته إذا ترجم إلى لغة أخرى ، ومنها أن الأدب اليوناني كان ينطوي على خرافات أكثرها له دعائم وطيدة من عقائد وثنية وتعدد آلهة ، ومن شاطحة في تصوير العلاقة بين الإنسان وربه ، وفيه كذلك عرض لصفات الخالق وتصرفاته عرضا يجعله شبيها بالمخلوق في الغرائز والطباع وألوان السلوك .

* ويعلل أحمد أمين في كتابه «فجر الاسلام» غياب المسرح عن التفكير العربي والاسلامي بأسباب دينية ، إذ أن الدين يمنع التصوير وبالتالي يمنع التمثيل ، وأن الحياة الاسلامية تمنع التجسيم ، وأن الحياة الإجتماعية ومركز المرأة فيها وتصوّنها وحجبها لا يعين على وجود المسرح .

* ويذهب الدكتور محمد مندور في كتابة «المسرح» إلى أن التراث العربي في الأدب العربي يكاد يكون كله من الشعر فحسب ، أما النثر فلم تصلنا منه إلا بعض جمل من سجع

الكهان منشورة هنا وهناك في كتب الأدب ، ويستطرد الدكتور مندور قائلا : وللأدب العربي خاصيتان : النفحة الخطابية والوصف الحسي ، وذلك بحكم البيئة ونوع الحياة ، ويترتب على ذلك بالضرورة استحالة انتاج الشعر الدرامي الذي يقوم على الحوار المختلف النفحات لا على الخطب الرنانة ، كما يقوم على خلق الشخصيات وتصور المواقف والأحداث لا على مجرد الوصف الحسي .

* أما الدكتورة سهير القلماوي وهي أيضا من المنكرين وجود مسرح عربي فانها تثير عدة نقاط في مقال لها بالعدد « ١١١ من مجلة المجلة » من هذه النقاط أن العرب بطبيعة عقلهم ينظرون إلى الكليات ولا يميلون إلى التحليل ، والمسرح يعتمد على العقلية التحليلية لا على التركيبية ، ومن هنا كان المسرح مخالفا لطبع العرب . ومنها أن التراث العربي والحضاري تراث إسلامي لا يعرف جنسا ولا وطنا إلا العقيدة ، ولا يجد المسرح ولا تجد الدراما بيئة طبيعية في إيمان العرب ومعتقداتهم ، ولا صراعا مع الآلهة والأقدار ، لأن الإنسان العربي في سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفي استسلام للقدر لا يحول دون السعي ، وان حال دون المصارعة والصراع .

* ويقول نجيب محفوظ في مجلة « الأدباء العرب » عدد أكتوبر ١٩٧٢ م : إن العرب بعد الإسلام كانوا غزاة فاتحين ، لديهم إحساس المنتصر المعتز بما لديه ، فهو لا يقلد ولكنه يأخذ من غيره ما ينقصه من الأشياء التي ليس عنده نظير لها ، أما الأشياء المشتركة التي لديه مثلها فإنه يعتز بما عنده ، والمسرح شعر ، والشعر ديوان العرب وفخرهم ، فهم ليسوا في حاجة إلى شعر غيرهم .

* نأتي بعد ذلك إلى بعض آراء المستشرقين المنكرين على العرب هذا اللون من فنون الأدب .. ومن بين هؤلاء المستشرق الألماني هنريش بيكر الذي يذهب إلى أن التراث اليوناني أدى إلى ايجاد النزعة الإنسانية في أوربا ، مما أدى بدوره إلى عصر النهضة الأوربية ، بينما لم يؤد الاسلام إلى نفس هذه النزعة ، وترتب على هذا اختلاف في المضمون الفعلي في كل منهما ، وأن العالم الإسلامي لم يأخذ من التراث اليوناني إلا ما كان ذا نزعة عقلية منطقية ، أما الأشياء التي كان نصيب الروح اليونانية في صياغتها أكثر من نصيب العقل مثل الشعر الغنائي أو الأدب الروائي وكل ما كان يونانيا بحتا كآلهة هوميروس ، كل هذه الأمور ظلت مغلقة أمام الشرق .

* ويقول المستشرق الألماني جوستاف فون جرينبوم : ان الاسلام لم ينجح في خلق فن مسرحي رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود الى سبب تاريخي بقدر ما يعود إلى مفهوم الانسان في الاسلام ، فهو مفهوم يمنع وقوع أي صراع درامي .

* ويقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك أن التقاليد العربية تعاني بالنسبة للمسرح من مشكلتين ، ولذلك جهلت التعبير المسرحي لأنها لم توفق من إعطائه اللغة المناسبة ، المشكلة

الأولى عدم تناسب اللغة العربية الكلاسيكية مع المتطلبات الداخلية للغة الدرامية ، والمشكلة الثانية صعوبة اختيار واحدة من اللغات العربية الثلاثة وهي الاشارة والتعبير والدلالة ، ولغة الشعر العربي تختلف دائما عن لغة الحياة اليومية ، لأنها لغة كلاسيكية تشبه بستانا جميلا ولكنه بستان متجمد ، والمسرح بتكوينه هو اللغة التي لا تحتمل القوالب الجامدة .

آراء المؤيدين

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى آراء المؤيدين وجود أدب مسرحي عند العرب منذ عصورهم الأولى ، فاننا نذكر في طليعتهم جورجي زيدان الذي يؤكد أن العرب نظموا على شبيه الياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسي ، مما تضمن الكثير من أخبار حروبهم المشهورة ، ونظرا لعدم تدوينها فقد ضاعت من محفوظهم إلا قطعا بقيت الى زمن تدوين الشعر في الإسلام .

وقد عرف الأدب العربي كذلك فن القصاص الذي كان يجلس وحوله مستمعون ومحاورون يتجاوبون معه و يتبادلون الحوار فهو هنا ممثل فرد يحكي بلسانه وتعبيرات وجهه ، وهو يمثل القصة بأبطالها ، أو بمعنى آخر يمثل وحده كل الأدوار ، ويتقمص في كل دور شخصيته ، فيعطيه ملامحه بالصوت والحركة والتعبير ، وتتغير ملامحه بتغير المواقف . أما المسرح فكان هو ذلك الشكل البدائي : في رواق المسجد أو عتبة الدار أو سوق البلدة أو المدينة ، أما المشاهدون فهم الجمهور الذي يتجمع أمامه أو يتحلق حوله ، يتجاوبون معه ، وقد يحدث بينه وبينهم حوار نجدله صورة فيما يسمى بالمسرح المرتجل .

* ويقول الدكتور طه حسين في الجزء الأول من كتابه «على هامش السيرة» ان العرب عرفوا القصة والرواية ، فقد شاعت في بلاد الشام أيام عمر بن عبد العزيز مجالس كلامية ومجالس للقصص التاريخي ، وقبل ذلك كانت أحاديث العرب الجاهليين وأخبارهم تكتب أكثر من مرة ، وقد قصها الرواة في ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون في صفوف من التأليف ، فكان القصة والرواية والقصيدة القصصية المطولة عرفت منذ أيام الجاهليين ، واستمرت في نموها وتطورها على مر العصور العربية . إن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصي موجودة في الشعر العربي ، ومنها أنه مرآة لحياة الجماعة ، وخاصة عند جرير والفرزدق والأخطل ، وما أدته الالياذة والأودية بالنسبة لليونان أداة الشعر العربي القديم من تصوير للحياة الاجتماعية وحياة الأبطال بالنسبة للعرب .

* ويقول المفكر الباكستاني محمد إقبال في كتابه «تجديد التفكير الديني في الإسلام» : لقد كانت أوربا بطيئة نوعا ما في إدراك الأصل الإسلامي لمنهجها العلمي ، وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الاسلامية أو العقلية العربية بصورة قاطعة ، وبفضل هذه الثقافة فتحت مغالق العلم والتجربة التطبيقية بعد مرحلة من النظر والتخيل ، كما فتحت مغالق الفنون ، وسار العقل والوجدان معا في شوط الحضارة العربية ، وامتلأت الكتب العربية بألوان القصص والسحر والشعوذة والخرافات ،

وعبقت المجالس بألوان السحر والفنون الموسيقية والرقص والغناء والانشاد وقص الحكايات ، وراح القصاصون والجوالون والحكاءون والرواة ينتشرون في الأسواق والمنتديات ، يقصون ويروون القصص والحكايات عن سالف العصر والأوان ، وعن حروب قامت ودول راحت وأخرى جاءت ، وأبطال جلبوا النصر ، وكافحوا كفاحا أسطوريا ، وكان العقل هنا يمزج بين الخيال والواقع ، بأسلوب مشوّق هو خليط من النثر والشعر ، والقاء مناسب للغناء في موضع الغناء ، والتمثيل بالتعبير والانفعال ، وتغيير الزى أحيانا ، وتقليد الصوت والحركة ، وذلك كله في حشد يشاهد عن كثب ، وينفعل عن واقع مرئي .

* ويقول الدكتور أحمد كمال زكي في كتابه «الأساطير» : كان العرب في جاهليتهم يعبدون الأصنام والأوثان ، وكانت لهم آلهة يعتقدون في قدرتها على دفع البلاء واستجلاب المطر ، أو يتخلفون بها إلى قوى أشد منها بطشا وأعلى منزلة ، وقد عاصرت العرب أوتلتهم أمم اتخذت آلهة أر بابا يعبدونها من دون الله مثل آلهة قدماء المصريين وآلهة اليونان والرومان . وحول هذه الآلهة جميعا نسجت القصص والأساطير ، وألفت الملاحم والمسرحيات . وإذا كان الانتاج اليوناني قد وصل كاملا فإن الانتاج العربي قد وصل بعضه مثل ملحمة «جلجامش» العراقية ، والتي سبقت ملحمة هوميروس بقرن ونصف ، والتي تدور حول المغامرات البطولية والمواقف المأساوية لبطلها جلجامش ، وهو بطل تراجيدي يعرفه تاريخ الأدب في العالم ، ونموذج للإنسان الذي يبحث دون كلل عن سر الحياة ومأساة الوجود الإنساني .

أدلة دافعة تدحض آراء المنكرين

أما وقد استعرضنا آراء بعض المفكرين قيام تاريخ مسرحي عند العرب ، وكذلك آراء بعض المؤيدين قيام هذه الحضارة المسرحية ، فإن الأدلة المادية هي أبلغ رد يمكن به أن ندحض آراء هؤلاء المنكرين . وقد أشرنا في مقدمة هذا المقال إلى أول دليل من هذه الأدلة ، ونعني به مواسم العرب الأدبية أو أسواقها التي كانت تعاصر موسم الحج وتواكبه ، بل كانت في كثير من الأحيان تمتد شهراً كاملا بعد انتهاء هذا الموسم .

* ومن هذه الأدلة أيضا ما ذكره التاريخ ونقله جورجي زيدان في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» من أن رجلا في بغداد كان يخرج يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع إلى تل مرتفع خارج المدينة ، ويجتمع حوله الناس ويدور بينه وبين المشاهدين هذا الحوار التمثيلي :

الصوفي : ماذا فعل النبيون ؟ أليسوا في أعلى علبين ؟
المشاهدون : نعم

ثم يأتي ذلك الرجل بزميل له يجلسه بين يديه يمثل به أبا بكر الصديق ، ويأخذ في إطراء أعماله ، ويأمر به إلى أعلى عليين ، ثم يأتي بمن يمثل به عثمان بن عفان فيأخذ في إطراء أعماله ويأمر به إلى أعلى عليين ، ومن بعده من يمثل به على بن أبي طالب فيثنى عليه ويأمر به إلى

أعلى عليين ، ثم يأتي له الجمهور بمن يمثل به معاوية فيندد بأعماله ويأمر ليقف في الظلام ، ويفعل هكذا في يزيد .

ويمضي جورجي زيدان قائلا : إن في هذه المشاهد محاكاة لأشخاص ، وتقليد لأعمال ، وتوجيه من رئيس فرقة تمثيلية أو مخرج مسرحي ، ومكان للتمثيل وآخر للمشاهدين ، وقصص يقال وعبرة تؤخذ يخرج بها الجميع وهم راضون .

* ويسجل المؤرخون كما يقول الدكتور محمد كمال الدين أنه كان في عصر محمد المعتضد بالله العباسي رجل اسمه ابن المغازلي ممن يقصون على الناس ، ويتبعون قصصهم بمحاكاة الصفات والخصائص للأشخاص الذين يقلدونهم . وكان حاذقاً في صناعته لا يستطيع من يراه يسمعه أن يمسك من الضحك . وقد مثّل بين يدي المعتضد شخصيات من جنسيات وطبقات مختلفة كالاعرابي والتركي والزنجي ، فكان فيها جميعاً يأتي بصورة طبق الأصل من هذه الشخصيات . فهو بذلك ممثل فرد يقوم بأدوار فرقة كاملة ومتعددة حركة وصوتاً .

* والأدب العربي القديم زاخر بكثير من القصص التمثيلية التي تدور على لسان الطير والحيوان ، او حول شخصيات إنسانية مثل قصة الحارث بن عوف سيد بني عبس ، الذي ذهب إلى أوس بن حارثة ليخطب إحدى بناته ، والملابس في هذا المشهد الدرامي ملابس عربية ، والمكان خيمة والحوار يدور هكذا .

أوس — مرحبا بك يا حارث ، ماذا جاء بك ؟
الحارث — وبك يا أوس ، لقد جئتك خاطباً
أوس — لست هناك

[وهي عبارة تدل على الرفض ، ثم يتجه أوس نحو زوجته وهو متجهم] .

الزوجة — من الرجل الذي وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه
أوس — ذاك سيد قومه الحارث بن عوف ، جاء خاطباً ورددته
الزوجة — أولا تريد أن تزوج بناتك ؟ فاذا لم تزوج الحارث فمن ؟

[ويستمر الحوار حتى تسترضيه الزوجة .. فيلحق أوس بالحارث]
[ويعود به ، ثم يتركه ويتجه نحو بناته الثلاث يخاطبهن واحدة واحدة]

الابنة الكبرى — لست بابنة عمه فيرعى رحمى ، وليس بجادك فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني .

[وكذلك فعلت ابنته الوسطى]

الابنة الصغرى — إني والله الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقاً ، الحسيبة أبا ، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير

وهكذا يدور الحوار كما يقول عباس خضر في كتابه « العرب في قصصهم » حتى تنتهي القصة

بزفاف الحادث إلى عروسه بعد أحداث درامية كثيرة تعطي صورة لشهامة العربي وشجاعته .

* عمارة .. الحسناء العربية :

وقصة عمارة الجارية الحسناء هي الأخرى مشهد درامي متكامل كما أوردها عبد الحميد ابراهيم في كتابه «قصص العرب» فقد كانت عمارة جارية عند عبدالله بن جعفر ، وكان يحبها ، ولما رآها يزيد وقعت من قلبه ، ويدور الصراع بين الرجلين عنيفا ، ويستشير يزيد أصحابه ، فينصحونه بأن يلجأ إلى الحيلة ، فيستأجر شخصا يتحايل على ابن جعفر حتى يصبح من أصدقائه ، فأولم له مرة وغنت عماره وهي حسنة الصوت ، ودار هذا الحوار :

ابن جعفر — هل رأيت مثل عمارة ؟
الضيف — لا والله يا سيدي ، ما رأيت مثلها ، وما تصلح إلا لك .
ابن جعفر — ٤ منتشيا [ذلكم سروري
الضيف — يا سيدي إني والله أحب سرورك ، وما قلت لك إلا الجد ، وبعد فإني تاجر أجمد الدرهم إلى الدرهم طلباً في الربح ، ولو بعتها بعشرة آلاف لأخذتها .

ابن جعفر — ٤ متعجبا [عشرة آلاف !
الضيف — نعم
ابن جعفر — [وكأنه يتحدى] أنا أبيعها بعشرة آلاف
الضيف — وأنا أخذتها
ابن جعفر — [وكأنه يمزح] هي لك
الضيف — وقد وجب البيع

وبعد أحداث يضطر ابن جعفر إلى الوفاء بكلمته ، فيسلمها للضيف الذي يذهب بها إلى حيث يزيد الذي يتصادف موته ، فيهبها خليفته معاوية له ، فيعود إلى ابن جعفر يردها عليه ثانية بحجة أنه رأى مدى صبره عليها ووفائه بعهده

ولعلنا نذكر كما يقول الدكتور محمد كمال الدين في دراسة في مجال القصص العربية الدرامية قصص البخلاء للجاحظ ، فهي تدور حول أشخاص عاشوا معه وحوله وخالطهم وخالطوه ، فخلع عليهم جميعاً أسلوبه الساخر الذي تميز بقدرة على الوصف والخيال والتصوير في أسلوب فكه ، وكتاب البخلاء يحوي أكثر من مائة قصة تدور حول البخل والبخلاء ، وكان الجاحظ واحداً منهم ، وكل قصة بما فيها من حوار تصلح مشهدا تمثيلياً قصيراً ، فيه البسمة والسخرية ودقة الوصف والتعبير . ومن نماذج هذه القصص أن رجلا بلغ في البخل غايته ، وكان إذا صار في يده درهم خاطبه قائلا : كم من أرض قد قطعت ، وكم من كيس قد فارقت ، لك عندي ألا تعرى ، ثم يلقيه في كيسه وهو يقول له : اسكن على اسم الله في مكان لا تهان ولا تذل ولا تزعج منه . وفي يوم ألح عليه أهله في شراء شيء بدرهم ، فرضي

أخيراً وأخذ الدرهم وذهب ، فرأى أحد الحواة يلف على نفسه أفعى لقاء درهم يأخذه ، فقال في نفسه : أتلف شيئاً تبذل فيه النفس بأكلة أو شربة ، والله ما هذا إلا موعظة لي من عند الله ، فرجع إلى أهله ، ورد الدرهم إلى كيسه ، فلما مات ذلك الرجل قدم ابنه فاستولى على ماله وداره ، وسأل :

الابن — ما كان أُدم أبي ؟ [أي طعامه]
قالوا — كان يأتدم بجبن عنده
الابن — أرونيها

[فإذا بها حز بالجدول أي الأناء من أثر مسح اللقمة]

الابن — ما هذه الحفرة ؟
قالوا — كان لا يقطع الجبن ، وانما كان يمسح على ظهره فيحفر كما ترى
الابن — فبهذا أهلكني ، لو علمت ما صليت عليه
قالوا — فأنت كيف تريد أن تصنع ؟
الابن — أضعها من بعيد ، فأشير إليها باللقمة

إن كل قصة من هذه القصص ، وكل نادرة من هذه النوادر فيها العنصر الدرامي

المتكامل الذي تزخر بها كثير من كتب العرب

*** ملامح درامية في الشعر والملاحم :**

وإذا كان الشعر هو ديوان العرب ومصدر فخرهم ، فإن فيه ملامح درامية كثيرة كما يقول الدكتور زكي المحاسني في كتابه « أدب الملاحم والملحمة العربية » نجد ذلك في المعلقات السبع كمعلقة إمرىء القيس ومعلقة النابغة الذبياني ومعلقة زهير بن أبي سلمى ، كما نجد ملاحم كاملة كلها بلغة الشعر كملحمة ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وتقع في ٥٥٠ بيتا قسمها على سني الحكم والحوادث التي جرت للملك الناصر في الأندلس حتى انتهاء حكمه عام ٣٢٢ هجرية . وكملحمة أبي طالب بن عبد الجبار الذي كان يسمي متنبي المغرب . وتدور حول هردب العرب مع الأسبان ، وتقع في ٥٠٨ أبيات ، وقد أخذ الشعراء الجوالون الأسبان والفرنسيون منها ملاحمهم في العصور الوسطي ، كما أخذ التروبادو أناشيدهم القصصية . إن هذا الشعر القصصي وتلك الملاحم تتضمن أفكارا مسرحية ، حيث نجد فيها حوارا وشخوصاً مرسومة وأحداثاً تتحرك ، ومعاني ظاهرة وكامنة ، ويكفي أن نضرب مثلا واحداً على ذلك بجزء من قصيدة الحطيئة التي جاء فيها :

وطـــاوى ثلاث عـــاصب البطن مُرمـــل
ببيـــــــــــداء لم يعرف بها ساكن رسما

ويقص فيها حكاية رجل كان هو وزوجته وأولاده يعانون الفقر والجوع من كثرة سيرهم في

الصحراء ، وبينما هو سائر :

رأى شبحـــــا وسط الظلام فراعــــــه
فلما رأى ضيفـــــاً تشمّر واهتمـــــا

وقال :

هيـــــا ربّـــــاه ضيف ولا قِـرى
بحقك لا تحرمـــه تـــا الليلـــة اللحمـــا
فقـــــال ابنـــــه لما رآه بحَيْرَةٍ
أيـــــا أبتـي اذبحني ويسر لـــــه طعما

وبينما هم كذلك إذ رأى سربا من البقر الوحشي آتيا من بعيد ، فيأخذ في مطاردته حتى يصطاد واحدة منها سمينة ، جهزها للضيف وأطعم منها أهله ، ثم تكون النهاية السعادة والرضا :

وبـــاتوا كرامـــا قـــد قضوا حق ضيفهم
ومـــا غرموا غرمـــا وقـــد غنموا غنمـــاً
وبـــات أبوهم من بشاشتـــه أبـــا
لضيفهمُ والأم من بشرهـــــا أمـــــا

* **المقامة أدب تمثيلي :**

تعتبر المقامة أدبا تمثيلياً عرف منذ العصر الجاهلي ، وكانت كما يقول الدكتور على الراعي في كتابه « فنون الكوميديا » تمثيلا مباشراً متواصلاً ، يقوم به ممثل فرد ، ويعتمد على جمهور يحضر العرض في النادي أو مجلس الخلفاء أو قاعات الدرس أو أماكن السمر المختلفة ، ونلاحظ أن كل المقامات التي وصلتنا أعمال مسرحية من الدرجة الأولى يمكن تقديمها على المسرح ، فهي تتضمن حواراً طويلا ، وأحداثاً قصصية تتطور دائماً من البداية إلى الوسط إلى النهاية ، يتخللها الصراع وألوان عديدة من العواطف المتباينة من حب وكراهية ورضا وسخط وقبول ورفض ، وهي بذلك نصوص درامية تنطبق عليها شروط المسرح المتعارف عليها .

ومن أشهر المقامات التي وصلت إلينا مقامات الجاحظ ، ومقامات محمد بن الحسن بن دريد ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني ، ومقامات الحريري . وهذه المقامات كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس في مقال « بمجلة المجلة » عنوانه ظواهر تمثيلية في الأدب الشعبي العربي ، تشبه المسرحية في أنها فن جماعي تعبر عن المجتمع ممثلا في أبطالها ، فضلا عن أنها تمثل في حشد يرتبط ذهنيا وعاطفيا ، فهي بحق رائدة للراوية والقصة والتمثيل أيضا .

ويأتي في قمة هذه المقامات « المقامة المضيرية » لبديع الزمان الهمذاني ، وبطلها هو التاجر حديث النعمة ، كثير الفخر بنفسه وزوجه وماله ، الساعي بالنصب والاحتيال والجشع ، وإلى جواره شخصيتان لضيفين أو لم لها ليتخذ منهما شهوداً ونظارة لعمل فني يؤلفه من واقع

مغامراته .. وهي مقسمة إلى مشاهد درامية مليئة بالحوار المسرحي .

ومنها كذلك مقامات الحريري الموضوعة في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري ، وهي مقامات تدور حول شخصيته بطلها أبو زيد السروجي ، وتمثله شيخا شغف بالأدب ، ثم ضاقت به سبل الحياة حين ركدت سوق الأدب ، فخرج من بلدته « سروج » متنكرا يجوب الآفاق ، وراح يلبس لكل حال لبوسها ، فهو تارة شحاذ يسأل الناس إحسانا ، وتارة دجال بديع الرقى والتعاويذ ، وتارة واعظ أو خطيب ، وتارة سفيه يراوغ ويداور . وهكذا طوال المقامات الخمسين التي يحتويها الكتاب المعروف بمقامات الحريري ، وفيها يقدم لكل شخصية ما يقتضيها حال التمثيل من لهجة وأسلوب وحوار وزي ، وجميعها تعد تمثيلا صادقا لواقع المجتمع والعصر اللذين عاش فيهما الحريري من خلال أبطاله .

• كتب عربية درامية :

وإذا انتقلنا من المقامات فإننا نعثر في المكتبة العربية على كتب درامية تصلح للمسرح والتمثيل فوق خشبته . ومن بين هذه الكتب كتابان في هذا المجال لأن كل واحد منهما مسرح متكامل ، الأول هو رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ، والثاني هو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري .

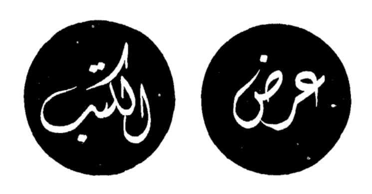
ورسالة التوابع والزوابع من النثر المسجوع ، وتدور أحداثه في عالم الجن « الزوابع » والجنيات « التوابع » وذلك في رحلة يقابل فيها ابن شهيد أشهر شعراء الجاهلية وكتاب نثرها ، وينقدهم نقداً لاذعاً ، في أسلوب حواري طريف ، قريب إلى لغة المسرح ، وخاصة في الجزء الثاني من هذه الرسالة حيث يصدر عالم الجن ، ويلتقي بالشعراء ، وتكون أسئلته لهم أو أسئلتهم له ، في حوار مسرحي مُشَوِّق .

أما الكتاب الثاني وهو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري فإنها تعتمد أساساً على الحركة والحوار ، وتصبحها في كثير من المشاهد موسيقى تصويرية من العزف الآلي أو الإنشاء الشعري المعبر ، في إخراج تمثيلي عرض فيه أبو العلاء مشاهد العالم الآخر على سبيل التشخيص الذي يشبه الفن المسرحي . وتتكون الرسالة من مقدمة وقسمين رئيسيين ، يعبر في المقدمة عن ضيقه بالملق والنفاق من بعض الناس على لسان ابن القارح بطل الرسالة وراويها ، وفي القسم الأول البطل إلى الجنة ، فيرى فيها علماء اللغة ورواة الشعر ، ثم ينتقل المعري ببطله إلى مشهد آخر ، فيطلعه على أهل النار ، فيرى منهم من كان يكره في الحياة الدنيا ، ثم يعود ببطل الرسالة إلى الجنة وبذلك ينتهي القسم الأول ، ويبدأ القسم الثاني الذي يرد فيه المعرى على بعض المسائل اللغوية والأدبية ، ويتعرض لقضايا نقدية وتاريخية هامة .

ونضيف إلى هاتين الرسالتين كتاباً يتضمن مسرحية متكاملة هو كتاب « يوم القيامة » للكاتب العربي الساخر محمد بن محرز الدهراني ، الذي عاش في صقلية والشام قبل مجيئه إلى

مصر أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي . ونستطيع أن نطلق دون تحفظ على هذا الكتاب اسم «مسرحية يوم القيامة ، فهو عمل درامي متكامل تتكون من ثلاثة عشر مشهدا ، وهي تدور فيما يشبه حلما يراه المؤلف وكأنه القيامة قد قامت ، وكأن المنادي ينادي ، فخرج من قبره إلى أن بلغ وكأن القيامة قد قامت ، وكان المنادي ينادي ، فخرج من قبره إلى أن بلغ أرض المحشر ، ثم يصور يوم القيامة في أسلوب حواري يصف فيه ما أصاب المذنبين من الفزع خوفاً من الله ، وفي هذا الجو يلتقي بأناس كثيرين ، قدامى ومعاصرين له ، ومنهم الأدباء والشعراء والفلاسفة والملوك والسلاطين ، كما يلتقي ببعض الملائكة ، ثم يصعد إلى الأعراف المطل على الجنة ، وتأتي المشاهد متتالية ، فنرى في المشهد الرابع مثلا رقصا وغناء وسط حلبة نرى حولها ثلاثة من المذنبين في جرائم قتل في حياتهم الدنيا يتلون ألما ، ويشتركون في الرقص أيضا ، وتتوالى المشاهد وفي كل مشهد يتحدث الوهراني مع أشخاص مختلفين ويتحدثون هم إليه ، حتى نصل إلى المشهد الثاني عشر ، وفيه نرى القتال الذي نشب في الحياة الدنيا يوم صِفين بين الأمويين والشيعيين ، ثم تختتم المسرحية بالمشهد الأخير حيث يستيقظ الوهراني بطل المسرحية على سهم يصوبه محمد بن الحنفية إلى صدره ، فيهب من نومه خائفاً مذعوراً .. ومشاهد المسرحية كلها وحوارها تتسم بالسخرية ، فهور يعرض نقائض من يهجوهم ، كما يعرض مذلتهم في حسابهم يوم القيامة إن هذه الأعمال الدرامية العربية هي الدليل الدافع الذي يدحض دعاوى المنكرين لتاريخ المسرح عند العرب ، فهي جميعاً أعمال تصلح جميعها لتقديمها على خشبة المسرح بشيء من الاعداد البسيط ، فهي أعمال غنية بالديكورات المتنوعة ، والملابس المتعددة ، والحوار الدرامي ، ولا ينقصها سوى إضاءة خاصة ، وإعداد موسيقى يستغل جوانبها الغنائية والراقصة ، وهي فوق ذلك تتطلب ممثلين ومخرجين ومهندسي ديكور وإضاءة على درجة عالية من الثقافة المسرحية حتى يلموا بالأحواء التاريخية لهذه الأعمال الضخمة التي تثبت للعالم كله أن للعرب تاريخا مسرحيا كبيرا يمكن أن يقف شامخا إلى جانب الأعمال المسرحية العالمية سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل .

مصطفى كمال منصور



كتب قرأتها



تأليف : الأستاذ / أحمد علي
عرض : الأستاذ / عبد العزيز الرفاعي

تمهيد :

هذا النوع من الكتب لماذا نحتفي به ؟ أعني كتب المذكرات والذكريات ..؟ ما علينا ان قصّ احدهم قصة حياته .. او جانباً من قصة حياته .. فنشأ في بلدة كذا ، وتعلم في مدرسة كذا ، ويذكر كذا ..وعرف من الناس فلاناً وعلاناً .. وكان الزمن على عهده ، على كذا .. وكان المكان على ما يصف .. ماذا يعنينا من كل ذلك ؟ ولماذا نهدر أوقاتنا في مثل هذا الكلام ؟ ولكل منا قصة حياة وتجارب ومعارف .. الخ . ربما أجد حوافز كثيرة ، لكي اقرأ مذكرات تشرشل .. او اي رجل آخر في وزن تشرشل شهرةً وبعدَ صيت لأعرف وخائل هذا الرجل العظيم ، ولأقف على ما وراء الاحداث من اسرار.. ومع التسليم المطلق بأهمية هذا النوع من الذكريات او المذكرات التي يكتبها مشاهير الرجال الذين أثّروا في تاريخ العالم ما جمعه على نحو ما .. فان هناك ألوانا من ادب المذكرات والذكريات له وزنه الكبير ، لا من ناحيته الأدبية فحسب .. بل وحتى من الزاوية التأرنجية التي تعدّ ايضاً ذات البيئات المعنية .. لذلك نجد ان ادب الذكريات والمذكرات ، أدب مميز ، وله عشاقه ومريدوه .. وهم يجدون فيه ألوانا من المتعة .. ، قد يجدون هذه المتعة في الاسلوب الكلي او الطريف او في طبيعة الاحداث نفسها ، او في غرابتها او شذوذها .. وبهذه العناصر او بعضها تقترب كتب الذكريات او المذكرات من عالم القصة والرواية .. وتحمل ما تحمله هذه من إغراء أو إمتاع ، كلما استطاع الكاتب ان يحمل قارئه على متابعته المعني معه في رحلته ..

الكاتب ؟

والاستاذ احمد علي .. او أحمد علي أسد الله ، وهذا اسمه كاملاً — لم يُقم العالم ولا أقعده مثل تشرشل .. ولا نابليون .. وهو لم يُقم الادباء ثم يقعدهم ، كما فعل طه حسين في ميدان الأدب الحديث ، قبل ان يصدر الايام .. وقليل اولئك الذين عرفوا اسمه في العالم العربي ، وهؤلاء القليل هم الذين تابعوا كتاباته في مجلة المنهل ، او مجلة الحج ، او في بعض الصحف المحلية .. ولكنه .. برغم هذه الشهرة المحدودة .. رجل من طراز نادر من الرجال .. رجل طلعة .. شغف بالمعرفة شغفاً عجيباً منذ ان فتح عينيه على الدنيا .. تطلع الى كل شيء .. وأخذ من كل شيء بطرف .. وهو حينما تفتحت شخصيته الى المعرفة بشراهة .. وضع لنفسه — مع ذلك — حدوداً من الدين متوازنة ، لا يطغى منها جانب على آخر ..إلا ان تستفرق المعرفة .. فستحوذ على لبه .. وبتلك الشخصية الواغلة ، ذهب الاستاذ أحمد علي ، يقرأ علماً ، وأدباً ، وتاريخاً وجغرافيا . يقرأ في العربية ، وفي الانجليزية .. وأحسبه يضيف الى هاتين اللغتين ، الأرودية او يلمّ بها ..

وهو مع علمه وفضله ، وسعة اطلاعه ، رجل أنيس .. معشره خفيف .. وحديثه لبق .. جاب الكثير من بلاد الله ، حتى لتحسبه لا يمسى في بلد ، الا لكي يصبح في أخرى .. وله في اسفاره غرائب وعجائب ، ومتاعب .. وقد نشر جانباً في مشاهداته ..

احببت — يا قارئي الكريم ، ان احدثك قليلاً عن هذا الرجل ، كما عرفته ، لتعلم انه حينما يكتب ذكرياته ، إنما يكتب تاريخاً حافلاً يعكس كل تطلعاته .. فكان حقاً ان نعنى بهذه الذكريات وان نحتفي بها ، وان نقرأها بالكثير من الامعان .. وبكثير من الحضارة ..

فاذا علمت ان الاستاذ أحمد علي ، حينما يتناول قلمه ليكتب ، لا يحاول أن يفتعل ، ولا ان يتكلف .. بل ينطلق على سجيته ، تماماً كما يتحدث . تمضي معه في يسر وهوادة — ازددت اكباراً لعلمه واديه .. اما اذا صادفتك كلمات معجمية .. فلا ينبغي ان ترتاع فهو لم يجشم نفسه عناء ، ليضع هذه الكلمات او ليحشرها في سطوره .. كلا فانما هي من فرط حرصه على اللغة .. ألم اقل انه أخذ من كل علم بطرف ؟ وهو أيضا حينما يفعل ذلك ، انما يستعمل هذه الكلمات بحكمة واتزان ، كما يضع الطباخ الماهر الملح في الطعام ، تشجصةً لا اعتسافاً .

هذا بعض ما اعرف عن المؤلف .. فماذا عن الكتاب ؟

* * *

والكتاب

والكتاب .. اصدره النادي الأدبي بالطائف .. وقد تميز هذا النادي بنشاطه ، وتنشيطه للحركة الفكرية ، خاصةً في مجال النشر .. ومن بين منشوراته ما يعدّ من نفائس الكتب .. وهذا الكتاب من تلك النفائس ، وقد تم طبعه سنة ١٣٩٧ هـ في مطابع الزايدي بالطائف .. ويقع في حوالي مائتي صفحة من الحجم المتوسط ، وطباعته جيدة ..

ويضم الكتاب فصولاً قيمة عن الحركة الصحفية والفكرية في الحجاز ، منذ ثورة الحسين ابن علي ، وحديثا عن جريدة القبلة التي كانت تصدر في عهده ، وعرضا للحالة السياسية ، والصحية والاجتماعية ، والعلمية ، والأدبية ، ثم ذكرياته عن الحج ، وهي ذكريات شائعة ، وعن رحلاته في المدن الحجازية ، وعن عهد الدراسة ، وعن الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وخاصةً بعد ان عمل المؤلف ، مدرساً في مدرسة الامراء بالرياض ، حينما كانت الرياض مدينة صغيرة محصورة داخل سورها القديم ووصف للحياة الاجتماعية والعمرانية بها ، ورحلاته في معية جلالته الى البر والمقناص .. ووصف جميل للحياة في الروضات او في الصحراء احياناً .. ثم يخصص المؤلف جزءا غير يسير من كتابه ، للحديث عن شقيقه الاستاذ عبدالحميد ، وولعه بالاطلاع والقراءة ، والأدب ، والكتابة الوصفية ،

والهزلية .. وقصة مرضه .. الخ .. وقد احسن صنعا حينما سجل حياة هذا الأديب الذي لا يكاد يعرفه الا الاقلون ممن اتصلوا به ، وعرفوا خلقه السامي ، وما تمتع به من ادب ، وكان هذا الصنع من جميل وفاء المؤلف لاخيه النابه . وكان حقاً على ذاكرة الزمن ان تعي طرفاً من حياة هذا الرجل ..

ان المعنيين برصد التطور الاجتماعي والثقافي في المملكة العربية السعودية ، سيجدون في هذا الكتاب ، الكثير من المعلومات الجديدة عليهم ، التي تؤرخ ، بطريق غير مباشرة لحركة التحول الطارئة على هذه البلاد .. عدا ما يجدونه من متعة وطرافة ..

لأجد من المفيد للقراء ، ان أنقل اليهم نصاً تاريخياً من هذا الكتاب عن اللقاء الأول الذي تم بين هيئة التدريس المعينة لمدرسة الامراء بالرياض، التي كان من بينها المؤلف ، وبين جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ، وما تبعه من اعداد ، مع صور من ملامح الحياة في مدينة الرياض آنذاك ، ليكون ختاماً لهذا التعريف .

يقول في وصف الاستعداد للسلام على الملك عبد العزيز رحمه الله ، في قصره بالرياض ، ويصف القصر ، وغرفة المدرسة ، وصلاة الظهر ، ويتطرق الى وصف المساجد ثم يصف وليمة غداء ، دعوا إليها ومظاهر الكلام والحفاوة التي قابلهم بها مضيفهم : —

الاستعداد للسلام على جلالة الملك عبد العزيز .

وبينما نستعد للخروج الى القصر الملكي للسلام على جلالة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ، جاء مندوب من القصر يستعجلنا في الخروج لأن جلالته في انتظارنا .. فأسرعنا الى القصر والطريق يمر بأزقة ضيقة كثيرة المنعطفات والملاوي وكانت الحملقة بنوع من السذاجة لا تفارقنا من قبل المارة الذين نمر بهم .. والبعض لا يكتفي بالحملقة بل يعطل سيره ويقف لمتابعة حركات سيرنا أي سير هذه الاشكال الغريبة التي طلعت عليهم من الصباح الباكر ولم ننته من هذه المناظر إلا بعد دخولنا القصر .

القصر

دخلنا القصر من رتاج يدخل منه الخاص والعام والابل بأحمالها والدواب بثقلها . والقصر عبارة عن مدينة صغيرة أو مجموعة بيوت كبيرة ربط بعضها ببعض بواسطة ممرات أرضية وجسور من (الدور الثاني) .

وقسم من القصر مخصص للمكاتب الرسمية والموظفين . ومجالس جلالته .. وأخذنا دليلنا الى مكتب (الشعبة السياسية) حيث ينتظرنا جلالته (تغمده الله برحمته) وأشار علينا بالدخول ... فدخلنا وتشرفنا بالسلام على جلالته ..

وبعد السلام سمح لنا جلالته بالجلوس على يساره . وتفضل بالسؤال عن وصولنا الى الرياض وعسى ان رحلتنا اليها كانت مريحة .. وبعد الانتهاء من هذه الاحاديث اللطيفة قال جلالته : —

كل ما تحتاجونه بشأن المدرسة ولوازمها وطلباتكم .. فقولوا لهذا (وأشار الى الاستاذ رشدي ملحس سكرتير الشعبية السياسية يومئذ) رحمه الله — واتفقوا معه على كل ما تريدونه من أجل المدرسة ..

وهنا دخل الاستاذ عبد العزيز ماجد المترجم بالديوان الملكي بنشرة الاخبار المترجمة من الاذاعات الافرنجية واستأذن جلالته في قراءتها .. فأذن له وبعد أن انتهى الاستاذ من قراءة النشرة علق جلالته على بعض الانباء ثم قام وخرج ..

غرفة المدرسة .

قمنا مع الاستاذ المرحوم رشدي ملحس الى الغرف الخاصة بالمدرسة ولم تكن بعيدة عن الشعبة السياسية . اتفقنا معه على اجراء بعض تعديلات في الغرف كما قدمنا له طلبات المدرسة ، فوعدنا أنه يعرضها على جلالته ثم يحيلها الى جهة التنفيذ .

صلاة الظهر .

ذهبنا لصلاة الظهر الى أقرب مسجد بالنسبة البناء وهو مسجد الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ (أسكنه الله فسيح جناته) . دخلنا المسجد فاذا أنظار الجالسين في انتظار الصلاة تحولت الينا .. وبصورة خاصة الي لنظاراتي .

المساجد .

وضع المساجد وهندستها تكاد تكون واحدة في البناء والشكل وليس هناك اختلاف إلا في الكبر والصغر . ولا بد لكل مسجد رواق من ناحية القبلة وهو لصلاة الظهر والعصر وصحن مكشوف من بعده تقام فيه صلاة المغرب والعشاء والفجر صيفاً والقسم الثالث (الخطوة) وهو كالمخبأ تحت الارض ولا منافذ لها غير الباب الذي ينزل المصلون منه أوكوات صغيرة في السقف وهذه الخلاوي مخصصة للصلاة ، لا سيما صلاة الفجر والعشاء في موسم الشتاء القارس ..

وأرض المساجد تفرش بحصباء كبيرة الحجم .. وفي بعض المساجد يفرش للصفوف الاولى مستطيلة تعرف باسم (المداد) بكسر الميم وفتح الدال .

والمآذن عبارة عن برج مربع يقام على احدى زوايا سقف المسجد .

وتزدحم المساجد بالمصلين ولا سيما في صلاة المغرب والعشاء والفجر .
ويدخل المصلون المساجد بأحذيتهم ولا يخلعونها إلا عند مصلاهم .

البيوت ونظامها وأوقات الاجتماعات .

لقد تعارفنا ، بحكم عملنا واجتماعنا بالجيران بكثير من الاخوان على مختلف الطبقات ، ودعينا عندهم لتناول القهوة والشاي مراراً مما لاحظته في هذه الاجتماعات هو : —

١ — ان الوقت المعتاد — في الغالب — لدعوة (شرب الشاي والقهوة) هو فترة ما بين العشائين أي من بعد المغرب الى العشاء وليكون آذان العشاء الحد الفاصل للاجتماع وداعيا لانصراف الداعي والمدعوين الى المساجد .

وهذه الإجتماعات كانت في تلك الايام ، أي قبل انتشار الراديو ، كأذاعات داخلية يسمع الانسان فيها حوادث النهار مع التعليقات من قبل الحاضرين .

٢ — تشابه البيوت في هندستها وترتيبها .. فغرفة الاستقبال (أو الديوانية أو الروشن) لا بد أن تكون قريبة من مدخل الدار . في الطبقة الاولى أو الثانية بعيدة عن بقية أجزاء الدار — لئلا تتسرب اليها أصوات النساء — ويعني بأثاثها ، أي يضع كل انسان أحسن ما عنده من الرياش فيها .

٣ — وجود (الوجار) وهي كلمة تركية أصلها (وجاق) ومعناها (الموقد) في صدر غرفة الاستقبال (الديوانية) . وبجانب هذا (الوجار) رفوف في الجدار يوضع عدد كبير من الدلال (جمع دلة) على مختلف الاحجام وعدد من أباريق الشاي (الكفتيرات) وهذه الاشياء لا تستعمل مطلقاً .. بل توضع للزينة .

٤ — اشعال نار (الوجار) أمام المدعوين باستخدام المنفاخ الخشبي أو الحديدي . والقيام بتحميص البن ودقة في الهاون ودق الهيل — أما بالهاون أو بالمطحنة الصغيرة — ولا يخلو عمل الشاي والقهوة من قيام وجلوس عدة مرات على أقل تقدير من قبل الذي يتولى عملها .

اذا كان المدعو عزيزا أو كبيرا في الدرجة ، قام الداعي بنفسه بعملية عمل القهوة والشاي وكلف أحد أولاده أو اخوانه بتقديم ذلك للحاضرين .

٥ — يجلس ضيف الشرف أو الشخصية الكبيرة من الحاضرين بجوار الوجار ..
٦ — تقديم القهوة والشاي للحاضرين يكون حسب منزلة الشخصيات لا بترتيب الجلوس .
٧ — يبدأ الاجتماع بتقديم البخور ومروره على الجالسين مبتدئاً بالضيف ثم على من يمينه ثم من بشماله وينتهي الاجتماع كذلك بالبخور .. وكل هذه الأعمال والحركات تؤدي من قبل

الداعي وأقربائه في غاية من الاكرام والحفاوة واللطف بالمدعوين .

وليمة غداء .

دعانا الاخوان (وهو من أتباع سمو الامير خالد بن عبد العزيز) (جلالة الملك المعظم) وقد عرفته من مكة . وكانت هذه أول دعوة غداء نحضرها . ذهبنا اليه بعد صلاة الظهر من المسجد .. ورحب الاخ بنا وبمجرد دخولنا (الديوانية) قدم لنا البخور ثم القهوة ثم الشاي الاسود ثم الشاي الاخضر ثم النعناع ثم (الكركديه) أو الكجراتي ، ثم جاء البخور ..

فهمس أحد الرفاق في أذني وكان مرحا : — (الظاهر هذه هي الغدوة .. والله يعيننا على الوصول الى البيت في هذه (الصنقريرة) ، (أي الشمس الحارة في عامية مكة) ونجلس تاني للطبخ والنفخ ..)

وفي هذه اللحظة جاء الداعي وقال : — تفضلوا ..

فهمس أخونا المرح في أذني مرة أخرى قائلا : — (ما قلت لكم — الحكاية شاهي وقهوة وتسريبة الى الباب) ظنا منه أنه يقصد بكلمة (تفضلوا) الخروج ..

قمنا مع الرجل الى أسفل الدار أي ناحية الباب .. ورفيقنا له أنات وآهات و (ولولات) وأخيرا لم نخرج من الباب ، بل أخذنا الداعي الى غرفة أخرى واسعة كل مساحتها تقريبا شغلت بسماط عربي صف فوقه من صحون الاطعمة والاشربة والحلويات والفواكه ما يعجز الانسان من عدها تتوسطها جفان الرز المحمر والمحلق بدائرة من الزبيب واللوز والمتوجه بخراف محنذة ..

وهنا تهلل وجه رفيقنا فرحا .. وهمس بأذني وهو يتقدم الى هذا السماط : — (الله يهديه . أما كان الاولى للاخ أن يدخلنا من أول مجيئنا على هذه النعائم . وبلاش من تلك المويات الحارة والمرة التي حرقت قلوبنا وحركت الصفراء فينا ولكن ما عليه ما دامت النهاية طيبة) .

وقد قمنا من المائدة داعين لصاحب الدعوة بالخلف والعوض وخير الجزاء من الله ، والمائدة لكثرة ما عليها من الخير لم ينقص منها شيء .. وخرجنا من عنده شاكرين للاخ الداعي كرم ضيافته وجوده وسخاءه وسماحة نفسه

الطب الإسلامي

تأليف

دكتور خالد عز الدين فراج
دكتورة هدى عز الدين فراج
دكتور عز الدين فراج

دار الفكر - القاهرة

عرض

الأستاذ / محمد كمال جمعة



دكتور

خالد عز الدين فراج

طبيب بمستشفيات لندن

دكتورة

هدى عز الدين فراج

مدرس بطب عين شمس





دكتور

عز الدين فراج

أستاذ وعميد سابق بجامعة القاهرة

دكتوراه في علوم النبات والزراعة والكيمياء

ودبلوم الدراسات العليا في البيولوجي كلية العلوم

هذا كتاب حديث ليس بالكبير حجماً ، فهو يقع في ثلاث وثمانين صفحة فقط إلا أن موضوعه يهم المشتغلين بالمعارف الإسلامية ، وعلى صغر الكتاب فانا سنرى أنه قد ألّم إلى حد كبير بالموضوع . وقد ألفه طبيبان يعملان في حقل الطب أو التعليم الطبي ، واشترك معهما والدهما وهو أستاذ من أساتذة النبات . ولا تخفى علاقة هذا العلم بالتطبيب وخاصة في مجال صنع الدواء . ولهذا الوالد الذي كان في يوم ما عميدا لكلية الزراعة بجامعة القاهرة مؤلفات كثيرة ، واهتمام كبير باسهام المسلمين في مجال العلوم التطبيقية .

وقد تناول الكتاب :

العلاج عند العرب قبل الاسلام :

كان يتم بالرقى ، وكانوا يعالجون مرضاهم بالعقاقير البسيطة والأشربة ، وكانوا يعتمدون على الحجامة والكي والبتر ، وكان ذلك يتم عادة بالنار التي كانت تقوم مقام المضادات ، وكانوا يعتقدون أن الكهنة يعلمون كل شيء إذ كان العلم يأتيهم بواسطة الأرواح أو الجن التي كانت تدخل الأصنام وتخاطب الكهان ، كما كانوا يعتقدون بأن الجنّى يستطيعون إخبارهم بخبر السماء . وكان للكهان لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصوصي ، فيه عموض ، وذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتمل أكثر من وجه .

وبعد الإسلام :

فلما جاء الإسلام دعا إلى النظافة ، لأن الاقذار هي مصدر الأمراض . فالمسلم لا يدخل الصلاة إلا بعد الوضوء وهو الذي يخرج بقايا الطعام من الأسنان ، كما أن الاستنشاق يخرج من الأنف إفرازات تحمل بعض الميكروبات .

ووضع الرسول في أحاديثه كثيرا من سبل الوقاية :

— لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزرع يفسد إذا كثر عليه الماء .

— ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه .

— المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء .

— نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع .

وعن نظافة الطريق قال صلى الله عليه وسلم :

— إماطة الأذى عن الطريق صدقة .

— البصق على الأرض خطيئة ، وكفارتها ردمها .

وعن الأمراض النفسية والعصبية فقد دعا الإسلام إلى الإيمان الذي يشرح النفس ويطرد

القلق ، كما نهى الإسلام عن الإرهاق حتى فيما يظن أنه من العبادات : قال الرسول — « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ إما والله أني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني . »

وكان الأطباء المسلمون هم أول من أنشأ المستشفيات والصيدليات للعلاج في التاريخ ، وكان الأطباء طبقات وأصنافاً ، فيهم الطبيب على إجماله ، والجراح والفاض والكحال، والأسناني ، ومن يعالج النساء فقط ، أو يطبب المجانين فقط ، وكان ثمة أطباء للعيون كانوا يعالجون الماء الأزرق بقدح العين ، على نحو عملية كترَكتا اليوم . وقد أنشأ الخليفة الرشيد العباسي المستشفى العام في بغداد في أوائل القرن التاسع الميلادي ، ثم أقيمت مستشفيات أخرى في سائر الجهات حتى بلغت خمسا وثلاثين مستشفى قبل حلول القرن العاشر .

كما أنهم أنشأوا هيئات طبية متنقلة لتصل إلى الجهات البعيدة ، بل وإلى السجون . وكانت أولاها هي التي أنشأها الخليفة العباسي المقتدر . وقد جمع الأطباء المسلمون بين طب اليونان والفرس والهنود والعرب ، كما أضافوا إلى ذلك كثيرا من نتائج خبرتهم . وقد انتقد بعضهم آراء جالينوس أو أبقراط ، كما أدخلوا الترتيب والتبويب في الكتب التي ترجموها كما فعل ابن أبي الأشعب بكتب جالينوس ، كما استحدثوا الشروح على كتب القدماء .

وكان الأطباء المسلمون هم أول من استخدم المرقِّد (البنج) في الطب ، فاستخدموا في ذلك الزوان أو الشيلم ، وكانوا أول من استخدم الخلال (السواك) المعروف لتنظيف الأسنان .

وقد وجد أطباء الإفرنج أن المسلمين كانوا أول من استخدم الكاويات في الجراحة ، وأول من تنبّه إلى شكل الأظافر في المسلولين ، وأول من وصف علاج اليرقان ، وعلاج صب الماء البارد لقطع النزف ، وعلاج خلع الكتف بطريقة رد المقاومة الفجائي ، وأشاروا إلى عملية تفتيت الحصاة في الكلية . وعن التأليف في فروع الطب كان الأطباء المسلمون أول من كتب في الجزام ، وأول من وصف الحصبة والجدري ، وقد فعل ذلك أبو بكر الرازي في كتاب له ، هذا عدا ما ألفوه من موسوعات . كما شاع عن الأطباء المسلمين فحص بول المريض للتعرّف على حالة الكلية والكبد ، وجس النبض لاعتقادهم بأن النبض يدل على حالة القلب .

بل ونبتت جماعة من النساء في الطب منهن أخت الحفيد زهر الاندلسي وابنتها وذلك زمن المنصور الأندلسي ، وزينب طبيبة بني أود التي برعت في جراحة العين .

وكان اهتمام الرشيد ثم المأمون بتشجيع العلوم والترجمة هو البداية لظهور طب إسلامي ونظريات علمية مبتكرة . ولمع جابر بن حيان الذي يعرف «بأبي الكيمياء» والرازي الذي وضع دائرة معارف طبية في خمسة وعشرين جزءاً ترجمت جميعها إلى اللاتينية ، وظلت تدرس في جامعات اوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر. وظل الطلاب يعوّلون عليها حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا ، وهو كتاب معروف حتى اليوم ، وهو قاموس في الطب والصيدلة جمع أبحاث اليونان والهنود والفرس والعرب من الأمراض ومعالجتها والعقاقير

وخصائصها . ومن الكتب الطبية الإسلامية التي انتفع بها الإفرنج في مطلع الحضارة الاوربية كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » لابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي . ونرى ذلك مفصّلا في كتاب « طبقات الاطباء » لإبن أبي أصيبعة ، « وتراجم الحكماء » لابن القفطي .

وقد أحُصي أطباء بغداد وحدها زمن المقتدر بالله من أول القرن الرابع للهجرة فبلغ ثمانمائة وستين طبيباً .

وظهر في القاهرة في القرن الثالث عشر الميلادي طبيب عظيم يدعى ابن النفيس ، تصدّى لنظريات جالينوس وفنّدها ، وصحح أخطاءها ، وبنى معلوماته على أسس تشريحية ومباديء منطقية ، وقد أثبت أن الدم يتجه من البطين الأيمن إلى الرئة حيث يتنقىّ ، ومن هنا يرجع إلى البطين الأيسر ليوزع على كافة أعضاء الجسم .

كيف نشأ الطب الإسلامي وكيف تقدم ؟!

جدّ الخلفاء والأمراء وأهل الثراء في جمع المخطوطات العلمية والطبية من شتى بقاع العالم المتحضّر ، وكان العرب في بعض الأحيان إذا فتحوا بلدا نقلوا إلى عاصمة ملكهم كل ما فيه من مخطوطات ، كما حدث عندما فتح الرشيد عمورية وأنقرة ، وعهد بترجمتها إلى « يوحنا بن ماسويه » . وقد نصّت معاهدة الصلح بين المأمون وإمبراطور الروم ميشيل الثالث على أن يهب الامبراطور للعرب مكتبة القسطنطينية التي كانت تحوي ذخائر بلغت مائة ألف مجلد علمي وطبي ، وفعل المأمون ما يشبه ذلك مع حاكم صقلية المسيحي .

واقتفى كبراء الدولة وأهل الثراء من محبّي العلم اثر الخلفاء فأرسل موسى بن شاكر في طلب المخطوطات من بلاد الروم ، وأجزلوا العطاء لمن قام بترجمتها ومن بينهم حنين بن اسحق وثابت بن قرة وغيرهم ممن كانوا يتقاضون من كل شهر خمسمائة دينار. وبلغ من توفير الأطباء أن الخليفة المعتقد بالله كان يسير يوماً في بستان داره فاتكأ على يد طبيبه «ثابت بن قرة» ثم جذبها بشدة حتى فزع ثابت ، فقال له الخليفة» يا أبا الحسن : سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وما هكذا يجب ان يكون . فإن العلماء يعلون ولا يُعلّوْن .

كتب الطب المنقولة عن اليونانية :

(١) كتب أبو قراط (تسعة كتب) منها كتاب الأمراض الحادة نقله عيسر بن يحي .

(٢) كتب جالينوس (الستة عشر) وقد نقلها كلها حنين بن اسحق إلى العربية إلا أربعة منها نقلها حبيس ، وله إلى جانب ذلك ثمانية وأربعون كتاباً نقلت إلى العربية كذلك .

وبعد عصر الترجمة ظهرت مجموعة من الأطباء المسلمين قامت .. بعد أن هضمت المخطوطات الطبية القديمة بتنقيحها من الشوائب والأوهام .

المسلمون ينظمّون المهن الطبية :

كان المسلمون أول من أسس مدرسة للطب وألحق بها مستشفى وعيادة خارجية ، وسُمح للطلبة بتحصيل العلوم الطبية من هذه المدرسة على نفقة الدولة ، ومن مال ما حبس عليها من أوقاف . وكان الأهالي يحضرون إلى المستشفيات للتداوي ، وكانوا يُفحصون من العيادة الخارجية وتصرف لهم الأدوية ، او يُجرى لهم العمليات الجراحية الصغرى مثل جبر الكسور ، أو يعالجون داخل المستشفيات . وقد كتب علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر في أواخر القرن الثالث الهجري إلى متولى الوقف الذي ينفق منه على البيمارستان العصري بالعناية بتدفئة المرضى ، وتقديم القوت والعلاج لهم ، بل تضع الخليفة نفسه شرمية العناية بالمساجين المرضى . وامتدّت الخدمة الطبية إلى القرى بواسطة مستشفيات متنقلة (توصية علي بن عيسى الوزير إلى سنان بن ثابت طبيب البلاط) ومتى سنة ٣١٩ هـ . إتصل بالخليفة المقتدر أن خطأ جرى على العامة من بعض الأطباء فمات رجل ، فأمر محتسب الدولة إبراهيم بن محمد بن بطيحا ، أن يمنع جميع الأطباء من التصرف إلا من إئتمنه «سنان بن ثابت ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف في الصناعة ، وأمر سنان بالتحاقهم ، وأن يحدد لكل واحد منهم ما يصلح له ، وما يتصرف فيه من الصناعة (حسب اختصاصه) . ولما انتهى سنان من امتحان أطباء بغداد ، تقررت طريقة الامتحان وإعطاء الإجازات من فروع الطب ، وأخذت بها العواصم الأخرى .

وهذه أول مرة يسجّل فيها تاريخ الطب كيف بدأ نظام الامتحان ومنح الإجازات (الشهادات) في فروع الطب والجراحة والطب الباطني وطب العيون والتجبير. ويصف لنا الرحالة ابن بطوطة (القرن الرابع عشر) مباني المستشفيات ، كما ذكر المقريزي (القرن الخامس عشر الميلادي) تفصيلات تـاريخ خمـسة من مستشفيات القاهرة ، وأقدمها هو مستشفى أحمد بن طولون (٧٨٣ م) ، وأهمها المارستان الدرهم ، وكان يقبل للعلاج فيه كل المرضى : من الاغنياء والفقراء ، من النساء والرجال إذ كانت به قاعات فسيحة للنساء وأخرى للرجال ، كما عيّن به ممرضون وممرضات لرعاية المرضى . وكان يفرد به قاعة كبيرة خاصة للمرضى بالحمى ، وأخرى لأمراض العيون ، وثالثة للحالات الجراحية ، وقاعة للدوسنتاريا والعلل المشابهة . وكان بالمستشفى مطبخ ، وحجر للدرس ، ومخازن للأدوية كلمة والأجهزة ، وصيدلية ، وغرف للأطباء .

وأصبحت كلمة البيمارستان قاصرة على الدلالة على بيت المجانين مع أن معنى الكلمة بالفارسية هو «مكان المرضى» . وبدأت تستخدم كلمة مستشفى العربية . وأفردت منذ أول الأمر في المستشفيات صالات خاصة لمرضى العقل منذ عهد مستشفى أحمد بن طولون في القاهرة .

وبعد أن استتب الأمر للفاطميين في مصر قاموا ببناء دار الحكمة ونبغ كثير من ابناء هذه الدار في الطب والصيدلة منهم : ابو عبدالله بن سعيد التميمي وله في الصيدلة كتاب «الرشيد إلى جواهر الأغذية وقوى المفردات .» وأحمد بن يحيى البلدي وله من الطب كتاب «تدبير

الحبالي والأطفال ، أبو القاسم عمار بن علي الموصلي وقد ألف كتابا في طب العيون أسماه المنتخب في علاج العيون» . علي بن رضوان الطبيب المشهور زمن المستنصر بالله الفاطمي .

وأزدهر الطب في العصر الايوبي وكان هناك أطباء لفروع الطب المختلفة ، وكان طبيب العيون يسمى «كحاله» وطبيب العظام يسمى «مجبّرا» . كما اهتمت الدولة الايوبية بالطب البيطري لكثرة استخدام الخيول في الفتوح . وقد اشتهر من أطباء العهد الايوبي : أحمد بن الحاجب ، واحمد بن جليد القافقي ، وأسامة بن منقذ الذي ألف كتاب «الاعتبار» في الطب ، محمود بن عمر بن رقيقة الذي برع في نظم الكتب الطبية . وبعد العصر الأيوبي في مصر كان هناك ابن النفيس أبو الحسين علي (وسوف يتحدث عنه الكتاب بالتفصيل بعد ذلك) وأحمد بن عبد النعيم الدمنهوري الذي ألّف في علاج البواسير وعلم التشريح وعلاج لسعة العقرب .

الأطباء المسلمون وتشخيص الامراض :

كان الأطباء المسلمون يفحصون البول ، ويجسّون النبض . ووضعوا لأول مرة في التاريخ وصفا لأعراض بعض الأمراض المعدية فابن سينا كان يفرّق بين الالتهاب الرئوي والبلّوري ، وبين الإلتهاب السحائي الحاد والثانوي وبين المغص الكلوي والمغص المعوي .

والرازي أول من وصف بدقة مرض الجدري والحصبة ، كما أنه أول من كشف عن مرض الحساسية حين كتب رسالة في الحالة التي كانت تصيب إبراهيم البلخى عندما يشم الوردة ، وإكتشف أن الموسيقى تصلح في علاج بعض الأمراض .

والمسلمون هم أول من استخدم «المخدّر» في الطب والعمليات الجراحية ، وأول من وجّه النظر إلى شكل الأظافر عند مرضى الصدر ، ومن استخدم «الافيون» لمعالجة الجنون ، والماء البارد لمعالجة التزيف .

وهم أول من كتبوا في الجزام ، وأشاروا بالمأكولات النباتية علاجا للبواسير ، وأول من اكتشف مرض الأنكلستوما ، والسل الرئوي ، ومرض القيل ، وكشفوا عن الحشرة التي تصيب بالجرب . وكان الطبيب الأندلسي الوزير لسان الدين بن الخطيب أول من أشار إلى انتشار الطاعون بالعدوى . وفي طب العيون كان كتاب الكحال صلاح الدين بن يوسف «العين» هو أكبر مرجع جامع في أمراض العيون وأدويتها ، كما أن لابن النفيس مباحث في العين في كتاب عن الكحالة .

وفي الجراحة استخدم الأطباء المسلمون المخدّرات وأخذوا خيوط الجروح من أمعاء القطط ، فكان المسلمون هم أول من استخدم الأوتار الجلدية في تخييط الجروح بعد العمليات . وعرف الأطباء المسلمون الطب النفسي ، وكانت المستشفيات تضم أجنحة

للأمراض العصبية والعقلية ، ووضع بعض الاطباء المسلمين رسائل في الأمراض النفسية فابن عمران وضع كتابا في المانخوليا ، وكتب ابن الهيثم عن تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان . ويعتبر الرازي رائد الطب النفسي فكان يقول « على الطبيب أن يرجّي مريضه بالشفاء ، وحتى ولوكان يئوسا منه ، فإن فراج الجسم نابع من مزاج النفس . » إن كتب « طبقات الأطباء و « الفهرست » وكشف الظنون وغيرها تثبت أن الذين مارسوا الطب والصيدلة كثيرون .. وأنه كان لهم نظام يسيرون عليه ، ورئيس يمنحهم ، ويجيز المقتدر منهم .

الرازي : أبو الطب العربي الاسلامي

ولدا أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في الري عام ٢٥١ هـ/٨٦٥ م .وقد شغف بدراسة الكيمياء وكان له قريب صيدلاني رأى عنده كثيرا من العقاقير والادوية . فكان الرازي أول من ذكر حامض الكبريتيك وحضّره وسماه الزاج الأخضر ، واستطاع استخراج الكحول بتقطير المواد النشوية والسّكرية المتخمّرة . ويورد الكتاب أقاصيص لطيفة عن براعة الرازي التي شدّت الانتباه إليه مثل قصة علاجه لغلام جاءه من بغداد كان قد شرب من مياه راكدة من الطريق فعرف الرازي أن في أمعانه ديدانا ، وقصة أخرى حين استدعى إلى بخاري لمعالجة الأمير منصور الذي كان يشكو من أمراض رماتزمية وكيف استثار الرازي غضب الأمير يساعده ذلك في العلاج أي أنه استخدم نوعا من العلاج النفسي فزاع صيته حتى استدعاه الخليفة المعتضد بن الواثق ليدير بيمارستان بغداد الكبير ، ويورد الكتاب كذلك قصة لطيفة عن طريقة اختيار الرازي لموقع المستشفى حتى إذا بنى كان الرازي يجتمع فيه مع مساعديه وتلاميذه ويوجههم .

وكان الرازي أول من استخدم الموسيقى لعلاج بعض الأمراض ، وأول من تنبه إلى الأمراض الوراثية ، وأول من قام بعلاج الحمي مستخدما الماء البارد . وكان ينصح تلاميذه من الأطباء بضرورة مناقشة المريض عن أحواله وتفاصيل مرضه ليصّح التشخيص . « والفهرست » يعدله ١١٣ مؤلفا كبيراً و٢٨ مؤلفا صغيراً ضاع معظمها .

وأوسع مقالاته الطويلة الكثيرة شهرة في أوربا هي رسالته عن الجدري والحصبة ، وقد نشرت لأول مرة بالعربية مع ترجمة لاتينية قام بها « شانج » بلندن سنة ١٧٦٦ م ، وكانت قد سبقتها ترجمة لاتينية في فينا سنة ١٥٦٥ م ، كما ظهرت لها ترجمة إنجليزية قام بها جرينهل نشرتها جمعية سيد نهام سنة ١٨٤٨ م فاحتلت مكانة عالية باعتبارها أول مقالة عن الجدري . ونشرت رسالة أخرى للرازي في لندن عام ١٨٩٦ م عن حصى المثانة والكلى مع ترجمة فرنسية قام بها الدكتور ب . دي كونبخ وهو الذي نشر كذلك نص الجزء الخاص بالتشريح من كتاب « الحاوي » للرازي . كما قام ستينشنيدر بترجمة مقالات أخرى له إلى الالمانية ، وفي المكتبات العامة باوربا والشرق مقالات أخرى له ، كما أن مكتبة جامعة كمبردج قد حصلت حديثا على مخطوط يحتوي على مقالات له عن النقرس والروماتزم والمغص القولوني .



أبو بكر الرازي

والرازي معترف بملاحظاته الاكلينيكية وقد دوّن بعض الحالات الطبية المثيرة التي لاحظها في كتبه. ويقول عنه ابن أبي أصيبعة في كتابه «طبقات الاطباء» أن له ثمة ملاحظات ثمينة، وأنه قد توصل متفردا — إلى مداداة بعض المرضى مع التعرف على الأعراض والعلاج.

والرازي هو موضع تقدير الجامعات الحديثة : فقد خصصت جامعة برنستون الامريكية أكبر جناح من أجمل بناء لها لعرض مآثر هذا الطبيب المسلم الذي يُعدّ أول واضع للطب

التجريبي إذ كان يجري تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية عليها ، ثم يسّجل جميع ملاحظاته .. وفي بلريس تعلق كلية الطب على جدرانها صورة الرازي ضمن صور أكبر الأطباء الذين خدموا الإنسانية .

وقد اكتشف له حديثا كتابه المسمى « الصنعة » في بيت أمير هندي ، ولما قسّم المواد فيه لم يقسّمها كما فعل جابر بن حيان وتابعوه إلى أجسام وأرواح وأهوبة بل إلى نباتيه وحيوانية ومعدنية .

وللرازي كتاب شهير اسمه « سر الاسرار» تضمن شرحا مفصّلا لمنهجه في البحث والتجربة فبدأ بوصف المواد التي يستعملها ، ثم تحدث عن وصف الآلات والأجهزة مع تسجيل للعمليات الكيميائية . وفي هذا الكتاب وصف الرازي ما يزيد على عشرين جهازاً كيميائياً بطريقة دقيقة . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وأفاد منه علماء أوربا ومنهم الفيلسوف العالم الانجليزي روجر بيكون .

ابن سينا

ولد في قرية قريبة من بخاري سنة ٣٧١ هـ/٩٨٠ م أيام الأمير نوح بن منصور ، ثم انتقل مع أسرته إلى بخاري ، وأحب دراسة الطب منذ صباه حتى ذاع صيته بعيدا ، فلما مرض الأمير رضا وحار الأطباء في علاجه استدعى ابن سينا فعالجه حتى شفى فغمره بأعطيته ، وأعلى منزلته ، وسمح له بالإطلاع على نفائس مكتبته الخاصة الفنية . فلما توفي والده رحل إلى جرجان حيث زامل رجلا من أهل العلم يدعى الشيرازي الذي سمح له أن ينهل من مكتبته ، وهناك بدأ في وضع مؤلفاته التي بلغت أكثر من مائة كتاب .

وكتاب « القانون » هو أكبر كتب ابن سينا حجما وأعظمها شهرة . وقد ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني في طليطلة حيث تمت كثير من الترجمات من العربية إلى اللاتينية ، وحُلّى الكتاب بالصور والرسوم التوضيحية ، وتوجد طبعة مصرية حديثة للنص العربي ، كما أن له ترجمة عبرية . ويعتبر موسوعة لم يترك فيه ابن سينا بابا يتعلق بالطب إلا طرقه وأفاض فيه . وهو في الحق خمسة كتب : أولها في الامور الكلية في علم الطب أوكما قال « من ماهية العضو وأقسامه والعظام والعضلات والأعصاب والشرايين والأوردة » وبسط في الكتاب الثاني القوانين التي يجب أن تعرف من أمر الطب ، والثالث والرابع ذكر فيهما « الجزء العملي الحافظ للصحة ، والعملي المعيد للصحة » ويختص الخامس بالأدوية المركبة « الأقرباذين . »

وكان هذا الكتاب أهم مرجع طبي في العصر الوسيط إذ كان يدرس في مدارس الشرق وجامعات أوربا على حد سواء . وأول جامعة أوربية اعترفت به رسميا كمرجع في تدريس الطب كانت جامعة بولوتا حيث أنشئت كلية للعلوم عام ١٢٦٠ م . ومنذ ذلك الحين بدأ قانون ابن سينا يغزو جامعات أوربا اللاتينية حتى أصبح يمثل نصف المقررات الطبية فيها في

أواخر القرن الخامس عشر . وظل الحال كذلك حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي .

وابن سينا هو أول طبيب قام بحقن الإبر تحت الجلد ، وأول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية ، أول من فطن إلى التأثيرات النفسية في الجهاز الهضمي فأرجع أمراض المعدة إلى أسباب نفسية وعضوية . وقد فرّق بين حصاة المثانة وحصاه الكلية في الطريقة والمقدار ، وأدرك أن الحصاة الصغيرة أحبس للبول من الكبيرة لأنها تنشب في المجرى أما الكبيرة فقد تنزل في المجرى بسرعة .

وكان ابن سينا أول من فرّق بين شلل الوجه الناشيء عن سبب داخلي وبين الناشيء عن سبب خارجي . وأول من وصف الديدان المعوية ، وأول من أجاد وصف الجهاز التنفسي والأمراض العصبية . وعرف عصره الجراحة المتصلة بالاورام الخبيثة أي السرطان . ويقر الدكتور كاظم مدير جامعة استنبول في بحثه الذي ألقاه في مؤتمر ابن سينا من بغداد آراء ابن سينا عن السرطان ، كما أن ابن سينا استطاع أن يكتشف الصلة بين الجسم والنفس وأورد الكتاب قصة طريفة عن غلام قريب لأحد الحكام يرض بشدة واستطاع ابن سينا بجس نبضه أن يتعرف على أن الغلام عاشق لفتاة معينة. وقد ظل طبه وفلسفته يُدرسّان في اكثر جامعات اوربا نحو ستمائة سنة حتى القرن الثامن عشر الميلادي وبخاصة جامعة مونبليه بجنوبي فرنسا .

وقد أحصى العلامة الالماني وستنفلدمن مؤلفات ابن سينا مائة وخمسة من الكتب في علوم الطب والفلسفة والدين والفلك واللغة والأدب والموسيقا والهندسة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها .

وقد كتب عنه الطبيب المؤرخ الايطالي كاستليون فقال « يعد ابن سينا معجزة بن معجزات العقل الراجح ، ويظن أنه لم يسبقه ولم يظهر بعده من العلماء من يدانيه في حدة الذكاء ، وسرعة نبوغ العقل بالقياس إلى العمر مع عزم ونشاط لا يعرف الملل .

الصيدلة وعلماء المسلمين

أقام الاطباء المسلمون في بغداد أول صيدلية منظمة تمد الناس بالأدوية ، كما وضعوا كثيرا من المصّنفات والكتب في الأدوية وتركيبها وتصنيفها ومفعولها وخواصها ، وابتدعوا الكحول والأشربة والخلاصات والمستحلبات . وكان ابن سينا يغلّف الحبوب التي كان يصنعها للمرضى .

وكان العلماء المسلمون أول من استعمل الأفيون والحشيش وغيرها من أغراض التخدير الذي يسبق الجراحة ، وقد جمع ليكرك من مؤلفاته النص العربي وما يقابلها من النص اللاتيني ، ومن مقابلة النصيّن يظهر الاقتباس من اللفظ العربي ، ويتضح ما أصابه من تحريف في النطق أو عند الترجمة .

وحدّثنا التاريخ عن كثير من الصيادلة المسلمين المشاهير منهم :

١ . ابن البيطار وهو أول عالم عربي ألمّ بخواص النباتات ووضع فيها كتابه « الجامع الكبير » الذي حوى وصفا دقيقا لألفين منها ، وكتاب « المغني في الأدوية المفردة » وكتاب « الأفعال الغربية والخواص العجيبة » .

٢. ابن سينا : الذي قسّم في كتابه القانون ما يزيد على ٧٦٠ دواءً .

٣. أبو علي يحيى بن جزله — وقد ألّف من الأدوية كتابه المسمى « المنهاج » الذي رتّبه على الحروف الهجائية ، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية .

٤. الوزير عبد الرحمن بن شهيزر الأندلسي وقد جمع في كتابه « الأدوية المفردة » الكثير من العقاقير ورتّبها على حسب قوتها ودرجتها ، وكان يرى التداوي بالاغذية ثم الأدوية المفردة .

٥. الإمام الرازي الذي وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية وعنوانه «كتاب عن حقائق الأدوية » الذي يحتوي على خمسمائة وخمسة وثمانين نباتاً طبياً .

فضل الأطباء المسلمين على الجراحة

كان العرب قبل الإسلام لا يكادون يعرفون من طب الجراحة إلا الحجامة والقص والكي والبتر . ولما أخذوا من الفتح والإختلاط بالامم المغلوبة استخدموا أطباء هذه الامم ونقلوا عنهم علومهم ، واهتموا من البداية بالأمراض وعلاجها أكثر من اهتمامهم بالجراحة لعدم ممارستهم علم التشريح . ولم يبدأ اهتمامهم بالجراحة إلا متأخرا وحين بدأوا من نقل كتب أبقراط وجالينوس .

وأول من ذكر الجراحة في مؤلفاته هو الرازي ، ولكن كانت ممارستها بدائية ، ولم تصل الجراحة إلى درجة المهارة إلا في العصر الأندلسي على يد أبى القاسم خلف بن عباس الزهراوي .

وقد ولد الزهراوي في الزهراء بأسبانيا عام ٩٣٦ هـ/١٠١٣ م . وأصبح المثل الأعلى في الجراحة عند المسلمين في القرون الوسطى وكان بيته دار ندوة يقصده طلاب العلم والتداوي بالليل والنهار ، وأصبح الطبيب الخاص للأمير عبد الرحمن .

وكان كتاب أبي القاسم المسمى « التصريف » يقع في عشرين جزءا ترجمت كلها إلى اللغة اللاتينية . وكان جيرار دي حريمون هو الذي ترجم الجزء الأخير المتعلق بالجراحة وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي وجاء الجزء الأول منه عن النظريات وعموميات الطب ، والجزء الثاني يحتوي على فصول عن الأطفال والمسنين والرماتزم والدمامل والسموم والأمراض الجلدية والحميات ، والجزء السادس منه خاص بالأطعمة المناسبة للأمراض المختلفة ، وفي الجزء السابع تناول الأدوية البسيطة مرتبة على حروف المعجم ، أما الجزء العشرون فهو خاص بالجراحة وله المنزلة العليا في تاريخ الجراحة .

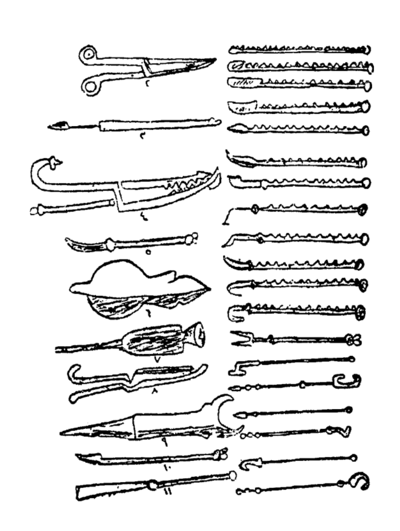
وكان لترجمة جيرار دي كريمون الجزء الخاص بالجراحة إلى اللاتينية فضل على نشر الجراحة في القرون الوسطى وقد وقعت هذه الترجمة من طليطلة .

وكان الزهراوي يذكر بجوار كل موضوع تجاربه والعلمية ، وفي أول كتابه أوصى بضرورة معرفة علم التشريح على أنه أساس كل جراحة . وكان الزهراوي أول من استخدم الرسم والأشكال والصور في مؤلفه عن الجراحة ، ولم يقتصر على ذكر تحضير الأدوية بل تناول أيضا طريقة حفظها ، وعيّن معدن الأوعية التي توافق كل واحدة منها .

وقد نقل عن الزهراوي الكثير من المسلمين والاوربيين منهم ابن البيطار وابن العوّام ودي كلوديس الجرّاح الاوربي الكبير في القرن الرابع عشر الميلادي وقراري الطبيب الايطالي في القرن الخامس عشر ودي جراديلس وسانوس دي اردوزيرس في نفس القرن عن السموم .

وقال هولز ان الزهراوي هو أول من ربط الشرايين ، وقال بوسكا انه أول من استعمل الستارة في استخراج البوليبوس ، وقال فرند أنه كان أول من نبّه إلى الاحتياطات الواجب اتخاذها لمنع أخطار العمليات الجراحية ، وكل هؤلاء من أطباء عصر النهضة الاوربية الذين اعتمدوا على الزهراوي . وكانت العمليات الجراحية ثلاثة أنواع : الأول الكي والثاني استعمال المشرط من شق وفصد ، والثالث تجبير العظام . وكانت الآلات الجراحية تصنع إما من الحديد أو الذهب أو النحاس ، وبالنسبة للكي كان الزهراوي يفضّل الحديد على الذهب والواقع أن عنده الحق في ذلك إذ أن لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة هل هي حمراء أم بيضاء إلا في الظلام ، والمعروف أن الكي يكون على درجة الحرارة الحمراء . واختلف شكل الآلات الجراحية باختلاف الغرض منها ، وكان استخدام المباضع اكثر ما يكون من الأورام . وكان الزهراوي — كغيره — يعتقد أن الكي آخر ما يلجأ إليه الطبيب : «آخر الدواء الكي ، » وكان الزهراوي يستعمل قطع الشريان الذي في الأصداغ لمداواة الصداع المتكرر . ويورد الكتاب وصفاً ذكره الزهراوي من ذلك . وقد نصح الزهراوي باستخدام خيوط الجراحة من الحرير أو من أوتار من جلد أمعاء الأغنام وذلك حتى لا يسرع إليها العفن قبل التئام الجرح فيحدث النزف . وقال لكلارك أحد علماء النهضة الأوربية أن أبا القاسم الزهراوي كان أول من استعمل ربط الشرايين لإيقاف النزيف . ومن العمليات التي ابتدعها الزهراوي استخراج الحصى ، وكان الزهراوي يتحايل على كسرها بالكلاليب .

ومن العمليات التي انفرد بها الزهراوي جراحة الأسنان بطريقة الخلع بالكلاليب ، ونشر الأسنان الزائدة ، وتشبيك الأسنان المتحركة بخيوط من ذهب ، وكان الزهراوي يجري كذلك عملية قطع اللوزتين وذلك بأن يكبس الجراح اللسان بآلته ، ثم تفرز صنارة في اللوزة وتشد إلى خارج الفم ، وتقطع بآلة كالمقراص . وهذه الطريقة تشبه الطريقة الحالية مع بعض التعديل . ومن الخطأ مقارنة جراحة الزهراوي بعلم الجراحة الآن ،



آلات جراحية كانت مستعملة في عهد الزهراوي في الأندلس

(١) صور آلات مختلفة لتجريد الاسنان وتنظيفها (٢) مقص لقص السبل أي العروق الحمر في العين (٣) مقدح لقدح العين في عملية الكتركتا (٤) كلابة لنزع أصل الضرس المسكور (٥) عتلة لقلع أصل الضرس اذا لم يقلع بالكلابة (٦) مسعوط تقطر به الادوية في الانف (٧) جفت لاخراج ما يقع في الاذن (٨) كلابة لقلع اصول الاضراس (٩) جفت لنزع العظام المتكسرة من الفك (١٠) آلة لقطع الضرس الزائد النابت خلف غيره (١١) مبرد لنزع الضرس الزائد اذا أمكن برده .

ابن زهر :

وهو من أسرة من ألمع الأسر الاندلسية في الطب وكان والده زهر الذي مات في قرطبة عام ١١٣١ م طبيبا مشهوراً ألفّ عدّة كتب طبية منها كتاب في الرد على أبي علي بن سينا في مواد من كتابه في الأدوية المفردة .

واسم طبيبنا هذا كاملا هو عبد الملك ابن ابي العلاء زهر ، وكنيته أبو مروان . وكان أكبر طبيب في زمانه في أسبانيا المسلمة والمسيحية على السواء . وقد ولد في اشبيلية وعمل في دولة المرابطين حتى إذا خلفهم الموحدون أصبح وزيراً وطبيباً لأول أمرائهم عبد المؤمن . وقد مات ابن زهر عام ١١٦٢ م ولعله كان أكبر إكلينيكي بعد الرازي ، ورغم أنه قد اتبع جالينوس شأنه شأن غيره إلا أنه مال كثيراً إلى التجريب .

ــ كتاب الاقتصاد في إصلاح النفس والاجساد ، وقد قصد به غير المتخصص في الطب ، وفي أوله ملخص لعلم النفس .

ــ كتاب التيسير في المداواة والتدبير . وهو أخطر كتبه ، وقد كتبه بايعاز من صديقه الفيلسوف ابن رشد . وفي الكتاب وصف تفصيلي للأمراض ودوائها .

ــ كتاب في التغذية ، وينصح فيه بالتغذية الاصطناعية عن طريق الفم والمستقيم عند الضرورة . وإلى ابن زهر ينسب أول مصنف للطفيلي الذي يسبب مرض الجرب وهو حشرة كرأس الدبوس حجماً وتصيب الانسان وكذلك الكلاب .

وقد ولد لابن زهر ولد أصبح طبيبا ناجحا له كتاب في أمراض العين ، وولدت لهذا الابن ابنة أصبحت طبيبة مولدة ماهرة .

إبن النفيس

اسمه بالكامل «علاء الدين أبو الحسن القرشي» ، ولد في دمشق عام ٦٠٧ هـ/١٢١٠ م ، رحل إلى القاهرة وتولى إدارة البيمارستان المنصوري الذي أنشأه قلاوون ، وكان أكبر مستشفياتها . وقد عاش حياته التي زادت على ثمانين عاما عزبا ، وأوصى بوقف داره في القاهرة ومكتبته الحاملة بالكتب على البيحار شهاتات . وقد قدّمه أهل عصره ووصفوه بأنه كان إمام الطب ، وكان لا يتردد في نقد أخطاء كبار الأطباء السابقين مثل جالينوس ، وكان يؤمن بقيمة الملاحظة والتجربة والدراسة العلمية العملية . ويقال إنه قد مارس التشريح في السّر . وقد راجع «القانون» لابن سينا ، وكان يفضل أبو قراط على جالينوس . وقد عارض في كتابه «شرح تشريح القانون» بعض آراء حالينوس في انتقال الدم إذ كان من رأي ابن النفيس «أن الدم ينتقل من الجانب الأيمن للقلب إلى الرئتين أولا ، وهناك عن طريق الشعيرات الدقيقة يخالط الهواء في الحويصلات الرئوية الدقيقة فيصلح أمره ، ويعود إلى الجانب الأيسر من القلب بعد ذلك . وهكذا يكون ابن النفيس هو أول مكتشف للدورة

الدموية الصغرى ، وأول من عرّف وظائف الرئتين والأوعية الدموية التي تصلها بالقلب والشعيرات الدموية التي بين الشرايين والأوردة الرئوية . وهو الأصل الذي ترجم عنه ونسبه لنفسه بعد ثلاثة قرون من الزمان ميشيل سرفه في إيطاليا ، وهو الأصل الذي تجاهله وليم هارفي وهو طبيب إنجليزي ولد سنة ١٥٧٨ م ونسب إليه كشف الدورة الدموية .

وقد اعترفت طبيبة ألمانية هي الدكتورة سيجريد هونكه في كتابها «شمس العرب على الغرب» الذي أوضحت فيه فضل العرب على اوربا بأن فكرة الدورة الدموية لم تخطر ببال جالينوس (١٢٠ — ٢٠١ م) حتى جاء وليم هارفي في عام ١٦١٦ م ، وقضى على أخطاء جالينوس . وتحدث عن دورة دموية صغرى . وفي عام ١٩٢٤ تقدم شاب عربي إلى كلية الطب في جامعة فريبورج برسالة بالالمانية أظهر فيها فضل ابن النفيس في ذلك قبل هارفي بأربعة قرون . وابن النفيس هو الذي كشف أن القلب يتلقى غذاءه من الدم الذي يجري في الأوعية الدموية التي تتخلل القلب ، وأثبت أن الدم يندفع إلى الرئة ليتشبع بالهواء ، وأثبت أيضا أن هناك وصلات بين شرايين الرئة وأوردتها هي التي تتحكم في الدورة الدموية داخل الرئة . وذلك قبل أن يدّعي كولومبوا الإيطالي هذا الكشف لنفسه .

وابن النفيس أول من قال ان أوردة الرئة ليست ممتلئة بهباب كما قال جالينوس . وكانت طريقة ابن النفيس في العلاج تعتمد على تنظيم الغذاء اكثر مما تعتمد على الإفراط في استخدام الأدوية ، وكان يفضل وصف الأدوية المفردة على المركّبة .

وقام ابن النفيس باختصار كتاب «القانون» لابن سينا وسماه «موجز القانون» ، كما كان يعتزم إصدار موسوعة في الطب في مائتي جزء . إلا أن المنيّة عاجلته فلم ينجز سوى ثمانين جزءا .

فضل الأطباء المسلمين على الحضارة الاوربية

ظلت مصادر المسلمين في الطب المصدر الوحيد للدراسة في أوربا خلال ثمانية قرون ، بل إن جامعة مونبيرليه ظلت تأخذ بآراء ابن سينا في قانونه إلى أواخر القرن الماضي . ويمكن القول بأن الرازي هو واضع الطب التجريبي فقد كان يجرع القردة الزئبق ، ويختبر التأثير عليها ، ويسجّل ما يشاهده ، كما أنه كان واضع طريقة تسجيل حالة المريض الحاضرة والسابقة وذلك للرجوع إلى ذلك عند اللزوم . وكان أول من عرف الحصبة والجدري وطرائف المعالجة النفسية .

وقد عرف ابن الخطيب الاندلسي العدوي قبل اكتشاف الجراثيم ، وعزا ذلك إلى سرّ لم يستطع آنذاك معرفته وقال إن من خالط مريضا مصابا بالحمى أو ليس من ثيابه ابتلى بالمرض ، ومن لم يخالط نجا من العدوى .

أما ابن سينا فقد وصف القرحة الدرنية والقولنج الكبدي والكلوي والتهاب الرئة والتهاب

الدماغ والسحايا وصفا لا نزال تأخذ بكثير منه حتى اليوم . وفي المهرجان الألفي لابن سينا الذي عقد في بغداد ألقيت المحاضرات عن فضل هذا الطبيب وعلمه . ويقول العلامة الفرنسي جول لابوم : «كان الأطباء العرب في القرن العاشر يعلّمون تشريح الجثث في قاعات مدرجة خصصت لذلك في جامعة صقلية ، وكشف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى» . واعترف هو بولد الالماني بأن العرب قد أبدعوا شيئاً كثيراً في الطب ، وأوجدوا علم الصيدلة ، وعرفوا كثيرا من النباتات الطبية لم يكن يعرفها الأغريق ، ولا يزال كثير منها مستعملا ومعروفا باسمائها العربية بعد تحريفها منها الكافور ، الزعفران ، الخزام ، المرّ ، المنّ ، المسك ، الترياق ، التمرالهندي ، القطن ، والفول وغيرها من الكلمات الكثيرة التي أوردها العالم أوكليرك في كتابه عن النباتات الطبية .

ويروي التاريخ أن أول مستشفى متنقل لازم الجيوش العربية من حملاتها الاولى كان خيمة أقامتها امرأة اسمها رقيدة وكانت تعالج فيها الجرحى .

وقد بنى أول بيمارستان في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٦ م وكان فيها قسم للذكور وآخر للإناث . وكانت البيمارستانات بمثابة مدارس للطب يتلقى فيها الطلبة علومهم وكان يهيأ لهم بها إيوانات مجهزة بالآلات والكتب ، وكان يُلحق بها صيدليات خاصة ،

اما الأطباء فكان منهم من اختص بالطب الباطني ، ومن اختص بالجراحة أو التجبير ، أو

بامراض العيون . وفي كتاب اصدرته جمعية الصداقة العربية الهولندية تحدث الكاتب الانجليزي شايلدرز بعنوان «العرب في نظر الغرب» يقول وهو يعبّر عن أحاسيسه وهو واقف في ميدان الطرف الأغر بلندن : «البنوك التي تحيط بالميدان تستخدم الصكوك ، وتستخدم الأرقام وأصلها عربي ، والمجاري التي شقت تحت الميدان من ابتكار العرب ، والقبة الزرقاء تزّينها نجوم تحمل أسماء عربية لأن الفلكيين المسلمين هم الذين اكتشفوها ، وهذا القائد نلسون صاحب التمثال إنما استطاع أن يصل باسطوله إلى الطرف الأغرّ في أسبانيا بفضل التحسينات الملاحية العربية على السفن ، ولقب أدميرال الذي يحمله تكريماً هو تحريف عن «أمير البحر» ، والماء الذي تنفثه النافورات عند قاعدة تمثال نلسون ما كان نقيا لولا تقدم عمليات التقطير على يد العرب .

واستطرد قائلا بأنه لا يفوته فضل المسلمين في الطب واستشهد بالرازي الذي أقام له الباريسيون نصبا في القاعة الكبرى في مدرسة الطب ، كما علّقوا صورته في قاعة أخرى في شارع سان جرمان ، أما ابن سينا فقد غطّت شهرته في أوربا على شهرة جالينوس إذ كانت آراء الاول أكثر واقعية .

اوربا تقلد المسلمين في إقامة الحمامات :

باتصال الاوربيين بالمسلمين في الأندلس خلال الحروب الصليبية أعجبوا ببعض العادات الصحية عند المسلمين وخصوصاً النظافة فقلّدوهم وأقاموا الحمامات العامة والخاصة وقلّدوهم في استعمال العطور والمطهرات . وقد اعترف بذلك المستر؟ بورد الامريكي الذي أشهر إسلامه في أوائل العشرينات من هذا القرن ، واستشهد في ذلك بما ذكره العلامة جون درابر في كتابه «التطور الفكري في اوربا» ، كما أوضحت تأثر الاوربيين بالمسلمين في هذا الشأن العالمة الالمانية زيجريد هونكه في كتابها المسمى «سمّى الله على الغرب» وقد قُدّر أن عدد الحمامات العامة التي كانت في بغداد في القرن الرابع الهجري بلغت عشرة آلاف حمام ، وكانت مزودة بالماء البارد الساخن ، وكان تنظيف الأجسام فيها يشمل الشعر والأظافر مستخدمين في ذلك الادوات الدقيقة والمواد المطهّرة والمعطّرة ، ومنها الصابون على اختلاف أشكاله وألوانه وروائحه ، وقطعوه قطعا مرّبعة ومستطيلة ودائرية وبيضاوية وحلزونية ، ونقشوا عليها نقوشا جميلة ، وصنعوا منه الأزرق والأخضر أو الوردى أو الأحمر حسب المادة المستخدمة لتلوينه ، وأضافوا إليه بعض الروايح العطرية .

علماء المسلمين والنباتات الطبية :

يقول المؤرخ كاباتون بأن العرب قد استخدموا في الاندلس وسائل لإخصاب الأراضي البور وإصلاحها ، ويعترف سيدبو بأن العرب قد أضافوا مواد نباتية كثيرة كان يجهلها اليونان تماما ، وزوّدوا الصيدلية باعشاب استعملوها في التطبيب والعلاج . وكان ابن البيطار في أواسط القرن السابع الهجري أكبر علماء النبات المسلمين — وهم كثيرون — وقد سافر إلى بلاد اليونان ، وتجوّل في المغرب ومصر والشام وآسيا الصغرى ، وجمع الحشائش والنباتات ، واجتمع هناك ببعض المعنيين بالتاريخ الطبيعي وأخذ عنهم ، كما فحص النباتات في بيئتها ، وكان ملّما بمراجع اليونان ، وقد ترجم بعضها إلى العربية بدقة ونقدها ، ووعى كتب العلماء الذين سبقوه من العرب ، وطبّق كل ذلك عملياً على النباتات فاستخلص منها أدوية وعقاقير. وكان قد جاء إلى مصر في خدمة حاكمها الأيوبي : وكتابه أصبح يعتمد عليه في الأدوية المفردة والحشائش ، واسمه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وقد جاء كتابا فريدا في النباتات ، بل كان عليه معدّل أهل أوربا في نهضتهم في هذه المجالات ، وفي استقصى ذكر الأدوية وأسماءها ، وعرّف القارىء بفوائدها ومنافعها ، وبيّن الصحيح من النافع والمشتبه فيه ، واعتمد في بحوثه على اكثر من مائة وخمسين من المراجع ، ووصف فيه أكثر من ألف وخمسمائة عقار بين نباتي وحيواني ومعدني كان منها ثلاثمائة عقار جديد ، بل ذكر طريقة استعمالها ، ورتّب كتابه طبقا لحروف المعجم ليسهّل على القارىء مطالعته ، وأشار إلى الأخطاء

التي وقع فيها سابقوه عند تعرضهم للأدوية لإنهم اعتمدوا على النقل بينما اعتمد هو على التجربة والمشاهدة ، ويتوج الكتاب انه كان يسجل أسماء الأدوية وغيرها بسائر اللغات بالإضافة إلى ذكر منابت الدواء ومنافعه وتجاربه ، وكان يعبر كل شيء بدقة ويضبط بالشكل والنقط حتى لا يقع أي تحريف . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية والفرنسية والالمانية وغيرها ، واعتمد عليه علماء الغرب فأخذوا الكثير عنه واعترفوا بفضله . وعلى ذلك فإن البيطار في مقدمة علماء النبات في المشرق والمغرب .

وهناك ابن سينا الذي وصف كثيرا من النباتات وخاصة الطبية في كتابه « القانون » كما كتب فصلا ممتعا عن حياة النبات في كتابه « الشفاء » .

وكتب أبو بكر الرازي رسالتين عن النباتات العطرية والفاكهة .

وهناك الدينوي والادريسي والبغدادي والقزويني وغيرهم من العشابين العرب ، كما أن الرحالة أمثال ابن بطوطه قد سجلوا في مشاهداتهم ومذكراتهم وصف كثير من النباتات وفوائدها الطبية .

ويعترف علماء الغرب بفضل العرب في هذا الميدان وذلك مثل رينالدي فيعترفون بأن الزعفران والكافور من النباتات الطبية قد انتقلت إلى الغرب من الشرق . وذكر ليكرك ما يزيد على ثمانين من المواد الطبية التي أدخلها العرب في العقاقير والمفردات الطبية وأوردها بنصها العربي ، وما وضع لها من كلمات دينية واضحة التأثر بأصلها . وكان رشيد الدين الصوري يتجه الى مواضع النبات ومعه مصور يجتهد في محاكاتها بعد أن يريه رشيد إياها في أطوارها المختلفة من طراوة وجفاف ..

ووضع أبو زكريا الإشبيلي كتاباً جليلا في الزراعة اعتمد فيه على معارف أهل العراق واليونان والرومان وإفريقية والأندلس حتى طرق الإخصاب والحرث والغرس والري . وقد ساعد هذا الكتاب أهل الاندلس على جعل بلادهم جنة الدنيا .

الصيدلية وعلماء المسلمين :

أقام الأطباء المسلمون في بغداد أول صيدلية منظمة تمد الناس بالأدوية ، كما وضعوا كثيرا من المصنفات والكتب في خواص الأدوية وتركيبها وتصنيفها ومفعولها وخواصها . واخترقوا الكحول والأشربة والخلاصات والمستحلبات . وكان ابن سينا يغلف الحبوب التي يصنعها للمرضى .

وممن اشتهروا في فن الصيدلة :

١. ابن البيطار وله إلى جانب كتابه السابق الإشارة إليه كتاب « المغنى في الأدوية المفردة »

وكتاب «الافعال والخواص العجيبة».

٢. ابن سينا وفي كتابه «القانون» قسّم الألم إلى خمس عشر درجة، وأورد فيه ما يزيد على سبعمائة وستين دواء.

٣. أبو علي يحيى بن جزلة وقد ألف في الأدوية كتابه «المنهاج»، ورتّبه على الحروف الهجائية، وجمع فيه أسماء الحشائش والعقاقير والأدوية.

٤. الوزير عبد الرحمن بن شهنيد الأندلسي وقد جمع في كتابه «الادوية المفردة» الكثير من العقاقير ورتّبها على حسب قوتها ودرجتها، وكان يرى التدارس بالأغذية ثم الأدوية المفردة.

٥. الامام الرازي وقد وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية عنوان «كتاب عن حقائق الأدوية» احتوى على خمسمائة وخمسة وثمانين نباتا طبياً.

الكيمياء عند العرب :

كان للعرب بعد الإسلام إهتمام كبير بالكيمياء إما لتحضير المعادن النفيسة من معادن دونّها مرتبة أو لتحضير دواء. واشتهر منهم في ذلك جابر بن حيان والرازي وابن سينا وابن رشد. حقا لم يصلوا إلى تحويل المعادن إلى معادن نفيسه، إلا أنهم أفادوا من مزاولتهم للكيمياء فبحثوا في التخمّر واستخراج الكحول بواسطة التقطير، واستخرجوا الزيوت الطيّارة من النباتات بواسطة العصير، واكتشفوا الصورا وسموها (قلى)، واستخرجوا السكر من عصير القصب بعقده على النار، وقطعوا شوطا كبيراً في استخراج الفلّزات وغيرها من المركّبات الكيميائية. وما زالت الكيمياء تحمل مصطلحات وضعها العرب ونقلت إلى اللاتينية كما هي. وعرف العرب معظم العمليات البسيطة التي تستعمل حتى الآن مثل: التقطير، الملقمة (استخدمت في إستخلاص الذهب)، التسامي، التكليس، التبلّر والترشيح. وأدخل المسلمون على الكيمياء الملاحظات الدقيقة، والتجربة العلمية المتقنة، واخترعوا الانبيق، وحللوا عددا كبيراً من المواد كيماوياً، وألّفوا مباحث في الحجارة الكريمة، وفرّقوا بين الحوامض والقلويات، ودرسوا ووصفوا مئات العقاقير.

وكان موسى بن جعفر الكوفي (في القرن الثامن) الذي يتساوى عصره في الكيمياء في أهميته مع عصر بريستلي ولافوازييه، أول من أفصح عن حامض النتريك والماء الملكي وقد تحدث عنه روجر بيكون باعتباره أستاذاً كبيراً. والكيميائيون يقرأون بشفق طريقته في الحصول على حامض النتريك بتقطيره في الانبيق نترات البوتاسيوم والشب والزاج القبرصي معا.

والرازي هو أول من وصف تركيب وخصائص حامض الكبريتيك وحصل عليه بنفس الطريقة الحالية : تقطير الزاج الجاف الأخضر.

أما جابر بن حيان فقد حقق تقدما كبيرا في علم الكيمياء نظريا وعمليا يظهر أثره على الكيمياء القديمة والحديثة ذلك أنه قد شرح طرقا محسّنة للتبخر والترشيح والتصعيد والانصهار

والتقطير والتبلّر . وكان يعرف طرق تحضير أنواع الزاج ، وحجر الشب ، والقلويات ، وملح النشادر ، ونترات البوتاسيوم ، ونترات الصودا . وكان يحضر اكسيد الزئبق ، وخلات الرصاص وغيرها . وكان يعي تحضير حامض الكبريتيك والأزوتيك الخام .

وكانت كل مؤلفاته تترجم إلى اللاتينية حال الحصول عليها ، وقد ترجم روبرت أدف شستر الانجليزي المجموعة الكاملة سنة ١١٤٤ م وكتابه «السبعين» ترجمة جيرار أدف كريمونا ، وترجم ريتشارد رسل سنة ١٦٧٨ أحد كتبه ، ونقل ألبرت الكبير من أحد كتبه كثيرا عنه .

وكتب المسلمون مباحث كثيرة في العقاقير مثل ما سويه الماريني البغدادي القاهري المتوفي سنة ١٠١٥ م ، وابن وافد باسبانيا (توفي سنة ١٠٧٤ م) ، وقد ترجمت مؤلفاتهما إلى اللاتينية ، وطبعت حوالي خمسين طبعة . وتدين المادة الطبية للعرب بكثير من العقاقير مثل السليخة والستا الملكي والراوند والتمر هندي والجوز المقيء والقرمز والكافور والكحول الخ ....

وكان المسلمون بحق المبتكرون الحقيقيون لعلم الصيدلة . وأغلب المستحضرات التي ما زالت تستعمل حتى اليوم كالأشربة واللعوق واللزقات والمراهم والدهانات والمياه المقطّرة الخ . هي جميعا من مبتكراتهم ، حتى إنهم قد تخيلوا طرقا لتناول الأدوية عاد إليها الناس في العصر الحاضر على اعتبار أنها متكشفات حديثة فقد كان ابن زهر يعالج الإمساك بأن يجعل المريض يتناول ثمار العنب الذي روي كرمها بمادة مسّهلة ، وأدخل الرازي في صناعة الصيدلة المسّهلات الخفيفة .

ثم أورد الكتاب قائمة من مصطلحات علم النبات العربي التي دخلت الانجليزية واللغات الاوربية الأخرى استخرجها المؤلف من قاموس اكسفورد تبلغ خمسة وأربعين كلمة .

جابر بن حيان رائد علم الكيمياء :

هو كيميائي المسلمين الأول . وقد عدّ رائدا لعلم الكيمياء . وكانت جامعات أوربا في مطلع النهضة الاوربية لا تعتمد على مراجع في علم الكيمياء غير كتب جابر بن حيان . وكانت لجابر مكانه في بلاط هارون الرشيد ببغداد إذ كان والده من الدعاة إلى العباسيين ، وكان جابر وثيق الصلة بالبرامكة . ويورد الكتاب قصة عن توصل جابر إلى نوع من الورق لا يحترق ثقل عليه كتابا لأحد أساتذته . وكان ليحيى البرمكي جارية يحبّها مرضت مرضاً شديداً فوافق يحيى على دخول جابر إلى غرفتها ، وأخذ يدرس حالتها ، ويسأل من حولها عن تاريخ مرضها ، ثم وصف لها أدوية فشفيت ، فزادت الثقة بجابر عند أهل الأمر .

وكان جابر عندما يجري تجربة يلتزم تحديد الغرض منها قبل البدء فيها ، ثم يتفرغ لها ، ويجعل العمل في مكان خاص مناسب ، ويختار الزمن المناسب لها ، ويصبر ويثابر ولا يعرف اليأس حتى لو فشلت مرة وأخرى ، ولم يكن يشرّع في استنتاج نتائجه ، كما كان يتجنّب كل ما هو مستحيل .

وكان من رأي جابر أن التجربة العملية لا تؤتي ثمارها إن لم تعتمد على الاطّلاع فقد كان يشترط على تلاميذه قراءه كتبه ثلاث مرات متتالية : الاولى للتثبت من صحة الألفاظ والمعاني في النص ، والثانية لدراسة النص من حيث معانيه ومد لولاته الغريبة والبعيدة والثالثة للتأمل وتبويب المعاني وتصنيفها ومعرفة دقائقها . ويؤكد جابر بن حيان أنه لا نجاح لتجربة عملية إلا إذا كانت مسبوقة بالقراءة .

وكان جابر اول من حضر حامض الكبريتيك وقطّره من الشبه وأسماه زيت الزاج وهو عمل كبير بالنسبة للكيمياء والصناعة ، كما استحضر حامض النتريك ، وكان أول من كشف الصودا الكاوية وإستحضر ماء الذهب . وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بواسطة الحامض ، وهي نفس الطريقة التي ما زالت تستخدم حتى الآن لتقدير عيارات الذهب من السبائك الذهبية ، وهو أول من لاحظ ما يحدث من راسب كلورور الفضة عند إضافة ملح الطعام إلى محلول نترات الفضة ، كما استحضر كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم ، وإستعمل ثاني اكسيد المغنسيوم من صنع الزجاج . وهذه المركّبات ذات أهمية كبيرة من عالم الصناعة إذ تستخدم في صناعة المفرقات والأصبغة وفي تحضير الصابون والحرير الصناعي . وكان جابر خبيرا في العمليات الكيميائية الشائعة كالإذابة والتبلور والتقطير والتكليس والاختزال وغيرها . وكثيرا ما كان يصفها ويبيّن الغرض منها . ويشرح أفضل الطرق لإجرائها وفقا لتجاربه . وله بحث من السموم تحت اسم « السموم ودفع مضارها » . وهو وثيق الصلة بالطب والكيمياء ، استعرض فيه أنواع السموم وأسماءها وميّز فيه بين الجيّد منها والرديء ، وأوضح الكمية المناسبة للمريض من كل نوع منها .

ولكل هذا فان الفيلسوف الانجليزي بيكون قد عدّ جابر بن حيان أول من علّم العالم الكيمياء . وقد ترجمت أعمال جابر إلى اللغات اللاتينية والالمانية والانجليزية قام بها بول كراوس وإرنست دارمشتتر وهولميارد وريتشارد رسل .

وبعد فهذه هي النواحي التي طرقها من هذا الكتاب مؤلفوه الثلاثة ، وقد أوردوا في نهايته المراجع التي رجعوا إليها وأثبتوا منها أربعة عشر مرجعاً باللغة العربية أو مترجمة إلى العربية وسبعة مراجع أجنبية منها خمسة انجليزية وأثنان بالفرنسية .

والكتاب يضم ثلاثا وثمانين صفحة فقط وبه مجموعة من الرسوم التوضيحية ، وياليت طباعته كانت احسن مما هي عليه .

وقد لاحظت ان الكتاب غير متسق كل الاتساق في جميع أجزائه ، وربما كان سبب ذلك أن ثلاثة من المؤلفين قد اشتركوا في تأليفه ، ويبدو أن كل واحد منهم اختص بقسم معين ، وأن واحدا منهم لم يقم بمراجعة الكتاب ؛ ككل لحذف التداخل والتكرار . وفي بعض المواضع التي ترجم فيها المؤلفون عن المراجع الأجنبية جاءت الترجمة على غير المطلوب من جودة الاسلوب .

وفي أسلوب الكتاب ككل كثير من الأخطاء التركيبية والنحوية ، إلا أن الكتاب للحق قد عرض لموضوع الطب الإسلامي عرضا جيدا أدّى الغرض منه وبالله التوفيق .







في هذا الباب تقدم المجلة نوعيات مختلفة تتعلق بتاريخنا وتراثنا ، ولغتنا الجميلة .. وكل ما يتصل بتلك النوعيات من جوانب أدبية وفكرية وفنية .

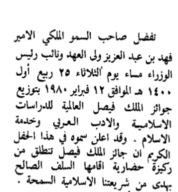
ولقد حرصنا عليها لنتابع من خلالها كافة الجوانب الاخبارية لموضوعات تخصصنا، وتعد أيضا معلومات مبسطة نقدمها دائما في هذا الباب من كل عدد .

والمجلة ترحب دائما بكل اراء وأفكار الباحثين والمتخصصين والقراء حول ما ينشر به ..

يكتبه : محمد ابو الفتوح الخياط

سمو ولي العهد يسلم

جائز الملك فيصل العالمية



تفضل صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس الوزراء مساء يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع أول ١٤٠٠ هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٨٠ بتوزيع جوائز الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية والادب العربي وخدمة الاسلام . وقد اعلن سموه في هذا الحفل الكريم ان جائز الملك فيصل تنطلق من ركيزة حضارية اقامها السلف الصالح بهدى من شريعتنا الاسلامية السمحة . وتمنى سموه أن تنتشر هذه الظاهرة في ربوع الوطن العربي والاسلامي .

وكانت لجان الإختيار والترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية عقدت ختامية بمدينه الرياض مساء يوم ٢٦ صفر ١٤٠٠ هـ . وفي بداية الجلسة القى صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل كلمة اعرب فيها عن شكره للمؤسسات والجامعات والهيئات الاسلامية التي شاركت في الترشيح للجائزة بفروعها الثلاثة كما اعرب سموه عن شكره لاعضاء لجان الاختيار والترشيح على الجهود التي بذلوها في دراسة الاعمال المقدمة لنيل الجائزة واعرب عن امله ان تحقق هذه الجائزة اهدافها الخيرة في خدمة الاسلام والمسلمين وبعد ذلك تلا الدكتور احمد الضبيب امين عام الهيئة قرارات اللجان والتي تضمنت الاسس التي اعتمدت عليها اللجان في منح الجوائز . وجاء في القرارات ان لجنة الترشيح والاختيار للجائزة في مجال خدمة الاسلام قد منحت الجائزة لكل من الشيخ ابو الحسن الندوي لنشاطه الواسع في مجال الدعوة الاسلامية بالهند وفي اطراف العالم الاسلامي عن طريق المحاضرات التي كان يلقيها في المساجد والجامعات وتخصيصه اطفال المسلمين بنوع من التأليف يركز الايمان في نفوسهم وينشؤهم تنشئة حسنة الى جانب قيامه بتاسيس المجمع الاسلامي





العلمي في الهند . وتوفره على انتاج غزير في اللغات العربية والانجليزية والهندية والاردية من اجل الدعوة الاسلامية وبيان المنهج الاسلامي ورد الشبهات ومواجهة التحديات . ومن ذلك كتابة ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين وكتابه في السيرة النبوية .

والدكتور محمد ناصر لخدماته الجليلة التي قدمها للاسلام والمسلمين وما اضطلع به من عمل في مجالات الدعوة من اجل حل قضايا المسلمين وتحقيق التضامن بينهم ... ومواقفه الجليلة التي ظهرت في محاربته الاستعمار في بلاده اندونيسيا وجهاده حتى تحقيق الاستقلال لها . وقيامه بتأسيس المجلس الاعلى للدعوة الاسلامية وعمله الجاد في مقاومة التيارات الهدامة الالحادية والتنصيرية الى جانب اشرافه على كثير من المنظمات في بلده من اجل اعداد الشباب الاندونيسيين اعدادا اسلاميا الى جانب مؤلفاته ودراساته والصحف والمجلات التي كان يشرف على اصدارها والتي تمثل خدماته الاسلامية الجليلة .

كما قررت لجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل للدراسات الاسلامية للدكتور محمد مصطفى الاعظمى نظرا لان كتابه (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه) يعتبر عملا اكاديميا يفصح عن جهد علمي محمود وولاء صادق للسنة النبوية مع الالتزام بالمنهج العلمى في البحث والدفاع عن السنة الشريفة بتصديه لاراء المستشرقين ومناقشتها مناقشة علمية ورد شبهاتهم ونقد ارائهم بالادلة الدامغة واسقاط الروايات الضعيفة التي اعتمدوها والكشف في وضوح عن خطأ فهمهم لبعض الروايات العربية وبذلك يقف كتابه في المقدمة مع الدراسات المعاصرة الجيدة في التاريخ الحديث ويسهم بنصيب موفور في خدمة السنة النبوية من ناحية تاريخها وتدوينها وتصنيفها ورد شبهات المغرضين .

كما ان كتابه « صحيح ابن خزيمة » الذي نشره وحققه يعد من اهم الكتب بعد صحيحي البخاري ومسلم وقد بذل جهدا كبيرا في مقابلة نسخته الفريدة بكتب الاحاديث الاخرى وصوب اخطاءها وخرج احاديثها وابان الحكم عليها ما لم تكن في الصحيحين او احدهما الامر الذي يدل على تمكنه من علم الحديث حتى اخرج عملا علما كبيرا اقتضى جهدا ضخما اضاف

به الى المكتبة الحديثة جديدا فحقق بذلك املا تطلع اليه الكثير من المعنيين بالسنة النبوية .

الى جانب ان كتابه (الكمبيوتر واستعماله في خدمة السنة النبوية) يقدم تجربة فعلية اولية باللغة العربية في استخدام الحاسب الالي في حقل الدراسات الحديثة وذلك عمل ضخم يستنفد لاستكماله الكثير من الوقت والجهد ولا شك ان عمله هذا عندما يكتمل سيكون له نفع عظيم يتمثل في ايجاد الموسوعة الحديثة التي تتناول حصر الحديث ومتابعاته وشواهده في موضع واحد ليتيسر الحكم عليه . وحصر اسماء الرواة والحكم عليهم في موسوعة واحدة وظهور موسوعة فقه الحديث .

وقررت لجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للادب العربي اختيار الاستاذين الدكتور احسان عباس والدكتور عبدالقادر القط لنيل جائزة الملك فيصل العالمية للادب العربي لهذا العام لمنزلتهما الجامعية العالية ومكانتهما من تدريس الادب العربي واغناء الدراسات الادبية واتصافهما بالقدرة على المزاوجة بين التراث العربي وبين اداب اللغات الاخرى مما ساعدهما على تحديث الدراسة واتاحة المجال للتفاعل بينها وبين دراسات الاداب . الاخرى مع سلامة اللغة ووضوح التعبير واستقامة المنهج والالتزام به في مراحل البحث . الى جانب ما اتصف به الدكتور احسان عباس من قدرة على المواءمة والربط بين السيرة والوقوع على الخصائص الشعري

« السياب » والتنبه الدقيق للتفاصيل الموحية في الادبية التي توازيها في الانتاج الشعري . وما يتمتع به الدكتور عبدالقادر القط من جده في اختيار موضوع (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ومحاولته الموفقة في الخروج من الاساليب التقليدية التي اخذ بها كثيرون من الناظرين في الادب المعاصر الى اتجاه جديد لا يجعل النظريات والمصطلحات الاوروبية اصلا في دراسة الادب العربي ولا يخضعه لها وانما ينبه في وعي وحذر على ضرورة التفريق بين المصطلحات والتقسيمات الاوروبية التي تسربت الى الدراسات العربية المعاصرة وبين الحاجة الى مصطلحات تلائم الحياة الادبية العربية وتحسن الدلالة عليها .

وبعد ذلك القى فضيلة الدكتور





عبدالرحمن بيصار شيخ الازهر كلمة اشاد فيها بتخصيص مؤسسة الملك فيصل الخيرية لهذه الجوائز من تكريم العلم والعلماء ورفع شأن الاسلام والمسلمين . ونوه بأهمية هذه الجوائز ودورها في تشجيع الدراسات الاسلامية والعربية وخدمة العمل الاسلامي واحياء التراث العربي والاسلامي والنهوض به .

ثم اجاب سمو الامير خالد الفيصل بعد ذلك على اسئلة الصحفيين حيث اعلن ان الاحتفال بتسليم الجوائز للفائزين سيتم باذن الله خلال الأسبوع الاخير من شهر ربيع الاول القادم . وقال ان مجموع الذين رشحوا للجائزة قد بلغ ٤٥ مرشحا من بينهم ٣٤ لخدمة الاسلام و ٧ للدراسات الاسلامية و ٤ للادب العربي وقال سموه ان الجائزة معروفة جيدا لدى الغرب ولكنها كالعادة — متجاهلة — .

وحول سؤال عن توسيع نطاق الجائزة بحيث تشمل فروعا علمية اخرى ذكر ان هذا الموضوع مطروح امام هيئة الجائزة .

وكانت لجان الترشيح والاختيار لجوائز الملك فيصل قد بدأت اعمالها منذ ثلاثة ايام لتحديد الفائزين من بين المرشحين للجوائز الثلاث .

— سمو ولي العهد يفتتح الندوة الإعلامية للقدس : —

— بمقر المجلس الاسلامي الأوربي بلندن وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية (محرم ١٤٠٠) عقدت اللجنة التحضيرية لندوة القدس الإعلامية ست جلسات ضمت ممثلين عن المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية والمملكة الاردنية الهاشمية ومنظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية وخبراء إعلاميين بالمملكة العربية السعودية .

ويسر مجلة الدارة أن تنشر لقرائها نص كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، والتي ألقاها نيابة عن سموه الكريم معالي الشيخ محمد ابراهيم مسعود .

بسم الله الرحمن الرحيم .

والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين .



ايها الحضور الكرام

يسرني ان افتتح هذه الندوة الدولية عن القدس وانني اشعر بسعادة غامرة للمشاركة في هذه الندوة التي تدور حول قضية تعتبر من أهم القضايا التي تقلق شعوب العالم الاسلامي والعربي وشعوب العالم المحبة للعدالة والسلام بل وكل ذي ضمير ينشد الحق في انحاء المعمورة وفي الوقت الذي تعتبر فيه قضية القدس جزءا لا يتجزأ من القضيـة الفلسطينيـة . فان لهذه المدينة المقدسة مكانة فريدة عند اتباع رسالات السماء ولها مكانة اشد تفردا عند المسلمين . فقد كانت قبلتهم الاولى في الصلاة قبل الكعبة المشرفة في مكة المكرمة وهي مكان الاسراء والمعراج حيث اسرى الله بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ومن القدس عرج به الى السماء حيث صلى بالانبياء والرسل فكان ذلك ابد الدهر رمزا خالدا للارتباط الاوثق بين المسجـد الحرام والمسجـد الاقصى وارشادا الهيا لتكامل الاديان وتوحد انبياء الله في الدعوة اليها حتى ختم محمد صلى الله عليه وسلم رسالات السماء فيها من المقدسات الدينية لجميع الاديان السماوية ما يربط بها ملايين القلوب من كافة ارجاء الارض .

كان العرب في القدس قبل اكثر من الفي عام من زمن موسى عليه السلام وظلوا فيها رغم تعاقب الغزاة والمحتلين ولم يتركوها حتى عندما دخلها داود نحو عام ١٠٠٧ قبل الميلاد . وحكمها هو وسليمان عليهما السلام سبعين عاما أو تزيد.كذلك بقيت القدس في نطاق الخلافة الاسلامية والدول العربية نحو اربعة عشر قرنا حتى دخلت تحت الانتداب البريطاني في مطلع هذا القرن لم ينتقص من عروبتها . خضوعها قبل ذلك للحملات الاوروبية المتوافدة عليها لمدة تقرب من مائتي عام الا بمقدار ما ينتقص منهـا الاغتصاب والاستيطـان الاسرائيلي الذي نراه الان .

انني لا أعني بهذه الكلمات ان اخوض في شيء من مضمون هذه الندوة وما طرح على برنامجها من موضوعات هامة سوف تتناولها هذه النخبة الممتازة من قادة الفكر والرأي ورجـال السيـاسة والاساتـذة المتخصصين مع صفوة من العلماء الاجلاء والمؤمنين الذين قدموا من مختلف انحاء العالم .. يجمعهم الولاء للحق والاخلاص للروابط الدينية والتاريخية الراسخة الجذور التي تربط المدينة المقدسة ماضيها ومستقبلها وهو رصيد لقضية القدس لا يمكن التفريط فيها .. وربما تعددت موضوعات هذه الندوة وامتدت على افاق الدين والتاريخ والاجتماع والقانون وكذلك زوايا التناول والمعالجة لهذه القضية وربما اختلفت الاراء وتباينت وجهات النظر وربما تعارضت ولكن ذلك كله حين يكون من منطلق الامانة مع النفس والنزاهة في البحث والاخلاص للمعرفة وفي طلبها فان الفائز دائما هو الحقيقة والعدالة وفوز الحقيقة في القدس مسألة على جانب كبير من الاهمية لان جانبا كبيرا من مأساة القدس كان يكمن في تشويه الحقائق ومسخها والتعتيم عليها حتى غابت الحقائق في تلك القضية ردحا طويلا من الزمن وفي غيابها لم يتحرك هاجس فكر لاي منصف لا لانه لا يريد الانصاف ولكن لانه فقد القدرة عليه حين غابت القضية ذاتها .

وانتصار العدالة في قضية القدس مسألة على جانب كبير من الاهمية لانها تعني ابتداء تجريد العدوان من وهم الشرعية التي يحاول ان يضفيها على نفسه بسياسة الامر الواقع وبسلام القوة والبطش .. ولان انتصار العدالة هو المدد المعنوي الخلاق لقدرة الشعوب على ممارسة حقهـا المشروع في مقـاومة المستعمر والمحتـل الغـاصب وهـو المحصلة الحتمية للانصاف من الظلم والقهر واسترداد الارض والحق .

وهو هنا في هذه القضية رد اعتبار للضمير الانساني الذي هزته جريمة القرن حين انتزع شعب فلسطين من وطنه وقدسه وحوصر في جزء منه ثم شرد منه وطرد ثم طورد حتى في مخيمات اللاجئين خارج وطنه .

ايها الحضور الكرام :

ولا شك ان اختيار العاصمة البريطانية مكانا لهذه الندوة الدولية عن القدس قد سعدنا لمكانتها المرموقة وما ترمز اليه من دور حضاري لهذا البلد العريق وتاريخه الحافل ولانه سيتيح لقضية القدس اوسع فرصة ممكنة لتصحيح كثير من الامور عنها وكشف



ما تعرضت له من التغيير والتشويه والغموض كما سيتيح ايضا ذلك كله للرأي العام في بريطانيا واوربا وغيرها من دول العالم وقاراته وهو ما حرصت عليه حكومة المملكة العربية السعودية عندما رحبت بعقد هذه الندوة من اجل قضية تعتبرها من اهم مرتكزات سياستها الخارجية .

ولقد اصبحنا نشعر بكثير من السعادة بان قطاعات عريضة من الرأي العام العالمي وقادة الرأي والفكر في مختلف البلدان قد اقبلت ولا تزال على هذه القضية لتفهمهم لابعادها التي تأمل ان توفق ندوتكم في ابرز الحقائق الموضوعية المجردة حولها .

واخيرا ارجو ان تسمحوا لي ايها الحضور الكرام ان اتقدم اليكم بخالص الشكر والتقدير باسم المملكة العربية السعودية ملكا وحكومة وشعبا وباسمي شخصيا على قدومكم ومشاركتكم وبالامتنان سلفا لجهودكم القيمة المرتقبة في اثراء قضية القدس . مقدرا لمنظمة المؤتمر الاسلامي وللمجلس الاسلامي الاوروبي ولوزارة الاعلام بالمملكة وللجنة التحضيرية جهودها للتخطيط لهذه الندوة واجيا لاعمالكم كل نجاح .

ثم تحدث السيد الحبيب الشطي امين عام منظمة المؤتمر الاسلامي فأكد ان قضية

القدس وقضية فلسطين بصفة أعم ما زالت بحاجة الى تبصير الرأي العام العالمي الذي ظل مترددا في فهمه للقضية على ما تفتعله الاجهزة الصهيونية من قلب للحقيقة .

واشار السيد الشطي الى الظروف التي تعقد فيها ندوة القدس وما اصبحت تحظى به منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني من تعاطف من قبل بعض البلاد الاوربية .

وقال ان هذا التعاطف يعد مؤشرا على وعي هذه البلاد بان المواقف التي كانت تتخذها انما كانت مواقف تتناقض وما التزمت به في مختلف المواثيق الدولية ولا سيما المواثيق التي تحرم الحروب من اجل المطامع الاقليمية والتوسع على حساب الشعوب الاخرى .

ودعا الشطي العالم كله الى التصدي لما يرتكبه العدو الصهيوني في فلسطين والقدس



من اعتداء على المواطنين الاصليين ومن معاملة مبنية على الجور والقهر وتشوية لمعالم القدس الشريف وطمس للمعالم الدينية الاخرى . وقال ان الجور والقهر الذي تمارسه اسرائيل قد اكدته شهادات واعترافات من داخل اسرائيل نفسها ومن اناس لا يمكن الطعن في صدقهم أو نزاهتهم .

واكد الشطي ثقته في ان شعوب العالم المحبة للسلام القائم على العدل والكرامة تشارك العرب اليقين في ضرورة ايجاد حل عادل وشامل لقضية الشرق الاوسط وجوهرها مشكلة القدس وفلسطين .

وحذر الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي من ان استمرار التوتر في منطقة الشرق الاوسط سيدفع بها حتما الى الانفجار الامر الذي يشكل تهديدا جديا للسلام .. وقال في ختام كلمته ان السلام الذي غاب عن المنطقة نتيجة للممارسات الاسرائيلية يحتاج الى وقفة اكثر شجاعة واكثر ايجابية لصالح الحق العربي الاسلامي وخصوصا من حكومات الدول التي كانت وراء انشاء اسرائيل .

اهداف الندوة

هذا وقد قامت اللجنة التحضيرية بتحديد اهداف الندوة والتي تتلخص في الاتي :

- مناقشة قضية القدس من مختلف الزوايا .. تاريخيا وقانونيا .. وسياسيا .. الخ .
- توجيه انظار الرأي العام العالمي وخاصة في اوربا والامريكتين الى قضية القدس .
- العمل على ضرورة حلها . بما ينسجم مع الحق والعدل ويضمن الامن والسلام في منطقة الشرق الاوسط والعالم بوجه عام .
- استخلاص الحلول الممكنة لمشكلة القدس .

ومن ناحية اخرى قامت اللجنة التحضيرية بتوجيه نظر الباحثين والمعلقين وعددهم خمسة عشر عالما وباحثا الى ضرورة التاكيد من خلال دراساتهم



واجماعهم على الاهتمام العربي والإسلامي بقضية القدس وبيان المخططات الاسرائيلية التي تستهدف تغيير وضع القدس ارضا وسكانا وحضارة والرد على الدعايات الاسرائيلية التي تزيف الحقائق التاريخية وتستهتر بقرارات الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية في شأن الحفاظ على الطابع العربي والاسلامي .

والجدير بالذكر ان اعضاء اللجنة التحضيرية قد وضعوا تخطيطا عاما لسير اعمال الندوة .. بحيث يتم مناقشة كافة الموضوعات من قبل اكبر عدد ممكن من المعلقين الحاضرين لاعمال الندوة هذا بالاضافة الى دعوة اكبر عدد ممكن من العلماء والمفكرين في العالم واستقطاب كافة وسائل الاعلام في البلاد الاسلامية والعواصم الاجنبية وعقد مقابلات ونشر خلاصة اعمال الندوة على اوسع نطاق .

كما تم الاتفاق على عقد ندوات اعلامية للتعريف بقضية القدس على اوسع نطاق في أهم العواصم الغربية كباريس وواشنطن وبون وطوكيو وجنيف ... الخ . تعرض خلالها نتائج الندوة .

على ان تقام خلال هذه الندوات معارض للكتب والصور عن فلسطين المحتلة مع عرض افلام وثائقية عن الممارسات الاسرائيلية في القدس وعموم فلسطين بالاضافة الى طبع الابحاث والدراسات عن القدس باللغات الثلاثة العربية والانجليزية والفرنسية وتوزيعها على اوسع نطاق .

— تحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية : —

اصدر صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء توجيهات لسمو وزير الخارجية بتعميم قرار مجلس هيئة كبار العلماء القاضي بتحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية أو غيرها من حروف اللغات الأخرى على سفارات جلالته في الخارج لتقوم بابلاغه لجميع الجهات والهيئات والجمعيات العاملة في مجال العمل الاسلامي لتكون على علم ودراسة بما تقرر .





والجدير بالذكر أن قرار هيئة كبار العلماء إستند في هذا التحريم إلى الحرص على صيانة القرآن الكريم من عبث العابثين وهو الذي أنزله الله بلسان عربي . وتمت كتابته حين نزوله بالحروف العربية — كما ان حروف اللغات الأخرى من الأمور المصطلح عليها التي تقبل التغيير بحروف اخرى مما يخشى معه الخلط واتاحة الفرص لأعداء الاسلام والحاقدين عليه في ان يجدوا مدخلا للطعن في القرآن الكريم فضلا عن أن كتابة القرآن الكريم بغير الحروف العربية يثبط المسلمين عن معرفة اللغة العربية التي يعبدون الله ويفهمون أمور دينهم ودنياهم بواسطتها .

سمو الأمير سلمان يفتتح أول مركز ثقافي بالرياض

افتتح صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض مساء امس المركز الثقافي الاول والذي يهدف الى احتواء جميع النشاطات والانجازات في مجال الثقافة والفنون واحياء التراث الثقافي في المملكة .

فقد القى صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب كلمة شكر فيها سمو امير منطقة الرياض لافتتاحه هذا المركز الذي يعتبر بداية لمراكز مماثلة في اهم مدن المملكة .

وقال سموه ان الغرض الاساسي من اقامة المركز الثقافي هو صقل هوايات الشباب واتاحة الفرصة امامهم لابراز تفوقهم الثقافي .

واشاد سمو الرئيس العام لرعاية الشباب بالجهود التي تبذلها حكومة جلالة الملك في سبيل الارتقاء بمستوى الثقافة والفنون بالمملكة .

ثم القى صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبدالعزيز كلمة اعرب فيها عن سروره لافتتاح هذا المركز الثقافي في الرياض .

ودعا سموه الى اقامة مراكز مماثلة في المملكة تعني بتراثنا الاسلامي والعربي .

وشكر سمو امير منطقة الرياض في ختام كلمته القائمين على الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون وللجهود التي يبذلونها لرعاية



الفنانين السعوديين والعمل على رفع مستواهم الثقافي والفني والاجتماعي .
وقد شملت جولة سموه اقسام المركز وهي المكتبة وقاعة المطالعة والمحاضرات والمعرض الدائم للفنون التشكيلية وقاعة التراث الشعبي والوسائل السمعية والبصرية المساعدة .

ويقوم المركز بأنشطة ثقافية مختلفة مثل عقد المحاضرات والندوات الثقافية والدينية بغية تنمية الوعي لدى المواطنين .

الندوة العالمية الأولى للعمارة الاسلامية

إفتتح صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز وزير الاشغال العامة والاسكان بجامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية أول ندوة عالمية عن العمارة الإسلامية (مساء يوم السبت ١٧ صفر ١٤٠٠ هـ) وقد طالب سموه المجتمعين والمشاركين في هذه الندوة بالحرص على تراثنا العريق في العمارة الإسلامية والمساجد . وأكد سموه أن العالم الخارجي أخذ يقتبس من فن العمارة الإسلامية بما تتميز به من فن وجمال .
وقد تحدث في حفل الافتتاح صاحب المعالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعات فأعرب معاليه عن تقديره لجامعة الملك فيصل وتبنيها لإقامة أول ندوة عن العمارة الاسلامية والتخطيط . وتمنى معاليه كل التوفيق والنجاح .
وقد أعدت كلية العمارة والتخطيط بالجامعة معرضا للندوة تضمن الكثير من نماذج العمارة الإسلامية وتخطيط المدن .
وفي اليوم التالى تابع المشتركون في الندوة وهم نخبة ممتازة من العلماء والمتخصصون في فنون العمارة داخل وخارج المملكة مناقشاتهم وبحوثهم التي تتركز على مفاهيم ومبادىء ونظريات العمارة الإسلامية .
ويبلغ عدد البحوث التي قدمت اكثر من ستين بحثا تم مناقشتها على مدى خمس أيام متتالية .
والجدير بالذكر أن الطابع المعمارى الحديث قد ساد كل مدن العالم وتأثرت المدن العربية ذات الطابع الإسلامي بهذا الطابع الحديث . كما كان تأثير مباشر في توقف نمو العمارة الإسلامية وازالة وازالة معالمها في حين أن العمارة الإسلامية لون فريد يمثل واجهة حضارية لا مثيل لها .
ومن هذا المنطلق حرصت جامعة الملك فيصل على هذه الندوة المباركة بإذن الله .
وتقديرا من مجلة الدارة لهذه المناسبة قررت اصدار عدد خاص عن الندوة وقد تفضل معالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالى ورئيس مجلس إدارة الدارة وبارك هذه الخطوة وأيدها وسوف يصدر هذا العدد قريبا بإذن الله .
ولا عجب في ذلك ومجلة الدارة مجلة تخصصية تحرص على طابعها الاكاديمي بما يخدم فكرنا وتراثنا وحضارتنا الإسلامية العريقة .

— المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية :

عقد في الدوحة عاصمة دولة قطر في الفترة من ٥ — ١٠ محرم ١٤٠٠ هجرية (٢٤ — ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ ميلادية) المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية وبناء على قرار منظمة المؤتمر الاسلامي العالمي بان يكون هذا المؤتمر هو اول انشطة العالم الاسلامي بمقدم القرن الهجري الجديد فكان بذلك فاتحة لاحتفالات العالم الاسلامي بمقدم القرن الهجري الخامس عشر .

وكان قد سبق هذا المؤتمر مؤتمران عقد الاول في اسلام اباد بباكستان عام ١٣٩٦ هجرية (١٩٧٦ ميلادية) وعقد الثاني في تركيا بمدينة استانبول عام ١٣٩٧ هجرية (١٩٧٧ ميلادية) .

ويعتبر هذا المؤتمر الذي سخرت له دولة قطر كل الامكانيات من مادية وبشرية وفنية واعلامية اضخم مؤتمر يعقد على ارضها . اذ زادت التكاليف الاجمالية الاولية للمؤتمر على ثمانية ملايين ريال قطري (حوالي مليون جنيه استرليني) .

وقامت ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بالاشراف على اعداد القاعة الكبرى بالقسم الداخلي في الغرفة التي تم فيها افتتاح المؤتمر وعقدت جلساته العامة .



بها . وزينت بالديكورات التي تليق بهذه المناسبة الجليلة ومكانتها في قلوب المسلمين بمشرق الارض ومغربها . وجهزت القاعة بوسائل الترجمة الفورية للغات العربية والانجليزية والفرنسية .

كما قامت وزارة التربية والعلم باستنفار جميع اجهزتها وتسخير كل انشطتها من اجل هذا المؤتمر فاعدت برامج ودروس دينية مكثفة في مدارسها تتناول الجوانب المختلفة من السنة والسيرة النبوية العطرة واقامت دار الكتب القطرية معرضا للكتب والمخطوطات الاسلامية بهذه المناسبة .

هذا وقد وجهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدعوة الى أكثر من ٣٠٠ عالم ومفكر اسلامي بصفتهم الشخصية ووفرت كل الامكانيات والخدمات التي تسهل للمؤتمرين اعمالهم واقامتهم في قطر حرصا منها على انجاح المؤتمر .

وقامت بطباعة العديد من الكتب والمراجع بهذه المناسبة تتناول السيرة والسنة النبوية لتوزيعها على الضيوف (المؤتمرين) وكل مهتم بدراسة وفهم السنة والسيرة النبوية وقدمت للمؤتمر العديد من الابحاث بلغت في مجموعها اكثر من ستين بحثا .

كما قدمت اللجنة عددا من الهدايا التذكارية بهذه المناسبة الكريمة من حقائب جلدية وسجاجيد للصلاة تحمل كل سجادة بوصلة للقبلة ودروعا ومفكرات وميداليات وملصقات تذكارية تليق وجلال هذه المناسبة .

وبالاضافة الى الجلسات العامة فقد اشتمل المؤتمر على محاضرات وندوات مفتوحة للجمهور تتناول جميعها الجوانب المختلفة من السيرة والسنة النبوية ومدى ارتباطها بالانسان المسلم في الحاضر والمستقبل .





ـــ أول ندوة عالمية عن العمارة الاسلامية :

لقد تغلب الطابع المعماري الحديث في كل مدن العالم . وتأثرت المدن العربية ذات الطابع الاسلامي بهذا الطابع الحديث حيث كان له تأثير مباشر في توقف نمو العمارة الاسلامية وإزالة معالمها في حين ان العمارة الاسلامية لون مزيد يمثل واجهة حضارية لا مثيل لها . ومن هذا المنطلق حرصت جامعة الملك فيصل بالدمام على عقد ندوة عالمية عن العمارة الاسلامية دعت اليها ١٥٠ شخصية عالمية متخصصة تقدم مائة بحث في هذا المجال كما شاركت فيها وزارتا الاشغال العامة والاسكان والشئون البلدية والقروية .

وقد كان موضوع الندوة الرئيس « تعريف البيئة الاسلامية » واهدافها الاساسية . كما تم اعداد وتجهيز معرض كبير عن العمارة الاسلامية خلال فترة إنعقاد الندوة (شهر صفر ١٤٠٠ هـ) .

ونظم المؤتمر في اربع لجان وهي :

١ ـــ لجنة التربية ومشكلات الشباب .
٢ ـــ لجنة الدعوة والاعلام .
٣ ـــ لجنة السنة مصدرا للتشريع والحياة .
٤ ـــ لجنة تراث ومصادر السيرة النبوية .

واعتبرت اهداف المؤتمر متمثلة في النقاط التالية :

• ابراز جوانب الهداية والعظمة والقدوة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته لتقديمها للمسلمين خاصة وللبشرية عامة .

• تجلية المفاهيم الاسلامية الصحيحة بشأن التربية والدعوة والاعلام من خلال سيرة النبي الكريم وسنته وهديه .

• تقديم حلول ـــ في ضوء السنة والسيرة ـــ للمشكلات الاجتماعية عامة ، ومشكلات الشباب خاصة .

• تثبيت مكانة السنة في التشريع الاسلامي والحياة الاسلامية في مواجهة التيارات المنحرفة التي يغذيها خصوم الاسلام .

• الكشف عن كنوز تراثنا ومصادرنا في السيرة والسنة والعمل على احيائها واخراجها في ثوب عصري يليق بمكانتها وغرس الاعتزاز بها ، والاستفادة منها لاجيالنا المسلمة .



ـ ربط العلماء العاملين في حقل السنة والسيرة وتعريف بعضهم ببعض على مستوى الامة الاسلامية وتقوية التضامن في مجال العلم والفكر الاسلاميين .

استقبـــال القرن الخـــامس عشر الهجري بعمل اسلامي جماعي فكري يؤكد وحدة الامة المسلمة ويعيد اليها الثقة برسالتها العالمية الخالدة .

ـ التعرف عن كثب على الشخصية الاسلامية لدولة قطر . والتعاون مع اجهزتها ومؤسساتها المختلفــة . لنصرة الـدعوة الاسلامية عامة . وخدمة السنة والسيرة خاصة .

ـــ الحلقة الرابعة لمركز دراسات الخليج والجزيرة :

شهـدت مـدينـة العين بـأبو ظبـي اجتماعات مديري مراكز الوثائق في دول الخليج والجزيرة العربية في حفلتهم الرابعة والتي شـارك ممثلو المراكز والمعاهد المتخصصة بالجامعات العربية لبحث عدة أمور تتعلق بانشاء أمانة عامة للمراكز وامور كثيرة تتعلق بتنسيق الجهود العلمية والتوسع فيها .

وقد صدرت عن اجتماعات هذه الحلقة عـدة قرارات وتوصيات هامة من بينها : ـــ

ـــ تنشيط البحوث والندوات المتعلقة بمنطقة الخليج العربي والجزيرة وتبادل هذه البحوث لتحقيق الهدف العلمي على نطاق واسع .

ـــ اقرار مشروع الامانة العامة لتلك المراكز ومشروع النظام الداخلي لها .

ـــ اعـــداد مشروع لأطلس الخليج ومشروع موسوعــه الخليـج وتقرر القيـام بـالـدراسات اللازمـة لهذين المشروعين

وتقــديمهـا للحلقــة الخـامسة في عـام ١٩٨١ م .

ـــ عقـد الحلقـة الخامسة القـادمة بالمملكة العربية السعودية والحلقة السادسة في البحرين والسابعة في قطر والثامنة في سلطنة عمان .

ـــ والجدير بالذكر ان أولى حلقات هذه المراكز قد عقدت عام ١٩٧٥ بالعراق والثانية عام ١٩٧٧ بالكويت والثالثة عام ١٩٧٩ في اليمن .

ـــ المعجم الجغرافي الحديث للسعودية :

ـــ المعروف ان المعجم الجغرافي الحديث للمملكة العربية السعودية عمل علمي رائع حيث يضم عشرين جزءا . ويقف من ورائه علامة الجزيرة المعروف الشيخ حمد بن محمد بن جاسر المولود في قرية البرود من إقليم السر في الجزيرة العربية . فقد أمكن بفضل الله ان يضع

منهجا أساسيا لهذا المعجم الخاص بشبه الجزيرة العربية سار عليه ويسير عليه الآن كل الباحثين والمحققين المتعاونين معه ! في استكمال اصدار العشر أجزاء الباقية . ويتلخص المنهج العلمي الذي رسمه الشيخ حمد الجاسر فيما يلي : ـــ

١ ـــ إيراد اسم المكـــان . وهـو في الغالب اسم حديث ـــ مضبوطا بالشكل الكامل حسبما ينطق الآن .

٢ ـــ محاولة ارجاعه لأصله القديم .

٣ ـــ ولأن الجزيرة العربية حافلة باسماء الأمـــاكـن ذات الأصول التـاريخيـــة والقديمة . فإن المعجم يورد النصوص القديمة الحاوية لهذا الاسم . وقد يستفاد من معاجم البلدان السابقة كمعجم ياقوت الحموي ـــ إلا أن التأصيل يعتمد أساسا على النصوص القديمة شعرا أو نثرا أو قرآنا أو حديثا .

٤ ـــ في الحالات الكثيرة التي يتغير فيها الاسم لا بد من الربط بين اسم المكان القائم والاسم القديم له .

وقد صرح علامة الجزيرة العربية ان المملكة العربية السعودية واسعة وبسبب هذا الاتساع تم الاتفاق مع عدد من خيرة الباحثين ليقوم كل باحث في كتابة وبحث القسم الخاص به أي المكان الذي يعيش فيه ويدرك كل خفايا أماكنه ومعالمه . وقد إقتصر دوره على ما يتعلق بشمال المملكة أي امارات حائل والجوف وتبوك والقريات والحدود الشمالية التي قاعدتها عرعر . حيث تم إصدار جزءين والثالث تحت الطبع .



والجدير بالذكر ان هذا المعجم استغرق عشر سنوات كاملة حيث كان ضروريا أن يتضمن كل أسماء القرى والمدن وموارد البادية والأماكن الأثرية .



— ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية :

قامت جامعة الرياض في منتصف شهر جمادي الثانية ١٣٩٩ هـ بعقد الندوة الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية . والتي ينظمها قسم التاريخ الآثار بكلية الأداب . وقد حضر هذه الندوة لفيف من العلماء والباحثين المهتمين بتاريخ الجزيرة العربية وآدابها . فقد جمعهم ذلك الهدف العلمي السامي وهو التوصل الى كنه سر حضارات الجزيرة العربية وإبرازه بكل دقة وعرضه وفقا لما تقتضيه الأمانة العلمية .

وقد صدر عن الندوة عدة توصيات هامة منها : —

١ — تشجيع العمل العلمي المشترك بين علماء الاثار في البلاد العربية للقيام بدراسات عن التراث المشترك . وضرورة عقد حلقات علمية متوالية كل عام .

٢ — عقد الندوة العالمية الثانية القادمة بعد عامين على أن يكون موضوعها عن التاريخ الاسلامي حيث أكملت هذه الندوة ما يزيد عن الخمسين بحثا في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام .

٣ — التوصية لدى جامعة الرياض باعداد قاموس حضاري يهتم بتطور معاني الكلمات السامية المختلفة لتأمين مرجع يساعد الباحثين في دراسات كتابات الجزيرة العربية مع الاهتمام بتسجيل اللهجات اليمنية الجديدة .

٤ — اعداد اطلس تاريخي واثرى للجزيرة العربية يمثل مختلف العصور . وتتعاون الاجهزة العلمية المتخصصة على وضعه . وترجمة الكتب المتخصصة في حقل التاريخ والآثار القديمة والاسلامية المتعلقة بالجزيرة الى اللغة العربية .

٥ — تشجيع الباحثين المتخصصين في تأليف كتب تهتم بحضارات الجزيرة العربية ووضع جائزة مالية قيمة تقدم كل عام لأحسن كتاب مؤلف أو مترجم عن تراث الجزيرة العربية أو تاريخها أو آثارها .

والندوة العالمية لدراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية عمل حافل حرصت عليه مجلة الاداب (قسم التاريخ والآثار) باعتبار اللقاء العلمي بين المتخصصين منطلقا جديدا للاهتمام الفعلي بتاريخنا وتراثنا الذي حظى من الغرب اهتماما فاق اهتمامنا ومجلة الدارة وهي تبارك للندوة جهودها لتأمل التعاون معها بصورة اكمل في الندوة الثالثة والتي سيكون عنوانها « التاريخ الاسلامي » .

— معرض دائم للكتاب الاسلامي بمكة المكرمة :

— قررت الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة إقامة معرض دائم للكتاب الاسلامي بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية . تدعو أكبر عدد من دور النشر والطباعة والتوزيع داخل المملكة العربية السعودية وخارجها للاشتراك فيه .

وقد تم بالفعل تشكيل لجنة تحضيرية للإشراف على مراحل تنفيذ هذا المشروع برئاسة فضيلة الشيخ محمد صفوت السقا الأمين العام المساعد للرابطة وعضوية الشيخ محمد عنافي المدير العام المساعد للرابطة والشيخ على حافظ والاستاذ عبد الغني علي قسني والاستاذ محمد محمود حافظ والاستاذ عبدالله الـداري والاستـاذ محسن باروم والاستاذ صالح محسن حجال والاستاذ محمد صلاح الدين .

وعقدت اللجنة بالفعل عدة اجتماعات للتوصل لصيغة نهائية لاقامة هذا العرض بصفة دائمة . ودراسة الجوانب المختلفة للمشروع والاسباب التي تكفل تشجيع اقتناء الكتاب الاسلامي عن طريق توسيع دائرة التعريف بـه . ومنح تخفيضات خاصة للمشترين وتشجيع حركة التأليف الاسلامي .

ولا شك أن هذا المعرض ستكون له آثار طيبة في مجال التوعية الاسلامية وتجديد العطاء المستمر لفكرنا الاسلامي .



— نفائس كتب التراث بمركز



إحيـــــــاء التراث العلمي الإسلامي :

ـــ عهدت الامانة العامة للمجلس الاعلى للجامعات بوزارة التعليم العالي بالمملكة الى مركز إحياء التراث العلمي الاسلامي ـــ التابع للأمانة العامة بتكوين لجان من المكتبيين . وأساتذة الجامعات من المشتغلين بالتحقيق والمهتمين بالمخطوطات ـــ تقوم هذا اللجان بحصر كتب التراث العلمي الاسلامي المطبوع منه والمخطوط داخل المملكة وخارجها من المكتبات العامة والخاصة والمتاحف العالمية بغية اقتناء ما يمكن اقتناؤه للمركز من المطبوعات وتصوير ما يمكن تصويره من المخطوطات وإثراء المركز بالنوادر والنفائس من كتب التراث العلمي الاسلامي التي ينشدها العلماء والمفكرون وطلبة الدراسات العليا المهتمون بالرسائل العلمية .

مخطوطات تاريخية بالجامعة الاسلامية :

ـــ أضافت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ـــ « ٦٠٠ » ستمائة مخطوط أثري هام أمكن الحصول عليها من دمشق والقاهرة وايداعها المكتبة المركزية للجامعة .

وقـــد صرح مصدر علمي مسئول بالجامعة ان قد تم تصوير هذه المخطوطات على ميكروفيلم وزودت المكتبة المركزية للجامعة باجهزة للتصوير الميكروفيلمي واجهزة لطبع الأفلام وتحميضها وتكبيرها وقارئات لمساعدة الباحثين والمحققين للاستفادة من المخطوطات المسجلة على الميكروفيلم في أبحاثهم ودراساتهم العلمية .

ـــ الندوة الثالثة للتراث الشعبي .

يتميز التراث الشعبي السعودي بالأصالة والصدق . وقد حرصت جامعة الرياض أن تولى هذا اللون من التراث اهتماماً يتفق مع أهميته . فهو تعبير عن بيئة وواقع عاشه أجدادنا وسلفنا بما صنعوه وابتكروه من ادوات ووسائل مادية ومعنوية ربما كانت في زمانها ومكانها من احدث المخترعات والمبتكرات . ولم يكن اهتمام جامعة الرياض بالتراث الشعبي من عصرنا الحالي ضربا من الترف او العبث يمكننا الاستغناء عنه او تجاهله . بل أصبح أمراً ضروريا ومسئولية حتمية تقع على عاتق جيلنا المعاصر ذلك الجيل الذي يربط ماضينا العريض بمستقبلنا المشرق بإذن الله .

من هذا المنطلق وعلى بركة الله اقيمت الندوة الثالثة للتراث الشعبي (١٠ ـــ ١٣ جمادي الثانية) تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض . وقـد شرف النـدوة بالحضور كل من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية . وصاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض وصاحبا السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية .

كما حضرها لفيف من الشعراء والأدباء الذين شاركوا بعدد كبير من البحوث العلمية والدراسات الجادة في أدبنا المحلي المعاصر . كما ضمت الندوة الوانا أخرى من الفنون والتراث الشعبي الذي يغطي كل أنحاء مملكاتنا الحبيبة وسوف تحرص جامعة الرياض والمهتمون بالتراث الشعبي على أن تطور الندورة عاما بعد عام لتتسع دائرة الاهتمام بالتراث الشعبي في المرحلة القادمة باذن الله .

ـــ الأسبوع الثقافي المغربي بالمملكة العربية السعودية :

المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية الشقيقة تربطها أخوة صادقة ومحبة متبادلة وعلاقات سامية ـــ القيادة والشعب في البلدين الشقيقين دائماً يد واحدة نحو الخير لأمتها وشعوبها .



وتـأكيـدا لما بين الشعبين السعودي والمغربي من علاقات وثيقة وتقارب أخوي أقيم أسبوع ثقافي مغربي بالمملكة خلال شهر جمادي الأولى ١٣٩٩ هـ بمدن المملكة . وقد شارك فيه ١٤٦ أخا مغربياً إستطاعوا أن يقدموا بنجاح تعريفا شاملا بالفن المغربي والحضارة المغربية . فقد عاش الشباب

السعودي وعايش بالفعل ثقافة الشباب المغربي وفكره وفنه في الرياض وجدة والدمام والمدينة والجز ومكة المكرمة وأبها وبريده والظهران . فالمغرب العربي والذي عليه «لؤلؤة العالم العربي على المحيط الاطلس» يضم رصيدا هائلا من الفكر والحضارة الاسلامية . فهناك جامعة القرويين العتيقة ذات التاريخ الطويل . في دراسة الدين الاسلامي وعلومه والحفاظ على شعائره وتقاليده . والعناية بدراسة اللغة العربية وتقويتها للوقوف في وجه التيار الغازي من اللغات الأجنبية

ولقد جاء الأسبوع الثقافي بصورة طيبة حيث كان أشبه بمهرجان حضاري متكامل يحكي لشبابنا السعودي كل ما في المغرب والجدير بالذكر أن إقامة هذا الأسبوع كان رداً إيجابياً على الأسبوع الثقافي السعودي بالمغرب منذ عامين وشارك ١٥٠ شخصا ما بين محاضر وفنان ورسام ورجال إعلام .

— خطة للتعريب ونشر الثقافة الاسلامية في إفريقيا :

— أعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خطة تقضي بتنفيذ برامج التعريب خلال عشرين سنة في كل من الصومال وجيبوتي وجنوب السودان وجنوب موريتانيا . وتشمل مناهج هذه الخطة كلا من تشاد وشمال نيجريا والنيجر والكاميرون وغينيا وزامبيا ومالي والنضال . وتبدأ عمليات التعريب بهذه الدول بانشاء مراكز لثقافة عربية لخدمة المناطق الإفريقية من بينها مركز في غينيا لخدمتها مع مالي والسنغال وسيراليون . ويعمل المركز على نشر اللغة والثقافة العربية من خلال المدارس القرآنية وذلك سعيا لجعل اللغة العربية اللغة الثانية في هذه البلاد . ويقام مركز ثان في تشاد لخدمتها مع شرق نيجريا والكاميرون والنيجر وبعض مناطق إفريقيا الوسطى . ويهدف هذا المركز إلى تعميم اللغة العربية والتربية الاسلامية — بالاضافة إلى خلق مناخ ثقافي عربي بصفة عامه — كما يقام مركز ثالث في دار السلام لخدمة منطقة شرق إفريقيا .





— مجمع الخالدين اتجاه لتطوير اللغة العربية :

— قبل عام ١٩٣٢ م وهو العام الذي نشيء فيه مجمع اللغة العربية بالقاهرة كانت هناك خلفيات تاريخية مهدت بدورها لإنشاء هذا المجمع . ففي عام ١٨٩٢ م كان هناك مجمع البكري وكان من بين أعضائه الشيخ محمد عبده . وكان هدف هذا المجمع التأكيد أن اللغة العربية كفيلة بمواجهة مقتضيات العلم والحضارة ، وفي أوائل القرن العشرين أثيرت مشكلة «العرب والدخيل» وعقدت ندوة خاصة في دار العلوم للفصل في شئون اللغة . وكان ضروريا توفر مجمع أقوى يعتمد الألفاظ العربية الفصحى ، فأنشيء «مجمع دار الكتب» عام ١٩١٦ وكان لطفي السيد «استاذ الجيل» رائدا من رواده حيث اراد له أن يكون على غرار الأكاديمية الفرنسية وكان يتكون من ٢٨ عضوا وعين لطفي السيد كاتما لسره . واعضاء هذا المجمع يمثلون الدول العربية .

وبعد عام ١٩١٩ انحسرت جهود اللغويين في مصر والعالم العربي في انشاء مجمع أقوى يرعى للغة العربية أصالتها وقدرة انتشارها باعتبارها لغة القرآن الكريم .

وصدر مرسوم ملكي في عام ١٩٣٢ بانشاء مجمع اللغة العربية الحالي يضم ستين عضوا يمثلون الدول العربية ، ويمثل المملكة العربية السعودية الشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالله بن خميس والجدير بالذكر أن مجمع اللغة العربية وعلى مدى عمره الطويل «٤٨ عاماً» حافظ على مبدأين هامين هما :—

— الطابع العربي حيث كان لغير المصريين من عرب ومستشرقين نصيب من عضويته .

— استقلال المجمع في اختيار أعضائه باعتباره هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية .

ومن أهم إنتاج المجمع ما يلي : —

— إحياء التراث القديم في اللغة والأدب حيث أخرج المجمع عشر مجموعات كبيرة تشتمل على أكثر من ٤٠ ألف مصطلح في العلوم المختلفة .

لغة وتاريخ

— تيسير اللغة قواعد وكتابة ورسم حروف .

— توفير المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية بحيث تصبح الهيئة وافية بمطالب العلوم والفنون .

وتهذيب المجمعات اللغوية ووضع معجم تاريخي شامل يعرض لتطور اللغة العربية في عصورها .

كما اهتم المجمع بالمعاجم وانتهى بالفعل بعد دراسة مستفيضة إلى أن معجم القرن العشرين يجب أن يعبر عن اللغة في مختلف عصورها بضم الفاظ حديثة إلى جانب ألفاظ الجاهلين وصدر الاسلام .

ومجمع اللغة العربية يتلاقى مع الأكاديمية الفرنسية في اهدافه وفي كثير من نظمه . وبالرغم من بطئه في اخراج أعماله فهو يموج بالحركة من داخل جدرانه ومن خلال لجانه ليواكب العلم .

— مركز تنسيق التعريب يقوم بـإعـداد المصطلحـات الديموغرافية :

— طلبت اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا في هيئة الأمم المتحدة إلى مكتب تنسيق التعريب من الوطن العربي (بالرباط) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — المساعدة في مشروعها الخاص باعداد دليل للمصطلحات (الديمغرافية) السكانية — توضع فيه المقابلات العربية إلى جانب المصطلحات الانجليزية والفرنسية . وقد قام مكتب تنسيق التعريب مؤخرا بتزويد اللجنة بكل ما لديه مما ييسر لها إنجاز مشروعها مثل المعاجم اللغوية المتخصصة التي كان اصدرها من قبل في مجالات الاحصاء والرياضيات والجغرافيا والتاريخ . والمعاجم ذات العلاقة بالدراسات الديمغرافية (السكانية) والجدير بالذكر أن أجهزة الأمم المتحدة المختلفة تقوم حاليا باستخدام اللغة العربية أداة خامسة رسمية ما ولغة لحمل في هيئاتها الأممية ، وأن مكتب تنسيق التعريب بالرباط هو الوكالة المتخصصة في جامعة الـدول العربيـة التي تعنى بتنسيق المصطلحات التقنية والعلمية وتوحيدها في الوطن العربي .

— المؤتمر العالمي الأول للتاريخ الاسلامي :

— في مطلع القرن القادم سوف يقام أول مؤتمر عالمي للتاريخ الاسلامي في مدينة دمشق بهدف إلقاء المزيد من الضوء على التاريخ الإسلامي وعلى معالم التراث العربي والاسلامي . وعلى مظاهر التفاعل بين الحضارة العربية الإسلامية وسائر حضارات العالم من وقائع المكتشفات الآثارية الجديدة . وما وضعه الباحثون في التاريخ العربي والإسلامي من دراسات علمية جديدة صححت معلومات تاريخية قديمة أو أضافت استنباطات وشواهد جديدة .

وقد شكلت الجامعة السورية لجنة تحضيرية للمؤتمر لدراسة موضوعات محددة مركزة له وتوزيعها توزيعاً متناسقاً وتنظيم الجلسات وإمكانية متابعة عقد هذا المؤتمر في دمشق وسواها من المدن العربية الاسلامية على مدى سنوات القرن القادم (الخامس عشر) .

والداره وهي تنشر هذه الافادة لقارئها لتذكره بمؤتمر علمي عقد بالكويت عام ١٣٩٤ هـ لإعادة كتابة تاريخنا العربي الاسلامي باسلوب متجرد وتنقيته من الشوائب . وشارك في هذا المؤتمر أساتذة التاريخ بالجامعات وصدرت توصيات وشكلت لجان وتم تقسيم التاريخ الاسلامي لمراحـل للبـدء العقلي في تنفيـذ هـذا المشروع... ثم فجأه احبط المؤتمر وأحبطت كل الجهود المتعلقة به .

وكم من جامعة عربية دعت لمثل هذا العمل دون نتيجة جادة .

إن التاريخ العربي الإسلامي لا يعني التاريخ السياسي فحسب بل إنه يعني كل ما يمت للعرب والاسلام بصلة وثيقة من ادب وفن وسياسة وتاريخ وعلم .

فظروف التحدي التي تعيشها أمتنا العربية اليوم تدفعها إلى مراجعة ماضيها . وأن ننطلق بموضوعيه بعيدين عن الأهواء والنزعات ، وأن يكون للمؤرخ نظرة شاملة مقارنة لتاريخنا العربي ولثقافتنا الاسلامية .





والأمل كبير في أن يسفر المؤتمر القادم عن نتائج هامة وأن تعاد كتابة التاريخ بصورة تتفق وعظمة ماضينا حتى يمكن أن نوحد قوانا ونوفر الجيل العربي الذي يسترجع ذاته ويستعيد ثقته بنفسه .

قصة الطب العربي :

أقامت جامعة الملك عبد العزيز بجده معرضاً عن «الطب العربي» أعده وخطط له الدكتور توما شحاتي . وقد تناول المعرض بأسلوب مقبول تفاصيل فضل الطب العربي باعتباره جزءاً هاماً في تاريخ الطب العالمي . وقصة الطب العربي تبدأ من انتشار الدعوة الإسلامية السمحاء ثم اتجاه طلاب المعرفة والباحثين العرب للترجمة والاستفادة من معين الحضارات المجاورة التي كانت توشك تدارسها الطبية على الأفول وتنتهي القصة عند افتتان اوربا بالكتب العربية الطبية والتي كان لها دور فعال في النهضة الاوربية .

ويشير المعرض كذلك الى المبادرات العربية الشهيرة كتبلور علم الصيدلة بالوطن العربي وقيام الجراحة لأول مرة إثر جهود الزهراوي في الأندلس وخاصة في كتابه المشهور «التصريف لمن عجز عن التأليف» . والذي جعله حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي الكتاب المعول عليه في التدريس الجراحي وفي الممارسات الجراحية في اوربا .

ولا شك أن هذا المعرض حقق دوراً عظيماً في تبسيط قصة الطب العربي وجعلها في متناول افهام الجميع بصرف النظر عن مستواهم العلمي والثقافي .

ولا شك أن هذا المعرض حقق دوراً عظيماً في تبسيط قصة الطب العربي وجعلها في متناول افهام الجميع بصرف النظر عن مستواهم العلمي والثقافي .



أكبر جهاز كمبيوتر بجامعة البترول والمعادن بالمملكة :

الحاسب الألكتروني أو الكمبيوتر (الحسَّاب) هو إحدى الآلات التي استطاع الانسان تسخيرها لحل المشاكل الصعبة والمسائل الهامة والأعمال الروتينية . وقد حرصت جامعة البترول والمعادن بالمملكة العربية السعودية وهي جامعة متخصصة ليس لها مثيل في الشرق الأوسط — أن تنشىء مركزاً لتبويب المعلومات يضم الحاسب الالكتروني وهـذا الحاسب في مجموعه عبارة عن عدد من الآلات التي يمكنها تنفيذ عدة عمليات أساسية «حسابية أو منطقية» بسرعة فائقة جداً — ثم إخراج نتائج هذه العمليات بأشكال محددة إما على هيئة بيانات أو على هيئة إشارات كهربائية يمكنها التحكم أتوماتيكياً في تشغيل بعض الآلات أو العلميات الأخرى . ويمكن استخدامه لحل نوعيات مختلفة ومتعددة من المشاكل أو المسائل التي تغطي مجالات متنوعة مثال لذلك معظم الحسابات الرقمية .

وهـذا الحاسب الالكتروني يمكن تصنيفه لثلاث وحدات رئيسية هي :

١ — وحدة التشغيل المركزية وهي الوحدة الرئيسية في نظام الحاسب الالكتروني وتتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية هي (الذاكرة — وحدة الحساب — وحدة التحكم) .

٢ — وحدة ايصال المعلومات وتتصل بوحدة التشغيل المركزية حتى تتمكن من تغذية البيانات والأوامر الى الذاكرة .

٣ — وحدة استخراج النتائج وهي مجموعة من الأجهزة تستخرج عليها البيانات بعد تنفيذها في وحدة التشغيل المركزية الى وحدات استخراج البيانات .

وجهاز الكمبيوتر لم يكن ليحل محل الانسان فهو عبارة عن آلة — ليس لها عقل ولا تستطيع التفكير أو حل أي مسألة الا عن طريق المعلومات التي يضعها ويحددها واضع البرامج . والمقصود هنا بالبرامج مجموعة الأوامر والتعليمات التي يقوم الحاسب بمقتضاها بتنفيذ العمليات اللازمة على البيانات المزود بها . وتتم كتابة البرنامج في لغات معينة يستطيع الكمبيوتر ترجمتها والعمل بها .

ومن هنا تقرر ان اختراع الحاسب الالكتروني لم يكن ليحل محل الانسان أو الإقلال من أهميته ودوره — إنما تستعمل الحاسبات لتقليل الجهد والتكلفة والسرعة في الانجاز والتحكم في توصيل المعلومات في

الوقت المناسب .

خطاط سعودي يشترك في معرض الخط العربي بأمريكا :

أقامت مكتبة الكونجرس الأمريكي معرضاً للخطوط العربيـــة يضم النماذج الأصلية لهذه الخطوط . وقد عرض بهذا المعرض ٢٧ لوحة مختلفة ولعل أبرزها لوحة نادرة للخطاط «محمد ابراهيم» لا يتجاوز حجمها ٣٦.٥ بوصة (طولاً) ، ٢٥ بوصة عرضاً كتبت عليها جميع الآيات القرآنية بالخط الفارسي ويرجع تاريخها الى سنة ١٩٤٦ م — كما ضم المعرض صفحة نادرة من القرآن الكريم يرجع تاريخها الى عام ١٢٠٧ ميلادية وهي من أقدم اللوحات المعروضة .

وقد شارك الخطاط السعودي «محمد طاهر الكردي» بحبة أرز وحبة قمح كتب عليهـا نماذج من خطـه لبعض الأمثال العربية ، والخط دقيق للغاية بحيث لا يمكن رؤيته الا بالمنظار المكبر . وقد لاقت الحبتــان إقبــالاً كبيراً من جــانب زوار المعرض .

معرض شامل للفنون الإسلامية في باريس :

قامت مؤسسة مان والبرت بروفست مع متحف اللوفر وبعض المتاحف الأخرى في فرنسا باقامة معرض يخص الفنون الإسلامية في جميع مجالاتها حتى خرج هذا المعرض (مارس ١٩٧٩) بالصورة الطيبة للفن الإسلامي الأصيل .

وتبدأ فترة معروضات هذا المعرض (عام ٦٦١ — ٧٥٠ م) بمدينة دمشق حيث يتوفر الفن الإسلامي المتجدد في تصميمـــــه ، مستعملاً التكنيك المتميز وخصوصاً في فن السيراميك حيث نرى ذلك متمثلاً بالنصب الكبيرة .

أما الفترة العباسية وعاصمتها بغداد فتبـدأ من عـام ٧٥٠ وتنتهي في عام ١٢٥٨ م حتى نرى صوراً لقصور الخلفاء العباسيين سواء أكان ذلك في بغداد أو في سامراء حيث نرى نموذجاً يعكس إخراجاً متعدداً متنوعاً من طرف الامبراطورية التي تمتد من اسبانيا حتى الصين ، وأكثر النماذج الشهيرة هي دون شك جامع القيروان الكبير



وجامع بن طولون في القاهرة القديمة وفي العراق نفسها «وهذا ما أوضحه دليل المعرض» فلم تكن الحياة الفنية والثقافية محدودة بالعاصمة بغداد أو بمدينة البصرة التي كانت مركزاً مهماً في الحياة الفكرية كما كانت عليه التجارة والصناعات اليدوية .

والمعرض بصفـة عـامـة تعرّض للفـن الإسلامي بشكل عام ودقيق حيث تناول الفنـون الإسلاميـــة التي اشتملت عليهـــا الدولتان الأموية والعباسية ثم أخذ البلاد الإسلامية موضحاً فنها المحلي في اسبانيا ثم مصر ويأخذ الفنون التي ظهرت في مصر من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر ثم مصر في أواسط القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر أي في الفترة المملوكية . ويستمر تسلسل المعروضات حتى عام ١٧٢٢ م ويصل التسلسل كــذلك لــدول المغرب العربي وما اشتملت عليه من فنون .

والجدير بــالــذكر أن متحـف الفـن الإسلامي بالمانيا الغربية قد اشترى إحدى القبـــــاب الخشبيــــة لقصر الحمراء في الأندلس ، وهي قبة تعد آية من آيات فن الهندسة الإسلامية التي يرجع عهدها الى فترة حكم الخلفـــــاء النــــاصريين في الأندلس ، والذين حكموا من عشرينات القرن الثالث عشر الميلادي وحتى سقوط الأندلس عام ١٤٩٢ م .

وهذه القبة توازي في روعتها وجمالها مقبرة تاج محل في الهند ، ويأتي عرضها في برلين شاهداً حياً ملموساً على عبقرية الفن الإسلامي — كما ان متحف الفن الإسلامي ببرلين إضافة إعلامية جديدة ومتجددة لفننا العربي الإسلامي الأصيل .

اصدارات جديدة لقراء الدارة :



١ — السراج المنير في سيرة امراء عسير من تأليف الأستاذ عبدالله مسفر ، وقد صدر أخيراً عن مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت .

٢ — الاعلام العلية في مناقب بن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار وتحقيق الأستاذ زهير الشاويش ، وقد صدر عن

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر في بيروت .

٣ — معجم المسرحيات العربية والمصرية (١٨٤٨ — ١٩٧٥م) تأليف الأستاذ يوسف أسعد داغر ويتضمن دراسة موسعة للمسرح العربي ثم تعريفاً وتحليلاً لما يزيد عن ثلاثة آلاف وستمائة مسرحية عربية أو معربة ظهرت في مختلف أقطار وطننا العربي مرتبة ترتيباً أبجدياً ، والمعجم من اصدار وزارة الثقافة والفنون بالعراق الشقيق .

٤ — الجزء الأول من الموسوعة التاريخية في اعلام المغرب العربي من إعداد الأستاذ عبد الوهاب بنصور ، واصدار المطبعة الملكية في الرباط ، ويتضمن هذا الجزء قاموسا لاعلام المغرب العربي بما فيه الأندلس الاسلامية ، ويترجم أيضاً لنخبة منتقاة من الرجال والنساء الذين ساهموا في ميدان السياسة أو الحرب أو العلم أو الأدب .

٥ — تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب من تأليف الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، واصدار مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة «الطبعة الأولى» ويتناول هذا المعجم جهداً علمياً واضحاً لمؤلفه لخدمة هذا المعجم وتصحيح كثير من الأخطاء والتحريفات الواقعة فيه والتنبيه الى ما عرض لمؤلفه فيه منذ عهد قديم في اثناء مراجعته لمواضيع مختلفة منه ، ويقول المؤلف :

«وقد تحسَّن لي أن أنشر هذه التحقيقات إسهاماً مني في خدمة هذا المؤلف الإمام الذي لم يجد — الى الآن من يأخذ بيده ويقيل عثرته ، وآثرت أن أذيعها إشفاقاً مني أن يضيع هذا الجهد الذي أنفقت فيه دهراً طويلاً» .



استئناف الحفر الاثرى بالقاو

تقوم كلية الاداب « قسم الاثار والمتاحف » باستئناف اعمال الحفر العلمى الاثرى في قرية الفاو حيث تكلف لهذا الغرض بعثة علمية يشترك فيها اساتذة قسم الاثار والمتاحف وبعض الفنيين والمساحين والمصورين والرسامين ونخبة من طلاب القسم واعضاء جمعية التاريخ والاثار •

والجدير بالذكر ان سبق لكلية الاداب بجامعةالرياض انقامت باجراء الحفر خلال ثلاثة مواسم في هذه المنطقة الاثرية الهامة والتى تبعد عن الرياض بحوالى ٧٠٠ كيلو مترا جنوب غرب الرياض ، وكان من نتائج الحفربهذه المنطقة الاثرية الكشف عن مجموعة اثرية هامة وقد خصص لها متحف مستقل حيث تعرض فيه هذه المجموعة (افتتح هذا المتحف في شهر ابريل ١٣٩٧)

وقد امكن بالفعل القاء الكثير من الضوء على تاريخ وسط الجزيرة العربية من خلال دراسة نتائج اعمال الحفر خلال المواسم الثلاثة السابقة•

وسوف يتولى الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصارى رئيس قسم الاثار والمتاحف رئاسة هذه البعثة خلال مرحلة العمل القادمة •



رسائل علمية

التقليد

تاريخه
أحكامه
أثره

الدكتور: عبدالله محمد العجلان

يسر الدارة أن تنشر هذا العرض الموجز لرسالة الدكتوراه التي قدمها الأستاذ عبدالله محمد العجلان وكيل الرئيس العام للتعليم العالي للبنات بالمملكة العربية السعودية في أصول الفقه وكان عنوان البحث «التقليد: تاريخه — أحكامه — أثره» ، وقد نوقش البحث بمقر كلية الشريعة بجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة — بمعرفة لجنة علمية متخصصة وأشرف على الرسالة فضيلة الشيخ/عبد الغني عبد الخالق رئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة ، وقد نال سعادته درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) .

الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وشرفنا بالإيمان وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس والصلاة والسلام على من أتم الله به الدين وختم به الرسالات وعلى آله وأصحابه الذين حملوا أمانة العلم وفهموا مراد الله في نصوص شرعه فكانوا بذلك ورثة الأنبياء وصفوة الأتقياء .

ان نصوص الشريعة المطهرة كملت في حياة الرسول (ص) ولم ينتقل الى الرفيق الأعلى حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وشاءالله أن تكون هذه الرسالة بلسان عربي مبين وأن تكون دلالة نصوصها على مراد الله منها على أنماط مختلفة من البيان وأن لا يتم تطبيقها في حياة الناس بمعزل عن جهود البشر واستعمال النشاط العقلي في

حسن استعمال النصوص والتعرف على مراد الله منها وتشخيص الحوادث لاعطاء كل حادثة حكمها وذلك لأن المقصود من النصوص الشرعية هو العمل بمقتضاها والسير على أثرها والاستعانة على نهجها ليقوم الناس بالقسط ولم يكن أمام المفيدين من هذه النصوص في تنظيم أمور دنياهم ودينهم إلا أحد طريقين :

اما الافادة المباشرة عن طريق الاجتهاد الشخصي مباشرة ويسمى هذا اجتهاداً . واما متابعة للغير في اجتهادهم والتقيد برأيهم ويسمى هذا الاعتماد على الغير في معرفة أحكام الفقه تقليداً وهو مسلك السواد الأعظم من الناس في كل جيل . ولم يكن بد من هذا الازدواج في طريقة أخذ النصوص والافادة منها لأسباب أهمها :

١ — أن فهم النصوص يحتاج الى جهد عقلي واعمال فكر مستمر وتروض على طريقه استفادة الأحكام من النصوص مباشرة ومتابعة النفس والاستعداد الشخصي .

٢ — أن الناس متفاوتون في القدرات والمدارك والاستعداد كما أنهم متفاوتون في طرائق العيش وأساليب الحياة والظروف والبيئات ذات الأثر في تكوين الأفراد .

٣ — أن فقه الشريعة لا يحصل إلا لمن أمضى أوقاته في التصرف على النصوص وفهم معانيها والوقوف على مآخذ العلماء منها الى جانب توفر الاستعدادات الفطرية والامكانات الذهبية الخلاقة والعلوم المكتسبة مع الانقطاع في الطلب .

ولقد كان الفقه في الصدر الأول علماً على كل علم يوصل الى الله سواء منه ما كان متصلا بالعقيدة أو الشريعة أو الأخلاق أو السلوك وتهذيب النفس وغير ذلك .

وكان منتهى الفقه في نظر فقهاء الصدر الأول هو الزهد في الدنيا والقناعة في الحياة والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة ثم دخل هذا الاسم التخصيص حتى تعارف المتأخرون على قصر الفقه على (معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية عن طريق الاستدلال) .

وصارت مادة الفقه خاصة بالأحكام العملية التى استمدها الفقهاء من النصوص باجتهاداتهم الخاصة . وقالوا بها وأفتوا الناس بها وقضوا على وفقها سواء منها ما كان في أمور العبادات أو المعاملات أو المناكحات أو الأموال أو الدماء أو القضاء أو الافتاء أو غيرها ، مما تعارفوا في قصر اسم الفقه عليه وهو خلاصة أحكام الشريعة في نظر القائلين بها وثمرة جهود العلماء في مختلف العصور ونتيجة لتعرفهم على الأحكام والجزئيات من دلالات النصوص المختلفة وما يفهم منها ومن اجماع الأمة والاجتهاد في توخي المقاصد العامة للشريعة في ضوء الأصول العامة والقواعد الكلية والتعرف على علل الأحكام والامارات الدالة عليها وصار أخذ هذه الأحكام المدونة الفقه المستفاد من النصوص دون معرفة مآخذ الحكم في كل مسألة بدليله يسمى تقليدا . وانطلقت الألسنة بذمة الانكار على من سلك سبيله مع أن هذا الفقه كان ثمرة جهود العلماء في مختلف المدارس الاسلامية التي قامت في القرون الثلاثة التي انتهت الى الأئمة الأربعة المتبوعين اليوم .

هذا ولقد كان لي في اختيار موضوع هذه الرسالة : التقليد وأثره في حياة المسلمين والكتابة فيه باعث ومن ورائه غاية وفي سبيل الوصول اليه منهج ولجمع المعلومات مراجع .

ويؤكد الباحث أن سبب اختياره هذا الموضوع هو أن رأي أن يكون موضوع رسالته من الموضوعات التي لها مساس بحياة الناس اليوم وفي قضية يتصل موضوعها بأفعال المكلفين والبحث عن ميراث النبوة . ومعرفة الحلال والحرام والجائز والممنوع من الأفعال والأعمال والأحوال . وفي طريقة أخذ هذه الأحكام واستفادتها من الأدلة الاجمالية والقواعد الكلية . فقد لاحظت ما ترتب على المبالغة في الأخذ بمبدأ التقليد من ضرر حاق بالمجتمعات الاسلامية التي اتخذته سياسة والتزمت به مبدأ . فمنذ ظهر الأئمة الأربعة واستقرت مذاهبهم في الأمصار وتتلمذ الناس عليهم وتعصبوا لهم قيل بغلق باب الاجتهاد نهائيا ، وكان لذلك ظروف تاريخية قد نبرزه في وقته ولعل من أهمها : أن الفرق المارقة وأصحاب الفلسفة وأدعياء الاجتهاد حاولوا أن يتخذوا من الاجتهاد مدخلا الى تحقيق مآربهم السيئة نحو الدين والمجتمع الاسلامي فنقل قوم القول باغلاق هذا الباب الذي غدا باباً للشر على الدين وعلى المجتمع على حد سواء وتبنت بعض الحكومات الاسلامية هذا الاتجاه في ذلك الوقت وكان معظمها حكومات غريبة تنقص القائمين عليها المعرفة باللغة العربية والفقه في أصول والشرع ، فكانت أدوات الاجتهاد مفقودة بالنسبة لهم وكان في التقليد حل لمشاكلهم مع تشابه الحياة في عهدهم مع عهد المجتهدين .

ولم يظهر أثر هذا الاتجاه في وقته ولكن المشكلة أتت من أن المجتمع الاسلامي تطور مع

الزمن وتجددت مشكلاته وتغيرت الحياة من حوله وتغيرت حياته على حين أن الأحكام التي كانت توجهه وتقوده قد توقفت من زمن القول بغلق باب الاجتهاد وكانت المجتمعات الاسلامية في القرن الثالث عشر تحكم بفقه مسائله وأصوله في القرنين الثالث والرابع الهجريين والأصل في الفقه والتنظيمات أن تساير تطور المجتمع وتكون من أسباب رفعة من جهة وضبطه في نفس الوقت من جهة أخرى حتى لا تتخلف المجتمعات أو تجمد . وقد ترتب على هذا عدة أمور منها : —

١ — تخلف المجتمعات الاسلامية نتيجة لتخلف الاجتهاد في الفقه عن مواجهة ما استجد من مستحدثات .

٢ — وقوع الخلاف بين الفقهاء فمنهم من أراد انقاذ المجتمع وتحقيق تطوره وبالغ في الاجتهاد واجتهد على غير أساس أو تابع ذوي السلطان في رغبتهم . ومنهم من أصر على التقليد والوقوف عندما وصل إليهم من الأولين .

٣ — أن بعض المجتمعات الاسلامية أمام قلة الفقهاء وتوقف الفقه عن مسايرة حاجات المجتمع وعدم قدرة أهله على ايجاد البدائل للنظم الجديدة والسائدة في المجتمعات غير الاسلامية اندفعت الحياة فيها في غير الاتجاه الاسلامي . بل أخذت بالقوانين المدنية الغربية فترجمتها واتخذتها أساسا للمعاملات وتنظيم المجتمع مع أن في أحكام الفقه الاسلامي ما كان يغنيها عن هذا لو أحسنت الاستفادة من الفقه اجتهادا وتقليدا .

ويفسر الباحث أنه عندما اختار هذا الموضوع أراد أن يصل الى مفهوم أصيل للاجتهاد والتقليد يرد المجتمع الاسلامي الى أصوله الفقهية والتشريعية الأصلية بما يحقق مصالحه ويبقى على شخصيته ويضمن تطوره وتقدمه في اطاره الاسلامي .

أما الغاية من وراء الاختيار لهذا الموضوع . فهي جمع شتاته وضم المتفرق من أبحاثه في مكان واحد والتنسيق بينهما ومن ثم عرض حقائق هذا الموضوع عرضاً أميناً يكشف النقاب عن أوجه الخلاف فيه والوقوف على بعض مسائله واجراء دراسة وافية لكل بحث من مباحثه وتشخيص وجهات النظر حوله ومناقشة أدلة كل من المانعين والمجيزين واجراء موازنة دقيقة بينهما تتسم بالموضوعية والبحث الحر الذي يهدف الى الوصول الى الحقيقة واتباع ما هو أولى واجراء دراسة تاريخية لعلم الفقه وأثر الفقهاء فيه في مختلف العصور والمراحل التي مر بها . وعمل العلماء في كل مرحلة ليقربوا ذلك الى فهم هذا الموضوع والاستعانة به في الوصول الى ما هو أولى بالاتباع واعطاء حكم صادق بعد ذلك . ومن ثم ايجاد مؤلف يتيم في هذا الموضوع يسد فراغاً موجوداً في المكتبة الاسلامية يبين وجه الحق في عمل ساد الحياة العامة عند المسلمين منذ القرن الرابع الهجري ويحدد به موقفنا من علم الفقه الذي وصل الينا كثمرة من ثمار عمل العلماء في مختلف المذاهب الاسلامية وبيان وجه الحق في القول بأن أثاره حسنة طيبة أو سيئة خطيرة أو أن يكون ذلك بداية أبحاث جديدة تتناول هذا الموضوع بالتحليل والدراسة وبيان وجه الحق فيها .

ومن هذا يظهر أن الغاية الأخيرة أمام الباحث عندما اختار هذا البحث هي أن جعل من فقه الشريعة الاسلامية السمحة أداة لقيادة المجتمعات الاسلامية وتنظيمها ووسيلة لتقدمه دون أن تخرج هذه المجتمعات من جلدها وتتقمص جلودا أخرى أجنبية ، مع نبل فقهنا وسمو شريعتنا .

أما المنهج الذي اتبعه الباحث في إخراج هذه الرسالة فهو الخطة التي وضعها لاخراجها بعد أن عاش في جو الموضوع مدة طويلة تصور من خلالها مباحثه وأبعاده صوره ومسائله ومقدماته ونتائجه . وقد اعتمد في عمله في البحث على منهجين رئيسيين :

١ — المنهج التاريخي — على أساس أن تاريخ العلم جزء من العلم ذاته وأن التاريخ خير ما يفسر حقائق العلم ويعين على فهمه .

٢ — المنهج الاستقرائي — وهو تتبع أقوال العلماء وتفسيرهم لنصوص الشريعة والطريقة التي عالجوا بها الأحكام في ضوء النصوص واجراء الموازنة بينها واختيار ما هو أولى بالاتباع فيها .

وقد وضعت هذه الخطة في تسعة أبواب وخاتمة :

تناول في الفصول الثلاثة الأولى تطور الفقه وتاريخه في الصدر الأول والاجتهاد وأثره حتى منتصف القرن الرابع الهجري والمراحل التي مر بها في عهد الاجتهاد ومميزات كل مرحلة وأثر المجتهدين فيها على الفقه .

كما تناول في الفصول الثلاثة تعريف الاجتهاد وأركانه وشروطه ومحله وامكان تجزئته وتاريخه وامكان انقطاعه وغير ذلك من المباحث الحقيقية التي هي بمثابة المفتاح والمدخل لموضوع الرسالة .

وخصص الفصول الخمسة التالية لها للكلام عن التقليد وأثاره فخصص الفصل الرابع لتعريف التقليد وتحديد حقيقته وما يدخل فيه وما يخرج عنه واختلاف العلماء في تحديد ماهيته ومناقشة وجهات النظر في ذلك وانتهى منه الى اختيار التعريف الأمثل في نظره . ثم بين ما يعد من التقليد وما لا يعد منه وبين الفرق بين التقليد وكل من الاتباع وقبول الشهادة وقبول رواية الراوي والامامة في الصلاة وغير ذلك .

كما خصص الفصل الخامس لبيان آراء المجتهدين في التقليد وعرض أقوالهم في ذلك ومناقشتها والجمع بين قولهم بمنع التقليد وفعلهم له عند الاضطرار وذكرهم لشروط المجتهد ومنعهم من لم تتوفر فيه شروطه من التصدي له وبينت وجه الحق في ذلك .

أما الفصل السادس فقد ذكر فيه خلاف العلماء في حكم التقليد في الأصول والفروع ومناقشة أدلة كل فيما ذهب اليه كما قام بتحرير محل النزاع في الموضوع على رأي الجمهور وبين وجه الحق فيما توصل اليه في ذلك .

أما الفصل السابع فقد كان خاصاً بعرض أدلة كل من المانعين من التقليد والمجيزين له

ومناقشتها مناقشة علمية دقيقة توصل من خلالها الى ترجيح ما تم اختياره على ضوء البحث والمناقشة .

أما الفصل الثامن فقد خصص للافتاء وما يتعلق به الموضوع وقد عرض من أبحاث ذات مساس قوي بموضوع التقليد وبالمجتمع أيضا ولأنه الجانب التطبيقي من الموضوع وقد عرض تاريخه وحرر محل النزاع في كثير من مباحثه وتعرض فيه الى بيان شروط المفتي ومراتب المفتين والمستفتين ومن يجوز للعامي استفتاؤه ومن لا يجوز له وبيان حكم التلفيق في التقليد وتتبع رخص المذاهب وحكم الانتقال من مذهب الى غيره وبيان خلاف العلماء في هل للعامي مذهب أو أن مذهبه مذهب من يفتيه . وقد توصل الى نتائج في كل مبحث موجودة في صلب هذه الرسالة .

وخصص الفصل التاسع لبيان أثر التقليد وقد استعرض فيه وجهات النظر المختلفة فناقش معظم ما عد من الآثار الخطيرة للتقليد واتباع الأئمة الأربعة كما ناقش العديد من الآثار الحسنة وخلص الباحث الى القول بأن للتقليد آثاراحسنة وأخرى سيئة وأنه يمكن الاستفادة من الآثار الحسنة وتوسيعها واستبعاد الأسباب التي أدت الى الآثار السيئة أو التقليل منها .

أما الخاتمة فقد خصصت لشيئين فقط هما :

١ — ايجاز نتائج البحث كما يراها الباحث مجردة عن الدليل والتعليل والمنازلات الجدلية ، وخالية من التحيز والانتصار .

٢ — المقترحات التي يراها الباحث للعودة بالفقه الى سالف عزه وغابر مجده وكريم عطائه وتأهيل رجاله لقيادة الحياة العلمية والأخذ بيد الأحياء الى الاستظلال بظل شريعة الاسلام واقامة العدل بين الناس بفقه شريعته .

ولعل من أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث ما يلي : —

١ — شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى ولطف تدبيره أن يكون الانسان على وجه الأرض خليفة الله فيها ، يقوم بعمارتها والاستفادة من خيراتها ، ثم يعبدالله لا يشرك به شيئا ويتجه إليه في كل عمل من أعماله ليحقق معنى العبودية له في أتم صورها وأكمل صفاتها . وقد أكرمه الله بالعقل والادراك وأمده بالاستعدادات الفطرية التي يمكنه استثمارها في الخير فتؤتي أكلها باذن ربها .

ثم لم يكله الى هذا العقل وحده الذي يمكن به أن يهتدي أو يضل بل أغدق عليه من نعمه التي لا تحصى ، وفي مقدمتها نعمة الرسالات السماوية التي ختمها سبحانه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ترك أمته بها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فحدد الله بها معالم الطريق السوي الموصل إليه ، وحدد على ضوئها مفهوم الخير والشر والمصلحة والمفسدة والحق والباطل والهدي والضلال ، وجعلها الطريق الوحيد الى الله دون سواها (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

وهو في الآخرة من الخاسرين) .

٢ ـــ وشاءت حكمته تعالى أيضا أن تكون هذه الرسالة من عنده على يد إنسان عربي أمي، وأن تكون معجزتها الكبرى فيما برع فيه قومه من الفصاحة والبلاغة والبيان . فجاءت نصوص الكتاب الذي هو عنوان الرسالة في ذروة الكمال في اللفظ والمعنى وفي قمة البيان والافهام ، حتى عجز العرب عن الاتيان بمثله ولو كانوا والجن ؟ بعضهم لبعض ظهيرا ، وكان من أبلغ ما وصفته العرب به في مجال التنفير منه وصد الناس عن سماعه (ان هوالا سحريؤثر) .

فكانت تصعق له الأسماع ويبلغ في سرعة تأثيره في النفوس وتغييره للاحوال مبلغ السحر مع الاختلاف الكبير في الوسائل والنتائج والثمار .

وكانت البلاغة النبوية في الدرجة الثانية بعد القرآن وفوق الكلام المعتاد ، فقد أعطى جوامع الكلم وفصل الخطاب . وكان صلى الله عليه وسلم في تعليمه وتوجيهه للناس وتفقيههم مدة حياته أشبه بالطبيب النطاس الذي يضع الدواء المناسب لمعالجة الداء القائم بالمريض من غير زيادة ولا نقصان . فتربي الناس في مدرسته وفاءت البشرية على يده الى رشدها ، وبما رسم لها من معالم الطريق المستقيم الذي لا يضل سالكه ولا يحيد عنه إلا هالك .

٣ ـــ وشاء الله أن تكون نصوص الشريعة على أنماط مختلفة من البيان والدلالة على المعاني ، وألا تكون كلها نصية على أحكام ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة ، بحيث لا يكون فيه مجال لاستثمار البشر عقولهم لفهم مراد الله في كل نص من نصوص الشريعة وتنزل الاحكام عليه . ولكن الله اللطيف في صنعه جعل نصوص الشريعة على أنماط مختلفة من الثبوت والدلالة على المعاني المرادة له سبحانه ، وجعل مجال استثمار هذه النصوص مرهون بجهود البشر وعمل الانسان يتعبد بها ربه ويسلك بواسطتها سبيله ، فكان في هذا الدين ونصوصه اطلاق للعقل من أسره وفك له من قيوده وتوجيهه لاستثماره وفق اطار معين هو ما ترشد إليه النصوص وما يتفق مع المقاصد العامة لها وما عرف من الشارع القصد اليه .

٤ ـــ اجتهد الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ولم يقره الله على خطأ في اجتهاده فيما يتصل بالتشريع ، وأقر أصحابه على اجتهادهم فى حياته أيضا فأقر بذلك مبدأ هاما من مبادىء الشريعة السمحاء المعطاة ولم يلحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وأقام به الحجة على الناس كافة .

٥ ـــ حدثت بالمسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أحداث عظمه ونزلت بهم وقائع ليس لديهم فيها نصوص شرعية ، أوكان فيها نصوص ولكن علمها من علمها وجهلها آخرون ، فكان لا بد من الاجتهاد فيها على ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها العامة وقواعدها الكلية وتنزيل الحوادث عليها .

وبدأ الاجتهاد في أول عهده في حياة الخليفتين أبي بكر وعمر اجتهادا محدودا وجماعياً هو أشبه بالشوري ، فكانوا يجمعون الكثير من أصحاب محمد ثم عن رأيهم فيما ينبغي أن تنزل عليه كل حادثة وقعت في مفسده ، فتروض الناس ثم امتدت فروع هذه المدرسة بتفرق الصحابة في الأمصار ، حتى بلغت ذروتها في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري على يد الأئمة المجتهدين الذين استقرت في زمنهم المذاهب الفقهية والاجتهادية التبوعة اليوم .

٦ ــ كان الخلاف يقوم بين الصحابة ويحتدم في بعض المسائل الاجتهادية بينهم فيعمل كل بما توصل إليه باجتهاده من غير أن ينكر على غيره مخالفته له ، ما دام من أهل الاجتهاد وقد أداه اجتهاده الى خلاف ما ذهب إليه غيره . ولم ينشأ عن ذلك أي بادرة من بوادر الفرقة أو القطعية ، فان ظهر لهم الحق جميعاً بوجود نص فاضل رجعوا اليه جميعاً وان لم يوجد صار كل الى اجتهاده .

واستمر ذلك المنهج قائماً حتى استقرت المذاهب في منتصف القرن الرابع الهجري في خط واحد لا يتغير .

٧ ــ كان الصحابة رضي الله عنهم منهم المجتهد ومنهم المتبع . وكان من المجتهدين من يستعمل الرأي ويتوسع فيه ، ومنهم من يقف عند النصوص لا يتعداها ، ومنهم من لا يستعمل الاجتهاد بالرأي ويتوسع فيه ، ومنهم من يقف عند النصوص لا يتعداها ، ومنهم من لا يستعمل الاجتهاد بالرأي إلا عند الضرورة . وكان الاجتهاد بالرأي في ضوء النصوص أكثر فيمن تولوا القضاء أو الافتاء أو الامامة أو الوايات التي تستدعي توجه الناس إليهم بالأسئلة ، كما كان معظمهم يكرهون فرض المسائل والسؤال عن حكم ما لم يقع ويشددون الانكار على من يفعل ذلك .

٨ ــ في زمن التابعين وأتباعهم كثرت القضايا وجدت أحداث لم يسبق أن تكلم فيها السابقون ودخل في الاسلام أمم كثيرة على أثر الفتوحات الاسلامية ، فتوسعت بذلك مهمة الولاة ومتطلبات ادارة الخلافة الاسلامية في مختلف الأقاليم ، وتعقدت الحياة بسبب اختلاف الثقافات وتعدد الأجناس والأمم التي دخلت في الاسلام ولم تصطبغ بفكره وتشريعه ، وترتب على ذلك شدة الحاجة الى التوسع في الاجتهاد واستعمال الرأي في كثير من القضايا ، على منحى شيوخ كل جماعة من الصحابة التي حلت في كل اقليم من أقاليم العالم الاسلامي وتوارثوا علمهم ومنحاهم في الاجتهاد .

٩ ــ قام في كل اقليم من الأقاليم مدرسة فقهية اجتهادية لها شيوخها وتلاميذها ولها منحاها الفقهي وسماتها المميزة . وكانت هذه المدارس تختلف باختلاف البيئات والشيوخ وموروثها من علم السنة ، في استعمال الرأي وفرض المسائل والسؤال عما يقع وقد اشتهرت مدرسة العراق باستعمال الرأي الصحيح والتوسع فيه وعدم الانكار على مستعمله لحاجة ومن غير حاجة ، كما عرف عن مدارس الاجتهاد في كل من المدينة

ومكة والشام ومصر الوقوف عند الأثر وعدم استعمال الرأي إلا للحاجة الملحة والضرورة اذا قامت . وكانوا يكرهون القول بالرأي من غير حاجة كما ينهون عن فرض المسائل التي لم تقع بعد . فكان هناك فجوة بين مدرسة الرأي في العراق وبين المدارس الأخرى في الأقاليم . ثم قربت الشقة على أثر الرحلات العلمية التي قام بها تلامذة كل مدرسة الى غيرها من المدارس ، وخاصة بعد التقاء محمد بن الحسين وأبي يوسف بشيوخ مدرسة المدينة والاطلاع على ما عندهم ، واطلاع تلامذة مدرسة المدينة ومكة والشام ومصر على ما لدي مدرسة العراق من دقة في الفهم وحسن استعمال الرأي وفقه لمقاصد الشريعة ، وبذلك زالت الشقة وتقاربت المدارس في مناحيها وان كان لمدرسة العراق منحاها المميز حتى يومنا هذا .

١٠ — يتضح لمن يتتبع مسار الفقه في أطواره المختلفة أن نموه وازدهاره مرتبط ارتباطا وثيقا بقوة المسلمين وارتفاع سلطانهم واتساع دولتهم وقوتهم السياسية والادارية ، كما هو مرتبط أيضا بالشعور الاسلامي والعمل لوجه الله في قيادة البشر بهذا الدين السمح وكون العمل في هذا المجال طاعة لله وعبادة له قبل أن يكون وظيفة ومجالا للكسب ونيلا للرياسة .

ولهذا فإن الفقه أخذ مدة يتزايد مع تزايد مد الفتوحات الاسلامية ، ثم أتى أكله بإذن ربه في صدر الدولة العباسية كما بلغ الفتح الاسلامي مداه ، وأثمرت تلك البذور الصالحة التي وضعت في العهد الأموي الزاهر وقطف أنضج ثمارها العباسيون لتوافر دواعي ذلك من قيام دولة عملاقة تشمل العديد من أقطار المعمورة وهي في أمس الحاجة الى صهرها في الفكر الجديد والعقيدة الجديدة وتشرب روحها بحب شريعة الاسلام في ظل نظمه العادلة وتشريعاته الحكيمة ، ووجدت كافة الخدمات الصالحة للاستثمار في ادارة شئون الخلاقة في مختلف جوانب الحياة فأثبت الفقه قدرته على قيادة الحياة الحرة الكريمة المهتدية بنور الله والمالكة طريقها إليه في ظل قيادة رشيدة واعية .

ولما بدأ الانقسام في الدولة الاسلامية بعد ذلك على أثر ضعفها وتراجعها في خط سيرها في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري ، وتوقف الاجتهاد وبدأ الضعف والوهن يدبان في نفوس طلاب العلم ، وبدأ التراجع أيضا في مسار الفقه من القوة الى الضعف ومن الاجتهاد المستقل الى الاجتهاد المقيد بمذهب أحد الأئمة المجتهدين وبما تضمنته آثارهم من أصول وفتاوى وأقوال ثم استمر الضعف يتزايد بمرور الأيام مع تزايد الضعف في أوضاع المسلمين حتى آل الأمر الى التقليد المحض الذي جمد فيه الفكر وتوقف فيه عطاء الفقه وانعدم فيه الاستقلال في الرأي والأهلية للاجتهاد ولو في اطار المذهب ، بل سارت إلا في تدبير تركات الاموات وتنظيم الحياة الشخصية . أما جوانب الحياة الأخرى فقد اندفعت تحت قيادة نظم وضعية غازية ورجال يحملون أفكارا بعيدة عن فقه الشريعة ومبادئها وأصبحت مباحث الفقه خاصة بالمهتمين بها

ولأنفسهم فقط . واتجه الفقه الاسلامي اتجاها نظرياً بعيداً عن الحياة وواقعها في غير تلك الأجزاء المحدودة .

١١ — اختار الباحث في تقسيم أدوار الفقه ومراحله التقسيم القائل بأن الفقه مر بأدوار ثلاثة هي : —

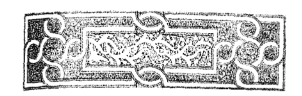
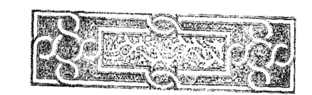
أ — دور التشريع في عهد النبوة .
ب — دور الاجتهاد من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى منتصف القرن الرابع الهجري .
جـ — دور التقليد من منتصف القرن الرابع الهجري حتى يومنا هذا .

ثم ان كل دور من هذه الأدوار الثلاثة مر بمراحل متمايزة . فمر دور التشريع بمرحلتي التشريع في مكة ثم التشريع في المدينة .

ومر دور الاجتهاد بمرحلة الخلفاء الراشدين ، ثم الاجتهاد في عهد الدولة الأموية ، ثم الاجتهاد في صدر الدولة العباسية .

ومر التقليد بمراحل ثلاث :
أ — مرحلة التقليد والاجتهاد في المذهب من منتصف القرن الرابع الهجري حتى سقوط بغداد عام ٦٥٦ هجرية على يد هولاكو التتري .
ب — مرحلة التقليد المحض من سقوط بغداد حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري .
جـ — مرحلة التقليد المحض في العهد الحالي من منتصف القرن الثالث عشر الى يومنا هذا .

وبين عمل العلماء في كل مرحلة من هذه المراحل ، وناقش المرحلة الحالية للتقليد وهل هي عهد نهضة للفقه كما يرى البعض أو هي امتداد لمرحلة التقليد المحض كما يرى آخرون ، وتوصل الباحث من خلال بحثه الى أنها امتداد لمرحلة التقليد المحض ، الى جانب ظهور عمليات جادة وعامة لاقصاء الفقه عن الحياة نهائياً إلا في جوانب ضيقة من تدبير تركات الأموات وتنظيم الأحوال الشخصية فقط ، واندفاع الحياة فيما عدا ذلك في اتجاه علماني لا ديني واضح .

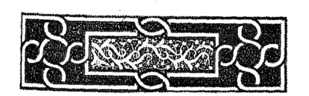
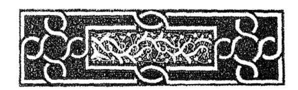



فهارس المخطوطات العربية

« دراسة تحليلية »

للدكتور

عباس صالح طاشكندي

ليس هناك ادنى شك في أن الولوج في عمليات الفهرسة واصدار الفهارس لمجموعات المصادر في خزائن الكتب ودور السجلات أمر قديم قدم المكتبات انفسها ، إلا أن مبعث الاثارة دوماً ودائماً هو محاولة العثور على أي دليل مادي حول أقدم فهرس صدر على وجه الأرض ، وحتى اذا ما تحقق ذلك ، فإن الحقيقة التاريخية تظل متغيرة باكتشاف أثر مادي آخر يؤدي بدوره إلى تعديل الحقائق مرة أخرى ، وهكذا شأن ارتباط الحقائق التاريخية بما يستجد من اكتشافات أثرية مادية قاطعة .

على ان المهتم بمثل هذه الأمور التاريخية كثيراً ما يصطدم بسيل من الكتابات تأتي على شكل بحوث ومقالات وتقارير تدور كلها حول عدد من الآراء المختلفة .

وحول أقدم فهرس صدر في العالم ، نجد أن عديداً من الكتابات تأخذ اتجاهات متغايره ، ففي حين أن كوركيس عواد(١) يرجح أقدم الفهارس للبابليين ، نجد أن سيفيرانس(٢) ينسب أقدم الفهارس إلى الأشوريين وبالتحديد سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ، بينما يذهب ستراوث(٣) إلى السومريين باعتبارهم أول من أصدر فهارس المكتبات .

وعلى أية حال فإن أياً من هذه الادعاءات ستظل غير مؤكدة ما لم تدعم الاكتشافات الأثرية وجهة نظر معينة بدليل مادي قاطع .

ولعل البحث في أصول الفهارس القديمة لم يكن وقفاً على أولئك الذين سبقت الإشارة اليهم ، بل تناولها عدد كبير من العلماء من أمثال ادوارد ادواردز(٤) وجونسون(٥) وتومبسون(٦) وهيسل(٧) وكلارك(٨) وتايلور(٩) وبارسونز(١٠) ووتي(١١) وكير(١٢) وسافجيه(١٣) وريتشاردسون(١٤) وبنتو(١٥) وغيرهم من العلماء ، إلا أن توريس(١٦) في رسالتها العلمية التي خصصت لدراسة مناهج اصدار الفهارس عبر التاريخ قد ادعت بأن الاكتشافات الأثرية لألواح الصلصال الأشورية (١٦٦٨ — ٦٢٦ قبل الميلاد) كانت تضم فهرساً سجلت عليه معلومات ببليوجرافية شبيهة في الغرض بالمعلومات التي تسجل في الفهارس الحديثة .

ويبدو أن هذا الادعاء في غير محله ، وخاصة فيما يتعلق بوظيفة الفهرس ونشوئها عبر التاريخ . ذلك أن تطور الفهارس من الناحية الوظيفية قد اتخذ اشكالاً متعددة تمر عبر الأغراض التالية :

١ — الفهرس كوسيلة للجرد والحصر.
٢ — الفهرس كوسيلة تصل القارىء بالمادة المطلوبة .
٣ — الفهرس كوسيلة مستقلة للضبط والتحقيق البيليوجرافي .

فتعدد وظائف الفهرس عبر التاريخ يفترض التباين والاختلاف في عناصره وبالتالي فإن الادعاء بأن الفهارس الأشورية كانت على نمط مشابه لفهارس اليوم في الاغراض يعتبر ادعاء غير دقيق .

وعلى أية حال فإنه ليس من اغراض هذا البحث أن يتناول التفاصيل التاريخية لأقدم الفهارس الموجودة ، وكيفية التحقيق في أمرها ، وانما أراد الباحث في هذه المقدمة أن يسلط الضوء على أن قضية الضبط البيليوجرافي لمصادر المعرفة قضية تعود أصولها إلى حقب سحيقة في التاريخ ، وان أصول الفهارس القديمة تعود إلى هذه المنطقة الحضارية من العالم .

فإذا كان الشرق القديم مسؤولاً بوسائله البدائية عن اصدار أقدم الفهارس الحصرية ، فضلاً عن أن الحضارة الإسلامية بكل ما فيها من ثراء فكري أصيل ومترجم مسئولة عن اصدار العديد من الأدوات البيليوجرافية المنهجية ، وهي التي أورثت البشرية ما يزيد على حسب تقدير المنجد على ثلاثة ملايين مخطوطة عربية[١٧] فأين استقرت كل تلك الأعمال ؟ وما هو الواقع البيليوجرافي لهذه المخطوطات العربية التي تنتشر في كل بلاد العالم ؟ وما هي أنجح الوسائل للتغلب على مشاكل الضبط البيليوجرافي للمخطوطات العربية ؟

إذا قارنا محتوى مختلف الوسائط المكتوبة التي انتجتها حضارات وثقافات أخرى بمحتوى المخطوطات التي أنتجتها الثقافة العربية والإسلامية ، فإننا نجد أنها تتميز عنها بأمرين هامين .

أولها : انها تتميز بالأصالة فيما اضافته في شتى العلوم والمعارف .

وثانيهما : انها المسئولة عن المحافظة على تراث الحضارات القديمة نتيجة لاضطلاع علماء العرب بالمترجمات إلى العربية .

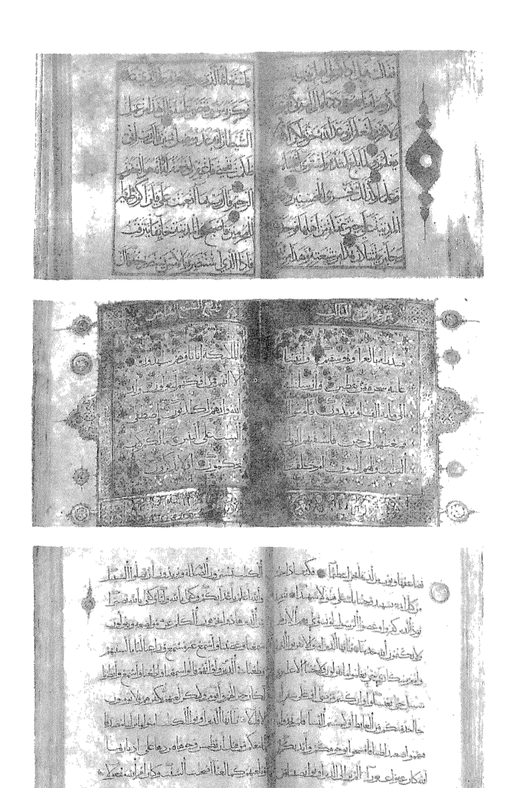
ومن هنا فقد كان الاهتمام دولياً بجمع التراث المخطوط للثقافة والحضارة العربية والإسلامية .

على أن المخطوطات العربية أياً كان حجمها تتوزع الآن نتيجة لتلك الظروف الهامة في شتى بقاع الأرض ، شأنها في ذلك شأن المصادر الأخرى للمعرفة البشرية ، ويمكن تحديد تواجدها حالياً في المراكز التالية :

١ ـــ المكتبات العربية والإسلامية .
٢ ـــ المكتبات العالمية في غير المناطق العربية والإسلامية .
٣ ـــ المكتبات الخاصة .
٤ ـــ الأربطة والمساجد .

فقد تولى كل من فيليب دي طرازي[١٨] ويوسف أسعد داغر[١٩] وفؤاد سيزكين[٢٠] مسح المكتبات المعروفة التي تحتوي على مجموعات من المخطوطات العربية ، إلا أن دي طرازي قد أولى أكثر اهتمامه في الإشارة الى المجموعات الخاصة التي تضمها مكتبات الأفراد ، وهذا ما يميز عمله عن الآخرين .

المخطوطات العربية تجمعت في كل تلك المراكز نتيجة لظروف متغايرة . ففي المكتبات العربية والإسلامية نجدها قد تجمعت بحكم أصالة وجودها في هذه المناطق ، وبفعل النهضة التي شهدتها مختلف دول العالمين العربي والإسلامي منذ بداية القرن العشرين مما حدا بالحكومات إلى اتخاذ أساليب الاهتمام بجمع التراث الوطني ، وتسابقت الهيئات المختلفة إلى الاستفادة من تلك المصادر ،



فاهتمت المكتبات الوطنية ومكتبات الجامعات بضم شتات العديد من المجموعات التي كانت تنتشر هنا وهناك سواء لدى الأفراد أو تلك التي ضمتها خزائن الكتب التاريخية القديمة ، أو التي آلت إلى مختلف الهيئات بطرق الوقف أو الاهداء .

أما في المكتبات العالمية في غير المناطق العربية والإسلامية ، فإن أصل تواجد المخطوطات العربية فيها يعود إلى نظرة الاستعمار إلى أهمية هذا التراث والولوج في ميدان القرصنة للاستيلاء عليه ، فقد حفلت كتب التاريخ بالعديد من الوثائق التي تؤكد مختلف الوسائل التي حصلت بها الدول الأوربية على أرتال ضخمة من المخطوطات التي كانت تضمها خزائن الكتب القديمة ، فقد اهتم في باديء الأمر بابوات الفاتيكان بجمع هذا التراث ، تبع ذلك جهود ملوك فرنسا ومنهم لويس الرابع عشر الذي كلف سفيره دي مونسوا بالبحث عن مخطوطات جامع القروين في فاس ، وكذلك بعثته لجمع المخطوطات في الشعر والتاريخ والنحو والهندسة والفلك والطب من بلاد الشام . أما غليوم الثاني ملك ألمانيا فقد استولى على مخطوطات الجامع الأموي بدمشق بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣١٧هـ .

وبالنسبة لأنجلترا فقد تجمعت المخطوطات العربية بمكتباتهم نتيجة لجهود كبيرة قام بها المبشرون الانجليز في مختلف المناطق التي استعمروها ، وقامت لهم بعثات عديدة تخصصت في تجميع المخطوطات وأهمها بعثة تاتام التي تخصصت في تجميع نفائس المخطوطات من مصر .

أما مكتبة الأسكوريال فتعود أصولها إلى سلاطين السعديين في المغرب العربي ، والتي انتقلت بأكملها عن طريق القرصنة وهي تزيد على أربعة آلاف مخطوط عربي إلى أسبانيا فأمر الملك فيليب الثالث بوضعها في الأسكوريال[٢١] .

وهذا الشأن نفسه يمكن أن يقال بالنسبة للمكتبات الكبرى في مختلف الدول الأوربية وكذلك بالنسبة لروسيا ، اذ بجانب بعثاتهم للشرق والتي قادها المستشرق كراتشوفسكي ، أمكن لهم الاستيلاء على نفائس المخطوطات التي حفلت بها الخزائن التاريخية في المناطق التي استولوا عليها في أزبكستان وتركمانستان وتاجيكستان والقرغيز وفي مناطق القوقاز ، وهي الديار التي شهدت نهضة إسلامية كبرى خلال عصور الحضارة الإسلامية وأنجبت مشاهير المفكرين المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا والبخاري والترمذي .

والمخطوطات العربية تتواجد في الولايات المتحدة في عدد كبير من المعاهد المختلفة وأكبر هذه المجموعات ما تضمه الجامعات ، والمكتبات العامة الكبرى ، ومكتبات الجمعيات التاريخية المتخصصة ، والمتاحف . ولقد تولى مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية
في عام ١٩٥٠ اصدار دليل لمجموعات المخطوطات في المكتبات الأمريكية[٢٢] تضمن بعض المعلومات عن توفر المخطوطات العربية في عدد من المكتبات الامريكية . تبع هذا مسح شامل قام به الأستاذ كوكيس عواد[٢٣] لمجموعات المخطوطات العربية في المكتبات الامريكية ضمنه معلومات مفصلة عن الكميات العددية لها ومواضع وجودها . ومما يؤخذ على هذا المسح أنه أخفق في تحقيق الكميات على نحو دقيق ، اذ ذكر بأن مكتبة الكونجرس تحتوي على ١٥٤٩ مخطوطة بينما وجد الباحث بنفسه أن مجموع المخطوطات العربية في هذه المكتبة لا تزيد على مائة مخطوطة . صدر بعد ذلك الدليل الذي أخرجه هامر[٢٤] سنة ١٩٦١ متضمناً بيانات مختصرة عن توفر المخطوطات العربية في ست عشرة مكتبة أمريكية تنتشر في سائر أنحاء الولايات المتحدة

الامريكية .

على أن البحث الذي أصدره محمد الهادي سنة ١٩٦٤ [٢٥] يعتبر أشمل دراسة للمصادر العربية في الولايات المتحدة ، والذي يتضمن بيانات مفصلة عن وجود ما يزيد على ١٧,٦٢٧ مخطوطة عربية تنتشر في اثنين وثلاثين مكتبة أمريكية .

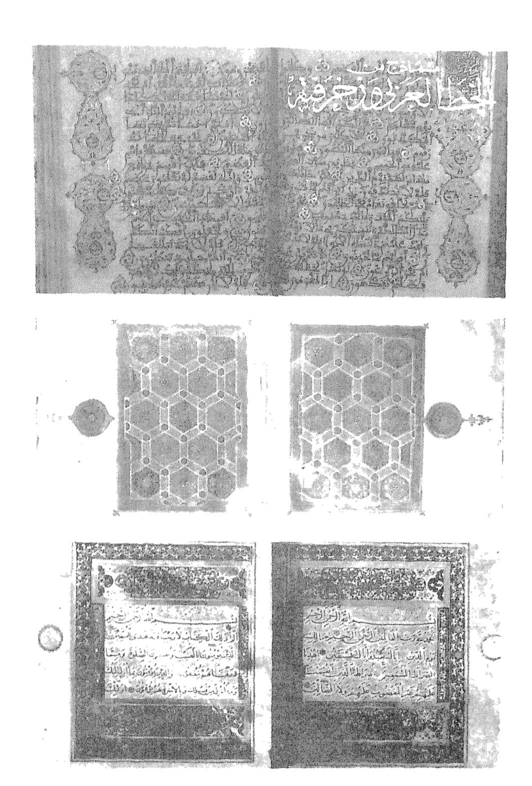
وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعظم مجموعات المخطوطات العربية في الولايات المتحدة هي التي تقتنيها حالياً جامعة برنستون ، والتي جاءتها عن طرق الاهداء من السيد جاريت ، والذي سبق ان اشتراها من الناشر بريل في ليدن . وينسب الدكتور حتي أصل هذه المجموعة إلى السيد أمين بن حسن الحلواني المدني الذي حمل المخطوطات العربية على دفعتين من المدينة المنورة إلى امستردام أحدهما سنة ١٨٨٣ ويبلغ مجموعها حوالي خمسة آلاف مخطوطة والأخرى سنة ١٩٠٤ وتبلغ نفس العدد الأول تقريباً أو باعها إلى الناشر بريل والتي توزعت فيما بعد بين جامعة برنستون وجامعة ليدن والمكتبة الملكية في برلين[٢٦])

وبالإضافة إلى كل تلك المراكز ، فإن الآلاف من المخطوطات العربية لا زالت ضمن محتويات المكتبات الخاصة ، يتداولها الأبناء عن الآباء ، وهي التي تشكل حالياً أساس تجارة اصطياد المخطوطات ، فينشط السماسرة بالاتصال بالأشخاص والأسر التي يعرف تواجد المخطوطات لديهم ، ويروجون لها حتى تجد طريقها إما إلى مكتبة خاصة أخرى أو تستقر في إحدى المكتبات التي تهتم بجمع المخطوطات .

أما النوع الأخير من هذه المراكز فهي المجموعات التي تضمها الاربطة والزوايا والمساجد ، وهي وان كانت تتضائل تدريجياً إلا أن البقية الباقية لا زالت تتمركز حالياً في الدول الإسلامية والعربية ، اذ تجمعت بها أرتال المخطوطات خلال فترات طويلة ، وهي في الغالب من التي اوقفها أصحابها لطلاب العلم الذين كانوا يتمركزون تقليدياً في الأربطة ويتلقون تعليمهم في أروقة المساجد . وهذه المجموعات قد تعرضت أيضاً خلال هذا القرن إلى هجمات شرسة من مصطادي المخطوطات ، وتسربت الآلاف منها كي تستقر في المكتبات العالمية . وعلى الرغم من أن معظم الدول قد أصدرت قوانين لحماية آثارها وتراثها الوطني ، إلا أن نشاط التهريب وظهور عدد من العصابات الدولية المتخصصة في هذا المجال قد أجهضت فعالية تلك القوانين ، فضلاً عن جهل الكثيرين من رجال الجمارك والحدود بأهمية التراث ووجوب المحافظة عليه . ونتيجة لذلك فإن مجموعات هذه الأربطة والمساجد قد تقلصت كثيراً وتسربت منها أهم الأعمال ، ولم تبق إلا القلة الباقية مما أهمله الدهر وعفى عليه .

تلك هي في الواقع خلاصة القسم الأول من هذا البحث ، والتي تتناول — بإيجاز — المواقع التي تستقر فيها المخطوطات العربية .

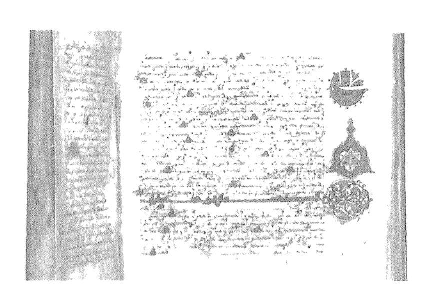
أما واقع الضبط الببليوجرافي للمخطوطات العربية التي تنتشر حسب ما أسلفنا في مختلف بقاع الأرض ، فإنه يحتل الصدارة في قائمة المشاكل التي تعترض توثيق هذه المجموعات الهامة من مصادر المعرفة البشرية .



فباستثناء ما تضمنته الفهارس الوصفية للمخطوطات العربية في مختلف المكتبات ، نجد أن مؤلفات الحضارة العربية والإسلامية قد وردتنا أولاً فيما يسمى تصنيفاً بكتب الطبقات والسير والتراجم ، وهي على الأخص في الأعمال التالية :

١ ـــ الفهرست — لابن النديم
٢ ـــ فهرست كتب الشيعة — لأبى جعفر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)
٣ ـــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء — لأبي البركات الانباري (٥١٣-٥٧٧هـ)
٤ ـــ معجم الأدباء — لياقوت الحموي. (٥٧٥-٦٢٦هـ)
٥ ـــ التقييد في رواة الكتب والأسانيد — لأبي بكر محمد البغدادي (٥٧٠-٦٢٩هـ)
٦ ـــ روضة الأدب في طبقات شعراء العرب — لأبي الطيب الانصاري المخزومي
٧ ـــ اعلام العلماء بأخبار الحكماء — لجمال الدين القفطي (٥٣٦-٦٤٦هـ)
٨ ـــ عيون الأنباء في طبقات الأطباء — لابن أبي أصيبعه (٦٠٠-٦٦٨هـ)
٩ ـــ وفيات الأعيان — لابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)
١٠ ـــ طبقات الأمم — لابن صاعد الثعلبي القرطبي (المتوفي سنة ٤٦٢هـ)
١١ ـــ فهرست الكتب والتأليف — لأبي بكر محمد الأشبلي الاندلسي
١٢ ـــ الوافي بالوفيات — لصلاح الدين ابن ايبك الصفدي (٦٩٦-٧٦٣هـ)
١٣ ـــ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي — لابن تغري بردي (٨٠٣-٨٧٤هـ)
١٤ ـــ ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد — لابن الاكفاني السنجاري المتوفي سنة ٧٤٩هـ
١٥ ـــ تذكرة الحفاظ — للذهبي الدمشقي المتوفي سنة ٧٤٨هـ
١٦ ـــ فوات الوفيات — لابن شاكر الكتبي (٨١٣-٨٧٢هـ)
١٧ ـــ اتمام الدراية لقراء النقايه — للسيوطي (المتوفي سنة ٩١١هـ)
١٨ ـــ بغية الدعاه في طبقات اللغويين والنحاه — للسيوطي
١٩ ـــ العقيدة البائية في أسامي الكتب العلمية — للقدس (المتوفي سنة ٧١٢هـ)
٢٠ ـــ الدر الكامنة — للعسقلاني
٢١ ـــ مفتاح السعادة ومصباح السيادة — لطاشي كبرى زاده (المتوفي سنة ٩٦٨هـ)
٢٢ ـــ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون — لحاجي خليفه (١٠٠٤-١٠٦٧هـ)
٢٣ ـــ ذيل كشف الظنون — لأحمد حافظ زاده (المتوفي سنة ١١٨٠هـ)
٢٤ ـــ الأسفار عن العلوم والأسفار — لجميل العظم
٢٥ ـــ نفح الطيب — للمقري (المتوفي سنة ١٦٢١هـ)
٢٦ ـــ مروج الذهب — للمسعودي
٢٧ ـــ تحفة الأحباب — للسخاوي
٢٨ ـــ أمل الأمل في علماء جبل عامل — لمحمد بن الحسن العاملي (توفي سنة ١٠٣٣هـ)
٢٩ ـــ ديوان الإسلام — لابن الفزى (١٠٩٦ ـــ ١١٦٧هـ)

وواضح من سرد هذا الثبت من المصادر العربية التي تحتوي بين جنباتها الاشارات إلى المؤلفات العربية ان عدداً قليلاً منها قد خصص لأغراض ببليوجرافية كما تعارفنا عليها ، فباستثناء أعمال كل من ابن النديم ، والطوسي ، والاشبيلي ، والقدسي ، وطاش كبرى زاده ، وحاجي خليفه ، وأحمد



حافظ زاده ، وجميل العظم ، نجد أن معظم تلك المصادر قد وردتنا ضمن اطار كتب الطبقات والسير والتراجم وأخبار الرجال .

إلا أن الفهارس بأغراضها الحديثة كأدوات ضبط ببليوجغرافي يراد بها توثيق الأعمال المخطوطة والتعريف بمضامينها ، وبمواضع وجودها عن طريق استخلاص عناصر محددة للوصف لم تظهر في عالمنا إلا في عصر متأخر ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة لعاملين رئيسيين :

أولهما : الشعور الوطني والديني بأهمية التراث العربي والإسلامي وضرورة توثيقه .

وثانيهما : جهود المستشرقين للتعرف على كنوز التراث الشرقي .

فقد توقد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شعور وطني وديني أدى إلى اهتمام بعض المفكرين من العرب والمسلمين إلى ضرورة الاهتمام بتراث حضارتهم وذلك نتيجة لجهود الاستعمار في طمس معالم التراث من ناحية ، وما تعرضت له كنوز المخطوطات العربية من نهب وسلب وتجارة رائجة من ناحية أخرى .

كما ان الاستشراق وقد جاء كحركة تعني بدراسة تراث الأمم الشرقية وما خلفته من آثار فكرية وأدبية وفنية قد تمخض عن ظهور عدد كبير من المفكرين الذين انكبوا على دراسة تراث الأمم العربية والإسلامية بما خلفته من آثار ، ولم يكن ذلك ممكناً بدون التعرف على مصادر ذلك التراث ، فاهتم كثير منهم باستخلاص ذلك التراث وفق أسس عصرية نتجت عنها أعمال ببليوجرافية هامة .

وانطلقت جهودهم في اتجاهين :

الاتجاه الأول كان يهدف إلى رصد وتحقيق مصادر الثقافة العربية والإسلامية عن طريق اصدار أعمال تهتم بتحليلات ببليوجرافية لا تكتفي بتوصيف نسخة واحدة من العمل المخطوط تتوفر في مكتبة واحدة ، بل تعقبت جمع نسخ العمل الواحد مما يتوافر في شتى المكتبات المعروفة في العالم وعملت على توصيفها وتحقيق خواص كل نسخة على حدة ، وأصدرت أحكامها فيما يتعلق بأصول النسخ . وهي في ذلك قد تعدت أغراض الفهارس الوصفية العادية التي تصف مجموعات بعينها تتوفر في مكتبة واحدة . إلى ما هو أشمل من ذلك ، فاهتمت بتتبع تاريخ الثقافة العربية من خلال تحقيق الأعمال التي انتجتها تلك الثقافة مصنفة حسب المواضيع التي يهتم بها كل عمل .

ويتمثل هذا الاتجاه في الأعمال الهامة التي أصدرها كل من شنورر[٢٧] وشوفين[٢٨] وبرغشتال[٢٩] وبروكلمان[٣٠] وغبريالي[٣١] وسوتير[٣٢] وسافاجيه[٣٣] .

أما الاتجاه الثاني فقد عمد إلى الاهتمام برصد الاعمال المخطوطة في المكتبات المعروفة واصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات التي تحتويها تلك المكتبات . ولعل الجهود التي بذلها المستشرقون في إصدار فهارس المخطوطات العربية لمكتبات كل من برلين ودرسدن الاهلية ، وجامعة بون ، وليبزغ الأهلية ، وميونخ الاهلية ، والجمعية الاسيوية بفيينا ، والمتحف البريطاني ، والمكتب الهندي بلندن ، والجمعية الملكية الاسيوية ، والجامعة البودليه ، وجامعة كمبردج ، والاهلية بباريس ، والفاتيكان ، والامبروزيانا ، والاسكوريال ، والاهلية بمدريد ، وليدن ، والأكاديمية الملكية في

أمستردام ، وجامعة ابسالا ، ونيوبري في شيكاغو ، لدليل على ما قدمه المستشرقون من جهود في هذا المجال .

وبدلاً من أن نتناول بالتفصيل سرد كل تلك الفهارس التي تم اصدارها سواء من قبل المفهرسين والمختصين من العرب والمسلمين أو من قبل المستشرقين ، فإننا نكتفي بالإشارة إلى الأدلة والأعمال الجليلة التي تولت مسئولية رصد فهارس المخطوطات العربية التي صدرت في مختلف بلدان العالم .

فقد قام يوسف اسعد داغر في كتابه الموسوم بـ«فهارس» المكتبة العربية في الخافقين»[٣٤] برصد الفهارس التي تم اصدارها حتى سنة ١٩٤٧ واستعرض نشؤها مبتدئاً بدول العالم العربي وبالأخص في لبنان وسوريا وفلسطين ومصر والعراق ، ثم في دول شمال افريقيا العربية وبالاخص في الجزائر وتونس والمغرب ، ثم في الهند ، ثم في دول الغرب وبالاخص في المانيا وانجلترا وفرنسا وايطاليا والفاتيكان وأسبانيا وهولندا وبولندا وروسيا والدول الاسكندنافية والولايات المتحدة الامريكية . وقد شمل استعراضه اعطاء وصف موجز لكل فهرس مع التركيز على العناصر التي تميزه عن غيره من الأعمال .

كما قام سيزكين في مقدمة كتابه عن تاريخ الآداب العربية[٣٥] برصد فهارس المخطوطات العربية مرتبة حسب أسماء المكتبات تحت الدول والمدن التي تضم تلك المكتبات .

وهي على أية حال تكمل نواقص قائمة داغر ، وتسرد في اختصار عناوين الفهارس والدراسات الوصفية التي تناولت مجموعات المخطوطات العربية التي تنتشر على وجه البسيطة .

واصدر بيرسون في العام ١٩٥٤ دليله الببليوجرافي للمواد الشرقية في المكتبات البريطانية[٣٦] والذي يرصد فيه الفهارس التي تم اصدارها للمخطوطات العربية في المكتبات البريطانية والايرلندية والتي اتبعت بدراسة تتناول المجموعات التي لم يتم فهرستها أو اصدار الفهارس لها بعد . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الدراسة التي نشرها السير فرانسيس في مجلة التوثيق[٣٧] تسلط الأضواء على مختلف الأنشطة التي تقوم بها المكتبات البريطانية وخاصة المتحف البريطاني في مجالات فهارس المخطوطات العربية .

ومنذ العقد الخامس من القرن العشرين نشطت في أوربا بالذات اتجاهات لاصدار قوائم موحدة للمخطوطات العربية ، وكان أولها قائمة فاجدا[٣٨] التي اتخذت لنفسها اتجاها دولياً في التجميع ، تبع ذلك صدور الفهرس الموحد الذي أصدره هويسمان[٣٩] للمخطوطات العربية في العالم والذي صدر عن دار بريل في ليدن سنة ١٩٦٧ .

ولعل من أهم الأعمال التي صدرت حتى الآن في مجال الفهارس الموحدة للمخطوطات والتي لم تكتمل بعد هي القائمة التي تولى اصدارها ولفجونج فويجت في ألمانيا[٤٠] والتي تهدف إلى رصد جميع المخطوطات الشرقية في سلسلة من المكتبات تنتهي باكتمال القائمة الموحدة للمخطوطات الشرقية .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فعلى الرغم من توفر ما يزيد على ١٧,٦٢٧ مخطوطة عربية تنتشر في ما يزيد على اثنتين وثلاثين مكتبة امريكية ، فإن صورة الضبط البيليوجرافي لهذه المجموعات تختلف بعض الشيء عما هي عليه في أوربا ، اذ بدأ الاهتمام بجمع التراث في الولايات المتحدة في

وقت متأخر ، فضلاً عن أن مختلف الدراسات الاكاديمية فيما يتعلق بالشرق الأوسط هي أيضاً قد بدأت متأخرة ، ولهذا فلا غرابة إذا ادعينا بأن بعض هذه المجموعات لم تنل بعد اهتمام المراكز التي تنتسب إليها . ولعل ما تعرضت له مجموعة المخطوطات العربية بمكتبة الكونجرس الامريكي من اهمال يعد دليلاً على ذلك ، فقد ظلت هذه المجموعة تعاني الاهمال ، حتى قيض الله لها الاستاذ المنجد الذي أسهم بأعداد قائمة مختصرة لمحتوياتها[٤١] .

أما مجموعات مكتبات برنستون ، وييل ، وشيكاغو ، ومؤسسة هارتفورد اللاهوتيه ، وني يورك العامة ، وفيلادليفيا الحره ، ونيوبري ، والمكتبة الوطنية الطبية فقد صدرت لها الفهارس المطبوعة ، وأمكن توثيقها بعدد من الأدوات .

أما كيف تطورت ونشأت هذه الأدوات ، فإن البداية جاءت على يد ليتمان الذي حاول في العقد الأول من القرن العشرين نشر قائمة لمخطوطات برنستون[٤٢] والتي أعدت على نفس الطريقة التي اتبعها هوتسما حين أصدر قائمة لنفس المجموعة التي كانت تنتمي للناشر بريل في ليدن[٤٣] تبع ذلك إصدار قائمة مكتبة نيوبري بشيكاغو .

وفي عام ١٩٣٤ أصدر نبيه أمين فارس قائمة أخرى لنفس مجموعة برنستون تحتوي على تفاصيل أدق ، اذ قابل قائمة سلفه بمجموعة المخطوطات واستمد منها مباشرة بعض العناصر الوصفية الدالة[٤٤] وهذا هو وجه الاختلاف عن القوائم السابقة .

وتوالى بعد ذلك اصدار الفهارس الخاصة بالمخطوطات العربية ، فأصدر راندال فهرس مخطوطات مؤسسة هارتفورد اللاهوتية[٤٥] كما أصدر بعد ذلك فهرس مخطوطات مكتبة فيلادلفيا الحرة سنة ١٩٣٧[٤٦] .

وفي عام ١٩٣٨ اشترك كل من فيليب حتى ، ونبيه أمين فارس ، وبطرس عبد الملك في اصدار الفهرس المطول الكامل للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستون[٤٧] والذي تميز عن سابقيه بالاسهاب في تغطية العناصر الوصفية المتكاملة التي تستجيب لمختلف حاجات مستعملي المخطوطات .

ثم صدر في عام ١٩٣٩ مؤلف قيم للاستاذ عبوط يتعرض لدراسة تطور الكتابات العربية الشمالية من خلال النسخ القرآنية ، والذي تضمن فهرساً وصفياً للمخطوطات القرآنية في المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو[٤٨] .

تبع هذا صدور عدد من فهارس المخطوطات العربية اما بشكل مفرد لها أو ضمن فهارس تضم جميع المخطوطات الشرقية ومنها على سبيل المثال الفهرس الذي ضم المخطوطات العربية في المكتبة



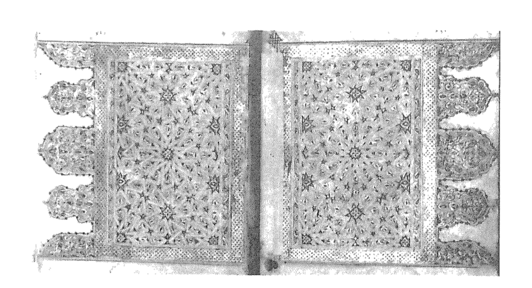
الطبية الوطنية الامريكية(٤٩) وفهرس المخطوطات العربية بمكتبة جامعة ييل والذي أصدره نيموي سنة ١٩٥٦ (٥٠) .

أما في عالمنا العربي ، فإن واقع الضبط البيليوجرافي للمخطوطات العربية على ما توفرت له من تجارب وما صدرت له حتى الآن من فهارس ، فيمكن أن يوصف بشيء من المرارة ، ذلك أنه على الرغم من أن المخطوطات تعتبر من أهم عناصر التراث الحضاري لهذه الأمة ، إلا أننا لا زلنا نعاني من غفلة ، ولا نكاد نستبين مدى ما تمثله هذه المصادر من أهمية بالنسبة لتراثنا ووجودنا ، ناهيك عما نواجهه من تحديات تعتصر عالمنا العربي من أطرافه المختلفة ، وما نتعرض له من غزو ثقافي من مختلف الاتجاهات .

وقد نعزو هذه المرارة إلى كوننا نهمل في حين يهتم الآخرون وان هذه المصادر ليست إلا نتاج ماض هذه الأمة التليد ، فهل يغفر لنا أي تقصير في هذا الشأن ؟

وحتى نكون منصفين ، فإن علينا أن نستعرض — بإيجاز — واقع الضبط اللبليوجرافي للمخطوطات في المكتبات العربية من خلال استعراض أهم الأحداث والمحاولات الاقليمية في هذا المضمار .

فقد تقرر في عام ١٩٤٦ انشاء «معهد احياء المخطوطات» التابع لجامعة الدول العربية بغرض جمع فهارس المخطوطات من شتى دول العالم واصدار فهرس موحد بها ، وكذلك تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية لوضعها تحت تصرف العلماء ، والاهتمام بنشر التراث المخطوط واصدار نشرة دورية بما يتم نشره وتحقيقه .



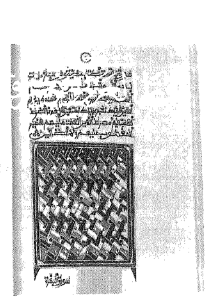
وفي المؤتمر الثقافي الذي عقد بالاسكندرية في أغسطس ١٩٥٠ تقرر تكوين لجنة من المختصين لحصر المخطوطات ، واختيار ما ينبغي تقديمه للنشر ، واصدار سجل لكتب التراث العربي . كما وافق مجلس جامعة الدول العربية في ١٩٥٢/٩/٢٣ على اصدار نشرة سنوية بالمخطوطات المصورة لتوزيعها على العلماء . كما وافق المجلس في عام ١٩٥٥ على اصدار توصية للحكومات العربية لحثها على توثيق وتسجيل المخطوطات العربية لديها واصدارها في فهارس متخصصة .

وفي أكتوبر ١٩٦٢ عقدت الحلقة الاقليمية الأولى للببليوجرافيا والتوثيق وتبادل المطبوعات في العالم العربي والتي نظمتها اليونسكو بالتعاون مع المجلس الاعلى للعلوم في الجمهورية العربية المتحدة آنذاك وانتهت إلى تشكيل لجنة خاصة لدراسة ما يتصل بالمخطوطات العربية واصدار القوائم الببليوجرافية لها ، وكذلك أوصت بتوحيد عناصر الوصف الببليوجرافي للمخطوطات .

ثم عقدت في اكتوبر سنة ١٩٧١ الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية في دمشق وانتهت إلى ضرورة مسح المخطوطات في أرجاء الوطن العربي واصدار الفهارس لها وتيسير استعمالها من قبل العلماء والباحثين ، وضرورة الاهتمام والمحافظة عليها وترميمها وصيانتها .

وان نظرة فاحصة لنتائج كل هذه المحاولات وما نتجت عنها من قرارات وتوصيات يمكن أن تشجعنا إلى ابداء الخلاصات التالية :

أولاً : لا شك في أنه قد تم اصدار العديد من الفهارس والقوائم الخاصة بحصر المخطوطات العربية ، وبالاخص تلك المجموعات التي تتميز بالنفائس ، أو التي تضمها بعض المكتبات

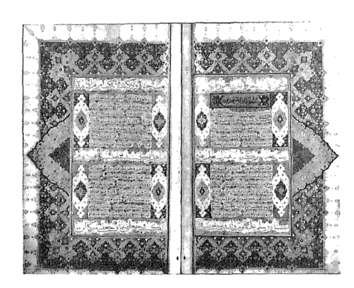


الشهيرة ، كالظاهرية في دمشق ، ودار الكتب القومية في مصر ، والصادقية بالزيتونة ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بمصر ، ومخطوطات البصرة ، ودار الكتب اللبنانية ببيروت ، وخزانة القرويين بالمغرب ، ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، ومجموعة محفوظ بالكاظمية ، ومكتبة الجلبي بالموصل .

... ولكن ومع كل ذلك فلا زالت المئات من المجموعات الأخرى التي تتبعثر هنا وهناك في أرجاء العالم العربي غير مفهرسة ولم تعد لها القوائم بعد . وهذه وان كانت ظاهرة في بعض البلدان العربية كاليمن ودول الخليج العربي والسودان وليبيا إلا أنها تنطبق أيضاً على بعض المكتبات في كل من سوريا والعراق ومصر ودول شمال افريقيا .

ثانياً : يعود كثير من الجهود في اصدار القوائم والفهارس للمخطوطات العربية إلى اهتمامات فردية ، فقد نشط خلال هذا القرن عدد من المهتمين ممن آلوا على أنفسهم مهمة اصدار الفهارس الوصفية ودفعوا بها إلى حيز الوجود . وعلى سبيل المثال نذكر بعضاً من هؤلاء ومنهم أحمد تيمور ، كرد علي ، الأب قنواتي ، ومحمد طلس ، اسامه النقشبندي ، عبدالله الجبوري ، كوركيس عواد ، يوسف داغر ، صلاح المنجد ، فؤاد السيد ، لطفي عبد البديع ، ابراهيم شبوح ، حبيب الزيات ، حسنى الكسم ، صادق المالح ، يوسف العشي ، ناصر الدين الألباني ، فقد أحس معظمهم بالحاجة الماسة إلى هذه الأدوات ، وكانت لمبادراتهم الريادة في هذا الميدان .

ثالثاً : كما نشطت بعض المكتبات والمؤسسات الحكومية والاقليمية في اصدار الفهارس ووضع المناهج الوصفية لها ، ونذكر منها على سبيل المثال جهود كل من :



* معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية .
* مكتبة الظاهرية بدمشق .
* دار الكتب القومية بمصر.
* المعهد العالي للبحوث بالمغرب .
* المتحف العراقي .
* المجمع العلمي العراقي .
* المجمع العلمي السوري .
* المجمع العلمي المصري .
* جامعة الأزهر.

سواء بما بذلته في اصدار الفهارس الخاصة بها أو بما شاركت فيه من أمور تتعلق بالعناية والاهتمام بالمخطوطات العربية .

على أن كل هذه المحاولات التي تعرضنا لها في السطور الماضية وان كانت تتفق من حيث الهدف في اصدار الفهارس الوصفية للمخطوطات ، إلا انها قد اتصفت بالتباين والاختلاف من حيث المنهج وعناصر الوصف ، ودرجات التحليل بالنسبة لمضمون المخطوطات . ولعل من الأسباب التي أدت إلى هذا التباين والاختلاف غياب التقنينات المعيارية لعناصر الوصف الببليوجرافي للمخطوطات من ناحية ، وكذلك افتقار المخطوط إلى تقنينات شكلية بالنسبة لاخراجه من ناحية أخرى . ولهذا — لا سيما واننا نعرف انه من الصعب وضع معايير مقننة



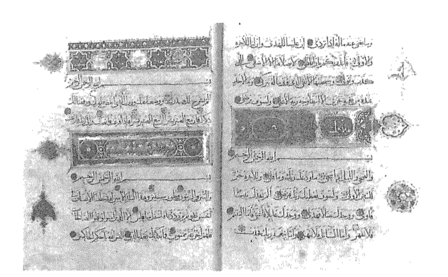
للوصف الببليوجرافي للمخطوطات بصفة عامة — فقد فضلنا أن نصنف تلك المحاولات على النحو التالي :

أولاً : الفهارس المطولة
ثانياً : الفهارس المختصرة .

وعلى الرغم من أن كلا النوعين يهدفان بالدرجة الأولى إلى غرض واحد الا وهو توثيق وجود المخطوطات في موقع واحد ، وذلك بحجة أن مهام الفهارس ان هي الا أدوات تؤكد وجود المادة ، ومن ثم تعرض إلى أوصافها الدقيقة التي تميزها عن مادة أخرى مشابهة لها ، وان الفهارس أدوات ايجابية تصنف خلال عناصر معينة أهم ما يتفرد به المخطوط ، وتحدد موقعه ضمن مجموعة واحدة أو في مكتبة واحدة ، إلا أن الفهارس المطولة قد تتفوق وتتميز في بعض الأمثلة عن الفهارس المختصرة بتلبيتها حاجات ببليوجرافية تفيد في أغراض التحقيق .

على أن التعميم في اصدار الفهارس المطولة أمر لم يتحقق أبداً ، اذ ان النماذج التي صدرت حتى الآن تعد على الأصابع ، ويمكننا في سياق هذا البحث أن نسلط الضوء على نموذجين صدر أحدهما في أوربا والآخر في العالم العربي .

فقد تميز فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الاهلية[٥١] والذي صدر بين سنى ١٨٨٧ — ١٨٩٩ بجهود المستشرق أهلورد بالأصالة من حيث التدقيق في اكتمال العناصر الوصفية واعطاء التفاصيل الببليوجرافية حقها مما جعل هذا العمل يحقق أدق الفروق



الببليوجرافية بين النسخ المختلفة للعمل الواحد ، مع اعطاء تفاصيل حول أي من المخطوطات قد تم نشرها وتحقيقها . ويعد هذا العمل في موقع الصدارة من مجموع الفهارس التي صدرت حتى الآن للمخطوطات العربية .

أما في العالم العربي ، فإن فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية الذي أصدره الدكتور يوسف العشر(٥٢) يعد من أهم أعمال الفهارس التي صدرت حتى الآن في العالم العربي ، اذ انه اعتمد الاطالة والتحقيق في كثير من الأمور الببليوجرافية ، فعمد إلى تحليل مضمون المخطوطة والموازنة بينها وبين غيرها من الأعمال المماثلة ، ومقابلة النسخ المخطوطة بالنسخ المطبوعة ، وتحديد الفروق فيما بينها ، الأمر الذي جعله يستغرق في اخراجه وقتاً كبيراً ، فلم يتمكن إلا من اصدار فهرس لكتب التاريخ دون أن يسعفه الوقت لاتمام غيره ، أو أن يبرز من يستطيع اكمال العمل على النحو نفسه .

على أن الغالبية العظمى من الفهارس التي صدرت حتى الآن يمكن أن تندرج تحت لواء الفهارس المختصرة ، ولعل الأسباب الرئيسية في هذا الاتجاه هو صعوبة اتمام الفهارس المطولة بما تستغرقه من وقت طويل ، وبما تتطلبه من نوعيات معينة من المحققين ، فضلاً عن أن الكميات العددية الهائلة لهذه المخطوطات قد تجعل من المستحيل على أي محقق أو مفهرس أن يأتي إلى اتمامها في وقت معقول .

وبالإضافة إلى ذلك فإن تكاليف الطباعة والتصحيح والمراجعة واخراج الفهارس على نحو مفصل قد أضحت من المشاكل الرئيسية ، وفي هذا يقول بيرسون : « ان من أسباب عدم اصدار الفهارس هو التكاليف المرتفعة للطباعة وخاصة للحروف الشرقية وغير اللاتينية ،

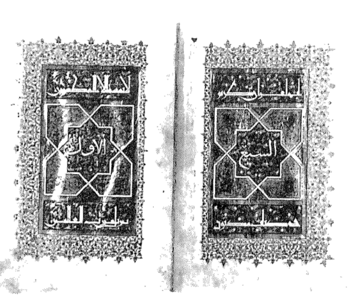
فضلا عن الزيادة المستمرة لأعمال ادارية وجد المكتبيون أنفسهم مطالبين بها باستمرار .

ولهذا فقد وجدوا أنفسهم في ضيق من الوقت وشح في الأموال مما جعلهم يصرفون النظر عن إصدار فهارس مطولة للمخطوطات »(٥٣)

أما نيموي الذي أصدر قائمة للمخطوطات العربية في مكتبة جامعة ييل فيقول في مقدمة هذا العمل ما ترجمته :

« ان تكاليف الطباعة المرتفعة جعلتنا مقيدين في اخراج هذا العمل بذكر أهم المعلومات الببليوجرافية ، والتي تشير في مجملها إلى المؤلف والعنوان والتاريخ والموضوع بالنسبة لكل مخطوطة . كما أن عامل الوقت الذي أخذ يقيدنا بقيود والتزامات أخرى جعلنا نصرف النظر عن الفحص الكامل للعمل الماثل بين أيدينا صفحة بصفحة »(٥٤)

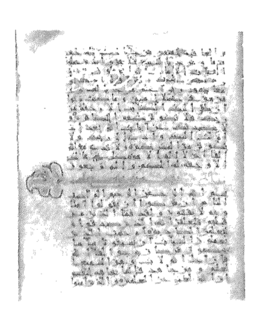
على أننا إذا تتبعنا قراءة المقدمات التي تتصدر جميع الفهارس التي صدرت حتى الآن فنجد كل الأسباب والمشاكل التي يتعرض لها كل من ولج هذا الميدان ، وهي في مجموعها تتفق في صعوبة فهرسة المخطوطات ، وارتفاع التكاليف ، والعامل الزمني الذي يستغرقه اعداد العمل واخراجه ، وقدرة العاملين به ، كما اننا لاحظنا أن جميع الذين تولوا اصدار الفهارس المختصرة يضعون الوقت الطويل الذي تستغرقه الفهارس المطولة في ميزان الحجه ، ويبررون الاتجاه نحو الاختصار ابتعاداً عن التعقيد ، وان الاطالة في وصف النسخ ومقابلتها هي من أعمال المحقق ، وان مهام الفهارس ليست إلا مهام ايجابية توثق وجود المادة وتصفها بما يميزها عن غيرها من النسخ .



ويبدو أن هذه المشاكل بالإضافة إلى المشاكل الخاصة بعناصر الوصف الببليوجرافي للمخطوط كانت من الأسباب التي أدت إلى اعراض عدد كبير من المكتبات عن اكمال مشاريع الفهرسة بالنسبة لمخطوطاتها لمدد طويلة ، فقد أهملت مكتبة البودليان اصدار فهرس لمخطوطاتها العربية التي أودعت بها منذ عام ١٨٣٤ ، وظلت مجموعة المخطوطات العربية بجامعة كامبردج على النحو الذي أودعت به دون أن ترى النور . كما ان المئات من المجموعات الهامة كمجموعات الحرمين الشريفين ومجموعات اليمن وغيرها من مناطق العالم العربي لا زالت مجهولة دون ان تصدر لها أدوات الضبط المطلوبة .

ولقد اضطلع عدد من المستشرقين في أوربا بالذات خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمهام اصدار عدد من الفهارس المختصرة لأهم المجموعات التي تتمركز في المكتبات الأوربية الكبرى ، وهي وان تعرضت لانتقادات آنذاك نظراً لاقتصارها على أدنى العناصر الوصفية ، إلا أنها قد أدت الأغراض المنوطة بها فضلاً عن انها قد أتت على أكبر عدد من المجموعات المعروفة وعملت على ضبطها بالقدر الذي تحتاجه مكتبة اليوم .

ومن المنطلق نفسه كانت الفهارس المختصرة هي الوسيلة التي تم بها ضبط معظم المجموعات التي تتركز في دول العالمين العربي والإسلامي ، وهناك عدد من الكتابات النقدية التي تتعرض للكيفية التي صدرت بها بعض قوائم المخطوطات العربية المختصرة من حيث أنها كانت تأتي بايجاز على أهم العناصر الوصفية كالمؤلف والعنوان والتاريخ والموضوع دون ان تحلل وتقابل وتقارن ، ولكن عذر تلك المؤسسات التي أصدرت القوائم على مثل ذلك النحو كان دائماً يتلخص في أمرين :



أحدهما : الكثرة العددية للكتب المخطوطة .
والآخر : ضرورة الضبط من أجل الاستعمال والاستفادة .

ومن هنا فإننا نرى بأن الأولوية تتعلق بضرورة الضبط البيليوجرافي لهذه المصادر ، فلا يعقل أبداً أن تستمر مئات الآلاف من المصادر المخطوطة في حكم المجهول دون ان يعرف العالم عنها شيئاً ، ومن ثم يأتي دور التقنين بالنسبة لعناصر الوصف ، وما هي أهم العناصر الوصفية البيليوجرافية بالنسبة للمخطوط العربي ؟ والاجابة على هذا السؤال يمكن أن تطرح عدداً من العناصر التي لا يجب أن تتنازل عنها أية قائمة ، وهي في الغالب تستجيب لحاجات متعددة لدى من يستخدم هذه المخطوطات . أما درجات التحليل بالنسبة لهذه العناصر فلا يجب أن تتعدى الاغراض الايجادية أما المقابلة والتحقيق والمقارنة

والتحليل المطول فبجانب انها تفوق قدرات الغالبية العظمى ممن يعدون حالياً لمثل هذه المهمات ، فإنها مسئوليات يضطلع بها من يتولى تحقيق المخطوطات ونشر نصوصها

وقد نجانب الصواب اذا ادعينا بأن المحققين وناشري النصوص يلتزمون دائماً ويأخذون بالحقائق التي تبرزها الفهارس المطولة ، فهم غالباً ما يبنون نتائجهم بدراسات اضافية تتعدى كثيراً تلك التي تخلص اليها الفهارس البيليوجرافية المطولة .

ومن هنا فإننا من أنصار الفئة العملية التي تؤكد أدوار الفهارس أياً كانت على أنها أدوات ببليوجرافية ايجادية أهم أهدافها ان تصل القارىء بما يريد ، وذلك في اطار عناصر محددة للوصف تميز أوصاف المادة بشكل دقيق ، وتعطى

الفروق الكافية للتمييز بين النسخ العديدة للعمل الواحد .

ثم تبقى المشاكل التي تتعلق بعناصر الوصف البيبليوجرافي ؟ ما هي هذه المشاكل ؟ وكيف يمكن التغلب عليها

ولقد طرح الحلوجي (٥٥) عدداً من المشاكل ، وخص فيما يتعلق بعناصر الوصف ثلاث مشاكل رئيسية :

* **أولها** : مشكلة مداخل المؤلفين .
* **وثانيها** : مشكلة العناوين .
* **وثالثها** : مشكلة التاريخ .

واستعرض مشكلة المداخل وخاصة فيما يتعلق بالمؤلفين القدماء على أساس صعوبة تقنين استعمال اللقب باعتباره غير قابل للتعميم المطلق ، اذ من الممكن ان يشتهر المؤلف باسمه الحقيقي . كما يصعب الادخال بالاسم الحقيقي ، لأن في ذلك مضيعة للباحث الذي قد يجد أيضاً صعوبة في معرفة الاسم الحقيقي . كما ناقش قضية التفصيل في سرد اسماء المؤلفين ، مطالباً بوضع حدود مقننة لأغراض التوحيد كاعتماد الاسم الثلاثي مضافاً إليه اللقب أو الشهرة .

كما استعرض مشاكل العنوان وخاصة فيما يتعلق باشتهار المخطوط بغير عنوانه الأصلي ، وتعدد عناوين بعض المخطوطات ، ووجود أكثر من عنوان في نسخة المخطوط الواحد .

واستشهد بعدد من النماذج التي توضح هذه المشاكل الشاذة بالنسبة لعناوين المخطوطات العربية .

أما بالنسبة لمشكلة التاريخ ، فقد استعرض عددا من النماذج ابتداء من عدم وجود تاريخ للنسخة أو سقوطه ، إلى الكيفيات والنماذج التي طرح فيها ذكر التاريخ ، واستشهد أيضا بنماذج مختلفة توضح صعوبة هذا الأمر .

ويقيني أن حل هذه المشاكل بالإضافة إلى عدد آخر من المشاكل التي تتعلق بعناصر الوصف الببليوجرافي للمخطوطات العربية كالخط ، والمادة التي كتب عليها المخطوط ، والخطاط ، والحجم ، والسطور ، والبدايات ، والنهايات ، والتوضيحات ، والتذهيبات ، والتجليد ، والتوقيعات ، والأختام ، وغيرها من العناصر ، تتطلب جهوداً ذات شقين :

أولها : يتعلق بالتقنينات .
والآخر : يتعلق باصدار أدوات مساعدة .

ويجدر هنا أن نشير إلى أن مشكلة المخطوطات العربية ، هي مشكلة عربية ، ويجب أن تجد حلولها داخل الاطار العربي ، وضمن مؤسساته العلمية المتخصصة ، ومن يعملون فيها من الأكفاء . كما يجب الا نتوقع الحلول الناجعة من خارج الحدود العربية ، ذلك ان المخطوط العربي ينفرد بصفات أصيلة لا تتوفر في مثيله في اللغات الأخرى ، وهي صفات يستمرؤها العربي أكثر من غيره ، ونحن أجدر بتحليل تلك الصفات وابرازها كعناصر هامة تدخل في مكونات وصفه . وتلك هي الحقيقة الأولى التي يجب أن نقتنع بها .

أما بالنسبة للتقنينات ، فيجب أن تستجيب للعناصر التالية :

أولاً : التعريفات .
وهي التي تحدد بدقة تعريف المخطوط العربي بأشكاله ونماذجه المختلفة ، وتضع القواعد التي تحكم المجاميع وسائر أشكال المخطوطات العربية .

ثانياً : عناصر الوصف الببليوجرافي :
ما هي هذه العناصر؟
ودرجات ترتيبها في الوصف .

ثالثاً : القواعد التي تحكم تحديد وتسجيل عناصر الوصف المختلفة مثل :

المؤلف :
العنوان :
التاريخ :
الخط :
الحجم :

.... الخ .

وعند وضع هذه التقنينات يجب ألا ننسى الهدف العام الذي نصدر من اجله هذه الفهارس ، هل تتعدى أهدافنا وصف المادة الماثلة بين أيدينا إلى مقارنتها بما يتوفر لها من نسخ أخرى بحثاً عن النسخة الأصلية أو النسخة الأم . أم أن الفهارس أدوات ايجادية تنتهي بايصال الباحث إلى عمل ما في موقع ما . تلك استفسارات اساسية لا بد من الاجابة عليها قبل وضع التقنينات . والاجابة عليها لا يمكن أن تكون فردية ، كما يجب الا تكون بعيدة عن واقع المشاكل الأخرى التي تعترض طريق الضبط الببليوجرافي لهذه المصادر الأساسية في التراث العربي كارتفاع التكاليف ، وندرة الأيدي المؤهلة للقيام بهذه الأعمال ، وضخامة عدد المواد المراد ضبطها ، وحاجة الباحثين الملحة للتعرف على هذه المصادر والتنقيب فيها .

أما بالنسبة للأدوات المساعدة ، فإن الاتفاق على تقنينات موحدة سيؤدي حتماً إلى اصدار عدد من الأدوات المساعدة التي تسهل تطبيق التقنين وخاصة في مجالات مداخل المؤلفين ، والعناوين ، والتواريخ الخ ...

ففي حالة الاقتصار على الاسم الثلاثي مضافاً إليه اللقب أو اسم الشهرة يمكن أن تؤدي إلى وضع قائمة موحدة بالأسماء العربية تعتمد فيها ألقاباً موحدة ، تقبل كمداخل مقننة للأسماء العربية ، وتحل الاحالات مشاكل الاختلاف في قبول التقنين من بلد لآخر أو شخص لآخر .

كما يمكن وضع قوائم خاصة بالعناوين المعتمدة تحال اليها الأشكال الأخرى من العناوين سواء تلك التي اشتهرت بغير العنوان الأصلي ، أو التي تعددت عناوينها أو تردد لها أكثر من عنوان . وهذه وان تطلب تطبيقها بعض التعسف إلا أنها وسيلة للتوحيد ، والاحالات من مختلف أشكال العنوان إلى العنوان المعتمد يمكن أن تخفف من درجة التعسف ، وتستجيب لحاجات المستعمل .

أما التاريخ فمع تعدد مشاكله إلا أنه بالامكان وضع بعض الأدوات التي تخفف من حدة تلك المشاكل وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ رجوعاً إلى أحداث معينة كالفيل والطوفان وانهيار سد مأرب إلى غير ذلك من الأحداث ، فبالامكان تقدير سنوات محددة لتلك الأحداث توضع في جداول يمكن استشارتها عند تحديد تاريخ المخطوط . كما يجدر في الوقت نفسه ان نتساءل لماذا لا يوضع التاريخ بنفس الطريقة التي ذكر بها في المخطوط ؟ أليس في ذلك ما يميز نسخة عن أخرى ، ومن ثم نترك التحقيق في أمر التاريخ للمحقق الذي يهمه اكتشاف الأصول والامهات بالنسبة للمخطوط المراد تحقيقه .

ولعل آخر ما يمكن أن أضيفه في هذا البحث هو أن مئات المجموعات التي تشكل في مجموعها عشرات الألوف من المخطوطات لا زالت مجهولة ، وذلك على الرغم من وجودها في مكتبات عالمية ، وهي التي لم تستطع حتى يومنا هذا اخراج الفهارس المناسبة لها ، فضلاً عن ان العالم العربي والإسلامي لا زال يزخر بالآلاف من المخطوطات التي لم تجد النور بعد على

الرغم من انها جزء لا يتجزا من مكتبات كبيرة ومعروفة . أما المجموعات الخاصة التي لا تزال تحت أيدي الأفراد وهي — على ما أعتقد — من نوادر المخطوطات فإنها تشكل أساس تجارة اصطياد المخطوطات في الوقت الحاضر.

وما لم تتضافر الجهود المخلصة سواء من قبل المؤسسات الاقليمية المعينة أو المؤسسات العلمية المسئولة عن التراث في مختلف دول العالم العربي ، وتعمل على وضع الحلول الناجعة لمشاكل الضبط البيليوجرافي للمخطوطات العربية بطريقة عملية قابلة للتنفيذ ، فإن مستقبل هذه المواد لن يكون بأحسن من حاضرها حفظاً واستعمالاً .

قائمة المراجع

(١) كوركيس عواد . خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٨ ص ٤٢ — ٧٦ .

(١٧) صلاح الدين المنجد . معجم المخطوطات المطبوعة . بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢ ، ص ٧

(١٨) فيليب دي طرازي ، خزائن الكتب العربية في الخافقين . المجلد الثاني . بيروت ، دار الكتب . ١٩٤٧ .

(١٩) يوسف اسعد داغر ، فهارس المكتبة العربية في الخافقين . بيروت ، مطابع صادر زكاني ، ١٩٤٧

(٢٠) فؤاد سيزكين . تاريخ التراث العربي . نقل إلى العربية فهمي أبو الفضل . المجلد الأول ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١ ، ص ١ — ٩٢ .

(٢١) يوسف أسعد داغر . فهارس المكتبة العربية في الخافقين . بيروت ، مطابع صادر زكاني ، ١٩٤٧ ص ٩٥ .

(٢٣) كوركيس عواد . المكتبات العربية في دور الكتب الامريكية ، بغداد ، مكتبة الرابطة ، ١٩٥١ .

(٣٤) يوسف اسعد داغر . فهارس المكتبة العربية في الخافقين . بيروت ، مطابع صادر زكاني ، ١٩٤٧ .

(٣٥) فؤاد سيزكين — تاريخ التراث العربي . نقل إلى العربية فهمي أبو الفضل المجلد الأول . القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١ ص ١ — ٩٢ .

(٤١) صلاح الدين المنجد . فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس ، بيروت دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٩ .

(٥٢) دار الكتب الظاهرية . فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . وضعه يوسف العش دمشق ، المجمع العلمي العربي ، ١٩٤٧م .

(٥٥) عبد الستار الحلوجي . فهارس المخطوطات . الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية ، دمشق وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية ، ١٩٧٢ ؛ ص ٢٨٤ — ٣٠٠ .

2 — H. O. Serverance. " Three of the Earliest Book Catalogs.' Public Libraries. 10 (1905) 116-117.

3 — R. F. Strout. "The Development of the Catalog and Cataloging Codes. "Library Quarterly. 26 (October, 1956) 254-275.

4 — Edward Edward.s Memoirs of Libraries; Including a Handbook of Library Economy. New York : Burt Franklin. 1964. (Burt Franklin Bibliography & Reference Series 72) 2 Vols.

5 — Elmer D. Johnson. A History of Libraries in the Western Vorld. New York : Scarecrow. 1965.

6 — James Westfall Thomson. The Medieval Library. reprinted with a supplement by Blanche B. Boyer. New York : Hafner Publishing Company, 1967. p.p. 347 - 370.

7 — Alfred Hessel. A History of Libraries, translated, with supplementary material by Reuben Peiss. New Brunswick. N. J. Scarecrow, 1955.

8 — J. W. Clark. Care of Books. Cambridge, England : The University Press, 1909.

9 — Archer Taylor. Book Catalogues : Their Varieties and Uses. Chicago : The Newberry Library, 1957.

10 — Edward A. Parsons. The Alexandrian Library : Glory of the Hellenic World. New York : American Elsevier Publishing Company. 1967.

11 — F. J. Witty. "Pinakes of Callimachus." Library Journal. 28 (April, 1958, 132-136.

12 — N. R. Ker. ed. Medieval Libraries in Great Britain. 2nd ed. London : The Royal Historical Society, 1964.

13 — E. Savage. Old English Libraries. The Making. Collection and Use of Books During the Middle Ages. London : Metheson, 1911.

14 — Ernest Cushing Richardson. The Beyinning of Libraries. Hamden. Conn. : Archon Books, 1914.

15 — Olga Pinto. "Libraries of the Arabs During the Time of the Abbasides. "Pakistan Library Review. 2 (March, 1959) 44-72.

16 — D. M. Norris. A History of Cataloging and Cataloging methods 1100-1850 : With an Introductory Survey of ancient Times. London : Grafton, 1939.

22 — American Council of Learned Societies. Collections of

Arabic Manuscripts in the United States and Canada, first report of the Survey made in July 1950 by Mortimer Graves. Washington. D. C. : August 10, 1950

24 — Philip M. Hamer. A Guide to Archives and Manuscripts in the United States. New Haven. Conn. : Yale University Press. 1961. ....£££

25 — Mohammad el-Hadi. Arabic Resources in the United States. Dissertation. University of Illinois. Graduate Library School. 1964. pp. 79-100. ......

26 — Princeton University. Library. Descriptive Catalog of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library, Complied by Philip Bitti, Nabih Amin Aaris and Butrus Abdul Malik. Princetea : The University, 1938. ....

27 — Fred Schnurrer. Biblioteca Arabica. Halae, 1811.

28 — V. Chauvin. Bibliographic des ouvrabes arabes ou relatifs aux Arabes publies dans L'Europe Chretienne de 1810-1995. 12 Vols.. Liege, 1892-1909.

29 — Hammer Pergstall. Literaturgeschite der Arab Von ihre Beginne bis 24 Ende de X11. Vienn, H. St. Druck, 1850 - 1856. ....££££££

30 — Karl Brockelmann. Geschichte der Arabischen Literature. 2nd ed. Leiden : E. J. Brill, 1937 - 42.

31 — J. Gabrielli. Manuele de Bibliografia Musulmana Generale Rome, 1916. ....££

32 — H. Suter. Die Mathematiker und Astronomen der Arabs. Leipzig. 1900 ....££

33 — J. Sauvaget. Introduction al L'Histoire de L'Orient Musulman. Paris, Adrien - Maisonneuve. 1943.

36 — J. D. Pearson. Oriental Manuscript Collections in the Libraries of Great Britain and Ireland. London : The Royal Asiatic Society, 1954. ......

37 — F. C. Franis. "The Catalog of the British Museum; Oriental Printed Books and Manuscripts. " Journal of Documentation. 7 (1951) 170-183.

38 — G. Vajda. Repertoire des Catalogues et Inventaires de Manuscripts Arabes. Paris : Vente au Service de Publications du C. N. R. S. 1949.

39 — A. J. W. Huisman. Les Manuscrits Arabes dan le Monde:

Une Bibliograprie Des Catalogues. Leiden. E. J. Brill. 1967.

40 — J. D. Pearson. Oriental and Asian Bibliography; An Introduction .with Some Reference to Africa. London : Crosby Lockwood. c. 1966. pp. 80 - 81.

42 — Enno Littmann. A List of Arabic Manescripts in Princeton University Library. Princeton : The University Press, 1904

43 — M. TH. Houtsma. Catalogue d'une Collection de Manuscrits Arabes et Tures. Leiden, Holland : E. J. Brill, 1886.

44 — Nabih Amin Faris. A Demonstration Experiment with Oriental Manuscripts. New York : The H. W. Wilson Company. 1934. ......£££

45 — William Randall. A Detailed Catalog of the Arabic Manuscripts in the Anankian Collection of the Hartford Seminary Foundatiin. 1929. ......

46 — Philadelphia. Free Library. Oriental Manuscripts of the John Frederick Lewis Collection in the Free Library of Philadelphia. Philadelphia : The Library. 1937.

47 — Princeton University. Library Descriptive Catalog of the Carrett Collection of Arabic Manuscripls in the Princetin University Library Compiled by Philip Nitti. Nabih Amin Faris and Butrus Abdus Malik. Princetin : The University, 1938.

48 — Nabia Abbott. The Rise of the Nevah Arabic Script and its Kur'anik Development, with a full Description of the Kur'an Manuscripts in the Oriental Institute Chicago : University of Chicago Press. 1939.

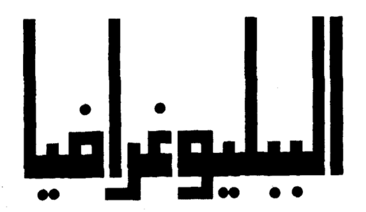
49 — U. S. National Library of Medicine. A Catalog of Incunabula and Manuscripts in the Army Medical Library. New York. Henry wchumar. Inc. 1948. pp. 297-329.

50 — Yale University. Library. Arabic Manuscripts in the Yale University Library, Compiled by Leon Memoy. New Haven. Conn. : Yale University Press. 1956. (Transactions of the Connectiut Academy of Arts and Sciences 40) pp. 1-273. ....££££££

51 — Wilhelm Ahlwardt. Verzeichmise der Arabischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek zu Berlin : A. W. Schade's Buchdt, 1887-99

53 — J. D. Pearson. "Oriental Libraries Today." International Library Review. 2 (January, 1970) 9.

54 — Yale University. Library, op. cit. p. 5.


الببليوغرافيا



دليل الرسائل العلمية

في



١٣٥٠ - ١٣٩٧هـ

إعداد: كمال محمد علي

لقد تقدم العالم لان مصادر معلوماته منظمة ولان الباحث يجد ضالته في وقت يسير مع توفير الجهد في عناء البحث عن المادة .

وفي عصر السرعة لا بد من التطور والتقدم والانجاز حتى تلحق الدول النامية بالدول المتقدمة .

وحيث ان الرسائل العلمية سواء على مستوى الدبلوم أو الماجستير أو الدكتوراه تعتبر عادة من ارفع مستويات الانتاج الفكري في أي بلد من البلدان .

ولكي نتبين معالم الطريق لا بد من حصر شامل ودقيق لهذه الرسائل في دليل ببليوجرافي يغطي المملكة العربية السعودية التي نحن بصدد تقديم هذا الجهد المتواضع للرسائل العربية التي تعرضت للسعودية وما يتعلق بالارض الطاهرة من مواضيع سواء بالطريق المباشر أو ذكرت ضمن رسائل اخرى وذلك منذ عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٧٧ .

وقد استخلصت هذه الرسائل من بعض المراجع مثل : —

* الدليل الببليوجرافي للرسائل الجامعية في مصر ١٩٢٢ — ١٩٧٤ المجلد الاول — الانسانيات الصادر عن مركز التنظيم والميكروفيلم بمؤسسة الاهرام بالقاهرة عام ١٩٧٦ .

* دليل مستخلصات رسائل الدكتوراة للاساتذة السعوديين اعداد كمال محمد على نشر العربي للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٧٩ .

* كلية دراسات الخليج والجزيرة العربية — أعداد مختلفة وكذلك بالاتصال بمكتبات الكليات لتغطية بقية الفترات التي لم تنشر عنها أدلة للرسائل التي انجزت .

وهنا يأتي الغرض من نشر هذا الدليل فهو يهدف الى القاء الضوء عن ما قدمته الرسائل من جديد في بحر المعرفة الزاخر كما يهدف الى الدراسة المتأنية من السادة العلماء والباحثين الذين يسيرون على الدرب حتى يتجنبوا التسجيل في مواضيع سبق مناقشتها وكذلك يطرقوا فترات تاريخية اخرى استكمالا لازمنة وردت .

وقد يرى المسئولون لهذا المسح فائدة عند حصر الكفايات العلمية بالمملكة للتركيز على مواضيع معينة تهم الخطة الطموحية التي تسير عليها سواء من الناحية الاقتصادية أو التعليمية أو الاجتماعية .

والله الموفق ومن وراء الجهد . ، ، ،

احمد ابراهيم الشريف

مدينتا الحجاز مكة والمدينة في العصر الجاهلي وعصر الرسول — القاهرة ، جامعة عين شمس ، كلية الاداب ، ١٩٦٣ .
٢٦٤ ص

(ماجستير)
شبه جزيرة العرب ، القبيلة العربية ، مدينة مكة ، نشأة مكة ، حكومة مكة وسياستها الداخلية ، قوة قريش الحربية وعلاقتها بالقبائل العربية ، علاقات مكة الخارجية ، الحج واثره ، الحالة الاقتصادية ، الحالة الاجتماعية ، استعداد العرب للنقلة وظهور الاسلام ، مدينة يثرب نشأة يثرب وسكانها ، التنظيم الداخلي والعلاقات بين السكان ، قوة يثرب وعلاقاتها الخارجية الهجرة وتأسيس الدولة الاسلامية ، الصراع بين المدينة وخصومها ، الصراع بين مكة والمدينة ، الصراع بين المسلمين واليهود والصراع بين المدينة والقبائل العربية .
(٤٧٠٧)

احمد بن خاطر بن احمد

تاريخ امين الامة أبي عبيدة بن الجراح — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨ .
٥٩ ص

(تخصص)
نسبة من جهد ابيه وامه ، اولاده ، حالته في الجاهلية والاسلام ، هجرته الى الحبشة ، الغزوات التي اشترك فيها مع الرسول ، الفتوحات التي قام بها ، اخلاقه وسيرته .
(٩٠)

احمد الربيحي

كثير عزه ، حياته وشعره — القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٦٥ .
٢٧٤ ص

(ماجستير)
النسب والبيئة ، النشأة والحياة ، الحب والعقيدة ، مصادر شعره ، موضوعات شعره ، الخصائص الفنية .

(٢٨٥٨)

احمد السيد سليمان

ترجمة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٩ .
٩٢ ص

(تخصص)
نسبة علي وبلاده ، زواجه بالزهراء البتول ، حياته بعد وفاة النبي (صلعم) ، موقفه مع ابي بكر ، براءته من دم سيدنا عثمان ، نشأة الخوارج وموقف علي منهم ، سبب خروجهم على سيدنا علي معجزة النبي بشأن الخوارج ، صفات علي الخليفة ، أثاره الادبية ، شعره ، نثره ، نهج البلاغة ، شيء من خطبة وكتابته وحكمه ، وكلامه ، علمه ، شجاعته وقوة ايمانه ، زهدة وتواضعه سياسته ، مقتله .
(٣٦١٦)

احمد عبد الاله عبد الجبار

دراسات انتروبولوجية لعادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية في ضوء المنهج المتكامل لعلوم الفولكلور. القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية دار العلوم ، ١٩٧٦ .

(ماجستير)

احمد عبد الحميد خفاجي

موقف مصر من الحجاز في عصر المماليك الجراكسة — الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية كلية الاداب ، ١٩٦٨ .
١٤٦ ص

(ماجستير)
سياسة مصر في بلاد الحجاز ، نظم الحكم الاداري والمالي والقضائي ، التزام مصر بكسوة الكعبة موقف سلاطين المماليك من الحج ، جدة كثغر تجاري في الحجاز ، العمارة في الحجاز ، الاصلاحات والمنشآت الدينية والمدنية والحربية في عهد قايتباي — الغوري .
(١٢٥٠)

احمد علي محمد شمس الدين

خلاصة تاريخية عن الخلافة الاسلامية — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون ، ١٩٣٩ .

١٠٩ ص

(تخصص)

الخلافة الاسلامية افتراق الدعاية لال البيت ، انتخاب الخليفة ، بيعة على رضى الله عنه ، مؤتمر السقيفة ، الخلافة ونظام الحكم ،نوع الحكم في الخلافة الاسلامية ، الخلافة والدين .

(٢٤٣٠)

احمد محمد حسب النبي

سيرة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، د . ت

(تخصص)

اول اعماله في الخلافة ، الفتوحات ، الفتوح في بلاد الروم ، عام الرمادة ، تواضعه نهاية حياته ، حظ ورثته من التقدم في عهده .

(٣٦٤١)

احمد محمد الحوفي

المرأة في الشعر الجاهلي — القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية دار العلوم ، ١٩٥٣ .

(دكتوراة)

المرأة في الحياة الاسرية ، الام ، الزوجة ، البنت ، الاخت ، حقوق المرأة المالية ، المرأة في الحياة العامة ، المرأة في الحرب ، السبايا والاماء ، اخلاص المرأة ، الشعور والحجاب ، المكانة العامة للمرأة ، ثقافة المرأة ، المرأة الشاعرة .

(٢٨٥٩)

احمد محمد صقر

تاريخ أبي بكرا صديق — رضى الله عنه — القاهرة ، جامعة الازهار — كلية اللغة العربية ، د. ت.

١٦٦ ص

(تخصص)

حالته في الجاهلية ، اسلامه ، صحبته ، وصيته لاسامة وجيشه ، فتح الحيرة ، فتوح الشام ، اخلاقه ، جمعه للقرآن .

(٨١)

احمد محمد عبدالله ابو السرور

ردة العرب بعد وفاة الرسول عليه السلام — القاهرة ، جامعة الازهر ، ١٩٣١ .
١١٦ ص

(تخصص)
ردة العرب حقيقتها في التاريخ ، اسباب الردة ، ردة كندة وحضرموت والشبلون ، مسيلمة الكذاب ، موقف مكة ، خطر الردة ، انقاذ جيش اسامة ، قتال المرتدين ، خالد بن الوليد وصلحه ، قتال البحرين .

(٨٢)

احمد محمد النجار

اساليب الصناعة في الشعر الجاهلي — الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٦٨ .
٥١٣ ص

(دكتوراة)
اساليب الصناعة في اغراض الشعر الجاهلي ، اساليب الصناعة الشعرية في نظام القصيدة الجاهلية .

(٢٨٦٠)

حمد مهدي الظواهري

تاريخ عثمان بن عفان — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، د. ت .
١١٥ ص

(تخصص)
نسب عثمان بن عفان ونشأته ، خلافته ، نظرة في بيت عثمان ، أهم الاعمال في صدر خلافته الفتوحات في عهده ، الفتنة واسبابها .

(٣٤٤٥)

اسماعيل حسن جعفر

امرؤ القيس — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٥ .
١٤٢ ص

(تخصص)
امرؤ القيس ومولده ، وفد بني اسد اليه ، منزلته الشعرية ، قصيدته اللامية وتحليلها ، اثره

في الادب العربي وتأثر الشعر به . ما اخذه العلماء على امريء القيس في شعره .
(٢٨٦٢ —

اسماعيل حسن جعفر

زعيم الشعراء في العصر الجاهلي — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ١٩٣٤ .
٣٨٠ ص
(تخصص)
اماكن نومه ، توليه حجر أبي امريء القيس الملك ، حركة ابيه ، استبعاده من القبائل ، اثر البيئة في شعره . اثره في الشعر والشعراء .
(٢٨٦١)

امية سليمان البسام

دور المرأة في تنمية المجتمع المحلي ، دراسة في منطقة الدرعية (المملكة العربية السعودية) الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٧٧ .
(ماجستير)

بشير احمد محمد علي

عصر الصديق رضى الله عنه — القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . د. ت .
١٨٠ ص
(ماجستير)
مولد الصديق ونسبه ، دور الصديق في الاسلام ، جهاده مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، القواعد العامة لسياسة الصديق ، حروب الردة .
(٨٣)

بشير محمود عبد البر

ادب الحرب في عصر الرسول والراشدين — الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٥٩ .
٣٣٤ ص
(دكتوراه)
حروب الرسول والراشدين وصلتها بالادب ، حروبهم داخل الجزيرة وخارجها ، حروب الفتنة الكبرى ، وصلة هذه الحروب بالنتاج الادبي ، القرآن والجهاد ، موقف القرآن من الحرب ،

التعبيرات الفنية للجهاد وبلاغتها ، الاحكام الفقهية وطريقة صيغتها ، الحديث والخطب والوصايا والمعاهدات ، الشعر الحربي في صدر الاسلام واثره في حياة المسلمين ، الدراسات التي نجمت عن ذلك الادب ، واثرها في المجتمعات الاسلامية ، دراسات المستشرقين .

(٤١٤)

توفيق علي برو

الترك والعرب في العهد الدستوري العثماني من ٩٠٨ — ١٩١٤ . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٠ .

٦٣٤ ص

(ماجستير)

العرب والترك قبل الانقلاب الدستوري ، عهد التنظيمات والادارة المركزية ، العرب والترك بعد الانقلاب الدستوري ، استبداد الاتحادين ونضال العرب في سبيل المساواة ضمن النطاق الاداري ، ثم استبداد الاتحادين ونضال العرب ضدهم في مجلس المبعوثين . العرب ومركزية الحكم في عهد الائتلافي وفي عهد الاتحاديين الثاني ، العرب والانقلاب الاجتماعي والسياسي الجديد .

(٣٣٩٥)

توفيق علي برو

العرب والترك في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٨ — القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الاداب ، ١٩٦٤ .

٣٦٨ ص

(دكتوراة)

عوامل الافتراق الداخلية ، نضال العرب والاحرار ، علاقة الشريف حسين بالترك ، عوامل الافتراق الخارجية وثورة الشريف حسين ، المفاوضات الانكليزية العربية ، اتفاقات الحلفاء لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، الثورة العربية .

(٣٣٩٦)

توفيق محمد الصغير

رسالة الخلافة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون ، ١٩٣٦ .

١٤٢ ص

(تخصص)

تعريف الخلافة لغة وشرعا . فهم المسلمين لمعنى الخلافة ، شعور العرب بضرورة الخلافة ، شروط أهل الاختيار ، كيفية اكتساب الخلافة ، التولية والاستخلاف ، شكل الحكومة في الاسلام مسئولية الخليفة ، اول اجتماع سياسي في الاسلام ، خطبة العرب .

(٢٤٣٢)

حامد احمد ابراهيم حجاج

حياة ام المؤمنين خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم . القاهرة ، جامعة الازهر كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨ .

١٤٩ ص

(تخصص)

الاقدام من قوم السيدة خديجة رضى الله عنها ، عبدالله بن الزبير ، مصعب بن الزبير ، عمر ابن خويلد ، عرض نفسها بالزواج من الرسول ، خطبة أبي طالب في حين العقد . حياتها مع الرسول بعد البعثة ، مكانتها عند الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢٧٦٨)

حسن طلعت ناظر

التنظيم الحكومي والاصلاح الاداري في المملكة العربية السعودية ، دراسة تحليلية . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٤ .

٣٧٠ ص

(ماجستير)

مرحلة تأسيس المملكة ، الاتجاه نحو التنظيم المحلي ، نظام المقاطعات ، نظام البلديات ، المراحل الثلاث من ١٩٢٦ — ١٩٧١ ، تنظيم مجلس الوزراء والوزارات . اعداد وتدريب الموظفين نظام الخدمة المدنية الحالي ، الرقابة والمتابعة .

(٨٦٤)

حسن علي خفاجي

التغير الاجتماعي في مدينة الرياض ، دراسة في علم الاجتماع الاحضري . الاسكندرية جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٦٥ .

٤٨٠ ص

(دكتوراه)

الرياض تاريخيا وجغرافيا ، مفاهيم التغير الاجتماعي ونظرياته الموجهة . التغير من الحالة الريفية الى الحالة الحضرية ، سكان مدينة الرياض في ظل الحياة الحضرية ، تغير نظام الاسرة

في مدينة الرياض ، التغير في مجالات الحياة الاجتماعية في مدينة الرياض .
(١٧٠)

حسين محمد حسين فضل

حياة محمد قبل البعثة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨ .
٨٦ ص
(تخصص)
البلاد العربية . نسب النبي ومولده وكفالة جده ، حرب الفجار ، تبشير التوراة والانجيل بالنبي ، العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي اقتضت بعثة الرسول ، حال الروم قبل البعثة الهند قبل البعثة ، البلاد العربية قبل البعثة ، دخول ابوي البني النار والبحث في ذلك .
(٢٧٥١)

حسني عبد الحليم اسماعيل

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٧ .
١١٦ ص
(تخصص)
فاطمة من ولادتها الى زواجها ، فاطمة زوجة ، مكانة فاطمة العلمية ، صفاة فاطمة الخلقية ، اولاد فاطمة .
(٢٧٦٧)

سالم حسن سالم

من جهاد النساء في الاسلام . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٩ .
٣٠ ص
(تخصص)
الجهاد في الاسلام ، المرأة والجهاد ، المرأة في صدر الاسلام ، نساء الانصار ، في غزوة بدر وأحد ، ام عمارة والقرآن الكريم . في حروب الردة .
(٢٧٥٤)

السيد ابراهيم الدسوقي

نظام التأمينات الاجتماعية للمملكة العربية السعودية ، دراسة تحليلية . القاهرة ، جامعة

القاهرة — كلية التجارة ، ١٩٧٤ .
٢٧٧ ص
(ماجستير)
نظام التأمينات الاجتماعية في المملكة العربية السعودية ، مشاكل تطبيق نظام التأمينات الاجتماعية بالمملكة ، العوامل التي تحدد امكانيات وطريقة تطبيق النظام .
(١٣٠٩)

شكري السيد الحلوي

المجتمع المكي في عصر النبوة . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٦٧ .
٧٢٢ ص
(دكتوراه)
المجتمع المكي قبل الرسالة النبوية ، مكة ومكانتها بين العرب ، الوثنية المكية ، الصراع بين الوثنية المكية والديانات السماوية ، المجتمع المكي بعد الرسالة النبوية ، الصراع بين الرسالة المحمدية والوثنية المكية في الدور السري والجهري ، الصراع الحربي بين الرسالة المحمدية والوثنية المكية ، تعاليم الرسالة المحمدية تسود مكة .
(١٢٦٦)

عبد الباقي علي نصر

البحرية الاسلامية في القرن الاول الهجري . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٧٢ .
٣٥٣ ص
(دكتوراة)
صلة المسلمين بالبحر في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، الامويون والبحرية الاسلامية ، الاسطول الاسلامي في شرق البحر المتوسط ، العلاقات التجارية والبحرية بين المسلمين وجيرانهم في البحر المتوسط والمحيط الهندي ، اثر دور الصناعة في ازدهار البحرية الاسلامية الطرق الملاحية والموانيء الاسلامية .
(١٢٦٨)

عبد الرحيم أبو بكر محمد احمد

الشعر الحديث في الحجاز سنة ١٩١٦ — ١٩٤٨ . القاهرة ، جامعة القاهرة ، كلية

الاداب ، ١٩٧٣ .
٣٣٨ ص

(ماجستير)

البيئة الحضارية ، الشعر في العهد العثماني التركي ، الشعر في عهد النهضة ، تيار التقليد والمحافظة ، الاتجاه التجديدي .

(٣٠٥٢)

عبد العزيز محمد عثمان

المجتمع العربي في عهد الرسول كما يصوره القرآن . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، د. ت.
١٩٩ ص

(ماجستير)

الحالة الاجتماعية ، الاديان السماوية ، العبادات المبتدعة ، الاسلام في جزيرة العرب ، مكة والدعوة الاسلامية ، الافاق الجديدة للدعوة الاسلامية ، قيام الدولة الاسلامية ، الصراع المسلح .

(١٢٧٠)

عبد العزيز محمود القط

فتح مكة واثره في انتشار الاسلام . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٧ .
١٢٩ ص

(تخصص)

حالة مكة قبل الفتح ، منشأ مكة ، السرايا والبعوث العسكرية ، سرية حمزة ، نقد معاهدة صلح الحديبة ، الاثر الديني والاجتماعي والسياسي لنقض معاهدة الحديبة .

(٢٧٧٠)

عبد العظيم احمد الغباشي

موقف القرآن الكريم من المنافقين وسياسة الاسلام فيهم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٤٦ .
٢١٩ ص

(دكتوراه)

المنافقون في غزوة احد ، المنافقون في غزوة بني النضير ، موقف المنافقين من الاعراب عام الحديبية، المنافقون في غزوة تبوك ، تكذيب الله للمنافقين في الاعتذار ، سياسة الاسلام في المنافقين .

(١٨٠٣)

عبد العليم عبدالله الشاذلي

سفارات الرسول الى ملوك العالم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ١٩٣٤ .
(تخصص)
حالة العالم عند ظهور الاسلام ويشمل على الحبشة ، الدولة الرومانية الشرقية عند ظهور الاسلام العرب عند ظهور الاسلام ، عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للسفارات ، آراء المؤرخين الاوربيين في الرسالة ، مناقشة هذه الآراء . ثبوت السفارات من الناحية التاريخية ، السفارات الثمانية ، اثر سفارات الرسول عليه السلام .

(٢٧٥٥)

عبد الغفور محمد محمد الششتاوي

رسالة في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ٢٩٣٦ .
١٣٣ ص

(تخصص)
نسب سيدنا محمد من جهة امة وابيه ، الحكمة في ولادته يتيما ، شق صدره ، تجارته ، قرانه السعيد ، اولاده ، بناء الكعبة ، تعريف الوحي ، فترة الوحي ، الدعوة سرا ، القرآن وقريش ، الاسراء والمعراج ، العبرة من الهجرة ، التشريع المكي ، غزوة بدر ، التشريع المدني ، ازواجه ، حجة الوداع .

(٢٧٥٦)

عبد الفتاح محمد خاطر

محمد صلى الله عليه وسلم سيد الواعظين . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٥ .
١٩٨ ص

(تخصص)
بيان حاجة الانسان الى الوعظ ، تطلع العقل الى بلوغ الكمالات ، تاريخ الوعظ ، وعظ

النبي عليه السلام ، العظة من معجزاته ، الادلة القرآنية .
(٢٧٥٧)

عبدالله على المبارك

الادب العربي المعاصر في الجزيرة العربية . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ .
١١١ ص
(ماجستير)
المراحل التاريخية للشعر في شرقي الجزيرة ، حركة الشعر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية الانواع الشعبية ، المضامين الشعرية ، الاغراض التقليدية ، المضمون الاجتماعي ، المضمون الوطني .
(٥٨١)

عبد المقصود السعداوي واعو

عرب الحجاز في القرن الاول . القاهرة ، جامعة الازهر ، كلية اللغة العربية ١٩٤٣ .
٢٠٩ ص
(تخصص)
غني الحجازيين ، اصطناع الشعر ، الحياة الاجتماعية ، الغناء ، النساء ، مواسم الحج ، ظرف الحجازيين ، غزل البادية ، غزل الحواضر .
(٥٨٤)

علي احمد علي الخطيب

وثنية العرب واثرها في الادب الجاهلي . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٧٠ .
٣١٣ ص
(ماجستير)
السامية والجزيرة ، أهم الادوار التاريخية للجزيرة الله والموت بعده ، الجن والملائكة .
(٥٨٨)

محمد جمعه حسنين

ادب الخوارج . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٤٤ .
٠٧٥‚١ ص

تخصص)

اخبار الخوارج ، ادب الخوارج ، مقومات الادب الخارجي ، اثر الخوارج في الادب .

(٤١٦)

محمد الحسيني خليل عواله

الدعوة الاسلامية في عهد النبوة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٦ .

٢٠٣ ص

(تخصص)

الدعوة الاسلامية بمكة وفي المدينة ، الجهاد والدعوة الاسلامية ، عوامل نجاح الدعوة الاسلامية في عصر النبوة .

(٢٧٥٩)

محمد عبد الحميد سيد البوسي

في حياة ام المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٥ .

١٩٣ ص

(تخصص)

أبو بكر الصديق ، ام الخير (والدةأبى بكر الصديق) اولاد أبي بكر ، نسبها مولدها تربيتها مكانتها عند الرسول ، حادثة الافك ، قصة اليتيم ، وفاة الرسول عليه السلام ، رواية الحديث تعبيرها ، وفاتها .

(٢٧٦٩)

محمد كمال الدين بن محمد ابو ريدة

الامومة عند العرب في الجاهلية . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٥١ .

٣٦٧ ص

(ماجستير)

الحياة القبلية ، العناية بالانساب في الجاهلية ، حد العائلة ومدى انطباقة على القبيلة العربية ، العادات ، الاسر ، الزواج الخارجي ، الامومة وصلتها بالعواطف والمشاعر عند العرب ، منزلة المرأة العربية في الجاهلية وصلتها بالامومة .

(٨٠٢)

محمد شحاته المزار

حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها . القاهرة ، جامعة الازهر كلية اصول الدين ، د. ت .
٧٠ ص

(ماجستير)

مولد الرسول ، زواج النبي عليه السلام ، اولاده ، بناء الكعبة ، بدء الوحي ، الجهر بالتبليغ ، هجرة النبي وابي بكر الصديق الى المدينة ، مثل من اخلاقه قبل البعثة ، فضائله الاجتماعية ، معجزاته .

(٢٧٦٥)

محمد عبدالسميع جاد

الوفود في العهد النبوي واثرها في الدعوة الاسلامية . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين .
١٩٧٤ .
٣٤٧ ص

(دكتوراه)

وفود الانصار وطلائع ظهور النور بالمدينة ، الوفادة الاولى لهمدان ، دراسة نتائج وفود ما قبل الهجرة واثره ، الوفود بعد الهجرة وقبل الفتح ، وتشمل وفود السنة الخامسة والسادسة والسابعة ، وبعد الفتح وتشمل السنة التاسعة والعاشرة . دراسة نتائج وفود هذه المرحلة وفسادات الجن وموقفهم من الدعوة الاسلامية ، أهم وسائل نشر الدعوة الاسلامية في العصر الحاضر في ضوء الوفود .

(٢٧٦٤)

محمد احمد البيومي

سيدنا محمد في ابداعه الادبي . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ،
١٩٦٦ .
٣٥٢ ص

(دكتوراه)

النص النبوي ثابت مكين ، طابع الحديث الصحيح يدل عليه ويحتم الاستشهاد به ، القرآن استاذ محمد ، محمد صلى الله عليه وسلم خطيبا ، موقف النبي من الشعر والشعراء ، رسائل محمد ونصوص معاهداته ، الانصوصة في ادب الرسول ، صور القيامة في أدب محمد ، تأثير

حديث المعراج في الادب العالمي . الابتهال . سمات الاسلوب النبوي . نماذج من التفسير النبوي للقرآن . بين اعجاز القرآن وابداع الحديث . محمد الاديب .
(٢٧٥٨)

هاشم حامد مذكور

تاريخ فتح مكة . القاهرة ، جامعة الازهر ــ كلية اللغة العربية ، ١٩٣٩ .
١٢٦ ص
(تخصص)
مكة قبل الفتح . عوامل الفتح غير المباشرة ، الفتح اثر فتح مكة في انتشار الاسلام .
(٢٧٧١)

يوسف صلاح الدين عبد السلام

دراسة وترجمة وتحقيق للسيرة النبوية في مخطوط روضة الصفا . القاهرة ، جامعة القاهرة ــ كلية الاداب ، ١٩٧٤ .
٦٥١ ص
(دكتوراة)
(٢٧٦٦)

حمدي ابراهيم عبدالله

الامامة في الفرق الاسلامية حتى القرن الثالث الهجري . القاهرة ، جامعة القاهرة . كلية الاداب ، ١٩٦٨ .
١٦٩ ص
(ماجستير)
معنى الامامة ، حاجة المسلمين للامام آراء الفرق ، آراء الخوارج . آراء المعتزلة اهل السنة والجماعة ، الامامة والسياسة ، حكومة الرسول والامامة ، المبادىء الديمقراطية في الامامة السنية .
(٢٤٣٣)

خلقي محمد سعيد حنفي

عمرو بن العاص واثره في الحرب والسياسة . القاهرة ، جامعة الازهر ــ كلية اللغة

العربية ، ١٩٧٣ .
٧٤٤ ص

(دكتوراة)

عمرو بن العاص قبل الاسلام

في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم
في عصر أبي بكر
في عصر عمر
في عصر عثمان
في عصر على ومعاوية

(٣٦٥١)

درويش مصطفى المحلاوي

تاريخ عمر بن الخطاب . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٩ .
١٩٢ ص

(تخصص)

اخلاق عمر ، تأثر عمر بذكر الله والقرآن ، طواف عمر علي الناس ليلا ، نصحه لرعيته ، الصدقات والغنيمة ، كرامات عمر ، زهده ، عمر والشوري ، مقتل عمر ، وصايته لمن يخلفه .

(٣٦٤٢)

سعود عبد العزيز زبيري

توطين الصناعة والتنمية الاجتماعية ، دراسات ميدانية لبعض المناطق الصناعية بالمملكة العربية السعودية . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٤ .

(دكتوراة)

السعودي عبد المقصود ابراهيم العجمي

الدعوة الاسلامية بين سياسة عمر وعثمان . القاهرة ، جامعة الازهر ، كلية اصول الدين د . ت .
٢٣٥ ص

(دكتوراه)

سياسة عمر واثرها في الدعوة الاسلامية . عمر وصفاته واثر الاسلام في انتشار الدعوة . عمر بعد اسلامه حتى موت الصديق وعلاقة ذلك بالدعوة الاسلامية . اسباب انتهاج عمر وعثمان سياسة الفتح . فريد انتشار الاسلام بحد السيف . الحياة الاجتماعية في عصر عمر وتأثرها بالدعوة الاسلامية . سياسة الحزم في اجتهاد عمر . سياسة القضاء والحسبة . سياسة التسامح في معاهدات عمر .

(٢٤٥٣)

سلمان عبد الغني مالكي

مرافق الحج والخدمات الحديثة في الاراضي الاسلامية المقدسة . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٨ .

(ماجستير)

السيد احمد محمد حسب الله

مكتبات البترول في المملكة العربية السعودية وامكانات التعاون الفني بينها . القاهرة جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٥ .

(ماجستير)

سيد احمد محمد يونس

المملكة العربية السعودية وسياستها الخارجية من ١٩٥٣/٢٤ . القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الاداب . ١٩٧٥ .

(دكتوراه)

صلاح الدين محمد علي دبوس

الخليفة ، توليته وعزله ودراسة في السياسة الشرعية الاسلامية ومقارنتها بالنظم الدستورية الغربية . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الحقوق ، ١٩٧٢ .
٤١٦ ص

(دكتوراة)

التعريف بالخلافة واركانها ، مفهوم الخلافة بين التعدد والوحدة والتضيق والتوسع ، طبيعة الخلافة ، تولية الخليفة في المذاهب الاسلامية ، التحليل الشرعي المقارن للتولية ، الاساس الشرعي ، الالتزام بعقد التولية ، النتائج المترتبة على الاخذ بفكرة العقد .

(٢٤٣٤)

عبد الباقي حسن بلال

حياة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . القاهرة ، جامعة الأزهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٩ .
١٥٠ ص

(تخصص)
عمر منذ ولد الى ان تولى الخلافة — عمر بن الخطاب خليفة من خلفاء المسلمين ، عمر وسياسته الداخلية ، مقتل عمر .
(٣٦٤٣)

عبد الرحمن صادق الشريف

مدينة الرياض ، دراسة في جغرافية المدن . القاهرة ، جامعة عين شمس ، كلية الاداب ، ١٩٧٣ .
٣٧٥ ص

(دكتوراة)
العوامل الطبيعية والبشرية التي اثرت في وجود المدينة وتطورها ، الموقع والمناخ وتأسيس مدينة حجر وازدهارها زمن حسم وفي ظل بني حزينة ، نمو الرياض في العصر الحديث ، نمو السكان في الرياض ، توزيع سكان الرياض وتركيبهم ، الاستعمالات الوظيفية في الرياض .
(٢١٦٦)

عبد الرحمن عبد العزيز القاسم

النظام القضائي الاسلامي ، مقارنا بالنظام القضائية الوضعية وتطبيقة في المملكة العربية السعودية . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الحقوق ، ١٣٨٩ هـ .
٨٩٣ ص

(دكتوراه)

عبد الرحمن عبدالله عبد العزيز الفوزان

دراسة تحليلية لتسويق بعض الزروع الخضرية والفاكهية في المملكة العربية السعودية القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الزراعة ، ١٩٧٧ .

(ماجستير)

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الدولة السعودية الاولى ١٧٤٥ م — ١٨١٨ م ١١٥٨ هـ — ١٢٣٣ هـ . القاهرة جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ .
٣٥٠ ص

(ماجستير)
اقليم نجد الارض والسكان ، محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية . الدولة السعودية وتوحيد نجد ، ضم الاحساء ، التوسع السعودي في الخليج وعمان ، آل سعود والحجاز ، آل سعود واليمن ، تطلع آل سعود الى العراق والشام ، نظم الحكم والاداراة ، العلاقات الخارجية للدولة السعودية الاولى ، استرداد الحجاز من آل سعود . حملة ابراهيم باشا وانهيار الدولة السعودية الاولى .

(٢٦٤١)

عبد السلام قاسم مصطفى

سياسة الصديق واثرها في دعم الوحدة الاسلامية . القاهرة ، جامعة الازهر ، كلية اللغة العربية ، د . ت .
٥٥٢ ص

(دكتوراه)
نشأة الصديق وصفاته ، ابو بكر قبل الاسلام ، اسلامه مع النبي قبل الهجرة ، في الهجرة ، في المدينة ، الخليفة ، سياسة ابي بكر مع مانعي الزكاة وسياسته مع المرتدين ، سياسته مع طليحة ومسيلمة الكذاب ، سياسته مع خالد بن الوليد ، سياسته مع بقية المرتدين ، سياسته في جمع القرآن ، سياسته في الحكم ، سياسته مع دولة الفرس والروم .

(٨٤)

عبد السلام قاسم مصطفى

عمر بن الخطاب ، سياسته واثرها في مستقبل الدول الاسلامية . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٧٢ .
٤١٨ ص

(ماجستير)
الاسلام وعمر ، عمر قبل الاسلام ، عمر في عهد الرسول ، عمر في عهد ابي بكر الصديق ، مؤامرة الغدر ، سياسة عمر بن الخطاب ، سياسة عمر في مستقبل الدولة الاسلامية .

(٣٦٤٤)

عبد العال فرغلى حسنين

على بن ابي طالب . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٣٦ .
١١٢ ص

(تخصص)
الامام علي — اسمه — كنيته — لقبه ، بلاغته ، اعماله ، مقتله ، الطعن فيه شبة الطاعنين .
(٣٦١٧)

عبد العزيز احمد سلام

خلافة عثمان . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اصول الدين ، ١٩٣٥ .
١٢٧ ص

(تخصص)
الخلافة وشروطها ، آراء اهل المدينة في الخلافة ، بيعة ابي بكر ، ديمقراطية ، نوع الحكم في الخلافة ، عثمان من مبدأ ولادته الى أن ولى الخلافة ، الفتح الخارجي ، اختلاف الناس في القرارات ، وجمع المصحف ، ظهور الفتنة ، حصار عثمان ومقتله ، حضارة الدولة في عهد عثمان .
(٣٤٤٦)

عبد العزيز العلي الصالح النعيم

نظام الضرائب في الاسلام ومدي تطبيقه في المملكة العربية السعودية مع المقارنة . القاهرة ، جامعة القاهرة ، كلية الحقوق ، ١٩٧٤ .
٦٤٧ ص

(دكتوراه)

عبد العزيز غنيم عبد القادر

موقف على من الخلافة . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، ١٩٦٩ .
٢٢٨ ص

(ماجستير)
القرآن والسنة ونظم الحكم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، النبي صلى الله عليه وسلم وتولى شئون الحكم بعد وفاته ، الهاشميون يستشرفون للخلافة ، الانصار ومؤتمر السقيفة ، على وبيعة أبي بكر ، علي وبيعة عمر ، مجلس الشوري ، سياسة عثمان واثرها في الجماعة الاسلامية

بين عثمان ومعارضيه وموقف علي منهما . استخلاف علي . المدينة وقت البيعة . ابن ضيف والقتال في البصرة . علي ومعركة الجمل . من الجمل الى صفين . قضية التحكيم . حركة الخوارج . نهاية حكم علي .

(٣٦١٨)

عبد العزيز بن محمد بن عبدالله الفيصل

شعراء بني قشير في الجاهلية والاسلام حتى آخر العصر الاموي . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . ١٩٧٨ بحلوان .

(دكتوراه)

عبد العزيز محمد علي شرشر

فتوح عمر بن الخطاب واثرها في حضارة العرب . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . ١٩٣٣ .

(تخصص)

فتح بلاد الفرس . فتح الجزيرة . فتح الشام . فتح مصر . المدينة الاسلامية . مقتل عمر .

(٣٦٤٥)

عبد العظيم السيد عبد الرازق

مكة قبل الاسلام . القاهرة . جامعة الازهر . كلية اللغة العربية . ١٩٣٦ .

١٢٩ ص

(تخصص)

نزول اسماعيل في مكة . الحالة الدينية في مكة . الحالة السياسية في مكة . الحالة الاجتماعية في مكة .

(٣٤٩٤)

عبد العظيم محمود الديب

فقه امام الحرمين عبد الملك عبدالله بن يوسف الجويني . القاهرة . جامعة القاهرة كلية دار العلوم . ١٩٧٥ .

(دكتوراه)

عبد العليم علي عبد الوهاب ابو هيكل

العلاقات بين عبد العزيز بن سعود وجماعة الاخوان ١٩١٢/١٩٣٠ . القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الاداب ، ١٩٧٦ .

(ماجستير)

عبد الفتاح حسن أبو عليه .

تطور المجتمع السعودي في عهد الملك عبد العزيز آل سعود في سنة ١٩٠١ — ١٩٥٣ م القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الآداب ، ١٩٧٣ .
٤٤٤ ص

(دكتوراه)

المجتمع النجدي عند دخول عبد العزيز نجد . المجتمع الاحسائي واثر كل من الاتراك ، والوهابيين عليه . المجتمعات الحجازي والسعودي وعلاقتها بالاتراك والوهابيين ، عوامل التفكك في المجتمعات السابقة ومشاكل البدو والحضر . ابن سعود واستيلائه على السلطة وقيام حركة الأخوان ، توحيد أجزاء الدولة السعودية الجديدة ، البترول وتطور الحياة الاقتصادية في الدولة السعودية ، التطور العلمي والعمراني في البلاد السعودية ، أجهزة الدولة الحديثة ، تقييم شخصية بن سعود .

(٢٦٤٣)

عبد الفتاح حسن أبو عليه

الدولة السعودية الثانية ١٨٤٠ — ١٨٩١ م ١٢٥٦ — ١٣٠٩ هـ القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٦٨ .
٢٩٩ ص

(ماجستير)

الامام فيصل بن تركي وفترة حكمه الاولى ، نجد في اعقاب الحكم المصري ١٨٤٠ — ١٨٤٣ م ، ١٢٥٦ — ١٢٥٩ هـ ، حكم فيصل بن تركي للمرة الثانية ١٨٤٣ — ١٨٦٥ م ١٢٥٩ — ١٢٨٢ هـ ، العلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية في عهد الامام فيصل ١٨٤٣ — ١٨٦٥ م — ١٢٥٩ — ١٢٨٢ هـ ، عهد الفتن والفوضى في الدولة ١٨٦٥ — ١٨٩١ م — ١٨٨٢ — ١٣٠٩ هـ ، العلاقات الخارجية للدولة في الفترة ١٨٦٥ — ١٨٩١ م — ١٢٨٢ — ١٣٠٩ هـ انظمة الحكم والادارة في الدولة ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة

(٢٦٤٢)

عبد الفتاح عبد الرحمن الجوهري

رسالة في الخلافة الاسلامية . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون د . ت
٨٩ ص

(تخصص)
نبذه من تاريخ الخلافة الاسلامية ، الشروط المعتبرة فيمن يولي الخليفة ، انعقاد الامامة باستخلاف الامام وعهده ، ما يجب على الخليفة للمسلمين . الشوري والخلافة الاسلامية . تأثير الخلافة في اصلاح العالم الاسلامي .

(٢٤٣٥)

عبدالله آل مبارك

ادب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة . القاهرة ، جامعة عين شمس — كلية الاداب
١٣٨٩ هـ

(دكتوراه)

عبدالله عيسى برعي

تاريخ الامام علي بن ابي طالب . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية
١٩٣٧ .
١٦٨ ص

(تخصص)
على قبل اسلامه — على منذ أسلم الى ان ولى الخلافة ، الخلاف بينه وبين معاويه ، الخوارج والشيعة ، نهاية على ، اخلاق على وصفاته .

(٣٦١٩)

عبدالله يوسف الشبل

تاريخ نجد في مخطوط الفاخري . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية كلية الاداب ،
١٩٧٧

(ماجستير)

عطية محمد الدبيهي

تاريخ سيدنا عثمان رضي الله عنه . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية ، د .

ت .
١٧٦ ص

(تخصص)

الخطبه . نسبه . صناعته ومكانته في قومه . اسلامه وصحبته . خبر الشوري وخلافه عثمان . اول اعماله في خلافته . اول خطبة له . عزل المغيرة بن شعبة وتوليه سعد بن ابي وقاص . فتوحاته اهم الحوادث في عصره . آثاره في الخلافة . جمع القرآن . اخبار الفتنة ومقتل سيدنا عثمان ما أنكره الناس على سيدنا عثمان والاعتذار عنه . صفه عثمان . ازواجه واولاده . الحالة الاجتماعية في عصره .

(٣٤٤٧)

علي بن حسين السلمان

علاقة مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٠
٣٤٠ ص

(ماجستير)

العلاقات السياسية
العلاقات الدينية
العلاقات الاقتصادية
العلاقات الاجتماعية والثقافية

(٤٦٣٦)

علي بن حسين السلمان

النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية اواخر العصور الوسطى . ١٢٥٠ — ١٥١٧ م القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٥

(ماجستير)

علي معتوق عبدالله القط

الحجاز في القرن الثامن عشر . القاهرة . جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية . ١٩٦٩
٢٣٢ ص

(ماجستير)

امارة مكة قبل الحكم العثماني ، العثمانيون والحجاز — الحجاز في القرن الثامن عشر ، صراع الامراء في القرن الثامن عشر . حملة على بك الكبير على الحجاز . امارة مكة في عهد الشريف سرور وغالب ، استيلاء الوهابيين على الحجاز . الحجاز والتنافس التجاري في الهجر الاحمر نهاية عهد . الحالة الاجتماعية والاقتصادية

(٢٦٤٤)

عواطف فيصل بياري

الاتصال الثقافي كمتغير اساسي في النمو الحضري ، دراسة ميدانية على عينتين بالمجتمع السعودي من سكان مدينتي مكة وجده . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٥
(ماجستير)

فائق بكر الصواف

تاريخ الحجاز في العصر الحديث . القاهرة ، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية
١٩٧٤
جزآن

(دكتوراه)
الحجاز يدخل تحت السياسة العثمانية ، الحجاز الجغرافي ، الملابسات التي تولى فيها عبد الحميد العرش ، الدولة العثمانية تستعين بالحجاز في قمع ثورة الدريسي ، الحجاز يتزعم ثوره عربيه على الدولة العثمانية ، الاجراء الاولى للثورة ، بلاغ السلطات العثمانية في دمشق من اندلاع الثورة في الحجاز . انتصارات الجيش الحجازي

(٢٦٤٥)

فاروق شاكر خضر السيد

المياه الجوفية في المملكة العربية السعودية واثرها على الانتاج الزراعي . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية ، كلية الاداب ، ١٩٧٣
١٩٢ ص

(ماجستير)
المياه الجوفية في المملكة ، المناخ ، تضاريس المملكة وجيولوجيتها ، الخزانات الصخرية ، العيون والابار في المملكة ، اثر المياه الجوفية على الانتاج الزراعي في المملكة ، الوضع الزراعي الحالي في المملكة ، أهم المشاريع الزراعية المعتمدة على المياه الجوفية ، المحافظة على الثروة المائية وامكانية التوسع الزراعي

(٢٠٦٩)

كمال السيد درويش

محمد بن عبد الوهاب والدعوة الوهابية . الاسكندرية ، جامعة الاسكندرية — كلية الاداب ، ١٩٥٨
٢٦٥ ص

(ماجستير)
الحالة قبل ظهور الدعوة ـ طبيعة بلاد العرب واثرها ، حالة الركود والتأخر ، حالة العالم الاسلامي قبل ظهور الدعوة ، طبيعة بلاد العرب واثرها ، حالة الركود والتأخر ، حالة العالم الاسلامي من الناحية الدينية ، الحاجة الى الاصلاح ، محمد بن عبد الوهاب ، حياته قبل انتقاله وبعد انتقاله الى الدرعيه ، نشر الدعوة ، وفاته ، الدعوة الوهابية ، التوحيد ، الشرك ، الجهاد ، الاجتهاد ، الدعوة المضادة ، صلة الدعوة الوهابية ببعض الحركات الاسلامية ، كيف اثرت الدعوة في غيرها ، كيف تأثر بها العالم الاسلامي ، اثرها في الطريقة التيجانية ، الطريقة السنوسية ، الحركة المهدية ، اثرها في اليمن ، اثرها في الهند ، اثرها في مصر .
(٥٢٦٨)

محب الدين أحمد أبو صالح

مناهج التربية الدينية الاسلامية للصف الاول الثانوي في الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، دراسة تحليلية ، القاهرة جامعة عين شمس — كلية الاداب ، ١٩٧١

(ماجستير)
التربية الدينية اسسها الاجتماعية والفلسفية النفسية ، تطور مناهج التربية الدينية للصف الاول في الدول الثلاث ، تقويم مناهج التربية الدينية للصف الاول في الدول الثلاث ، دراسة تحليلية مقارنة ، التربية الدينية الاسلامية وكتبها .
(٤٤٣٢)

محمد ابراهيم شعيب

حياة العرب ، الاجتماعية — العقلية — الدينية قبل الاسلام . القاهرة ، جامعة الازهر كلية اللغة العربية ، ١٩٣٨
١٢١ ص

(تخصص)

أصل العرب وطبيعة بلادهم . الحالة الطبيعية لبلاد العرب . بدو العرب وحضرهم . العلاقة بين العرب والامم الاجنبية . احوال العرب . الوثنية وتاريخها في بلاد العرب . الاسباب الاجتماعية والاقتصادية . حالة البلاد العربية قبل البعثة . حالة مكة على وجهه الخصوص قبل البعثة . أثر هذه التعاليم في العرب

(٣٤٩٦)

محمد احمد جوده

حياة سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اصول الدين . ١٩٣٥

٩٠ ص

(تخصص)

خطبة الرسالة — واجب الامام — نسب الامام على صفاته الخليفة . فتنة عثمان — الحكم على علي — بعد قتل عثمان — وقعة الجمل — وقعة صفين — التحكم — اجتماع الحكمين عبد الله بن عباس والخوارج) مقتل الامام علي — سبب قتله .

(٣٦٢٠)

محمد احمد حميد الرويني

الانتاج الغذائي في المملكة العربية السعودية . القاهرة . جامعة القاهرة . كلية الاداب . ١٩٧٨

(ماجستير)

محمد احمد رشوان غزالي

بعثة العلاقة السياسية بين الرومان والعرب في الجاهلية وعصر الرسول . القاهرة . جامعة الازهر . كلية اللغة العربية . ١٩٣٣

٥٥ ص

(تخصص)

الغساسنة . اليمن . مع النبي عليه السلام .

(٣٤٩٧)

محمد أحمد مرسي

تاريخ ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . د.ت
٨١ ص

(تخصص)
مولد ابي بكر . سبب اسلامه . في حديث الغار وما جرى بعد في ثبوت صحة الكتاب . آستتباب ابي بكر . الكلام على الردة . والمؤمنين . انقاذ جيش اسامة . جمع القرآن في مناقب ابي بكر .

(٨٥)

محمد احمد موسى

في حياة أبي بكر واثاره في الاسلام . القاهرة . جامعة الازهر — كلية اللغة العربية . د. ت .
١١١ ص

(تخصص)
حال العرب في الجاهلية . اخلاق العرب وعاداتهم . حالته الاقتصادية . هجرته مع النبي الى المدينة . حكمته عن الخلافة الاسلامية . أبو بكر واسامة بن يزيد . وصية ابي بكر لعمر . رثاءه . في حالة ابي بكر الاجتماعية . في مناقب ابي بكر . العظمة من اسلامه .

(٨٦)

محمد البلتاجي حسن

منهج عمر بن الخطاب في التشريع . القاهرة . جامعة القاهرة . كلية دار العلوم . ١٩٦٦
٤٥١ ص

(ماجستير)
اثبات النصوص وروايتها . تطبيق النصوص الخاصة . الزواج والطلاق . الميراث . ما ليس فيه نصوص خاصة

(٣٧١٢)

محمد حسن الغلبان

الخلاف بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما . القاهرة . جامعة الازهر . كلية اللغة العربية . ١٩٣١
١٥٦ ص

(تخصص)
موقف معاوية بن ابي سفيان . دماء علي . نظره في أمر الرسل — اجتماع الحكمين . شأن

الخوارج مع علي

(٣٦٢١)

محمد رأفت عثمان محمد درويش

الامامة العظمى في الفقة الاسلامي . دراسة مقارنة . القاهرة . جامعة الأزهر . كلية الشريعة . ١٩٧٠
٤١٦ ص

(دكتوراه)

الحكم عند العرب قبل الاسلام . الامامة العظمى . شروط الامامة . العلاقة بين الامة والامام الاعظم . طبيعة نظام الامامة العظمى .

(٢٤٢٧)

محمد فؤاد عبد العزيز

رسالة في الخلافة . القاهرة . جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون . ١٩٣٧
١٤٤ ص

(تخصص)

حكم الخلافة وشروطها . صيغة المبايعة . شروط أهل الاختبار . حكم العهد للاقارب . الحكومة الاسلامية نوع نظامها . الشوري في الاسلام . مسئولية الخليفة .

(٢٤٣٨)

محمد محمد الغنيمي

العلاقة السياسية بين الفرس والعرب الى آخر عصر الرسول . القاهرة . جامعة الازهر كلية اللغة العربية . ١٩٣٤
٨٥ ص

(تخصص)

العلاقة السياسية بين الاثنين الى نهاية الدولة .
العلاقة بين الاكاسرة والعرب الى اوائل عهد الرسول .
العلاقة بين الاكاسرة والعرب الى عصر الرسول .

(٣٤٩٨)

محمد محمود أحمد محمدين

الجغرافية الزراعية لاقليم نجد بالمملكة العربية السعودية . الاسكندرية . جامعة الاسكندرية — كلية الاداب . ١٩٧٧

(دكتوراه)

محمد محمود الديب

المساجد التذكارية في المدينة المنورة . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٧٠

(ماجستير)

محمد مرسي عبدالله

الخلافة بين الدولة السعودية الاولى وعمان بين ١٧٩٣ . ١٨١٨ م . القاهرة . جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٦٥
٢٢٧ ص

(ماجستير)
اقليم عمان . الدولة السعودية الاولى امتدادها . الامارات والسلطنات العربية المعاصرة للنفوذ السعودي في عمان . امتداد النفوذ الوهابي في عمان . موقف الانجليز في الهند من النفوذ السعودي في عمان . الصراع بين سلطنة مسقط والسعوديين في البرجي . زوال الدولة السعودية الاولى واثره في عمان

(٢٦٤٦)

محمد مصطفى شاهين

الخلافة في الاسلام . القاهرة . جامعة الازهر — كلية الشريعة والقانون . ١٩٣٧
٨٥ ص

(تخصص)
تعريف الخلافة ونشأتها . الخلافة عند الفقهاء . الخلافة عند الفلاسفة . شروط الخليفة . من ينصب الخليفة ويعزله . حكم الخلافة . الخلافة في العصور السابقة . الخلافة والسلطة التنفيذية في العصور الحديثة الخلافة الاسلامية ضرورة لازمة

(٢٤٣٩)

مديحة احمد درويش

العلاقات السعودية المصرية . القاهرة . جامعة القاهرة ، كلية الاداب ، ١٩٧٨
(ماجستير)

مصطفى عبد اللطيف جياووك

المرأة في الجزيرة العربية في القرن الاول الهجري . دراسة ادبية . الاسكندرية . جامعة الاسكندرية — كلية الاداب . ١٩٧٥
(دكتوراه)

مصطفى محمد حلمي

فكرة الامامة عند أهل السنة والجماعة . الاسكندرية . جامعة الاسكندرية — كلية الاداب . ١٩٦٧
٣٧٦ ص
(ماجستير)
نظام الحكم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، خلافة ابي بكر الصديق ، خلافة عمر بن الخطاب ، خلافة عثمان بن عفان ، خلافة علي بن ابي طالب ، الخوارج ، موقف أهل السنة من النظريات الشيعية في الامامة ، أهل السنة الاوائل ، المذهب السلفي في صورته الاخيرة ، نظرية الخلافة في دورها الاخير .
(٢٤٤٠)

المملكة العربية السعودية .. في

الوحدة العربية بين فكرة انشاء الدولة العربية الموحدة ونظام جامعة الدول العربية ، اعداد أحمد طربين . القاهرة ، جامعة الدول العربية — معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٥٧
٣٧٢ ص
(ماجستير)
مشروع الدولة العربية الموحدة بين اوربا والعرب حتى تسوية الصلح ١٩١٩ ، الدولة العربية الموحدة اساس ثورة الشريف حسين الدول العربية والوحدة العربية فيما بين الحربين العالميتين سوريا ، لبنان ، امارة شرق الاردن ، فلسطين ، العراق ، المملكة العربية السعودية ، المملكة المتوكلة اليمنية ، مصر ، الوحدة العربية في اواخر الحرب العالمية الثانية ، جامعة الدول العربية .
(٥٢٣٢)

منى حسين سراج

اثر وسائل الاعلام على المجتمع السعودي المعاصر . القاهرة . جامعة القاهرة . كلية الاعلام . ١٩٧٤

(ماجستير)

نادية هانم حسني صقر

تاريخ مدينة الطائف في العصر الجاهلي وصدر الاسلام . القاهرة ، جامعة عين شمس كلية البنات ، ١٩٧٦

(ماجستير)

نجد وعلاقتها ببريطانيا والدولة العثمانية على عهد الامير عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢ — ١٩١٤ — في

الامارات العربية في الخليج الفارسي ١٨٤٠ — ١٩١٤ اعدادا جمال الدين زكريا قاسم . القاهرة جامعة عين شمس ، ١٩٦٤

٥٣٩ ص

(دكتوراه)

(٢٤٤٢)

نجله قاسم الضباغ

بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الاول . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب . ١٩٦٩

١٦٦ ص

(ماجستير)

الاحوال السياسية في بلاد الحجاز ، التنظيمات الادارية والاقتصادية ، المظاهر الاجتماعية .

(٢٦٤٧)

نعمات الطيب سليمان

الحالة الاجتماعية في عهد عمر بن الخطاب . القاهرة ، جامعة الأزهر ، ١٩٦٩

٢٣٨ ص

(ماجستير)

الاسلام والعدالة الاجتماعية ، اشتراكية عمر بن الخطاب أو عدالته الاجتماعية ، مقارنة بين

اشتراكية عمر وأهم الاشتراكيات المعاصرة

(٣٦٤٦)

ياسين صالح انذرفيري

تنمية القوى البشرية في ضوء سياسة الاستثمار في التعليم مع دراسة تطبيقية في مجتمع عاصمة المملكة العربية السعودية (الرياض). القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الاداب، ١٩٧٥

(دكتوراه)

يوسف علي يوسف

اغراض الجهاد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. القاهرة. جامعة الازهر. كلية اللغة العربية. ١٩٣٤

٨٢ ص

(تخصص)

مشروعية الجهاد. استطلاع اخبار العدو وارهابه. الدفاع. معالجة العدو قبل ان يستعد تأمين المسلمين. القصاص وحماية الدعوة.

(٢٢٤٢)

ابراهيم جاب الله

حياة سيدنا عمرو بن العاص، الصحابي الجليل والقائد الاسلامي العظيم فاتح مصر والشام والمغرب. القاهرة، جامعة الازهر — كلية اللغة العربية، د.ت

٣٧٩ ص (   )

(تخصص)

سيدنا عمرو في الجاهلية
سيدنا عمرو منذ اسلم الى نهاية عهد النبي صلى الله عليه وسلم
سيدنا عمرو في عهد سيدنا ابى بكر
سيدنا عمرو في عهد سيدنا عمر بن الخطاب
سيدنا عمرو في عهد سيدنا عثمان بن عفان
سيدنا عمرو في عهد سيدنا علي وسيدنا معاوية

(٣٦٥٠)

ابراهيم شحادة محمود الخواجة

عمرو بن الورد في حياته وشعره . القاهرة ، جامعة القاهرة — كلية الاداب ، ١٩٧٢ .
٣٢٥ ص

(ماجستير)

الشاعر : قبيلته ، حياته ، صعلكته
الشعر : مصادره ، موضوعاته ، خصائصه الفنية

(٢٨٥٧)

احمد ابراهيم الشريف

تاريخ الحجاز في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة من عامة قريش حتى عصر المهدي العباسي . القاهرة . جامعة عين شمس — كلية الاداب . ١٩٦٧ .
٤٤٣ ص

(دكتوراة)

السيادة القرشية في الحجاز قبل الهجرة ، مكة قبل الاسلام ، يثرب قبل الاسلام ، موقف قريش من الدعوة الاسلامية ، قيام الدولة الاسلامية في حياة النبي ، قيام الخلافة ، قمع الردة الفتوح الاسلامية ودواعيها ، التنظيم المالي وانشاء الديوان ، الفتنة الكبرى ، الحروب الاهلية . الصراع بين علي وخصومه ، خروج العاصمة عن الحجاز . ومحاولات الحجاز لاسترداد مكانته السياسية .

(١٢٤٩)

ملخص الأبحاث بالانجليزية

مطابع دار الهلال للاوفست
الرياض : تلفون ٢٨٥٦٨

I think we are now in a position to state that in Arabic literary heritage we have evidence enough to explode the theory that the Arabs were alien to the dramatic art. All the examples given in this short survey can be performed on the stage. They are rich in dramatic content. They just need the modern techniques of the theatre and highly experienced actors who possess enough knowledge of the historical background of those works. Hence we can bring out our classical drama to the world.

Translated and abridged by

Said Abdul Aziz Abdullah.

Al-Zawabe' or "The Message of Demons" The author is Ibn Shahid Al-Andalousi, (of old Arabic Spain). He wrote his message in rhythmic prose. It is an imaginary journey to the underworld where the writer meets the famous pre-Islamic Arab poets. In an exquisite dialogue he criticizes those poets and describes the underworld in an interesting way.

In the other example "Resalat Al-Ghufran" by Abu Al-Ala' Al-Ma'rri we have a text characterised mainly by dramatic action and dialogue. In the first part the author sends his hero to paradise where he meets philologists and poetry-relaters, then he moves him to a scene in hell where he could see examples of people whom the author hates most especially hypocrites and pretenders.

Similar to these but more compact in its dramatic plot we have a play by the ironic Arab writer Mohammad Al-Wahrani who came to Egypt from Sicily and Syria during the reign of Sultan Salah al-Din. The work titles "The play of the Day of Judgment. It consists of thirteen scenes. The author imagines himself on the Day of Judgment and the return to life after death or resurrection. The author is brought to life with all living things, taken to the place of great gathering (al-Mahshar) and the long standing in the presence of Allah. He describes how terror-stricken the sinners feel. He meets so many people of olden and present times. Among them are men of letters, poets, philosophers, Kings and Sultans. He also meets some angels, then he goes up the Heights overlooking Paradise. The scenes follow successively. In one he could see the torture of three sinners. In each scene the author converse with different people. The play suddenly ends when the author gets up frightened from his sleep.

An ironic tone prevails throughout the parts of the play. All moral deficiencies he had them embodied in examples of people whom he hates. Then he proceeds to show us how humiliated they are on the Judgment Day.

. . . .

considered a direct dramatic performance from beginning to end. It was undertaken by one single actor, its audience being people in a club, the caliph's court, a lecture-room, or places of nightly chat. All 'Maqamat' were first-class dramatic works that could be performed on the stage. They had long dialogues, plots growing to a climax, then a final solution or denounement.

'Al-maqama' did not lack the dramatic conflict, full of human emotions of love and hatred, of happiness and distress, and of content and revolt.

Among the famous "maqamat' are those of Al-Jahez, Al-Hamazani, and Al-Hareeri.

To Dr. Abdul Hamid Yunis those 'maqamat are plays in the sense that a play is a collective art and an expression of society symbolised by the values and facts their characters represent. In this 'Al-maqama' provides a pioneering start for the story and the novel as well as the acting art in Arabic literature.

Among the best of these, as already stated, are those fifty 'maqamat' written by Al-Hareeri during the close years of the fifth and the beginning of the sixth centuries Hijira. The main character is that of Abu Zeid Al-Surugi, a man who had devoted himself to literary studies until life depressed him. His income from the literary profession could not provide for his needs. He deserted his birthplace, Surug, in disguise, wandering in distant lands. He used to change his manners and apparel according to situations. At one time he would be a beggar asking for charity. At another he would be a swindler selling charms and spells, and at other times he would be a preacher exhorting people to do good or a humbug full of trickery and crooked ways, and so on. In every 'maqama' the author presents a different character played by the same hero with difference in style, language, tone and clothes. All of them provide a true expression of the society and age in which the author lived.

To give other two examples of Arabic dramatic writings that can be performed on the stage, we have 'Resalat Al-Tawabe' wa

In the end the audience would bring him a man to personify Mu'Awiya ibn Abu Sufyan, the founder of the Omayyad Caliphate and usurper of authority from the Hashemites. The Sufi would denounce his deeds and order him to be put in the dark in repayment of his deeds. The same he would do with his son Yazeed.

When Girgi Zeidan comments upon the scene he says it contains many dramatic elements: the imitation of persons and deeds, the instructions a director gives to a group of actors, a place for the actors and another for the audience, a story told and a lesson taught after which the spectators disperse satisfied and pleased.

History tells that in the court of the Abbaside caliph Al-Mu'tadhed Billah a story-teller called Ibn Al-Mughazeli used to identify himself with the characters of his tales. In the Caliph's presence he would play the part of an Arab, of a Turkish, or a negro and of people belonging to different races or social classes. He was a complete play ing in himself:

. . . .

Dramatic features in Arabic poetry and epics

Dr. Zaki Al-Mahasni maintains, in his book "Heroic Literature and the Arabic epic" that Arabic poetry represents the life record of the Arabs and the source of their pride. It has many dramatic features. These can be found in the "Seven Mu'allaqat", (some of the oldest collection of complete Arabic poems). We can also find epic poetry in the Arabic literature of Spain and in the heroic poetry of Abu Taleb ibn Abdul Gabbar from Morocco whose poem of 508 verses inspired Spanish and French poets of the Middle Ages. In all this poetry we find dialogue, dramatis personae, growing action, and direct and implied meanings.

"Al-maqamat" as dramatic literature

'Al-maqama' is an old form of Arabic literature written in rhythmic prose. Dr. Ali Al-Ra'i wrote in his book "The Arts of Comedy" that since pre-Islamic times 'Al-maqama' has been

expressed in prose or verse, and the performance done by all kinds of expression: singing, acting, change of apparel, imitation of sounds and movements;andeverything in front of an interested and responsive audience.

Dr. Ahmed Kamal Zaki says, in his book "Legends," "Before Islam the Arabs used to worship idols and graven images. They believed either in their power to safeguard them against fate and bring them rain or as a means to a more powerful forces. Like the ancient Egyptians, Greeks and Romans, the Arabs had their own fabulous tales about their gods. But, unlike them, very little of these Arab fables remained. An example is the Iraqi epic 'Gelgamesh' which came one and half centuries before Homer's epic. It tells about the heroic and tragic life of its protagonist 'Gelgamesh', a tragic hero famous in world literature, an embodiment of man's search for the mystery of life and the tragedy of human existence.

. . . .

Evidences to prove the Arab acquaintance with the dramatic art

We have already referred, at the start of this article, to the first evidence, namely the Arab seasonal literary celebrations of Okaz etc, which, used to extend one month after the pilgrimage.

Girgi Zeidan tells that a man from Baghdad used to go up a hill twice a week outside the city with some people around him. The man was a mystic or a 'Sufi'. A dialogue would start between him and his audience as follows: The 'Sufi': "The prophets, do you know where their dwelling is? Are not they now in the loftiest heaven? " The audience would answer: "For sure, of course".

The Sufi, then, would ask a companion to sit down before him and to identify himself with Abu Bakr, the first Caliph in Islam. Then he would extol his deeds and order him to be sent to the loftiest heaven. The Sufi would do the same with Othman ibn Affan and Ali ibn Abi Taleb, the third and fourth caliphs.

epics like Homer's Odyssey and Al-Ferdawsi's Shahnama, but, unfortunately, most of these had disappeared before the time came when poets could record their verses after Islam."

"In Arabic literature we still remember the story-teller who used to sit among his audience who would respond to his tales and exchange dialogue with him. The story teller was, in this case, an actor using all cleverness and talents to impress his audience. He would change his tone, moves and gestures with the development of events. He would play the parts of all the characters of his story. His stage would be the courtyard of a mosque, the entrance of a house or the market-place of a town. The audience would be any number of passerby."

Dr. Taha Hussein in his book "Sidenotes on the Biography of the Prophet" stresses the fact that the Arabs had known the story and the novel early from the days of Caliph Omar Ibn Al-Khattab. Even in pre-Islamic time the Arabs knew these and experienced the long narrative poem as well, which developed throughout Arab history. Many characteristics of narrative poetry can be found in Arabic poetry. That poetry was a mirror which reflected the social life of the Arabs, especially in poets like Gareer, Al-Farazdaq and Al-Akhtal, the same role that the Iliad and the Odyssey played for the Greeks.

The Pakistani thinker Mohammad Iqbal said in his book "Religious Revival in Islam": "Europe had been somewhat slow in understanding the Islamic roots of her scientific methods of research. In almost every phase of European flourishing civilization we can trace definite Islamic cultural impressions or Arab intellectual influences. It was these Arab influential factors that paved the way for sicentific discoveries, experimental sciences, and the fine arts. During the heyday of Arab civilization libraries were full of all kinds of books on tales, magic and superstitions. In their night chat people used to have story-telling, songs, music, dance and vocal recitals. They used to talk about olden times, about wars that broke and ended, empires that rose and fell and about victories brought about through heroic deeds. In all this we had a mix of fancy and reality

seclusion and are not to show themselves without a veil. This constitutes a negative factor in the play of drama or the foundation of the theatre.

Dr. Mohammad Mandour, in his book "The Theatre" states that Arabic literature has almost entirely been in poetry with very little prose, and that it had two characteristics: rhetoric and sensational description, a natural product of the predominant kind of life. It follows, therefore, that dramatic poetry based upon dialogue of different tones, upon characterization and creation of situations through sequences of events, and not only upon high sounding rhetoric and mere flat sensational delineation, could not have been possible.

In support of the same line of arguments Dr. Sahair Al-Qalamawi raises several points in an article published in the Egyptian "Al-Majalla" (n° 111). They might be summed up as follows:

"The Arabs are by nature inclined to the absolutes, their mind being synthetic not analytic, whereas playwriting requires an analytical mind. In Islamic culture there is no discrimination between people on race, origin, or colour basis except that of their true faith. It is unlikely, then, for a dramatic conflict to exist, not even grow; for multiplicity of gods, for any belief in the tragic fate of man emanating, as in Greek mythology, from man's struggle with gods. A Moslem lives in peace with the One Almighty God. However, his complete submission to Fate does not stand as a barrier between him and his ambition or struggle for a better life, but all without the sense of the tragic.

. . . .

Contrary to these views a number of leading Arab and non-Arab Moslem writers confirm the idea that the Arabs were acquainted with dramatic writings and the theatre. Among them are Girgi Zeidan, Taha Hussein, the Pakistani thinker and poet Mohammad Iqbal and Dr. Ahmed Kamal Zaki.

Girgi Zeidan stressed the idea that the Arabs have versified

between man and man. We can never expect such a writer to imagine people or put them in a tragic conflict." "It is characteristic of the Orient that values of the community, be it a tribe or else, were those of the individual, and that the latter had no right for a separate identity. However, this was not the case with the Greeks who regarded the individual as the centre of creativity."

In support of this Abbas Mahmoud Al-Akkad says in his book "The Arab Impact on European Civilization":

"Acting is an art closely related to social life. As the Arab environment was simple and with no multiplicity of workcrafts or complexity of social classes the art of acting or dramatic writing was unlikely."

Tawfiq Al-Hakim says in the introduction to his play "Oedipus King" that the Arabs never knew the art of playwriting or had any theatre. This was due to the nature of their wandering, unsettled bedouin life, a condition against the existence of any theatre and drama. However, even when they settled down in Baghdad, Damascus and other metropolitan Arab centres, and got into contact with the Greek and Ondian cultures they remained stuck to a national and historic pride glorifying their intellectual past. In this w ay pre-Islamic poetry continued to be their ideal example in rh etoric and self-expression."

Mahmoud Taymour adds to these arguments that when the Arabs started to translate from foreign cultures, especially that of the Greeks, they disregarded that part of Greek literature which could not be assimilated into the Islamic culture, namely Greek mythology, embodying the pagan beliefs of the Greeks on their gods, the Creation, and the universe. To them, the Greeks went too far in interpreting the relationship between man and his Creator in terms of a tragic fate.

In his "The Dawn of Islam" Ahmed Amin relates the absence of dramatic writing in the Arab Islamic thinking to religious factors. In Islam it is irreligious to make pictorial forms of living creatures. The same applies to personification of human qualities, or spirit. Also in Islamic social life women should be kept in

THE HISTORY OF ARABIC THEATRE

by
Kamal Mansour

....

Translated and abridged by
Said Abdul Aziz Abdullah

Views do differ on the history of Arabic theatre. Some writers deny that the Arabs ever knew the dramatic art before the 19th century when the French campaign conquered Egypt in 1798 and brought some acting groups. This, in their opinion, represented the first beginning of this art in the Arab world.

On the other hand, counter views affirm that the Arabs, even in pre-Islamic time were acquainted with one sort or another of literary dramatic writings and theatrical performance. First, the Arabs had those seasonal literary contestations of Okaz, Zul-Magaz and Meganna where poets used to recite their poems or tell their tales striving for superiority. Big audience used to attend those literary contestations. The poems recited and the tales told did not lack dramatic ideas and spirit. The poet used to use his powers of expression to be more effective. A contest might arise between him and another poet each striving to captivate the attention of the audience, thus creating a sort of dramatic dialogue.

Pros and Cons

Now we may summarise the arguments for and against the theory that Arabic literature has never known dramatic writing.

In his book "Qushur Walubab" i.e. "The Peel and the Core," Dr. Zaki Naguib Mahmoud, an Egyptian professor of philosophy, maintains that "The Arabs never knew the dramatic or novel writing simply because of their unawareness of the peculiarities that distinguish an individual from another. When a writer is brought up and lives in such a cultural atmosphere that denies the individual identity of persons we can never expect of him to draw upon the minutes that characterise a man **or** differentiate

ponding to 1937 (A.D.). His second journey was in the year 1367 (A.H.) corresponding to 1948 A.D. He was despatched by the Egyptian Government as a Minister-Plenipotentiary of his country in the Egyptian Legation in Jedda. In his second journey he was able to rove in Hijaz and Nejd.

The journey of Bint Al Shatae "The Land of Miracles – A Journey in the Arabian Peninsula." was made in 1951 as a response to an original aspiration in the writer's mind to visit the sacred lands.

These journeys differ as a matter of fact from the points of view corresponding to the idea and the style of each writer.

Some of these journeys concentrate on spiritual meditations. Other journeys are near to scientific trips when they deal with geographical sites, tribes and their accents.

The press journey has its own information characteristics in discovering the unknown facts, lauding the progress and development of the country.

In this respect Dr. Aisha Abdul Rahman (Bint Al Shatae) expressed her astonishment as to the big progress achieved by the Kingdom of Saudi Arabia in 1951 A.D. when the aeroplane replaced the camel in joining the distant parts of the country.

In her second journey in 1972 A.D. Dr. Bint Al Shatae expressed her pleasure and wonder to the big leap achieved by the Saudi woman in the field of science where she left her in 1951 an ignorant, lazy and underdeveloped human being cowering behind walls.

Kheir El Din Al Zarkaly Journey "What I Saw and Heard" is a political one though his advent to Hijaz was rather as a political asylum. Zarkaly said that he had escaped from Damascus after the defeat of the Syrians in the battle of Mysalone in 1920 and headed for Egypt via Palestine. Al Zarkaly was interested in history, monuments, the tradition of the bedouins and their litterature rather than politics. He was not sure that Al Hussein was capable of changing the status quo in Syria or cancelling what had been agreed upon between Britain and France.

Thirdly

The Press Journeys

We mean by press journeys, the trips made by some Arab journalists and literary men to the Arab Peninsula every now and then to cover the news of some important occasions or just for curiosity. These visits are paid upon an official invitation from the government or on a personal initiative by the writer himself.

The first important occasion in this respect took place in the Saudi era in the year 1344 (A.H.) corresponding to 1926 (A.D.) when the first world Islamic conference was concluded in response to the invitation of the late King Abdul Aziz Al Saud.

Among the contributions done in this respect was a book entitled "Inside Nejd and Hijaz" by Mohammad Shafik Effendi who described it as "a series of political, social, and religious essays including facts, sightseeing tours inside the Arabian Peninsula" and were published in "Assiyassa newspaper."

In 1930 (A.D.) Ibrahim Abdul Kader Al Mazni the famous literary man paid a visit to Hijaz named by him "A Journey to Hijaz" In it he did not mention the causes of the visit, but pointed out to the celebration on the occasion of the pledge of allegiance to Abdul Aziz to be a king of Hijaz. He also spoke on the banquet entertained by "Prince Faysal" the ViceRoy in AlKandara Palace.

Abdul Wahab Azzam visited Saudi Arabia many times. His first journey was in company with Fouad First University to perform the religious duty of pilgrimage in 1356 (A.H.) corres-

Thus we could classify modern Arabian journeys either according to historical eras or according to their objectives and goals. We prefer the objective classification. The modern Arabian journeys could be classified into three categories:

(1) Pilgrimage and visits Journeys.
(2) Political Journeys.
(3) Press Journeys.

We shall talk on each category, its objectives, its historical circumstances and general characteristics.

First

Pilgrimage and visits Journeys

Writers inspire the subject matter of their books from the names of the holy shrines: "The Mirror of the two Holy Places", "The Hijazi Journey" "In the House of Revelation" etc...

The Journey of the pilgrimage and visit was developed in its objectives by Mohammad Hussein Heikal. He chose the required elements required to serve his aim and his personal attitude.

Secondly:

The Political Journeys

The only Arabian journey that was political **from** the beginning to the end is the famous journey of Amin ElRihany "Kings of the Arabs or a Journey in the Arabian Peninsula". He started his journey by visiting Hijaz on the fifth day of February in 1922 corresponding to the eighth day of **Rajab** 1340 A.H. The author asserted in the introduction of his book that his aim is a contribution to **The Arab Cause** and to make the Arab rulers acquainted with each other. Al Rihany was the first to travel through the competing Arabian Emirates. Despite his failure in political objectives, he achieved big success in the writing of his journey and recording that important stage in the contemporary history of the Arabian Peninsula".

history of the two sacred cities during the past ages, the rest of the Arabian peninsula had lost the motives of the journey. Thus these places remained unknown and unheeded until recent times. For this reason Taïf despite its historical relations with the beginning of the call and the propagation of Islam and its nearness to the holy city of Mecca; its history had been overlooked.

At the beginning of this century, a new trend had taken place. The journeys of the Arabs in this century have pictured three different political eras: The Turkish era that ends with the Arab revolution in 1916 and the Hashemite era from 1916 to the date of King Abdul Aziz's conquest to Hijaz in 1924 and the Saudi era which begins in Hijaz since that date up to now. The first era is represented by two journeys: The journey of Ibrahim Rifaat Pacha entitled " Mirror of The Two SacredShrines " that comprises four journeys made by the writer in the years 1901, 1903, 1904, 1908. The second journey was that of Mohammad Labib El Batanouny made by him to Hijaz in company with Khedive Abbas Helmy at the end of 1909.

The Hashemite era was represented by three journeys: the journey of Imam Mohammad Rashid Reza to Hijaz at the beginning of AlHusseini's revolution on the Turks in 1916, the journey of Amin AlRihany "Arab kings or a Journey in the Arabian Peninsula" in 1922, and the Journey of Kheir ElDin AlZarkaly "What I Saw and Heard".

During the Saudi era there were numerous and various journeys as: Ibrahim Abdul Kader AlMazni's "Journey to Hijaz" in 1930, the journey of prince Shakeeb Arsalan entitled "Nice Feelings in the Mind of the Hadji on his way to The Holiest Shrine" in 1930, the journey of Mohammad Hussein Heikal "In the House of the Revelation" in 1936 and the journey of Ahmad Hussein "My Sightseeing tour in the Arabian Peninsula" in 1948; and the journeys of Bint Alshatae "The Land of Miracles – a Journey in the Arabian Peninsula" in 1951 and her second trip in 1972, and the journey of Dr. Mohammad Badae Sherif "In the House of Revelation in 1963.".

The writer has the option to write as he likes and in the manner he wants. Hence the journeys in fact is nigh by diaries in which its writer records spontaneously what he witnessed, heard and perceived in a certain period of his life. The journey is a limited period in the lifetime of a human being. It often begins with a date and ends in a date. The journey may last days or months or years. But some of them may deviate from spontaneity to the scientific research method. Under this category lies the journey of Mohammed Hussein Heikal " In the House of Divine Inspiration". This contribution amounts to hundreds of pages despite the small period had spent in Hijaz. The author prepared the materials of his book a long period before his departure to Hijaz. There is another category of journeys written in spontaneity. Among the best books written in this respect is the Journey of the literary man Ibrahim Abd ElKader AlMazny to Hijaz in 1930 A.D. In this journey you can find a lot of the features of his personality, its violence, its release, its sarcasm and rebellion. He writes in a novelistic style and uses the device of the dialogue perfectly to the degree that you find yourself before a magnificent painting or in front of a movie throbbing with life.

New Journeys: their motives and kinds

The relations of the Arabs with the Arabian Peninsula are ancient since the dawn of Islam. Moreover, they extended to the pre-Islamic paganism where groups of the inhabitants of the peninsula migrated to settle down outside their mother land in Syria and Iraq. The Arabs after the Islamic conquest penetrated into the depths of distant places as they were not satisfied to live only on the borders of their semi-desert places. They bear now a new message which rendered them masters while they were previously content with dependence on Persia and the Eastern division of the Roman Empire.

Pilgrimage is the principal factor that attracts many moslem travellers caravans to Hijaz during ancient times: Ibn Jubair, Ibn Battuta, Ibn Al Mujawer, Al Ayashi and others.

If pilgrimage, and perhaps the desire to learn helped keep the

THE ARABS JOURNEYS TO THE ARABIAN PENINSULA

(Kingdom of Saudi Arabia)

by

Dr. Mansour I. Al Hazimy
Translated by: Sabry Ibrahim

Arabs excelled other surpassing nations by their contribution in the field of Journeys. The extensiveness of the Islamic nation, its flourishing in commerce, agriculture, progress in scientific and cultural arena helped them in achieving their goal. Moreover, the religious factor which motivates moslems to go for pilgrimage and visiting the sacred shrines helped enrich the Arabic library with dozens of manuscript and printed books on Journeys that confirm the ancient Arabs interest in this kind of writing.

Some researchers classified Journeys according to their subjects namely:

(1) Hejazi Journeys. (2) Tourist trips (3) Official trips. (4) Scholastic trips. (5) Monuments trips. (6) Exploratory journeys. (7) Visiting trips. (8) Political journeys. (9) Shrines trips. (10) Indexed journeys. (11) Scientific journeys. (12) Itinerary journeys. (13) Imaginative journeys. (14) Ambassadorial journeys. (15) General journeys.

There is another view in the classification of the Arab Journeys. It is more accurate, comprehensive and flexible when applied into practice.

The journey is either subjective or objective. The first pertains to the personal experiences and events that affect his thought and inner feelings. The second concentrates on the registration of things devoid of the self, Under the second category the Arab geographers wrote their contributions in the science of "Routes and Realms". They were interested, in the measurement of distances and roads, the description of countries with respect to their agricultural, economic, political and urban aspects. Thus the "objective" journey in this sense is near to a scientific report.

ADDARAH

Notice :

— All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh

— Articles are arranged technically, regardless of the writers' prestige.

— This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— **Price :**

a) In Saudi Arabia :
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.

b) In Arab Countries :
The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.

c) Non Arab Countries
$1 a copy.
$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with

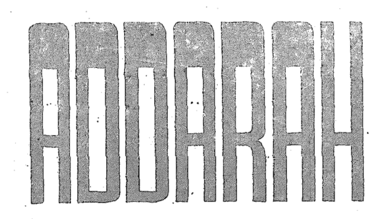
the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

FIFTH YEAR
NO : 3

RABI, THANI 1400
MARCH 1980

RIYADH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

P.O.B. 2945
TEL: 38646

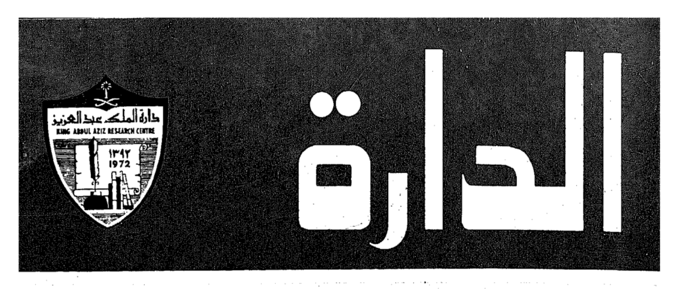




QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
VOLUME 3 (5) 1400 A.H./1980 A.D.

IN THIS ISSUE

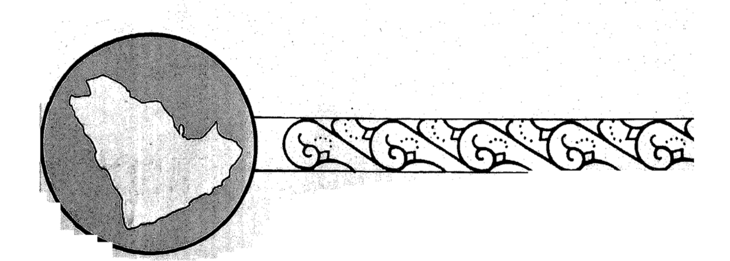


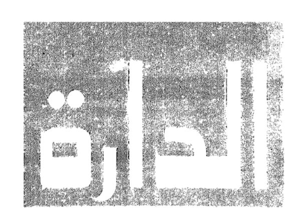


مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
العدد الرابع/السنة الخامسة/رجب ١٤٠٠ هـ/يونيه ١٩٨٠

من محتويات العدد

- حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة.
- على هامش أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
- الصلات التاريخية بين الخليج العربي والمغرب الأقصى.
- نظام التصريف المائي في منطقة القصيم.
- الفينيقيون وإسهاماتهم الحضارية.





مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي مماله صلة بالجزيرة العربية

العدد الرابع/السنة الخامسة
رجب ١٤٠٠ هـ/يونيه ١٩٨٠
الإخراج الفنى : محمد ابو الفتوح الخياط

الريـاض ص.ب ٢٩٤٥
المملكة العربية السعودية تلفون ٣٨٦٤٦

محتويات

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوى خمسة عشر ريالا وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشا سعوديا للعدد او ما يعادل خمسة عشر ريالا للسنة . في جمهورية مصر العربية خمسة وعشرون قرشا . في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة .

العـــدد

صفحة

ترسل الاشتراكات باسم امين عام الدارة اما المقالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العدد يخضع لاسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب . اراء الكتاب لا بالضرورة عن رأى المجلة



* بصدور هذا العدد تختتم مجلة الدارة عامها الخامس لتبدأ بعون الله وفضله اعتبارا من العدد السادس العام السادس من عمرها فتية نشطة كالعهد بها ، وسوف تظل مجلة الدارة بطابعها الأكاديمي وتطلعاتها العلمية ترجمة أمينة لكل جهود الباحثين والمتخصصين من رجالات الفكر والأدب والتراث .

وبهذه المناسبة نجدد عهدنا بباحثينا ومتخصصينا ليواكبوا تزويدنا بأحدث انتاجهم وما قدموه ويقدمونه خدمة للعلم والفكر فهي بهم ولهم كما اعلن احتفالي بالنقد والأراء البناءة من القراء الأفاضل كتعبير عن حبهم للمجلة وحرصهم عليها .

واسأل الله التوفيق

محمد حسين زيدان

أثر الإيمان والعبادات في مكافحة الجريمة

لفضيلة الشيخ مناع خليل القطان
مدير الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

الحديث عن اثر العبادات في مكافحة الجريمة يقتضي منا ان نبين معنى العبادة ، ومفهومها العام في الاسلام ، واثرها في سلوك الفرد ، ثم نبين الاثر السلوكي الخاص بكل عبادة من العبادات التي اصطلح عليها فقهاء الاسلام . وبهذا تتضح لنا الرؤية للتعرف على اثر العبادات في مكافحة الجريمة . ثم التعرف على اثر الايمان في حراسة الحق وحمايته .

معنى العبادة :

تدل مادة العبادة في اللغة العربية على الخضوع والتذليل والطاعة . ففي الصحاح اصل العبودية : الخضوع والذل . والتعبيد : التذليل . يقال : طريق معبد ... والعبادة : الطاعة .

وجاء في المخصص : والعباده : الخضوع والتذليل والاستكانه ، قرائب في المعاني يقال : تعبد فلان لفلان : اذا تذلل له ، وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عباده . طاعة كان للمعبود او غير طاعه . وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل فهي عباده . والعباده نوع من الخضوع لا يستحقه الا المنعم بأعلى اجناس النعم ، كالحياة والفهم والسمع والبصر .

ويقول الراغب في مفرداته : العبوديه : اظهار التذلل ، والعباده : ابلغ منها لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها الا من له غاية الافضال ، وهو الله تعالى .

ويتضح من استقصاء مادة الكلمة في الاستعمال اللغوى الفرق بين العبودية والعباده . فان العباده لا تعني مطلق الخضوع كالعبوديه . وانما تعني خضوعا خاصا يبلغ الغاية في تعظيم المعبود ، طاعة له وتذللا .

وفي اللسان : اصل العبوديه : الخضوع والتذلل ... وفي حديث ابي هريره : « لا يقل احدكم لمملوكه : عبدي وامتي ، وليقل فتاي وفتاتي » هذا على نفي الاستكبار عليهم ، وان ينسب عبوديتهم اليه . فان المستحق لذلك الله تعالى ، رب العباد كلهم والعبيد .

ويضيف شيخ الاسلام ابن تيميه في رسالة « العبودية » الى هذا المعنى اللغوي عنصرا آخر يتصل بالشعور الوجداني في عبادة الله . فيضيف الى التذلل والخضوع والطاعة معنى الحب . يقول ابن تيميه : « والعبادة : اصل معناها الذل ايضا ، يقال : طريق معبد ، اذا كان مذللا قد وطئته الاقدام ، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ، فان آخر مراتب الحب هو التتيّم ، واوله العلاقة ، لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصبابه ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق ، وآخرها التتيم ، يقال : تيّم الله اي : عبد الله ، فالتيّم : العبد لمحبوبه » .

ثم بين ابن تيميه انه لا بد لتحقيق معنى العباده من امرين : الخضوع والمحبة . ولا يستحق تمام الخضوع والمحبه الا الله . يقول : « ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له ، ولو احب شيئا ولم يخضع له ، لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي احدهما شيئا ولم يخضع له ، لم يكن عابدا له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي احدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب الله ان يكون احب الى العبد من كل شيء ، وان يكون الله اعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام ، الا الله ، وكل ما احب لغير الله فمحبته فاسدٌ ، وما عظم بغير امر الله فتعظيمه باطل . قال الله تعالى : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي بأمره) «١» .

ويواصل الحديث عن حقيقة العبودية ومقتضياتها ، من التزام شرع الله والانقياد لله عن حب ورضا فيقول : « وانما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما احبه الله ورسوله ، ويبغض ما ابغض الله ورسوله ، ويوالي اولياء الله تعالى . ويعادي اعداء الله تعالى ، هذا الذي استكمل الايمان كما في الحديث » : « من احب لله ، وأبغض لله واعطى للهْ ومنع لله ، فقد استكمل الايمان » «٢» وقال : اوثق عرا الايمان الحب في الله والبغض في الله » «٣» وفي الصحيح : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره ان يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار » (٤) .

مفهوم العباده في الاسلام :

يتناول مفهوم العباده في الاسلام الدين كله . فان حقيقتها الشرعية على النحو الذي بينه ابن تيميه تعنى كمال الطاعة والخضوع والحب ظاهرا وباطنا لله تعالى ، وهذا يشمل شئون

الحياة كلها ، امتثالا لشرع الله ، وانقيادا له ، وطلبا لمرضاته ، ولذا عرفها شيخ الاسلام بقوله : « العباده : هي اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنه والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، واداء الامانة ، وبر الوالدين ، وصلة الارحام ، والوفاء بالعهود ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة ، وامثال ذلك من العباده.... وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة اليه ، واخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وامثال ذلك ، هي من العبادة لله » .

فأنت ترى بهذا ان مفهوم العباده يشمل طاعة الله والاذعان له في امور الدين كلها ، يستوى في ذلك الفرائض والنوافل ، واعمال الجوارح واعمال القلب ، والسلوك العام الذي نسميه بالاخلاق والفضائل ، وسائر ما جاء به الدين من احكام في المعاملات والعقوبات بل في نظام الحكم وعلاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب .

ان العبادة بهذا المفهوم هي الانقياد التام لله تعالى امرا ونهيا ، اعتقادا وقولا وعملا ، فلا يكون الانسان عابدا لله الا اذا كانت حياته قائمة على شريعة الله يحل ما احل الله ويحرم ما حرم الله ، ويخضع في سلوكه لهداية الله ، ويتجرد من حظوظ نفسه وهواه .

وليس مفهوم العباده محصورا في العمل التعبدي المحض الذي تعارف عليه كثير من الناس في الصلاة والزكاة والصيام والحج وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار ، فان دائرة العبادة اوسع من ذلك وارحب وقد يكون الانسان عابدا لله وهو يمارس الامور المباحة من شئون الدنيا البحته اذا صلحت نيته وكان له قصد مشروع .

يضرب المسلم في الارض ابتغاء رزق الله وطلبا للكسب من وجوهه المشروعة ، يقتات لنفسه ولعياله ، فيكون عابدا لله مر على النبي صلى الله عليه وسلم ، رجل فرأى اصحاب رسول الله من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال : ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان (٥) ويقول صلى الله عليه وسلم في فضل الزرع والغرس : ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان او بهيمه الا كان له به صدقه (٦) ويقرن الله تعالى الذين يتنقلون طلبا للرزق بالذين يجاهدون في سبيله (وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) (٧) .

ويستمتع الانسان المتعة الحلال استجابة لغريزة الجنس واداء لحق الزوجة ، واحصانا للفرج وابقاء للنوع الانساني فيناله بذلك الاجر ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته : وفي بضع احدكم صدقه ، قالو : ايأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر ؟ قال : ارأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم ، قال : كذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر (٨) .

فالعبادة في الاسلام تتناول الوان النشاط الانساني بضروبه المختلفة ، حيث يجعل المسلم طاعة الله غاية الحياة التي يسعى اليها ، ويعتبر هذه الغاية مثله الاعلى وهذا يفسر لنا قوله تعالى : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) [٩] .

ان الدين يدعو الى تحرر النفس البشرية من اي سلطان يؤثر عليها في سلوكها حتى تخلص عبوديتها لله وحده . وهذه هي الدعوة التي وجهها الانبياء الى قومهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) [١٠] فما من رسول بعثه الله الا ودعا قومه الى افراد الله تعالى بالعبادة (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[١١] .

(وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)[١٢] وتقسيم الفقهاء احكام الشرع الى عبادات ومعاملات تقسيم اصطلاحي فني اقتضاء طابع التأليف العملي ليفرقوا بين نوعين من الاحكام : نوع تعبدى امر به الشارع وحدده فليس لأحد ان يبتدع فيه اذ لا يلتفت فيه الى المعاني والمقاصد حتى تتسع دائرته ، وهذا هو الذي يسمى بالعبادات ، فالاصل في العبادات الحظر والمنع ونوع آخر ينظم علاقات الناس في حياتهم بين الشارع اصوله وقواعده ، وأشار الى مقاصده ، وتتجدد صوره بتجدد الزمن وهو الذي يسمى بالمعاملات ، والاصل فيها الاباحة ، وكلا النوعين عباده ، ولكن هذا التقسيم الاصطلاحي هو الذي ادى بكثير من الناس الى حصر العباده فيما يتناوله فقه العبادات من احكام دون فقه المعاملات والحق ان الجميع دين تجب طاعة الله فيه ، وان اداءه وفق شريعة الله عباده ، ولا تتحقق عبادة الله وحده الا اذا خضع الانسان في كل شأن من شئون حياته لما يحبه الله ويرضاه .

أثر هذا المفهوم العام للعباده في مكافحة الجريمة :

اذا كانت العباده بمفهومها العام تتناول ما جاء في دين الله من امر ونهي فان امتثال اوامر الله ونواهيه في كل شأن من شئون الحياة امر لا بد منه لتحقيق معنى العبودية لله ، وقد نهى الاسلام عن كل ما فيه ضرر وأذى بدءا بالصغائر ونهاية بالكبائر . وهذا يشمل الجرائم المتعارف عليها كلها . وجاء هذا النهي في صورة متعددة من اساليب البيان العربي في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة تارة بالاجمال ، واخرى بالتفصيل .

نهى الاسلام عن الفواحش ، ظاهرة وباطنها (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)[١٣] (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن)[١٤] والفاحشه ما عظم قبحه من الافعال والاقوال .

وحفاظا على سلامة المجتمع ، وصيانة مسامعه عن الفحش جاء النهي عن اشاعة الفاحشة بالوعيد الشديد على ذلك (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون)[١٥] .

وجاك النهي عن الاثم والبغي والعدوان والمنكر والاثم : اسم للافعال المبطنة عن الثواب ، والبغي : تجاوز الحق الى الباطل . والعدوان : الاخلال بالعداله في المعاملة ، والمنكر : كل ما عرف بالشرع والعقل قبحه .

(قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق)[١٦] .
(ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون)[١٧] .
(وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)[١٨] .
(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)[١٩] .
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)[٢٠] .

وحرم الاسلام الظلم بجميع صوره وبين مغبته ، وسوء اثره في أهلاك الامم ، وعقوبة الله للظالمين ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ومجاوزة الحد ، وذكر الراغب ان الظلم ثلاثة انواع : الاول : ظلم بين الانسان وبين الله تعالى ، واعظمه الكفر والشرك والنفاق ، والثاني : ظلم بينه وبين الناس ، والثالث : ظلم بينه وبين نفسه ، وهذا يشمل المظالم كلها .

(ولا تحسبين الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار)[٢١] .
(ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا)[٢٢] .
(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)[٢٣] .
(وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا)[٢٤] .

وصان الاسلام الحقوق الانسانية العامة ، وبين حرماتها ، ونص على عقوباتها . وهي المعروفة بالكليات الخمس التي امرت الاديان السماوية بحفظها حفظ الدين ، والعرض ، والنفس ، والمال ، والعقل .

(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق)[٢٥] .
(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها)[٢٦] .
(ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا)[٢٧]
(وأحل الله البيع وحرم الربا)[٢٨] .
(الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)[٢٩]
(ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل)[٣٠]
(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلـدة)[٣١]
(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلـده)[٣٢]
(يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى)[٣٣] .
(ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب)[٣٣] .
(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض)[٣٥]
(انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)[٣٦] .
(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)[٣٧] .

وبينت السنة النبوية تفصيل تلك النصوص القرآنية في احاديث كثيرة تبين حرمة المسلم على اخيه المسلم ، وتوضح الحقوق الانسانية التي صانها الاسلام ، وتنفر من ارتكاب المعاصي والآثام ، قولا كانت ام فعلا :

(من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا) [٣٧] .
(لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال : هذه غدرة فلان) [٣٩] .
(اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) [٤٠]
(لعن رسول الله صلى عليه وسلم آكل الربا وموكله) [٤١] .
(ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء) [٤٢]
(من بدل دينه فاقتلوه) [٤٣] .
(خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) [٤٤] .
وعن السائب بن يزيد قال : «كنا نؤتى بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي امرة ابي بكر ، وصدرا من امرة عمر ، ونقوم اليه نضربه بايدينا ونعالنا واردیتنا ، حتى كان صدرا من امرة عمر ، فجلد اربعين ، حتى اذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين) [٤٥] .
(من ظلم قيد شبر من ارض طوقه من سبع ارضين) [٤٦] .
(من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في يده نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها ابدا ، و ومن تحس سمًا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا) [٤٧] .
تلك النصوص ونظائرها في الكتاب والسنه من الدين . والقيام عليها والعمل بها من واجبات المسلم الذي يعبد الله ، وطاعة الله فيها تستأصل شأفة الجريمة وتقضي عليها .

الأثر السلوكي الخاص بكل عباده من العبادات التي اصطلح عليها فقهاء الاسلام : —

الشأن في العبادات المتعارف عليها من صلاة وزكاة وصيام وحج انها تربية للنفس وتقويم لسلوكها ، حتى يستقيم امرها في مجالات الحياة كلها ، فتظهر من الرذيلة ، وتنأى عن المعصيه ، فلا تقترب اثما ولا ترتكب جرما . ولكل عبادة منها اثارها التربوية في ذلك .

١ — الصلاة :

فالصلاة صلة بين العبد وربه تخشع فيها النفس ، وتسكن الجوارح ، وتقربها العين . وقد فرضها الله خمس مرات في اليوم الواحد ، حتى يظل المسلم على صلة دائمة بربه لا تفتنه شئون دنياه . ولا تنسيه حق الله عليه في طاعته ، وامتثال امره فهو يبدأ يومه بصلاة الصبح ، فيناجي ربه ، قائما وراكعا وساجدا وجالسا ، ويثني عليه الثناء الحسن ، فتظهر نفسه من ادران الخطايا ، ودنس المعاصي ، ثم يخوض غمار الحياة في عمله ومهنته . بعد ان تزود بهذا الزاد الروحي ، ولا تكاد الدنيا تشغله حتى تأتيه صلاة الظهر ، ثم صلاة العصر ، ثم صلاة المغرب ، وكما بدأ حياته اليومية بلقائه مع الله في صلاة الصبح ، فانه يختمها بلقائه معه في صلاة العشاء .
وذكر الله تعالى اثر الصلاة الخاشعة في طهارة النفس ونفورها من المعاصي فقال : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [٤٨] . ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأثر في

صورة حسنة فقال : « أرأيتم لو ان نهرا على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شيء ؟ قالوا : لا . قال : كذلك مثل الصلوات الخمس . يمحو الله بهن الخطايا »(٤٩) .

ويجب ان تؤدي الصلاة جماعة في المسجد على القول الارجح ، حيث يلتقي المسلم باخوانه . وينتظم معهم في صف واحد . يأتمون بامام واحد طاعة لربهم ومرضاة له ، يتفقد الحاضر الغائب ، ويتعرف كل على حال اخيه . وهذا الشعور الجماعي في عبادة الله يضفي على نفوس المصلين روح الاخوة الاسلامية ، التي تجعل المجتمع الاسلامي يعيش في امن وطمأنينة ، فهذه الابدان المتلاصقه تتآلف قلوبها وتلتقي في عبادة ربها ، تصلي خلف امامها تناجي الها واحدا وتتلو كتابا واحدا وتتجه الى قبلة واحدة ، فتستوحي من ذلك وحدة الامة الاسلامية واخوتها ، (انما المؤمنون اخوة)(٥٠) .

واذا مارس المسلم هذه الصلاة في اليوم الواحد خمس مرات كان جديرا بأن يكون انسانا طيب القلب ، نقي السريرة ، يحب لاخوانه ما يحب لنفسه ، ويخشى الله سرا وعلانية ، فلا يقدم على ارتكاب جريمة تؤدي به في نار جهنم ، وتضر بالآخرين .

٢ — الزكاة :

والزكاة عبادة مالية اجتماعية ، تطهر النفس من الشح والبخل والحرص وحب المال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)(٥١) . وكثير اولئك الذين يبغي بعضهم على بعض طمعا في المال ، وتنافسا فيه ، وتهافتا عليه ، والزكاة تقضي على تلك الآفات . فالمسلم الذي يؤدي زكاة ماله سدا لحاجة الفقير ، لا يستبيح مال اخيه بغير حق ، ولا يقتله الجشع والطمع .

واذا نال الفقير حقه من الغني طهرت نفسه من الحسد والضغينة ، فان الاحسان يستميل القلب ، ويستل الاحقاد ، ويقضي على بواعث الشحناء والبغضاء ويجعل الناس اخوة متحابين ، رحماء متعاطفين. وفي هذا يقول الله تعالى : (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)(٥٢) .

وللزكاة وظيفتها الاجتماعية التي تعالج مشكلة الفقر علاجا حكيما ، فتقارب بين الطبقات ، دون ان تزرع في النفوس الاحقاد والضغائن ، او تثير الحرب الطبقية بين ابناء الأمة الواحدة . ومصارفها المنصوص عليها تكفل سد الاحتياجات الضرورية في حياة اي مجتمع (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)(٥٣) .

وهذا الحق المالي في اموال الاغنياء للفقراء يولد الشعور بضرورة التكافل الاجتماعي في صور الحياة المختلفة ، وهو الشعور الذي يتنافى مع عدوان المسلم على اخيه وظلمه له وارتكاب جريمة في حقه .

٣ — الصيام :

وصيام شهر رمضان له آثاره التربوية التي تلجم نزوات النفس ، وتعصمها عن المعصيه .

ان الجريمة — ايا كان نوعها — تأتي استجابة للاهواء والشهوات والغرائز الجامحة . وذلك يرجع الى قوى ثلاث : قوة شهوة البطن . وقوة شهوة الجنس . والقوة العصبية . والصيام له آثاره التربوية على هذه القوى :

لقد أحل الله الطيبات من الرزق . وأباح لعباده الاكل والشرب من غير سرف (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)(٥٤) وقد اعتاد المرء في حياته اليومية الرتيبة على ان يأكل ثلاث مرات في سحابة نهاره . بكرة وظهيرة وعشيا وان يشرب كلما احس بالعطش ، وان يتناول ما تشتهيه نفسه من طعام او شراب متى شاء .

فاذا جاء شهر رمضان امسك المسلم الصائم عن الطعام والشراب من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس . يلدغه الجوع ، ويحرقه الظمأ ، وامامه الطعام الشهي ، والشراب اللذيذ ، مما احله الله له . فيمسك عن ذلك كله ويحبس نفسه عنه . واذا اعتاد المسلم شهرا كاملا من شهور السنة ان يمسك عما احل الله له من طعام وشراب فلأنه يمتنع عما حرم الله عليه من مطاعم ومشارب ومن اموال لا تحل له اولى وأشد .

واحل الله النكاح (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة)(٥٥) وابـاح للمسلـم ان يباشر زوجة ويضع الذر في موضع الحرث كما يريد في اي ساعة من ليل او نهار(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم)(٥٦) ولكن هذه المتعة المباحة تضيق في حياة المسلم الصائم ، ويقتصر امرها على الليل ، للملابسة الزوجية (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل)(٥٧) . واذا اعتاد المسلم الصائم ان يمتنع عن الاستجابة لشهوة الجنس طوال نهار رمضان فيما احل الله له من الاهل ، فلأنه يمتنع عن الاستجابة لها فيما حرم الله بسائر ايام السنة اولى واشد .

والصائم يمسك لسانه عن الفحش في القول ، والبذاءة في الكلام ، واللغو في الحديث ، ولئن كان هذا محرما على المسلم في سائر حياته ، فان حرمته اكثر عليه في شهر رمضان ، حيث تذهب بصومه ، ويبوء بتعذيب نفسه جوعا وعطشا «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه»(٥٨) .

وفي الحديث الآخر «كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش»(٥٩)

وقد اباح الله درء السيئة بمثلها (وجزاء سيئة سيئة مثلها»(٦٠) ولكن الصائم لا يبادل من اساء اليه بالمثل ، ولا يتراشق معه بالتهم ، بل لا ينبس ببنت شفه ، سوى ان يعلن له تحصنه بالصيام في عفة وادب » والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد او قاتله فليقل اني امرؤ صائم»(٦١) واذا اعتاد المسلم شهرا كاملا ان يعف عن الاستجابة لشهوة الغضب فيما اباحه الله من درء السيئة بمثلها فلأنه يعف عن

الاستجابة لهذه الشهوة فيما حرم الله من الاعتداء على الآخرين طوال العام اولى وأشد .
وشريعة الصيام بهذا مثل اعلى لتربية الارادة المؤمنة التي تستعلى على عادات الانسان واهوائه وشهواته ، بل تستعلى على ضرورات حياته فترة من الزمن ، فتقضي على بواعث الشر والجريمة .

٤ — الحج :

والحج هو الرحلة الروحية البدنية التي يرحل فيها المسلم بقلبه وبدنه الى بيت الله الحرام ، فيطوف به ، ويسعى بين الصفا والمروه ، ويقف بعرفه وسائر المشاعر .

ومنذ يكون الاحرام للحج من الميقات تستشرف نفس المسلم الى تطهيره من الخطايا والذنوب والانخلاع من المعاصي ، فهو يتجرد من ثيابه التي اعتاد ان يلبسها ويستعيض عنها بازار ورداء يعيد الى ذاكرته استقباله للدنيا حين ولادته بريئا طاهرا عاريا ، ويضع نصب عينيه المصير الذي ينتظره طال به الاجل ام قصر حيث يتجرد من ثياب دنياه ويلف في لفائف تشبه لفائف احرامه .

ويقرن هذا بالتلبية ، وهي اعلان عن اخلاص قلبه لله ، وكمال استجابته له وطاعته لشريعته ، وتأكيد وجدانيته ، والبراءة من الشرك في جميع صوره ، « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»(٦٢) ولئن كان الحج اكثر العبادات اشتمالا على الامور التعبدية التي لا تدرك حكمتها تفصيلا ، فان مناسكه ترمز الى معان كثيرة .

ويطوف الحاج بالبيت الحرام ، فيتعلق قلبه بقلبه صلاته ، ووجهة عبادته ، ويرى الناس حول الكعبة يطوفون على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وتباين ديارهم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرقاتها ، وهذه هي وحدة القلوب المؤمنة في اتجاهها الى اله واحد ، واعتصامها بشريعة واحدة .

ويسعى بين الصفا والمرور ، يستذكر تاريخ ابراهيم عليه السلام وولده اسماعيل . ويعتبر بالاسباب المشروعة حتى يأخذ بها ، معتمدا على الله ، ملتمسا ما عنده من عطاء وبر ، ويقف بعرفات خاشعا ذاكرا واعيا ، يرفع يديه الى السماء ، يلتمس من الله المغفرة والرحمة .

ويرمي الجمار فيعبر عن مقته لعوامل الشر ونزعات الشيطان ، واسباب الجريمة .

ويشهد في وقوفه بعرفه وافاضته الى مزدلفة ومنى صورة لليوم الآخر الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا)(٦٣) .

يتزود المسلم في الحج بهذا الزاد الروحي ، فيعود من رحلته صافي القلب ، طاهر النفس ، يبدأ صفحة جديدة من حياته في طاعة الله ، والانتصار على الشرور والآثام ، كما بدأ حياته بولادته طاهرا نقيا «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه»(٦٤) .

الايمان واثره في مكافحة الجريمة :

ان العبادات التي تحدثنا عن اثرها في مكافحة الجريمة ترجع الى الايمان بالله الذي شرع

هذه العبادات والايمان بمفهومه الصحيح هو عماد اصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها ، انه يربي الضمير الانساني الحي ويجعل منه حارسا على حرمات الناس ، ولا شيء سوى الايمان يصنع ذلك .

وقد يتساءل بعض الناس عن انتشار الجريمة في المجتمعات التي تؤمن بالله وتؤدي شعائر دينها التعبديه ، ويذهب هذا التساؤل اذا ميزنا بين العبادات التي تخلو من روح العبادة الحقة في خشية الله والتماس مغفرته ، وتتحول الى عادات تشبه التقاليد المتوارثة في حياة الامم ، والعبادات التي يؤديها المسلم عن وعي وفهم تقربا الى الله ، وطلبا لمرضاته فهذه هي التي تحدث الآثار التربوية التي ذكرناها دون تلك .

كذلك الايمان لا يؤتي ثماره الا اذا كان عن عقيدة صادقة ، مقرونة بالقول والعمل .

وقد تحدث القرآن الكريم عن اولئك الذين يعلنون الايمان بألسنتهم دون ان يخالط شغاف قلوبهم مخادعة ورياء ، فقال الله تعالى فيهم : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون)[٦٥]

وقال : (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا)[٦٦] .

كما تحدث عن اولئك الذين يعرفون الحق ولكن الكبر يحول بينهم وبين الاذعان له (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)[٦٧] ان الايمان الصادق تصديق وقول وعمل .

تصديق بالله وبرسوله وعالم الغيب لا يشوبه شك ولا ارتياب يتغلغل في سويداء القلب فيتذوق حلاوته ولا يرضى به بديلا .

وقول يجري على اللسان ليعبـر عما في القلب من عقيدة راسخة تسري في دم المسلم وتخالط وجدانه ، وتمتزج بمشاعره .

وعمل ينبثق من صدق الايمان وبواعثه مسارعة الى الخير ، واذعانا لله وانقيادا لشريعته ، فيرى الناس فيه الواقع الحي للايمان ومقتضياته جهادا وبذلا .

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون)[٦٨] .

وهذا الايمان هو الذي يخلق الانسان خلقا جديدا ، فيصوغه في قالب ايماني يبرز صورة المؤمن الحق ، الذي اطاع الله مخلصا له الدين ، فأخضع سلوكه لمرضاة ربه مستسلما راضيا (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)[٦٩] فلا اختيار له في تصرفه ازاء امر الله وامر رسوله صلى الله عليه وسلم (وما كان لمؤمن ولا مؤمنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم)[٧٠] .

هذا الايمان هو الذي يهذب السلوك ويقيم قواعد العدل ، ويحرس الحقوق ويقضي على الفوضى والفساد والشر ، ويربط بين قلوب معتنقة برباط المحبة والتراحم، وهو رباط لا يعدله رباط آخر من الجنس او اللغة او الجوار او المصالح المشتركة . وما ساد الايمان في امة واستيقظت مشاعرها عليه الا وساد فيها الامن النفسي في حياة الفرد والامن الجماعي في حياة

المجتمع . واذا فقدت امة هذا الايمان دب فيها الفساد واهدرت القيم ، واصبح امرها فوضى وهذا هو واقع الحياة اليوم .

لقد ازدهرت الحياة العمرانية وأتت كلها في بلهنية العيش والرقي المادي ولكن العالم اخذ يعاني من تفاقم الشذوذ ومآسي الجريمة وانتشار الذعر مالا قبل له به .

وتقدمت الانسانية وبلغت شأوا بعيد المدى في العلوم التجريبية والعلوم النظرية ، ولكن هذا التقدم عجز عن الوصول الى حل ناجح لمشكلة السلوك . فالدراسات النفسية الواسعة التي شملت مراحل تطور الانسان وبواعثه النفسية في كل طور ، واصبح كل فرع منها مستقلا ببحث ، كعلم نفس الطفل ، وعلم نفس المراهق ، وعلم النفس التربوي ، وعلم النفس الجنائي .

والدراسات الاجتماعية في البيئة والوراثه ، والتقاليد ، والاسرة ، والمجتمع ، والقرية ، والمدينة ، والباديه ، والحضر .

والدراسات القانونية في الادارة والتنظيم والعقوبة والسياسة ، والحكم ، والاحوال الشخصية ، والمعاملات المدنية ، والعلاقات الدولية .

هذه الدراسات وتلك لم تخط خطوة ناجحة في سبيل مكافحة الشر ، واستئصال الجريمة ، بل ان التقارير في انحاء العالم تثبت بالاحصاء الدقيق كثرة العصيان والتمرد ، وتفاقم الفساد ، وتزايد الخروج على القانون ، وربما لجأت الدولة في محاربة بعض الجرائم الى العنف ومضاعفة العقوبة — كما فعلت بعض الدول في محاربة المخدرات ففرضت الغرامة المالية الباهظة والسجن المؤبد — فلم يغير ذلك من الواقع المرير شيئا .

ان هذه الظواهر في اوج الحضارة الانسانية عند الناس لا يجد المرء علة لها — اذا امعن النظر — سوى العجز عن الوصول الى الداء الدفين في ضمير الانسان . فالضمير الانساني هو مركز الثقل في توازن الطباع البشرية وتربيتها على حب الخير والحق والجمال ، واي اصلاح لجانب من جوانب الحياة يخطىء هذه العلة انما يخطىء المرمى الذي ينبغي ان تسدد اليه السهام .

ولم تستطع — ولن تستطيع — القوى الفكرية بعلومها وانظمتها وفلسفتها ان تنفذ الى الضمير الانساني فتتولاه بالرعاية والتربية حتى يصير ضميرا حيّا يهيم بالقيم الانسانية ، ويكون امينا عليها ، حارسا لها ، وهيهات لها ان تنفذ اليه . فان قصارى ما تستطيعه هذه القوى ان تتحكم في الحياة الظاهرة للانسان فتسن له قصارى ما تستطيعه هذه القوى ان تتحكم في الحياة الظاهرة للانسان فتسن له الطريق ، وتراقب سيره عليه ، وتردعه بالعقوبة الشديدة اذا حاد عنه .

وللانسان حياة باطنية اخرى هي التي ترسم له سلوكه ، وتحدد وجهته ، وهي حياة تعتمل في حنايا الصدور ، وتخفي في طياتها ما لا يطلع عليه بشر ، فمن داخل النفس البشرية التي تصطرع قوى الخير والشر ابتلاء ومحنة تملي القوة الغالبة ارادتها على صاحبها ليكون طوع امرها فيما يفعل ، فأي قوة بشرية تستطيع ان تتحكم في هذا الضمير الخفي .

وفي طبيعة البشر ان يتمرد على البشر. انه يستشعر ازاء سائر الناس انه انسان وانهم اناس ، وان هذا الاشتراك في البشرية يقتضي ان يكون الجميع سواء في كافة الحقوق . فعلام يدين بالولاء والطاعة لقانون من وضع البشر؟ أيدين له فرار من جزاء مخالفته بحرمان دنيوى ، او عقوبة دنيويه ؟ اذا فالخطب غير عسير ، ففي استطاعته ان ينقض عرى هذا القانون الوضعي عروة عروة ، ويهدم بناءه لبنة لبنة في غفلة من حراسة القانون ورجال الأمن ، وليس للسلطة القانونية شعاع يثقب حجب الغيب ، ويتعرف على الجرم الخفي ، وليس لها كذلك من امر الحياة الآخرة شيء حتى الغيب ، ويتعرف على الجرم الخفي . وليس لها كذلك من امر الحياة الأخرة شيء حتى يخشاها المرء سرا كما يخشاها علانية ، رغبة في ثواب ، او رهبة من عقاب ينتظره بعد الموت ، وهو امر مرجعه الى الضمير وحده . ومن هنا كان قصور القوانين الوضعية ،والأنظمة البشرية في ضبط السلوك الانساني وتوجيهه .

اما التشريع السماوي فانه سلطته من الله الذي خلق الخلق وهو اعلم بهم . ويعتمد في سلطته على وازع الضمير الذي يوجه الانسان ويتحكم في تصرفاته والاسلام يتولى تربية الضمير الانساني ، ويبعث فيه الحياة التي توقظه بالرقابة الالهية المطلقة عليه في الغيب والشهادة ، والغرس الاول الذي يغرسه الايمان بالله في النفس البشرية يقوم على الايمان بالقوى الغيبيه « ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وبالقدر خير وشره »(٧١)

فطاعة التشريع السماوي من كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يكفي في تحقيقها السلوك الظاهري في مرأى الناس ، بل لا بد فيها من خشوع القلب ، واطمئنان النفس ، والانقياد لها بين حنايا الضلوع ، فالله عليم خبير ، والافلات من عقوبة الدنيا والتستر والمخاتلة لا يغني شيئا عن عقوبة الحياة الآخرة .

وقد ذكر الله في القرآن الكريم من آيات علمه البينات ما يجعل ضمير المؤمن حيا يرعى حرمات الله في السر والعلانية .

فالله هو الذي بدأ خلق الانسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين يعلم مستقر البدء والنسل ويحيط بما لديه من تقوى او جحود (هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)(٧٢) .

ولا يتأتى للخالق ان يجهل دقائق خلقه (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)(٧٣) . يستوى في علمه الاسرار والاعلان (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)(٧٤) .

ولن يكون بمنجاة عن علمه هؤلاء الذين يتناجون سرا بمنأى عن الناس جميعا (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)(٧٥)

ووسوسة النفس المترددة في الجوانح تحت احاطته القريبة (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد)(٧٦)

وأفعال العبد محصاة عليه ، سطر صغيرها وكبيرها في سجله (وكل شيء فعلوه في الزبر

وكل صغير وكبير مستطر)[٧٧] .

ومن اوصاف المتقين انهم ينيبون الى الله ويخشونه بالغيب (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب)[٧٨] .

وتصل الرقابة الالهية ذروتها في ضمير المسلم عندما يرى نفسه مبعوثا في يوم النشور وقد جمعت سر يرته (افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير)[٧٩] .

ولهذا قرن الله في احكام الشريعة الاسلامية الجزاء الأخروي بالجزاء الدنيوى ، فان افلت المرء من هذا لم يفلت من ذلك ، وحبب اليه التوبة .

يقول تعالى في القتل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما)[٨٠] .

ويقول في المحاربة (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم)[٨١] .

ويقول في السرقة (والسارق والسارقة وفاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم)[٨٢]
ويقول في الربا (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)[٨٣]

ويقول في التولي عند الزحف (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)[٨٤] .

واذا كانت المناهج البشرية قد صنفت في قوانينها الجرم فان خبث الطويه لا يعدم صاحبه الحيلة التي يمرق بها من حجاب القانون ويهتك حرماته ، وتحت اجنحة صاحبة الحيلة التي يمرق بها من حجاب القانون ويهتك حرماته ، وتحت اجنحة الليل تستتر الجريمة ، وفي غفلة من حراسة الحق تعبث الأيدي الأثمة ، ولن يجدي القانون امام هذا الدبيب الخفي .

والاسلام في مثل هذه الحالة يستل من الضمير الانساني المؤمن الحي سيفا مصلتا يقضي على جرثومة الشر قبل انتفاضتها ، ويقتل جنينها في مستقره ، فسلطة الضمير المؤمن أقوى من اي سلطان خارجي ، ولدغته على اكتساب الاثم اشد على النفس من طعن السنان ، والنفس المؤمنة الحرة يرمضها جمر المعصية قبل ان تلم بها ، وهذا المعنى هو ما اشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في تعريف الاثم « والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس »[٨٥] .

والتشريع الاسلامي يعيش في قلب الضمير المؤمن الحي ليطهره من ادران السيئة ولو كان في مأمن من العقاب ، فهو يتابع الجريمة الخفية التي لم يرها احد ليتأتي صاحبها طائعا معترفا يلح في الاعتراف مرة بعد اخرى حتى يقام عليه حكم الله في معصيته ، ويطهر نفسه من وزرها .

فالمرأة الغامدية جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له : « اني زنيت فطهرني » وقد ردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بعد اخرى الى ان ولدت وجاءت بولدها وفي يده كسرة خبز ، فأمر برجمها ، فأقبل خالد بن الوليد فرمى بحجر رأسها . فنضح الدم على وجه خالد ، فسبها فسمع النبي صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال « مهلا يا خالد . فوالذي نفسي بيده ، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم امر بها فصلى عليها ودفنت » وفي رواية عمر ان بن حصين ان عمر قال : « تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت افضل من ان جاءت بنفسها لله»(٨٦) .

ولما جاء ماعز معترفا قال « يا رسول الله ، اني زنيت واني اريد ان تطهرني ورده الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك ثلاث مرات ، حتى اصر على اعترافه في الرابعة فرجم ، وما كان يرجم لو لم يأت معترفا ، وكانت لديه مندوحة مع اعترافه ان يراجع نفسه في الثانية او الثالثة او الرابعة لينجو من الحد ، ولكن ضميره يريد منه ان يتطهر»(٨٧) .

ويتابع الاسلام ايقاظ الضمير الايماني في كل اعتداء على الحقوق الانسانية مهما كان اسلوب التخلص من مسئوليته ، فان القاضي لا يعرف بواطن الخصوم ، ولا يعلم الغيب ، وانما يقضي بظواهر الادلة ، والقضاء لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وفي اللحن البليغ والمنطق القوي فسحة لأولئك الذين يسترون الحق بالبيان العذب ، ويستبيحون حرمته بطلاقة اللسان ، وفي مثل هذه الحالة يصور الاسلام المنفعة المرجوة التي يطلبها الالحن بحجته الجائرة في صورة النار الملتهبة التي تندلع السنتها لاحقاق الحق في التقاضي لدى احكم الحاكمين وعلام الغيوب .

« سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال : « انما انا بشر ، وانه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض ، فأحسب انه صدق ، فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار ، فليأخذها او ليتركها » (٨٨) هذا هو سبيل الاسلام في مكافحة الجريمة فأي منهج من مناهج البشرية يصل الى هذا السمو ؟ ..

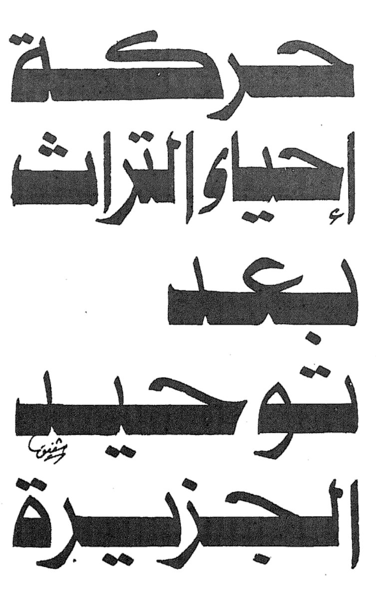
أيها الاخوان :

ان المجتمع لا يسعد الا بالايمان ، وان الايمان لا يعيش الا في الضمير وان الضمير لا يحيا الا بالاسلام ، فهل آن لهذه المجتمعات التي انحرفت عن جادة الحق واعرضت عن كتاب ربها ، وسنة نبيها ، فأورثت الشقاء للانسانية ، واماتت ضميرها ، ان تنيب الى الله وتحتكم الى شريعته . (وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) ؟ (٨٩) .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مدير الدراسات العليا
بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
منّاع خليل القطان

(١) بالتوبة ٢٤ التوبة .
(٢) رواده ابو داود .
(٣) رواه احمد والطبراني .
(٤) رواه الشيخان .
(٥) رواه الطبراني .
(٦) متفق عليه .
(٧) ٢٠ : المزمل .
(٨) رواه مسلم والترمزى .
(٩) ٥٦ : الذاريات .
(١٠) ٥٩ : الاعراف .
(١١) ٣٦ : النحل .
(١٢) ٢٥ : الانبياء .
(١٣) ١٥١ : الانعام .
(١٤) ٣٣ : الاعراف .
(١٥) ١٩ : النور .
(١٦) ٣٣ : الاعراف .
(١٧) ١٢٠ : الانعام .
(١٨) ٩٠ : النحل .
(١٩) ١٩٠ : البقرة ، ٨٧ المائدة .
(٢٠) ٢ : المائدة .
(٢١) ٤٢ : ابراهيم .
(٢٢) ١٣ : يونس .
(٢٣) ١١٣ : هود .
(٢٤) ٥٩ : الكهف .
(٢٥) ٣٣ : الاسراء .
(٢٦) ٩٣ : النساء .
(٢٧) ٣٢ : الاسراء .
(٢٨ ٢٩) ٢٧٥ : البقرة .
(٣٠) ١٨٨ : البقرة .
(٣١) ٢ : النور .
(٣٢) ٤ : النور .
(٣٣)١٨٧ : البقرة .
(٣٤) ١٧٩ : البقرة .
(٣٥) ٣٣ : المائدة .
(٣٦) ٩٠ : المائدة .
(٣٧) ٣٨ : المائدة .
(٣٨) رواه مسلم .
(٣٩) متفق عليه .
(٤٠) متفق عليه .
(٤١) رواه مسلم .
(٤٢) رواه الترمذى .
(٤٣) رواه الجماعة الا مسلما .
(٤٤) رواهالجماعة الا البخاري والنسائي .
(٤٥) رواه البخاري واحمد .
(٤٦) رواه البخاري ومسلم .
(٤٧) رواه البخاري .
(٤٨) ٤٥ : العنكبوت .
(٤٩) متفق عليه .
(٥٠) ١٠ : الحجرات .
(٥١) ٩ : الحشر و ١٦ : التغابن .
(٥٢) ١٠٣ : التوبة .
(٥٣) ٦٠ : التوبة .
(٥٤) ٣١ . ٣٢ : الاعراف .
(٥٥) ٣ : النساء .
(٥٦) ٢٢٣ : البقرة .
(٥٧) ١٨٧ : البقرة .
(٥٨) متفق عليه .
(٥٩) متفق عليه .
(٦٠) ٤٠ : الشورى .
(٦١) متفق عليه .
(٦٢) متفق عليه .
(٦٣) ٣٠ : آل عمران .
(٦٤) رواه البخاري واحمد والنسائي .
(٦٥) ٨ ، ٩ : البقرة .
(٦٦) ١٤٢ : النساء .
(٦٧) ١٤٦ : البقرة .
(٦٨) ١٥ : الحجرات .
(٦٩) ٦٥ : النساء .
(٧٠) ٣٦ : الاحزاب .
(٧١) من حديث جبريل المتفق عليه في تعريف الايمان
(٧٢) ٣٢ : النجم .
(٧٣) ١٤ : الملك .



كتب التاريخ

بقلم الدكتور:
أحمد محمد الضبيب

كان المفروض نشر هذه الحلقه فى العدد السابق ونستكملها بالحلقه السابق نشرها بالعدد الثالث (السنه الخامسه) ، وهذا الخطأ نتيجة لطبع عددين فى وقت واحد - فنعتذر للقارىء الكريم عن هذا الخطأ - كما هو الاعتذار لأستاذنا الدكتور أحمد الضبيب .

تأتي كتب التاريخ في الدرجة الثانية من حيث الكثرة العددية فيما بعث من تراث بواسطة ابناء الجزيرة العربية وذلك بعد الكتب الدينية التي تحدثنا عنها آنفاً . ومنذ العهد العثماني نجد الاهتمام يبرز بنشر كتب التاريخ وخاصة تلك المتعلقة بتاريخ الحرمين الشريفين وقد سبق ان أشرنا الى صدور « خلاصة الوفاء » للسمهودي عن المطبعة الميرية في مكة سنة ١٣١٦ هـ وكذلك عزم المطبعة العلمية في المدينة المنورة سنة ١٣٢٨ هـ على طبع كتاب « ذروة الوفاء فيما يجب لحضرة المصطفى » . وقد طبع بعض مؤرخي الحرمين مطبوعاتهم التاريخية في مكة ككتاب « الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية » لأحمد دحلان ، فقد طبع في المطبعة الميرية سنة ١٣٠٢ هـ . وككتاب نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والأخرين للسيد جعفر البرزنجي ، طبع في الميرية سنة ١٣٠٣ هـ ، وككتاب أحمد بن محمد الحضراوى (ت ١٣٢٧ هـ) : « العقد الثمين في فضائل البلد الأمين » .

غير أن بعض المؤلفين قد نشروا كثيرا من مؤلفاتهم في مصر ككتب أحمد زيني دحلان التاريخية الاخرى مثل « السيرة النبوية والآثار المحمدية » طبع فى بولاق ١٢٩٢ و « خلاصة الكلام فى بيان امراء البلد الحرام » المطبعة الخيرية — مصر ١٣٠٥ و « تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية » المطبعة البهية — القاهرة ١٣٠٦ . وطبع كتاب « نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين » للسيد جعفر اسماعيل البرزنجي (طبعة اخرى) في مصر سنة ١٣٢٢ هـ .

كما نشرت بعض كتب التراث في مصر ككتاب « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » لمؤرخ مكة قطب الدين النهروالي بمصر سنة ١٣٠٥ في المطبعة الخيرية على ذمة ملتزمه الشيخ أبي بكر

خوقير الكتبي بمكة بباب السلام والمدرس والامام بالمسجد الحرام . وذلك على هامش كتاب : « خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام » .

أما عن تواريخ نجد فقد نشر تاريخ ابن غنام المسمى « روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام » لأول مرة طبعة حجرية بمدينة بومباي سنة ١٩١٩/١٣٣٨ هـ . كما نشر تاريخ ابن بشر المسمى « عنوان المجد في تاريخ نجد » في بغداد سنة ١٣٢٨ هـ في مجلد واحد وهي طبعة مختصرة عن الأصل .

وبعد توحيد الجزيرة نهضت العناية بكتب التاريخ نهضة ملحوظة ووجدنا عددا من الطبعات المحققة العلمية التي امتازت بها بعض النصوص التاريخية .... ومن أهم هذه الطبعات طبعة كتاب « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي التي أخرجها رشدي الصالح ملحس وطبعت بالمطبعة الماجدية في مكة في جزئين ، صدر الأول منهما عام ١٣٥٢ هـ والثاني عام ١٣٥٧ هـ .

وقد احتوت هذه الطبعة على كل ما يطمح اليه الباحث الحديث في مجال التحقيق العلمي من التمييز بين الروايات والعرض على النسخ المختلفة والترجمة لبعض الأعلام والتعريف ببعض الاماكن ، والتعليقات والشروح ، ثم اتباع الكتاب بفهارس مبتكرة للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وأسماء الأنبياء ، وخدمة بيت الله الحرام ، والأيام التاريخية ، والاصنام ، والأعلام من الرجال والنساء ، والأقوام والقبائل وأعلام الأماكن والقوافى والمحتويات .

وقد قدم رشدي ملحس للكتاب بمقدمة من ثماني عشرة صفحة تحدث فيها عن التدوين في الإسلام ، وخطط مكة ، وأقدم المؤلفات في تاريخها ، وترجمة المؤلف ، وروايات المؤرخين عنه ، ثم تحدث عن الكتاب ، وعن رواته ومختصراته ، وعن الطبعة الجديدة التي يقدم لها : وما يميزها عن طبعة وستنفلد الأوروبية فقال :

« وقد تصفحنا الطبعة الأوروبية مرارا حين دراستنا لخطط الأزرقي فألفيناها مشحونة بالتحريف مملوءة بالتصحيف ، ونحن مع احترامنا للناشر الفاضل لعنايته بطبع العشرات من الكتب العربية فلا يسعنا الا اظهار الأسف لاقتصاره في الطبع على بعض النسخ الخطية منها دون أن يحمل نفسه مشاق مراجعة المصادر الأخرى ، لتصحيح هذا التشويه وذاك التحريف . وقدكان هذا التحريف والتشويه في مقدمة العوامل التي حملتنا على طبع نسخة الطبعة الأوروبية أما بحيث كنا نجعلها الأساس في التصحيح وتبويب الأبحاث والفصول الى غير ذلك من المسائل » (ص.ل) .

ولقد اعتمد رشدي ملحس في اخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ :

أ ـــ الطبعة الأوروبية التي اتخذها اساسا .

ب ـــ نسخة اخرى من مخطوطات المكتبة المحمودية (قسم رقم ٥٣) .

ج ـــ نسخة اخرى من مخطوطات المكتبة المحمودية بالمدينة (تاريخ رقم ٥٣) .

د ـــ نسخة خطية ثالثة في مكتبة عبد الستار الدهلوي من علماء مكة المكرمة نسخها بقلمه

عن النسخة الخطية في دار الكتب المصرية .

وقد وصف المحقق هذه النسخ الخطية وصفا دقيقا .

وتحدث عن منهجه في التصحيح فقال : « وكنا نرجع الى النسخ الخطية الثلاث لتصحيح المتن في الطبعة الأوروبية . وقد كانت هذه الأصول كثيرة التحريف والتشويه . لذلك كنا نرجع المسائل التي لا نطمئن الى صحتها الى مصادر اخرى تدوينية وتاريخية وبوجه خاص خطط مكة المكرمة فجاءت طبعتنا الجديدة كما يراها القارىء خلوة من التحريف الا ما ندر » (ص . ف) .

ولم يكتف المحقق بذلك بل أضاف الى الكتاب ابحاثا مهمة منها بحث عن بناية الكعبة الاخيرة ، وآخر عن تاريخ كسوتها ، وبحث ثالث عن ذى الخلصة .

ان تحقيق رشدي ملحس لكتاب الأزرقي يعد عملا رائدا في تاريخ نشر التراث في بلادنا وهو ركيزة أولى من ركائز التحقيق العلمي الحديث الذي كنا ولا زلنا نطمح اليه ، وقد كان رشدي ملحس من أوائل الذين لفتوا الانظار الى كثير من الموضوعات العلمية والتاريخية [٢] ، ولو نشرت كل كتبه الخطية لوجدنا انه سبق الى دراسات في التاريخ والجغرافيا جديدة لم تكن بلادنا تعرفها قبله مثل كتاب « معجم منازل الوحي » ، وقد نشر فصولا منه في المنهل [٣] ، وكتاب « منازل المعلقات »الذي حقق فيه ما يقرب من ١٥٠ منزلا من المنازل المذكورة في المعلقات العشر [٤] ، الى جانب كتابه الذي نشر في مكة سنة ١٣٤٩ هـ بعنوان « معجم البلدان الغربية » ، وله مقالات عديدة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية [٥] .

لقد نشرت كثير من الكتب القديمة التي تبحث في تاريخ الحرمين الشريفين بعد كتاب ملحس ، ففي عام ١٣٦٩ هـ اصدر أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي كتاب « الاعلام بأعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام » للعلامة عبد الكريم مجد الدين القطبي المتوفى سنة ١٠١٤ ، وهو اختصار لكتاب عمه العلامة قطب الدين ابن علاء الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٨٩ أو ٩٩٠ ، والمسمى : « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » ، وقد نشره المحققان عن مخطوطة أصلها موجود في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخها عبد الوهاب الدهلوي ، وأضافا الى ذلك قطعة من نسخة أخرى عند الشيخ الدهلوي ، وقد قابلا هذه النسخة على نسختين من المطول احداهما طبعت في مصر والاخرى طبعة وستنفلد في اوروبا ، فأكملا ما وجداه من نقص أخل به صاحب المختصر من الكتاب المطول . كما انهما شرحا معاني بعض الكلمات وأشارا الى ما يجري على السنة العامة في مكة من ألفاظ المؤلف ، كما حاولا البحث عن أصولها وتتبعا بعض الألفاظ الأجنبية وشرحاها .

وبالجملة فقد بذلا جهدا طيبا في التصحيح والتعليق ثم أعقبا الكتاب باعتذار الى القارىء يشيران فيه الى انهما كانا يريدان أن يصلحا عبارة المؤلف الركيكة وأغلاطه النحوية واللغوية وتقريب اسلوبه الى الأسلوب الحديث ولكنهما منعا من ذلك ، منعتهما لجنة نشر الكتب العربية التي يصدر الكتاب ضمن نشراتها حفاظا على الأمانة العلمية . ولعل من حسن حظ الكتاب انهما لم يفعلا ما كانا عازمين عليه ، اذن لفقدنا النص التاريخي الصحيح الذي

يحكي ثقافة المؤلف وعصره ولغته وهي مسألة من أهم المسائل التي يجب ان يحرص عليها المحقق الثبت ، اذ ان النص وثيقة تاريخية تمثل عصرها الذي أنشئت فيه ولا يجوز تغييرها . ويؤخذ عليهما انهما لم يلحقا الكتاب بفهارس تعين الباحث وتجعل مواضيع الكتاب ومواصفه وأسماءه منه على طرف الثمام . كما انهما غيرا اسم الكتاب الى اسم جديد فدعياه « تاريخ البلد الحرام » وكأنهما استثقلا اسم المؤلف المسجوع المزخرف فغيراه الى اسم كبير براق . والعنوان الذي اختاره المحققان لا ينطبق في الحقيقة على ما في الكتاب اذ هو يختص في معظمه ببناء المسجد الحرام لا بالبلد الحرام مكة ، كما ان من المبالغة ان يدعي هذا المختصر تاريخا للبلد الحرام الى جانب أن عنوان الكتاب من حق المؤلف وليس من حق غيره التصرف فيه .

وقد طبع كتاب القطبي (الأصل) المسمى «كتاب الاعلام لأعلام بيت الله الحرام» طبعه ثانية على نفقة المكتبة العلمية بمكة ، وقدم له محمد أمين كتبي المدرس بالمسجد الحرام ، كما شرحه وعلق عليه ووضع صوره محمد طاهر الكردي الخطاط وذلك سنة ١٣٧٠ هـ وطبع في مصر بمطبعة السعادة .. وهذه الطبعة الى جانب انها طبعة رديئة للكتاب فقد امتازت بنمط جديد في التحقيق والتعليق لم تعهده الكتب العربية المحققة ، تلك هي ادخال الصور في صلب الكتاب . وهي طبعة أرادت أن تجمع بين الناحية العلمية بالتعليق والناحية الشعبية بوجود الصور الفوتوغرافية والرسوم التي تضفي على العمل تشويقا لدى العامة ، ففقدت الصبغة العلمية .

وقدم محمد أمين كتبي للكتاب فذكر أنه نشر من أجل أن يسد حاجة الحجاج الذين يسألون المطوفين وغيرهم من المدرسين وخدمة المسجد الحرام عن بعض الموضوعات . ولذلك فان نشره يساعد على اجابة هذه الاسئلة ، وتطرق بعد ذلك الى شرح فكرة الناشر وتنفيذ هذه الفكرة فقال :

« ولما رأى حضرة الفاضل الشيخ عبد الفتاح فدا صاحب المكتبة العلمية بمكة المكرمة بباب السلام شدة الرغبة والحاح الحاج الى كتاب يسد هذا الفراغ ويغذي هذه الرغبة ، وقع اختياره على كتاب « الاعلام بأعلام بيت الله الحرام » تاريخ مكة المشرفة ... فجرد العزم

لطبعه ثانية بعد أن نفذت (كذا) الطبعة الأولى ، ورغبة في أن تكون الطبعة الثانية تمتاز ببعض الزيادات النافعة من تعاليق مفيدة توضح ما تجدد بعد عصر المؤلف في المسجد الحرام والكعبة المشرفة ، ومن رسوم للكعبة المطهرة ، والحجر ، والمطاف والحجر الأسود ، والمنبر ، وبئر زمزم ، وباب بني شيبة ، وغير ذلك مما يزيد الانسان شوقا الى بيت ربه وحرمه ، فأسند القيام بهذه المهمة لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد طاهر الكردي الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة ، لما عهد فيه من نشاط في البحث ، ودقة في التصوير ، وسلامة في الذوق ، واستقامة في الطبع ، فشرحه وعلق عليه وحلاه بالرسوم الجميلة النافعة ، كما أسند الى كتابة هذه المقدمة لايضاح الفكرة التي دعته لاعادة طبع هذا الكتاب » (٦)

ثم نقل ترجمة المؤلف من البدر الطالع للشوكاني ، وبعد ذلك حليت الصفحة العاشرة بصورة للشارح « محمد طاهر كردي » ، كاتب مصحف مكة والمعلق على هذا الكتاب ،

أخذت له سنة ١٣٦٨ هـ .

ولقد امتازت التعليقات على الصور بضرب من العفوية التي تنافي التحقيق العلمي ، كما في التعليق الموضوع على صفحة ٣٧ عند حديث المؤلف الأصلي عن الحجر الأسود ، فقد كتب المعلق ما نصه : « انظر الى صورة الحجر الأسود في عصرنا الحاضر وترى صورة محمد طاهر الكردي الخطاط الذي كتب تعليقا على هذا الكتاب ظاهرة فيها ، وهو يهم بتقبيل الحجر الأسود في طوافه وقد وضع يده على ما يحيط به من الفضة » . وعندما تحدث المؤلف عن زمزم وضع المعلق على ذلك تعليقا وصورة استغرقت نصف الصفحة وقال : « انظر باب بئر زمزم وترى في الصورة محمد طاهر الكردي الخطاط وقد وقف على باب البئر » (ص ٤١) .

وقد يشير المعلق في اثناء تعليقاته على الصور الى كتاب له عن مقام ابراهيم عليه السلام كقوله عندما تحدث المؤلف عن الحجر ، فقد وضع المعلق صورة لأرض الحجر وعلق عليها بقوله : « انظر حجر اسماعيل عليه السلام وتجد أرضه مفروشا (كذا) بالرخام الجميل الزخرف ، وترى في الصورة على اليمين محمد طاهر الكردي الخطاط جالسا تحت ميزاب الكعبة المشرفة مشيرا بأصبعه الى الحجر الأخضر الذي تكلم عنه في كتاب مقام ابراهيم عليه السلام بصحيفة ١٤٩ » .

ويقول في ص ٧٧ عند الحديث عن مقام ابراهيم عليه السلام : « حدود المسجد الحرام قديما وحديثا ، والزيادات فيه وموضع المقام الكريم ، وغيرها من الأمور المهمة ذكرناها بتفصيل في كتاب مقام ابراهيم عليه السلام ، فليرجع اليه من شاء وهو كتاب مطبوع بمصر القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، وهو كتاب مهم للغاية ، بل هو أول كتاب وضع عن تاريخ المقام » .

ويضيف الحديث عن مثل هذه التعليقات الغريبة التي تشوه العمل بدل أن تزيده بهاء وجلاء على أن المعلق الفاضل قد حاول تصحيح بعض أوهام المؤلف (ص ١٣٦) ، وفي بعض الأحيان كان يصح الكتاب من نفسه فيشير الى أن « في هذه العبارة غلطا والصحيح كما تقدم ... ص ٧ ... (٣٥٢) .

ثم أتبع الكتاب بأرجوزة له في أشهر بنايات الكعبة ووضع صورة مبتكرة لهذه الزيادات أثبتها في آخر الكتاب وحلاها بصورته ..

لقد قدمنا الحديث عن نشر مؤلفات القطبي لأنها نشرت مبكرة فسبقت مؤلفات رجل من أشهر المؤلفين بل مؤرخ مكة بحق ، ذلك هو الامام العلامة الحافظ تقي الدين محمد بن

أحمد الفاسي المكي (ت ٨٣٢ هـ) وقد نشرله كتابان الأول : « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » سنة ١٩٥٦ م (١٣٧٦ هـ) ، والثاني « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » سنة ١٣٧٩ هـ ، وكلاهما نشرا على نفقة محمد سرور الصبان . والكتاب الأول « شفاء الغرام » صدر في جزئين كبيرين محققا ومعلقا عليه ، وتولت التحقيق والتعليق لجنة لا نعرف من أفرادها أحدا ولا نعلم لماذا لم يفصح عن اسماء اعضائها مع أن هذه اللجنة قد استعانت

بأساتذة سعوديين وغيرهم ذكرتهم في المقدمة وشكرت صنيعهم . فمن شكرته اللجنة من السعوديين سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي لمعاونته في بعض التعليقات على رجال الحديث . ومحمد نصيف على اعارته مخطوطته القيمة « افادة الأنام بأخبار البلد الحرام للشيخ الغازي » ، ومن غير السعوديين فؤاد السيد والشاعر أحمد رامي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، كما حلى الكتاب بأربع خرائط قام برسمها السيد جلال الجرويلي بجريدة الأهرام .

والافصاح عن شخصية المحقق من أهم الأمور التي تجعل الانسان يطمئن الى سلامة التحقيق أو عدمه ، وهذه السنة في تحقيق النصوص تغمط المحقق حقه من ناحية ، وتغمط العمل من ناحية اخرى . غير أننا نلاحظ ان الكتاب على وجه العموم قد صدربحلة قشيبة وطباعة أنيقة وقد حاول المحققون ان يخرجوه اخراجا حديثا فاعتمدوا على نسخة دار الكتب المصرية برقم ٧٤٨٤ عمومية و ٥٠٤ ورمزوا اليها بالحرف « ك » ، كما اعتمدوا على نسخة منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية نسخها عبد الستار الدهلوي في جزئين كبيرين . كما حاولوا التصحيح على مصادر اخرى ككتاب « افادة الأنام بأخبار البلد الحرام » للغازي ، و « منتخب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » ، ط. اوروبا سنة ١٨٨٠ م (٧) .

وقد اعتذروا عن تأخر نشر الكتاب في آخر المقدمة بحرصهم على أن تخرج هذه الطبعة اخراجا متقنا خاصة وان النسختين الخطيتين اللتين اعتمدوا عليهما خطهما رديء وتشملان على تصحيف كثير ونقص وأبيات شعرية محرفة (٨) .

ولقد تهيأ لهذه الطبعة أن تخرج اخراجا جيدا وبذل فيها جهد ليس بضئيل وكنا نظن ان أعضاء اللجنة من خارج البلاد ولكننا من التدقيق في التعليقات والشروح نجد ان فيها اشارات تدل على ان المحققين كانوا من ابناء الوطن . ففي التعليقات تحديد لبعض الأماكن التي يذكرها الفاسي تصعب على غير المواطن ، كما نجد اشارة الى اللغة المحكية في مكة ، والأسماء المحرفة عن اسماء قديمة مثل بركة ماجل (ماجد) (٩) ، ونجد في بعض التعليقات امنيات لا تصدر الا من مواطن غيور مثل ان تشكل لجنة من أهل الخبرة والعلم لوضع حدود الحرم ، وتحقيقها علميا ، وذكر تاريخها ، وطبعها وتوزيعها ، وأخيرا أمنية خاصة بالآثار والمشاعر .

ولعل من محاسن المحققين انهم لم يتدخلو بالاصلاح للغة المؤلف وانما تركوها على حالها ونبهوا على ذلك في الهامش (١٠) . ومع تدقيق المحققين الا انهم وقفوا مكتوفي الأيدي أمام أبيات من الشعر نثرها الناسخ فنبهوا على ذلك وحاولوا اعادتها الى طبيعتها الأصلية ولكنهم لم يفلحوا في ذلك وفاتهم أن في البيتين سقطا لم يكتشفوه حتى يمكن ترتيب ما بقي من هذين البيتين ، والبيتان هما :

يروق لي منظر البيت العتيق اذا
بـــــــــــدا ....
كأن حليتها السوداء قد نسجت
من حبة القلب أو من أسود المقل

وقد ألحق الجزء الأول بفهارس للموضوعات ثم بمجموعة الصور (١٦ صورة) لبعض الأماكن الأثرية في المسجد الحرام ومكة والمشاعر وبعض المنشآت كميناء جدة البحري والمطار .

أما الجزء الثاني فقد أعقب بأربعة ملحقات أولها ولاة مكة بعد الفاسي ملخص من كتاب المؤرخ ابن ظهيرة القرشي المكي (ت ٩٥٠) - المعروف بـ « الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف » [١١] . بالاضافة الى ما بعده حتى العصر السعودي ، وكان الملحق بقلم عبد الستار الدهلوي الى عهد الشريف حسين ، ثم أكملته اللجنة الى العصر السعودي حيث عين الأمير فيصل نائبا للملك في الحجاز . والثاني كتاب « الدرة الثمينة في تاريخ المدينة » للمؤرخ الحافظ الشيخ محمد بن محمود بن النجار (ت ٦٤٧ هـ) مقدما بمقدمة من اللجنة .

والملحق الثالث : يختص بالعمارة التي أدخلت على المسجد النبوي الشريف منذ انشائه حتى وقت صدور الكتاب . والرابع بعض آثار المدينة ومزاراتها . ثم كلمة الختام وجدول التصويب .

ولم يف المحققون بوعدهم الذي ذكروه في مقدمة الكتاب من عزمهم على وضع فهارس شاملة للاعلام والمواضع في النهاية ، واكتفوا بفهرس الموضوعات .

(١) انظر للكاتب : حركة احياء التراث قبل توحيد الجزيرة ، الدارة ، ع ١ م ١ ، ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/مارس ١٩٧٥ م ص ٤٤ — ٦٢ ، و « حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة » (كتب العقيدة والتشريع) الدارة ، ع ٤ م ٣ ، صفر ١٣٩٨ م/يناير ١٩٧٨ م صص ٨ — ٢١ ، و « حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة » (كتب التفسير) ، الدارة ، وع ٣ م ٤ ،شوال ١٣٩٨ هـ/سبتمبر ١٩٧٨ هـ م صص ٨ — ١٤ .

(٢) انظر منصور الحازمي ، « معجم المصادر الصحفية ض ٤١ » .

(٣) انظر عبد القدوس الأنصاري ، « رشدي الصالح ملحس » ، المنهل ، م ٦ ج ٤ ، ربيع الثاني ١٩٦٥ هـ/١٩٤٩ م ص١٧٥ ، وتأبينه له في المنهل ، م ١٩ ج ٧ ، رجب ١٩٧٨ هـ/يناير — فبراير ١٩٥٩ م ص ٢٩٤ .

(٤) عبد القدوس الأنصاري ، « رشدي الصالح ملحس » ، الموضع السابق .

(٥) انظر على سبيل المثال : سلسلة مقالاته بعنوان « مؤرخو الحجاز ونجد » أم القرى ، ع ٤٥٣ وع ٤٥٤ (١٣٥٢ هـ/١٩٣٣ م) .

(٦) المقدمة ص ٥ — ٦

(٧) المقدمة ص و .

(٨) المقدمة ١/ص ز .

(٩) ص ط .

(١٠) انظر على سبيل المثال ص ١١٥ و ٦٥٢ .

(١١) طبع هذا الكتاب الصغير طبعة تجارية سنة ١٣٤٠ هـ في مصر في مطبعة عيسى البابي الحلبي ولم يشر فيه الى المخطوط الذي اعتمد عليه وانما طبع بنفقة مكتبة تجارية في مكة . وهذه الطبعة ليس فيها ميزة الا احتواؤها على فهارس في آخر الكتاب ولكنها غير مستوفية لكل ما في الكتاب من الأعلام والأماكن .



أيها المسلم لا يخفى أن دين الإسلام جاء للإخاء والوفاق فكان التفرق للعداء والشقاق واي منكر أعظم من التفرقة في الدين والعداوة بين أهله قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء وقال سبحانه »ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون«، ليس عجيبا ان يعد التفرق فى الدين من اعمال المشركين ، ونحن ندعو الى الخير وهو دين الإسلام امتثالاً لأمر الله تعالى حيث يقول ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك المفلحون ، فلا بد من جماعة او جمعية تقوم بهذا الواجب في كل بلدة وكل قرية تعاونهم جميع الأفراد نساء ورجالا ويمدونهم بكل ما يستطيعون وان المسلمين بحمد الله فيهم من الاستعداد لفعل الخير ما يفوق جميع الأمم فلا بد من تنظيم هذا الخير ان الخيرات التي تبذل في سبيل الله من الزكاة والصدقات تكفي بل تغني ولكن اكثرها يذهب لأناس لا يستحقون شيئا ولقد تيسر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر بواسطة الطباعة والصحف والنشرات والرسائل ولا شك ان الصحافة المخلصة من اكبر عون للدعوة الى الخير ولقد امتاز الاسلام على غيره بأن كتابه الكريم محفوظ متفق عليه من المسلمين جميعا وبأنه كما انزل يشهد بهذا كل من بحث من جميع الأمم حتى الأعداء وكذلك السنة فقد تفضل الله بتوثيق رجال مخلصين علماء محققين خدموا هذه الناحية اعظم خدمة وكذلك الفقهاء الأربعة وغيرهم من أئمة الفقه وكذا التفسير والتأريخ والسياسة والاجتماع وفق الله لهذا الدين العظيم رجالا خدموه بتدقيق واخلاص فاقوا جميع رجال الاديان وها هي آثارهم ماثلة شاهدة بفضل الله علينا وعليهم وعلى العالم اجمع حيث انتفع الجميع بعلمهم واقروا بفضلهم ولما كان هذا الدين العظيم آخر الاديان وناسخها فقد عاداه دجالوا الاديان خوفا على زعامتهم عاداه اليهود والمجوس وبعض النصارى وقولنا

بعض لأن كثيرا من فلاسفة اوروبا واميركا يثنون على الإسلام ويعترفون بفضله على العالم فيجرون المقالات ويؤلفون الأسفار وهذا كثير شائع وقد يتحملون كثيرا من الإيذاء من رجال الكنائس ومن المتعصبين ولا يبالون واول من عادى الإسلام من الدول دولة الرمان وغيهم حينما حطم جبروتهم فاجتمع فلاسفتهم وساستهم فقرروا بأن العرب لم تكن لهم هذه القوة الا بهذا الدين فلا بد من هدمه وذلك بأن يدخل من علمائهم وساستهم رجال يظهرون الإسلام والتقوى ويدسون الدسائس ويأبى الله الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون وقد وفق الله سبحانه وتعالى كثيرا من العلماء للبيان والتحذير والفوا فيها المؤلفات وهي في الغالب تنحصر فيما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام «يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله ينفون عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فمنهم الشاطبي الذى سمى كتابه الإعتصام وابن الحاج كتابه المدخل ومن اعظم من الف في البدع شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله فنشر ما الفه هذان المجددان فيه اعظم خدمة للإسلام هذه المؤلفات بينت الدسائس القديمة التي لم تزل مجهولة عند كثير من العامة واشباالعلماء اما اليوم فهذه المدارس الاجنبية هي ام الدسائس الدينية والسياسية فاحذروها هذا مجمل ما اتانا من الاعداء الخارجين وعلاجه بنشر ما تقدم ذكره لك أيها القارىء لأن هذه المؤلفات تدعو بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله واذا تم هذا فقد تمَّ كل شيء واجتمعت الكلمة والذي يساعد على هذه الخطوة الجبارة اي الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الفرق هو الانتباه الى الدسائس التي دسها اعداء الدين والكثير من علماء السوء واخيرا اقول الواجب على كل فرقة ان تقضي على الغلو بالرجوع الى الكتاب والسنة الصحيحة ففيهما الضالة المنشودة وانما اختار الله سبحانه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة العامة لما وهبه من الخصائص التي امتاز بها على غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وانما اختار الله سبحانه اللغة العربية لهذه الرسالة لأنها افصح اللغات وأبينها وأوسعها وقد الف العلماء في فضل اللغة العربية ايضا وسعتها وامتيازها وانما اختار الله هذا الدين الإسلامي للعالمين لما فيه من المزايا التي لا توجد في غيره من الاديان وصلاحيته لكل فرد وكل امة ومنها ان معجزاته عامة تسهل رؤيتها لكل انسان خالدة باقية الى الأبد فمن هذه المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى العرب ولم يزل يتحدى العالم ومنها ان المكتشفات العلمية التي كشفها العالم الى الان كشفها بهذه الوسائل الدقيقة والمراصد العظيمة والمكبرات والتحليلات والجهود والتخصصات ولم يكن احد يعلمها قبل قرن واحد قد سبق اليها القرآن الكريم وجاء بعضها في اقوال الرسول الكريم وانما اختار الله العرب لما وهبهم من المزايا التى فطرهم عليها وقد فاقوا بها غيرهم من أمم الارض منها العقل الجبار والفطرة الممتازة والشجاعة والغيرة والكرم والحمية والنجدة وغيرها و ان فلاسفة اوربا يشهدون قال الدكتور « غوستان لوبون » ان المكتبات والمختبرات والآلات لم تكن الا وسائل للبحث والدرس وان قيمتها في الإستفادة فقد يستطيع المرء ان يكون مطلعا على علم السابقين وان يبقى مع ذلك عاجزا عن التفكير الطليق الحر وان يظل لذلك تلميذا غير قادر على الارتقاء الى درجة استاذ ثم قال لوبوت وسيرى القارىء من الاكتشافات التي نذكرها في الفصول الآتية مقدار ما اكتشفته العرب بما لديهم من الوسائل

والآن اقتصر على ذكر المناهج العامة التي استعانوا بها في توجيه ابحاثهم قال: فالعرب بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب العرفان لم يلبثوا ان ادركوا ان التجربة والترصد خير من افضل الكتب ولا تقل ان ما ادركه العرب هو من الحقائق المبتذلة فقد جد علماء القرون الوسطى في اوربا الف سنة قبل ان يبلغوه يقول الاوربيون ان — بيكن — اول من قال بالتجربة والترصد اللذين هما ركنا المباحث العلمية الحديثة ولكن الإنصاف يقضي بأن نعترف بأن الفضل في ذلك للعرب وحدهم وقد أيد هذا الرأي مع ذلك جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب ولا سيا العالم الشهير — همبولد — فبعد ان ذكر همبولد ان ما قام على التجربة والترصد هو افضل ما في العلوم قال : ان العرب ارتقوا في علومهم الى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء كل الجهل وقال مسيو — سيديو — ان من اهم ما اتصفت بجامعة بغداد منذ البداءة هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة فيها في استخراج المجهول من المعلوم والعلل من المعلومات وفي عدم التسليم بما لا يقوم على التجربة والترصد وقد كان العرب في القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهج المجدي الذي اقتبسه علماء اوربا بعد زمن طويل فقد كان عاملا في اكتشافاتهم المفيدة لأن منهاج العرب قائم على التجربة والترصد واما درس الكتب والإقتصار على تكرار رأي المعلم فما سارت عليه اوربة في القرون الوسطى والفرق بين المنهجين واضح ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا باظهار هذا الفرق حقا لقد اختبر العرب مسائل العلم وجربوها وقد كانوا اول من ادرك اهمية هذا المنهج في العالم وقد كانوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا .

وقال « دولامبر » في كتاب تأريخ علم الفلك اذا عددت بين الإغريق راصدين او ثلاث ثم نظرت الى العرب امكنك ان ترى بينهم عددا كبيرا من الرصاد واما في الكيمياء فلا تجد عالما يونانيا استند في مباحثه الى التجربة مع أنك تعد مئات من علماء العرب الذين قامت مباحثهم الكيمياوية على التجربة وقد منح اعتماد العرب على التجربة في مؤلفاتهم دقة وابداعا لا ينتظر مثلها من رجل تعود درس الحوادث في الكتب ولم يبتعد العرب عن الإبداع الا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على الترصد والتجربة وقد نشأ عن منهاج العرب التجريبي الخاص بهم وصولهم الى اكتشافات مهمة وسوف ترى من مباحثنا في اعمال العرب العلمية انهم انجزوا في ثلاثة او اربعة قرون من الإكتشافات ما يزيد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيرا وقد حدث ان انتقل تراث الإغريق العلمي الى البيزنطيين الذين لم يستفيدوا منذ زمن طويل فلما آل الى العرب حولوه الى غير ما كان عليه فتلقاه ورثتهم مخلوقا خلقا آخر والحقيقة انه لا يشك عامل منصف رأى العرب ورأى آثار نهضتهم العلمية والسياسية والعمرانية وما الى ذلك من اركان الحضارة التي انشاوها لا يشك بأن العرب افضل شعوب الأرض فطرة وعقلا واخلاقا وان الإسلام هو الذي دفعهم الى هذه الحضارة التي قاموا بها فأدهشوا العالم واقر المنصفون بأنها فاقت جميع الحضارات السابقة واللاحقة والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على الهادي البشير نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين .

عبدالله بن محمد الخليفي

امام وخطيب المسجد الحرام

على هامش

أسبوع الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

للدكتور عبدالله الصالح العثيمين

تنوّع النشاط في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وكان من ذلك النشاط تلك المحاضرة العامة التي ألقاها عالم تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها الشيخ حمد الجاسر مساء يوم الإربعاء ١٤٠٠/٤/٢٥ هـ . وكان عنوان المحاضرة « المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » . وقد تلا هذه المحاضرة وإجابة ملقيها عن أسئلة الحاضرين تعليق للعالم الجليل الاستاذ محمد بهجة الأثرى . وكان مما جاء في هذا التعليق تساؤله عن الجمع أو التوفيق بين استخدام الشيخ حمد الجاسر لابن بشر في كثير مما ورد في محاضرته من معلومات وبين عدم اعتماده عليه في نقاط معينة أثناء إجابته عن بعض الأسئلة . ومن هذه النقاط روايته عن كيفية خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى الزبير وروايته عن اعتداء بعض الناس عليه في حريملاء . وقد أوضح الشيخ حمد الجاسر في إجابته عن هذا التساؤل بأنه ليس من الضروري أن يقبل من كل مؤرخ جميع ما ورد في تاريخه من روايات وأخبار ، وأن ابن بشر ، الذي لم يكن معاصراً لحدوث المسألتين السابقتين ، قد نقل خبريهما عن غيره .

ولقد ورد في خاطري ، ذلك المساء ، أن أعلّق على ما دار حوله نقاش العالمين الجليلين . لكن بدا لي أن الجو لم يكن ليسمح بإبداء ما لديّ . وهأنذا أكتب ما كنت قد توقفت عن قوله في تلك المناسبة ، آملا أن يسهم في إيضاح بعض جوانب الموضوع الذي دار حوله النقاش .

لعله من المسلم به صحة ما أشار إليه الشيخ حمد الجاسر من أنه ليس ضروريا أن يقبل من المؤرخ جميع ما في تاريخه من روايات . فمن مهام الباحث أن يحلّل الروايات المختلفة ليخرج بما يرى أنه أقرب إلى الحقيقة . ولا تقتصر مهمته على تحليل ما رواه المؤرخ من أحداث سابقة لعصره ، وإنما تشمل ، أيضا ، ما رواه من أحداث معاصرة له . والنظرة الى إبن بشر ينبغي ألاّ تخرج عن هذه القاعدة العامة . فبالرغم من أن تاريخه يعتبر من أهمّ مصادر تاريخ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية التي قامت على أساس دعوته إلاّ أن المتتبع له يلاحظ عدم دقة مؤلفه ، أحيانا ، في تعبيره عن أمور معاصرة له وروايتها لها [1] . وإذا كان احتمال عدم الدقة وارداً بالنسبة لكتابة هذا المؤرخ عن أمور عاصرها فإن احتمال ضعف روايته عن أمور سبقت عصره أقوى وأقرب الى الوقوع .

والحادثتان اللتان دار النقاش حولها بين العالمين الجليلين : الجاسر والأثري ، وقعتا قبل مولد ابن بشر بأكثر من نصف قرن . ومن خلال مناقشتها ، مع روايته لحوادث مشابهة لها في الهدف ومقاربة لها في الزمن ، يتضح مدى صحة رواية هذا المؤرخ أو ضعفها في هذا المجال . يقول ابن بشر عن قضية خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من البصرة :

« ثم إن الشيخ اجتمع عليه أناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فاذوه اشد الأذى ، وأخرجوه منها وقت الظهيرة . ولحق شيخه - يعني المجموعي - منهم بعض الأذى . فلما خرج من البصرة . وتوسط في الدرب فما بينها وبين بلد الزبير أدركه العطش وأشرف على الهلاك وكان يمشي على رجليه . حافيا . وحده . فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له أبو حميد ان من أهل الزبير . فرأى عليه الهيبة والوقار وهو مشرف على الهلاك . فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير » [٢] .

والمتأمل في هذه الرواية تتضح له عناصر الصورة الدرامية عن كيفية خروج الشيخ محمد من البصرة . فالراوي قد أخرجه من تلك المدينة بعد إيذاء شديد ، واختار لخروجه منها وقت الظهيرة ، وصوّره وحده ماشيا على قدميه . ولم ينس . مبالغة في التصوير الدرامي . أن يذكر إدراك العطش للشيخ وإشرافه على الهلاك في وسط الدرب بين البصرة والزبير . بل إنه لم ينس ، في سبيل إكمال الصورة المأساوية . أن يقول : إن الشيخ كان حافيا . وحين انتهى ذلك الراوي من ذكر العناصر الهادفة إلى إيضاح ما نال الشيخ من مصائب في سبيل دعوته عاد ليبيّن أن الفوز للصابرين مهما ادلهمت الخطوب . وهكذا قدّر الله سبحانه أن يوافي من كانت تلك حاله صاحب حمار مكاري فيسقيه ويحمله على حماره حتى وصل الى الزبير بسلام .

وبالرغم مما في الرواية السابقة من تصوير مؤثر فإن ما ورد فيها لم يذكر من قبل مؤرخين لهما وزنهما في مجال الحديث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهما حسين بن غنام الاقرب إلى الحادثة زمنا والأقرب إلى بطلها صلة ، وعبد الرحمن بن حسن حفيد ذلك الشيخ . وكلام ابن غنام يوحي بأن موقف الشيخ في البصرة كان قويا لدرجة أنه كان يفحم خصومه بالحجة والبرهان . وليس في كلامه أي ذكر لإخراج الشيخ من البصرة بغير رضاه ، أو معاناته خلال سفره منها [٣] . وكلام عبد الرحمن بن حسن ينص على أن جده عاد إلى البصرة بعد ذهابه إلى الأحساء ، وأنه تركها مرة ثانية إلى الحجاز . وكلامه لا يدل ، بأية حال ، على أن خروجه من البصرة في كلتا المرتين كان خروجا غير طبيعي [٤] . وبناء على ما تقدم فإن للباحث ، أو عليه ، أن ينظر إلى رواية ابن بشر عن الحادثة السابقة بحذر شديد .

أما بالنسبة للمسألة الثانية ، وهي رواية ابن بشر عن محاولة اعتداء أناس من أهل حريملاء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فإنها لم تكن بالصورة التى أظهرت بها الحادثة الأولى . ولكنها مقاربة لها في بعض جوانب الهدف الذي روينا من أجله . يقول إبن بشر :

« وكان في البلد - يعنى حريملاء - عبيد لإحدى القبيلتين كثير تعديهم وفسقهم . فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد ، وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فهمّ العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سراً . فلما تسوّروا عليه الجدار علم بهم أناس فصاحوا عليهم ، فهربوا . فانتقل الشيخ بعدها إلى بلد العيينة » [٥] .

وهذه القصة غير مذكورة ، أيضا ، في تاريخ ابن غنام . لكن من المعروف لدى المهتمين بتاريخ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن معارضته لما كان يراه مخالفاً للعقيدة الصحيحة والشرع القويم أصبحت أكثر قوة بعد وفاة أبيه سنة ١١٥٣ هـ . ومن المحتمل أن

ذلك جاء نتيجة اقتناعه بأنه أصبح أبرز شخصية علمية في البلدة . وعلى هذا الأساس فإنه من غير المستبعد أن يكون الشيخ قد أراد أن يمنع ذوي الفساد من ممارسته . أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر . ولأنه لم تكن في حريملاء ، آنذاك ، إمارة قوية فإن هؤلاء ربما حاولوا الاعتداء عليه . لكن إذا سلّم بترجيح وقوع هذه الحادثة فإنه من الواضح أنها لم تكن السبب في انتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة . كما قد يفهم من عبارة ابن بشر الواردة في آخر الرواية السابقة « فانتقل الشيخ بعدها إلى بلد العيينة » . ومن المرجّح أن ذلك الانتقال يعود الى سبب رئيسي وسببين ثانويين . أمّا السبب الرئيسي فهو قبول أمير العيينة ، عثمان معمّر ، لدعوة الشيخ . وذلك ما ذكره ابن غنام ، بعد إشارته الى انتشار تلك الدعوة في بلدان العارض المشهورة ، بقوله :

« ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها - يعني حريملاء - والارتحال والإقامة بالعيينة . فجد في الرحيل والانتقال . وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمّر لقبول هذا الدين » [٦] .

وأمّا السببان الثانويان فأحدهما كون العيينة أقوى من حريملاء وكونها موحّدة الزعامة ، وهذا ما لم يكن متوافراً في حريملاء التي كانت السلطة فيها منقسمة ، والتي لم يكن لها « رئيس يزع الجميع » حسب تعبير ابن بشر [٧] . وما دام أمير البلدة القوية الموحّدة متقبلا للدعوة فاحتمال نجاحها فيها أكبر من احتمال نجاحها في حريملاء . وكان نجاح الدعوة هو ما يبحث عنه الشيخ بن عبد الوهاب . والثاني من السببين الثانويين وجود مكانة اجتماعية بارزة لأسرة الشيخ في العيينة منذ قدوم جدة ، سليمان بن عليّ ، إليها واحتلاله مركز القضاء فيها . ويضاف إلى ذلك أنها كانت مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته . ولذا فقد كان يوجد لديه ميل نفسي إليها . وهكذا توافرت العوامل لانتقاله إليها فانتقل .

وقريب من رواية بشر الدرامية عن كيفية خروج الشيخ من البصرة ما ورد في إحدى طبعات كتابه حول خروج ذلك الشيخ من العيينة الى الدرعية . فبعد أن أشار إلى ضغط حاكم الأحساء على عثمان بن معمّر للتخلص منه ذكر أن عثمان قال للشيخ :

« ليس من الشيم والمروءة أن **نقتلك** في بلادنا . فشأنك ونفسك ، وخلّ بلادنا . فأمر فارسا عنده يقال له الفريد مع خيّالة معه منهم طوالة الحمراني . وقال : اركب جوادك وسر بهذا الرجل الى ما يريد . فقال الشيخ : أريد الدرعية . **فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه . وليس معه إلاّ المروحة . وذلك في غاية الحر في فصل الصيف** . فقال ابن معمّر لفارسه : إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب فاقتله عنده ... فسار الفارس والشيخ أمامه وهو لا يلتفت ويلهج بقوله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، والفارس لم يكلمه . فلما همّ بقتله كف الله عنه يده ، وأبطل كيده ، وقذف الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدما . فحرف جواده وانصرف الى العيينة . وقال لعثمان : إنه أصابه رعب عظيم حتى خفت على نفسي » [٨]

وهذه القصة لم ترد في تاريخ ابن غنّام . وليس الباحث في حاجة الى محاولة إيضاح ما يبرهن على ضعفها . ذلك أن ابن بشر نفسه كفى الباحثين هذه المهمة حين كتب في المبيضة الثانية من كتابه هذه القصة كما يلي :

« ليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك (٩) . فشأنك ونفسك وخلّ لنا بلادنا . فأمر على فارس عنده يقال له الفريد الظفيري وخيّالة معه منهم طوالة الحمراني ، وقال لهم : اركبوا مع هذا الرجل الى ما يريد . فقال الشيخ : أريد الدرعية . فسار الشيخ ومعه الفرسان حتى وصل الدرعية . ذكر لي أنه في طريقه لا يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ، واعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمّر وفرسانه انه امرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك . ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصلا] هكذا [بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة » (١٠) .

ولم تقتصر الروايات الضعيفة الواردة في تاريخ ابن بشر حول نشأة الدعوة على ما سبق ، وإنما تعددت . ومن هذه روايته عن الظروف التي أحاطت بالشيخ منذ وصوله الى الدرعية حتى اتفاقه مع محمد بن سعود . ومما جاء في هذه الرواية أن الشيخ نزل عند ابن سويلم ، فضاقت على هذا داره خوفا من أمير البلدة ، وأن بعض الخاصة من أهل الدرعية علموا بقدوم الشيخ فأخذوا يزورونه سراً ، وأن هؤلاء همّوا بنصح الأمير لنصرته لكن لهيبتهم منه اتصلوا بزوجته لتقوم بهذه المهمة . وكانت النتيجة أن نجحت في إقناعه . ثم انتهت الرواية بذهاب الأمير محمد بن سعود إلى بيت ابن سويلم ليسلّم على الشيخ ويتفق معه على نصرة الدعوة (١١) .

وقد أبدى الدكتور منير العجلاني شكه في صحة هذه الرواية ، معللا ذلك بأن دعوة الشيخ كانت مشهورة في الدرعية ومعتنقة من قبل بعض زعمائها قبل انتقاله إليها . بل إنه يعتقد - بناء على رواية مانجان - أن الشيخ لم يخرج من العيينة إلاّ بعد أن دعته الدرعية إليها (١٢) .

وسواء قبل ما اعتقده الدكتور العجلاني من دعوة الدرعية للشيخ أم لا فإن ما ذكره من شهرة الدعوة في تلك البلدة واعتناق بعض زعمائها لها قبل قدومه إليها من الأمور الثابتة . ذلك أن دعوة الشيخ كانت ، آنذاك ، قد نجحت في القضاء على ما كان الجهال في المنطقة يتوسلون به . وقد أحدث ذلك ردود فعل واسعة لا في نجد فحسب بل خارجها . ومن هنا فليس من المحتمل أن يكون مجيىء صاحب تلك الدعوة الى الدرعية من الأمور التي لا يعلم بها أمير تلك البلدة ، أو أن يوجد فيها ويزار خفية من قبل بعض خاصتها . على أن ابن غنام قال عن هذه القضية بالذات :

« فخرج الشيخ الى بلد الدرعية ... فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة ، فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل الى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود ، أسكنه الله دار الخلاد ، قام من فوره مسرعا إليه ومعه إخوته ثنيّان ومشاري ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم ، فسلّم عليه ، وبادره بالقبول والتقبيل » (١٣) .

وواضح ان رواية ابن غنام لا تشير الى ثلاثة أمور وردت في رواية ابن بشر . وأثارت حولها الشكوك . وهي خوف ابن سويلم حين نزل عنده الشيخ . وزيارة بعض خاصة الدرعية له سراً . واتصالهم بزوجة الأمير محمد بن سعود لاقناعه بالدعوة ونصرتها . لكن في عبارة ابن غنام السابقة ما يوحي بأن أمير الدرعية لم يسمع بقدوم الشيخ إلا بعد انتقاله إلى بيت أحمد بن سويلم . ويفهم من هذه العبارة أن ذلك الأمر لم يحدث إلا بعد يوم وليلة من وصوله الى تلك البلدة . ويبدو أن ابن غنام لم يكن دقيقا في عبارته . فمن المحتمل أن الأمير محمد بن سعود لم يذهب للسلام على الشيخ فور وصوله إلى الدرعية . لكنه من غير المحتمل أن يكون الشيخ قد بقي يوماً وليلة في البلدة دون علم أميرها به .

ومن العبارة الواردة في رواية ابن غنام وإشارة ابن بشر الى الدور الذي كان لزوجة الأمير محمد بن سعود يبدو أن الأمر كان كما يلي : حين وصل الشيخ الى الدرعية نزل عند ابن سويلم ، الذي كان من الشخصيات البارزة هناك . وقد جرت العادة أن يذهب القادمون الى أمير البلدة التي يفدون إليها للسلام عليه . لكن الشيخ لم يفعل ذلك ، ربما لأنه كان يعتقد أن العلم يجب أن يسعى إليه . ومع علم الأمير محمد بن سعود بقدومه فإنه ـ بدوره ـ كان يرى أن يؤتى إليه بصفته أميراً ، كما هي العادة المتبعة . وهكذا مر يوم وليلة دون أن يكون لقاء بين الرجلين . ولما لزوجة الأمير العاقلة من حظوة لدى زوجها سارع أنصار الشيخ إليها يسألونها أن تقنع ذلك الزوج لا ليقبل الدعوة ـ كما ذكرت رواية ابن بشر ـ ولكن ليذهب بنفسه للسلام على القادم الجديد ويظهر له الاحترام . وكان أن فعل .

ولعلّه من المستحسن قبل ختام هذا التعليق مناقشة رواية أخرى من روايات ابن بشر حول تلك الفترة التاريخية رويت ، فيما يظهر ، لنفس الغرض الذي رويت من أجله رواياته السابقة ، واتسمت بما اتسمت به تلك الروايات من ضعف . وهذه الرواية تتحدث عن الغزوة الأولى التي بدأ بها جهاد أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو الصراع المسلّح بين أنصار تلك الدعوة وخصومهم . يقول ابن بشر عن هذا الامر :

« ثم أمر الشيخ بالجهاد ... فامتثلوا . فأول جيش غزا سبع ركائب . فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها ؛ لأنهم لم يعتادوا ركوبها . فأغاروا ، أظنه ، على بعض الأعراب ، فغنموا ورجعوا » (١٤) .

وقد وردت هذه القصة في كتابين آخرين بصورة مقاربة لرواية ابن بشرفي الهدف الذي سبقت من أجله ، وهو اظهار ضعف الدعوة في بداية الأمر ، مع اختلاف في التفاصيل . فالمؤلف المجهول لكتاب **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** يذكر أن أول غزوة خرجت من الدرعية كانت مكونة من ستة عشر رجلا على ثمان من الإبل ، وأن الذين قاموا بها رجعوا دون الحصول على غنائم (١٥) . وبوركارت يقول : إن عدد الإبل في الغزوة الأولى كان سبعاً ، لكنه لم ينص على عدد الرجال ولم يشر الى نتائج غزوتهم (١٦) . وذلك يعني أن هذه القصة كانت شائعة في المنطقة آنذاك .

ولعلّه من الواضح ما في رواية ابن بشر السابقة ، بالذات ، من تصوير يميل إليه عشاق

القصص أكثر مما يركن إليه طلاب الحقيقة التاريخية . ذلك أنه من المنتظر أن يبذل قادة الدرعية ما في وسعهم لإظهار الغزوة الأولى من غزواتهم بمظهر القوة والاستعداد . ومن المستبعد ألاّ يكون لديهم ، آنذاك ، غير ذلك العدد القليل من المهيئين للغزو . ومن المعروف أن الإبل كانت وسيلة المواصلات لدى أهل نجد في ذلك الزمن . ومن غير المحتمل أن يكون كل أفراد الغزو لا يتقنون ركوبها لدرجة أنهم جميعاً سقطوا من أكوارها حين أسرعت بهم . وابن بشر نفسه لم يكن متأكداً من أولئك الذين وجهت إليهم الغزوة المذكورة، ولم يذكر إلى أية قبيلة ينتمون . وفي ذلك ما فيه من أدلة ضعف الرواية . ذلك أن الغزوة الأولى أجدر أن يهتم بها ، وأن يعرف ، على الاقل ، من كانت موجهة إليه . ثم بعد إيضاح ذلك الضعف في الاستعداد وعدم ذكر الهدف الموجه إليه الغزو تختتم الرواية بأن الغازين عادوا غانمين !

ومن الواضح أن المؤرخين السابقين الثلاثة متفقون على ضعف الغزوة الأولى التي قام بها أنصار الدعوة ، وأنهم متفقون ، أيضا ، على أن هؤلاء الأنصار هم الذين بدأوا القتال مع خصومهم . لكن ابن غنام ، الذي لم ترد هذه القصة في تاريخه ، يذكر ان بداية القتال بين الدرعية وخصومها كانت نتيجة لاعتداء دهام بن دواس ، أمير الرياض ، على منفوحة التي كانت ، آنذاك ، تابعة لدولة الدرعية الناشئة (١٧) . وهذا يعني أن خصوم الدعوة هم الذين بدأوا القتال مع انصارها . وقد ورد في رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى السويدي ما يؤيد رواية ابن غنام السابقة إذ قال :

« وأما القتال فلم نقاتل أحداً الى اليوم إلا دون النفس والحرمة . وهم الذين أتونا في ديارنا » (١٨) .

وهكذا تبدو بعض روايات ابن بشر عن حياة الشيخ وبداية دعوته ضعيفة أمام من يتأملها . ولكن ذلك لا يعني أن كتابه لا يعتبر من أهم كتب تاريخ حياة الشيخ ودعوته والدولة التي قامت على أساسها . ولا شك أن ذلك المؤرخ كان يتحرّى الصدق ، بدليل أنه حين اتضح له عدم صحة ما رواه في إحدى مخطوطات كتابه عن أمر ابن معمّر لفارسه بقتل الشيخ أشار الى ذلك وحذف القصة من ذلك الكتاب . لكنه كان يروي تلك الأحداث التي لم يعاصرها عن آخرين ، كما ذكر في مستهل هذا التعليق . ولا شك ، أيضاً ، أن هدف أولئك الرواة من الروايات السابقة إظهار ما عاناه الشيخ ، رحمه الله ، في سبيل الدعوة ، وإظهار نصر الله لها مع أنها كانت ضعيفة جدا في بداية أمرها . وفي هذا وذاك حث للمخلصين على الصبر وتبشير لهم بأن الله معهم مهما كانوا ضعفاء .

د. عبدالله الصالح العثيمين

الهوامش

(١) من ذلك - مثلا - أنه حين تحدث عن وصول خبر اغتيال الإمام تركي بن عبدالله إلى ابنه فيصل في شرق الجزيرة العربية قال : وكان معه رؤساء المسلمين من الأمراء والأعيان . منهم رئيس الجبل عبدالله بن عليّ بن رشيد . انظر **عنوان المجد في تاريخ نجد** ، طبعة وزارة المعارف ، ١٣٩١ هـ : ٦٥/٢ . ومن المعروف أن عبدالله بن رشيد لم يكن ، آنذاك ، قد أصبح أميراً للجبل .

(٢) المصدر السابق : ٢١/١ .

(٣) ابن غنّام ، **روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الاسلام** . القاهرة ، ١٣٦٨ هـ : ٧/١ - ٢٨ .

(٤) **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** جمع عبد الرحمن بن قاسم ، جدة ، ١٣٨٨ هـ : ٢١٦/٩ .

(٥) ابن بشر ، **عنوان المجد** .. ٢٢/١ .

(٦) ابن غنام ، **روضة الأفكار** .. ٣٠/١ .

(٧) ابن بشر ، **عنوان المجد** .. ٢٢/١ .

(٨) المصدر السابق طبعه أبا بطين الثانية ، القاهرة ١٣٧٣ هـ : ١٩/١.

(٩) لعلّه بذلك يشير الى زواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله بن معمّر .

(١٠) انظر تاريخ ابن بشر ، **عنوان المجد** .. طبعة وزارة المعارف ، ١٣٩١ هـ : ٢٣/١ .

(١١) المصدر السابق : ٢٤/١ .

(١٢) منير العجلاني **تاريخ البلاد العربية السعودية** بيروت، ١٣٨٥ هـ : ٩١.

(١٣) ابن غنام ، **روضة الأفكار** ... : ٣/٢ .

(١٤) ابن بشر ، **عنوان المجد** ... : ٦/١ - ٢٧ .

(١٥) مؤلف مجهول ، **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب** ، مخطوط ، المكتبة الوطنية بباريس ، رقم ٦٠٦١ : ٢ - ٣ .

(١٦) Bunerahardt, Notes on the Bedonins and Wahabys London, 1831 : 2/98.

(١٧) ابن غنام **روضة الأفكار** ... : ٦/٢

(١٨) المصدر السابق : ١٥٤/١ .


الصلات
التاريخية
بين
الخليج العربي
والمغرب الأقصى
للأستاذ / عبد العزيز بنعبد الله

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون المتوفى بين ٢١ و ٢٥ ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (×) الفارسي الى القائد اليوناني نيرمس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الأكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة ايضا منذ أعرق [1] العصور في الاسم الذى تحمله مقاطعة «خوزستان» الايرانية التى كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة «عربستان» اى بلاد العرب ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبنى تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضى الله عنه.

و «عربستان» هذه هي التي كانت تسمى «الأهواز» والأهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز وأصله حوز لأنه ليس في كلام الفرس جاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى أن كلمة الأهواز اسم عربي اطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الإسم في المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل بهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الأطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوت (Salluste) المتوفى في عام ٣٥ ق. م. (في الكتاب الذي صنفه حول «حرب يوغورتا» ملك نوميديا من أسرة أمراء البربر والمولود عام ١٥٤ ق.م) ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الأيبيرية (أى اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكلس (Héraclés) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به أساطين هرقل أي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت أشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطيقي فوصلوا الى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتول (Gétules) (وهم أهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهتان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسية كورة بالاردن (معجم البلدان ج ٥ ص ١٧٣) وسوسة مدينة بالصين (صبح الاعشى ج ٤ ص ٤٨٣) اقتباسا من كلمة سوسانة (Susiane) أو

أرض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الأهواز على أن الفرس قد اشتهروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وقد أطلق هذا الاسم على أهل نوميديا وهي إقليم إفريقي يقع بين منطقة قرطاج التي أسسها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام ٨١٤ ق.م وبلاد موريطانيا وقد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكم الروماني وسنرى كيف أن هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ أعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي نعم كان للعرب الكنعانيين أي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين أسسوا مدينة تير Tyr (صور الحالية في لبنان) في الألف الثالثة قبل الميلاد وكانت عاصمة تشرف على القوافل التي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الأسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاج (واسمها محرف عن قرية حداش أي القرية الحديثة لأنها أسست بعد كل من مدينة أوتيك (Utique) التونسية ومدينة ليكس (Lisc) المغربية حوالي ١١٠١ ق.م) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكم الروماني عام ٦٤ ق.م واشرف عليها وعلى قصر فرعون أي وليلي القديمة (Velubilis) بالمغرب الأقصى الامبراطور الروماني سبتيم سيفيرا (Septime Sévère) بين سنتي ١٩٣ و ٢١١ ق.م) .

ويرى بعض المؤرخين أن الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن في شواطىء الخليج قبل ان ينتقلوا الى الساحل السوري وأنهم سموا مدينة « صور » على شاطىء البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهم الأولى على شاطىء الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضفي على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وأن مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الأستاذ جان جاك بيريبي (J.J. Berreby) في كتابه « الخليج الفارسي» (le Golfe Persique) والاستاذ أمين الريحاني الذي أبرز بالاضافة الى ما ذكر تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنسون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط وأسسوا ليكس واوتيك ومالقة وقادس (بالاندلس) وهبو (عناية وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب سترbون أساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطيقي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميلاد درعة والساقية الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الافريقية وقد أصبحت اللغة البونيقية langue Punique المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محلية لغة أشبه بعامية افريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها في مجلة « اللسان العربي » (التي أتشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ») وخلاصة ما في هذا البحث أنه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونية تحمل تاريخ ١٢٥ ق.م نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي أن هذه اللهجات

ليست سوى امتداد أصيل للغة بني كنعان العربية العريقة التي استعملت قبل الاسلام في كل من الخليج العربي والمغرب وبذلك تأكد أن لغة الضاد قد مهدت السبيل للاسلام في المغرب العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من ألف عام وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزان المعروف عند الغربيين بليون الافريقي (Léon l'Africain) أن الفينيقيين عنصر هام في سكان افريقيا الأقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام ١٢١٥ ق.م عندما أجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تتابعت الجاليات أيام نبي الله داود عليه السلام عام ١٠٥٥ ق.م والواقع أن العرب كانوا يملأون — بالاضافة الى الشمال الافريقي — هضاب وبطاح جنوب افريقيا حيث كشف الدكتور استانلي تيمبور على مقربة من نهر زمبيز في مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب استثمروا مناجم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم أسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج ٢ ص ٤٣) أن الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث الى شومر وبابل وأشور ومصر ويعضد هذه النظرية ما قيل من أبوة اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي في سائر أقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج ١ ص ٩٩ طبعة بيروت) عن عروبة جبال الأطلسي المغربية فأشار الى ما أكده المؤرخون والنسابون العرب أمثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من أن صنهاجة (سكان الأطلسي الأوسط) ومصمودة (سكان الأطلسي الكبير) وكتامة (بشمالي وشرقي المغرب الأقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة — حسب هذه الرواية — أعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الأعشى (ج١ ص ٣٢١) فلاحظ أن افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام — مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي — الى المغرب ملاحظا أن أكثر الأقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (في جمهرته — وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج ٦ ص ٩٦) الذي زعم أنه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون أغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراكش تلك الطريق التي أكد الحسن الوزان في وصف افريقيا (ج ١ ص ١٤ و ٢٩) أنه رافق عام ٩١٨ هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني (هانز Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيرى حماد ص ١٣٤) التشابه الملحوظ بين الألحان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهلم لخان (١٧٩٣ م

ـــ ١٨٥١ م) من تسجيلها فأبرز وحدة الانشاد أضف الى ذلك وجود أبنية بالأطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية وقد شرح هورون بوستل النمسوي (١٨٧٧ ــ ١٩٣٥ م) انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسنرى كيف أن سجلماسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس ببدع ان يوغل في الصحراء أهل هذه الصحراء لا سيما وأن هؤلاء كان دأبهم في جميع الأعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النيجر أم في السودان ان أم في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد أسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحارى كمحطات للقوافل المحملة بالضائع المجلوبة من أقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية في تاريخها فالى القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام ٢٥٦ هـ وسليمان الصرافى الذي كتب رحلته إلى الخليج العربي والخليج الصيني عام ٢٣٧ هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي أيام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خردادبه، صاحب المسالك والممالك المتوفي عام ٣٠٠ هـ أما في أوائل القرن الرابع فهنالك الحسن المهلبي الذي رحل الى السودان عام ٣٧٥ هـ ومحمد التاريخي الاندلسي المتوفي عام ٣٦٣ هـ وهو صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وأبو دلف الذي رحل الى الصين حوالي ٣٣١ هـ والاصطخرى صاحب « الاقاليم » و « المسالك والممالك » الذي لقي ابن حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودى صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجوهر » الذي فرغ منه عام ٣٣٦ هـ وهو كما وصفه ابن خلكان إمام المؤرخين والواقع أن طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام ٣١ هـ (٦٥١ م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف ١٤٧ سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد ٣ ــ ١٩٦٦) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ١٠٢٤) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب اوربا أو من الشمال الافريقي أو من روسيا تؤدي الى ميناء الأبلة وميناء البصرة وقد أكد الرحالة بانيكار في كتابه حول « آسيا والسيطرة الغربية » ان العرب سواء في الشرق أم في الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الأفاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس في المغرب الأقصى (ص ٣٧ ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد) أضف الى ذلك ان تجارة الرقيق المجلوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لها ضلع في تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من

اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الأندلس والمغرب الى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية في الخليج العربي بنشاط غامر في هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت في شهرتها ميناء الأبلة الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الأوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد الى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماسة مبلغا جعل الأندلسيين أنفسهم يتعاملون بالدنانير السجلماسية (البيان لابن عذارى ج٢ ص ٣٤٤) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية في طريق القوافل وقد وقع العثور عام ١٩٥١ في الانقاض الاسلامية بقصر فرعون (volubilis) على ٢٣١ درهما فضيا من العصر الأموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واصطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وافريقية .

واذاعلمناأن البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء في جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل في منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط انظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة في طريق القوافل الى أن هدمها أبو الفتوح عام ٣٦٨ هـ (البيان لابن عذارى ج ١ ص ٣٣٠) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام ١٠٥٠ م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفنجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل ايصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته في المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت أيضا بسجلماسة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والمالك ص ٧٠) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام ١٤٠ هـ) فلاحظ انه « رأى صكا فيه ذكر حق على رجل من أهل سجلماسة لرجل آخر من أهلها بأربعين ألف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق القاهرة وليس من قبيل الصدفة أن يجعل الخوارج من البصرة موئلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة في نفس الوقت الذي جعلوا من سجلماسة في قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة أساسية في سلسلة المراحل التى تأوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدف أن تتقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب في القرن الرابع الهجري في نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ أن استوثقت روابط المغرب بالصحراء في القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تتفق في خفاء وكذلك كان الأمر عندما شكل عنصر الزنج في الدور العباسي الثاني (ما بين

٢٣٣ هـ و ٤٦٨ هـ أي ٨٤٧ م ١٠٧٥ م) طبقة متميزة في المجتمع العربي وخاصة في شمال الخليج فعززوا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقية (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتىء الأيوبيون أن سيطروا في القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب اي البحر الابيض المتوسط يساندهم في الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي اندري جوليان أعظم اسطول في البحر المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد أن اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وأنشأوا الموانىء والمنائر التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهتدي بها السفن وعززوا الموانى بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو . وقد أشار ابن مرزوق في « المسند الحسن » (هسبريس (Hesperis) ج ٥ عام ١٩٢٥) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين أسفي (في المحيط الاطلنطي) وجزائر بني مزغانة (عاصمة الجزائر الحالية) تتخابرفيما بينها باشعال النيران في أعلاها وفي كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا والتنيير يبدو في المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقية والمغرب في المسالك ص ٣٥ و ٤٨) الى محارس سوسة والمنستير وفي هذا العصر استعيض عن الموالي الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الثالث الهجري واقترن اسمهم بها حتى صار الاوربيون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (esclaves) [٢] . نقول استعيض عنهم بالزنوج الذين أصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي أي في تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون — اقتصاصا من بني زيري — بمائتي ألف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار في هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر في القرن الثامن للعرب الذين لم يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجهيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع في تعريب المغرب وشنقيط والواقع أن الباطنيين من القرامطة أو الزيديين قد عاثوا فسادا في افريقيا وجاس المغامرون منهم في مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج في الادغال الكثيفة وفي هذا العصر حادث طريق البر في شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر العرب على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة ٣١٥ هـ/٩٢٧ م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية او قوافل الحجيج لاعتقادهم ان الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الأصنام ولذلك أجهز القرامطة على من سموهم بالكفار وعبدة الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بحرابهم وخيولهم فاحتلوا معهم الحجر الأسود الى الحساء حيث بقي ملقى الى عام ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين اشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الاقصى في القرن السادس الهجري

بدعوة من المنصور الموحدي بطل معركة الارك في الاندلس .

ومهما يكن فإن هذه الأحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادلات التجارية حيث إن الحشاشين من الإسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقي الخليج حتى الحكم الايوبي إلى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي ٦٥٩ هـ/١٢٦٠ م .

واذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب الى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبثين على طول مراحل القوافل شرقا ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فان نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحارى الى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد (أي الزنوج) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج الا ان عنصرا جديدا ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام ١٤٨٢ م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في افريقيا وهنا يبرز دور المغرب في انقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام ١٥٤٠ م دخل سليمان القانوني الى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوغ » على الساحل الافريقي من البحر الأحمر حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثماني غير انهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية في الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا اليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب في الاندلس تقتيلا وتهجيرا ولكن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفا ففي عام ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جند البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين ألفا وقطع أسطولهم الرابضة في أصيلا والعرائش ٨٤٧ وزحف الجيش البرتغالي إلى وادي المخازن في متم جمادي الأولى من نفس السنة أي رابع غشت عام ١٥٧٨ م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الإسلامي شرقا وغربا باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصا من الوجود العربي بالأندلس وتعويض للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين اسبانيا والبرتغال عام ١٤٩٤ غداة الكشف عن امريكا ولكن أبا الله الا أن يهزم هؤلاء الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر أسطوله فكانت هذه المعركة — كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس — المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والإسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للاسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة إجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرنا كاملا عام ١٦٢٢ م أي بعد

معركة وادي المخازن بأربع وأربعين سنة كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام ١٦٤٩ م الموافق ١٠٥٩ هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والإسلام طوال أربعة قرون .
واذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث الهجري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب في ذهابها وإيابها بين اوربا والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فان كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق إلى القرن العاشر الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطيكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أججت اوربا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنطلق في حلقات اخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي غير ان جدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف امريكا عام ٨٩٨ هـ/١٤٩٢ م من طرف كريستوف كولمبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من أبناء رأس الخيمة على الشاطىء الغربي للخليج العربي وهذا الرجل هو ابن ماجد أحمد السعدي أسد البحر ابن ابي الركائب الذي ساهم على غيرقصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام ١٤٩٨ لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي ورأس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع ساحل عمان وقد أقضت مضاجع أساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف امريكا الذي نسبه الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات إما الى رجال الخليج قبل الميلاد أو الى عالم من علماء الاندلس والمغرب فقد تأكد ان الفينيقيين المنتسبين أصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلو الى البرازيل وأسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقة اي لهجة افريقيا الشمالية مما يدل — اذا صحت هذه الرواية — على أن القرجنيين — وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب — هم الذين أسهموا مع المغاربة في اكتشاف امريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف — كما أورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroisme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي أوعز إليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الامريكية أكدت في عددها الصادر في ابريل ١٩٦٠ (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص ١٣) ان الوثائق التي عثر عليها

تثبت ان امريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا ـــ حسب تعبيره ـــ قبل سنة ١١٠٠ م على الطرف الغربي للعالم الاسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكي » وقد أيد هذه النظرية [٣] الدكتور لين شينج بائج أستاذ

التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الامريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطيقي أمما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفي عام ٧٤٩ هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته انه يوجد وراء الجزر الخالدات (أي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على امريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي ـــ محاضرات مجمع دمشق ج ٢ ص ٢٣٣) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما أرادوا أن يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ إذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفقاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غارات المراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كالدنمارك [٢] والسويد وبعض المرافىء الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا الى دفع إتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر . وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الأطلنطيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم الى الاحتفاظ بجزء من أسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية الا أن الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانتية ضلع في دعم هذا الاتجاه فأنشأ الهولنديون عام ١٥٩٢ م شركة للتجارة مع الهند واتجه أسطول هولندي بين ١٥٩٨ م ١٦٠١ (موافق ١٠٠٧ ١٠١٠ هـ) إلى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد برأس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا مع المغرب الأقصى معاهدة عام ١٦١٠ م للحصول على رسوم الأسبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكد يهل عام ١٦٤٠ م (١٠٥٠ هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الأنجليز ما فتىء أن استفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا ان الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الأنجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام ١٦٥٢ م (١٠٦٣ هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما

وراء البحار فاشتبك الأسطولان الأنجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج والواقع أن القراصنة المغاربة قلصوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم في الشرق في نفس الوقت الذي أدى حياد القراصنة بهولندا إلى نوع من الحصانة تمتع به أسطولها في البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج وقد احتفظ المغرب الأقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال ألف عام (الى عام ١٩١٢) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث أصبحت دول اوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشيء الذي يمر دون ان يثير إعجاب العالم مما حدا الأنجليز الى مفاتحة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك في الهند وفي عام ١٦٠٠ م وجه المنصور الى ايليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بمأمورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي المغربي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند وقد شاطرها السلطان هذا الرأي مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف جنيه استرليني وانشغل المغرب في لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر [٤] وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدره المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيوت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالإضافة الى ملح البارود والكبريت) وأصبح للدينار المغربي نفاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى ٣٫٥٤٨ غرام وتهافت المضاربون من الانجليز على هذه العملة القوية يستعيضون بها عما خسروه من صفقات في الخليج [٦] بل أصبح المغرب يدلي بدلوه في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض (ناب منها دولة هولند مليون ونصف مليون دينار) واكتساح اوربا حيث وجه عملاء للدعاية لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المزاحمة الأجنبية .

غير أن منافسا جديدا ما لبث أن برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتي الأمس (هولندا وانجلترا) إلى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الأنجليز في الخليج واستطاع نابليون أن يطأ تراب النيل فاتحا وأن يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاض عليه في مائة ألف من جنده إذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc Continental) المضروب على الانجليز وكان أسطول القراصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين في المتوسط ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى أقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع في امارات الخليج بالنسبة للهولنديين والأنجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية في الشرق واوربا الشرقية اي القرن

السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا غير ان الفرنسيين كانوا قد بذوا حتى الهولنديين في مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت في عام واحد (١٦٩٨ م) لمرسى سلا أربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بسنتين شركة تجارية فرنسية اضطلعت إصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحوا من سبع وعشرين سفارة أولاها عام ١٥٧٦ م والأخيرة عام ١٩٠٩ أن قبيل الحماية بثلاث سنوات.

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس في البحر الأبيض المتوسط وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يرابط فيها الا أن القراصنة الجزائريين اتخذوها عام ١٥٦٤ م (٩٧١ هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطة تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايبيري فحسب بل أيضا لأنها أعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمأنينة في البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة. وكان معظم البوارج الحربية في أوائل العهد العلوي (أي في نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الأسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي وأهمها تسع عشرة سفينة انجليزية وأربع فرنسية مما يدل على هيمنة أسطول القرصان الجهادي. وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين في عهد المولى محمد بن عبدالله وسبعا وأربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذاك ينعم في الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه في حرب القرم (١٨٥٤ م — ١٨٥٦ م) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا وكان المغرب يشعر بأن انغماره في هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بدأوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعدما احتلت فرنسا الجزائر وأجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مغنية عام ١٨٤٥ ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجرؤ على الدخول في حلف موجه ضد تركيا المسلمة رغم كونها كانت حجر عثرة في سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ أن سيطر العثمانيون عليهما في منتصف القرن الخامس عشر وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربي والمغرب الاقصى وهما شقان متنائيان للوطن العربي الممتد الى المحيط — بظاهرة هي أصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للفصحى! ولا شك أن هذه الوصلة التي استوثقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي أشرنا اليها كوحدة الأصل الكنعاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالكي في مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثية والقرآنية ولا شك أن لرواج المصطلحات المالكة في جميع المناحي الاجتماعية خاصة في أبي ظبي أثرا قويا في تكييف هذا التراث الوحدوي كما أن احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة أشرنا الى بعضها في معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج ونشر في مجلة اللسان العربي (عدد ٥ — ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م). وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية

وتأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية وهاكم جملة منها : البايت (للباقي من طعام الأمس) والبحيرة أو البحيرة (للمستنقع) والبراحة (للبراح) والبسباسة (للبسباس) وبغى يبغي (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية (لاحدى دوائر الحكومة) وبلم فمه (أي أغلقه) والتحسونة أو الحسانة (للحلاقة) والجنطة أو الشنطة (للحقيبة) والحارة (للمحلة والحي) وحب (بمعنى إتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والربعة (أو الربيعة لصندوق إيداع أجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الأصابع) والصيني (أي إناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الاغاظة تقول أطناني أي أغاظني) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة الى مأدبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الأولاد الصغار) والغربي (أي الهواء الذي يهب من جهة الغرب) والفكع أو الفقاع (أي الكمأة) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عن الاقتراب من الشيء القذر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشموم (للباقة من الرياحين) والمطهر (للمرحاض) والمكبة أو المكب (صحى الطعام) وهنالك أسماء أعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الأخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كثبان الرمل من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز إمارة أبي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الثرية واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من أمن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصيلة المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط الاطلنطيقي وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت حائلا اصطناعيا بين إخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا

متساوية ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الإسلامي سندا قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عراه الوثيق مكائد المستعمرين .

عبد العزيز بنعبد الله

(*) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين Pline المتوفي عام ٧٩ م حيث سمى الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(١) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام ١٧٦٢ م (١١٧٦ هـ) بهذا الزعم الذي ردده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كأنه خاضع — كما يقول نيبور — لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزى هورو دريك أوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

(٢) صقلب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج ٥ ص ٣٧٢) ولعل قسما من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف Slaves .

(٣) راجع الخليج العربي ٩ قدري قلعجي ص ٥٦ .

(٤) كانت الدنمارك تدفع سنويا للمغرب ٥١٠٠٠ ويكسدال أي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

(٥) كان السكر يصنع من في العروبة بافريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج ١ ص ٢٠٣ وافريقية وخاصة في قابس وحلولا (المسالك للبكري — جزء افريقية والمغرب ص ١٧ و ٣٢) وكانت معاصر السكر في المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي أزيد من ستمائة الف أوقية ذهبية (وزن الاوقية ٣٠ غرام تقريبا) وكان في المغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يعد له غيره شرقا وغربا (الادريسي) بالاضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا (وصف افريقيا للادريسي ص ٥٠) وتطورت على يد الانجليز عام ١٨٦٤ م في منطقة مدينة الجديدة صناعة حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا في أوربا وذلك بالاضافة الى مصانع الطلس Satin أيام السعديين .

(٦) كانت تنبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر أي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي « أعظم أمير في العالم من حيث العملة » وكان الانجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .



د. ابراهيم السامرائي
كلية الآداب - جامعة بغداد

هذا ما نعبر عنه بـ « حسن التلاوة » أو قل ان شئت « التجويد » . ولا تحسبن « التجويد » ضرباً من التطريب وإحسان النغمة واجرائها مجرى الالحان ، تعالى الله ان تتلى كلماته بشيء من « الصبا » و « الحجاز » من لحون العرب . والرست والدوكاه وغيرهما من لحون الاعاجم . انه « الترتيل » عملاً بقوله — جل اسمه — « ورتل القرآن ترتيلا » [1] ، وقوله : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » [2] .

قال الامام الزمخشريّ في معنى « الترتيل » في سوره المزمّل :

ترتيل القرآن : « قراءته على ترسُّل وتؤده بتبيين الحروف واشباع الحركات ، حتى يجيىء المتلوّ سرداً كما قال عمر — رضي الله عنه : — شر السير الحقحقة ، وشر القراءة « الهزرمة » ، حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الألص [3] .

وسئلت عائشة — رضي الله عنها عن قراءة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت ... « لو أراد السامع ان يعد حروفه لعدّها » [4] .

وجاء في « اللسان » :
وكلام رَتَل ورَتِل أي مرتَّل حسن على تؤدة . ورتَّل الكلام : أحسن تأليفه وأبانه وتمهّل فيه . والترتيل في القراءة : الترسُّل فيها والتبيين من غير بغي .
وفي التنزيل العزيز : « ورتّل القرآن ترتيلا » .
قال أبو العباس : ما أعلم الترتيل الا التحقيق والتبيين والتمكين . أراد في قراءة القرآن .

وقال مجاهد : الترتيل الترسُّل . قال ورتّلته ترتيلا بعضه على اثر بعض .
قال أبو منصور : ذهب به الى قولهم : ثغر رَتْلٌ اذا كان حسن التنفيذ .
وقال ابن عباس في قوله : « ورتل القرآن ترتيلا » قال : بيّنه تبييناً .
وقال أبو اسحاق : والتبيين لا يتم بأن يَعجَل في القراءة . وانما يتمّ التبيين بأن يُبيِّن جميع الحروف ويوفيها حقها من الاشباع .
وفي صفة قراءة النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يرتّل آية آية [٥] .
ولا أراني قد أسرفت في الكلام على « الترتيل » وان كان شيء من ذلك فسببه ما أريد ان يكون ما يفهم منه غير ما يفهم في عصرنا من انه ما نسمعه في المساجد والمحلات العامة من كلام الله مفرغا في الاشرطة المسجلة على لحون تأخذ بنفوس الناس وعقولهم ولا سيما العامة منهم من غير ان يفهموا المراد منه . قلت : ليس « التجويد » غناءً بل هو احسان لاخراج الكلم مخرجا حسنا . ومن هنا كانت التلاوة قراءةً حسنةً . وهذا يعني أن بين التلاوة لكلم الله والقراءة المجردة لنص من النصوص صلة يفرجها حسن الأداء لهذا او ذاك . ومن أجل هذا يحسن بنا أن نتوسع قليلا في لوازم هذه الناحية من الاداء الحسن .
ان من تمام آلة المجوّد ان يعرف مادة « الوقف » وان يحسن كيف ينتهي ثم كيف يبتدىء بعد ذلك .
وقد فطن المسلمون الاولون الى هذه المسألة لما يتأتى منها من مشكلات في تلاوة القرآن .
لقد اخرج النحاس قال : حدثنا عبدالله محمد بن جعفر الانباري ، حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا أبي وعبد الله بن جعفر قالا : حدثنا عبدالله بن عمر والزرقي عن زيد بن أبي أنية عن القاسم عرب البكري قال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون انتم اليوم . ويقد رأينا رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغي ان يوقف عنده .
قال النحاس : فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن [١] . وقال ابن الانباري في قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء [٢] .
وفي « النشر » لابن الجزرى : لما لم يمكن القارىء أن يقرأ السورة او القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، بل ذلك كالتنفس في اثناء الكلمة ، وجب

حينئذٍ اختيار وقفة للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاءً ابعده ، ويتحتم الا يكون ذلك مما يحيل المعنى ولا يخل بالفهم ، اذ بذلك يظهر الاعجاز ويحصل القصد . ولذلك حضّ الأئمة من الصحابة وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد أعيان التابعين وصاحبه الامام نافع وأبي عمرو ويعقوب وعاصم وغيرهم من الأئمة وكلامهم في ذلك معروف . ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب . ومن ثم اشترط كثير من الخلف على المجيز ألا يجيز أحدا الا بعد معرفته الوقف والابتداء [٣] .

وقد اهتم المتقدمون من علماء اللغة في مادة « الوقف والابتداء » اهتماماً زائداً فأشاروا الى انماط الوقف في القرآن اشارات دقيقة دلت على مبلغ عنايتهم بأداء كلام الله — جل شأنه —

قال ابن الأنباري : الوقف على ثلاثة أوجه : تامّ وحسن وقبيح . فالتامّ : الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده ما يتعلق به كقوله تعالى :

« واولئك هم المفلحون » ، وقوله : « .... ام لم تنذرهم لا يؤمنون » .

والحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده كقوله تعالى : « الحمد لله » لان الابتداء بـ « رب العالمين » لا يحسن لكونه صفه لما قبله والقبيح : هو الذي ليس بتام ولاحسن كالوقف على « بسم » من قوله تعالى « بسم الله » .

قال : ولا يتم الوقف على المضاف دون المضاف اليه ، ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرافع دون مرفوعه عكسه ، ولا الناصب دون منصوبه وعكسه ولا المؤكد دون توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البدل دون مبدله ، ولا « إنّ » أو « كان » أو « ظنّ » واخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون خبرها ، ولا المستثنى دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا الحرف دون متعلقة ، ولا شرط دون جزائه [١] .

ان هذه المواد اللغوية التي تتصل بحسن الاداء لا علاقة لها بما هو معروف في عصرنا هذا وقوبل عصرنا بقرون عدة من ان « تجويد » التلاوة تعني ارسال الآيات الكريمة في نمط من التغني بتحطيط النغم واشباع الاصوات على نحو ينتهي الى التطريب .

وليس تحسين الصوت يعني الغناء كما في الحديث الذي أخرجه ابن حبان : « زينو القرآن بأصواتكم » وفي لفظ عند الدارميّ : « حسِّنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا .

واخرج البزاز وغيره حديث « حسن الصوت زينة القرآن » . وأما قراءة القرآن بالالحان فنص الشافعي في « المختصر » انه لا بأس بها ، وعن رواية الربيع الجيزي انها مكروهة .

قال الرافعي ، فقال الجمهور : ليست على قولين بل المكروه ان يفرط في المدّ واشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة الف ، ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء ، او يدغم في غير موضع الادغام ، فان لم ينته الى هذا الحد فلا كراهة .

قال : وفي زوائد « الروضة » والصحيح ان الافراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارىء ويأثم المستمع لانه عدل به عن نهجه القديم . قال : وهذا مراد الشافعي بالكراهة [١] .

ولقد انحرف أهل القراءات الى التطريب بل قل الفناء منذ العصور عدة فقد أشار ضياء الدين بن الاثير في « المثل السائر » الى هذا الانحراف فقال :

ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالحان ، وتلك قراءة تخرج حروفها من غير مخرج ، وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد أمر الله بترتيله .

وايراده على هيئة تنزيله ، فمن قرأه بالترجيع والترديد . وزلزل حروفه بالتمطيط والتمديد فقد ألحقه بدرجات الاغاني وذهب بما فيه من خلاوة الالفاظ والمعاني .

قال النبي صلى الله عليه وسلم — : « اقرءوا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين . وسيجيء بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الفناء والنواح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة وقلوبهم وقلوب الذين يعجبهم » (٢) .

ويتأتى هذا الاهتمام بالتلاوة لكلام الله سبحانه وتعالى من ان العرب أهل بيان ، وأن البيان يقضي ان يكونوا مالكين لجملة أدوات تصل بالكلمة وبنيتها ثم اصواتها وعلاقة الصوت بالصوت الذي يليه ألا ترى انهم قالوا ان من شروط فصاحة الكلمة ان تأتي متباعدة المخارج . وما اظن ان اعرابيا قال : « تركت ناقتي ترعى الخعخع » وذلك لان العربي لا يقوى على اخراج اصوات هذه الكلمة مجتمعة على هذه الهيئة . ويدل على هذا ما ورد في « التهذيب » .

قال النضر بن شميل في كتاب « الاشجار » : الخعخع : شجرة . قال : وقال أبو الدقيش هي كلمة معاياه ولا اصل لها (٣) .

ومما يدل على هذا ان الخليل أهمل العين مع الهاء في المضاعف ايضا للعلة نفسها (٤) .

وليس ما ورد من هذا الباب الا من باب الوضع والافتعال فقد ذكروا ان الفراء قال عَهْعَهْتُ بالضأن عهعهة ، اذا قلت لها : عَهْ ، وهو زجر لها ، وقال غيره : هو زجر للابل لتختبس (٥) .

وقد يأخذك العجب اذا عرفت ان العرب في القرن الثاني للهجرة ادركوا من علم الاصوات (الفونتيك) Phonetique وما يسمى بعلم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) Phonologie الكثير مما يدخل في ملاك هذا الاختصاص في عصرنا هذا . ان ضبط مخارج الاصوات ومعرفة أحيازها ووصف صفاتها ليعدّ فتحاً في العلم ادركه الخليل بن أحمد ثم خلف من بعده نفر او ضحوا وزادوا .

ان هذه المعرفة أدّت بهم الى ان يعرفوا « البيان » وكيف تكون الكلمة ثم الكلام مبيناً فصيحاً ينتهي الى حد من البلاغة .

ومن أجل هذا كان من صفات الأنبياء ان يتصفو بالفصاحة والبيان ، جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدّقني » (١) .

وكان موسى قد سأل الله حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته والابانة عن حجته والافصاح عن أدلته ، فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه :

« واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي »[٢] .

والاشادة بالبيان وفضله وأنه مما ينبغي أن يعلم . وارد في القرآن في آيات عدة : منها قوله تعالى « الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان . علمه البيان » [٣] . وقوله تعالى : « هذا بيان للناس » [٤] وقوله : « وهذا لسان عربي مبين » [٥] . وقوله : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » [٦] .

وهذا يعني ان الاداء الحسن يشتمل على اجادة التلاوة والترتيل كما يشتمل على الابانة ومن هنا نصل الى درجات البلاغة .

ولا تحسين الحديث الذي تتحدث به وقراءة نص من النصوص بعيدة عن هذا فهي محتاجة الى جميع الادوات من اخراج حسن للأصوات واختيار حسن للابنية واصطفاء للفصيح المليح واصابة المعنى بيسر .

وأنت اذا بحثت في حديث رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وجدت ان الرسول نهى عن « التشادق » وهو تحريك الشدقين بكثرة فقال : « واياي والتشادق » [٧] . وقال : « أبغضكم اليّ الثرثارون المتفيهقون » [٨] .

وانك لتجد من قوة عارضتهم وعنايتهم بالكلام والحديث ما تستشفه من ملاحظتهم لعيوب المتحدثين والخطباء منهم . انك تعرف من ذلك اللجلجة والتمتمة والفأفأة والحبسة والحكلة والرتّة واللفف والعجلة والحصر والعي .

ولقد أشار الجاحظ في « البيان » الى جملة صالحة مما يعرض للمتحدث أو الخطيب فقاله : « وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة ، وعن الحَصَر من فوت درك الحاجة ، والناس لا يعيّرون الخُرْس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يذمّون الحَصِر ويؤنبون العييّ ، فان تكلفا مع ذلك مقامات الخُطباء ، وتعاطيا مناظره البلغاء ، تضاعف عليهما الذمّ وترادف عليهما التأنيب . ومماتنة العي الحصر للبليغ المِصقَع ، في سبيل مماتنه المنقطع المُنحَم للشاعر المفلق ، وأحدهما الوَمُ من صاحبه ، والألسنة اليه اسرع . وليس اللجلاج والتمتام والالثغ والفأفاء وذو الحُبسة والحكلة والرُتّة وذو اللفاء والعجلة ، في سبيل الحَصِر في خطبته ، والعييّ في مناضلة خصومه كما ان سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخَطِل المكثار » [١] .

ثم اعلم ـــ ابقاك الله ـــ أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء ، مع سماجة التكلف ، وشنعة التزيّد ، اعذر من عيي يتكلف الخطابة ، ومن حِصر يتعرض لاهل الاعتياد والدربة ، ومدار اللائمة ومستقر المذمّة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف ، وبيانا يمازجه التزيّد .....

فأنت تجد ان الخطبة والحديث الى الناس قد وزنا بموازين دقيقة ، وان لا بد للخطيب والمتحدث من ثقافة ومعرفة ودربة . ومن هذا علم بالأصوات واتصال بعضها ببعض .

انظر الى كلام الجاحظ على واصل بن عطاء المعتزلي قال :

« ولما علم واصل بن عطاء انه ألثغ فاحش اللثغ وان مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه اذ كان داعية مقالة ، ورئيس نحلة ، وانه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وانه لا بد من مقارعة الابطال ، ومن الخطب الطوال ، وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة ، والى ترتيب ورياضة ، والى تمام الآلة واحكام الصنعة ، والى سهولة المخرج وجهارة المنطق . وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وان حاجة المنطق الى الحلاوة والطلاوة ، كما حبه الى الجزالة والفخامة .... » [٢] .

ثم قال :

« ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام ابو حذيفة واصل بن عطاء اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه . ويناضله ويساجله ، ويتأنىّ لستره والراحة من هجنته ، حتى انتظم له ما حاوله ، واتسق له ما أمّل » [١] .

وقد عرفوا قدر البيان فقالوا : البيان بَصَر والعيُّ عمىً [٢] .

وقال يونس بن حبيب « ليس لعييّ » مروءة ، ولا لمنقوص البيان بها ولو حكّ بيافوخه أعنان السماء » [٣] .

وانك لتجد في رسالة بشر بن المعتمر فيما نقله الجاحظ في « البيان » فوائدجمة في اللفظ وتخيره بالنسبة الى معناه فقد قال :

« ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان نصونهما عما يفسدهما ويهجّنهما » [٤] .

ثم قال :

« ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم اقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات .... » [٥] .

فأنت ترى ان حسن البيان والأداء يلزم صاحبه ان يعرف المقامات ويعرف أقدار المستمعين . ومن أجل هذا قالوا : لكل مقام مقال .

وقد خصوا الحديث بعنايتهم فمن تمام آلة المحدث ان يكون فطناً ذكياً يعرف كيف يدير الحديث وكيف يتخير الفاظه وكيف يدرك معانيه بلفظ موجز رشيق ان اقتضى المقام الايجاز بل الايماءة « الخاطفة » فاذا لزم الامر شيئا من الافاضة فالاسهاب ضرورة وبيان وبلاغة .

ومن أجل هذا قال مالك بن اسماء :

وحـــــديث الـــــذه هـو مما ... يـنـعـت الـنـاعـتـون يوزن وزنـا

مـنـطـق صـائب وتـلـحـن أحـيـا ... نـا وأحلى الـكلام مـا كـان لحنـا

ولقد فهم الجاحظ من شعر أسماء انه اراد بـ « اللحن » الخطأ في الكلام ولذلك قال في

تقديم هذه الابيات الثلاثة التي اجتزأنا منها بالبيتين المذكورين :

وقد قال مالك بن أسماء في استملاح اللحن من بعض نسائه » [٦] الا ان الجاحظ نفسه قد رجع عن هذا الرأي بعد ان سار كتاب البيان والتبيين في الآفاق ، وفسر « اللحن » بأنه التعريض والتورية » [١] .

ولعلك تدرك قيمة الحديث الحسن عندهم حين تقرأ قول الراجز :

وربّ نضوٍ طرقَ الحيَّ سُرىً

صادفَ زاداً وحديثا ما اشتهى

ان الحديث جانب من القرى

هذا عرض للبيان وحسنه وأداته وما ينبغي لصاحبه من أدوات وآلات في تراثنا الادبي القديم . فماذا عن الأداء وحسنه في عصرنا هذا ؟

أقول : لا بد ان يكون الحديث **مرتلاً** ، وأريد ان أقف ثانية على « الترتيل » لأبعد عنه ما لحق به من « اللحن » و « النغم » .

وقد يقول القارىء : وماذا عن « المصحف المرتل » ؟ .

أقول : ليس ما جرى عليه اصحاب « الترتيل » في المصاحف « المرتلة » ، تلك التي أفرغت في أشرطة ورقوق من الترتيل الذي نريده لسلامة الداء وسلامة اللغة .

لقد أقلّ هؤلاء القراء من النغمات الطويلة الى أخرى قصيرة جرت على وتيرة واحدة . ثم انك لو امتحنت بلاء هؤلاء القراء في ضبط المد والوقوف والابتداء وغير ذلك من أدوات التلاوة الصحيحة لوجدتهم مثلاً يمدون « الا » كثيرا بل افراطا من قوله تعالى « الا ان تكون تجارة حاضرة وتديرونها بينكم » [٢] في حين ان كلمة « تجارة » يطوى فيها المد طيا عابراً ومثله في كلمة « حاضرة » .

ثم انك لا تحس ان هؤلاء يبذلون شيئا من جهد في احسان اخراج الأصوات على نحو ما صرّح به المتقدمون من علماء العربية .

ونعود لنقول ان « الترتيل الصحيح متطلّب في تلاوة آيات الله كما هو يتطلب في الوقت نفسه في الحديث والالقاء في المقامات المطلوبة .

وهذا يعني ان المتحدث وهو اللبيب يدرك المقامات والحالات التي مر ذكرها فيرتل كلامه ويجيد القاءه ويتخذ كلماته ويصيب معانيه .

وليس « الترتيل » غناءً وتطريباً ، واننا لنرفض الغناء والتطريب تعالى الله ان تجري بهما كلماته ، كما نرفض بل نحرّم ان تؤدي الآيات البينات بشيء من الموسيقى . ان الغناء والتطريب والموسيقى اشياء متشابهة .

ثم ماذا يلزم المتحدث والقارىء والمتكلم من أدوات في عصرنا هذا ؟

ينبغي للمتحدث الجديد في عصرنا ان يعرف العربية ويحذق موادها صرفا ونحوا وابنية وأصواتا . ثم انه على شيء من فهم مقتضى الحال وما يلزم لكل مقام من مقال . وهو ملزم ان يعرف الوقف والابتداء والارغام والابدال معرفة جيدة .

الا ترى ان المتحدث في عصرنا لم يميز بين « الوصل » والهمزة المحققة التي تدعى بهمزة « القطع » .

هذه خلاصة موجزة لما كان عليه الاداء الحسن ولما ينبغي ان يكون في عصرنا هذا العصر الذي نسعى فيه الى ان تكون لنا عربية سليمة . وهل السلامة في اللغة الاجماع ادوات هي تمام آلة المتحدث والقارىء والكاتب والخطيب !

(١) سورة المزمل ٤ .
(٢) سورة الفرقان ٣٢ .
(٣) ورووي : « شرّ القراءة الهزرمة » كما في « الغريب المصنف » لابي عبيد من حاشية « الكشاف »
(٤) الزمخشري الكشاف ٦٣٧/٤ (مطبعة الاستقامة — القاهرة ١٣٦٥٥) .
(٥) اللسان (رتل) .
(١) السيوطي ء الاتقان ٨٣/١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ابن الجزري ، النشر (مطبعة مصطفى الحلبي بمصر) ٢٢٤/١ — ٢٢٥ .
(١) السيوطي ، الاتقان ٨٣/١ — ٨٤ .
(١) المصدر السابق ١٠٧/١ .
(٢) ابن الأثير ، المثل السائر (نشر البابي الحلبي ١٣٥٨ ه) ١٥٣/٢ .
(٣) الازهري ، التهذيب ٥٥/١ . وانظر الجمهرة ١٤٠/١ .
(٤) كتاب العين (مخطوطة آل الصدر في الكاظمية في العراق) .
(٥) اللسان (عهه) .
(١) سورة القصص ٣٤ .
(٢) سورة طه ٢٧ .
(٣) سورة الرحمن ٤ .
(٥) سورة آل عمران ١٣٤ .
(٥) سورة النحل ١٠٣ .
(٦) سورة النحل ٨٩ .
(٧) الجاحظ البيان ١٣/١ .
(٨) في الكامل للمبرد ٥/١ب الحديث الا أخبركم بأحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة ؟ أحاسنكم اخلاقا المؤطئون اكنافاً يألفون ويؤلفون . الا اخبركم بأبغضكم اليَّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة ؟ الثرثارون المتفيهقون .
(١) الجاحظ ، البيان ١٣/١ .
(٢) المصدر السابق ١٤/١ .
(١) الجاحظ البيان ١٥/١ .
(٢) المصدر السابق ٧٧/١ .
(٣) المصدر السابق . وانظر اللسان (عنن) .
(٤) البيان ١٣٦/١ .
(٥) المصدر السابق ١٣٨/١ .
(٦) المصدر السابق ١٤٧/١ .
(١) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ٢١٤/١٢ ، ومعجم الأدباء ٦٥/٦ (مرجليوث) .
(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

عمالقة الفيزياء

شيخ

عبد الرحمن الخازني

بقلم : الدكتور علي عبد الله الدفاع
عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن بالظهران

عاش أبو الفتح عبد الرحمن الخازني في أواخر القرن السادس الهجري (الموافق أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) ولم يرد ذكر تاريخ ميلاده ، ولكن تاريخ وفاته يعرف بالتحديد عام ٥٥٠ هجرية (الموافق ١١٥٥ ميلادية) . ويخلط الكثير من المؤرخين بينه وبين كل من أبي جعفر الخازن * وابن الهيثم حيث أن الغربيين يعرفون ابن الهيثم بالحزين ، لذا يحصل تشابه كبير في كتابة الأسماء الثلاثة باللغة الانجليزية Cal-Khazeni, Al-Khazen, Al-Ha zen

---

وكان الخازني رقا لعلي الخازن المروزي ، فترعرع الخازني في ظله ودرس في مدينة مرو ** من أشهر مدن خراسان على أيدي أكابر العلماء هناك حتى نبغ في علم الفيزياء والفلك والرياضيات . ويقول جورج سارتون في كتابه **المدخل الى تاريخ العلوم** ان « أبا الفتح عبد الرحمن الخازني اشتهر بين زملائه بعلم الفيزياء وذلك في الفترة ما بين ١١١٥ — ١١٢١ ميلادية . على الرغم من أنه لم يكن حرا حيث كان الخازني رقا لعلي الخازن الذي اهتم به وعلمه الفلسفة والعلوم في عمر مبكر . وقد اندهش الكثير من الخازني عندما أظهر على وجه

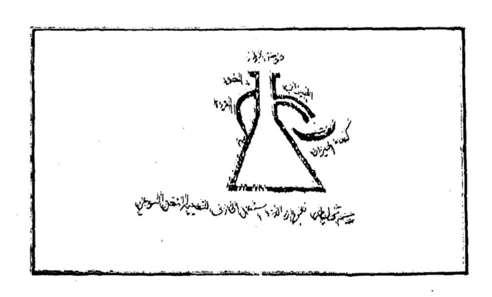
الوجود كتابه « ميزان الحكمة » في عام ١١٢٢ ميلادية الذي يحتوي على علم الميكانيكا والفيزياء والهيدروستاتيكا » .

اهتم الخازني بعلم الفلك اهتماما بالغا ، ويظهر ذلك من تحديده للقبلة في معظم البلاد الاسلامية . وقد استفاد الخازني من أبحاث ابن الهيثم والبيروني .

أما في حقل الفيزياء وخاصة موضوعي الحركية (الديناميكا) وعلم السوائل الساكنة (الهيدروستاتيكا) فقد أبدع في هذين الحقلين ابداعا ادهش من لحقه من الباحثين ولا تزال تدرس نظريات الخازني في حقل الحركية في المدارس والجامعات الى يومنا هذا . ومن هذه النظريات نظرية الميل والانحدار ونظرية الاندفاع ، وهاتان النظريتان لعبتا دورا هاما في علم الحركية .

ويعتبر الكثير من المؤرخين في تاريخ العلوم الخازني استاذ الفيزياء لجميع العصور وقد اجمعوا على أنه فاق أساتذته (ابن سيناء والبيروني وابن الهيثم) في هذا المضمار . ويذكر سيد حسين نصر في كتابه **العلوم الأسلامية** أن « الخازني اشتغل في الفلك فأبدع وألف جداول فلكية سماها الزيج السنجاري سجل فيه ارصادا دقيقة جدا . وذكر الزركلي في كتابه **الأعلام** أن الخازني سمى كتابه « **السنجاري** » نسبة الى السلطان « سنجار » . كما برز في حقل الفيزياء الى درجة مدهشة . خصص الخازني جل وقته لدراسة موضوع السوائل الساكنة فأخترع آلة لمعرفة الوزن النوعي للسوائل وقد ناقش ضمن دراسته موضوع القوة التي يعانيها الجسم من أسفل الى أعلى عندما يغمر في سائل .

وقد استخدم الخازني نفس الجهاز الذي استخدمه استاذه الكبير أبو الريحان البيروني في تعيين الثقل النوعي لبعض المواد الصلبة والسائلة . وصل الخازني في مقاديره درجة عظيمة من الدقة لفتت انتباه معاصريه ومن تبعهم . فالجهاز الذي استعمله الخازني هو عبارة عن وعاء مخروطي الشكل له مصب بالقرب من فوهته على شكل ميزاب يتجه الى أسفل و ولـه عروة .



أما طريقته فتتلخص في الخطوات الآتية : ـــ
(١) ملأ الوعاء المخرطي بالماء الى غاية مصبه .
(٢) وزن المادة المطلوب تعيين وزنها النوعي وزنا دقيقا .
(٣) ادخال المادة المطلوب قياس وزنها النوعي في داخل الوعاء .
(٤) فيكون حجم المادة يساوي حجم الماء المزاح الذي ينصب من الميزاب .
(٥) وزن الماء الذي أزاحته المادة من الاناء المخروطي .
(٦) ويعين الوزن النوعي للمادة بحساب النسبة بين المادة التى أدخلت في الأناء المخروطي ووزن الماء المزاح بواسطتها .

ويجدر بنا هنا أن نقدم الجدول الذي أورده العالم الايطالي الدوميلي في كتابه تاريخ العلوم عند العرب خلال القرون الوسطى والذي ألفه في عام ١٣٥٨ هجرية (الموافق ١٩٣٩ ميلادية) ، وفيه عمل ميالي مقارنة للأوزان النوعية لبعض المواد كما توصل اليها كل من البيروني والخازن مع مقارنتها بالقيمة المعروفة اليوم والمعمول بها في جميع أنحاء المعمورة .

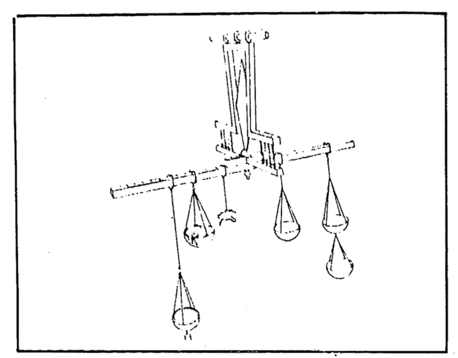
المادة	عند الخازني	عند البيروني	القيمة الحالية
الذهب	١٩ر٠٥	١٩ر٢٦	١٩ر٢٦
الزئبق	١٣ر٥٩	١٣ر٧٤	١٣ر٥٦
النحاس	٨ر٨٣	٨ر٩٢	٨ر٨٥
الحديد	٧ر٧٤	٨ر٨٢	٧ر٧٩
القصدير	٧ر١٥	٧ر٢٢	٧ر٢٩
الرصاص	١١ر٢٩	١١ر٤٠	١١ر٣٥
الياقوت	٣ر٦٠	٣ر٧٥	٣ر٥٢
الزمرد	٢ر٦٢	٢ر٧٣	٢ر٧٣
اللؤلؤ	٢ر٦٢	٢ر٧٣	٢ر٧٥
الكوارتز	٢ر٥٨	٢ر٥٣	٢ر٥٨
البلور			

ويثبت الدوميلي في كتابه **العلم عند العرب أن** الخازني قد استعمل ميزان الهواء (Aerometer) لأستخراج الثقل النوعي للسوائل بكل نجاح والجدول التالي يبين النسبة التي توصل اليها الخازني ومقارنتها بالنسب الحديثة التي حصل عليها علماء العصر الحديث بأستخدام الأجهزة العلمية المعقدة . فقد أجاد الخازني هذا القيام ولم يزد خطوة على ستة في مائة من الغرام الواحد في كل ألفين ومائتي غرام .

المادة	النسبة عند الخازني	النسبة الحديثة
ماء جاف حرارته في		

درجة الصفر	٠ر٩٦٥	٠ر٩٩٩٩
ماء البحر	١ر٠٤١	١ر٠٢٧
زيت الزيتون	٠ر٩٢٠	١ر٩١
لبن البقر	١ر١١٠	من ٤٠ر١ الى ٤٢ ر١
دم الانسان	١ر٠٣٣	من ٠٤٥ر١ الى ١ر٠٧٥

وقد ناقش روبرت هول في مقالة له عن الخازني في قاموس الشخصيات البارزة في العلوم كيفية ايجاد الخازني لكثافة الأجسام الصلبة والسائلة ، واختراعه ميزانا لوزن الاجسام في الهواء والماء له خمس كفات تتحرك احداهما على ذراع مدرج كما هو موضح في الشكل الاتي : —



وقد ابتكر الخازني معادلة تعطى الوزن المطلق لجسم مكون من مادتين وهي :

س = أ ($\frac{1}{ك} - \frac{1}{ب_1}$) ، حيث أن (أ) تعبر عن الوزن المطلق للجسم المركب ، $\frac{1}{ب_2} - \frac{1}{ب_1}$ و (ك) الثقل النوعي للجسم المركب ، و (ب ١) كثافة المادة الاولى (ب ٢) كثافة المادة الثانية و (س) الوزن المطلق المطلوب . من هذه المعادلة يمكن بسهولة ايجاد الوزن المطلق والثقل النوعي لجسم مكون من مادتين مركبتين بسيطتين . ويقول كل من حميد موراني وعبد السليم منتصر في كتابهما **قراءات في تاريخ العلوم عند العرب** « لقد سبق الخازني تورشيللي في الاشارة الى مادة الهواء ووزنه ، وأشار الى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل ، وأن وزن الجسم المغفور في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي وأن مقدار ما ينقصه من الوزن

يتوقف على كثافة الهواء . وبين ان قاعدة ارخميدس لا تسري فقط على السوائل ولكن تسري أيضا على الغازات ، وكانت مثل هذه الدراسات هي التي مهدت لأختراع البارومتر (ميزان الضغط) . ومفرغات الهواء والمضخات ، وما أشبه ، وبهذا يكون الخازني قد سبق تورشيللي وباسكال بويل وغيرهم » .

وألف الخازني كتابا قيما سماه «كتاب الآلات العجيبة » تعرض فيه لعلم آلات الرصد وعرف فيه علم الهيئة . يقول حاجي خليفة في كتابه **كشف الظنون** « علم الهيئة هو علم يتعرف منه على كيفية تحصيل الآلات الرصدية قبل الشروع بالرصد ، فان الرصد لا يتم الا بتلك الآلات » . كما أن للخازني انتاج جم في قواعد النور ، وقد حسب انكسار النور بمروره في الكرة الهوائية .

وللخازني دور جليل في علم الجاذبية وقد شرح في تجارب كثيرة كيف أن جميع أجزاء الجسم تتجه الى مركز الأرض عند سقوطها وذلك بسبب قوة الجاذبية . كما أنه غيرسبب اختلاف قوة الجاذبية راجعا للمسافة بين الجسم الساقط والمركز . وقد بنى الخازني دراسته على التجارب والقياسات العلمية . لذا يجب أن يكنى الخازني بأبي علمي الحركية والسوائل الساكنة كما كنى ابن الهيثم بأبي علم الجبر والبتاني بأبي علم المثلثات وثابت بن قرة أبي علم الهندسة . ويقول سيد حسين نصر في كتابه **العلوم والحضارة في الأسلام** «أن أبا عبد الرحمن الخازني يعتبر من الذين لهم اليد الطولى في تطوير نظريات الجاذبية والوزن النوعي » .

مؤلفاته :

وقد أولى عناية تامة بالتأليف فصنف الكثير من الكتب والرسائل التي استفاد منها معاصروه ومن خلفه وسنذكر بعضها : —

(١) زيج السنجار .
(٢) رسالة في الآلات .
(٣) جامع التواريخ .
(٤) كتاب في الفجر والشفق .
(٥) كتاب في الآلات المخروطية .
(٦) كتاب التفهيم .
(٧) كتاب ميزان الحكمة وكان من ثمانية مجلدات كل منها يحتوي على الأتي : —

الكتاب الأول : في السوائل الساكنة .
الكتاب الثاني : في الأوزان المختلفة .
الكتاب الثالث : في نظريات الجاذبية .
الكتاب الرابع : في نظريات أرخميدس ومناوس في موضوع السوائل الساكنة .
الكتاب الخامس : فيه كثير من الأمثلة والمسائل والجداول عن أوزان المواد المختلفة .
الكتاب السادس : في الوزن النوعي للأجسام المختلفة .
الكتاب السابع : فيه أمثلة عامة على ميزان الحكمة في مواضيع مختلفة .
الكتاب الثامن : في علم الفلك .

وقد بين الخازني في كتاب ميزان الحكمة أن قاعدة أرخميدس تنطبق على الأجسام الموجودة في الهواء وقال بأن « الاجرام الثقال يعاوقها الهواء وهي بذراتها في الحقيقة أثقل من ثقلها الموجود في ذلك . واذا انقلبت الى هواء ألطف كانت أثقل ، على خلافه اذا انقلبت الى هواء أكثف كانت أخف » . وكما تعرض الخازني لمقاومة السوائل للحركة فيقول في نفس الكتاب « اذا تحرك جسم ثقيل في أجسام رطبة (سائلة) فان حركته فيها بحسب رطوبتها ، فتكون حركته في الجسم الأرطب أسرع » . وذكر في نفس المؤلف أيضا مركز الثقل وقال « كل جسمين ثقيلين بينهما واصل يحفظ وضع أحدهما عند الآخر ، ولمجموعهما مركز ثقل وهو نقطة واحدة فقط . واذا تعادل جسمان بثقلهما في نقطة مفروضة . فان نسبة ثقل أحدهما فقط . كما بحث ثقل الآخر كنسبة قسمي الخط الذي يمر بتلك النقطة ويمر بمركزي ثقلهما » . كما بحث ثقل الاجسام في كتاب ميزان الحكمة فقال « الأجسام المتساوية في القوة والحجم والشكل والبعد عن مركز العالم متساوية . وكل جرم ثقيل معلوم الوزن لبعد مخصوص مركز العالم تختلف زنته بحسب اختلاف بعده منه ، فكلما كان أبعد كان أثقل واذا قرب كان أخف ، لهذا تكون نسبة الثقل الى الثقل كنسبة البعد الى البعد » . ويتضح من هذا جليا أن الخازني اعتبر مركز العالم هو مركز الأرض فهو بالحقيقة أخطأ في العبارة الاخيرة حيث اعتبر أن وزن الجسم يتناسب طرديا مع بعده عن مركز الارض وهذا بعكس الحقيقة وهي ان وزن الجسم يتناسب طرديا مع مربع بعده عن مركز الارض .

وقد تعرض الخازني في كتابه **ميزان الحكمة** للعلاقة بين السرعة التي يسقط بها الجسم والمسافة والزمن الذي يستغرقه . وهذه العلاقة تنص عليها القوانين والمعادلات التي ادعاها بعض علماء الغرب لأنفسهم أمثال جاليليو وكبلر ونيوتن وغيرهم . ويلمح المؤلف حميد موراني في كتابه **تاريخ العلوم عند العرب** أن « للخازني كتاب ميزان الحكمة كتبه سنة ١١٣٧ ميلادية وفيه وصف الموازين المستعملة في التجارب . وفيه أيضا بحوث عن الجاذبية والعلاقة بين سرعة الجسم والمسافة التي يقطعها ، والزمن الذي يستغرقه وتناول مبدأ التثاقل فقال ان قواه تتجه الى مركز الأرض دائما » . وقد استفاد علماء الغرب من كتاب ميزان الحكمة فترجم من اللغة العربية الى مختلف اللغات الاجنبية لما له من مكانة علمية رفيعة . ويمدح جورج سارتون كتاب ميزان الحكمة في كتابه **المدخل الى تاريخ العلوم** فيقول ان كتاب ميزان الحكمة من أجل الكتب التي تبحث في حقل السوائل الساكنة وأروع ما انتجته القريحة الاسلامية في القرون الوسطى » . وفي الختام انه لمن المؤسف حقا ان الخازني شخص مجهول لدى معظم علماء القرن العشرين . وفي الحقيقة أن معظم علماء الشرق والغرب يحاولون أن يتجاهلوا اسهام علماء المسلمين في الحضارة الانسانية . وفوق هذا ان هناك الأغلبية من المتعلمين من الغرب والشرق يجهلون تماما الخدمات التي قدمها علماء العرب والمسلمين للعلوم عامة بل ان بين هؤلاء من يعتقد ان العقل العربي الاسلامي لم يستطع في جميع ادواره التي مرت عليه أن يقدم للمدنية خدمات علمية جيدة كالتي قدمها علماء الغرب امثال جاليليو وكبلر وأويلر ونيوتن وغيرهم . ويظهر لنا جليا أن أسباب هذا الجهل تحامل علماء الغرب على التراث العربي الاسلامي واهمال المسلمين لتراثهم وتاريخهم . فالواجب أن يتولى علماء العرب

والمسلمين كل في مجال تخصصه توضيح الثمار التي قطفها الغرب عن طريق مراكز والثقافة والعلوم الاسلامية مثل الاندلس وصقلية اضافة الى اثبات دور القافلة الاسلامية الرئيسى في تأصيل روح البحث وطرق الأستقصاء بأتباع التجربة والملاحظة تلك الصفات التي كان يتحلى بها الخازني في بحوثه العلمية .

ولا يفوتنا التنويه أن علماء المسلمين قد سبقوا الغرب في البحث العلمي وأثبتوا الكثير من النظريات واخترعوا الكثير من الآلات ، ونستطيع القول أن علماء المسلمين قطعوا شوطا كبيرا في النظريات العلمية والتجارب المخبرية .

المراجع

(١) عبد الرحمن الخازني
(٢) حاجي خليفة
(٣) الزركلي
(٤) جورج سارتون
(٥) ألدوميل
(٦) ———
(٧) حميد موراني
(٨) حميد موراني وعبد الحليم منتصر
(٩) سيد حسين نصر
(١٠) ———
(١١) روبرت هول

: ميزان الحكمة
: كشف الظنون
: الأعلام
: المدخل الى تاريخ العلوم
: العلوم عند العرب
: تاريخ العلوم عند العزب خلال القرون الوسطى
: تاريخ العلوم عند العرب
: قراءات في تاريخ العلوم عند العرب
: العلوم الاسلامية
: العلوم والحضارة الاسلامية
: قاموس الشخصيات البارزة فى العلوم

* الف أبو جعفر الخازن الخرساني في الرياضيات والفلك وعاش في اواخر القرن الرابع الهجري (الموافق القرن العاشر الميلادي) ، وقد اشتهر في جمع المعلومات وتنقيحها غير أنه لم يعرف بابتكاراته النظرية كما عرف عبد الرحمن الخازني .

** توجد اليوم في جمهورية التركمنستان تحت الاستعمار السوفياتي .



بقلم : د. أحمد عبدالرحمن الشامخ
رئيس قسم الجغرافيا بجامعة الرياض

تبحث هذه الدراسة في نمط التصريف المائي لمنطقة القصيم . والهدف من ذلك هو اعطاء صورة عامة عن جانب من جوانب الجغرافيا الطبيعية للمنطقة . ودراسة التصريف المائي لمنطقة ما ذات فائدة في حد ذاتها ولكنها تكتسب أهمية أكثر لأن هناك ارتباطا وثيقا بين نمط التصريف المائي وبين الاستقرار البشري . وهذا صحيح في جميع مناطق العالم ولكنه يتضح بصورة قاطعة في المناطق الحافة من العالم كمنطقة القصيم .

* أصل البحث منشور بالقسم الانجليزي بنهاية العدد

وتقع منطقة القصيم في وسط المملكة العربية السعودية وفي شمال نجد ، وتعتبر من أهم مناطق المملكة السعودية نظرا لكثرة سكانها ووفرة انتاجها الزراعي . ويزيد عدد سكانها على ۳۱٦٫۰۰۰ نسمة وأما مساحتها فتقارب ٦۰۰۰۰ كيلومتر مربع ولذلك فان كثافة السكان بها تصل الى أكثر من خمسة أشخاص لكل كيلومتر مربع . وهذه الكثافة السكانية أعلى من المعدل العام للمملكة العربية السعودية الذي يبلغ حوالي ثلاثة أشخاص لكل كيلومتر مربع .

وتقع معظم المدن والقرى والهجر في منطقة القصيم على وادي الرمه وفروعه . فتقع مدن بريده وعنيزه والرس والبكيريه ورياض الخبراء والبدائع على ضفاف وادي الرمه أو بالقرب منه ، كما تقع على هذا الوادي قرى كثيرة منها الهلالية والخبراء وقصر ابن عقيل والنبهانية وصبيح . ويقع العديد من هجر البادية على وادي الرمه وفروعه ومن هذه الهجر دخنه والفوارة والدليمية والقرين وعقلة الصقور والخشيبي وجرار والداث وعطا وضليع رشيد ومطريه والجفنية .

ولذلك فان هذه الدراسة ستهتم اهتماما خاصا بوادي الرمه وفروعه الرئيسي كما سيتناول البحث الأودية الهامة الاخرى ومناطق السبخات التي ترتبط ارتباطا مباشرا بنمط التصريف المائي في المنطقة .

يعتبر وادي الرمة أهم ظاهرة طبيعية في منطقة القصيم اذ يعبر المنطقة كلها من الغرب الى الشرق . كما انه اطول واد في شبه الجزيرة العربية اذ يبلغ طوله الحالي ٦۰۰ كيلومتر من منبعه قرب المدينة المنورة الى مصبه في رمال عفجة الحصانة شرقي القصيم . ويعتقد بأن وادي الرمة كان نهرا حقيقيا يفيض بالمياه طوال أيام السنة في الأزمنة الجيولوجية السابقة . كما أن ذلك النهر كان يستمر في جريانه حتى يصب في الخليج العربي قرب مدينة البصرة في العراق . ومعنى هذا أن طول النهر القديم كان يعادل حوالي ۱۲۲٤ كيلومتر . ويشكل وادي الباطن الذي يقع في الشمال الشرقي للمملكة استمرارا لوادي الرمة الا انه قد انفصل عنه في الوقت الحاضر بواسطة رمال الدهناء .

ويتصل بوادي الرمة عشرات الأودية من الشمال ومن الجنوب . ومن الأودية التي تتصل به من الناحية الشمالية : وادي المحلاني ، وادي مرغانة ، شعيب صبيح ، وشعيب الدليمية ، أما من الناحية الجنوبية فيتصل به وادي الجفن ، وادي الرجلة ، وادي الجرير ، شعيب جرار ، شعيب الداث ، شعيب الخشيبي ، ووادي دخنة . كما أن وادي الرشاء كان يتصل بوادى الرمة قريبا من مدينة عنيزة ولكن نفود الشقيقة وقف حائلا بين الواديين فى الوقت الحاضر .

ومن الأودية الكبيرة الهامة في القصيم يوجد واديان آخران وهما وادي الترمس ووادي الجارمة . ويعتبر وادي الترمس الحد الشمالي لمنطقة القصيم فهو يبدأ في مكان يبعد حوالي عشرين كيلومتر عن قرية العظيم التي تقع جنوب منطقة حائل . ويتصل بوادي الترمس شعاب اخرى تأتي من جبل حبشي وجبل الهضوب وجبل أبا اللقاح . ويستمر وادي الترمس شرقا باسم وادي الغمار ثم يأخذ اسمه الحالي بعد ذلك حتى ينتهي شرق هجرة المحير والتي تقع على خط عرض ۲۰/ر۲۷° شمالا وخط طول ۳۸/ر٤۳° شرقا .

وينتهي وادي الترمس في رمال ناظرة أم ثميد وهي جزء من نفود المظهور الذي يعتبر الحد الغربي لرمال الدهناء . ويبلغ مجموع طول وادي الترمس حوالي ١٨٠ كيلومترا . أما الوادي الثالث في القصيم فهو وادي الجارمه ، والذي يعبر منطقة الأسياح من الشمال الى الجنوب . ويبدأ وادي الجارمه قرب قرية ضيده وينتهي بعد حوالي خمسين كيلومترا الى الجنوب شرقي قرية عين ابن فهيد . ويصب في وادي الجارمه العديد من الشعاب المنحدرة من صفراء الاسياح والواقعة الى الغرب من وادي الجارمة . وتقع معظم قرى وهجر منطقة الاسياح على الجانب الغربي من وادي الجارمة .

ويرتبط التصريف المائي في العادة وجود سبخات في المناطق الجافة ، وتوجد في منطقة القصيم خمس سبخات ، تقع أربع منها متجاورة في الجزء الشرقي من المنطقة . وتتكون السبخات من الرسوبات الرباعية من الطمي والطفل والرمل الوحلي والأملاح . واحدى هذه السبخات هي روضة الزغيبية التي تقع حوالي عشرة كيلو مترات شرقي مدينة عنيزه . وتستقبل روضة الزغيبية مياه وادي الرمه وكذلك مياه الشعاب المنحدرة — شرقا — من صفراء عنيزه . ومع أن روضة الزغيبية قد صنفت على أساس أنها سبخه الا أن الاملاح محدودة فيها ومعظم أجزائها صالحة للزراعة . وقد زرعت أراضيها على نطاق واسع في السنوات العشرين الأخيرة .

أما سبخة العوشزيه فتقع شرق قرية العوشزيه مباشرة وتبعد حوالي خمسة كيلومترا جنوب الزغيبية . وتحتل العوشزيه والزغيبية مواقع متشابهة الا أن العوشزيه تستقبل المياه المنحدرة من الصفراء فقط ولا تصلها مياه وادي الرمه . وسبخه العوشزية ينطبق عليها تعريف « سبخه » بكل معانيه اذ ترسبت فيها طبقات الاملاح ، وصار الأهالي يستخرجون منها ملح الطعام .

وأكبر السبخات في القصيم هو قاع الظليم الذي يستقبل مياه وادي الرمه ومياه الشعاب المنحدرة شرقا من التلال المجاورة مثل شعيب الظليم . ولذلك فقاع الظليم مشابه للزغيبية من حيث مصادر مياهه ، ويقع قاع الظليم شرقي وشمال شرقي قرية الظليم .

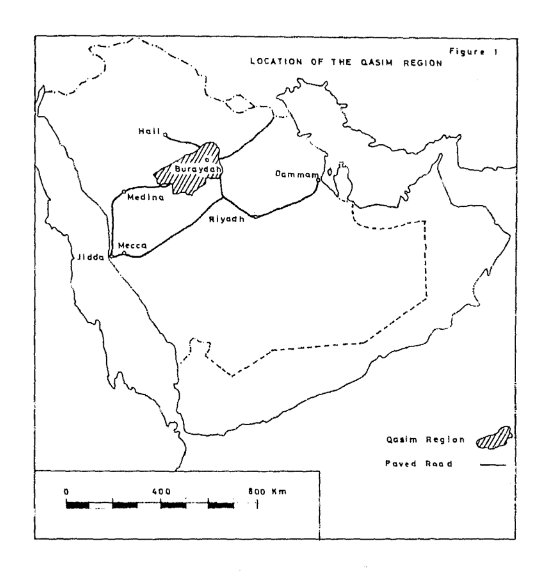
وعلى بعد عشرة كيلومترات جنوبي قاع الظليم تقع سبخة مشتت . وتأخذ اسمها من عريق مشتت وهي عروق رملية ضيقة . وتشبه سبخة مشتت سبخة العوشزيه من حيث ان مياهها تأتي من الشعاب المحلية فقط .

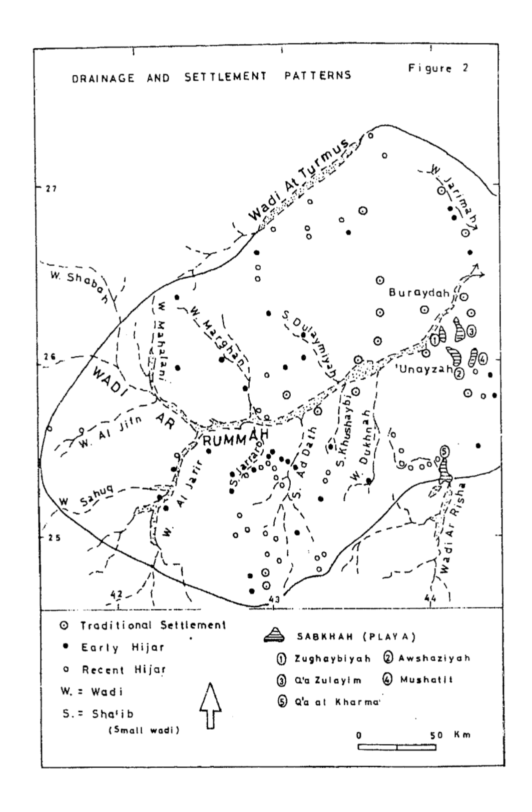
وفي موقع آخر من القصيم يقع قاع الخرماء الذي تنتهي اليه مياه وادي الرشاء . ويقع قاع الخرماء حوالي خمسة وعشرين كيلومترا شمال شرق هجرة الملقاء في الطرف الجنوبي الشرقي من منطقة القصيم . وكثير من مناطق قاع الخرماء أراض صالحة للزراعة وقد بدأت الزراعة بها منذ حوالي عشر سنوات .

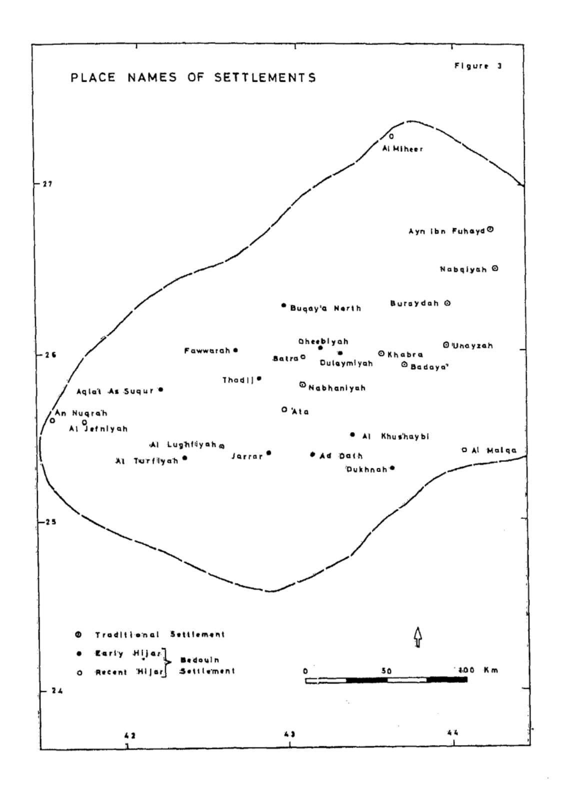
بناء على دراسة نظام التصريف المائي في منطقة القصيم برزت الملاحظات الرئيسية التالية : —

(١) يعتبر وادي الرمه وروافده الكثيرة الوادي الرئيسي في المنطقة .

(٢) هناك أودية اخرى ذات أهمية مثل وادي الترمس ووادي الجارمه .
(٣) تكوّن السبخات جزءا من نظام التصريف المائي .
(٤) يتجه التصريف المائي في المنطقة بوجه عام من الغرب الى الشرق .
(٥) يوجد ارتباط وثيق بين نظام التصريف ونمط الاستقرار البشري فى منطقة القصيم .




DRAINAGE AND SETTLEMENT PATTERNS
Figure 2
Wadi At Turmus
W. Jarimah
W. Shabah
W. Mahalani
W. Marghan
S. Dulaymiyah
Buraydah
'Unayzah
WADI AR RUMMAH
W. Al Jifn
S. Khushaybi
W. Dukhnah
S. Jarrara
S. Ad Dath
W. Al Jarir
W Sahuq
Wadi Ar Risha
27
26
25
42
43
44
Traditional Settlement
Early Hijar
Recent Hijar
W. = Wadi
S. = Sha'ib
(Small wadi)
SABKHAH (PLAYA)
① Zughaybiyah
② Awshaziyah
③ Q'a Zulaylm
④ Mushatit
⑤ Q'a al Kharma'
0
50 Km


Figure 3
PLACE NAMES OF SETTLEMENTS
Al Miheer
Ayn Ibn Fuhayd
Nabqiyah
Buraydah
Buqay'a North
Dheebiyah
'Unayzah
Fawwarah
Batra
Dulaymiyah
Khabra
Badaya'
Thadij
Nabhaniyah
Aqlat As Suqur
An Nuqrah
'Ata
Al Jefniyah
Al Khushaybi
Al Lughfiyah
Al Malqa
Jarrar
Ad Dath
Al Turfiyah
Dukhnah
27
26
25
24
42
43
44
Traditional Settlement
Early Hijar
Recent Hijar
Bedouin Settlement
0
50
100 Km

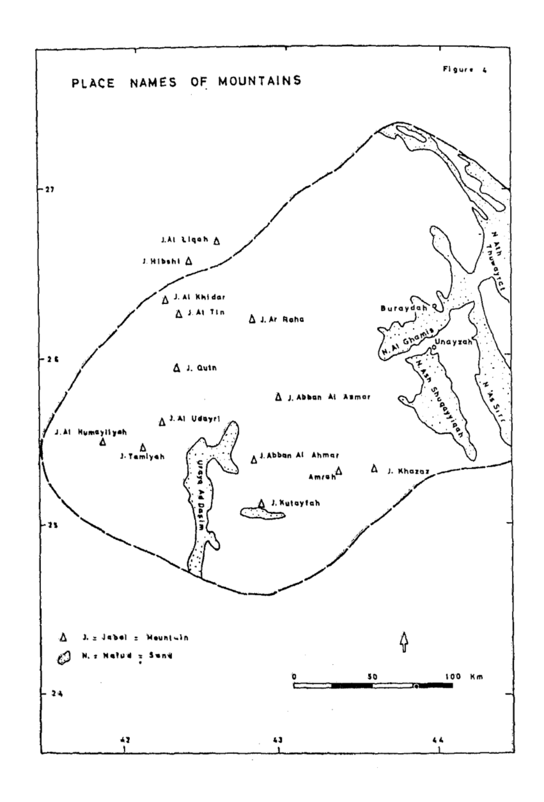


Figure 4
PLACE NAMES OF MOUNTAINS
J. Al Liqah
J. Hibshi
J. Al Khidar
J. At Tin
J. Ar Raha
J. Qutn
J. Abban Al Asmar
J. Al Udayri
J. Al Humayliyah
J. Tamiyah
J. Abban Al Ahmar
Amrah
J. Khazaz
J. Kutayfah
Uraya Ad Dasim
Buraydah
N. Al Ghamis
Unayzah
N. Ash Shuqayiqah
N. As Sirr
N. Ath Thuwayrat
J. = Jabel = Mountain
N. = Nafud = Sand
0
50
100 Km
27
26
25
24
42
43
44

• الاستاذ أحمد بن حافظ الحكمي أحد كفاءاتنا الوطنية وقد خص الداره ببحث ممتاز قام بإعداده ، وعنوانه « اثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن - مجدد الدعوة الاصلاحية في نجد ١١٩٣ هـ/١٧٧٩ م - ١٢٨٥ هـ/١٨٦٩ ويسر الداره ان تنشر أولى حلقات هذا البحث ، باعتباره جهدا علميا طيبا حرص فيه الباحث على القاء الضوء لآثار علم جليل من أعلام الدعوة الاصلاحية السلفية في نجد ، وهو الامام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد الدعوة السلفية رحم الله الجميع .

آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن مجدد الدعوة الاصلاحية في نجد

للأستاذ :
أحمد بن حافظ الحكمي
المحاضر بكلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

« التعريف بالشيخ عبد الرحمن »

— ١ —

هو / عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الداعية محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على المشرفى [١] التميمى النجدى [٢].

وينتهي في نسبه إلى زيد مناة بن تميم بن مر من بنى مضر، من العدنانية [٣].

ويعتبر جده الإمام محمد بن عبد الوهاب [٤] أبرز رجال اسرته وأعلاهم منزلة، امتد به العمر بين سنتى (١١١٥ — ١٢٠٦ هـ)، وكانت حياته مليئة بالأحداث والتطورات المختلفة، دعا فيها الى توحيد الله وحده، واحيا مبادىء الدعوة والإصلاح، وقرّب مذهب السلف الصالح الى أفهام الناس، ونادى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وحرر العقول من كثير من الأوهام والخرافات التي كانت تسيطر عليها قبله.

وقد كانت نجد مسرحا لدعوته السلفية وإن لم يقتصر تأثيرها عليها، بل امتد الى كثير من أجزاء الجزيرة العربية وإلى غيرها من بلاد الإسلام الواسعة، ثم كان آل سعود في دولتهم الاولى وعلى رأسهم مؤسسها الإمام محمد بن سعود خير مساند له في دعوته ومعين على نشرها.

— ٢ —

« والكل يعرف أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في نجد إبّان القرن الثاني عشر الهجري وبعده قد كان لها الاثر الإيجابي البالغ في الجزيرة وخارجها ما لا يمكن الإحاطة به في دراسة متواضعة، وقد فُصِّل ذلك في كتب عنيت بهذا الامر، إلا ان الدعوة بعد رحيل صاحبها بوقت قصير كادت تفتر بعد محاولات متعددة كان الهدف منها القضاء عليها وعلى رجالها، لولا أن سخر الله لها عالما فاضلا من نسل الشيخ هو عبد الرحمن بن حسن، استطاع الوقوف في وجه كل التيارات المعادية، وقاد دفة السفينة المضطربة في الامواج العاتية من حولها، وسار بها نحو مسالك الخير، حتى أوصلها درب النجاة، بعد أن أوشكت على الغرق، حين تخلى عنها كثير من الملاحين.

وبدعوة هذا العالم الجليل المخلصة استطاع أن يجدد الدعوة التي قام بها جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبله وأن يعيدها الى مسارها الطبيعي الذي أراده لها صاحبها » [٥].

ومن حق علمائنا علينا ان نسجل لهم هذه الصفحات المشرقة من حياتهم وان نعرف بهم وباثارهم، ولعل الشيخ عبد الرحمن من أجل علماء الجزيرة الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإسلام وكافحوا كفاحا مجيدا من أجل النهوض بمستوى المسلمين ورفعة شأن الإسلام، فلنعرف به وبدعوته — قبل تفصيل القول عن آثاره — في هذه العجالة اليسيرة.

— ٣ —

ولد هذا الشيخ الفاضل في سنة ١١٩٣ هـ [٦] (١٧٧٩ م) في مدينة (الدرعية) بنجد، وكانت عاصمة للدولة السعودية الاولى انذاك، ومهد الدعوة السلفية التي صدع بها جده المصلح الكبير.

وفي الدرعية كانت نشأته في كنف جده ، اذ كان والده قد توفى شهيداً في معركة دارت رحاها في مكان يسمى (غرابة) بنجد [٧] .

وقد نشأه جده تنشئة صالحة ربّاه فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق ، وحرص على تعليمه منذ نعومة اظفاره ، وساعده على ذلك مخايل الذكاء وسرعة الفهم التي كان يتصف بها في صغره ، كان من أهم نتائجها أن ختم القرآن وهو في العاشرة من عمره .

ثم لازم بعد ذلك دروس العلم في حلقة جده يستمع ويعي ويقرأ عليه في بعض مؤلفاته ككتاب (التوحيد) ، وكتاب (آداب المشي الى الصلاة) — وغيرهما .

رحل الإمام الداعية وخلف حفيده في الثالثة عشرة من العمر ، فعاش تحت رعاية أعمامه الذين اعتنوا به وقربوه وواصلوا تعليمه ، وقد لمسوا فيه سرعة في الفهم وقوة في الادراك فزادهم ذلك حرصا على توجيهه ودعوته الى حضور مجالسهم العلمية وحلقات الدرس والجلوس الى العلماء .

وكان مما قرأه عليهم وعلى غيرهم من علماء نجد كثير من كتب التفسير والحديث والعقائد والأحكام والفرائض والفقه وعلوم العربية من نحو وصرف وآداب .

وكان آية في الحفظ والاستيعاب لا يفوته شيء مما قرأه ، ولا يغيب عنه شيء مما حفظ ، كما كان فطنا مستيقظا ، له عقل راجح ، وفهم تام لما يقرأ أو يسمع .

وقد كان من أهم شيوخه في هذه الفترة من دراسته :

١ — عمه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : (١١٦٥ — ١٢٣٢ هـ) [٨] .

٢ — عمه الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب : (المتوفى سنة ١٢٢٤ هـ) [٩] .

٣ — عمه الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب : (المتوفى سنة ١٢٤٥هـ) [١٠] . وقد قرأ عليهم كثيرا في الحديث والفقه والتفسير ، وربما العقائد .

٤ — الشيخ حمد بن ناصر بن معمر : (المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ) [١١] .

٥ — الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي : (المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ [١٢] قرأ عليه في شرح الجزريّة للقاضي زكريا الأنصاري .

٦ — الشيخ أبو بكر حسين بن غنام الأحسائي : (المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ) [١٣] قرأ عليه في النحو كثيرا من الكتب منها (شرح الفاكهي على المتممة) .

٧ — الشيخ عبدالله بن فاضل : قرأ عليه في السيرة النبوية وغيرها .

٨ — الشيخ عبد الرحمن بن خميس : قرأ عليه في الفرائض شرح الشنشوري .

وقد لمس الإمام سعود بن عبد العزيز في الشيخ سعة العلم والقدرة على توضيح الأحكام فولاه قضاء الدرعية واستمر على ذلك زمن الإمام سعود وابنه عبدالله ابن سعود [١٤] . كما صار ايضا أحد قضاة مكة المكرمة فتفوق في أقضيته وأحبه أهل البلاد ورغبوا في أحكامه [١٥] .

— ٥ —

زحفت جيوش محمد على باشا إلى نجد بقيادة ابراهيم باشا للقضاء على الدعوة السلفية فتمكنت من تخريب الدرعية في سنة ١٢٣٣ هـ [١٦] بعد حروب دامية كانت بها نهاية الدولة

السعودية الاولى .

ولما تم الأمر لإبراهيم باشا أخذ كلٌّ من وجد من آل سعود وآل الشيخ وأرسلهم إلى مصر وفي عدادهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وهناك في مصر لم يفرط الشيخ في وقته الثمين ، بل جد واجتهد غايته وجالس العلماء يطلب العلم على أيديهم ويناقشهم ، ويُقرىء الطلبة في كافة العلوم الإسلامية . وخاصة في الفقه والعقائد حيث نبغ فيهما وكانت له منزلته العلمية الكبرى بين الشيوخ والتلاميذ .

ومن أهم شيوخه في مصر في هذه الفترة من دراسته :

١ ــ الشيخ حسن القويسني : (المتوفي سنة ١٢٥٥ هـ) [١٧] حضر عليه شرح جمع الجوامع في الأصول للمحلى ، ومختصر السعد في المعاني والبيان .

٢ ــ الشيخ عبدالله بن سويدان : (المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ) [١٨] .

٣ ــ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي : (١١٦٧ ــ ١٢٣٧ هـ) [١٩] قرأ عليه في الحديث

الشيخ محمد بن محمود الجزائرى المتوفى سنة ١٢٦٧ هـ [٢٠] .
أخذ عنه في الحديث ايضا .

٥ ــ الشيخ ابراهيم العبيدي ــ شيخ القراءات بمصر ــ قرأ عليه أول القرآن .

٦ ــ الشيخ أحمد بن سلمونه : قرأ عليه كثيراً من الشاطبية ، وشرح الجزرية ، في القراءات ، كما قرأ عليه كثيرا من القرآن .

٧ ــ الشيخ يوسف الصاوي : (المتوفى سنة ١٢٤١ هـ) [٢١] قرأ عليه كثيرا من شرح الخلاصة لابن عقيل .

٨ ــ الشيخ ابراهيم البيجوري : (١١٩٨ ــ ١٢٧٧ هـ) [٢٢] قرأ عليه شرح الخلاصة للأشمونى ، وحضر عليه في السلم .

٩ ــ الشيخ محمد الدمنيوري : (المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ) [٢٣] وقد حضر عليه في الاستعارات والكافى في علمى العروض والقوافي .

وقد أجازه أكثر العلماء ، باجازات مطولة بمروياتهم عن شيوخهم ، وقد تكفل الشيخ عبد الرحمن بالإشارة الى مشايخه هؤلاء ومقروءاته عليهم وإجازاتهم له في رسالة سجلها بقلمه تجدها مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية [٢٤] .

ثم استقامت الأمور بعد ذلك في نجد على يد الإمام تركي بن عبد الله (المتوفى سنة ١٢٤٩ هـ) [٢٥] واستطاع أن يسيطر على الأوضاع المضطربة وأن يسير الحكم في البلاد بسياسة عادلة وروح مخلصة .

وعندما علم الشيخ عبد الرحمن بذلك الحنين الدين الى وطنه ، خاصة وأنه في أشد الحاجة الى مثله من العلماء للنهوض بالدعوة الإصلاحية، ونشر العلم وإحياء معالم الدين .

وكان الإمام تركي يعرف للشيخ منزلته وفضله فكتب اليه يستحثه في القدوم لمساعدته في النهوض بالبلاد ، فلبى الشيخ دعوته ووصل الى نجد في سنة ١٢٤١ هـ [٢٦] وكان فرح الإمام به كبيرا حيث أكرمه غاية الإكرام وجعله كبير قضاة الرياض عاصمة الدولة ومرجع علماء نجد والمفتى الأول بها وفوضه في أن يفعل كل ما يراه صالحا للدعوة ونشر مبادىء الدين ولم يأل الشيخ جهدا في القيام بمؤازرة الإمام في الدعوة وتأسيس الدولة الإسلامية الناهضة على قواعد صلبة من العقيدة السلفية وأسس متينة من الشريعة السمحة [٢٧] .

— ٧ —

وقد أدى تدهور الوضع في بلاد نجد بعد تخريب (الدرعية) الى انصراف الناس بعض الانصراف عن امور دينهم ، وانشغلوا عن التمسك بالمبادىء والأخلاق الفاضلة بالأحقاد التي عادت جذعة بين أهل البادية ، لتكون البلاد كعهدها قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فتفرق القوم شيعا وتعددوا أحزابا ، وساعد على ذلك تفرق صفوف العلماء وتشتتهم في البلاد وانصرافهم عن الدعوة .

وقد كان على الشيخ عبد الرحمن — وقد اضطلع بمهمة الدعوة والاصلاح — أن يعمل أولاً على جمع الناس على كلمة واحدة مستخدما في ذلك وسائل كثيرة سلكها من أهمها : إقامة حلقات الدرس في المساجد ، وتنظيم الدروس العلمية للطالبين ، ووضع رسائل صغيرة سهلة الفهم قريبة التناول يوضح فيها لطلاب العلم ما يجب عليهم اتباعه ، وما ينبغي عليهم تركه من الأقوال والأفعال ، والقيام بإسداء النصح عن طريق الوعظ والإرشاد ونشر مبادىء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المساجد والحلقات الدراسية ، وكتابة الرسائل والنصائح الإسلامية الى المناطق والأقاليم التي تدعو الى تصحيح العقيدة الحقة في نفوس المسلمين ونشر مبادىء الإسلام السامية ، وتسجيل الردود المقنعة على كل من يخالف الدعوة السلفية أو يسىء إليها أو يضلل الناس عنها ، وقد نجح في ذلك أيما نجاح .

« وهكذا تسنى للشيخ ابن حسن أن يدعو الناس إلى اتباع دين الله القويم ، والى وجوب الحفاظ عليه بوسائل عديدة ، سلكها في منهج واضح سار عليه والتزمه في دعوته كان من أهم آثاره : أن جدد للعلم مدارسه وأعاد إليها هيبتها ، وأحيا مجالس الوعظ والإرشاد بالحكمة والقول الحسن ، وأعاد للمساجد والمجالس العلمية ازدهارها بالدروس الصباحية والمسائية ، فدخل الناس في الدين الحق واقتنعوا بالرأي السديد ، واتبعوا الداعي من حيث يجب الاتباع فتركوا الجهالات والخرافات القديمة ، وساد النظام الإسلامي بما فيه من عدل وإخاء ورحمة ومحبة وتعاون في ربوع نجد خاصة وفي الجزيرة العربية عامة » [٢٨] .

— ٨ —

وبالاضافة الى شئون الدعوة وأعبائها الجسام ، والقضاء والافتاء وثقل قيودهما ، فقد اضطلع الشيخ بمهمة التدريس ، فقد كان يجلس للتدريس فَيَفِدُ إليه طلاب العلم وروّاد

المعرفة من كل مكان ليتلقوا عنه العلم النافع في كثير من الفنون ، وقد كان لتدريسه أثر في النفوس ، وأصبح أكثر طلبته بعد تخرجهم على يديه قضاة في أوطانهم وولاة لأمورها ودعاة إلى الله وأصحاب آثار جليلة ، وهم كثير جدا ، ولعل من أهمهم :

١ — ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (١٢٢٥ — ١٢٩٣ هـ) [٢٩] خليفته من بعده .

٢ — ٤ — ابناء عمه الشيخ حسين بن محمد بن عبد الوهاب : حسن وعبد الرحمن وعبد الملك .

٥ — الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع (المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ) [٣٠] .

٦— الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٢٥٣ — ١٣٢٧ هـ) [٣١] .

٧ — الشيخ حمد بن عتيق (١٢٢٧ — ١٣٠١ هـ) [٣٢] .

٨ — الشيخ محمد بن عمر بن سليم (المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ) [٣٣] .

٩ — الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم (١٢٤٠ — ١٣٢٣ هـ) [٣٤] .

١٠ — الشيخ عبدالله بن نصير .

١١ — الشيخ ناصر بن عيد .

١٢ — الشيخ عبدالله بن جبر .

وغيرهم كثير جداً أحصيتهم في كتاب أعددته عنه .

— ٩ —

ولقد كان الشيخ رحمه الله — بعد هذا كله — رجل علم وعمل ، توفرت فيه كل صفات الداعية المجدد والمصلح الواعي ، وقد وصفه عدد من الكتاب الذين عاصروه أو جاءوا بعده بصفات تدل على أنه كان جليل القدر ، كامل العقل ، عالي الشأن ، غزير العلم ، شديد التثبُّت ، كثير المناقب والفضائل ، عليه مهابة وجلالة وبهاء لا تعرف لغيره من العلماء .

وأنه كان — رحمه الله — محبّاً للعلم وطلابه ، متواضعا لهم ، قائما بشئونهم ، جوادا سخياً ، حسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، جامعاً لكثير من العلوم والفنون الشرعية والعربية ، بارعاً ، محققاً ، نقياً ، تقياً ، وقوراً ، صالحاً ، كريما لينَ الجانب ، كثير العبادة ، معرضا عن الدنيا وأهلها [٣٥] .

— ١٠ —

مكث الشيخ طيلة حياته التي امتدت نحوا من ٩٢ سنة ـ عاصر خلالها ثلاثة من أئمة الدولة السعودية الأولى وهم : عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وسعود بن عبد العزيز ، وعبدالله بن سعود ، وثلاثة من أئمة الدولة السعودية الثانية وهم : تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وفيصل بن تركي ، وعبدالله بن فيصل — يدعو إلى الله على بصيرة ، ويوضّح للناس السبل السديدة في القول والعمل ، حتى أتاه اليقين ، فأنتقل الى جوار ربه في عشية يوم السبت الحادي عشر من شهر ذى القعدة سنة ١٢٨٥ هـ — [٣٦] (١٨٦٩ م) — وقيل : بل كانت وفاته في الثامن من شهر ذى الحجة — [٣٧] — في الرياض ، وصُلِّي عليه بجامعها ، ودفن

في مقبرة (العود) بها .

ولقد اصيب المسلمون بوفاته إصابة جسيمة — خاصة في نجد — ورثاه بعض الشعراء فاجادوا في تسجيل بعض مناقبه ، ومن أهمهم تلميذه الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن مانع الذي رثاه بقصيدة طويلة مطلعها :

تــردّ رداء الصبر في حـادث الأمـر
وفوّض بـتسـليم مع الحمـد والشكـر
فـنعم احتسـاب المرء في حـال رزئـه
ونعم ادّراع الصبر في العسر واليسر (٣٨)

رحم الله الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمة واسعة ، وجزاه عن ما قدم في خدمة الإسلام والدعوة إلى التمسك بمبادئه والدّفاع عنه خير الجزاء .

— — — — —

كلمةُ حقٍّ لا بدَّ منها

بعد تتبُّعي لآثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن ودراستها ومقارنتها بغيرها من آثار رجالات الدعوة السلفية في نجد ، فإنني لا أعدوا الحقيقة في شيء إذا قلت : إن الشيخ عبد الرحمن كان أنبه رجال الدعوة ، وأكثرهم وعياً ، وأعلاهم شأناً ، وأفضلهم ذكرا ، وأغزرهم علماً ، وأكثرهم مجالسة للعلماء ، سواء في ذلك من كان من ذرية الشيخ الداعية أو من تلاميذه وتلاميذهم تقدّم بهم الزمن أو تأخر .

ثم كان لدراسته في مصر وجامعها الأزهر وعلى علماء الإسلام الواردين الى القاهرة الأثر البالغ في تنمية مواهبه وتنوع مصادر ثقافته وإشباع روح الاطلاع عنده ، خاصة وأنه وجد العناية من علماء مصر بكثير من العلوم والفنون التي لم يتعود العلماء فى نجد على تعليمها لتلاميذهم إما لقصورهم فيها أو لعدم اهتمامهم بها مع انها من الأسس الهامة في البناء الثقافى لطالب العلم الجاد ، ومن أهم هذه العلوم دروس اللغة العميقة وعلوم اللسان وفنون الكلام والمعاني والبيان ، وأصول العلوم المتعددة الجوانب ، وما يتعلق بالجدل ، والمنطق والمناظرة ، وما يتبعها من تفريعات هي الأساس المعين على الدعوة والتبليغ ومجابهة الخصوم .

ومن أجل هذا وجدنا آثار الشيخ ابن حسن مفعمة بالفكرة النيرة والرأي الصائب والموعظة الحسنة من غير غُلوٍّ أو إسفاف أو تجريح ، كما حدث من بعضهم ، ثم كان كل من جاء بعده من علماء الدعوة عيال عليه ، فلا تراهم يخرجون عما قرره في كتبه ورسائله وأجوبته وردوده ونصائحه ، أو معتمدين في بعض أقوالهم على مختصرات جدّه الإمام الداعية التي تكفّل هو بشرح غوامضها وتفصيل مجملها ، وإنارة السبل لدارسيها بالتعليق عليها وتهميش حواشيها وهو ما لم يتوفر لإمام الدعوة نفسه .

واليه بعد هذا كله يعود الفضل الأول في تجديد دعوة جدّه بعد أن كاد ضوؤها يخبو بعد الحملات العسكرية على نجد والقضاء على الدرعية ودولتها المؤيدة للدعوة ، حيث أعادها على أسس سليمة وقواعد صلبة لا تزعزعها الرياح العاتية ولا تلين أمام حملات المغرضين

وهجماتهم المتلاحقة في سبيل القضاء عليها .

ثم كان لتلاميذه من بعده — وإن لم يبلغوا مستواه العلمي ونضجه الفكري — الأثر البالغ في نشر دعوته في ربوع الجزيرة ، بفضل ما لقنهم إياه شيخهم من مبادىء وما أسداه إليهم من توجيهات قيمة كانت السبب الأول في شيوع هذه الدعوة وبقائها قوية عزيزة الجانب إلى يومنا هذا وعلى مر السنين وتعاقب الأجيال .

مصادر ومراجع ترجمته

رأيت وأنا أعنى بدراسة حياة هذا العالم الجليل وآثاره أن أسجل هنا أهم المصادر والمراجع التي تناولت حياته بالبحث والدراسة ، أو ترجمت له ترجمة موجزة لإتمام الفائدة ولتكون في متناول الدارسين :

١ — إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠ هـ/١٨٥٤ م — ١٣٤٣ هـ/١٩٢٤ م) .

« عقد الدرر بما وقع في نجد في الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر » .

الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م ، أشرف على طبعه عبدالله بن خالد الحاتم — دمشق : المطبعة العمومية : (ص ٧٠ — ٨٢) .

٢ — ابراهيم بن محمد بن سيف :

« تراجم العلماء والقضاة » — مخطوط ، سيطبع قريبا — لم أطلع عليه ، ولا أشك في أنه يحوى ترجمة للشيخ عبد الرحمن بن حسن .

٣ — أحمد بن حافظ الحكمى (كاتب هذا البحث) :

أ) « مجلة رابطة العالم الاسلامى » : العدد العاشر ، السنة الثالثة : شوال سنة ١٣٩٥ هـ (بحث عنه في مقال) : (ص ٤٧ — ٥١) .

ب) « الشيخ عبد الرحمن بن حسن (١١٩٣ — ١٢٨٥ هـ) مجدد الدعوة الإصلاحية في نجد » :

(وهو كتاب كامل عنه ، تناولت فيه بالتفصيل حياته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، وعلمه ، وأعماله ، وجهوده في الدعوة والاصلاح ، ومؤلفاته ، واقتطفت شيئا من آثاره) — تحت الترتيب والتنقيح ، (وهذا البحث بعد القسم المتعلق بمؤلفاته من هذا الكتاب) .

٤— أحمد على :

آل سعود » : طبع سنة ١٣٧٦/١٩٥٧ م — دار العباد للطباعة والنشر ، بيروت لبنان : (ص ١٩٩ — ٢٠١) .

٥ — اسماعيل باشا البغدادي : (المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ-١٩٢٠ م) .

أ) « اسماعيل الكنون في الذيل على كشف الظنون » : طبع بعناية وكالة المعارف في مطبعتها سنة ١٩٤٧ م/١٣٦٦ هـ : (ج ٢ : ص ١٧٢) .

ب) « هدية العارفين » — اسماء الكتب وآثار المصنفين — طبع وكالة المعارف .... استامبول سنة ١٩٥١ م : (ج ١ : ص ٥٥٨) .

٦ — خير الدين الزركلي (١٣١٠ هـ/١٨٩٣ م — ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م) .

« الاعلام » — قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين ـــ الطبعة الثالثة : (ج ٤ : ص ٧٥ ـــ ٧٦) .
٧ , زيد بن عبد العزيز بن فياض :
« الجامع الفريد » ـــ يحتوى على كتب ورسائل لأئمة الدعوة ـــ طبع طبعته الأولى على نفقة ... الجميع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام (بدون تاريخ الطبع) : (المقدمة : ص ٨) ترجمة مختصرة ملخصة كتبت بتاريخ ١٩٨٧/٥/٦ هـ .
٨ ـــ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٣ هـ/١٧٧٩ م ـــ ١٢٨٥ هـ/١٨٦٩ م) .
« رسالته المهمة التي كتبها في ذكر شيخه ودراساته في نجد ومصر ، وبيان مقرؤاته عليهم واجازاتهم له » : وردت في عقد الدرر لابن عيسى : (ص ٧١ ـــ ٧٦) ط ١ سنة ١٣٧٢ هـ . وفي مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : (ج ٢ : ص ٢٠ ـــ ٢٤) ط المنار .
٩ ـــ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ :
أ) « علماء الدعوة » : طبع مطبعة المدنى بمصر سنة ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م : « ص ٤٠ ـــ ٤٦) .
ب) « مشاهير علماء نجد وغيرهم » : الطبعة الاولى سنة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض : (٥٨ ـــ ٦٤) . والطبعة الثانية من الكتاب (بدون تاريخ) : (ص ٧٨ ـــ ٧٦) .
وهي نفس الترجمة الموجودة في (علماء الدعوة) له ، ثم أورد رسالته عن مروياته عن شيوخه (ط ١ : ص ٦٥ ـــ ٦٩) و (ط ٢ : ص ٨٧ ـــ ٩٢) نقلا عن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . ج) « الدارة » مجلة ربع سنوية تصدر عن دار الملك عبد العزيز : العدد الثالث ـــ السنة الثالثة شوال سنة ١٣٩٧ هـ سبتمبر عام ١٩٧٧ م : (ص ٢٨ ـــ ٣٣) ، وهى نفس الترجمة الواردة في (علماء الدعوة) و (مشاهير علماء نجد) قبلها ، بدون إيراد لرسالته في ذكر شيوخه .
١٠ ـــ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٣١٩ هـ/١٩٠١ م ـــ ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م) .
« الدرر السنية في الأجوبة النجدية » : الجزء الثاني عشر (خاص بتراجم أصحاب الرسائل والأجوبة) ـــ الطبعة الاولى ـــ مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض : (ص ٦٠ ـــ ٦٦) .

١١ ـــ عبد الرحمن بن محمد بن مانع (المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ/١٨٧٠ م) .
« قصيدته في رثاء الشيخ عبد الرحمن بن خميس » : وهي قصيدة طويلة فى نحو (٧٠ بيتا) أثنى فيها على الشيخ وعدّد كثيراً من صفاته ومناقبه : أوردها ابن عيسى في (عقد الدرر : ص ٧٨ ـــ ٨٢) ونقل كثيراً منها بزيادة ونقص ابن قاسم عند ترجمته له في (الدرر السنية ج ١٢) .
١٢ ـــ عبدالله بن حافظ الحكمى :

« صوت الكلّية — صحيفة دورية ثقافية داخلية يصدرها طلاب كلية الشريعة بالرياض ، مطبوعة على الاستنسل — السنة الثانية ١٣٩٢ هـ — ١٣٩٣ هـ العدد السادس : (ص ٢٣ — ٢٦) .

١٣ — عبدالله بن عبد الرحمن البسام :

« علماء نجد خلال ستة قرون » : طبع أخيرا بنشر مكتبة النهضة الحديثة ومطبعتها بمكة المكرمة — لم أطلع عليه ، وان كنت قد أطلعت على ترجمة الشيخ عبد الرحمن فيه قبل طبعه [٣٩] .

١٤ — عبدالله فلبى تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد الم أطلع عليه وقد أشار فيه الى الشيخ عبد الرحمن عند عودته من مصر الى نجد (فى ص ١٧٨) انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن آل الشيخ ١ ص ١ .

١٥ — عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢٩٠ هـ/١٨٧٣ م) .

« عنوان المجد في تاريخ نجد » : من طبعاته طبعة مكتبة الرياض الحديثة بالرياض — بالمطبعة اليوسفية بمصر (بدون تاريخ) : (ج ٢ : ص ٢٠ — ٢٦) .

١٦ — على جواد الطاهر (الدكتور) :

« العرب » — مجلة يصدرها الشيخ حمد الجاسر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض — : ضمن ما ينشره الدكتور الطاهر عن معاجم المطبوعات السعودية : (س ٧ ، ج ٦ : ص ٤٥٠ — ٤٥٣) .

١٧ — عمر رضا كحالة :

« معجم المؤلفين » — تراجم مصنفى الكتب العربية — مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠ م : (ج ٥ : ص ١٣٥) .

١٨ — محمد حامد الفقى :

« فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » للشيخ عبد الرحمن بن حسن : طبعة ثامنة منه بتحقيقه ، وتصحيح واشراف الشيخ إسماعيل الانصارى — طبع على نفقة دار الافتاء السعودية سنة ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م بمطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض (المقدمة : في الورقة الثانية بصفحتها ترجمة له منقولة عن « عنوان المجد » لابن بشر) .

١٩ — مكتبة الرياض السعودية :

(مكتبة تحت اشراف دار الافتاء ، غنية بمحتوياتها القديمة القيمة ، ولكن ينقصها الآن الكثير من الترتيب والتنظيم والفهرسة الحديثة والتزويد المتتابع بالمطبوعات) .

تحتوى فهارسها على كثير من آثار الشيخ عبد الرحمن وبعض نسخها المخطوطة في كثير من المجالات العلمية التي شارك فيها بفكره .

٢٠ — يوسف اليان سركيس (١٢٧٢ هـ/١٨٥٦ م — ١٣٥١ هـ/١٩٣٢ م) .

« معجم المطبوعات العربية والمعرّبة » : مطبعة سركيس بمصر سنة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨ م : (ص ١٢٧٦) .

آثاره :

تمهيد :

تتمثل آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتبه ورسائله وفتاويه وأجوبته التى ألفها مدة حياته الطويلة ، وهي كثيرة جدا ، منها ما يقع في مجلد كبير ، ومنها ما لا يتجاوز بضع أسطر قليلة كالاجابات والفتاوى القصيرة التى جمعت في (مجموعة الرسائل) و (الدرر السنية) .

وتتلخص موضوعات رسائله في دعوةالناس الى التمسك بالعقيدة الاسلامية السلفية ، والاجابة على اسئلة ترده من البلدان النجدية يبتغون ارشادا او افتاء او نصحا ، وكثيرا ما كان يتصدى في كتبه ورسائله للرد على عدد من المفسدين الذين يقصدون الدس في الاسلام والنيل منه والاساءة اليه والى رجاله المخلصين .

وسأستعرض في هذا البحث كل أثر من آثاره التي اطلعت عليها ، حاولت الاستقصاء ما أمكننى جهدى المتواضع ، مبتدئا بذكر الكتب والرسائل المشهورة التى عرفت بعناوينها ، سواء استقلت بطبعاتها او وجدت في المجموعات مع بيان طباعتها . كما أشير الى عدة نسخ مخطوطة عثرت عليها لكتب مطبوعة من مؤلفاته ، قمتُ بوصفها وصفاً لا يخلو من فائدة ، وقد أشير الى وجود بعض هذه الرسائل في الجموعات كالدرر السنية ومجموعة الرسائل .

ثم قمتُ باستعراض كل ما وجدته منسوبا الى الشيخ عبد الرحمن في (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) ، و (مجموعة الدرر السنية) ، استعراضا كاملا اشير فيه الى مكان وجود كل كتاب له او رسالة او فتوى او غيرها ، مع ذكر صفحة الابتداء وصفحةالانتهاء فيما زاد عن صفحة والى عدد الاسطر فيما قل عن عشرة اسطر وخاصة في (الدرر السنية) .

وذلك كله على النحو التالي :

أ) الآثار المشهورة ، المستقلة بأسمائها :

١ — « فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد » — للشيخ محمد بن عبد الوهاب — وهو أهم كتب الشيخ عبد الرحمن وأكثرها فائدة ، ولأهميته فقد طبع مرات كثيرة جدا ، منها :

ط ١ : في الهند ، سنة ١٣١١ ﻫ [٤٠] .

ط ٣ : بتحقيق محمد حامد الفقى — مطبعة أنصار السنة المحمدية — القاهرة ١٣٥٧ ﻫ : ٣ — ٤٦٢ + ٢ ص [٤١] .

ط ٥ : بتحقيقه ايضا — القاهرة — نفس المطبعة — سنة ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م : أ — ع تقريظات ومقدمة المحقق وفهرس الكتاب ، ٣ — ٥ مقدمة المؤلف ، ٦ — ٥١٨ ص نص الكتاب ، وقد وضع كتاب التوحيد في أعلى الصفحة ، وفي الهامش شرحه (فتح المجيد) .

ط ٦ : بتحقيقه ايضا ، في نفس المطبعة بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م : ٧ + ٥ — ٥١٨ ص .

ط ٧ : بتحقيقه ايضا ، في نفس المطبعة — القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م : ج — ل — ٣ — ٥١٨ ص .

ط ٨ : بتحقيقه ايضا ، وقام بالتصريح والاشراف على الطبع الشيخ اسماعيل الانصارى — عضو دار الافتاء — سنة ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م ، على نفقة دار الافتاء السعودية ، بمطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد ، وقد وضع كتاب التوحيد في أعلى الصفحة ، والفتح في الهامش .

زمن هذه الطبعة نسخة طبعت على نفقة مطابع القصيم — الرياض ١٣٨٦ هـ : ٣ — ٥١٩ + ١٠ ص [٤٢] .

وطبعة أخرى : نشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض — كتاب التوحيد في أعلى لصفحة ، والفتح في الهامش : ٣ — ٤ ، ٥ — ٨ — ٤٧٥ ص ، ٤٧٦ — ٤٨٠ نهارس .

وأخرى في القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ : ٤٨٠ ص [٤٣] .

— وأصل هذا الشرح لكتاب التوحيد كان للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبد الوهاب ، ولكنه لم يكن كاملا ، وحينما اطلع الشيخ عبد الرحمن على هذا الشرح الذي لم يكمله مؤلفه ، هذب الشرح وادخل غليه الكثير من التحسين والتهذيب ، واكمله باسلوب سهل واضح ، وزاد عليه في بعض المواضع ، وأسماه (فتح المجيد ، بشرح كتاب التوحيد) ، وقد قال في المقدمة مبينا ما ذكرنا :

« أما بعد ، فان كتاب التوحيد — الذي ألفه الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب — ... قد جاء بديعا في معناه : من بيان التوحيد ببراهينه وجمع جملا من ادلته لإيضاحه وتبيينه . فصار علما للموحدين ، وحجة على الملحدين ، فانتفع به الخلق الكثير، والجم الغفير » [٤٤] .

وأما موضوعه فهو : بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة ، وبيانه بالادلة من الكتاب والسنة ، وذكر ما ينافيه من الشرك الاكبر ، او ينافى كماله الواجب من الشرك الاصغر ونحوه ، وما يقرب من ذلك او يوصل اليه .

وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف ، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله — رحمه الله — فوضع عليه شرحا أجاد فيه وأفاد ، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد وسماه (تيسير العزيز الحميد ، في شرح كتاب التوحيد) .

..... ، ولما قرأت شرحه رأيته اطنب في مواضع ، وفي بعضها تكرار يستغنى بالبعض منه عن الكل ، ولم يكمله ، فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله ، وربما ادخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتمما للفائدة ، وسميته (فتح المجيد ، بشرح كتاب التوحيد) [٤٥] .

٢ — « خمس رسائل » : وردت في (مجموعة التوحيد النجدية) و (الجامع الفريد) :

طبعت (مجموعة التوحيد) عدة طبعات ، منها :
ط ١ : في الهند .
ط ٢ : فى مكة المكرمة ، سنة ١٣٤٤ هـ/١٩٢٨ م .
ط ٣ : فى القاهرة مطبعة المنار سنة ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨ م وقد كتب على نسخة منها عليها : الطبعة الاولى ، على نفقة الامام عبد العزيز آل سعود اشرف على تصحيحها وطبعها السيد محمد رشيد رضا : ١ — ٥٢٤ ص .
ط — أخرى : في المطبعة السلفية بمصر ، على نفقة الشيخ محمد العبيكان ، (بدون تاريخ الطبع) : ٣ — ٤٠٧ ص مع الفهارس .
والخمس الرسائل في (مجموعة التوحيد) — طبعة المنار — : (ص ١٤٢ — ١٧٧) كالتالى :
١ — الرسالة الأولى : في أصل دين الاسلام وقاعدته : (ص ١٤٢ — ١٤٨) .
٢ — الرسالة الثانية : في الجواب على اسئلة (من عمان) ، في الاسم والقضاء والقدر والاستواء على العرش .. الخ : (ص ١٤٩ , ١٥٦) .
٣ — الرسالة الثالثة : في أنواع التوحيد ، وأنواع الشرك : (ص ١٥٦ — ١٦٠) .
٤ — الرسالة الرابعة : في التوحيد وطروء الشرك على المسلمين وجهاد العلماء له : (ص ١٦١ — ١٧١) .
٥ — الرسالة الخامسة : في الكلام على (لا اله الا الله) ، وتحقيق معنى التوحيد بيانا لما ورد على الجهمى الذي رد عليه الرسالة (الجهمى الذى في بنى ياس) : (١٧٢ — ١٧٧) .
وفي خاتمتها ص ١٧٧ : (طبعت عن نسخة كتبت بنجد سنة ١٣٤٥ هـ) .
— وفي طبعة السلفية بمصر : (ص ٣٣٣ — ٣٦٣) :
١ — الرسالة الاولى : (ص ٣٣٤ — ٣٣٩) .
٢ — الرسالة الثانية : (ص ٣٤٠ — ٣٤٥) .
٣ — الرسالة الثالثة : (ص ٣٤٦ — ٣٤٩) .
٤ — الرسالة الرابعة : (ص ٣٥٠ — ٣٥٨) .
٥ — الرسالة الخامسة : (ص ٣٥٩ — ٣٦٣) .
وطبع (الجامع الفريد) ، على نفقة الجميح طبعتان :
الأولى : (خالية من تاريخ الطبع ومكانه) : (١ — ٢ شكر وتقدير ، ٣ — ٨ تراجم المؤلفين ، ٩ — ٦٨٢ ص ، أ — ى فهارس ، ث ص (ك) خطأ وصواب .
والثانية : بتعويض بعض الكتب الموجودة في الطبعة الاولى (بدون تاريخ الطبع أو مكانه ايضا) : (أ — ج تقديم الطبعة ، د — ن تراجم المؤلفين ، ١ — ٥٧١ ، ٥٧٢ ص ، ٥٧٣ — ٥٨٣ فهارس) .
— الرسائل الخمس في الطبعة الأولى من (الجامع) من (الجامع) تأتى في

(ص ٣٣٥ — ٣٥٩) على النحو التالي :

١ — الرسالة الأولى : (ص ٣٣٦ — ٣٤٠) وضع عليها عنوان : (الرسالة الاولى في التوحيد والايمان) .

٢ — الرسالة الثانية : (ص ٣٤١ — ٣٤٥) .

٣ — الرسالة الثالثة : (ص ٣٤٦ — ٣٤٨) .

٤ — الرسالة الرابعة : (ص ٣٤٩ — ٣٥٥) .

٥ — الرسالة الخامسة : (ص ٣٥٦ — ٣٥٩) .

— وهي في الطبعة الثانية : (ص ٣٢٩ — ٣٥٣) :

١ — الرسالة الاولى : (ص ٣٣٠ — ٣٣٤) .

٢ — الرسالة الثانية : (ص ٣٣٥ — ٣٣٩) .

٣ — الرسالة الثالثة : (ص ٣٤٠ — ٣٤٢) .

٤ — الرسالة الرابعة : (ص ٣٤٣ — ٣٤٩) .

٥ — الرسالة الخامسة : (ص ٣٥٠ — ٣٥٣) .

٣ — « قرة عيون الموحدين ، في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين » : حاشية على كتاب التوحيد — للشيخ محمد بن عبد الوهاب — سماها بهذا الاسم ابنه الشيخ عبد اللطيف .

رأيت منها نسخة مخطوطة بمكتبة الرياض السعودية التابعة لدار الافتاء ، برقم ٠٨٦/٣٢٠ كتب في الصفحة الاولى منها ، ما نصه بهذه الصورة :

هذه حاشية الفها شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصنف الذي ألف كتاب التوحيد وهو شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب أعظم الله لهما الاجر والثواب امين امين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا .

وقد سجل الناسخ تحت هذا العنوان قولا للثورى عن بعض اصحابه ، وبعده وضع ختم حديث نصه : (وقف الشيخ محمد بن ابراهيم ١٣٩١ هـ) .

ثم هناك خطوط غير مفهومة ، وقد كتب في أول الصفحة بخط حديث : (قوة عيون الموحدين) .

تقع هذه النسخة الخطية في ١١٤ صفحة مرقمة ترقيما حديثا .

— ص ١ (الغالف) ، ومن ص ٢ يبدأ الكتاب .

— مقاس الكتاب : ١٦ ½ × ٢٣ سم .

— المكتوب من الصفحة : ١٢ ½ — ١٣ × ١٩ ½ — ٢٠ سم ، والباقي هوامش بيضاء يندر فيها التعليق ، وان حدث فللتصحيح .

— في كل صفحة على وجه التغليب ما بين ٢٦ — ٣٠ سطرا .

وقد كتب في الصفحة الاخيرة من النسخة ص ١١٤ ما نصه :

« .... وكان الفراغ يوم الجمعة المبارك ٢٢ ل/١٢٨٥ خمس وثمانين ومائتين والف ، ثاني عشرين شوال ، بقلم الفقير المقر بالذنب والتقصير ، الراجى لرحمة ربه العليم القدير عَبْدُه بن عَبْدِه محمد بن ناصر بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن حسن بن عزاز الحنبلي مذهبا

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين » .

وكتب في جانب الصفحة الايمن في وسط جدول بالقلمين الاسود والاحمر : (ان تجد عيبا فسد الخلل ، جل من لا عيب فيه وعلى .

وفي مقابله في الجانب الايسر : « ملكه من فضل ربه العزيز كاتبه محمد ابن ناصر عبدالله بن عزاز ، والحمد لله رب العالمين » .

وفي أقصى الصفحة من الجهة اليسرى كتب باتجاه معاكس ، حيث يسير السطر من اسفل الصفحة الى اعلاها ما نصه : « رحم الله من وجد عيبا فستره ، فان المؤمن ينصح ويستر ، والفاجر يفضح ويعير » .

وقد طبع هذا الكتاب (الحاشية) عدة طبعات ، أعرف منها :

١ ــ طبعة ضمن (مجموعة التوحيد ــ سالفة الذكر) ــ ط المنار ط ١ ؟ (هى الثالثة) ، سنة ١٣٤٦ هـ : ص ٢٩٧ ــ ٥٢٤ ، (القرة) بمفردها دون ان يكون معها (كتاب التوحيد) في أعلى الصفحات ، وقد كتب فى أول الكتاب فى هذه الطبعة : «كتاب قرة عيون الموحدين ، في تحقيق دعوة الانبياء والمرسلين ، وهو تعليق للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، على كتاب التوحيد لجده المذكور ، سماه نجله العلامة عبد اللطيف بهذا الأسم ، وهو خاتمة (مجموعة التوحيد) . (وقد وضعنا عبارة الاصل بين هلالين او علامتين لتمييزها ، وأشرنا في ذيل الصحائف الى ارقامها لتسهيل مراجعتها » .

وكتب في آخر ص ٥٢٤ من المجموعة التى تنتهى بانتهاء (قرة العيون) : « تم الكتاب : وقد كتب في آخره ما نصه : تم نسخ ذلك في رجب سنة ١٣٤٥ هـ بلغ مقابلة وتصحيحا على المشائخ الكرام : الشيخ عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان ، والشيخ عبدالله العنقرى .

ثم ص ٥٢٥ ــ بيان بالخطأ والصواب .

٢ ــ طبعة ضمن (مجموعة التوحيد) ــ ط السلفية المشار اليها : يقع الكتاب في هذه الطبعة في ٧ ــ ٢١٦ ص ، وقد وضع كتاب التوحيد في أعلى الصفحة ، وحاشية (قرة العيون) في الهامش .

٣ ــ طبعة كتب عليها (الطبعة الثانية) ، بنفقة عمر عبد الجبار ــ القاهرة ، دار مصر للطباعة (بدون تاريخ الطبع) : ٣ ــ ٣١٥ ص [٤٦] .

٤ ــ طبعة اخرى على نفقة قاسم بن درويش فخرو ، بيروت ــ مطابع دار العباد : ٣ ــ ٣١٥ ــ ٣١٩ ص [٤٧] .

٥ ــ طبعة بمكة المكرمة ــ مكتبة النهضة العلمية السعودية (بدون تاريخ) : ٣١٨ ص [٤٨] .

٦ ــ طبعة ضمن (الجامع الفريد) ط أولى : وضعت حاشية على كتاب التوحيد فى ص : ٩ ــ ٢٢١ .

٧ ـــ طبعة ضمن (الجامع الفريد) ط ثانية : فى هامش كتاب التوحيد ، في ص : ٣ ـــ ٢١٥ .
٨ ـــ طبعة ونشر مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، مطبعة محمد عاطف بمصر ـــ مستقلة بكتاب التوحيد في أعلى الصفحات ، والقرة في الهامش .
٤ ـــ « أصل دين الاسلام وقاعدته » : رسالة صغيرة ، رأيت منها نسخة خطية في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٢٦٩ ، تقع في مجموع كبير يحتوى على كتب للشيخ محمد ابن عبد الوهاب وابن تيمية وابن رجب ، كلها مخطوطة .
والنسخة فى آخر المجموع لا يليها الاشيء قليل منه ، يظهر من آخر ورقة فيه أنه غير كامل . الرسالة في ٩ صفحات غير كاملة ، مختصة بترقيم مستقل (بقلم حديث) ، لا عنوان لها في اولها ، وانما بدأت بعد البسملة والاستعانة والحوقلة بقوله : « قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن على قول جده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمهم الله تعالى وعفا عنهم ـــ قوله رحمه الله : اصل دين الاسلام وقاعدته امران : .... الخ » .
ـــ مقاس الصفحة الكاملة : ١٦ ١/٢ × ٢٣ ١/٢ سم .
ـــ المكتوب في كل صفحة : ١١ ١/٢ × ١٨ ١/٢ سم . والباقى هوامش بيضاء .
ـــ فى كل صفحة : ١٨ سطرا ، عدا الصفحة الاخيرة فانها تقل عن ذلك .
ـــ كاتب المجموع واحد كما يظهر من الخط ، ولم يسجل الكاتب اسمه في اى نسخة من نسخ المجموع .
كما انه ايضا لم يسجل في اخر رسالة (اصل دين الأسلام وقاعدته) تاريخ نسخها كما فعل في الرسائل والنسخ الاخرى في المجموع ، واذا نحن نظرنا الى كل نسخ المجموع نجد انها كتبت فى سنة ١٣١٦ هـ .
وقد طبعت هذه الرسالة ـــ كما عرفنا ـــ ضمن (مجموعة التوحيد النجدية) : (هى الاولى) : ط المنار : ص ١٤٢ ـــ ١٤٨ ، ط السلفية : ص ٣٣٤ ـــ ٣٣٩ . وضمن (الجامع الفريد) ـــ هى الاولى ايضا : ط أولى : ص ٣٣٦ ـــ ٣٤٠ ، و ط ثانية ص ٣٣٠ ـــ ٣٣٤ .
كما وجدتها ايضا في مجموعة (الدرر السنية في الاجوبة النجدية) : ٢/٩٥ ـــ ٩٩ .
٥ ـــ « القول الفصل النفيس ، فى الرد على المفترى داود بن جرجيس » :
وهو من أكبر كتب الشيخ ، ويقع في (٢١٤ ص) ، امر بطبعه على نفقته الامير سعود ابن عبد العزيز ، وقام بتصحيحه والتعليق عليه محمد حامد الفقى ، وطبع على مطابع انصار السنة المحمدية بمصر : (٣ ـــ ٢١٤ نص الكتاب ، ص ٢١٥ خاتمة الطبع) .
وقد رأيت هذا الكتاب مجموعا مع اخر هو : (مصباح الظلام ، في الرد على من كذب الشيخ الامام ، ونسبه الى تكفير أهل الايمان والاسلام ، تأليف الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ) .
وقد جاء اسم الكتاب في (علماء الدعوة ـــ لشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل

الشيخ) : « الرد النفيس على شبهات ابن جرجيس » (٤٩) .

وورد في (الدرر السنية — لابن قاسم النجدى) هكذا : « تأسيس التقديس ، في الرد على داود بن جرجيس » (٥٠) .

وفى كتاب (مشاهير علماء نجد وغيرهم) ذكر اسمه كما ذكرناه ولكن بدون لفظة (المترى) (٥١) ، ونقلنا للاسم كان عن غلاف الكتاب في طبعته المذكورة آنفا .

وقد اطلعت على نسخة خطية منه فى مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٣٣٠ ، كتب فى اوله اسمه بهذه الصورة :

« كشف ما أبقاه ابليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس تأليف شيخنا عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عفى الله عنهم آمين »

لا تخلو النسخة من تعليقات قليلة بداخلها ، كتب على صفحة الغلاف منه توقيعات كثيرة ، فعلى الجانب الايسر الى اعلى : (وقف على طلبة العلم أثاب الله من حبسه ....) ، وهناك طمس بخطوط على اكثر من كلمة فى هذه الجملة .

وتحتها بقليل كتب بخط مائل قليلا : (وقف على طلبة العلم لا يمنع ولا ...... (٥٢) .

ثم تحته فى وسط الصفحة الى أسفل قليلا ، كتب بخط عريض : (وقف على طلبة العلم أثاب الله من حبسه آمين) . وتحته بخط أصغر (أوقفه بعض أولا الشيخ عبدالله بن حسن رحمه الله) .

وتحته حديث بقلم عادى أزرق المداد كتب (وارد من مكتبة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله) .

وعلى الجانب الايمن من صفحة الغلاف ختم المكتبة .

— تقع النسخة الخطية فى (٢١٧ صفحة) من القطع الصغير .

— مقاس الكتاب : ١٦½ × ١٢ سم تقريبا .

— المكتوب من الصفحة : ٧½ × ١٢ سم ، والباقى حواش بيضاء .

— فى كل صفحة (١٧ سطرا) .

— فى ورقة فى آخر الكتاب غير داخلة في الترقيم (لوحة ب) منها كتابات دينية وتعليقات مختلفة ، لا دخل لها فى الكتاب .وقد كتب في الصفحة الاخيرة ص ٢١٧

« ٧ م ذا سنة ١٢٨٣ هـ بقلم عبد الرحمن بن سليمان المسعري غفر الله له ولوالديه ولمؤلفه والمسلمين. آمين » .

وكتب بجانب هذا بخط مائل جدا :

« ان تجد عـيـبـا فسـد الخللا

فـجل من لا عيب فيه وعلا » .

وفى وسط الصفحة من الجهة اليمنى كتب : « بلغ مقابلة وتصحيحا با . (كذا) على المؤلف عفى الله عنه ، آمين حرر في ١٢٨٤ (كذا) ».

وقد جعل المؤلف (الشيخ عبد الرحمن ٢٤م) فى مقدمة كتابه (القول الفصل النفيس) مقارنة لطيفة بين اسم (ابليس) واسم (جرجيس) ، لان جرجس قد اضله ابليس وأعمى

بصيرته ، فأصبح ضالا كبيرا ، فكان شبيها بابليس لا في الاسم وحده ، بل في حقيقة كفره وضلاله وما يدعو اليه ، وفي ذلك كله يقول الشيخ عبد الرحمن :

« وبعد ، فانه قد بلغني انه قد ورد على بعض الاخوان مكاتبة من داود بن جرجيس مملوءة بالكذب والتلبيس ، ولا ريب انه مما أوحاه اليه الشيطان وزخرفه ابليس ، فاعجب لاتفاق الاسمين وزنا ، وموافقته له في كل حركة وسكون ، فالاول منهما مكسور ، والثاني ساكن ، والثالث مكسور والرابع ساكن ، والخامس متحرك بالضمة ، وفي هذا بعض حروف هذا ، وهي الياء والسين ، كالاشتقاق الاكبر ، فحصل بين الاسمين من الاشتقاق ما لا يخفى ، فاعجب لذلك يا من نظر فيه .

واما المشابهة في المعنى ، فقد سود القرطاس بضروب من الوسواس اذا تأمله (الموحد الاريب ، سليم الطوية صحيح الرؤية ، وجد أقواله كلها تدور على جحود التوحيد ، ومصادقة محكمات القرآن المجيد كذباً وتأويلاً ، وتحريفاً وتبديلاً .أما كما قال تعالى :(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن ، يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرروا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ، ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليفتروا ما هم مفترون) .

فمن الواجب على من عرف الحق بدليله أن يسعى فيما يبطل دعواه ، ويهدم ماأسسه من الزيغ وبناه ، ويبين ما فيه من المكابرة ، وما أتى به من المماحلة تعمدا ومجاهدة : (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) (٥٤) .

٦ — « المورد العذب الزلال ، في كشف شبه أهل الضلال » [ورد مفتريات رجل من أهل الخرج] .

طبع ضمن (مجموعة الرسائل والمسائل) : ٤/٢٨٧ — ٣١٨ (ينظر) .

وضمن (الدرر السنية) : ١٠٩٩ — ١٢٨ (ينظر) .

وقد اطلعت على نسخة مخطوطة منه في مكتبة الرياض السعودية برقم ٨٦/٥٦٨ ، كتب في أوله بهذه الصورة :

« المورد العذب الزلال . في كشف شُبه أهل الضلال . تأليف الشيخ الامام . وعلم الهداة الاعلام ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام الداعي الى توحيد الملك العلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى امين امين امين » .

وهذه النسخة تقع ضمن مجلد ، هي في أوله وصفحاتها غير مرقمة قديما ، بل فيها ترقيم حديث بقلم (رصاص) ذهب أكثره من جراء التجليد ، وفي الورقة الاولى العنوان ص أ مع ختم وقفي نصه : (وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف ١٣٨١ هـ) وختم المكتبة السعودية

تقع هذه النسخة الخطية في ١٦ ورقة ، كل ورقة تتكون من لوحتين مشغولة بالكتابة ، لوحة أ من ق ١ (العنوان) ، لوحة ب من ق ١٦ مكتوبة الى منتصفها .

— مقاس النسخة : ١٧ ١/٢ × ٢٣ ١/٢ سم .

— المكتوب من الصفحة : ١٥ × ٢٠ ١/٢ سم تقريبا . والباقي حواشي قليلة لا تأخذ مسافة كبيرة من الصفحة ، خالية من التعليق ، الا شيئا يسيرا مما يتعلق بالتصحيح .

ـــ الخطُّ مُوَحَّد في جميعها ، الا انه يختلف بين كونه بالحرف الكبير في بعض الصفحات ، وبالصغير في بعضها الاخر وان قل عن سابقه .
ـــ أسطر الصفحات مختلفة في عددها ، ففي الخط بالحرف الكبير تتراوح بين ١٩ ـــ ٢٢ س ، وفي الحرف الصغير تصل الى ٢٧ سطرا ، أما الصفحة الاخيرة فقد كتب فيها ١٢ سطرا .
ـــ يبدأ الكتاب من ص ب ورقة ١ .
ـــ وقد كتب في آخر صفحة منه (لوحة ب/١٦ ، أي في صفحة ٣٢) ما نصه :
« وهذا آخر ما تيسر جمعه ، والله أسأل أن يعم بنفعه ، أملاه وجمعه الفقير الى الله تعالى عبده عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتبه الفقير الى الله عبده علي بن عبدالله البواردي ، وذلك في سنة ١٢٦١ هـ من هجرته صلى الله عليه وسلم ، كتبه من قلم كاتبه حرف بحرف عبده الفقير اليه عبدالله بن ابراهيم الربيعي ، وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٦ هـ ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، امين امين امين » .
وفي الجانب الايمن من الصفحة نفسها : « بلغ مقابلة وتصحيحا » .
٧ ـــ « بيان المحجة في الرد على اللجة »] وبيان ما في البردة وكلام بعض الشعراء من الغلو والخروج عن الدين [.
وقد ردَّ به على محمد بن عبدالله بن علي بن حميد صاحب (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) (٥٥) .
طبع ضمن (مجموعة الرسائل والمسائل) : ٢٢٣/٤ ٢٨٦ ينظر وقد رأيت نسخة خطية منه في المكتبة السعودية التابعة لدار الافتاء برقم ٨٦/٥٦٨ ضمن المجموع الموجود فيه كتاب (المورد العذب الزلال) ـــ سالف الذكر ـــ أولها (هكذا) :
« هذا بيان المجة في الرد على اللجة تأليف شيخنا وأمامنا ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد (كذا) ابن عبد الوهاب اجزل الله لهم .

(١) نسبة الى جد له اسمه (مشرف بن عمر بن معضاد) ـــ انظر مشاهير علماء نجد ص ٢٠ . ط ٢ .

(٢)،(٣) انظر في نسبة مقدمة ترجمة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ في مشاهير علماء نجد : ص ٢٠ . ط ٢ .
(٤) للامام محمد بن عبد الوهاب ترجمة في الاعلام للزركلي : ١٣٧/٧ ـــ ١٣٨ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٢٦٩/١٠ ـــ ٢٧٠ وقد ذكر الكثير من المصادر التي ترجمت له والكتب التي أُلفت عنه ، كما ترجمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه مشاهير علماء نجد : ص ١٦ ـــ ٢٧ . ط ١ ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم في الدرر السنية : ٣/١٢ ـــ ٢٥ .
(٥) من يحثي عنه في مجلة رابطة العالـم الاسلامي عـدد ١٠ سنة ١٣ شوال ١٣٩٥ هـ : ص ٤٧ ـــ ٤٨ .

(٦) مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ : ص ٥٨ ، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم في الدرر السنية : ٦١/١٢ ان ولادته كانت في سنة ١١٩٦ هـ والاول أصح .
(٧) مشاهير علماء نجد وغيرهم : ص ٥٨ .
(٨) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ٣٢ — ٥٠ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٣/١٢ — ٤٥ .
(٩) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ٢٨ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٥/١٢ — ٤٦ .
(١٠) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ٥١ ط ١ ، والدرر السنية : ٤٦/١٢ — ٤٧ .
(١١) له ترجمة في مشاهير علماء نجد : ص ١٥٧ — ١٦٠ ط ١، والدرر السنية : ٤٧/١٢ .
(١٢) له ترجمة في مشاهير علماء نجد ط ٢ : ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .
(١٣) له ترجمة في مشاهير علماء نجد ط ١ : ص ١٤٧ — ١٥٦ .
(١٤) انظر مشاهير علماء نجد ط ٢ : ص ٧٩ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون للبسام (ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن حسن) .
(١٥) انظر علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن حسن) .
(١٦) انظر : عنوان المجد لابن بشر : ١٩١/١ — ٢١٣ ، ومشاهير علماء نجد : ص ٦٠ .
(١٧) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٢٢٣/٣ — ٢٢٤ .
(١٨) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٨٩/٦ .
(١٩) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ١٣٣/٥ — ١٣٤ ، والاعلام للزركلي : ٧٥/٤ .
(٢٠) له ترجمة في الاعلام للزركلي ٣١١/٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٥/١٢ — ٦ .
(٢١) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٣٣٦/١٣ .
(٢٢) له ترجمة في الاعلام للزركلي : ٦٦/١ — ٦٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٨٤/١ .
(٢٣) له ترجمة في معجم المؤلفين لكحالة : ٣١٠/٩ ، ٢٢٥/١٠١/١١ .
(٢٤) انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية : ١٠/٢ — ٢٤ ط المنار .
(٢٥) للإمام تركي ترجمة في الأعلام للزركلي : ٦٦/٢ ، والدرر السنية : ٥٢/١٢ — ٥٤ .
(٢٦) عنوان المجد لابن بشر : ٢٠/٢ ، ومشاهير علماء نجد : ص ٦٠ .
(٢٧) من بحثي عنه في مجلة رابطة العالم الإسلامي : عدد ١٠ سنة ١٣ شوال ١٣٩٥هـ : ص ٤٩ .
(٢٨) انظر المرجع السابق : ص ٥٠ .
(٢٩) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ٧٠ — ٩٤ ، والدرر السنية : ٦٦/١٢ — ٧٥ ، والاعلام : ١٨٢/٤ ، ومعجم المؤلفين : ١٠/٦ — ١١ .

(٣٠) ترجمته في مشاهير علماء نجد ط ٢ : ص ٢٣٩ ، والأعلام للزركلي : ١١٠/٤ .
(٣١) ترجمته في مشاهير علماء نجد ط ١ : ص ١٨٥ — ١٨٨ .
(٣٢) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ١٧٩ — ١٨٠ ط ١ ، والدرر السنية : ٧٧/١٢ — ٧٩ .
(٣٣) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ١٨١ — ١٨٢ ط ١ .
(٣٤) ترجمته في مشاهير علماء نجد : ص ١٨٣ — ١٨٤ ط ١ .
(٣٥) انظر ما وصفه ابن بشر في تاريخه (عنوان المجد) : ٢٠/٢ ، وابن عيسى في (عقد الدرر) : ص ٧٠ — ٧١ ، ط ١ ، وابن قاسم في (الدرر السنية) : ٦١/١٢ .
(٣٦) مشاهير علماء نجد : ص ٦٣ وغيره .
(٣٧) انظر الدرر السنية : ٦٥/١٢ .
(٣٨) القصيدة طويلة تجدها بكاملها في عقد الدرر لابن عيسى : ص ٧٨ — ٨٢ .
(٣٩) انظر نبذة عن هذا الكتاب في مجلة العرب : ١/١٣ ، ٢ : ص ١٥٥ — ١٥٧ .
(٤٠) معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس : ص ١٢٧٦ ، وقد قال : ان اسمه (نفح المجيد شرح رسالة التوحيد) ، ولست ادرى هل هذه التسمية خطأ من المؤلف ، أم أنه طبع في الهند بهذا الاسم .
(٤١-٤٢) انظر مجلة العرب : ٤٥٢/٧ .
(٤٣) معجم المطبوعات السعودية — أصدرته وزارة المعارف السعودية — : ص ٤٥ .
(٤٤) فتح المجيد : ص ٣ .
(٤٥) فتح المجيد : ص ٥ .
(٤٦) انظر مجلة العرب : ٤٥٢/٧ ..
(٦٧) انظر مجلة العرب : ٤٥٢/٧ .
(٤٨) انظر معجم المطبوعات السعودية : ص ٤٧ .
(٤٩) علماء الدعوة : ص ٤٤ .
(٥٠) الدرر السنية : ٦٣/١٢ .
(٥١) مشاهير علماء نجد وغيرهم : ص ٦٢ .
(٥٢) كلمة غير واضحة .
(٥٣) كلمة لم أفهمها .
(٥٤) القول الفصل النفيس : ص ٣ .
(٥٥) انظر حاشية (عنوان المجد) : ٢٦٢/٢ طبعة وزارة المعارف السعودية، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ . وانظر بحثا للشيخ العلامة حمد الجاسر عن ابن حميد وكتابه وبعض ما ورد فيه من معلومات نشره مؤخرا في مجلة العرب : ٩/١٢ — ١٠/ص ٦٤١ — ٧٣٦ .







في هذا الباب تقدم المجلة نوعيات مختلفة تتعلق بتاريخنا وتراثنا ، ولغتنا الجميلة .. وكل ما يتصل بتلك النوعيات من جوانب أدبية وفكرية وفنية .

ولقد حرصنا عليها لنتابع من خلالها كافة الجوانب الاخبارية لموضوعات تخصصنا، وتعد أيضا معلومات مبسطة نقدمها دائما في هذا الباب من كل عدد .

والمجلة ترحب دائما بكل اراء وأفكار الباحثين والمتخصصين والقراء حول ما ينشر به ..

يكتبه : محمد ابو الفتوح الخياط

سمو الأمير سلمان يفتتح اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب :



افتتح صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض عصر يوم السبت ٢١ ربيع ثان الماضى أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى تنظمه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات فى الرياض ، والذى شارك فيه حوالى ١٣٠ عالما من كبار العلماء المسلمين والمهتمين بالدعوة الاسلامية من مختلف انحاء العالم .

وقد تحدث سموه فى حفل الافتتاح فأشار الى الفترة التى سبقت قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته وقال ان هذه الفترة كانت مسرحا للفوضى والجهل سادت فيها البدع الى أن هيأ الله لهذه البلاد دعوة مخلصة وحكاما صادقين بدأت بقيام الامام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله بالدعوة الي العودة الى الكتاب والسنه والاخلاص بالتوحيد لله تعالى والجهاد فى سبيل الله حق جهاده ، وأكد سموه ان المملكة تولى عناية فائقة بهذا الجانب الهام ، وتبذل جهودها فى سبيل نشر الاسلام — كما أنها تحكم بشريعة الاسلام وتدعو اليه على بصيرة وتعمل على احياء السنة ومحاربة البدع ومؤازرة العلماء فى الدعوة الى الدين وترسل الدعاة والمرشدين وتشارك فى كل نشاط اسلامى .

واختتم سموه كلمته مؤكداً ان المملكة بقيادة جلالة الملك خالد وسمو ولى العهد تسعى الى اصلاح احوال المسلمين وتحرص على التمسك بالدين ومساندة الدعوة الاسلامية فى كل مكان بشتى الوسائل وبكل ما لديها من إمكانات ، ثم دعا سموه الى دراسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعناية خلال هذا الاسبوع إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل وحتى يعرف المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها حقيقة هذه الدعوة الخيرة .

ثم تحدث صاحب المعالى الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالى والرئيس الأعلى للجامعة فقال ان التاريخ هو الذى سيتحدث عن جهاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الاصلاحية التى تقوم على تجديد دعوة السلف . وأضاف معاليه ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاهد فى محاربة البدع والخرافات وتخليص الدين الاسلامى من الشوائب برعاية قوية من الامام محمد بن سعود — ثم اعرب معاليه عن شكره لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية على تنظيم هذا اللقاء المبارك باذن الله . والذى تمارس به دورها الذى انشئت من أجله .

والجدير بالذكر ان فكرة هذا الاسبوع بدأت منذ عام ١٣٩٦ هـ حيث توالت الاجتماعات لدراستها ووضع الاطار التنفيذي لها وتركزت أهداف الاسبوع فيما يلي :

١ ـ اطلاع الرأى العام الاسلامى على حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢ ـ ازالة ما اثير حولها من شبهات .

٣ ـ استكمال طبع ما لم يطبع من كتبه وتوفير المطبوع منها وتيسيره للقراء ، ومن أهم الكتب التى لم يسبق طباعتها « الحديث على أبواب الفقه فى أربعة مجلدات » .

وقامت الامانة العامة للأسبوع بمتابعة الاتصال بكبار علماء المسلمين داخل وخارج المملكة وشاركوا ببحوثهم والتى زادت على ثلاثين بحثا نظمت فى ست مجموعات للمناقشة والوصول الى اراء سديدة حولها .

وفى ختام هذا الاسبوع صدرت عدة توصيات تقضى بضرورة تقديم العون المادى والمعنوى للمجاهدين المسلمين فى كل مكان وبخاصة الشعب الفلسطينى وشعب افغانستان ودعوة المسلمين الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية والاحتذاء بتجربة الشيخ الرائدة فى هذا المجال ، وضرورة العمل على انشاء الكليات المتخصصة لدراسة القصيدة الاسلامية واعداد الدعاة وفق منهج الدعوة وكذلك الاستفادة من وسائل الاعلام المختلفة فى هـــذا المجال وأوصت الندوة كذلك باقامة مكتبة خاصة بتراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته ومن نهج نهجه ونشر مؤلفاته بعد تحقيقها وترجمة المختار منها الى لغات الشعوب الاسلامية وبعض اللغات الحية .

الامير سطام يفتتح معرض الرياض الدولي الثالث للكتاب :



افتتح صاحب السمو الملكي الامير سطام بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض مساء يوم العاشر من ربيع ثان ١٤٠٠ هـ المعرض الدولي الثالث للكتاب بمدينة الرياض حيث شاركت فيه حوالي ٣٠٠ من دور النشر المحلية والعربية والعالمية ويضم نحو ٢٥ الف كتاب من مختلف فروع المعرفة ، وتقوم عمادة شئون المكتبات بجامعة الرياض بدراسة كل الجوانب التي تتعلق بفكرة معارض الكتب كمنطلق لتطويرها والوصول بها لمستوى يليق بأهمية الكتاب.

ومن هنا جاء المعرض الثالث محققا لاهداف كثيرة من حيث سعة مكان وتحديد أيام معينة للمرأة ووضع قواعد معينة للأسعار وتحديد نسب للتخصص حتى يمكن للقراء الاستفادة من المعرض .

ولقد أكد الدكتور أحمد محمد الضبيب عميد المكتبات بجامعة الرياض ورئيس اللجنة التحضيرية للمعرض انه قد تم تحديد بعض الاهداف الاساسية للمعرض وهي :

١ — اطلاع الجمهور والهيئات والمؤسسات العلمية بالمملكة على ما نشر في حقول المعرفة المختلفة خلال السنتين الماضيتين .

٢ — توثيق الروابط والصلات بين الناشرين والموزعين والمهتمين بقضايا الكتاب .

٣ — اتاحة الفرصة للهيئات والجامعات والمعاهد والباحثين للحصول على احدث الكتب العلمية والمراجع في جميع فروع المعرفة بالاسعار المناسبة .

٤ — اتاحة الفرصة للناشرين والموزعين من كافة الدول للتعرف على بعضهم البعض والاتصال المباشر بينهم وبين الناشرين والموزعين المحليين والمؤسسات العلمية بالمملكة .

٥ — تمكين الناشرين من تسويق مطبوعاتهم والترويج لها ، وكذا عقد الاتفاقات الثنائية بينهم وبين الموزعين والناشرين السعوديين والهيئات العلمية في المملكة .

رابطة عربية للأدب الشعبي :

تم انشاء رابطة عربية جديدة تعنى بشئون الادب الشعبي جمعا ودراسة وانتاجا باعتباره لونا من الوان تراثنا العربي الاصيل ، وينبغي الاهتمام به والتعاون على جمعه ودراسته وتقريب أساليبه ولغته الى اللغة الفصحى .

وفي هذا السبيل تم تشكيل لجنة تحضيرية تضم تسعة اعضاء من كل من المملكة العربية السعودية ، ودولة البحرين وتونس والجزائر والمغرب وتقرر ان تكون تونس هي المقر الدائم لهذه اللجنة وهي المختصة بوضع النظام الاساسي للرابطة والدعوة لعقد المؤتمر التأسيسي خلال هذا العام .

والجدير بالذكر ان هذه الرابطة سوف يتضمن قانونها الاساسي ضرورة جعل الادب الشعبي عامل ترقية لفنون القول الشعبية العربية وأداة توحيد بين الشعوب العربية وتقريب اللهجات العربية صعودا بها الى اللغة الام .

وسوف يكون من حق كل دولة عربية تلتزم بالخط العربي ان تشارك الاجتماعات التحضيرية والتأسيسية للرابطة .

ومجلة الدارة وهي الحريصة على ابراز التراث الشعبي في اطاره اللائق لتأمل للرابطة الجديدة ان تكون تجسيدا حيا لاهتمام امتنا العربية بتراثها الاصيل .

موسوعة كبرى للحضارة العربية :

تدرس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الوقت امكانية اصدار موسوعة كبرى للحضارة يتم اعدادها والانتهاء منها في مدى تسع سنوات وتضم ثلاثين مجلدا ، يتم اعدادها باقلام عربية من الكفاءات المتخصصة في عالمنا العربى الاصيل ، لتبقى للاجيال القادمة عملا مضيئا يمكنها من الارتواء من تلك المناهل دون حاجة الى حذق اللغات الاجنبية التى تعد بها الموسوعات.

فالواقع العربي يملي علينا الان واكثر

من اي وقت مضى ان نعي بصدق الظروف التي تواجه امتنا العربية والتحديات الخارجية .. وهذا بدوره يفرض علينا المبادرة بسرعة للعمل على حماية تراثنا وتجديد جهودنا وتطويرها والتعامل الذكي مع الزمن ومنطق الحياة . فواقعنا الثقافي العربي يملي على المسئولين مهام جديدة ملحة حتى تستجيب الثقافة العربية لحاجة اجيالنا الضرورية ان جهودا ضخمة تنتظر في المجالات الثقافية والترجمة والاعلام من منطلق الواقع الذي نعيشه والأمل الذي نتطلع اليه .



اللقاء الأول للمكتبيين السعوديين :

تشهد المملكة العربية السعودية نهضة مكتبية واسعة باعتبار المكتبات إحدى الملامح الرئيسية للحضارة الإسلامية كما أنها بحق مقياس الأمم في تقدمها وتطورها .

ذلك أن الاهتمام بالمكتبات في بلادنا ينبع أساسا من تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف وحثه على العلم والتعليم وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم وفي أكثر من حديث للرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي مواجهة هذا التطور المتزايد دعت عمادة شئون المكتبات بجامعة الرياض الى عقد اللقاء الأول للمكتبيين السعوديين في الفترة ما بين ١٩ ـ ١٤٠٠/٥/٢٢ حيث شارك فيه المكتبيون من معظم انحاء المملكة وتظهر أهمية هذا اللقاء فيما صدر عنه من توصيات أهمها :

أولا : التأكيد على أهمية المكتبة الوطنية باعتبارها المركز الرئيسي لجمع الانتاج الفكري الوطني وتوثيقه . وفي هذا الصدد يحث المجتمعون على ضرورة اصدار نظام للابداع يضمن وصول الانتاج الفكري الى المكتبة الوطنية ويمكنها من البدء في اصدار البيبليوجرافية الوطنية .

ثانيا : التوسع في انشاء المكتبات العامة حسب المعايير التي تحقق اهدافها وتساعدها على أداء وظائفها .

ثالثا : مع التقيد بتعاليم ديننا الحنيف . يوصي المجتمعون بالاهتمام بتوفير الخدمات المكتبية لجميع فئات المجتمع السعودي من ذكور واناث وأطفال ومعوقين سواء عبر مكتبا تخصص لهذه الفئات أو عبر الخدمات التي تقدمها المكتبات الموجودة .

رابعا : يؤكد اللقاء أهمية التعاون والتنسيق فيما بين المكتبات السعودية في مجالات الافادة من المصادر المتوفرة وايجاد الادوات التكشفية . والتعاون في مجالات التخصص في جمع مواد معينة تستفيد منها قاعدة عريضة من المكتبات بما يحقق أفضل سبل الترشيد في تجميع المصادر واستثمارها .

خامسا : يؤكد المجتمعون أهمية الاعارة المتبادلة بين المكتبات ويوصون بدراسة مسودة النظام المقدمة من عمادة شئون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز وذلك من قبل لجنة تشكل من عمداء شئون المكتبات بالجامعات السعودية .

سادسا : لضمان وحدة العمل الاجرائي والفني وتحقيق التعاون المثمر في مجالات الاجراءات الفنية في المكتبات السعودية يوصي المجتمعون بضرورة الاستفادة من الادوات العالمية المقننة مع ادخال التعديلات الضرورية عليها بما يتواءم مع ظروفنا وحاجاتنا المحلية وفق أسس تتفق عليها المكتبات السعودية بما يحقق أغراضها وأهدافها .

سابعا : يؤكد اللقاء على الناشرين السعوديين . سواء عبر المؤسسات الحكومية أو الاهلية . بضرورة الاهتمام بنوعية الاخراج المادي للكتب المنشورة بما يحقق معايير الوصف البيليوجرافي .

ثامنا : يحث المجتمعون المكتبات التي تتخذ حاليا او تنوى اتخاذ خطوات عملية في الاستفادة من الحاسبات الالكترونية في مجالات ووظائف المكتبات على ضرورة الاستفادة من تجارب المكتبات التي بدأت بالتنفيذ الفعلي . ويؤكدون على ضرورة توحيد النظم الآلية المستخدمة بما يعود بالنفع على مجموع المكتبات السعودية ويؤدي إلى أفضل فرص الاستثمار الجيد لهذه الادوات .

تاسعا : يؤكد اللقاء أهمية برامج التأهيل والتدريب المهني للعاملين بالمكتبات السعودية في مختلف مجالات المكتبات وذلك سواء عبر الجامعات والمعاهد المتخصصة أو عبر المؤسسات التدريبية الخاصة .

عاشرا : نظرا لأهمية اللقاءات المكتبية . وما أسفر عنه اللقاء الأول

للمكتبيين الذى تبنت عقده مشكورة جامعة الرياض . فان المشتركين فى هذا اللقاء يؤكدون هذه الأهمية ويوصون بضرورة عقده سنويا .

اسبوع ثقافي خليجي بمقر اليونسكو بباريس :

تم الاتفاق بين ممثلي اللجان الوطنية لليونسكو بدول الخليج العربي باقامة اسبوع ثقافي في مقر منظمة اليونسكو بباريس (٧ ميدان فونتينوا) تشارك فيه كافة دول الخليج العربي وتقدم الوانا من النشاط الثقافي والفني والاعلامي مثل المعارض الفنية والموسيقية ومعارض التراث الشعبي لكل دولة . والافلام الوثائقية والسينمائية والملصقات والصور الفوتوغرافية والشرائح الملونة والكتب والصناعات اليدوية .

وقد شكلت الدول الخليجية لجنة تحضيرية تختص بعمل الاتصالات اللازمة والقيام بالمتابعة لاقامة هذا الاسبوع .

وقد جاء ذلك في توصية الدول الخليجية لهيئة اليونسكو ضمن توصيات عديدة هامة هي :

١ — اجراء دراسة على برامج وميزانية اليونسكو المعتمدة في السنوات الماضية وخصوصا المشاريع التي اعتمدت للدول العربية ومدى تطبيقها وتنفيذها والاستفادة منها .

٢ — اجراء دراسة دقيقة على الوثيقة (٢١ م/٥) الخاصة بمشروع البرنامج والميزانية للفترة من ٨١ — ١٩٨٣ واتخاذ التوصيات اللازمة حولها وفقا لمتطلبات خطة التنمية الشاملة في دول الخليج العربي .

٣ — يوصى المجتمعون باقامة اسبوع ثقافى في مقر منظمة اليونسكو فى باريس تشارك فيه الدول العربية فى الخليج ، ويشمل هذا الاسبوع الوانا من النشاط الثقافى والفنى والاعلامي مثل المعارض الفنية والعروض الموسيقية والشعبية والاعلام الوثائقية والسينمائية والملصقات والصور الفوتوغرافية والكتب والصناعات اليدوية .

ومن أجل هذا كله يرى المجتمعون تشكيل لجنة تمثل الدول الاعضاء المشاركة فى هذا الاسبوع . تأخذ على عاتقها اتخاذ كافة الاتصالات والاعداد والمتابعة بعرض التنفيذ .

٤ — تكليف الامانة العامة للجنة الوطنية لليونسكو في دولة الكويت بمهام التنسيق والمتابعة بين اللجان الوطنية لدول الخليج لتقديمها الى الاجتماع القادم على ان تزود هذه اللجان اللجنة الوطنية بالمعلومات والتقارير والخطط المستقبلية . والتنسيق بين مشاريع منظمة اليونسكو والمنظمة العربية للتربية والثافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض .

الضبيب عميد المكتبات بجامعة الرياض

٥ — حث اللجان الوطنية على تشكيل لجان فرعية للقطاعات المختلفة التي تغطي كافة انشطة اليونسكو .

٦ — دعوة منظمة اليونسكو الى التنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية ومكتب التربية العربي لدول الخليج في البرامج والمشروعات التي تعتزم تنفيذها في منطقة الخليج العربي بصفة خاصة وفي البلاد العربية بصفة عامة .

٧ — دعوة المدير العام لليونسكو الى ما يلي :

٨ — تنفيذ التوصية الخاصة بالتوسع في استخدام اللغة العربية في جميع مجالات العمل في اليونسكو بحيث تشمل الدراسات والبحوث والمخاطبات والاستبيانات والافلام وغيرها من المواد الثقافية والاعلامية .

٩ — اعطاء مساحة اكبر للفكر والثقافة العربية في مجلات اليونسكو ودورياتها ومطبوعاتها وذلك بدعوة الكتاب العرب للكتابة فيها .

١٠ — مساعدة اللجان الوطنية في تحقيق رغبتها في تدريب الموظفين والمختصين في الاعلام لتستطيع ان تلعب دورا اكثر فعالية في نشر المعلومات عنها .

١١ — التأكيد على ضرورة دعم المكتب الاقليمي لليونسكو في دول الخليج لاستكمال هيكله الوظيفي مع ضرورة التعاون بينه وبين اللجان الوطنية ومكتب التربية العربي في دول الخليج .

١٢ — حث اللجان الوطنية بالاسهام في تزويد المكتب الاقليمي لليونسكو بالمعلومات اللازمة عن أنشطة اللجان في المجالات الثقافية والفنية والعلمية والتربوية

والاعلامية .

١٣ — الاسهام في تحقيق مشروع اصدار نشرة دورية عن المكتب الاقليمي لليونسكو في الخليج العربي للتعريف بأنشطة اللجان الوطنية فيه .

١٤ — دعوة اللجان الوطنية لليونسكو في دول الخليج العربي الى انشاء نواد لليونسكو في بلدانها . ودعوة اليونسكو الى دعم هذه النوادي وذلك من خلال تزويدها بالمطبوعات والافلام والمساعدات المادية وتنظيم دورات لتدريب المشرفين على هذه النوادي حتى تتمكن من اداء رسالتها على الوجه الاكمل .

١٥ — التأكيد على الاقتراح المقدم من المجموعة العربية في اليونسكو بضرورة زيادة حصة المجموعة الخامسة في عضوية المجلس التنفيذي بمقدار مقعدين يخصص واحد منها للدول العربية والاخر للدول الافريقية .

١٦ — توصي اللجان الوطنية لليونسكو في دول الخليج العربي بضرورة تمثيل هذه الدول في عضوية المجلس التنفيذي وذلك بترشيح احد ابنائها لعضوية المجلس في الانتخابات التي ستقام في المؤتمر العام الحادي والعشرين لليونسكو .

١٧ — دعوة المدير العام لمنظمة اليونسكو بالاسراع في وضع البرامج الخاصة بالاحتفال بدخول القرن الخامس عشر للهجرة . مع التأكيد على ان تكون هذه البرامج متناسبة مع اهمية هذا الحدث التاريخي العظيم . والطلب من اليونسكو بان تزود اللجان الوطنية العربية والاسلامية بالبرامج التي اعدتها المنظمة لهذه المناسبة ، ودعوتها الى التنسيق في برامجها هذه مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومع منظمة المؤتمر الاسلامي .

١٨ — التوصية الى اليونسكو لايجاد وسيلة افضل للاعلان عن الوظائف الشاغرة في اليونسكو باللغة العربية حتى تتمكن اللجان العربية من الاعلان عنها بالوسائل والسبل الملائمة لاجتذاب اكبر عدد ممكن من المهتمين بالعمل في المنظمة .

١٩ — يوصي الاجتماع اللجان الوطنية الى المجموعة العربية بالمنظمة بتجديد انتخاب السيد احمد امبو مدير عام اليونسكو الى فترة مدتها ست سنوات اخرى .

المركز الثقافي الالماني يعرض مخطوطات اسلامية نادرة :

أقام المركز الثقافي الالماني بالمانيا الغربية ندوة ثقافية « بمناسبة العام الهجري ١٤٠٠ هـ » شارك فيها الاستاذ نور الدين المازني بمحاضرة عن تاريخ الخط العربي اضافة لعرض ٤٥ لوحة قرآنية خططها المازني بنفسه الى جانب مخطوطات عديدة يرجع تاريخها الى مدد تتراوح من ١٠٠ — ٢٠٠ سنة

وقد شمل الاستاذ المازني في محاضرته تاريخ الكتابة وان الخط الذي كان اكثر استعمالا قبل الاسلام هو الخط المكي لان مكة كانت المركز التجاري وموطن الحضارة الاكثر اشعاعا . وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ظهر الخط الكوفي . وبعد الفتوحات المباركة وانتشار الاسلام مشرقا ومغربا ظهرت انواع عديدة من الخطوط كالخط القيرواني في عاصمة الاغالبة والخط البغدادي في العراق والخط المغربي الاندلسي اثر الفتح الاسلامي لاسبانيا . وباختصار فان للخط العربي المعمول به سبعة انواع هي (الكوفي — الثلثي — النسخي — الاندلس المغربي ، والرقعي . والديواني . والفارسي .

وتناول الأستاذ المازني أهم التحسينات التي ادخلت على الحروف العربية وعلى مستوى النطق من ضم وفتح وكسر وسكون وعلى مستوى النقط التي صارت تفرق بين الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء والياء — وتناول ايضا ان أول من اخترع حركات الاعراب كل من نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر .

أما الانواع والمخطوطات النادرة التي عرضها المازني فهي تمثل أندر المخطوطات التي تحوز عليها في عصر بلغت فيه وسائل الطباعة تطورا هائلا .

وتشير التقارير التي تناقلتها الصحافة الغربية عن جهود نور الدين المازني الى انه يتجول في كل انحاء المانيا الغربية لالقاء نفس المحاضرة واقامة معرض لمخطوطاته مساهما بذلك في التعريف بتراثنا العربي الاسلامي الاصيل .

العرب واللغة العربية :

ترتبط اللغة العربية بالقرآن الكريم ارتباطا جعلها مقوما أساسيا في حياة العرب وقوميتهم اكثر مما تملكه اية لغة اخرى . فهذا الارتباط يعود تاريخيا لاربعة عشر قرنا مضت . وقد سجل بها التراث العربي الضخم الذي يدور أغلبه حول القرآن الكريم . ولقد نيط بالعرب حمل الرسالة وتبليغ ما فيها قال تعالى « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » وفي كتاب « القرب في محبة العرب » لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي ما يوضح اشادة المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله (خلق الله الخلق فاختار من الخلق بنى آدم . واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب مصر ، واختار من مصر قريشا . واختار من قريش بنى هاشم . واختارني من بنى هاشم فأنا خيار من خيار الى خيار) وقوله « أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي . والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » .

وقال عليه الصلاة والسلام (ليست العربية من أحدكم بأب ولا أم . فانما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي) وقال (ومن دخل في هذا الدين فهو من العرب) .

وفي عصرنا الحاضر نجد ان اللغة العربية بدأت تغزو كل منظمات الامم المتحدة كحلقة تعامل وفي كل المحافل الدولية ، وزاد محبوها ودارسوها في كل انحاء العالم وانشئت لها المراكز الاكاديمية ، وانطلاقا من تلك الاهمية كان الهدف ان تصدر الدارة عددا خاصا عن اللغة العربية وآدابها نستكتب فيه المستشرقين والباحثين المتخصصين واذكر بالتجديد ما تم الاتفاق عليه ليكون العدد الاول من مجلة الدارة في مطلع عامها الثالث هو عدد اللغة العربية ولا عجب في ذلك ومجلة الدارة مجلة اكاديمية تواكب الاحداث الدامية وتعنى بتراث وفكر المملكة وعالمنا العربي والاسلامي .

والامل كبير في ان يصدر هذا العدد مع ترجمة وافية لمحتوياته باللغة الانجليزية ليتم توزيعه على نطاق عالمي واسع لتزداد به المنفعة وتحقق بذلك جهدا علميا يشرفنا .

ويسر باب الادب والتراث ان ينشر فيما يلي هذه الدراسة عن العرب واللغة العربية للاستاذ محمد الغوني :

العرب من أقدم الامم بعد الطوفان وتنسب الى يقظان او قحطان . وقد قسم المؤرخون العرب الى ثلاثة اقسام : العرب البائدة ، والعرب العاربة ، والعرب المستعربة .

١) أما البائدة ، فهم العرب الاولى الذين ذهبت عنا تفاصيل اخبارهم لقدم عهدهم وانقطاع اسباب العلم باثارهم وهم : عاد وثمود وطسم وجديس ، وجرهم الاولى وجرهم الثانية .

وأما عاد فكانت مواطنهم بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر ، واما ثمود فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام . واما جديس فكانت ديارهم باليمامة . وأما الاولى : فكانت مساكنهم باليمن . وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان وبهم اتصل النبي اسماعيل ابن النبي ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، ومواطنهم بالحجاز .

٢) واما العرب المستعربة : فهم اولاد النبي اسماعيل عليه الصلاة والسلام لان اصله كان عبرانيا واستعرب في مكة المكرمة .

٣) وأما العرب العاربة فهم بنو سبأ وهو : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسموا بالعرب العربية لنزولهم بالبادية مع العرب البائدة ، وهم سكان اليمن ، وتسود اليوم العالم العربي مجموعتان من الاجناس البشرية ، الاولى : السامية وتغلب في القسم الاسيوي . والثانية : الحامية ، وتكثر في القسم الافريقي .

اللغة العربية

قال تعالى : « وهذا لسان عربي مبين » الاية ١٠٣ من سورة النحل .

١ — ان اللغة العربية هي : ما نطق به العرب ، وهي اليوم لغة عالمية ، ومن اعرق اللغات العالمية منبتا ، واعزها جانبا ، واقواها جلادة ، وابلغها عبارة ، واغزرها مادة ، وادقها تصويرا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول في النفس لمرونتها على الاشتقاق وسعة صدرها للتعريب .

٢ — وهي لغة شاعرية حساسة ذات منطق وفصاحة ، وبلاغة ، وآداب ، فليس هناك معنى من المعاني ، ولا كلمة

من الكلمات . ولا فكرة من الافكار . ولا عاطفة من العواطف . ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويرها بالاحرف والكلمات . تصويرا صحيحا واضحا .

٣ — لقد استطاعت ان تقهر اللغة اليونانية في الشرق . واللغات الشعبية التي كانت منتشرة في المغرب العربي . كما غلبت اللغة القبطية في مصر . كما غلبت اللغات الشعبية المنتشرة في جمهوريتي السودان وتشاد بين اللغات العالمية جمعاء .

٤ — وهي الصلة الوثيقة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم . وبذلك أدت خدمات جبارة للانسانية جمعاء .

٥ — لقد اندثرت اخوتها السامية من : ارامية ، وكلدانية ، وكنعانية ، وسريانية وعبرانية قديمة ، واشورية وغيرها حين بقيت هي مزدهرة على رغم ما مر بها من عصور الركود ، وما زالت تحيا حياة طيبة وتتعمق وتتسع في جميع الافاق . من خمسة اقسام .

٦ — ان الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة العربية مثل : الجبر ، واكسير والكحول وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعة كالقطن والياسمين والزعفران ، وكذلك اسماء المصنوعات كالسكر والانبيق والصابون ، وغير ذلك من الاصطلحات الاخرى .

٧ — وهي من اللغات الرئيسية في العالم التي اصبحت حية قوية بأجناسها في اصل نشأتها ، وطبيعتها .

٨ — وهي تعتبر الان لغة هامة وعظيمة تدرس في جامعات العالم قاطبة .

٩ — معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية في برامجها اليومية لكثرة الناطقين بها في العالم .

١٠ — ادخلت اللغة العربية في الامم المتحدة كاحدى لغات التفاهم فيها .

١١ — الثقافة العربية تجعل الانسان ممثلا ممتازا لدى الدول العربية والاسلامية معا .

وبالنسبة الى الافريقيين

١٢ — ان اللغة العربية لغة افريقية من جانب ، واسيوية من جانب اخر . واغلبية الناطقين بها افريقيون .

١٣ — هي اكثر اللغات انتشارا في قارة افريقيا ، وينطق بها نحو خمسي سكانها . اي قسمان من خمسة اقسام .

١٤ — تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية معا وهي : السودان ، مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب وموريتانيا .

ولذا فهي جديرة بأن تعتبر اللغة الوحيدة التي توحد افريقيا باسيا .

١٦ — لغات التفاهم في مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ثلاث وهي : العربية (اللغة الافريقية الوحيدة) والانكليزية والفرنسية وهما لغتان استعماريتان امبرياليتان .

١٧ — اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الجديرة بمنح الاحساس الكامل بالشخصية القومية في البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الاوروبية التي هي — بدون شك — من بقايا الامبريالية الاستعمارية .

١٨ — يرجع كل الفضل في معرفتنا لتاريخ افريقيا الى العربية ، وذلك لان بها دون ما وجد من تاريخ القارة .

وبالنسبة الى المسلمين

١٩ — ان اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولسان النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما ، وصدق الله العظيم حيث قال « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » الاية ٣ — الزخرف .

٢٠ — المسلمون اليوم يبلغون نحو ربع سكان العالم كله . ونحو ثلثي مجموع سكان القارة الافريقية ، واكثرهم يستعملون اللغة العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .

٢١ — واخيرا ، وليس اخرا : ان اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي يستعملها المسلمون في صلواتهم ومناجاتهم ، وفي ابتهالاتهم ودعواتهم ،

ولذ تعتبر اللغة العربية الاسلامية الوحيدة . الله اكبر ولله الحمد .

وللاسباب والبراهين المذكورة اعلاه يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء وعلى الافريقيين خاصة تعلم العربية ، وتبنيها لغة ثانية في المدارس العمومية والخصوصية معا .

والسلام على من اتبع الهدى ، واقتنى الخير وتجنب الردى .

احتفالات المسلمين بالقرن الخامس عشر الهجري :

من المقرر ان تقام احتفالات متعددة في كل انحاء العالم الاسلامى احتفالا بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، وتستمر هذه الاحتفالات لمدة خمس سنوات متتالية — كما يتوافق ذلك مع احتفالات الازهر الشريف بعيده الالفي ، ومن المقرر ان يتم تشكيل من علماء الأزهر وكبار المفكرين الاسلاميين والمستشرقين والناشرين للاعداد لمؤتمر دولى تشهده مدينة القاهرة التي تضم اقدم جامعة اسلامية بل اقدم جامعة في العالم .

وسوف تشهد المملكة العربية السعودية مؤتمرا عن السيرة النبوية والمغرب الشقيق مؤتمرا عالميا للجامعات الاسلامية يتناول دور الجامعات ومراكز البحث الاسلامية في تطوير الحياة والحضارة الاسلامية .

وفي القاهرة سيعقد مؤتمر للمؤلفين والكتاب الاسلاميين لاختيار افضل الكتب عن الأسلام وتقديم المادة الاسلامية في جميع انواع المعرفة والحضارة للمسلمين والعالم بكل اللغات . وفي دمشق سيعقد مؤتمر عن التاريخ الاسلامي . وفي بغداد مؤتمر تطوير اللغة العربية ودعم صفتها العالمية وتوسيع انتشارها .

وفي لندن سينظم المجلس الاسلامي الاوربي مؤتمرا عالميا عن الاقليات المسلمة في العالم . كما ستشهد دول امريكا الشمالية حلقة دراسة عالمية عن الاسلام وتحديات العصر من كل كندا والولايات المتحدة .

وسوف تقام كذلك معارض عديدة مثل : معرض عالمي للعلوم والتكنولوجيا في اصفهان بايران ، ومعرض الفن الاسلامي في استنبول بتركيا ، ومعرض للكتب الباحثة في الاسلام باللغة الانجليزية في لندن . ومعرض آخر للكتب الباحثة فى الاسلام فى اللغات الاخرى فى باريس .

والحقيقة فان هناك تطلعات جادة من كل المنظمات واجهزة الثقافة والجامعات الاسلامية وكبار رجال الفكر والتاريخ للاحتفال بالقرن الخامس عشر احتفالا يليق بمكانته واهميته في حياتنا كمسلمين ، ولا بد للاعلام والعلماء المسلمين ان يضعوا انفسهم في حالة تأهب كامل دفاعا عن الاسلام وما يتعرض له من تشويه من جانب الملحدين ، ودفاعا عن الحضارة الاسلامية باعتبارها المنقذ الوحيد للبشرية .





هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيي بن مرّ بن سعد ابن كاهل بن عمرو بن عدي بن يغوث بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان .

عرف بذكائه وحضور بديهته وقوة عارضته ، وكان يجدّ في أثر المعنى حتى يصل منه الى ما يعسر على غيره تناوله ، فانفرد بمذهب شعري صار فيه إماما متبوعاً ، وشهر به حتى قيل : « هذا مذهب أبي تمام » . كما نظم في سائر الأغراض ، لكن المديح اتسع مجاله عنده أكثر من غيره لا تملقاً للمدوحين أو انتظاراً لما لديهم من عطايا ، وإنما إعجابا بهم ، مما أكسب مدائحه قوة ومنعة قلما توفرت لغيره من الشعراء .

وأورد قصيدته الدالية التي مدح فيها خالد الشيباني تقديراً منه لمواقف هذا الرجل ، حيث عالج فيها موضوعات عدة ، واشتملت على خصائص أبي تمام الفنية والنفسية ، وهي من عيون القصائد في تراثنا العربي الأصيل :

ما لكثيب الحمى إلى عَقَدهْ ؟
ما بالُ جَرْعائه الى جَرَدِهْ ؟ (١)
ما خطبُه ؟ ما دَهاهُ ؟ ما غالَهُ ؟
ما نالَهُ في الحسانِ من خُرُدِهْ ؟ (٢)
السّالباتِ امْرَءاً عزيمَتَهُ
بالسِّحر ، والنافثات في عُقَدهْ (٣)
لبسْنَ ظِلَّين ظَلَّ أمْن مِنَ الدَّهْر وظِلاً من تهْوه وَرَدِه (٤)
فهُنَّ يُخْبرْنَ عَنْ بُلَهْنيةِ العَيْش ويسألْنَ منه عَنْ جَحَدِهْ (٥)
وَرُبَّ أَلْمَىَ منهنّ أَشْنبَ قَدْ
رشفْتُ ما لا يذوبُ من بَرَدِهْ (٦)
قَلْتاً مِنَ الرِّيق ناقِعَ الذَّوْب إلاّ أنَّ بَرْدَ الأكْباد في جَمَدِهْ. (٧)
كالْخُوطِ في القَدِّ والغزَالةِ في البَهْجة وابن الغَزالِ في غَيَدِهْ (٨)
وما حَكاهُ ولا نعيم له
في جيدِ ، بَلْ حَكاهُ في جَيَدِهْ (٩)
فالرَّبْعُ قَدْ عَزَّني على جَلَدي
ما مَحَّ مِنْ سَهْلِه ومِنْ جَلَدِهْ (١٠)
لَمْ يُبْقِ شَرُّ الفِراق منه سِوىَ
شَرَّيْهِ مِنْ نُؤْيِه ومِنْ وَتِدِهْ (١١)
سأخْرِقُ الخَرْقَ بابْنِ خَرْقاءَ كال
هَيْقِ إذا ما استَحّم مِنْ نَجَدِهْ (١٢)
مُقَابَلٍ في الجَديل صُلْبِ القَرَا
لُوحِكَ مِنْ عَجْبه إلى كَتَدِهْ (١٣)
تامِكِهِ ، نَهْدِه ، مُداخِلِه ،
مَلْمُومِه ، مُحْزَئلِّهِ ، أُجُدِهْ (١٤)
إلى المُفَدَّىَ أبي يَزيدَ الذي
يَضلُّ غَمْرُ الملوك في ثَمَدِهْ (١٥)
ظِلُّ عُفاةٍ يُحِبُّ زائرَهُ
حُبَّ الكبيرِ الْغيرَ مِنْ وَلَدِهْ (١٦)
إذا أناخوا بِبابِه أَخَذوا
حُكْمَيْهِمُ مِنْ لسانِه وَيَدِهْ (١٧)
مِن كُلِّ لَهْفاته زِدْتَ في أَوَدِ الأَمْوالِ حتّى أَقَمْتَ مِنْ أَوَدِهْ (١٨)
مُسْتَمْطَرٌ حَلَّ مِنْ بني مَطَر
بحيثُ حَلَّ الطِّرافُ مِنْ عَمَدِهْ (١٩)
قَوْمٌ غَدا طارِفُ المديح لهُمْ

وَوَسْمَهُمْ لائِحٌ على تُلُدِهْ (٢٠)
فَهُمْ يميسُونَ البَحْتَرِيَّةَ في
بُرودِه والأَنامُ في بُرَدِهْ (٢١)
لا يَنْدُبُونَ القتيلَ أَوْ يأتي الحَوْلُ لهم كاملاً على قَوَدِهْ (٢٢)
إناءُ مَجْدٍ مَلآنُ بُورِكَ في
صَرِيحه للعُلىَ وفي زَبَدِهْ (٢٣)
وَهَضْبُ عِزٍّ تجري السَّماحةُ في
حَدُوره والإباءُ في صُعُدِهْ (٢٤)
نِعْمَ لواءُ الخميس أبْتَ بهِ
يومَ خميسٍ عالي الضُّحىَ أَفِدِهْ (٢٥)
خِلْتَ عُقاباً بيضاءَ في حُجُرا
تِ المُلْكِ طارَتْ منه وفي سُدَدِهْ (٢٦)
فشَاغَبَ الجَوَّ وَهْوَ مَسْكَنُهُ
وقاتَلَ الرِّيحَ وهْيَ مِنْ مَدَدِهْ (٢٧)
ومَرَّ تَهْفُو ذُؤَابتاهُ على
أَسْمَرِمَتْنِ يوم الوَغىَ جَسِدِهْ (٢٨)
تَخْفِقُ أَفْياؤهُ على مَلِكٍ
يرى طِرادَ الأبْطال مِنْ طَرَدِهْ (٢٩)
نالَ بِعَاري القَنا ولابِسِهِ
مَجْداً تَدانىَ الجوزاءُ عَنْ أَمَدِهْ (٣٠)
يَعْلَمُ أنْ ليس للعُلىَ لَقَمٌ
قَصْدٌ لِمَنْ لَمْ يَطَأْ علىَ قصِدِهْ (٣١)
تُضْرَمُ نَاراهُ في قِرىً وَوَغىً
مِنْ حَدِّ أَسْيَافِه ومِنْ زُنُدِهْ (٣٢)
مُمْتَلىءُ الصَّدْر والجَوانح مِنْ
رَحْمةٍ ، مَمْلوءُهنَّ مِنْ حَسَدِهْ (٣٣)
يأخذُ مِنْ راحةٍ لِشُغْلٍ ويَسْتَبْقي لِبُؤْسِ الزَّمان مِن ثَأَدِهْ (٣٤)
فهو لو اسْطَاعَ عِنْدَ أَسْعُدِه
لحَزَّ عُضْواً مِنْ يَوْمِه لِغَدِهْ (٣٥)
إذْ مِنْهُمْ مَنْ يَعُدُّ ساعَتَهُ الطَّلْقَ عِياراً لَهُ على أَبَدِهْ (٣٦)
الوىَ كثيرَ الأَسىَ على سُؤْدَدِ العَيْش قليلَ الأَسى على رَغَدِهْ (٣٧)
قَرِيحَةُ العَقْلِ مِنْ مَعاقِلِهِ ،
والصَّبْرُ في النّائباتِ مِنْ عُدَدِهْ (٣٨)

كـالـبَـدْرِ حُـسْـنـاً وَقَـدْ يُـعـاوِدُهُ
عُـبوسُ لَيْثِ العَـرين في عَـبَدِهْ (٣٩)

كـالسَّيْفِ يُعْطيكَ مِلءَ عَيْنَيْكَ مِنْ
فِـرِنْـدِ تـارَةً وَمِنْ زُبَـدِهْ (٤٠)

تـا للهِ أَنْسَى دِفـاعَـهُ الـزُّورَ مِنْ
عَوْراءَ ذِي نَيْـرَبٍ ومِنْ فَنَدِهْ (٤١)

ولا تَـنـاسَى أَحْـيـاءُ ذِي يَـمَنٍ
ما كـانَ مِنْ نَصْرِهِ وَمِنْ حَشَدِهْ (٤٢)

جـلّـةٌ أنْهاره وهَـمْـدَانِـه
والشُّـمُّ من أَزْدِهِ ومِنْ أُدَدِهْ (٤٣)

آثَـرني إذْ جَـعَـلْـتُـه سَـنَـداً
كـلُّ امـرِئٍ لاجِئٌ إلى سَنَدِهْ (٤٤)

في غُـلّـةٍ أَوْقَـدَتْ عِلى كَـبدِ الـ
سائـل نـاراً تَـغْـيا على كَـبدِهْ (٤٥)

إيـثـارَ شَزْرِ القُـوىٰ رأى جَسَدَ الْ
مَعْروفِ أَوْلى بـالطبِّ من جَسَدِهْ (٤٦)

وجِـئْـتُـه زائـراً فَـجـاوَزَ بِي الْ
أَخْلاقَ مِنْ مـالِـه إلى جُـدُدِهْ (٤٧)

فَـرُحْتُ مِنْ عِـنْـدِه وَلِي رِفَـدٌ
يَـنـالُـها المُـعْـتَفونَ مِنْ رِفَدِهْ (٤٨)

(التفسير اللغوي)

١ ـــ عَقِد الرمل : ما انعقد منه ، وأهل نجد يسكنون القاف فيقولون : عَقْد الرمل ، الجرعاء : أرض فيها رمل . جرده : بفتح الراء يحتمل وجهين : أحدهما : الأرض لا نبات فيها ، والآخر : موضع بعينه ، وهو الذي ذكره النابغة والذبياني في قوله :

والـراكضـات ذيول الـريـط فـانَـقَـها
بـرد الهواجـر كـالـغـزلان بـالـجَـرَدِ

ومن قولهم في تسكين قاف عقد ما روي عن شاعرهم :

أتـذكـر أم تـنسى لـيـالـيـنـا التي
بـعَـقْـد الـلّوى سـقـياً لهنّ لـيـالِـيّا

ولعله ـــ هنا ـــ اسم موضع قريب من الذى ذكره امرؤ القيس في مطلع معلقته « سقط اللوى » :

قـفـا نـبك من ذكـرى حبيب ومنزل
بسـقـط الـلّوى بين الـدخول فـحومـل

٢ ـــ الخطب : يراد به الشأن . في الحسان : أي في مفارقة الحسان فحذف المضاف وأبقى المضاف إليه . الخرد : جمع خريدة وأراد المرأة الفائقة الجمال .

٣ — عزيمته : ما اعتزم على تركه من الصبابة . السحر : أي حديثهن الفتان وبراعتهن . النافثات في عقدْ : كأنهن يحللن عقد صبره وحلمه فينفذن إلى أعماقه .

٤ — دَد : لعب ، وفيها لغات : « رق » مثل دم ، و « دَدَىً » مثل رَحَىً ، و « دَدَنٌ » مثل شَطَنٌ .

٥ — بلهنية العيش : سعته ورغده . وهو من قولهم : عيش أبله ، إذا كان صاحبه ناعم البال ، والنون والياء في « بلهنية » زائدتان ، قال أحدهم :

يــا حــبّــذا الشّــرخ وعــيشٌ أبــلــه
لاذو المشــيبِ والــكــبــيــرُ الأجْــلَــهُ

الجحد : ضد البلهنية وهو بؤس العيش وشدته . وقد جاء في اللسان — مادة جحد — قولهم :

لئن بــعــثتْ أمُّ الــحُــمَــيْــدَيْنِ رائــداً
لــقــد غَــنيتْ في غير بؤسٍ ولا جَحْدِ

٦ — الألمىٰ : الأسمر الشفتين ، يقال : ظبي ألمى وظبية لمياء ، والعرب تستحسن سمرة السفتين لأنها تعمل على وضوح الأسنان . الأشنب : المرأة ذات الفم العبق الرائحة . البَرَد : بفتح الباء والراء كنى به عن الأسنان الناصعة البياض .

٧ — قلتاً : يريد الفتحة بين الأسنان ، والقلت لغوياً : نقرة في صخر يجتمع فيها ماء المطر ، والغالب عليها التأنيث ، كقول الشاعر :

لحى الله أعلى تــلــعــةٍ خــفَــقَتْ بــه
وقَــلْــتــاً أقَــرَّت مــاء قــيسٍ بْنِ عــاصم

الذوب : الرّيق . الجَمَد : بفتح الجيم والميم الأسنان .

٨ — الخوط : الغصن وجمعه خيطان ، واستعمل ذلك في وصف الرجل حين يكون في ريعان شبابه فيقال : رجل خوط ، أي كالغصن نضارةً وحيوية . الغزالة : توهّم بعضهم فظنها الظبية ، والغزالة من أسماء الشمس كما جاءت في قول ذي الرمّة :

فــأشْــرَفْتُ الــغــزالــةَ رأسَ حوضي
أراقبهـــــم فما أغْـــــنَى قِـــــبـــــالا

ويقال : جئته غزالةَ الضحى : أي لدى ارتفاع الشمس في الأفق . وفي اللسان — مادة غزل — يقول الراجز :

دعت سُلَيمى دعوة هل مِن فتى
يسوق بالقوم غزالات الضّحى
فــقـــام لا وانٍ ولا رَثُّ الــقــوى

أما قول أبي تمام : « ابن الغزال » فأراد به الغزال بعينه ، وإنما أتى بلفظ « ابن » ليستقيم له الوزن .

٩ — حكاه : أشبهه . الجيد بكسر الجيم : العنق الطويل ، ومن أنّث العنق قال : عنق جيداء . وللمذكر يقال : عنق أجيد . جَيَد بفتح الجيم والياء : الجمال والحسن .

وكِثر كــجــيــد الــريم لــيس بــفــاحش
إذا هي نصـــتــــه ولا بمعـــطّـــل

ويقول مجنون ليلى في مخاطبته الظبية :

أيــا شــبــه لــيلى لن تــراعي ، فــإنني
لك الــيــوم من وحشــيــة لصــديق
فــعــيــنــاك عــيــنــاها ، وجــيــدك جــيــدها
سوى أن عــظــم الــسـاق مــنك دقــيــق

١٠ — لفظ « جَلّد » في الشطر الأول من البيت بمعنى : تصبر وتجلّد ، وفي الشطر الثاني بمعنى الأرض

من الجرداء الغليظة . عزّني : غلبني . ما محّ : بتشديد الحاء ما اندثر وبلي . أى ما بلي من سهل الربع ومن أرضه الغليظة .

١١ ـــ نؤى البيت : حفرة يجعلونها حوله منعاً من دخول مياه الأمطار إليه ، ومن عادة العرب إذا ارتحلوا أن يتركوا النؤى بحاله والوتد والأثافّي لأن العوض منه يسير . ونسب الشر للنؤي والوتد لأنه لا يأنس بها إلاّ بوجود أهلها .

١٢ ـــ سأخرق : سأقطع وأجتاز . الخرق : ما اتسع من الإرض . الخرقاء : ناقة تسرع السير فتلعب بيديها . وابن خرقاء : جمل تلك الناقة .

ومثل هذا قول النابغة الذبياني :

وأقـطـع الخرق بـالخرقـاء قـد جـعـلـت
بـعـد الـكلال تشـكّى الأيْـن والسّـأمـا

الهَيْق بفتح الهاء وسكون الياء : ذكر النعام . النّجَد بفتح النون والجيم : العرق الكثير .

١٣ ـــ مقابل : أى أن ذلك الجمل قد التقى نسب أبيه وأمه فهو عريق الأصل . الجديل : من فحول الإبل الكرام . القَرا : على وزن عصا يريد الظهر . لوحك : اكتنز لحمه . العجب : أصل الذّنَب . الكَتَد : معقد الكتفين .

١٤ ـــ تامكه : الضمير يعود الى « القرا » ، والتامك : السنام الطويل . النهد : الضخم المرتفع . الملموم : المجتمع بعضه الى بعض . ومثله في المعنى المداخل . المحزئل : المنتصب . الأجد : يقال : ناقة أجد أي موثقة الخلق ، وجمل أجد ، فهي للمذكر والمؤنث . وإذا استعملها أبو تمام هنا للمذكر فقد سبقَ النابغة إلى استعمالها للمؤنث في قوله :

هـل تُـبْـلـغَـنّـيهـمُ حَـرْفٌ مُضـرّبَـةٌ
أُجُـدُ الـفـقـار وإدلاجٌ وتَـهْـجيـرُ ؟

١٥ ـــ قوله : « إلى المفدّى » متعلق بقوله : « سأخرق الخرقاء » أى سأخرق الخرقاء الى المفدّى أبي يزيد ببعير هذه صفته . الغَمْر : بفتح الغين وسكون الميم الكثير . الثّمَد : بفتح الثاء والميم القليل .

١٦ ـــ عفاة : جمع عافٍ وهو طالب المعروف . حُبٌّ الكبير : مصدر مضاف الى فاعله ويريد حبّاً مثل حبّ الكبير للصغير من أولاده .

١٧ ـــ أناخوا : نزلوا عن دوابهم ينتظرون عطاياه .

١٨ ـــ الأَوَد : الاعوجاج . زدت في أَوَد الأموال : أى زدت في تبديدها من أجل الآخرين . أقمت من أوده : أصلحت حال المحتاج .

١٩ ـــ مستمطر : يُطلب فضله كما يطلب المطر من السحاب . بنو مطر : قوم الممدوح . الطِّراف : بوزن كتاب القبّة من أُدْم .

قال طرفة بن العبد :

رأيت بني غبراء لا يُـنـكـرونني
ولا أهـل هـذاك الـطِّـراف الممـدّد

٢٠ ـــ الطّارف : وزن فاعِل هو المال الذي أحدثته أنت ولم ترثه عن آبائك . وسمهم : علامتهم . التُّلُد : جمع تليد وهو القديم .

٢١ ـــ يميسون : يختالون في مشيتهم . البخترية : يريد يتبخترون . البُرود : جمع بُرْد بضم الباء وسكون الراء هو الثياب الغالية الثمن القيّمة . البُرَد : بضم الباء وفتح الراء ما كان ثمنه زهيداً .

٢٢ ـــ القَوَد : بفتح القاف والواو أصله اقتياد القاتل إلى أهل القتيل ليأخذوا بثأرهم منه ، لكنه أراد الثأر نفسه .

٢٣ ـــ الصّريح : اللبن الخالص الذي لا رغوة فيه . الزّبَد : بفتح الزاي والباء الرغوة ، وهنا ثمرة المجد .

٢٤ — الهضب : ما ارتفع من الا .س . الحدود بفتح ا.ا، يعني الانحدار من عالٍ . الصُّعُد : على وزن كُتب أراد به الطلوع من أسف الى أعلى .

٢٥ — الخميس : استعمل هذ الكلمة مرتين في البيت نفسه فأراد بالأولى الجيش العظيم وبالثانية يوم الخميس أحد أيام الأسبوع . الأفد : بفتح الهمزة وكسر الفاء السريع .

٢٦ — العقاب : من الطيور الجارحة . حُجُرات : بضم الجيم حجرة وهي الناحية . السُّدَد : مفردها سُدّة أي الباب .

٢٧ — الضمير المستتر في « شاغب » وفي « قاتل » يعود الى « اللواء » المشبه بالعقاب .

٢٨ — تهفو : تضطرب . ذؤابتاه : أراد ما أسبل من جانبيه . المتن : هنا ما ظهر منه من كل جوانبه . جسده : الجساد بوزن الكتاب هو الزعفران .

٢٩ — الأفياء : جمع فيء وهو الظلّ . الطِّراد : القتال . الطَّرَد : بفتح الطاء والراء يعني الصيد .

٣٠ — عاري القنا : يريد الرماح التي لا تخفق فوقها الرايات . لابسه : أي الرماح التي تخفق فوقها رايات المقاتلين . تداني : أصله تتداني فحذف إحدى التاءين أي تقصر .

٣١ — اللَّقَم بفتح اللام والقاف : الطريق الواضح . قَصْد بتسكين الصاد يعني قاصد . قِصَد : بعسر ففتح جمع قِصْدة وهي الكسرة من الرماح . يقول : إن ممدوحه يعلم أن ليس للمجد من سبيل إلاّ بأن يطأ على كسرات الرماح ، كناية عن شجاعته ، وقريب من هذا بيته الذي يخاطب فيه الخليفة المعتصم قائلاً :

بصرتَ بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال إلاّ على جسر من التعب

٣٢ — ناراه : يريد نار الضيافة وهذه للكرم ، ونار الحرب كناية عن قوته .

٣٣ — الضمير في « مملوئهنّ » يعود الى الصدر والجوانح .

٣٤ — يُبْس الزمان : قسوته وشدته . الثأد : الرخاء والسعة .

٣٥ — اسطاع : استطاع ، حذف التاء ليستقيم له الوزن . حزّ : قطع .

٣٦ — منهم : من طالبي معروفه . ساعة الطلق : أراد ما هو فيه من الدعة والنعمة . أبده : بقية حياته .

٣٧ — « الأَسى » بفتح الهمزة : الحزن ، و « الأُسى » بضمّها : شدّة الزمان . فهو كثير الاهتمام بالسؤدد والمجد قليل الاهتمام بتكديس الأموال ووفرتها .

٣٨ — القريحة : يريد الذكاء والفطنة . المعاقل : الحصون ، مفردها معقل .

٣٩ — عَبَد : وزن جمل بفتح العين والراء والباء بمعنى الأنفة والكبرياء .

٤٠ — فرند السيف رُبدة وهي سواد في السيف مثل الكلف . وكفى بالفرند والربد خير الممدوح وشرّه .

٤١ — تالله أنسى : أراد تالله لا أنسى ، فحذف « لا » لعلم السامع . وكثيراً ما كانت العرب تحذف حرف النفي بعد القسم ، مثل قول امرىء القيس :

فقلت : يمين الله أبرحُ قاعداً
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح . ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيّات :

والله أبرح في مقدمة
أهدي الجيوش على شكتيه
حتى أفجعهم بإخوتهم
وأسوق نسوتهم بنسوتيه

يريد : والله لا أبرح .

ومثله قول عمرو بن ابي ربيعة المخزومي :

تـــــــالله أنسى حبـــــــــا حـــــيـــــاتـــــنـــــا أو أقبرا

أي تالله لا أنسى .

العوراء : الكلمة القبيحة . النيرب : النميمة . الفند : باطل القول .

٤٢ — ذي يمن : أراد صاحب اليمن . حذف الألف واللام إذ كانت العرب تحذفها مع « ذي » . وفي حديث النبي — صلى الله عليه وسلم — قوله : « يطلع عليكم الساعة خير ذي يمن » يعني جرير ابن عبدالله البجليّ . الحَشَد بفتح الشين : هنا الاجتهاد في جمع القول الصائب .

٤٣ — الجلّة : بكسر الجيم مفردها جليل وهو العظيم . أنمار : أبو قبيلة . يزعم بعض النسابين أنها من قبائل اليمن القحطانية . ويزعم آخرون أنها من العرب العدنانية بدليل قول الكميت :

فـــــــأنمار وإن رغـــــــمت أنوفٌ مـــــعـــــديّ الـــــعـــــمومـــــة والخؤول

٤٤ — جعلته سنداً : يروى : جعلته لجَأً بالتحريك أى ملتجأ . وهذا كناية عن قوة الممدوح .

٤٥ — الغُلّة : بضم الغين وتشديد اللام الحرقة . وفي رواية « في ساعة » .

٤٦ — الشّزر : أصله المحكم من الفتل . وهنا قوي الإرادة والحزم .

٤٧ — الأخلاق : جمع خَلَق ٩ بفتح الخاء واللام — أراد هنا القديم من ماله . الجُدُد : مفرده جديد وهو عكس الخلق .

٤٨ — الرِّفَد : بكسر الراء وفتح الفاء جمع رِفْده وهى الجماعة من الناس لكن أبا تمام عنى بها الرِّفْد بتسكين الفاء التي بمعنى العطاء . وجاءت الرِّفَد بكسر ففتح بمعنى : تتابع القول . كما هو في بيت النابغة الذي يخاطب فيه النعمان بن المنذر :

لا تـــأخـــذنّي بـــركـــن لا كـــفـــاء لـــه وإن تـــأثـــفك الأعـــداء بـــالـــرِّفَـــدِ

(التحليل الأدبي)

بهذا المطلع التقليدي في مضمونه ، المستحدث في شكله ، يستهل أبو تمام قصيدته ، تقليدي لانه جرى فيه على عادة القدماء في ذكر الديار وسؤال الأطلال ، ومستحدث لأنه لم يترسم خطاهم في تعداد مواقع المحبوبة ومتابعة ركبها ، إذ كان الشعراء القدامى يصورون من خلال أسلوبهم ذاك وحشة الدار في نفوسهم ، وأثر ارتحال أهل الحى في قلوبهم ، بينما عمد شاعرنا الى أسلوب علّه آكد في تثبيت الصورة في الأذهان ، فنفث زفراته في أسئلة متتالية تبين مدى الحيرة التي وقع فيها ، وكأنه لم يتمالك مشاعره حين رأى ما حل بكثيب الحمى من بلى وتغير حال ، فأسقط في يديه وانهال لسانه بستة أسئلة حشدها في البيتين الأول والثاني ، وهيهات أن يجد جوابا شافيا .

ولأهمية الديار في نفسه ، وشدة ارتباط الشاعر بذكرياته مع أهلها ، كرّر الضمير المتصل العائد الى كثيب الحمى ثماني مرات في البيتين المشار اليهما .

وهذا التكرار بل قل الإلحاح من الطائي لم يصدر عبثاً ، وإنما هو بمثابة أضواء مسلطة على الكثيب الذي حرّك مكامن الحزن بين جوانحه من جهة ، وجذبا منه للقارىء ليعيش معه الجو النفسي الواقع تحت تأثيره من جهة اخرى .

وإذا وصف أبو تمام فقد يتجاوز الجوانب الحسية الى النفسية ، وهذا ما نلمسه في

تصويره نساء الحيّ . إنهن بارعات الحسن فائقات الجمال ، ولديهن من عذوبة الحديث ولباقة المنطق ما يسلب المرء تصميمه على ما كان انعقد على تحقيقه ، وهن ساحرات في حديثهن الفتان يعدلن من اعتزام ترك الصبابة واللهو عما اعتزم عليه ، وقد وهبهن الله من أسباب الرفاهية ما يميزهنّ عن غيرهن من الناس ، فقد لبسن ظل الأمن والطمأنينة من حوادث الدهر ، وظل اللهو والمرح فلا شيء ينغص عليهن تلك الحياة . ولنا تساؤل في إمكانية الجمع بين هذين الظلين ، فقد يستظل الانسان بظلال وارفة من الثراء تهيىء له كافة أسباب الرخاء ، فيلهو ويمرح ويتنعم كما يحلو له ، لكن أنّى يتوفر له الجانب الآخر بل كيف يضمن لنفسه استمرار ذلك الجانب وأعنى به ظل الأمن من حوادث الدهر ؟

ونتيجة لعيشهن هذا الطراز من العيش فهن أدرى الناس بالتحدث عن بلهنيته ، حيث تربّين في السعة والرغد منذ نعومة أظفارهن ، أما قسوة الحياة وضنكها ومرارتها فهن لا يدرين من معاناتها شيئا فيسألن غيرهن ممن مرّ بتلك التجربة .

ومن ذكرياته مع هؤلاء الحسان أنه رشف ريقاً عذباً من ذلك الثغر الفوّاح الذي بداخله أسنان ناصعة البياض كالبرد ، ويشبه المرأة منهن بالغصن الميّاد في القدّ ، والشمس في البهجة والضياء ، والريم في رشاقته وجماله .

ونرى احتراس الطائي في عدم ترك التشبيه مطلقا بين جيد المرأة وجيد الغزالة ، فينفي أن يكون قد أشبهه تمام الشبه لأنه لا فضل له حينئذ ، وإنما أشبه في دقته وجماله فحسب . ثم يتبع ذلك إجمالا يليه تفصيل ، فالربع بكلّيته قد غالب الشاعر على جلده وتصبّره ، ما درس من سهله ومن جلده . وإذا اتخذ بعض الشعراء من آثار ديار المحبوبة سبباً للتسلية وتسرّي همومهم ، فإن أبا تمام يحس بأنها مصدر شرّ يهيج أحزانه ، فالنؤي شرّ في اعتقاده ، وكذلك الوتد ، وهما بقايا شر الفراق إذ لا أنسى للنؤى والوفد إلاّ بوجود ساكنيها .

ويضرب عن بث لواعج الغزل ، فيعد العدة لرحلة الجد والعمل ، إنه سيجتاز ارضاً واسعة مترامية الأطراف ببعير سريع كذكر النعام ، عُرف أصله حيث التقى أبواه في عراقة النسب بفحل من فحول الإبل الكرام ، وجسمه مكتنز اللحم من أصل ذنبه إلى مجتمع كتفيه ، ومن صفاته أن سنامه طويل مرتفع ، متداخل أعضاء الجسم ، مجتمع بعضه الى بعض ، منتصب القوام موثق الخلق ، بهذا البعير سيقطع الفيافي والقفار الى المفدّى أبي يزيد الذي يتضاءل كثير الملوك عند قليله ، وهو ظل لأولئك الذين يقصدون طالبين معروفه ، ويحب زائريه مثل حب الرجل أصغر أولاده فيهش لهم ويبش في وجوههم ، فإذا نزلوا ببابه وجدوا بغيتهم من ماله وأدبه فلا يبخل بشيء من هذا أو ذاك .

ويلتفت الى ممدوحه قائلاً : لقد تجاوزت الحدّ في سخائك فزدت من تبديد أموالك وتبذيرها من أجل إصلاح حال اللهفان وتقويم اعوجاجه . ويصفه أيضاً بأنه كثير العطاء ينتظر الناس فضله كما ينتظرون المطر من السحاب ، وهو خير رجال قومه بني مطر مجداً وحسباً ، هؤلاء القوم الذين اعتاد الناس على مدحهم قديماً وحديثاً لما لهم من أيادٍ بيضاء تستحق الثناء والإطراء حتى غدا المديح من سماتهم . ومن أجل ذلك يمشون مشية التبختر حيث تلهج ألسنة المادحين لهم بأبلغ المديح بينما يمدح غيرهم بأقل منه بلاغة لعدم بلوغ حدّهم في المجد

والعطاء . ومن طبائعهم الصبر على الشدائد والشجاعة في موضعها . فاذا قتل أحدهم اقتادوا القاتل وأخذوا ثأرهم منه ولا يبكون قتيلهم حتى يمرّ على الأخذ بثأره حول كامل . وتلك مبالغة ــ لعمري ــ من نسج خيال أبي تمام الصانع الماهر في صنعته . بل يذهب الى ما هو أبعد من ذلك ، فيشبههم بالإناء الفياض بالمجد ، بوركت العُلىٰ في خالصه وزبده ، وكأنها تزداد بهما عزة وفخاراً . وهم ذووا جانبين ، أحدهما سمح ليّن لمن أراد أن يعاملهم باللين والحسنى ، والآخر خشن يبطشون به ويقهرون به من حاول قهرهم ومغالبتهم .

ويعاود الإلتفات الى أبي يزيد قائلاً له : نعم لواء جيشك المظفر الذي رجعت به في ضحى يوم الخميس ، فان من نظرة الى ذلك اللواء وهو خفاق في أعالي الفضاء ، ظن أن عقاباً قد طارت به وحملته معها ، حيث شاغب الجوّ وهو مسكنه ، وقاتل الريح التي تعد بعضاً من مدده .

ومن ثم يتناول في وصفه الرماح والرايات تخفق فوقها يوم الوغى . ويقول إن لواء أبي يزيد تضطرب جوانبه من فوق ملك يرى منازلة الأبطال هواية له وكأنه يطارد الصيد فلا يتردّد في قتالهم ، وقد نال هذا الرجل ما ناله من المجد الذي تعجز عن بلوغ أمده الجوزاء في عليائها بواسطة الرماح تخفق عليها الرايات واخرى لا تخفق من فوقها ، لِمَ لا وهو يعلم علم اليقين أن لا سبيل في العُلىٰ إلاّ بالوطء على كسرات الرماح واقتحام الأخطار ؟

وهكذا يطول نفس الشاعر في تعداد مناقب ممدوحه ، مفرغاً بذلك تجربته الشعرية الرائدة في هذا المجال ، فيجعل له ناريه إحداهما تضرم في السلم والرخاء ، والأخرى في الحرب والانتقام من الأعداء ، لأنه جواد لا تطفأ ناره للضيف ، وشجاع يشعل نار الحرب بسيوفه ، ويا له من رجل بلغ ذروة الحلم والعطف ، حتى أن صدره وجوانحه امتلأت رحمة بالذي امتلأ صدره وجوانحه حسداً له ، لأنه لا يعاقب المسيء بالإساءة وإنما بالعطف والإحسان . كما انه ليس ممن يخلدون للراحة الجسدية ، ويغفلون عن مسئولياتهم ، ولكنه يقتطع من راحته للإعداد لشغله ويدخر من وقت الرخاء ما يقيه من بؤس الزمان وشدته ومن صفاته أنه معطاء لا يحدّ كرمه حدّ ولو استطاع أن يقدم لطالبي معروفه كل ما لديه من أموال وبعضا من أعضاء جسمه لما تردد في ذلك ، ولا شك أن الناس مدركون استعداده للسخاء ، حتى أن منهم من يحسب ما هو فيه من عطاء سيظل عتاداً له في بقية حياته وذلك اقتناعا منه في أن أبا يزيد سيواصل عطاءه ويجود بما عنده وبالرغم من كثرة أموال الممدوح وتوفر رغد العيش ، فإنه يُعنى بشيء أهم ويسعى جاهداً الى تحقيق أكبر قدر منه ألا وهو السؤدد والمجد . ولا غرابة في ذلك فهو ذو رأي سديد وفكر ثاقب يتمكن بنظرته الصائبة وتقديره الصحيح للأمور أن يدفع عن نفسه نائبات الدهر كما تدفع القلاع عمّن يحتمى بها .

وإذا أَجَلْتَ النظر في وجهه فستجده كالبدر حسناً وجمالاً ، وقد يعاوده عباس أشبه بعبوس الليث فى كبريائه وأنفته ، وهو كالسيف يملأ رونقه عينيك تارة ومن سواد ربده أخرى ، وبذلك يجمع شخصه بين الخير والشر فيعامل الناس بما يستحق كل منهم ، وبعدئذ يشم الشاعر أنه لا ينسى موقف ممدوحه من دفع الزور وباطل القول ، وكذلك فإن احياء يمنية لن تنسى ما كان من نصره فى الحروب وإصابته مفاصل القول .

وفي خاتمة المطاف يبين شاعرنا ما كان من الممدوح ازاءه فيقول : قرّبني من نفسه وأكرم ضيافتي إذ جعلته سنداً لي . وكل امرىء يلجأ الى سنده فيتحصن به إلاّ أن حرقة نشأت في فؤادي لا أقدر عليها ولكن قدر عليها أبو يزيد بما كان من فضله العميم ، حيث أثرني إيثار رجل قوي الرأي حازمه يعلم أن تقديم العطية لمن لا يستحقها هدر لقيمتها ، وامتهان لقدرها ، وهو يحسّ بأن معالجة المعروف وفعل الخير اولى من معالجة جسده حرصا منه وإمعانا في إسداء الخير للناس ، وحينما جاءه الطائي زائراً جاوز به الأموال القديمة الى الحديثة ولم يتردّد في اصطناع الأيادي البيضاء ، حتى راح الشاعر من عنده وهو مثقل بالعطايا التي اعتاد طالبو المعروف أخذها من أبي يزيد .

آثار الصنعة الشعرية في القصيدة :

علّ أحداً لا ينكر أبي تمام على زمام صنعته الشعرية ، التي ميّزته عن سائر شعراء العرب — قديما وحديثاً — فهو الى جانب موهبته الفذة وطبعه الاصيل ، حاذق الصنعة ماهر بدقائقها ، بل قد ينتصر لجانب الصنعة ويغلبه على غيره ، ولا نشتط في رأينا إذا قلنا إن ذلك يكون على حساب المعاني في أحيان كثيرة .

والقصيدة التي بين ايدينا نموذج حي يجسد خصائص أبي تمام الفنية لأنه أفرغ خلالها تجربة عميقة عاش وقائعها ، وبذلك فإنه يصدر عن عاطفة صادقة الى حدّ بعيد ، وما : نراه من دقة افتنانه بشعره ومعاناته في صياغته أسلوبه ، يرجع الى حرص شاعرنا على توفير كل الإمكانات التي تخدم الصورة اللائقة بنظرته التحليلية للامور ، ولتكون أكثر حركة وحيوية
وشاهدنا على ما نقول بيتاه — الرابع والخامس — اللذان يصور فيهما سعادة الحسان ، حيث عمد الى جعلهن يلبسن ظلين هيهات أن يجتمعا لأحد من البشر هما : ظل أمن يقيهنّ من عوادي الزمن ، وظل لهو يمتعهن بنعيم الدنيا . صحيح أن الثراء يهيىء لصاحبه وسائل الراحة ونعومة العيش ، لكنه لن يوفر له الأمن من حوادث الدهر . وكلمة « دَد » في نهاية البيت جاءت مرادفة لكلمة « لهو » ومعطوفة عليها فأكسبت المعنى تأكيدا لجانب الرخاء الذي كنّ ينعمن في ظله ، أما ظل الأمن من نائبات الدهر فهو مبالغة من الشاعر في توفير الحياة المثالية لهؤلاء الحسان . ونتيجة لهذا العيش الرغد يقدم معادلة مكونة من شقيق متعادلين

هما : علمهن علم اليقين بحياة الرخاء ومرورهنّ بتجربة الثراء وتربيتهن في الدعة والدلال فإذا ما أخبرن عن شيء منها فهن خير من يصف تلك الحياة ، وبالمقابل يجهلن كل الجهل حياة الشدة وحال البؤس حيث لم يخبرن شيئاً من ذلك فيسألن عن هذه الحياة من عاشها من الناس الآخرين . وواضح الإجمال يليه التفصيل في بيته الرابع : « لبسن ظلين ظل أمن من الدهر وظلاً من لهوه » .. والتضاد في البيت الخامس بين كلمتي : الإخبار والسؤال ، وبين

البلهنية والجحد .

ومن استحواذ الصنعة على المعاني ما يتمثل في بيته :

سأخرق الخرق بابن خرقاء كالْ
هيق إذا ما استحم من نجده

من تكرار مادة « خرق » ثلاث مرات في الشطر الأول من البيت . مما جعل الأسلوب ركيكاً ، والمعاني ضحلة ، والموسيقى ممجوجة نظراً لخروج « القاف » من الحلق .

ثم اقرأ معي بيته الذي أثقله بست صفات لا فاصل بينها :

تامكه نهده مداخله
ململمومه مجزئله أجده

علّك تجد ما يسوغ له مثل هذا الحشد ، سوى غرام الشاعر بتنميق الشكل وهندسة المقاطع الموسيقية ليستقل كل مقطع بلفظ منفرد ، بالإضافة الى « الهاءات » الست التي زادت موسيقى البيت الداخلية انطلاقاً وإن كان ذلك على حساب المعنى .

أقول : ليست المبالغة الشعرية مما يتحرج منه أبو تمام ، بل قد يتخذ منها عونا له في التعبير عما يريد تصويره ، فأبو يزيد معطاء تزخر نفسه بالكرم حتى يضل كثير الملوك لا في كثيره وإنما في قليله ، اسمعه يقول :

إلى المفدّى أبي يزيد الذي
يضل غمر الملوك فى ثمده

وحين يصف القوم بالشجاعة والتجلّد على المصائب ، لا يقف به الحد عند أخذهم بثأر قتيلهم وكفى ، وإنما من قوة الاحتمال بما يجعلهم لا يبكون ذلك القتيل إلاّ بعد مرور حول كامل على الأخذ بثأره فيقول :

لا يندبون القتيل أو يأتي الحول لهم كاملاً على قَوَدِه

وما تلك الحرقة في نفس الشاعر التي ما لبثت أن تحولت الى نار على كبده أعيا عليه إطفاؤها الى أن تداركها الممدوح بإيثاره فقدر عليها ؟

في غلّة أوقدت على كبد السائل ناراً تعيا على كبده

إنها الصنعة الشعرية التي تحلّق بأبي تمام ، ويحلّق بها ، في أجواز الفضاء ، ليقتنص ما شاء له الخيال ، وإن كلفه ذلك إرهاق معانيه ، وإلاّ فما الذي هيأ له تصوير ممدوحه وقد استوت لديه مقارعة الأبطال في الحرب ومطاردة الصيد في الصحراء ؟ الحرب لها فنونها وضروبها ولا بد للقائد أن يخطط بما يتناسب وخطورتها بما يتناسب وخطورتها مهما بلغت به الشجاعة . فكان على أبي تمام أن يضع ممدوحه منها موضع المفكر المنفّذ لا موضع المستهتر الذي لا يقيم لها وزناً إلاّ بالقدر الذي يقيمه لمطاردة وحوش الصحراء وحبذا لو أدخل فعل « يكاد » قبل الفعل « يرى » لاستقام له المعنى أكثر في قوله :

تخفق أفياؤه على ملك
يرى طراد الأبطال من طرده

ونسجل للشاعر احتراسه من الوقوع في هوة سحيقة من المبالغة إذ يقول :

فهو لو اسطاع عند أسعده
لحزّ عضواً من يومه لغده

بإدخاله حرف الشرط « لو » الذي جعل المعنى مقبولاً بما له من أثر بلاغي في عدم استطاعة الممدوح على حزّ عضو من جسده وبالتالي عدم تقديمه للناس على سبيل الجود .

وتلك صورة رائعة حينما نرى رجلاً ممتلىء الصدر والجوانح رحمة وعطفاً إزاء من امتلأ وصدره وجوانحه حسداً له ، في الوقت الذي يقدر فيه أن ينتقم لنفسه منه ، وهكذا يصور الطائي ممدوحه بإضفاء ثوب الحسية على الرحمة التي ملأت صدره وجوانحه :

ممتلىء الصدر والجوانح من
رحمة مملوئهنّ من حسده

ويربأ بأبي يزيد أن يركن للراحة مستنداً لما ورثه من أجداده وآبائه الشمّ المغاوير الذين شادوا صرحاً عظيماً من الأمجاد ، لأنه يسعى للمجد عن طريق الرماح التي تخفق من فوقها رايات المحاربين ، والرماح التي لا تخفق من فوقها مثل تلك الرايات فيحقق بذلك مكانة رفيعة تتدانى عن أمدها الجوزاء :

نال بعاري القنا ولابسه
مجداً تدانى الجوزاء عن أمده

ولا نعدم أن نرى وأضواء مسلطة على زوايا النفس الإنسانية في شعر أبي تمام — عامة — وقصيدته التي بين أيدينا — خاصة — وهو الذي عرف عنه دقة حسّه وعمق نظرته ، فمن بين خصال ممدوحه خصلة تبرز في بيته القائل :

ظلّ عفاة يحب زائره
حبّ الكبير الصغير من ولده

أى أنه يحب زائره الذي يطلب معروفه مثل حب الرجل أصغر أولاده ، وأي إنسان بل أي مخلوق يؤثر أحداً على ولده ؟ حقا إن فلذة كبد الرجل أعز شيء لديه ، فهذا الممدوح ان بلغ به الحب وإكرام الزائر هذا المبلغ يستحق من الشاعر كل هذا الإطراء ، وقد سئل أحد القدماء عن أحب أولاده إليه ، فأجاب : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود . وهكذا استطاع شاعرنا بهذا التعبير أن يصور نفسية ممدوحه بأجلى صورها ، وتمكن أن يوقفنا على لمسة من لمساته الشعرية الممتازة ، فتفوق على زهير بن أبي سلمى .

أبو عمرو بن أبى العلاء ومنهجه فى: القراءات القرآنية والدراسات الصرفية والنحوية

للدكتور/ صلاح الدين حسن

عناصر البحث

يتناول هذا البحث التعريف بأبى عمرو وبمنهجه فى القراءات القرآنية وفى الدراسات النحويه والصرفيه .

١ ـــ التعريف به ، وسندرس الجوانب الآتيه :

اسمه وكنيته ـــولادته ووفاته ـــ شخصيته ـــ مذهبه ـــ مكانته العلمية ـــ دراسته .

٢ ـــ منهجه فى الدراسات القرآنية ، وينقسم الى قسمين :

أ ـــ الخصائص الصوتية المحضه ، وتشمل : ـــ

التوافق الحركى ـــ الإمالة ـــ الهمز ـــ تسكين فاء الصيغة وعينها والحركه الاعرابيه ـــ الإدغام ـــ التضعيف .

ب ـــ الخصائص الصوتيه الصرفه ، وتشمل :ـــ

١ ـــ الوقف اذا التقت همزتان ـــ الوقف على الاسم المقصور . الوقف على الاسم المنقوص . الوقف على الفعل المسند الى ضمير المتكلم فى حالة النصب .

٢ ـــ الممنوع من الصرف .

٣ ـــ الميزان الصرفى .

٤ ـــ نون الوقاية .

٥ ـــ تفضيل الكسرة على الفتحة فى بعض الابنية الصرفيه .

٣ ـــ منهجه فى الدراسات الصرفية ، ويشمل : ـــ

اسم الجنس ـــ النسب ـــ التصغير ـــ التذكير والتأنيث ـــ الحمل على المعنى ـــ المصدر ـــ الفعل المضارع من الناقص ـــ التداخل في الافعال المضارعة .

٤ ـــ منهجه فى الدراسات النحوية ، ويشمل : ـــ

أ ـــ المبتدأ ـــ الخبر ـــ المفعول به .

ب ـــ حذف المفعول والفاعل والتقدير والتعليل عنده .

الجملة المنفية خبر لا النافيه للجنس .

جملة الشرط

جملة النداء

اسمه وكنيته :

أختلف في اسمه وكنيته ، فهناك من يرى أن اسمه وكنيته واحد ، وهو أبو عمرو بن العلاء ابن عمار العريان [١] بن عبدالله بن الحسين التميمىّ المازنى [٢] . واستدل أصحاب هذا الرأى على ذلك بما نُسب الى الأصمعىّ بأنه قال : « قلت لأبى عمرو : ما اسمك ؟ فقال لى : أبو عمرو ، وهناك من يرى أن اسمه زبَّان [٣] ، ويستدل أصحاب هذا الرأى على ذلك بالبيت الذى أنشده عندما جاء الفرزدق يعتذر إليه من أجل هجو بلغه عنه ، وهذا البيت

هو :

هجوت زبّان ثم جئتُ معتذراً
من هجو زبّان لم تهج ولم تدع [٤]

وقيل إن اسمه : العربان . وقيل : يحى ، وقيل : محبوب وقيل : عُيَيْنَه . وقيل : عثمان . وقيل : عيّاد .

ولادته ووفاته :

وُلِدَ أبو عمرو سنة ثمان وستين . وقيل : سنة سبعين [٥] فى مكه ، وعاش فى البصرة ، حيث كان فيها مشاهير العلماء على عهد الفرزدق ، وكان وثيق الصلة بالحسن البصرى .

ورحل أبو عمرو إلى دمشق وافدا على واليها عبد الوهاب بن إبراهيم الامام. فتوفى فى طريق عودته من هذه الرحلة سنه أربع وخمسين ومائه ، وقيل سنة تسع وخمسين ومائة . وقيل إنه مات فى الكوفه .

شخصيته :

كان أبو عمرو زاهدا متنسكا ، يروى عنه الأصمعى انه قال : :

وإنَّ أمـــرأ دنـــيـــاه أكبر همه
لمستـمسك منها بحبل غـرور [٧]

وكان كريما يتصدق على المحتاجين ، وفى هذا يقول الأصمعى : كان لأبى عمرو بن العلاء من غلته كل يوم فلسان ، فلس يشترى به كوزا ، وفلس يشترى به ريحانا ، فيشم الريحان يومه ، ويشرب فى الكوز يومه ، فإذا أمسى تصَّدق بالكوز ، وأمر الجارية أن تُجَفِّف الريحان ، وتدقه فى الأشنان ، وكان متواضعا بسيطا ، يقول الأصمعى : كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم ظننتُ انه لا يحسن شيئا ، وكان لا يلحن ، ويتكلم كلاما سهلا [٨] .

وفى أُخريات أيامه تَفَرَّغ للعبادة ، وأخرق كل ما كتب ، وكانت دفاتره ملء بيته الى السقف [٩]

مذهبه :

كان أبو عمرو من أهل السنة ، وكان بينه وبين المعتزلة جولات وجولات ، من ذلك ما كان بينه وبين عمرو بن عبيد زعيم المعتزلة آنذاك [١٠]

مكانته العلمية :

اهتم أبو عمرو بن العلاء بقراءة القرآن الكريم ، وبجمع اللغة وأشعار العرب القدماء ، وبدأ تحصيل العلم وهو صغير ، قبل ان يختن ، وقد تفوق فى العلم تفوقا ملحوظا الى حد انه فاق معاصريه ، يقول الأصمعى : « سمعت أبا عمرو يقول ، ولم يقله ان شاء الله بغيا ولا تطاولا ، ما رأيت أحدا قط أعلم منى » ، وقال أبو عمرو ايضا : « ما سمع حماد الراويه حرفا قط إلاّ سمعته » [١١] ، وقال يونس عنه : « لوكان أحد ينبغى أن يُؤخذ بقوله كله فى

شيء واحد لكان ينبغي لقول أبي عمرو أن يُؤخذ كلّه ، ولكن ليس من أحد إلاّ وأنت آخذ من قوله وتارك » (١٢) . ولهذا يعتبره معاصروه ثقة (١٣) ، قال يحى بن يعمر الثقفي : « أبو عمرو بن العلاء ثوق » وقال الأصمعي : « لم أر بعد أبي عمرو بن العلاء أعلم منه » (١٤) ، وروى عنه انه قال : « كنت رأسا والحسن حى » ، يريد الحسن البصرى شيخ البصره ، وإمام العصر آنذاك. وقد أعجب الحسن البصرى بأبى عمرو أيما إعجاب حينا قرّ على حلقته بالمسجد ورأى الناس عكوفا من حوله يستمعون اليه فى شغف

ولهف ، فقال : من هذا ؟ فقالو : أبو عمرو بن العلاء ... فقال « لا إله إلاّ الله ، كادت العلماء ان تكون أربابا ، كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يؤول » ، وفيه يقول أبو عبيده معمر ابن المثنى . أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات « العربية ، وأيام العرب والشعر » (١٥) ، ويقول أبو الطيب اللغوى « انه كان سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب (١٦) ، غير انه يبدو أنه كان متفوقا على معاصريه فى اللغة فقط ، قال الخليل ، « فكان عبدالله يقدم على أبى عمرو فى النحو ، وأبو عمرو يقدم عليه في اللغه » (١٧)

دراسته :

بدأ يدرس وهو صبى ، وفى هذا يقول الأصمعى : « قال ابو عمرو أخذت فى طلب العلم قبل ان أختن (١٨) ، وقد درس القرآن الكريم ، وقراءاته ، وتفسيره ، واهتم بجمع الفاظ العربية ونوادرها وشعر الشعراء الجاهليين ، واهتم كذلك بدراسة النحو .

اولا : منهجه فى القراءات القرآنية :

كان أبو عمرو يقرأ بماالقثانروى ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يصحح القراءة بما سمع وبما قال العرب ، قال أبو عبيده : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقرأ قوله تعالى : لَتَخَذْتَ عليه أجرا]الكهف : ٧٧ [فسألته عنها ، فقال : هى لغة فصيحة . وأنشد قول المزق العبدىّ .

وقد تَخذت رجلى إلى جنب غرزها
نسيفا كما نحوص القطاة المعراق

يقال : اتّخذ مسجدا اتّخاذا ، وتَخِذَ يَتْخذ تَخَاذًا بمعنى (١٩)

وقد أخذ أبو عمرو القراءة عن أهل الحجاز ، وأهل البصره ، وتعلّم فى مكه على مجاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء وعكرمه بن خالد ، وابن كثير (٢٠)

وكان أبو عمرو يحاول ان يقرأ القرآن الكريم باللغه التى قرأه بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال اليزيدى : « كان ابو عمرو قد عرف القراءات ، فقرأ من كل قراءة بأحسنها ، وبما يختار العرب ، وبما بلغه من لغة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ثقة فى القراءة ، فما رَدّ عَلىَّ إلاّ حرفين ، أحدهما ، قوله تعالى ، وأرنا مناسِكْنا] البقرة : ١٢٨ [، والاخر قوله تعالى : ما ننسخَ من آية أو ننساها (٢١)] البقرة : ١٠٦ [.

وقال سفيان بن عُيَيْنه : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : « يا رسول الله ،قد اختلفت عليّ القراءات . فبقراءة من تأمرني أقرأ . فقال : اقرأ بقراءة أبي عمرو . فإنها ستصير للناس إسنادا » [٢٢] .

وأبو عمرو أحد القراء السبعه المشهورين [٢٣] . وكان يُقرىء الناس في مسجد البصره . والحسن على أبو الحسن حاضر [٢٤] . وقد ألف كتاب القراءات في القرآن الكريم [٢٥] . وكتاب مرسوم المصحف . واختصره أبو عمرو الداني . وكتاب شرح ديوان خرنق أخت طرفه [٢٦] ، وكتاب مفرده قراءة أبي عمرو [٤٧] .

واهتم أبو عمرو بتفسير القرآن الكريم ، فقد روى أنه سئل عن قوله تعالى : فعزَّزنا بثالث] يس : ١٤ [، فقال : « المعنى : شدَّدنا » . وقال أبو عمرو في قوله تعالى : فرُهن مقبُوضه] البقره : ٢٨٣ [، الرُّهن] بتشديد الراء وضمها [والرِّهان] بتشديد الراء وكسرها [عربيتان ، والرُّهن في الرَّهن أكثر . والرهان في الخيل أكثر [٢٨] .

الخصائص الصوتيه للقراءة عند أبي عمرو :

لأبي عمرو خصائص صوتيه محضه وخصائص صوتيه صرفيه [٢٤] .

أ ـــ الخصائص الصوتيه المحضه Phon logical aspects وتشمل هذه وتشمل هذه الخصائص عند أبي عمرو ما يلي :

التوافق الحركي Vowel harmony ، والإماله ، والهمز والتسكين « حذف الحركة » والإدغام والتضعيف .

١ ـــ التوافق الحركي

يميل أبو عمرو بن العلاء الى توافق الحركات المتتابعة . وهذا من خصائص لهجة تميم وقيس وأسد وأهل نجران ، وعلى العكس من ذلك لهجة أهل الحجاز [٣٠] ، من ذلك مثلا انه كان يقرأ بمِلكنا في قوله تعالى : « قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا] طه : ٨٧ [[٣١]

٢ ـــ الإمَاله :

تميز أبو عمرو بن العلاء بإماله كل فتحه طويله » أي ألف المد » ورسمت في المصحف ياء . وكان قبلها راء [٣٢] نحو : اشترى في قوله تعالى ، ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه] التوبه : ١١١ [وبشرى في قوله تعالى : وما جعله الله إلاَّ بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به] آل عمران : ١٢٦ [، راجع الاتقال : ١٠ ، ويونس : ٢٦٤ ، وهود : ٦٩ و ٧٤ ، والنحل : ٨٩ و ١٠٢ ، والفرقان : ٢٢ ، والنمل : ٢ ، والعنكبوت ، ٣١ ، والزمر : ١٧ ، والاحقاف : ١٢ ، والحديد : ١٢ ، أما يا بُشرَايَ في قوله تعالى : قال يا بشراى هذا غلام وأسَرُّوه بضَاعةً]يوسف : ١٩[فقد روى عنه انه قرأها بالفتحة والإماله ، وكذلك أسرى في قوله تعالى : ما كان لنبيٍّ ان يكون له أسرى حتَّى يُثْخن في الارض] الانفال : ٦٧ [وفي قوله تعالى : يا أيها النبيُّ قل لمن في أيديكم

من الأسرى] الانفال : ٧٠ [. وكذلك النصارى فى قوله تعالى : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين] البقره : ٦٢ [وفى قوله تعالى : وقالوا لن يدخل الجنه إلاّ من كان هودا أو نصارى] البقرة : ١١١ [، راجع البقره : ١١٣، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٠، والمائده : ١٤، ١٨، ١٥، ٦٩، ٨٢، والتوبه : ٣٠، والحج : ١٧ .

٣ — الهمز :

يُؤثر عن أبى عمرو انه قرأ بعض الصيغ مهموزةً ، وبعضها الآخر مسهلة ، ويرجح الدكتور علم الدين الجندى انه عندما يهمز فإنه يكون متأثرا ببيئته تميم ، وعندما يُسَهّل فإنه يكون متأثراً باساتذته الحجازيين ، وفى هذه الحاله يُحَوِّل الهمزة الى الف مد أو الى ياء مد . ومما قرأه مهموزا : مرجئون في قوله تعالى : وآخرون مُرْجَوْنَ لأمر الله] التوبه : ١٠٦ ، وتُرْجِيء في قوله تعالى : [تُرجي من تشاء منهن وَتُؤْوِى إليك من تشاء] الاحزاب : ١٥ ، وممّـا قرأه مسهلا وحوّل الهمزة الى ألف مد أو الى ياء مد وبالمصطلح الحديث : انه عندما أسقط الهمزة أطال حركتها ، فان كانت كسره قصيره تحولت الى طويلة ، وان كانت فتحة قصيرة تحولت الى فتحه طويلة [نحو ملايكته فى قوله تعالى : من كان عَدُوّا لله وملائكته وَرُسُلِهِ وجبريل وميكال ، فَإِنَّ الله عَدُوٌّ للكافرين] البقره : ٩٨ [، راجع البقره : ٢٨٥ والنساء : ١٣٦ والاحزاب : ٤٣ و ٥٦ » .

ومما قرأه مسهلا أيضا منساته فى قوله تعالى : ما دلهم على مَوْتِهِ الا دَابَّةُ الأرض تأكل منسأته] سبأ : ١٤ [، واللايي (٣٣) فى قوله تعالى : وما جَعَلَ أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم] الاحزاب : ٤ [وفى قوله تعالى إنّ أمهاتهم الا اللائى ولدنهم] المجادله : ٢ [، راجع الطلاق : ٤ .

٤ — التسكين :

مال أبو عمرو الى تسكين فاء الصيغه او عينها او لامها] والمقصود بتسكين الفاء هو حذف الحركة الاعرابية [.

أ — تسكين فاء الصيغة :

مال أبو عمرو الى تسكين هاء الضمير هوأو هي اذا تُبعت بواو او بفاء او بلام ، من ذلك قوله تعالى : وَهْوَ بكل شيء عليم] البقره : ٢٩ [، وقوله تعالى : وإن تُخْفُها وتُؤْتُوها النقراء فَهْوَ خيرٌ لكم .] البقره : ٢٧١ [، وقوله تعالى : وإنّ الدّار الآخرة لَهْيَ الحياة] العنكبوت : ٦٤ [.

وأبو عمرو بهذا يكون متأثرا بلهجة نجد ، ونسب التحريك فيه الى أهل الحجاز (٣٤) .

ب — تسكين عين الصيغة :

روى عن أبى عمرو انه كان يسكن عين كلمه نِعْمَّاً مع ان الميم التاليه لها مشدّدة ، فقد قرأ قوله تعالى : إنّ الله نِعِمَّا يعظكم به] النساء : ٢٥٨ [وقوله تعالى : إنّ تبدو الصدقات فَنِعِمَّا هى] البقره : ٢٧١ [. وهذا يعنى انه أجاز الجمع بين الساكنين فى وسط الكلمة ،

وقد وُصفت هذه القراءة بأنها قراءه النبى صلى الله عليه وسلم [٣٥] .
وروى عن أبى عمرو ايضا انه قرأ قوله تعالى : فى قلوبهم مَرَضٌ] البقره : ١٠ [فى قلوبهم مَرْضٌ ، ويرى ابن جنى انه لا يجوز أن يكون مَرْضٍ مخففا من مَرَض . لان المفتوح لا يخفف وإنما ذلك فى المكسور والمضموم كما فى فَخذ وعَضد . وما جاء عنهم من ذلك فى المفتوح فشاذ لا يقاس عليه ، كما فى نحو قول الأخطل :

وما كان كل متباع ولو سَلْف صفقه
يـراجـع مـا قـد فـاتـه بـرداد

يريد : سَلَف ، فأسكن مضطرا .
وينبغى ان يكون « مَرْض » هذا الساكن لغة فى مَرَض المتحرك كاللَّب والحَلْب . والطَّرَاد والطَّرْد ، والشَّلَل والشَلّ [٣٦]
ح — تسكين لام الصيغة] حذف الحركة الاعرابية [.
قرأ أبو عمرو بالتسكين « بارِئْكُمْ » فى قوله تعالى : انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارِئِكُمُ] البقرة : ٥٤ [، وفى قوله تعالى : فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارِئِكُمْ] البقرة : ٥٤ [، وَبُعُولَتَهُنَّ فى قوله تعالى : وَبُعُلَتِهُنَّ أَحَق بردِّهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحاً] البقرة : ٢٢٨ [، راجع النور : ٣١ ، وينصُرْكم فى قوله تعالى : وإنْ يخذلْكُم فَمَنْ ذا الَّذى يَنْصُرُكم مِّن بعده] آل عمران : ١٦٠ [، ويُعَلِّمْهُم فى قوله تعالى : ويُعَلِّمُهُم الكتاب والحكمة] آل عمران : ١٦٤ [[٣٧]
وتسكين الحركه الاعرابية من خصائص لهجة تميم أما أهل الحجاز فيميلون الى اظهارها [٣٨] .
د — حذف حركة ضمير الغائب المتصل فى حالة الوصل :
قرأ أبو عمرو « نُؤْتِهْ » فى قوله تعالى : وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنيا نُؤْتِهِ منها ومن يُرِدْ ثَوَابَ الآخره نُؤْتِهِ منها وسنجزى الشاكرين] آ عمران : ١٤٥ [، وَنَحْشُرْهْ فى قوله تعالى : وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامة أعمى] طه : ١٢٤ [. وَتأْمَنْهْ ويُؤدِّه فى قوله تعالى ومن أهل الكتاب من إنْ تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم مَن إن تأمنهُ بدينار لا يُؤَدِّه إليك [٣٩]]آلعمران : ٧٥ [.

ونسب الكسائى ذلك الى لغة عقيل وكلاب [٤٠] .
٥ — الإدغام :
كان أبو عمرو يميل الى الادغام ، وكان يقول : الادغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره [٤١] ، وكان يميل الى ادغام المثلين ، من ذلك ادغام الراء المكررة ، نحو قوله تعالى : شهر رمضان [٤٢] الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس] البقره : ١٨٥ [ونحو تُضَارَّ فى قوله تعالى : لا تُضَارَّ والدةٌ بولدها ولا مولود له بولده [[٤٣].البقرة : ٢٣٣ .

وكان يميل كذلك الى ادغام الحرفين المتشابهين في الصفه . من ذلك ادغام الراء في اللام . وهما يتشابهان في الصفه . اذ انهما من الاصوات الرنينة (٤٤) Resonance Cansonants وذلك نحو يُغْفِر لَكُم في قوله تعالى نَغْفِر لكم خطاياكم] البقرة : ٥٨ [. ومن ذلك ايضا ادغام اللام في الثاء لقربهما من المخرج نحو هَثُّوبُ الكفار في قوله تعالى : هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون] المطّففين : ٣٦ . ومن ذلك ايضا : ادغام الحاء في العين لاتحادهما في المخرج (٤٦) نحو زُحْزِعَّنِ النار في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز] آل عمران١٨٥ [.

— **التضعيف** :

كان أبو عمرو يميل الى التضعيف . وهو من خصائص تميم وسفلى قيس . وذلك نحو تضعيف الدال في الهدّى في الآيات الآتيه : حتى يبلغ الهدىُّ محلّه] البقره : ١٩٦ [، والهدِّىَ معكوفا ان يبلغ محلّه] الفتح : ٢٠ [، فإن أُحْصِرْتُم فما استيسر من الهدى] البقره : ١٩٦ [(٤٧)

وكان يميل الى تأكيد التضعيف في الافعال المضاعفة ، نحو دَسَّاها في قوله تعالى . وقد خاب من دَسَّاها] الشمس : ١٠٠ [. وكان يميل الى الوقف بالتضعيف مع نقل حركة الحرف الاخير الى ما قبله ، نحو الصَّبِر في قوله تعالى : وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ (٤٨)] البلد : ١٧ ، والعصر : ٣ [، والوقف بالنقل يُعزى الى تميم .

ب — الخصائص الصوتية الصرفية .

Mor phopho mi mical aspects وتشمل ما يلى : الوقف ، والممنوع من الصرف والميزان الصرفي ، ونون الوقايه ، وتفضيل الكسرة على الفتحه في بعض الابنية الصرفية .

١ — الوقف :

الوقف ظاهرة صوتيه ، وقد ربطه ابو عمرو بأجناس حرفيه معينه ، ويشمل ما يلى :

١ — اذا التقت همزتان في اول الكلمة ، سواء أكانت الاولى همزه استفهام والثانية فاء الكلمة ، ام كانت الاولى لام الكلمه والثانية فاء الكلمة الثانية :

كان ابو عمرو يميل الى تخفيف الهمزه الاولى ، كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين ، نحو أإنك وأأنت (٥٠) ، ومما قرأه هكذا ، جاء أشراطها في قوله تعالى : فقد جاء أشراطها] محمد : ١٨ [ويا زكريا إنّا نبشرك في قوله تعالى : يا زكرياء إنّا نبشرك] مريم : ٧ [(٥١) ، أما في اسلوب الوصل فكان يميل الى تسهيل الهمزه الثانية نحو أأنذرتهم في قوله تعالى : وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون] البقرُ : ٦ [، راجع يس : ١٠ (٥٢)

ب — الوقف على الاسم المقصور :

كان ابو عمرو يقف على الاسماء المقصوره بالالف ، ويرى انها عوض عن حذف

التنوين . ذلك انه اذا حذف التنوين رُدَّت اللام الى أصلها . وهو الياء . ثم تقلب الفاً لوقوعها بعد فتحه (٥٣) . وانطلاقا من هذا الاتجاه قرأ أبو عمرو تترى بالتنوين (٥٤) فى الآيه الكريمة : ثم ارسلنا رسلنا تترى] المؤمنون : ٤٤ [، على انه مقصور . كقولك حمدا وشكرا . والوقف على هذا — كما هو مذهبه — على الالف المعوِّضه من التنوين (٥٥) . ومما يدل على ان أبا عمرو يعامل تترى معامله الاسماء المقصورة انه نونها . فأما من لم ينونها فانه يعامل الاسماء المقصورة على انها للتأنيث كالف سكرى .

جـ — الوقف على الاسم المنقوص :

يرى ابو عمرو انه يوقف عليه بحذف الياء ، فيقول هذا قاضٍ وهذا غازٍ .

د — الوقف على الفعل المسند الى ضمير المتكلم فى حالة النصب : يعامل ابو عمرو الفعل المسند الى ضمير المتكلم فى حالة النصب معاملة الاسم المنقوص . فكان يقرأ قوله تعالى : رَبِّى أَكْرَمَنِى] الفجر : ١٥ [وربى أهاننى] الفجر : ٧٦ [رَبى أَكْرَمَنْ وأَهَانَنْ .

٢ — الممنوع من الصرف :

يرى أبو عمرو ان الاسماء الممنوعة من الصرف تشمل ما يلى :

ا — العلم المؤنث بشرط ألاَّ يتكون من ثلاثة احرف ويكون الاوسط منه ساكنا . فإذا كان كذلك فأنت بالخيار ، ان شئت صرفته ، وان شئت لم تصرفه . أما ان سميت المؤنث بعمرو أو زيد فلم يجز الصرف (٥٦) .

ب — اسماء القبائل مثل سبأ (٥٧)

جـ — الالقاب مثل : هذا سعيدُ كرزٌ . وهذا قيسُ قضة . وهذا زيدُ بضةٌ ، واذا نونت أفقدت العلم التعريف (٥٨)

د — غُدْوه أو بُكره اذا دلت على معرفه . وكذلك العام الاول (٥٩) أما يَوْمَ يَوْمَ . وصَبَاحَ مساءَ ، وبيتَ بيتَ ، وبَيْنَ بَيْنَ . فكان ابو عمرو يجعل كل تركيب منها بمنزله الاسم االواحد اذا استخدم ظرفا أو حالا (٦٠) ، والاخيرُ من هذه الاسماء فى موضع جر ، ، وجعل آبو عمرو لفظه كلفظ الواحد وهما اسمان أحدهما مضاف الى الآخر .

هـ — مَثْنى وثلاث وَرُباع فى قوله تعالى :[اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع] فاطر : ١ ، وانها بمنزله اولى أجنحة اثنين اثنين وثلاث ثلاث (٦١) .

ويرى أبو عمرو ان الاسماء الآتية مصروفه ، وهى :

ا — ان سَمَّيْتَ رَجلا بـ « ضارب » من قولك : ضارب وأنت تأمر ، وكذلك ان سميته « ضارب » أو « ضَرَب » (٦٢)

بب — صيغة التصريف من الاسم المتصرف ، نحو سِرْحان وسُرَيْحِينٌ (٦٣) أما غضبان فتصغيره غُضَيْبانٌ ، وهو غير مصروف (٦٤) .

٣ — **الميزان الصرفي :**

يرى أبو عمرو ان مُوسى على وزن مُفْعَل ، وشرح ذلك فقال : « هو أيضا مُفْعَل بدليل انصرافه بعد التنكير » ، وقال ان مُفعَلا اكثر من مُفعلى ، فجعْل الأعجمى على الأكثر أَوْلى وهو ممنوع ، لأن فُعْلى يجيء مؤنثا لكل أفعل تفضيل ، ومُفْعل لا يجيء الآ من باب أفعل يُفْعِلُ ، وهو عنده لا ينصرف عَلَماً للعجمة والعلميه ، ويتصرف بعد التنكير كـ « عيسى » (٦٥) .

٤ — **نون الوقاية :**

كان أبو عمرو يميل الى اقحام نون الوقاية بالفعل المضارع المرفوع بالواو والمسند الى ياء المتكلم في حالة النصب ، نحو قوله تعالى : « فبم تبشروننى »] الحجر : ٥٤ [، وهو بهذا متأثر بلهجة تميم ، أما أهل الحجاز فانهم لا يقحمون مثل هذه النون ، ولهذا قرأ غيره ، فبم تبشرونى .

ولهذا قرأ الكسره على الفتحة فى بعض الابنية الصرفية :

كان ابو عمرو يفضل الكسره فى بعض ابنية الاسماء والافعال وفى حروف المضارعة ، فى حين ان غيره يفضل الفتح ، وابو عمرو يكون فى هذا متذبذبا بين لهجة أهل الحجاز ولهجة تميم .

ا — فيما يتعلق بالاسماء :

١ — فَضَّل صيغة مَفْعِل (٦٦) الحجازية على مَفْعَل التيميه فى قراءة : مَرْفِق فى الآية الكريمة : ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مَرْفِقا ،] الكهف : ١٦ [.

٢ — فَضَّل صيغة فِعْله (٦٧) على فَعْلَه فى قوله تعالى « إذ أنتم بالعدوة الدنيا] الأنفال : ٤٢ [» وفى قوله تعالى إلاّ من اغترف غِرفه (٦٨) بيده] البقرة : ٢٤٩ [.

ب — فيما يتعلق بالافعال :

فَضَّل باب فَعَلَ يَفْعِل فى حين أنّ غيره فضل باب فُعِلَ يَفْعَلُ ، والباب الأول ينسب الى أهل الحجاز ، والثانى الى تميم ، نحو] يقنِط [الحجر : ٥٦] ، ويَقنِطون [الروم : ٣٦] ، ولا تَقْنِطوا [الزمر : ٥٣ (٦٩) .

جـ — فيما يتعلق بحرف المضارعه :

فضّل ابو عمرو كسر حرف المضارعة فى حين ان غيره فضّل فتحه ، وأبو عمرو بهذا يكون متأثرا بلهجة تميم ، وقد جاء ذلك على باب فَعَلَ يَفْعِلُ نحو يَرْكِنو فى قوله تعالى : ولا تَرْكِنوا الى الذين ظلموا [هود : ١٣] ويأمنه (٧٠) فى قوله تعالى : من إن تأْمِنْه [آل عمران : ٧٥ ، وتعرف هذه الظاهرة بتلتله بهراء (٧١) .

ثانيا : منهجه فى الدراسات الصرفية :

وتشمل هذه الدراسات الصرفيه عند ابى عمرو الظواهر الاتية : اسم الجنس ،

والنسب ، والتصغير ، والمصدر ، والتذكير والتأنيث ، والفعل المضارع الناقص ، والتداخل في الافعال المضارعة .

١ — اسم الجنس :

كان ابو عمرو يقول ان « حَلَقه » المفرد ، و « حَلَق » الجمع ، وأيده السيرافي في هذا ، وقال ان هذا هو القياس ، فهو بمنزلة شَجَره وشَجَر ، أما غير أبي عمرو فقال ان القياس حَلْقه وحَلَق وفَلْكه وفَلَك أما حَلَق فشاذ (٧٢) .

٢ — النسب ، ويشمل :

أ — النسب من فَعْلَه إذا كان مفعل العين بالباء مثل : حَيَّه وَلَيَّه ، هو حُيَيٌّ ولُيَيٌّ ، أما يونس فقال حيوى ولوى (٧٣) ، وكذلك ظبيه وظَبِيِّيٌّ ، أما يونس فقال ظَبَويّ (٧٤)

ب — النسب من ابن واسم واست واثنان واثنتان هو : اسميٌّ واستيٌّ واثْنيٌّ (٧٥)

٣ — التصغير :

أ — كان أبو عمرو يرى ان التصغير من « مُرٍّ هوٌ مُرَّيءٍ » ومن يُرَى هو يُرَّيءٌ ، اى انه كان يهمز ويجر (٧٦) .

ب — كان يرى ، اى ان تصغير أحْوَى هو أُحَيّ (٧٧) ، وذلك على قياس أسْوَد وأُسَيِّود ، وأصل صيغة التصغير هو أُحَيْوِى ، وكان ابو عمرو يحذف الواو الثالثة مع التنوين قياسا على حذف ياء قاضى ، وبالتالى تصبح الصيغة أُحَيٌّ (٧٨) ، ويعيدها مع التعريف بـ « أل » أو بالاضافة فيقال : الأُحَيْوِى ، والتنوين فى أُحَيّ عوض عن حذف الواو ، ولا يدل على الصرف لان الكلمة ممنوعه من الصرف ، وتصرف مع التعريف (٧٩) .

ج — كان يرى ان تصغير حُبارَى هو حُبَيِّرَه ، وكان يرى انه اذا حذفت الف التأنيث المقصورة أبدل منها تاء ، ولم ير ذلك غيره من النحاة .

٤ — التذكير والتأنيث والحمل على المعنى :

كانت العرب تميل الى الحذف على المعنى ، حُكِى عن أبى عمرو انه سمع رجلا من اليمن يقول : « فلان لغوب كاءته كتابى فاحتقرها » فقلت له أتقول كتابى : فقال : نعم ، أليس بصحيفة (٨٠) .

٥ — المصدر :

كان ابو عمرو يرى ان القَبُول بالفتح مصدر ، وانه لم يسمع غيره ، واعترض ان يكون الوُضوء مصدرا ، قال الأصمعى :

قلت لأبى عمرو : ما الوُضوء ، فقال : الماء الذى يتوضأ به ، قلت : فما الوُضوء بالضم ، قال : لا اعرفه (٨١) .

٦ — الفعل المضارع من الناقص :

يرى أبو عمرو ان المضارع من الفعل الناقص مثل غَوَى هو يَغْوِى بالكسر ويستفاد ذلك من القصة الآتية : أخطأ رجل فى نطق الفعل الناقص بحضرة ابى عمرو بن العلاء عندما

أنشد قول المرقش الأصغر :

فمن يَلْقَ خَيْراً يَحْمِ الناسُ أمْرَهُ
ومَنْ يَغْوَ لا يعدم على الغي لائما

فقال له ابو عمرو : أَقَوَّمْكَ أم أتركك تتسكَّع في طمتك ، فقال : بل قوِّمْني ، فقال : ومن يَغْوِ بكسر الواو ، ألا ترى إلى قوله تعالى :[وعصى آدم ربّه فَغَوَى (٨٢)] طه : ١٢١ ، اى أنه يريد ان يقول ان الماضى بالفتح والمضارع بالكسر .

٧ — التداخل في الافعال المضارعة :

يرى ابو عمرو انّ « يَهْلَكُ الحرثُ » وَرَكَن يَرْكَنَ » من التداخل لان مضارعه يَرْكُنُ (٨٣) .

ثالثا : منهجه فى الدراسات النحويه (٨٤)

ا — درس أبو عمرو أربعة انواع من الجمل هي :

١ — الجملة المثبتة ، وتناول فيها بالدراسة : المبتدأ والخبر والمفعول به وظرف الزمان وظرف المكان والاستثناء .

٢ — الجمله المنفيه ، وتناول فيها خبر لا النافيه للجنس .

٣ — جملة الشرط .

٤ — جملة النداء .

ب — مال الى التقدير

وسندرس فيما يلى هذين المنهجين :

دراسة الجملة عند ابى عمرو

١ — الجملة المثبتة :

أ — المبتدأ :

أوضح أبو عمرو ان المبتدأ قد يكون ضميرا من الضمائر الشخصية مثل هو ، فى قولك : ما أظن احدا هو خيرٌ منك ، وما اجعل رجلا هو أكرم منك ، وما أخال رجلا هو أكرم منك . وقال ان الضمير هو فى الامثلة السابقه مبتدأ وليس ضمير فصل لأن ما قبله نكرْه ، ولأن الضمير يكون فصلا اذا سبق بمعرفه ، وبناء على ذلك وصف القراءة الآتية باللحن : هؤلاء بناتى هن أطهر لكم] هود : ٧٨ [(٨٥) بنصب أطهر .

وقد يكون المبتدأ كذلك لفظ « كم » اذا اضيفت الى ما بعدها ، وكأن الاسم الثانى للمضاف اليه مرفوعا على انه خبر ، نحو : كم رَجُلٍ أفضلُ منك (٨٦) .

ب — الخبر :

يرى أبو عمرو أن الخبر قد يكون ظرف مكان بشرط ان يكون المبتدأ اسم ذات (٨٧) ، دارى من خلف دارك فرسخان (٨٨)

جـ — **المفعول به :**

يرى أبو عمرو انه اذا وردت تراكيب تحتوى على أسماء منصوبه . فهى مفعول به لفعل محذوف . نحو منطلقا فى التعبير الآتى : أما أنت منطلقا انطلق معك (٨٩) . وفى رأيه ان ذلك بمثابة « لانك حيّرت منطلِقاً أنطلِق معك » وانطلاقا من هذا المبدأ قرأ الآيه الكريمة الآتية بنصب « الطيرَ » : يا جبالُ أوِّبى معه والطيْرَ] سبأ : ١٠ [. وذلك على إضمار : وسخرنا الطير ، لقوله عز وجل على اثر هذا ، ولسليمان الريحَ أى وسخرنا الريح .

ومن هذا ايضا نصب زيد وعمرو فى التعبير الآتى : ألا رجلُ . إما زيدا وإما عمرا ، لانه عندما قال « ألاَ رجلُ » فهو مُتَمَنٍّ شيئا يسأله ويريده . فكانه قال : اللّهم اجعله زيدا أو عمرا ، أو وفق لى زيدا أو عمراً (٩٠) .

وأرى ان أبا عمرو هو من استخدم نظرية تقدير المحذوف . وتعليل الحركه الاعرابية . وممّا يروى عنه فى هذا المجال ان عبدالله بن ابى اسحق سمع الفرزدق ينشد :

ومضى زمان يا ابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتا أو مجلفُ

فقال له : على اى شىء ترفع « مجلف » ! فقال الفرزدق : على ما يسوءك وينوءك . وكان عبدالله يرى انه معطوف على منصوب ، فكان يجب نصبه . أما أبو عمرو بن العلاء فقد التمس مخرجا لرفعه ، وقال إن مجلفا مرفوع على تقدير فِعْلٍ ، اى لم يبق سواه . ولكن أبا عمرو لم يقطع شوطا بعيدا فى التقدير والتعليل ، بل انه لم يلجأ اليه الا عندما يجد سندا من روايه عن العرب ، فقد كان رحمه الله يُؤيد الحزوىّ ، لهذا نجده أيد قراءة النصب فى « أيّهم » فى قوله تعالى :[ثمّ لننزعن من كل شيعة أيّهم أشد على الرحمن عتبا]

قال ابو عمرو : خرجت من الخندق ، يعنى خندق البصره ، حتى صرت الى مكه لم اسمع أحدا يقول أضْرِبْ أيُّهم أفضل ، اى كلهم ينصبون (٩١) .

وقد دفعه هذا الى الاهتمام بالاختلافات اللهجيه ، روى محمد اليزيدىّ ان عيسى بن عمر

مريم : ٦٩ .

جاء الى ابى عمرو ونحن عنده وقال : يا أبا عمرو ، ما شىء بلغنى انك تُجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى انك تُجيزُ : ليس الطيبُ الا المسكُ بالرفع ، قال له أبو عمرو : نمت يا أبا عُمر وأولُج الناسُ ، ليس فى الارض حجازى إلاَّ وهو ينصب ولا فى الأرض تميمى إلا وهو يرفع (٩٢) .

د — ظرف المكان وظرف الزمان :

ظرفا المكان والزمان منصوبان دائما ، وأبنيه ظرف المكان هى : خَلْفَكَ وقُدَّامَكَ وأمَامَك ويمينا وشمالا ويسارا ، نحو قولهم :

١ — منازلهم يمينا ويسارا وشمالا ، ونحو قول عمرو بن كلثوم :

صَدَّت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا [٩٣]

هـ — المستثنى :
يكون المستثنى بدلا من المستثنى منه . نحو : ما أتانى القومُ إلاَّ عبدُ الله .

٢ — الجملة المنفية :
تحدث أبو عمرو عن الجملة التى تحتوى على اللام النافيه للجنس . وقال ان المبتدأ اسم لا . والخبر خبرها . وقال ان خبر « لا » النافيه للجنس قد يكون اللام الجاره مع مجرورها ، وتكون فى محل رفع . نحو « لك » فى « لا غلامين لك ، ولا جارتين لك » [٩٥] .

٣ — جملة الشرط :
يرى أبو عمرو ان أمَّا . وتتكون من ان تستخدم أداة للشرط والتفصيل . فتكون اداة للشرط اذا رُفع الاسم بعدها . وفى هذه الحالة يشترط ان يكون الاسم الواقع بعد الفاء تكرارا لما قبلها . وألاّ يكون الاسم بعد « أما » مصدرا أو وصفا . ويرى ابو عمرو ان الاسم الواقع بعد أما يُعرب مبتدأ . والواقع بعد الفاء يُعرب خبره نحو : أما العبيدُ فذو عبيدٍ . وأما العبد فذ عبدٍ . وأما عبدان فذو عبدين [٩٦] .

وقد تستخدم اما اداة للتفصيل فقط دون الشرط اذا لم تتحق الشروط السابقة . وفى هذه الحالة يكون الفعل فى جملة الجواب مرفوعا وليس مجزوما . نحو اما انت منطلقا انطلق معك . ويرى ان معنى هذا التركيب هو بمثابة قولك : لئن صرت منطلقا انطلق معك [٩٧]

٤ — جملة النداء
يرى ابو عمرو .انه اذا تكرر المنادى العلم فانه يكون بمثابة البدل . ويرفع المنادى بالطبع ، وكذلك ترفع الصفة ان اتت بعده ، نحو : يا زيدُ زيدٌ الطويلُ . ويخالف ابو عمرو بذلك رؤبه الذى كان يقول يا زيدُ زيداً الطويلَ [٩٨] .

ويرى ابو عمرو ان الياء تبقى فى المنادى سواء أكانت فى الوصل ام فى الوقف ، ولذلك كان يقرأ : يا عبادى فاتقون [٩٩] .

ويرى ان اداة النداء « يا » تدخل على ويلا لك وويحا لك ويصبح التركيب يا ويلُ لك ويا ويحُ لك .

الهوامش والمصادر

(١) أبو الطيب اللغوى/مراتب النحويين : ٣٣
(٢) الزبيدى/طبقات النحويين واللغويين : ٣٥
(٣) مراتب النحويين : ٣٣

(٤) ابن الانبارى/نزهه الالباء : ٢٤
(٥) معرفة القراء الكبار : ٨٣
(٦) نزهه الالباء : ٢٩ معرفة القراء الكبار ، ٢٨٤ . كارل بروكلمان/تاريخ الادب العربى ٢ — ١٢٩
(٧) طبقات النحويين : ٣٣
(٨) طبقات النحويين/٣٦ — ٣٧
(٩) د. احمد مكى الانصارى/يونس البصرى : ٦٥
(١٠) طبقات النحويين : ٣٤
(١١) طبقات النحويين : ٣٧
(١٢) نفسه : ٣٥ — ونزهه الالباء : ٢٥
(١٣) طبقات النحويين : ٣٧
(١٤) يونس البصرى : ٦٥
(١٥) السابق : ٦٩ ، وعبد العال سيد مكرم/اثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية : ٦٣
(١٦) مراتب النحويين : ٣٤
(١٧) مراتب النحويين : ٣٣
(١٨) طبقات النحويين : ٣٧
(١٩) جلال الدين السيوطى/الاشباه والنظائر — طبعة حيدر أباد ٣-٤١
(٢٠) طبقات القراء الكبار : ٨٣
(٢١) نفسه : ٨٤
(٢٢) نفسه : ٢٨٤ ومراتب النحويين : ٣٥
(٢٣) ابن جنى/المحتسب : ١ — ٣ وتاريخ الادب العربي ٢ : ١٢٩
(٢٤) طبقات النحويين : ٣٧ ، د. عبد الحميد الشلقانى/رواية اللغة : ١٨
(٢٥) ابن النديم/الفهرست : ٥٣
(٢٦) تاريخ الادب العربى ٢ : ١٣٠
(٢٧) د. علم الدين الجندى/اللهجات فى التراث : ١٨٩
(٢٨) رواية اللغة : ٩٥
(٢٩) نقصد بالخصائص الصوتية Phonlogical aspects دراسة التتابع الصوتية Segmems اى تتابع الصوامت والحركات . والمظاهر المعينة التى امتاز بها أبو عمرو وهى الامالة والهمز والادغام والتضعيف . اما الخصائص الصوتية الصرفيه Morpho phonological studies فيقصد التغييرات الصوتية التى تحدث لسبب صرفى . فالوقف مثلا ظاهرة صوتية ، ولكنه يؤثر على البنية الصرفيه . وقد يحدث العكس ، فقواعد الوقف الخاصة بالاسم الصحيح تختلف عن قواعده بالنسبة للاسم المنقوص ، والمقصود من هذا أن الصيغة الصرفية هى التى حددت معالم التغييرات الصوتية المعنية والدراسة فى هذا الجانب تربط التغيير الصوتى بالبنية الصرفية وهذه الدراسة تساعدنا على فهم الممنوع من الصرف والميزان الصرفى . وقد اتبعناها فى تفسيرنا لاراء ابى عمرو اللغوية حول هذه المظاهر .
(٣٠) أوضحنا من قبل ان أبا عمرو تميمى ، وهذه الخاصية تتناسب مع كونه من تميم .
(٣١) اللهجات في التراث : ١٩٥ — ٢٠١
(٣٢) نفسه : ٢١٤ — ٢١٥

(٣٣) نفسه : ٢٤٧ و ٢٤٩ و ٢٥٩

(٣٤) نفسه : ١٧٣

(٣٥) أيد الكوفيون احتمال التقاء الساكنين في وسط الكلمة . كالامام ابو عبيد القاسم بن سلام والقراء والداني . وينسب اليه قوله : الاخفاء أقيس والاسكان أثر . أما البصريون فقد وجهوا اتهامات شنيعة لتلك القراءات . فالزجاج مثلا وصفها بأنها ليست صحيحة تارة ، وبأنها شاذه تاره اخرى . وبأنها رديئة تارة ثالثة . ووصف ابو على الفارسي من قرأ هذه القراءة بانه لم يكن مصيبا عند اللغويين . لانه جمع بين ساكنين ، والاول منها ليس حرف مد او لين .

« راجع اللهجات في التراث : ١٣٦ » ويرى محمد بن يزيد ان التقاء الساكنين في وسط الكلمة محال ، وعلل ذلك فقال ، أما اسكان العين والميم مشدده فلا يقدر احد ان ينطق به « اثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية/٧٥ » .

ولنا في هذه المسألة رأى في ضوء الدراسات السامية المقارنة ، فنحن نرى ان العربية تشبه في هذه الظاهرة العبريه والآرامية . فهاتان اللغتان تجيزان التقاء الساكنين في وسط الكلمة . غير ان السكون الاول ينطق مشربا بحركه الكسر ، ونعتقد ان ابا عمرو ايضا كان ينطق السكون الاول مشربا بحركة الكسر .

(٣٦) المحتسب ١ : ٥٣ — ٥٤

(٣٧) د. ابراهيم أنيس/من اسرار اللغة : ٢٣٩

(٣٨) سيبويه/الكتاب : ٤ — ٢٠٢ طبعه هارون ، ويرى سيبويه ان ابا عمرو يختلس الحركة ولا يحذفها ، واستدل على ذلك بقولهم] من مأمنك [فيثبتون النون ، فلو كانت النون ساكنه فلم تحقق النون] الكتاب ٤ : ٢٠٢ [، اما المبرد وابن جنى فقد وصفا قراءه ابى عمرو بأنها لحن ، ورد ابو حيان عليها وقال : ان ما ذهب اليه المبرد واعوانه من النحاه ليس بشيء ، لان ابا عمرو لم يقرأ إلاّ بأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت نقل ابى عمرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم وان الاسكان منقول محكى عن تميم اللهجات في التراث/١٧٧ .

ولنا رأى في هذه المسألة ، فنحن نرى ان حذف الحركة الاعرابية من علامات التطور اللغوى عند تميم ، ذلك ان اللغات السامية تميل في تطورها الى حذف الحركة الاعرابية ، ونستدل على ذلك بما هو الحال في اللغة الاكادية ، فاللغة الاكادية القديمة كانت تهتم بالاعراب ، وكانت الأكادية المتوسطة تتأرجح بين الاهتمام بالإعراب وعدم الاهتمام به أما اللغة الأكادية الحديثة فأهملت الاعراب تماما ونستدل على ذلك أيضا بما هو الحال في الحبشيه القديمة الحال في الحبشية القديمة ، فنجد انها اهملت حركتي الضم والكسر ، وحافظت على الفتح ، والامثلة التي وردت عن أبى عمرو تشير الى اهمال الرفع والجر في حين انها لم تشر الى اهمال النصب ، وهذا يدل على أن لغة تميم قطعت شوطا في التطور اللغوى لم تقطعه لغة أهل الحجاز التى حافظت على الحركات الاعرابية الثلاثة ، أما اللغويون الذين يستدلون بذلك على ضآلة دور الاعراب في ايضاح المعنى فهو رأي مردود فيه في رأينا لان الاعراب في اللغات السامية يقوم الموقعية في التراكيب اللغوية في اللغات غير المعربه .. راجع في كل ما سبق :

1) Von Soden, Akkadischen Grammatik.

2) Dilmann, Etheopic Grammar.

٣ — د. ابراهيم أنيس ، من اسرار اللغة

٤ — تمام حسين ، العربية معناها ومبناها .

(٣٩) اللهجات في التراث : ٤٠٧

(٤٠) لم يعترف البصريون بهذه القراءات . فزعم الزجاج وابن السراج ان القراءة غلط بيِّن . ورأى سيبويه انها ضروره ، ورد عليهم ابو حيان وقال ان هذه القراءة من القراءات السبعة . وهى متواترة وكفى انها منقولة عن امام البصريين ابى عمرو بن العلاء . فانه عربى صريح وسامع لغه . وأمام فى النحو اللهجات فى التراث : ٤٠٦ — ٤٠٧ ونرى ان هذا ايضا من التطور اللغوى عند تميم ، وقبائل شرق الجزيرة العربية ، وقد اوضحنا من قبل ان ابا عمرو من تميم وهو متأثر بقبيلته .

(٤١) اللهجات فى التراث : ٢٤١

(٤٢) يرى النحاه ان هذا ليس ادغاما حقيقيا ، بل هو اخفاء احد المثلين . شرح الشافيه/٣ : ٢٤٧ . ونرى ان ادغام المثلين من خصائص تميم وعدم ادغامها من خصائص أهل الحجاز .

(٤٣) اللهجات فى التراث : ٢٢٣ — ٢٢٤

(٤٤) هذا هو الاصطلاح الذى استعمله جليسون Gleason فى كتابه علم اللغة الوصفى Descriptive Linguistics /٢٥٢ ، اما غيره فيستعمل مصطلح الاصوات المتوسطة ، ويقصد به الاصوات التى ليست انفجارية أو احتكاكية ، فاللام مثلا صوت يتكون بوضع طرف اللسان على اللثة العليا أما جانبا اللسان الأيمن والأيسر فهما غير متطابقين على اللثه بل يسمحان بمرور الهواء بحرية دون حدوث احتكاك كما هو الحال مع الأصوات الاحتكاكية لهذا فاللام ليس صوتا انفجاريا أو احتكاكيا راجع الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس وقد فضلنا مصطلح جليسون لأنه يشير الى الخصائص الفيزيائية .

الفيزيائية لهذه الاصوات ، لانه قسم الاصوات حسب كمية الرنين فيها الى اصوات ترتفع فيها نسبة الرنين ارتفاعا كبيرا للغاية ، وهذه هى الحركات ، والى اصوات ترتفع فيها نسبة الرنين ارتفاعا أقل من النسبة السابقة ، وهذه هى الاصوات الرنينيه، والى اصوات تقل فيها نسبة الرنين ، وهذه هى الأصوات المجهورة ، والى اصوات تنقدم فيها نسبة الرنين تماما ، وهذه هى الاصوات المهموسة .

(٤٥) الكتاب /٤ : ٤٥٩ تحقيق هارون

(٤٦) شرح الشافيه/٣ : ٢٧٤ — ٢٧٥ ، ويسمى الإمام الرضى ذلك اخفاء ، ويسميه غيره ادغاما مجازا .

(٤٧) اللهجات فى التراث : ٥٢٩

(٤٨) نفسه : ٢٧٣

(٤٩) نفسه : ٣٨١ — ٣٨٤

(٥٠) الكتاب/٣ : ٥٥١ طبعه هارون

(٥١) نفسه/٣ : ٥٤٩ طبعه هارون

(٥٢) اللهجات فى التراث : ٢٥٩

(٥٣) شرح الشافيه/٢ : ٢٨٢ — ٢٨٤

(٥٤) نفسه/٣ : ٨١ هـ

(٥٥) تفسير القرطبى/١٢ : ١٢٥

(٥٦) الكتاب/٢ : ٢٤٢ طبعه هارون

(٥٧) نفسه/٣ : ٢٥٣ طبعه هارون

(٥٨) نفسه/٣ : ٢٩٤ طبعه هارون

(٥٩) نفسه/٣ : ٢٩٣ — ٢٩٤ طبعه هارون

(٦٠) نفسه/٣ : ٣٠٣ طبعه هارون
(٦١) نفسه/٣ : ٢٥٥ طبعه هارون
(٦٢) نفسه/٣ : ٢٠٦ طبعه هارون
(٦٣) سرحان مصروف بالرغم من انه يحتوى على الالف والنون ، وذلك لانه علم ، وانما يمنع من الصرف الصفات . وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من قبل من ان المنع من الصرف يرجع الى سبب صوتى صرفى .
(٧٤) الكتاب/٣ : ٢١٦ طبعه هارون
(٦٥) هذا يوضح لنا مذهب ابى عمرو فى القياس . فهو يرى ان اللفظ علم لهذا فهو اسم مفعول من أفعل . ومن ثم فوزنه مُفْعَل . وانه لا يمكن ان يكون فُعَلا لان فُعْلاً مؤنث أفعل .
ونرى ان هذا اللفظ من الالفاظ المشتركة بين اللغات السامية والمصرية القديمة ، وهو مشتق من المادة العبرية Maa Shaa ومن المادة العربية مَسَى ، جاء فى اللسان : ومَسَيْتَ الناقه ، اذا سطوت عليها وأخرجت ولدها : « اللسان ٢٠ : ٤٨ » ومشتق من المادة المصرية القديمة Ms وتعنى ابن او وليد ، نحو تحوت مُس اى ابن تحوت ، ورع مُسى اى ابن رع . وهناك رأى اخر يرى أن هذه المادة تعنى فى العبرية : انتشل ، وَلمّا كانت ابنة فرعون قد انتشلت موسى من البحر فانه يعنى الشخص المنتشل ، وعلى هذا يقابل هذا اللفظ ماده مسى فى العربية وليس له مقابل فى المصريه القديمه . ولكننا نرجع كما قلنا من قبل انه من المادة المشتركة بين اللغات الساميه والمصرية القديمة وانه يعنى المولود . وصيغه موسى اسم فاعل من الفعل العبرى المجرد Maa Shaa ويحتمل انه دخل العربية من العبرية مباشرة ، لهذا نتفق مع أبى عمرو في أن اللفظ أعجمى ونختلف معه في الوزن فهو يرى انه اسم مفعول من أفعل ونحن نرى انه اسم فاعل من الفعل المجرد العبرى . ولا يجوز وزنه فى العربية لانه يخالف فى اشتقاقه قوانين الاشتقاق العربية .
(٦٦) اللهجات فى التراث : ٤٨٧
(٦٧) نفسه : ١٨٣
(٦٨) نفسه : ٨٨ — ١٩٩
(٦٩) نفسه : ٤١
(٧٠) نفسه : ٣٠٣
(٧١) نفسه : ٣٠٤ ومما يؤيد هذه الظاهرة اللهجية ان حرف المضارعه مكسور فى العبرية لا نؤيد رأى ابن عطيه القائل ان حرف المضارعة كُسر لكسر العين . راجع .Gesenius, Hebrew, gr باب الفعل المضارع .
(٧٢) الكتاب/٣ : ٥٨٤ طبعه هارون
(٧٣) نفسه/٣ : ٣٤٥
(٧٤) نفسه/٣ : ٣٤٧
(٧٥) نفسه/٣ : ٣٦١
(٧٦) نفسه/٣ : ٤٥٧
(٧٧) نفسه/٣ : ٤٧٢
(٧٨) شرح الشافيه/١ : ٢٢٤ و ٢٢٦ .
(٧٩) نفسه/١ : ٢٣٤

(٨٠) اللهجات في التراث : ٥٠٣
(٨١) شرح الشافيه/١ : ١٥٨ هـ ٢
(٨٢) اللهجات في التراث : ٤٥٦
(٨٣) شرح الشافيه/١ : ١٢٥
(٨٤) يُقصد بالدراسات النحوية دراسة تركيب الجملة . والجملة العربية ثلاثة انواع هي الجملة المثبتة والجملة المنفية والجملة الاستفهامية .
(٨٥) الكتاب/٢ : ٣٩٣ — ٣٩٧ طبعه هارون
(٨٦) نفسه/٢ : ١٦١
(٨٧) نفسه/١ : ٤١٧
(٨٨) او مصدر . اما ظرف الزمان فيكون خبرا للمصادر فقط
(٨٩) الكتاب/١ : ٢٨٦ طبعه هارون
(٩٠) نفسه/٣ : ١٠١ طبعه هارون
(٩١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية : ٧٥
(٩٢) د. محمد عيد/اصول النحو العربي : ٧٦ . و د. علي ابو المكارم/الظواهر التركيبية في النحو العربي : ٢٩٧ — ٢٩٨
(٩٣) الكتاب/١ : ٤٠٥ طبعه هارون
(٩٤) نفسه/٢ : ٣١١
(٩٥) نفسه/٢ : ٢٨٢
(٩٦) نفسه/١ : ٣٨٧ و ٣٨٨ وشرح الكافيه للرضى ٢ : ٣٩٧
(٩٧) نفسه/٣ : ١٠١
(٩٨) نفسه/١ : ١٨٥
(٩٩) اتحاف فضلاء البشر : ٣٩٥ .

المراجع

ا ـ المراجع العربية :

١ ــ ابو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين

٢ ــ ابن الانبارى ، نزهه الالباء

٣ ــ ابن جنى ، المحتسب فى اوجه القراءات الشاذة

٤ ــ ابن النديم ، الفهرست

٥ ــ ابراهيم انيس ، د. ، من اسرار اللغة . والاصوات اللغوية

٦ ــ أحمد مكى الانصارى ، دكتور ، يونس البصرى

٧ ــ تمام حسان ، دكتور ، العربية معناها ومبناها

٨ ــ الرضى ، شرح الشافيه ، وشرح الكافيه.

٩ ــ الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين

١٠ ــ سيبويه ، الكتاب ، طبعه عبد السلام هارون

١١ ــ السيوطى ، جلال الدين ، الاشباه والنظائر فى النحو ، طبعه حيدر أباد

١٢ ــ عبد الحميد الشلقانى ، دكتور ، رواية اللغة

١٣ ــ علم الدين الجندى ، دكتور ، اللهجات فى التراث

١٤ ــ على ابو المكارم ، دكتور ، الظواهر التركيبية فى النحو العربي

١٥ ــ القرطبى ، تفسير القرطبى

١٦ ــ كارل بركلمان ، تاريخ الادب العربي

١٧ ــ محمد عيد ، دكتور ، من اصول النحو العربي

1 — Gesenius, Hebrew Grammar.

2 — Dilmann, Ethiopic Grammar.

3 — Von Soden, Akkadischen Grammatik.

4 — Gleason, Descriptine Linguistics.

مرونة الاشتقاق



ودلالته الحضارية

للأستاذ / محمد رشاد خليل

... الأمة العربية التى شرفها الله بحمل رسالة الإسلام ، وتبليغها الى الناس ، أمة لم يكشف النقاب عن حقيقتها بعد ، وذلك بسبب عوامل تاريخية قديمة وحديثة ساعدت على طمس هذه الحقيقة ، وهى عوامل كثيرة ليس هنا مجال بحثها . ولكن كشف حقيقة هذه الأمة أصبح الآن ضرورة لازمة بصرف النظر عن الظروف والملابسات التى طمست حقيقة هذه الامة .

وكشف هذه الحقيقة مسئولية إسلامية فى المقام الأول ، لان فهم الإسلام على الوجه الصحيح يستلزم فهم الأمة التى حملته وبلغته ، وفهم الظروف التى أحاطت بها ، وفهم مناهجها فى التفكر والنظر ، وطرائقها فى الحياة ؛ لان القرآن نزل بلغة هذه الأمة ، وعلى أساس من مصطلحاتها ، ولأن شريعة الإسلام قامت على أساس من مناهج هذه الأمة فى النظر والاستدلال ، كما قال بذلك سلفنا الصالح ، يقول الإمام الشافعي « وما جهل الناس

واختلفوا إلا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسططاليس » [1] ويعلق السيوطى على هذا القول بعد ايراده بقوله « وأشار الشافعى بذلك الى ما حدث فى زمن المأمون من القول بخلق القرآن ، ونفى الرؤية ، وغير ذلك من البدع ، وان سببها الجهل بالعربية ... والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسططاليس ، الذى هو فى حيز ، ولسان العرب فى حيز ، ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة والتخاطب ، والاحتجاج والاستدلال ، لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح » [2] من أجل ذلك ذهب جمهور علماء اصول الدين والفقه الى ضرورة اقامة مناهج البحث واستنباط الأحكام على أساس من اصطلاح العرب واسلوبهم في النظر والتفكير ، وعلى هذا الساس أصبحت أبحاث اللغة قسما رئيسيا فى جميع مباحث الأصول : الى أن جاء بعض المتأخرين فانحرفوا عن هذا الاتجاه ، وأرادوا أن يجعلوا من المنطق اليونانى أساسا لمناهج البحث فى الإسلام ، وكانت هذه بداية التصدع لأركان الثقافة العربية الإسلامية الشامخة ، وكان من مضاعفات ذلك أن يعتمد الأصوليون المتأخرون على المنطق اليونانى اعتمادا كاملا ، حتى لقد جعلوه أساسا فى مباحث الدراسات الأصولية والفقهية ، مما أدى إلى جمود الفكر ، وركاكة الأساليب ، وطمت الازمة وعمت حين اعتمد النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية » [3] .

وكشف حقيقة الامة العربية هو في المقام الثانى مسئولية علمية لأن مهمة العلم الأساسية هى كشف الحقائق وبيانها باعتبارها أن الحقائق الصحيحة هى الاساس السليم للمعرفة الإنسانية الصحيحة ، ولئن كان الكشف عن حقائق التاريخ الانسانى هاما بصرف النظر عن الامم والأجناس فان كشف حقيقة الامة العربية من الناحية الانسانية الخالصة أولى من غيرها لان دور هذه الأمة ومسئوليتها الإنسانية هو أكبر وأخطر الادوار فى تاريخ الانسانية ، لأن المسئولية التى وكلت إليها وهى الهداية ، هى أخطر المسئوليات الانسانية على الاطلاق ، لقد اتجهت الابحاث التاريخية بهوى مغرض بصفة أساسية الى تاريخ الحضارات الغربية من اغريقية ورومانية ومسيحية غربية .. وعلى هامش هذه الحضارات اتجه البحث اتجاها مغرضا الى الحضارات الهندية والبابلية والمصرية .. وذلك لابراز المظاهر الوثنية التى تمجد الانسان وتؤلهه حسب مفاهيم الحضارة الغربية الحديثة فى دور الانسان وقيمته ، هذا بينما أعرض البحث عامدا عن الحضارة الانسانية الحقيقية التى تتمثل فى حقيقة الامة العربية وفى اسهامها الانسانى فى تحمل التكليف الربانى بتبعاته التى تنوء بحملها الجبال والذى يستهدف من خلال رسالات الإسلام التى تواترت فى الأمة العربية وختمت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى وضع الانسان فى موضعه الصحيح من خلق الله دون افراط او تفريط ، والى تحقيق كرامة الانسان من خلال العبودية الحقة للإله الواحد الأحد صاحب الخلق والامر ، والذى خلق الانسان وعلمه البيان ، ونفخ فيه من روحه وفضله على العالمين .

وكشف هذه الحقيقة هو فى المقام الثالث مسئولية قومية عربية لان من واجب كل قوم أن يتعرفوا على حقيقة وجودهم من خلال النظر الصحيح الى اصول تاريخهم ، حتى يكون

عملهم من اجل يومهم وغدهم قائما على اساس من الاستمرار التاريخي الوثيق . ومن المؤلم ان تكون غالبية الذين يرفعون شعار القومية العربية من اكثر الناس جهلا بحقيقة هذه الامة وتكوينها ودورها ، وان يكون هذا الجهل سببا في الاضطراب والتخبط في ضلالات الجاهليات العرقية الحديثة التي أغرقت العالم بطوفانها واحرقته بنيرانها ، ولو انهم بحثوا لعرفوا ان خصائص الامة العربية لا ترجع — حسب المفهوم العرقي الحديث — الى خصائص عرقي تقوم على الدم او اللون . وانما ترجع في الأصل الى خصائص انسانية هيأ الله لها أسباب الرقي والنماء والازدهار والعطاء في ظروف بيئيّة وانسانية وتاريخية استخلصت من الانسان العربي خير ما في الإنسان عامة ، وجعلت منه قدوة للناس ومثلا مضروبا على خصوبة الامكانيات الانسانية العامة التي منحها الله لجميع البشر على قدم المساواة ، وذلك حتى يتسابق الناس — كل الناس — على هدى هذه القدوة البشرية في استكشاف خير ما في عقولهم وقلوبهم من قدرات وامكانيات ، مما استودعه الله في أصل فطرهم بحكم خلقتهم وتكوينهم ، بتوجيه هداية الوحي ، وبمعونة الله تعالى لهم يدعلى كتبه ورسله ، وهذا هو ما نفهمه من معنى قوله تعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم .. » البقرة : ١٤٣ .

ولقد كان من أبرز العوامل الكثيرة التي عملت على طمس حقيقة الأمة العربية غير ما أشرنا اليه من الغرض والهوى انصراف الباحثين الى التعرف على حقيقة هذه الامة من خلال كتب الاخبار وهي قليلة الغناء لما فيها من قصُور واضطراب ، ولضعف قيمتها التاريخية بسبب عدم الاطمئنان الى كثير مما ترويه عن العرب قبل الاسلام ، يضاف الى ذلك القصُور والفهم القاصر لنوعية المصادر التاريخية والحضارية ، والذي ينصرف عنه كثير من الباحثين الى الوثائق والمصادر المادية من اثار العمارة او الزراعة او الفنون او النقوش وما شابه ذلك ، والعرب بحكم ظروفهم التاريخية — خاصة عرب الحجاز ونجد — وهم في الاساس بدو رحّل لم يكن نشاطهم الحضاري في هذا الباب الذي ارتبط بقيام المجتمعات الزراعية في اودية الانهار ، او بقيام المجتمعات التجارية على شواطىء البحار .

لذلك غفل هؤلاء المؤرخون عن المصادر الحقيقة لهذه الأمه والتي تتمثل أساسا في اللغة وهي دليل العقل وبيانه وترجماته .

واللغة أصدق مفتاح للكشف عن حقائق الامم ، ولقد كانت العربية خاصة أصدق اللغات في الكشف عن حقيقة أهلها ، سواء في مفرداتها او تراكيبها او اساليبها او مصطلحاتها او مضامينها .. ولقد حفظ الله تعالى هذه اللغة في كتابه العزيز فخطط لنا بذلك أوثق المصادر في حقيقة هذه الامة ، كما حفظها في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأبلغهم ، كما حفظها في كلام أصحابه رضوان الله عليهم وهم الجيل الخالص من العرب الذين يمثلوا أصدق تمثيل خصائص هذه الامة ومناهجها في التفكير وطرائقها في الحياة ، كما حفظها في هذه البقية الباقية من شعر العرب وكلامهم في جاهليتهم بما فيه من علم وحكمة وعقل وخلق وبلاغة وبيان ، ثم في هذه الموسوعة الهائلة من كلام الاعراب التي امتلأت بها معاجم اللغة وكتبها ، والاعراب هم مادة هذه الامة ، وأصلها الدال عليها

وصورتها الناطقة بها .

ولكنا نعترف بأن استخلاص المحققين من هذه المصادر أمر صعب لأن القراءة العربية لهذه المصادر لم تعد متيسرة بعد أن قطعت العجمة والفلسفة ومنطق اليونان عليه الطريق ،حتى أصبحنا حين نقرأ هذه المصادر من وراء هذه الحجب نحرف الكلم عن مواضعه . والتبصير بلغة العرب فى العصر الحديث لقطعه قواطع العجمة والفلسفة ومنطق اليونان الذى غلب على العربية لغة وبلاغة ونحوا ، وغلب على علوم الاسلام — عند المتأخرين — عقيدة وفقها ، وتسرب حتى الى تفسير كتاب الله ، هذا شأن العالم باللغة ، فما بالك بالمؤرخ الحديث الذى لا يعْرِفُ من طرائق النظر التاريخي الا النظر فى كتب الاخبار أو معالم الاثار المادية ، وليست له دراية بعلوم العربية والعلوم الإسلامية ، وهى المصادر الحقيقية ذات الحجية التاريخية والحضارية للأمة العربية .. ! ؟ .

إن الذى يريد استعمال المصادر اللغوية للتأريخ العربى عليه أن يتمرس بأساليب هذه اللغة فى مصادرها الأساسية ، وأن يتمرس بالعلوم الاسلامية التى ارتبطت بها . وذلك يحتاج الى اعداد شاق ومران طويل على قراءة النصوص العربية وتتبعها فى مفرداتها وتراكيبها وأساليبها حتى يستخرج منها دلالتها التاريخية والحضارية وذلك يستلزم معايشة هذه اللغة فى مصادرها الاصلية معايشة طويلة تمكن صاحبها من أن يحس بهذه اللغة إحساس أهلها الاولين بها ، وأن يديرها فى عقله ولسانه كما كانوا يديرونها فى عقولهم وألسنتهم ، وأن يقع بها على معانيها الحقيقة فى عقولهم ونفوسهم ، وذلك مطلب عسير ، لأن أساليب التعليم التى حولت اللغة العربية من الدربة والممارسة الى القاعدة المنطقية قد حطمت السليقة العربية فى عقول أهلها ، ثم جاء هجر العربية كليا أو جزئيا فى مراحل التعليم العلمانى الغربي الذين حل محل التعليم الإسلامى العربي في البلاد العربية ليقضى على البقية الباقية من صلة العرب بلغتهم ، ولتجعلهم يتكلمون لغات اجنبية مختلفة — تركيبا ودلالة — وان كانت مكتوبة — شكلا — بحروف عربية .

ولئن كنت قد تصديت لهذا المبحث الوعر فليس معنى هذا انى ادعى لنفسى انها قد تهيأت له على الشروط التى ذكرتها ، فوالله الذى لا اله إلا هو ، لصبى من صبيان الأعراب الذين كانوا يلعبون فى مراقع اعراب هذه الامة بواديها ، كان أقدر منى على امتلاك ناصية هذه اللغة والتصرف فيها .. ، على ان ذلك الاقرار بالعجز لا يجوز ان يصرفنا عن المحاولة فى حدود الممكن ، مع الاجتهاد فى الاستعداد ، لأن هذا العمل من الفرائض التى تلزمنا بها مسئوليتنا فى هذه الامة ، ولعل التنبيه الى الطريق يغرى أجيالا من الباحثين بالسير فيه ، ولعل القدر الذى يتاح استكشافه من الحقائق يعين على تصحيح الكثير من الاخطاء والاوهام والأباطيل التى سدت الطريق على التعرف السليم على نوعية هذه الأمة وقيمتها ومكانتها .. وعليه فانى أتقدم بمحاولة على هذا الطريق من خلال دراسة الاشتقاق ودلالته ، نعرض بها أسلوبا فى استخدام اللغة كأداة للبحث التاريخي الحضاري .

معنى الاشتقاق :

جاء فى شرح التسهيل : الاشتقاق أخذ صيغة من اخرى مع اتفاقها معنى ومادة

أصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليُدلّ بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة ، كضارب من ضرب ، وحَذِرٌ من حَذر . (٤)

طريقته :

وطريق معرفته تقليب تصاريف الكلمة ، حتى يرجع منها الى صيغة هى أصل الصِّيغ دلالة اطراد او حروفا غالبا ؛ كضرْب فانه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ، ومضروب ، ويَضْرب واضْرب ، فكلها اكثر دلالة وأكثر حروفا ، وضَرب الماضى مساو حروفا وأكثر دلالة ، وكلّها مشتركة فى « ض ر ب » وفى هيئة تركيبها وهـذا هو الاشتقاق الأصغر المحَجُّ به » (٥) ، وهذه طريقة البصريين فى رد الاشتقاق الى المصدر أما الكوفيون الذين يردون الاشتقاق الى الفعل الماضى فهم يجعلون أصل صيغة الاشتقاق هو (ضَرَبَ) بالفتح التى هى الفعل الماضى وليس (ضَرْب) بالسكون وهو المصدر .

هناك اشتقاق آخر يسمى الاشتقاق الأكبر ابتدعه أبو الفتح ابن جنى وليس معتمدا فى اللغة وهو الذى يحتفظ فيه بالمادة دون الهيئة مثل (ق و ل) و (و ل ق) ، وقد اهملت العرب هذا النوع من الاشتقاق لذلك فنحن لا نعول عليه ولا ندخله فى موضوع بحثنا ، والاشتقاق الأصغر الذى عرفته العرب هو أساس موضوع بحثنا ، وهو الذى بنيت عليه مادة اللغة العربية كلها ، وهو فى نفس الوقت يكشف لنا عن المستوى العقلى من خلال مجموعة من العمليات العقلية الكثيرة ذات الدلالة البالغة على الاقتدار والتفوق العقلى مثل : الملاحظة الجمع ، الترتيب ، المقارنة ، الاستنتاج ، الخيال ، التمييز ، دقة الاحساس ، سلامة الادراك ، القدرة على التجريد والمجاز ، وإدراك العلاقات .. وكل هذه العمليات العقلية تقع عليها من خلال دراستنا للاشتقاق الأصغر ، على الصورة العلمية التى تتم بها أدق العمليات العلمية التجريبية .

المنطق اليونانى واللغة العربية

ولكنا لا نستطيع أن نتصور هذه العلاقات إلا اذا نظرنا للاشتقاق نظرة لغوية ، مستبعدين جهد الطاقة النظرة المنطقية للغة العربية والا اذا نظرنا للاشتقاق من وجهة نظر تاريخية فى ضوء النصوص الموجودة فعلا ، لا من وجهة نظر منطقية ، فالموازين الصرفية والقواعد النحوية قد وضعت بعد الإسلام متأثرة بالمنطق اليونانى ، ومهما كان من اعتماد هذه الموازين والقواعد على النصوص ، فقد غلب التصور المنطقى على عقلية الذين وضعوا هذه القواعد ، وأقاموا هذه الموازين .. ولقد أدرك علماء السلف خطر المنطق اليونانى على العربية والإسلام ، ورأوا فيه منطقا خاصا بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصوراته من هذه التى تختلف اختلافا بينا عن اللغة العربية التى لها منطقها الخاص ، والتى نزل القرآن وجاء الإسلام على أساس من مصطلحاتها ، لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه ، يقول ابن تيمية : « يقولون : إن المنطق « ميزان العقلية » ومراعاته « تعصم الذهن عن أن يغلط فى فكره » ... وليس الأمر كذلك فإن العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بنى آدم من أسباب الإدراك ، لا تقف على ميزان وضعى لشخص معين ، ولا يُقلَّد فى العقليات ... وجماهير العقلاء من جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهم لوضع

أرسطو ، وهم إذا تدبروا انفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الاشياء بدون هذه الضمانة الوضعية ... ثم إن هذه الصناعة — زعموا — انها تفيد تعريف حقائق الاشياء ، ولا تعرف الا بها ، وكلا هذين غلط » (٦)

ولسنا هنا فى مجال استعراض النكبة التى حلت بالعربية والإسلام بسبب المنطق اليونانى ، وإنما نكتفى فقط فيما يختص من ذلك بموضوعنا ، وسنرى نموذجا لذلك من اختلاف الكوفيين والبصريين حول أصل الاشتقاق .

آراء الكوفيين والبصريين فى أصل الاشتقاق :

اختلف الكوفيون والبصريون حول أصل الاشتقاق هل هو الفعل أو المصدر ، وهذا ملخص بآرائهم : (٧)

رأي الكوفيين :

ذهب الكوفيون الى ان أصل الاشتقاق هو الفعل ، واحتجوا لرأيهم بما يأتى :

١ — ان المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله والمصدر فرع .

٢ — ان الفعل يعمل فى المصدر .

٣ — ان المصدر يذكر تأكيدا للفعل .

٤ — ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل .

٥ — ان المصدر انما سمى مصدرا لا لصدور الفعل عنه كما يقول البصريون ، وانما لانه مصدور عنه ، فدل ذلك على أن الفعل أصل والمصدر فرع لأنه تابع له فيما سبق .

رأى البصريين :

وذهب البصريون الى أن أصل الاشتقاق هو المصدر ، واحتجوا لرأيهم بما يأتى :

١ — ان المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين .

٢ — ان المصدر اسم ، والاسم يقوم بنفسه ويستغنى عن الفعل . أما الفعل فانه لا يقوم بنفسه ويفتقر الى الاسم .

٣ — ان الفعل بصفته يدل على شيئين : الحدث ، والزمان المحصل ، والمصدر يدل على شيء واحد وهو الحدث .

٤ — ان المصدر له مثال واحد نحو الضرب والقتل ، والفعل له أمثلة مختلفة .

٥ — ان الفعل يدل بصيغته على ما يدل عليه المصدر وليس العكس .

٦ — ان المصدر لا يجرى على سنن فى القياس ولوكان مشتقا من الفعل لما اختلف فى اسماء الفاعلين والمفعولين .

٧ — ان المصدر لوكان مشتقا من الفعل لدل على ما فى الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث .

٨ — ان المصدر لوكان مشتقا من الفعل لوجب حذف الهمزة فى مثل اكرم إكراما ، كما حذفت فى اسم الفاعل والمفعول مُكرِّم ومُكرَّم .

٩ — ان الاصل فى تسمية المصدر هو الموضوع الذى يصدر عنه .

وكل هذا دليل على ان المصدر أصل والفعل فرع .

نقد أدلة البصريين والكوفيين :

وأول ما نلاحظه على أدلة الفريقين انها أدلة مصنوعة صناعة منطقية ، إلا أنا نلاحظ أن أدلة الكوفيين أقل إغرَاقا فى الصناعة المنطقية من أدلة البصريين الذين كانوا أكثر تأثرا بالمنطق اليونانى من الكوفيين ، ولقد اصبح الكوفيون لآرائهم بحجة قوية لأنها حجة تقوم على الاستقرار لا على المنطق وهى قولهم ان المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن فعل فاعل ، وهى حجة تهدم حجة البصريين المنطقية وهى حجتهم الاساسية والتى تقول بان المصدر أصل لانه يدل على زمان مطلق ، بينما الفعل يدل على زمان مقيد ، وذلك لأن اطلاق زمان المصدر يجعله مبهما بصورة لا تجعله صالحا للاشتقاق فى العربية حسب مفهوم البصريين لعلاقة المصدر بالزمن ، والعرب لا يعرفون هذا النوع من المطلقات المبهمة التى اختصت بها العقلية الاغريقية وارتبط بها منطقهم وفلسفتهم ارتباطا أفسد الفكر الاغريقي كما أفسد فكر انسانى ارتبط به واعتمد عليه .

المطلق الاغريقي فى نظر ابن تيمية :

ولقد تنبه ابن تيمية الى استحالة هذا المطلق الاغريقي وهاجمه هجوما عنيفا بسبب نتائجه السيئة فى الفلسفة والدين على السواء ، ونفى ان يكون هناك « وجود مطلق بشرط الاطلاق ، أو بشرط سلب الامور الثبوتية او لا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه فى الخارج وانما يوجد فى الذهن ، وهذا مما قرروه فى منطقهم اليونانى ، وبينوا ان المطلق بشرط الاطلاق كانسان مطلق بشرط الاطلاق ، وحيوان مطلق بشرط الاطلاق ، وجسم مطلق بشرط الاطلاق ، ووجود مطلق بشرط الاطلاق : لا يكون الا فى الاذهان دون الأعيان » (٨)

تصحيح مذهب البصريين فى الزمن المطلق :

وعليه يمكن القول بأنه هناك زمن مطلق بشرط الاطلاق لأن هذا النوع من الزمن لا وجود لها فى الخارج وانما هو موجود فى الاذهان فقط لأن « المجردات — كما يقول ابن تيمية — هى الكليات التى تجردها النفس عن الأعيان الشخصية .. » (٩) « والمطلقات لا تكون مطلقة الا فى الأذهان .. فاذا قدرت فى النفس جسما حساسا متحركا بالارادة ناطقا : كان هذا المتصور فى الذهن مركبا من هذه الامور ، وان قدرت فى النفس حيوانا ناطقا كان مركبا من هذا وهذا ، وان قدرت حيوانا صاهلا كان مركبا من هذا وهذا . وان قلت « ان الحقائق الموجودة فى الخارج مركبة من هذه الصور الذهنية » كان هذا معلوم الفساد بالضرورة . وان قلت « ان هذه مطابقة لها وصادقة عليها » فهذا يكون صحيحا اذا كان ما فى النفس علما لا جهلا » (١٠) وعليه فانا نستطيع القول بأن الزمن المطلق لا وجود له الا فى الذهن اما فى الخارج فالزمن هو هذه الحقيقة المعنية التى تتمثل فى الاستمرار والحركة .

كذلك يمكن القول بأن المصدر لا يدل على زمان وانما هو موجود ذهنى تكون من ملاحظة أعيان الفعل فى الخارج مثل ضرَب بالفتح ويضرب وضارب ومضروب فالمصدر وهو الضرب اسم مجرد من هذه الافعال المعنية فى الخارج لا اسما إلا على زمان مطلق ، ومن هنا يجوز الاشتقاق من المصدر كما يجوز الاشتقاق من الفعل لا على اعتبار انه دال على زمان

مطلق وانما على اعتبار انه اسم مجرد من افعال معينة فى الخارج ، فيلزم من ذلك ان يكون الفعل هو الاصل المعين للمصدر كما قال الكوفيون وليس العكس .

وعليه يمكن القول بأن الادعاء بأن الفعل وحده هو أصل الاشتقاق أو أن المصدر وحده هو أصل الاشتقاق ، انما هو تحكم محض لا يقوم عليه دليل من واقع اللغة نفسها وهو الواقع الذى سنعرض له بعد حين .

آراء حديثه فى أصل الاشتقاق :

بدأ الجدل حول أصل الاشتقاق فى العربية مرة اخرى على يد المستشرقين ، وغيرهم من الباحثين العرب ، وهاك ملخص ارائهم فى هذه المسألة .

رأى ولفنسون :

ذهب ولفنسون مذهب الكوفيين فى القول بأن الاشتقاق لا يكون الا من الفعل وأسس رأيه هذا على دراسة مقارنة فى اللغات فقال : « ان من خصائص اللغات السامية أن أغلب الكلمات مشتقة من أصل ثلاثي وثنائي وهذا الاصل فعل يضاف الى أوله أو آخره حرف أو أكثر .

نشأ من اشتقاق الكلمات من أصل هو فعل أن سادت العقلية الفعلية — إذا صح هذا الاستعمال — على اللغات السامية أى أن لأغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعليا حتى فى الاسماء الجامعة والالفاظ الدخيلة من اللغات الاجنبية ، فقد اخذت هذه الكلمات مظهرا فعليا ايضا . وقد رأى بعض علماء العربية ان المصدر الإسمى هو الاصل الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ولكن هذا الرأى خطأ — فى رأينا — لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفا لاصله فى جميع اخواتها السامية .

وقد تسرب هذا الرأى الىهؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية والأصل فى الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمى .

أما فى اللغات السامية فالفعل كل شيء فمنه تتكون الجملة ، ولم يخضع الفعل للإسم والضمير بل نجد الضمير مسندا الى الفعل ومرتبطا به ارتباطا وثيقا .

وعلى كل حال فنظرية العقلية فى اللغات السامية هى نظريتنا الخاصة اذ لم يشر اليها أحد من علماء الافرنج » (١١)

نقد فؤاد حسنين لادعاء ولفنسون :

وقد نقد فؤاد حسنين ادعاء ولفنسون بأنه صاحب اكتشاف (النظرية الفعلية) فى الاشتقاق العربي فقال « ان هذا الرأى قد شغل العلماء وقتا طويلا فبعضهم أفرد له الابحاث العديدة فى مجلات المستشرقين ، والبعض الآخر لم يقنع بذلك فكتب فيه الكتب الكثيرة وكان ذلك فى القرن التاسع عشر ، فالنظرية العقلية ليست وليدة القرن العشرين وليست من نتائج قريحتك (يقصد ولفنسون) بل هى ثمار القرن التاسع عشر فى اوربا ونتيجة من نتائج أبحاث جمهرة من أكابر مستشرقى المانيا » (١٢)

رأى كرملى وزيدان :

ذهب انستاس كرملى الى القول « بأن الثنائية Bilitteroliome هى

النظرية التي تقول بأن الاصول في العربية — وكذلك في اخواتها السامية — ليست هي الالفاظ ذوات الحروف الثلاثية ، بل ذوات الحرفين اذ من شأن الثلاثيات ان ترد الثنائيات » [١٣] .

وقد دافع جرجي زيدان عن هذه النظرية فقال : « الا الفاظ المانعة (ويقصد بها المحدودة الدلالة) الدالة على معنى في نفسها ، يعود معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية (أحادية المقطع) تحاكي أصواتا طبيعية [نسب ابن جني هذا القول الى بعض علماء اللغة ، فقال وذهب بعضهم الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعة ، كدوى الريح ، وحنين الرعد ...] [١٤] ، وتشتمل هذه الألفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منها ، واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ، ولا يردون هذه الأصول قابلة الرد الى أقل من ذلك وعندي أنها قابلة للرد ولو بعد العناء » [١٥]

رأى مراد كامل :

أيد مراد كامل رأى كرملي وزيدان بقوله « ان أقدم الأسماء صيغة في اللغات السامية هي الاسماء الثنائية ، وقد حافظت العربية على بنائها الأصلي في كثير منها غير أنها اشتقت من بعضها صيغا جديدة » [١٦] لكنه غير مقتنع بأن الأسماء الثنائية هي وحدها الأصل لذلك يقول « وهناك أسماء ثلاثية أصلية نجدها مشتركة في اللغات السامية وهي على الأخص أسماء الاشياء المادية المنظورة الملموسة منها للحيوان : النمر والذئب والإبل والثور والحمار والكلب والخنزير والنسر والذباب ، ومنها للنبات : العنب والثوم والقثاء والكمون ، ومنها : الأعضاء والجسم والرأس والعين والاذن والأنفس والسن والشعر والشفة والظفر والركبة والذنب والقرن واللب والكلية والكتف ، ومنها لغير ذلك : السماء والشمس والارض والحقل والبئر والبيت والعمود والقوس والحبل والإناء .. وهذه الاسماء كلها لم تشتق من الافعال والدليل على ذلك :

١ — انه في كثير منها لا يكاد معناها ان يحتمل الاشتقاق من فعل أصلا ، فمن أى فعل تشتق أسماء كالذئب والقدم والرأس والأرض ؟ ولماذ نفترض ان يكون هناك فعل أسبق من هذه الاسماء وأمثالها ؟ .

٢ — ان بعض هذه الأسماء تخالف الافعال التي يحمل معناها الاشتقاق منها مخالفة تامة مثل : الاذن فعلها السمع ، وكذلك العين وفعلها رأى .

٣ — لا نجد صلة بين اوزان هذه الاسماء ومعانيها ، حيث اننا نرى الاسماء المتقاربة في المعنى متقاربة في الوزن نحو : الثور والحمار ، او العين والاذن ، ولو اشتقت من افعال لكان لكل معنى وزن واحد بنيت عليه الاسماء او أوزان قليلة » [١٧]

ويذهب مراد كامل الى ان « بعض الصيغ الرباعية مثل فعلل قديمة جدا في اللغات السامية ومن اوزانه : عكبر وعقرب وأرنب وهي سامية الأصل .. وان كان لا يمنع ان تكون الباء في عقرب وأرنب علامة الحقت للدلالة على معنى كل منها » [١٨]

كما يذهب الى ان الاشتقاق يقع كذلك من الافعال فيقول « من اسماء الاشياء المادية ما اشتق من الافعال مثال ذلك اسماء الآلة والمكان وهو سامى الأصل ، ووزن مفعال للآلة أصله فعال ثم الحقت به الميم . وفعال أقدم وزن لاسم الآلة فى اللغات السامية ومنه : سنان ونطاق ولسان » (١٩)

ثم يذهب فى نهاية الامر الى الاشتقاق بالنسبة للعربية بالغ المرونة حيث يقول « وأكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة فى زمان قديم جدا إلا على القليل من الاوزان كالمصادر والانساب فأصبحت جملة أسمائها محدودة ، لا يزاد عليها إلا القليل فى المدة الطويلة . فاشتقاق الاسماء فيها ميت أو يكاد . وداومت اللغة العربية تشتق الاسماء الجديدة الكثيرة على الاوزان المتنوعة . وجاز للشاعر ان يرتجل استخدامها ، وكانت جملة الاسماء محدودة قابلة للزيادة والنقصان فى كل وقت ووجد عدد من الأسماء فى الواقع وان لم يوجد فى الاستعمال ثم جمع اللغويون الكلمات المروية فى الشعر عند العرب وضبطوا معانيها » (٢٠)

ومما تجدر ملاحظته أن آراء مراد كامل فى الاشتقاق ومرونته هى أدق الآراء انطباقا على حقيقة المادة المعجمية للغة العربية على نحو ما سنعرض له الآن .**نظرة معجمية الى مصادر الاشتقاق :**

حين ننظر الى المادة اللغوية بعيدا عن جدل النحويين نجد ان أصل الاشتقاق فى العربية مرن الى اقصى درجات المرونة ، كما نجد ان الاشتقاق ليس **عملية منطقية تنطلق من قواعد تحكمية مجردة** ، **وانما هو عملية عقلية علمية** تقوم على ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه بصرف النظر عن نوع المشتق. حتى انا لا نكاد نجد قيدا يمنع العرب من الاشتقاق من أية مادة معجمية ، كما أنا لا نكاد نجد مادة معجمية لم تكن عندهم صالحة كأصل للاشتقاق ، سواء أكانت هذه المادة اسما أو فعلا أو حرفا (٢١)

الاشتقاق فى العربية يقع فى الاسماء والافعال والحروف :

ولسنا نبالغ حين نقول ان تحكمات البصريين والكوفيين فى اصل الاشتقاق كانت بلا معنى ولا تمثل واقع اللغة التى لم يعرف أصحابها هذه القواعد المنطقية التى وضعها اللغات وحاولوا صب اللغة فى قوالبها ، فنحن نرى أصل الاشتقاق فى المادة المعجمية لا يخضع لهذه القواعد ، وانما يمضى على اساس ملاحظة المناسبة بين المشتق والمشتق منه ، سواء أكان المشتق منه اسما أو فعلا أو حرفا . وذلك على النحو الآتى :

١ — الاشتقاق من الاسماء :

فى المادة المعجمية لا يخضع الاشتقاق من الاسماء لقاعدة معينة فكل اسم قابل للاشتقاق ، وان كان ذلك لا يعنى ان كل اسم يجب ان يشتق منه ، وانما تلك مسألة متروكة للحاجة وظروف الاستعمال .

أ — الاشتقاق من أسماء العدد وأسماء الازمنة : فمن اسماء العدد : ثنيته أثنيته ثنيا ، صرت معه ثانيا ، وثنيت الشيء بالتثقيل : جعلته اثنين (المصباح المنير) ومن أسماء الازمنة : الاصيل : الوقت بعد العصر الى المغرب ، وآصلنا :

دخلنا فى الاصيل (لسان العرب)

ب — الاشتقاق من اسماء الاعيان :

١ — الأمكنة : الحرم ، واحرم القوم : دخلوا فى الحرم (اللسان) السراب : المسلك فى خفية أو الانسراب ، الدخول فى السرب (اللسان) الشرق : ناحية طلوع الشمس ، وشرقوا ذهبوا الى الشرق ، او أتوا الشرق (اللسان) .

٢ — أسماء القبائل : قيس قبيلة من مضر : تقيّس فلان : اذا تشبه بهم ، وتمسك منهم اما بحلف ، أو جوار ، أو ولاء (اللسان) .

٣ — أسماء الاقارب : الأب : أبوْت وأبيْت : صرت أبا ، وأبَوْتُه إباوَة : صرت له أبا ، ويقال : ما له أب يأبوه : أى يغذوه ويربيه ، وتأبَّيْت أبا : أى اتخذت أبا (اللسان) .

٤ — أعضاء الجسم : اشتق العرب من أسماء الاعضاء أفعالا ، اما تصريحا أو ضمنا ومن هذه الافعال اشتقوا المصادر وجميع المشتقات ، ومن ذلك :

الإبط : باطن المنكب : وتأبط الشيء : وضعه تحت ابطه (اللسان) .

الأذن : عضو السمع : وأذَنه أذْنا فهو مأذون : أصحاب أذنه على ما يطرد فى الاعضاء ، وأذَنَه أذْنَةً أى ضرب أذنه . ويقال : أذَنْت للشيء آذن له أذْنا : اذا استمعت له (اللسان) .

٥ — من الحيوان : الذئب : من الحيوان المفترس فيه خبث ودهاء وهو شبه الكلب فى الجسم : وذؤب الرجل ذآبة ، وذَئِب ، وتذاءب : خبث كالذئب خبثا ودهاء . وذئِبَ الرجل ، فزع من الذئب ، وذأبته : فزعته (اللسان) .

من أشياء مختلفة :

الجيش : الجنود يسيرون لحرب أو غيرها : يقال جيش فلان ، أى جمع الجيوش ، واستجاشه : أى طلب منه جيشا (اللسان) .

الحبل : الرباط : وحبل الشيء حبلا شده بالحبل (اللسان) .

الخطام : كل ما وضع فى أنف البعير ليقاد به : وخطمه بالخطام يخطمه خطما ، وخطمه : كلاهما جعله على أنفه ، وكذلك اذا حز أنفه حزا غير عميق ، ووضع عليه الخطام (اللسان) .

هذا قليل من كثير قصدنا منه التدليل على ان الاشتقاق من الاسماء على اختلافها كثير جدا ، ولا يقع تحت حصر ، ولا يتصور أن تكون هذه الأسماء نفسها مشتقة عن أفعال أو مصادر ، لأنه لا توجد لها موازين ثابتة ، ولا طرق واضحة فى الاشتقاق يمكن أن توضع لها أقيسة مطردة ، كما هو الحال فى الأسماء المشتقة من المصادر أو الافعال .

ومما يقوى ان يكون الاشتقاق قد وقع فى الاسماء ابتداء دون ان تكون هذه الاسماء نفسها مشتقة من مصادر أو أفعال ، أن العرب قد عربوا أسماء أعجمية ثم اشتقوا منها مصادر وأفعالا ومشتقا وذلك عندهم كثير جدا ، ولا يعقل أن يكونوا قد اشتقوا من أفعال ومصادر هذه الأسماء فى مصادرها الأعجمية .

نماذج للاشتقاق من أسماء أعجمية :

الدِّرْهِم والدِّرْهَم لغتان ، فارسي أو يوناني (٢٢) معرب ملحق ببناء كلامهم ، ورجل مدرهم ولا فعل له : كثير الدراهم . حكاه أبو زيد قال : ولم يقولوا دُرْهِم . قال ابن جني : لكنه اذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل ، ودَرْهمتِ الخُبّازى : استدارت فصارت على أشكال الدراهم فعلا وإن كان أعجميا ، قال ابن جني وأما قولهم : درْهَمتِ الخبّازى ، فليس من قولهم : الرّجُل مُدَرْهم (اللسان) .

الفلفل : بالضم معروف لا ينبت بأرض العرب وقد كثر مجيئه في كلامهم . وقد فَلْفل الطعام والشراب .. وثوب مُفَلْفَل : اذا كانت دارات وشيه مثل استدارة الفُلفل وصغره ، وخمر مُفَلفَل أُلقيَ فيه الفلفل ، فهو يحذى اللسان ، وشراب مُفَلْفل : أي يلذع لَذْع الفُلْفُل (اللسان) .

الاشتقاق من الاسم الرباعي :

وقد أجاز النحويون الاشتقاق من الاسم الرباعي ووقوعه فيه . يقول جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مالك في كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو (فصل) « انفرد الرباعي بفَعّلَل لازما ومتعديا لمعاني كثيرة . وقد يصاغ من اسم رباعي » (٢٣) ويقول سيبويه في هذا باب تمثيل ما بنت العرب من بنات الأربعة في الاسماء والصفات وغير مزيد ، وما لحقها من بنات الثلاثة كما لحقها في الفعل ما يأتي : « فالحرف من بنات الأربعة يكون على مثال فَعْلَل ، فيكون في الأسماء والصفات ، فالاسماء نحو جعفر ، وعنبر ، وجندل ، والصفة : سَلْهَب ، وجَلْحَم . وعَلْقى ، ورعش ، وسبنته ، وعنْسَل .

وهذا النحو لأنك لو صيرتهن فعلا كن بمنزلة الأربعة ، فهذا دليل ألا ترى انك حيث قلت : حَوْقلت ، وبَيْطرت ، وسَلْقيت أجريتهن مجرى الأربعة » (٢٤)

٢ ــ الاشتقاق من الحروف :

وقع الاشتقاق في المعاجم من الحروف على اختلافها ، سواء أكانت حروفا للمعاني أو حروفا هجائية :

أ ــ حروف المعاني : من ذلك :

سوف : كلمة معناها التنفيس والتأخير ، قال سيبويه : سوف : كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد ألا ترى أنك تقول : سوفته ، إذا قلت له مرة بعد مرة ، سوف افعل (اللسان) ، فأنت ترى أن هذا الحرف قد جاء منه الفعل سوَّف ويمكن تصريفها : يسوِّف : تسويفا وهو مُسَوِّف ...

نعم : قالوا : نعَّم الرجل ، اذا قال له نَعَمْ ، ونَعَم كقولك بلى ، إلا أن نعم في جواب الواجب ، وهي موقوفة الآخر ، لأنها حرف جاء لمعنى ، وفي التنزيل « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا : نعمْ ، ونعمُ الرجلَ : قال له نعَمْ ، فينْعِم بذلك بالاً ، وأنْعَمَ له : أي قال له نعم » (اللسان)

ب — حروف الهجاء : من ذلك :

حرف التاء : رجل تأتاء على فَعْلاَل ، وفيه تأتأة : يتردد فى التاء اذا تكلم . والتأتأة حكاية الصوت (اللسان) .

حرف الفاء : الفأفاء على فَعْلال الذى يكثر ترداد الفاء إذا تكلم ، والفأفأة حبسة فى اللسان ، وغلبة الفاء على الكلام ، وقد فأفأ ، ورجل فأفأ وفأفاء (يمدّ ويقصر) ، وامرأة فأفأة . قال الليث : الفأفأة فى الكلام كأن الفاء تغلب على اللسان فتقول : فأفأ فلان فى كلامه فأفأة ، وقال المبرد : الفأفأة : الترديد فى الفاء ، وهو أن يتردد فى الفاء إذا تكلم (اللسان)

الاشتقاق من الأفعال :

لسنا فى حاجة الى ذكر أمثلة من الاشتقاق فى الفعل فهو أشهر أنواع الاشتقاق ، وقد ادعى الكوفيون أن الفعل وحده هو أصل الاشتقاق ، وقد غلب رأيهم حتى أصبح هو القاعدة التى قامت عليها الموازين الصرفية على نحو ما سنرى .

رأينا فى أصل الاشتقاق :

واستنادا الى هذا العرض المعجمى يمكننا القول بأن الاشتقاق فى العربية هو اشتقاق شديد المرونة ، بحيث لا يمكن حصره فى أصل واحد أو ضبطه فى قاعدة ، وهذا الذى نذهب اليه قد ذهب اليه بعض المحدثين كما سبق ان ذكرنا ، بل قد ذهب اليه القدامى ، فقد ذكر السيوطى قول طائفة من المتأخرين اللغويين وهو : كل الكلم مشتق ، ونسب ذلك الى سيبويه والزجاج (٢٥) . وهذا لا يكون الا اذا اعتبرنا أن كل الكلم صالح كأصل للاشتقاق .

والذى نراه هو أن الاشتقاق فى العربية لا يرجع الى سبب وراء مناسبة المعنى بين المشتق والمشتق منه ، فكون المشتق منه اسما أو فعلا أو حرفالا دخل له فى عملية الاشتقاق ذاتها ، فليس هناك أصل وفرع وإنما هناك مشتق ومشتق منه حسب المناسبة ، وكما يقول تمام حسان « الاشتقاق رد لفظ الى آخر لموافقته اياه فى حروفه الأصلية ومناسبته له فى المعنى » (٢٦) .

الدلالة الحضارية لمرونة الاشتقاق :

ولكن ما الذى تعنيه مرونة الاشتقاق فى العربية من الوجهة الحضارية .. ؟

للاجابة على هذا السؤال علينا ان نخلى عقولنا من تضليل المصطلحات الغربية والذى يتمثل :

أولا : فى هذا الفصل التعسفى والغريب بين اللغة وأصحابها .

وثانيا : فى التقسيم التعسفى للشعوب الانسانية الى بدائية ومتحضرة .

وثالثا : فى تصنيف العرب قبل الاسلام — خاصة عرب الحجاز ونجد — فى الشعوب البدائية على أساس من التقسيم التعسفى السابق للشعوب .

ورابعا : فى المفاهيم القاصرة للبداءة والحضارة ، والتخلف والتقدم ، والرقى والتأخر .. انما اذا فعلنا ذلك ، ونجحنا فيه فسوف نهدم حواجز اصطناعية بيننا وبين الفهم الحقيقى للبشر والتاريخ والحضارات بوجه عام وبيننا وبين الامة العربية التى حملت أمانة الاسلام بوجه خاص .

ساعتها سوف تبرز أمام أعيننا القيمة الهائلة للغة العربية لا كأداة للتعبير فقط ، وإنما كقيمة حضارية على نفس الدرجة من الأهمية .

فأما الفصل التعسفى بين اللغة وأصحابها فانا لو نظرنا بعين العقل لا بعين التقليد فسوف يتبين لنا استحالة الفصل ، لأن اللغة أى لغة ، انما هى ترجمان لعقول أهلها ، وبيان عنها ، ولا نريد ان نخوض في قضية التوقيف والوضع فى اللغة ، والتى خاض فيها القدماء ، فذلك حديث طويل ليس هنا مجاله وانما نقول بأنه قد ثبت بالخبر الصادق عن رب العالمين ان اللغات فى اصلها كانت تعليما من الله ، قال تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها » البقرة : ٣١ ، وقال « خلق الانسان علمه البيان » الرحمن : ٣ ، ٤ .

أما نمو اللغات وتشعبها ، وإزدهارها وتقدمها ، أو ضمورها وإنزوائها ، وبمعنى آخر حياتها وموتها ، إنما هو رهن بأصحابها وعقولهم وظروفهم ، هذا ما ادركه علماء اللغات اليوم بالبحث والاستقراء والمقارنة ، يقول عبد الواحد وافى « فى الامم البدائية الضعيفة التفكير ، المنحطة المدارك تفرز الكلمات الدالة على المحسات والامور الجزئية ، وتنعدم أو تقل الألفاظ الدالة على المعانى الكلية ، وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وتخلو القواعد أو تكاد من التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة ، والعبارة بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة . وفى كثير من الامم البدائية ينعكس فى اللغة من مظاهر الاضطراب والابهام ما تمتاز به عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور ، حتى انها لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح وثيق .. » (٢٧) ، وقديما ادرك ذلك الامام الجليل ابن تيمية فى مقارنته لمنطق اليونان وفلسفتهم بلغة العرب والاسلام فقال « ان العقول اذا اتسعت واتسعت تصوراتها اتسعت عباراتها ، واذا ضاقت العقول والعبارات والتصورات كان صاحبها كأنه محبوس العقل واللسان ، وهذا ما يصيب أهل المنطق اليونانى ..) (٢٨)

أما عن تقسيم الشعوب الى بدائية وحضارية فاننا نرفض هذا التقسيم أصلا ، لانه مبنى على اصل باطل وهو القول بالتطور بالمفهوم الالحادى الحديث والذى يذهب الى ان الانسان مجرد تطور للمادة الحية بمقتضى قوانين ذاتية تترقى بمقتضاها المادة من حالة الى حالة بصورة تلقائية خالصة لا تخضع فيها لاله خالق مدبر ، وينكر هذا المفهوم الخبر الصادق عن رب العالمين والذى يقرر فى صورة قاطعة ان آدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ، وعلمه الأسماء وهداه الى الحق ...

ونحن لا نروى الخبر الصادق عن الله بتخيلات الملحدين ، ولا يعنينا ان يكون هذا التقسيم هو الاصل المستقر اليوم فى الدراسات التاريخية والحضارية ، لأن هذه الدراسات إنما انطلقت جميعها من مفهوم التطور الذى ينطلق من الايمان بالمادة الخالقة التى نكفر بها ونؤمن دونها بالله صاحب الخلق والأمر .

إنا لنا كمسلمين بناء على تعليم من ربنا منهج خاص فى قراءة التاريخ يسير فى عكس الاتجاه الذى يسير فيه التطوريون فيما يتعلق بحركة التاريخ وأصل الانسان وحقيقة الاديان

ليس هنا مجال بسطه وحسبنا ان نشير الى ان حركة التاريخ ليست هي بالقطع ما قال به اوجست كونت صاحب قانون المراحل الثلاث فى التاريخ الانسانى ، والتى تابعه فيها تلميذه دوركايم ثم شاعت فى الدراسات التاريخية والحضارية ، ويكفينا هنا تعليق يوسف كرم « يفسر دوركيم المؤسسات والقواعد الاجتماعية طبقا لنظرية التطور ، فيبدأ بأبسط الصور ويسمى الجماعات التى تلاحظ عندها الصور بالبدائية ، فى حين ان المنهج العلمى يقضى بالقول بأن الحالة المسماة بدائية هي أبسط ما وصل الى علمنا من حالات لأنها الحالة الاولى تاريخيا . اذ قد تكون الانسانية بدأت على حالة عقلية متقدمة ، وقد تكون الجماعات التى نعتبرها الان بدائية منحدرة من جماعات متحضرة زالت عنها الحضارة فالاجتماعيون يعددون البسيط قديما وليس هذا بالضرورى ، ويعتقدون أنهم يؤيدون مذهب التطور وهم إنما يقبلونه مبدئيا » (٢٩)

أما بالنسبة لتصنيف العرب قبل الاسلام فى الشعوب البدائية (خاصة عرب الحجاز ونجد) فذلك جهل يجب ان نستعيذ بالله من شره .

ولست اريد هنا أن اتكلم عن حضارات اليمن وحضرموت أو حضارات العراق والشام ومصر فذلك موضوع سبق الى تقريره الغربيون أنفسهم ، انما اتكلم عن عرب الحجاز ونجد أو عن الاسماعيليين الذين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم ، وبلغتهم نزل القرآن ، وبهذه اللغة نحتج لهم فى هذا البحث .

ونقول جهل نستعيذ بالله من شره لانه جهل يؤدى الى خلل فى الاعتقاد ، اذ من الثابت بنصوص القرآن والسنة ان هؤلاء العرب أبعد الناس قاطبة عن البدائية حتى بالمفهوم الحديث ، فهولاء العرب — كما تواترت بذلك نصوص الكتاب والسنة — هم ابناء اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام أى أبناء أنبياء علماء حكماء ، يعد أبوهم إبراهيم فاصلا فى تاريخ البشر عقليا ودينيا ، فعلى لسانه ظهر كمال العقل الانسانى فى استدلالاته المشهورة التى رواها القرآن الكريم ، وسمى الله تعالى هذا الاستدلال حجة على الوثنيين علمه الله إياها قال تعالى « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه .. » وعد الله تعالى هذه الحجة درجات فى الفضل الانسانى « نرفع درجات من نشاء .. » الأنعام : ٨٣ فإبراهيم عليه السلام هو أكمل البشر عقلا ودينا بعد محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله أمة وحده « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » النحل : ١٢٠/١٢١ .

وقد نص الله على اجتباء ابراهيم عليه السلام واصطفائه والإصطفاء من ذريته فقال » ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » آل عمران : ٣٣ .

والعرب هم ابناء ابراهيم من اسماعيل عليهما السلام ، واسماعيل هذا هو الذى قال الله فى وصفه « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » مريم : ٥٤/٥٥ .

أما بالنسبة لمفاهيم البدائية والحضارة ، والتقدم والتخلف ، والرقى والتأخر فان علينا ان

نعرف ان هذه المصطلحات ليست تنزيلا من حكيم حميد يتحتم علينا التسليم به وإنما هى مصطلحات ورثناها من الفلسفة الاغريقية قديما ومن الفكر الغربي حديثا ، وتحديد هذه المصطلحات يقوم على تصورات تنبثق من واقع المجتمعات الغربية وظروفها ، ولم يأت تحديد هذه المصطلحات نتيجة استقراء حقيقى لانماط الحياة الانسانية ونشاطها ، ولم يأت من دراية كاملة بحركة التاريخ الانسانى فى ظروفه المختلفة ، كما انها لم تات من قواعد عامة مطردة تصلح للتطبيق فى كل الظروف ومع كل الشعوب .

فمفهوم الرقى الفكري مثلا فى اصطلاح الغرب القديم ينحصر فى الفلسفة والمتفلسفين والفلسفة فى شكلها النهائى . وان كانت تستند الى جذور فى التفكير الانسانى ، بمنطقها الخاص هى صناعة وضعية خاصة بالاغريق ، وتتناسب مع نوع النشاط العقلى الذى أتيح لهم ممارسته ، اما بالنسبة لنا فإن نشاطنا العقلى منذ اقدم العصور قد أخذ اتجاها خاصا ، وأصبح له نمط خاص تعبر عنه لغة اصطلاحات مختلفة .

ويكفى دلالة على فساد الاصطلاح وخصوصيته ان يكون الفيلسوف الذى عرفه تاريخ الغرب فى هذا الاصطلاح ارقى عقلا من النبى الذى عرفه تاريخنا .. ! ! ، وهذا مرفوض دينا وعقلا . أما مصطلح التقدم والتخلف الحضارى فيكاد يرتبط فى الاصطلاح الحديث — رغم المحاولات الجارية لتوسيعه — بالتقدم المادى .. ومن الغباء ان ننساق وراء تضليل هذا المصطلح فنحاول ان ندافع عن تاريخنا بانه عرف التقدم المادى ، فذلك الدفاع وان كان يمثل حقيقة تاريخية الا انه يؤدى الى نتائج شديدة الخطورة لانه يقدم الابداع المادى على الرقى الاخلاقى الذى يمثل الاساس فى تقدمنا الحضاري ، والذى يعطينا على الغرب المادى ميزة لا تعادلها ميزة اخرى ، ان من شأن الانسياق الأعمى وراء هذا المفهوم - ونحن ننبه هنا الى ان لا ننكر قيمة الرقى المادى فى اطار اخلاقى معين ، ولا نقلل من قيمته — يجرنا دون وعى الى احتقار الجانب الاكثر قيمة فى تاريخنا .

اننا اذا طبقنا هذا الاصطلاح بمفهومه المادى على تاريخنا فسوف نسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير الخلق ، ونسلك اصحابه وهم خير جيل من البشر فى عداد المتخلفين حضاريا ، وذلك لانهم عاشوا حياة مادية بسيطة خالية من التكلف او التعقيد فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن وطرائق الحياة المختلفة ، مع اننا انطلاقا من مفهومنا الخاص للحضارة نتخذ من هذا المظهر دليلا على سمو الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وعلى نبلهم وعظيم خلقهم .

اننا بهذا المفهوم لا نسيء الى تاريخ الاسلام وحده وانما نسيء الى تاريخ الانسانية كلها اذ نهدر بذلك قيمة اخلاقية قدرتها وأجلتها الانسانية عبرتاريخها وفى جميع عصورها وفى مختلف أديانها وهى قيمة الزهد فى عرض الدنيا وأشيائها ومتاعها وأدواتها لا عن جهل بها ، ولا عن عجز عن استعمالها ، ولكن ادراكا لقيمتها الحقيقية وهى التغير والزوال ايثارا لما هو أبقى وهذه أعلى مراتب الادراك ، والقدرة على ضبط النفس وهى ارقى مراتب الاخلاق ايضا ..

ان علينا ان نستعيد ثقتنا فى انفسنا والتى فقدناها امام ضغط الفكر الغربي والحضارة الغربية ، اننا ان فعلنا ذلك تخلصنا من أسر المصطلحات ، التى استبعدت عقولنا لحساب فكر الغرب وحضارته ، هذه المصطلحات التى لا تمثل مقياسا انسانيا شاملا تقاس به الافكار والمعتقدات والحضارات — كما يزعمون — ، وانما تمثل وجهات نظر خاصة للافكار والمعتقدات والحضارات تمثل عقول مبتدعيها ، وقد توافق الحق او تخالفه فيما يتعلق بالاخرين . لو وثقنا فى انفسنا لتحررنا ، ولو تحررنا لرأينا الاشياء على حقائقها ، ولعرفنا انفسنا على حقائقها ، ولرأينا هذا العالم الباهر الذى تمثله لغة العرب ، والذى يمثل فكرا وحضارة وخلقا قل ان يوجد لها نظير ... هذا العالم المطمور تماما تحت ركام المصطلحات ، كما تطمر الآثار المادية تحت ركام التراب .

تقدير الباحثين المحدثين لمرونة الاشتقاق فى العربية :

فلننظر فى ضوء هذه الاعتبارات لقيمة الاشتقاق فى العربية كما تعترف بها الدراسات اللغوية المقارنة فى العصر الحديث بقول تمام حسان « ان الصيغة التى بنى عليها الاشتقاق او الميزان الصرفى للكلمة يكشف لنا عن خاصية تكاد تنفرد العربية بها ، وتدخل الصيغة فى الجدول كما تدخل الامثلة — أى الكلمات التى توزن عليها — فنحن نستطيع ان نصرف الصيغة من غير الاستعانة بأمثلتها ، وهذه خاصة من خواص اللغة العربية ، وربما كانت فى اللغات السامية ايضا ، مثال ذلك :

أنا	افتعلت	افتعل	
نحن	افتعلنا	نفتعل	
أنتَ	افتعلتَ	تفتعل	افتعل
أنتِ	افتعلتِ	تفتعلين	افتعلى
أنتما	افتعلتما	تفتعلان	افتعلا
أنتم	افتعلتم	تفتعلون	افتعلوا
أنتن	افتعلتن	تفتعلن	افتعلن
هو	افتعل	يفتعل	
هى	افتعلت	تفتعل	
هم	افتعلوا	يفتعلون	
هن	افتعلن	يفتعلن	

ومثل هذا يمكن ان يتم مع كل صيغة من صيغ الافعال ، فتكون نتيجة ذلك تصريفا فى داخل (مورفيم) الافتعال ، بحسب اختلاف الضمائر الشخصية التى يعبر منها عن (مورفيم) آخر ، هو المتكلم او الخطاب او الغيبة ، مع (مورفيم) الافراد او التثنية او الجمع . واكتفاء الصرف بالصيغة ، كاكتفاء الاصول بالصوت واكتفاء التشكيل بالحرف والمقطع ، هو استكفاء غرضه التحليل ، والا فليست هذه الا مفهومات منهجية ، لا تعبيرات باللغة . ونحن لا نتكلم اصواتا ، ولا حروفا ، (ولا مورفيمات) ، ولا صيغا ، وانما نتكلم جملا

مفيدة مركبة من هذه الاجزاء التحليلية ، التى يعتبر النظر المنهجى مسئولا عن اكثرها حيث يخلقها باعتبارها وسائل نفسية ، وادوات لتناول مادة اللغة تناولا يبنى على منهج خاص . فالصيغة جزء من المنهج لا من اللغة نفسها ، انك تقول « خرج محمد بالامس » فتتكلم عن شرط اللغة ، ولا تقول « فعل مُفَعَّل بالفَعْلِ » لأن هذا ليس من اللغة .

واللغة العربية محظوظة جدا بوجود هذه الصيغ الصرفية ، لأن هذه الصيغ تصلح لان تستخدم اداة من ادوات الكشف عن الحدود بين الكلمات فى السياق ، وتشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الاساس الذى يمكن به ان تحدد الكلمات .

والباحثون فى لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانون النصب والمشقة فى سبيل هذا التحديد .فيعمدون الى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها فى هذا الغرض ، ويظهر القسر والعسف فى استخدامها واضحا ، فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات فى السياق ، فيزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التى تفاخر بها .

وتساعد الصيغة فى الاعم الاغلب على تحديد الباب ايضا ، ذلك لان معناها الوظيفى هو (المورفيم) و (المورفيم) نفسه تعبير عن الباب ، فكان الباب احد معانى الصيغة غير المباشرة ، ومعنى هذا الكلام اننا اذا اخذنا « فاعل » فسنجد كل ما على مثالها داخلا فى باب الفعل الماضى الذى يدل غالبا على المشاركة ، ونقول غالبا احترازا من « سافى) ، فالصيغة هنا دلت على النسب الى قسم من اقسام الكلام ، وهذه ميزة من ميزات اللغة العربية ايضا واعتماد. هذه الدلالة هي ما يسميه علماء اللغة بالتحديد الجراماطيقى : »»» Gramatical designation «««

المزايا اللغوية هى مزايا عقلية :

ولكن من أين جاءت هذه المزايا اللغوية فى الاشتقاق وفى اللغة العربية ، هل هذه المزايا نابعة من اللغة ذاتها ، ولازمة عنها .. ؟

لو قلنا بذلك لوقعنا فيما يقع فيه الملحدون فى الله ، حين يردون مزايا الطبيعة الى الطبيعة ذاتها ، ويقولون انها لازمة عنها بمقتضى قوانين ذاتية ، ففسروا الماء ـــ كما قال شاعرنا » بعد الجهد بالماء ، وظنوا انهم بذلك قد حلوا معضلة الكون ، وهم لم يزد الامور الا خبالا ، فأثبتوا بذلك خبال عقولهم ـــ وهم يظنون فى انفسهم انهم عباقرة الدنيا ـــ ذلك ان اى عاقل سلم عقله من الخيال لا بد وأن يرد الآثار الى (فاعل ، مريد ، عالم ، قادر) ، فان قالوا نحن نقول بالفاعل المريد العالم القادر ، ونقول : هو الطبيعة ، قلنا لهم زدتم الامور خبالا لانكم قد جعلتم الاثر علة ذاته ، وهذا هو عين الخبال .

ولما كانت اللغة أثرا ليس علة نفسه وليس فعالا مريدا عالما قادرا بذاته لزم من ذلك ان يكون معلولا لفاعل خارج عنه ، ولما كان العقل المبين كما خلقه الله تعالى هو علة اللغة كما ان الله الفعال المريد العالم القادر هو علة العالم والانسان ، لزم من ذلك أن تكون اللغة وآثارها معلولة بصانعها ومبدعها وهو عقل الانسان الذى منحه الله القدرة على الابداع والاختراع ، ولا يعنى هذا مضاهاة قدرة الله بقدرة البشر. تعالى الله عن ذلك ، وانما يعنى القول بأن الله الذى يملك قدرة لا تحدها الحدود قد منح الانسان ـــ فضلا منه وكرما ـــ ان

قدرة محدودة وارادة محدودة وعلما محدودًا. يستطيع من بواسطتها ان يصنع وان يفعل فى حدود هذه القدرة الممنوعة من الله .

ومن ثم فمزية الاشتقاق في اللغة جاءت، من مزية العقل الذى تصرف بها . والمزية او المزايا العقلية التى يترجم عنها الاشتقاق فى اللغة العربية تتمثل فى مرونة عقلية عظيمة ، وطاقة واسعة من الخيال القادر على ادراك مختلف العلاقات الدقيقة ، والمناسبات المتنوعة بين الاشياء والاشياء ، وبين الاشياء والمعانى ، وبين المعانى والمعانى ، ثم مقدرة على التمييز الدقيق بين درجات هذه الفروق ، دون اضطراب او خلط ، ثم استيعابها جميعا فى وقت واحد دون قصور او اعياء ، او ارهاق ، مع ارهاف بالغ فى الحس يلمح ما خفى ، وما دق من الفروق والدلالات ، والاشارات ، هذا الارهاق البالغ فى الحس هو الذى ولد هذه القدرة الهائلة على التجريد ، الذى يختزل التفاصيل ، ويجرد الاشياء من خصوصياتها ليردها جميعا الى اصول عامة مشتركة لا تضيع فيها النسب والابعاد . هذه القدرات هى التى وسعت حدود الاشتقاق الى أبعد مدى ، وفتحت الباب لهذه الصيغ الصيغ المجردة التى لا يحتاج الاشتقاق فيها لكى يتغير المعنى الى اكثر من زيادة : حركة لتعطينا كلمة جديدة مثل : عِلْم ، وعَلِم .

أو مادة مثل : طالَب وطلَب ، او زيادتها معا مثل : ضارب وضرْب .

أو نقصان مثل : فرْس وفرَس ، او نقصان مادة مثل : ثبْت وثبات .

أو نقصانهما معا مثل : نزا ونزوان ، او نقصان حركة وزيادة مادة مثل : غضبْى وغَضِب .

أو نقص مادة وزيادة حركة مثل : حرِم وحرمان ، او تغاير حركتين مثل : بطِر بطَرا .

أو نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف مثل : اضرب من الضرب .

أو نقصان مادة وزيادة اخرى مثل : راضع من الرضاعة ... (٣٢)

عن طريق هذه التغيرات البسيطة امكن اشتقاق مئات الألوف من الصيغ ، وفتح باب القياس لتستمر العربية فى نموها وازدهارها على نفس الاساس عبر الاجيال والعصور ، وفى مختلف الظروف ، وعن طريق هذه الامكانيات الهائلة اتسعت العربية للقرآن والاسلام ولمختلف العلوم والفنون والصناعات ، وما زالت قادرة على ان تتسع أبد الدهر لكل جديد من المعارف .

وما كان هذا الاتساع فى اللغة الا كما قال ابن تيمية بحق بسبب اتساع عقول أهلها واتساع تصورات هذه العقول .

فاذا جاء اليوم من يشكو من ضيق العربية وعجزها عن استيعاب مصطلحات العلوم والفنون والصناعات الحديثة ، فانا نرد عليه بان هذا العجز ليس عجزا فى اللغة ، وانما هو عجز فى عقول ابنائها ، نتج عنه ضيق فى اتساع هذه العقول ، وضيق فى اتساع تصوراتها ، وذلك بسبب ركون هذه العقول الى الكسل ، وكفها عن الابداع ، واضرابها عن الدربة والمرانة ، وافتقارها الى الحياة والحركة ، وافتقارها الى الاستقلالية ، وركونها الى التقليد الذليل .

نخرج من كل ما سبق الى القول بأن المزية اللغوية فى الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقية ، هى شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربية واتساعها ورقيها وابداعها ، وهى فى نفس الوقت شاهد على ان هذه العقلية قد قطعت قبل الاسلام شوطا طويلا فى التقدم والرقى عبر الممارسة والدربة والمران الى ان اكتملت فيها هذه الخصائص ونمت فيها هذه القدرات والملكات على أوفاها واتمها وابدعها من الحظ المقدور للعقل الانسانى .

وعليه نستطيع القول بان اللغة العربية هى شاهد تاريخي اوثق من كل الشواهد التاريخية على حضارة اهلها ورقى عقولهم ، وعلينا منذ الان ان نبحث عن حضارة الاسماعيليين فى هذه الوثائق اللغوية التى هى اكثر دلالة على العقل من دلالة آثار العمران ، لان اللغة هى البيان ، ولان البيان هو ترجمان العقل ، الذى ميز الله به الانسان عن سائر المخلوقات ؟

محمد رشاد خليل

مراجع وردت الإشارة اليها فى البحث

١ — (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم ، تقى الدين ، أبو العباس (٦٦١ — ٧٢٨) ١ — موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول — تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، وحامد الفقى — مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م . ٢ — الرد على المنطقتين — ادارة ترجمة السنة — لاهور باكستان ، ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

٢ — (ولفنسون) — اسرائيل — تاريخ اللغات السامية — مطبعة الاعتماد — القاهرة ، ١٩٣٩ .

٣ — (كرملى) انستاس مارى ، الاب — المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنة السامية — مطبعة الآباء — القدس ، ١٩٣٢ م .

٤ — (دكتور) تمام حسان — مناهج البحث فى اللغة — الانجلو المصرية — القاهرة ، ١٩٥٠ م .

٥ — (السيوطى) جلال الدين ، عبد الرحمن (— ٩١١ هـ) — المزهر فى علوم اللغة — الحلبى — القاهرة ، ١٩٤٥ م .

٦ — (ابن جنى) عثمان ، ابو الفتح (— ٣٩٢ هـ) — الخصائص — الهلال — القاهرة ، ١٩١٣ م .

٧ — (الأنبارى) عبد الرحمن ، كمال الدين ، أبو البركات (— ٥٧٧ هـ) — الانصاف فى مسائل الخلاف — ليدن ، ١٩١٣ هـ .

٨ — عبدالله أمين ـ الاشتقاق ـ لجنة التأليف ـ القاهرة ١٩٥٦

٩ — (دكتور) علي سامي النشار ومناهج البحث عند مفكري الإسلام دار المعارف مصر . ١٩٦٦

١٠ — (دكتور) على عبد الواحد وافي — اللغة والمجتمع — الحلبي — القاهرة ، ١٩٤٦ م .

١١ — (سيبويه) عمرو بن عثمان بن منبر ، ابو بشر (— ١٨٠ هـ) — كتاب سيبويه — الأميرية — القاهرة ، ١٣١٦ هـ .

١٢ — (دكتور) فؤاد حسنين — تاريخ اللغات السامية — كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

١٣ — (فندريس) ج — اللغة — تعريب الدواخلي والقصاص — مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة .

١٤ — (ابن دريد)محمد عبد الحسن ، أبو بكر (— ٣٢١ هـ) — جمهرة اللغة . حيدر أباد ، ١٣٤٤ هـ .

١٥ — (ابن منظور)محمد بن مكرم ، جمال الدين (— ٧١١ هـ) — لسان العرب ، الاميرية — القاهرة ، ١٣٠٠ هـ .

١٦ — (الجواليقي) موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ، أبو منصور (— ٥٤٠ هـ) المعرب من الكلام الأعجمي — دار الكتب — القاهرة ، ١٣٦١ هـ

الفينيقيون واسهاماتهم الحضارية

للدكتور حسن عبد العزيز أحمد
أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا - جامعة الرياض

من هم الفينيقيون ؟

لم تكن معلوماتنا عن هذا الشعب العظيم ، قبل الاكتشافات الأثرية التى اميط عنها اللثام فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، سوى اخبار نتعرف عليها من كتابات أقوام آخرين مثل الاغريق والرومان وغيرهم من الشعوب الاخرى التى كانت لهم علاقات وصلات مع الفينيقيين .

ولما كان معظم انتاج الفينيقيين الأدبى قد اندثر ولم يبق الا أقل القليل فليس من المستغرب اذن أن تشوه صورة الفينيقيين الى حد كبير فى المصادر اليونانية وغيرها . وعلى سبيل المثال يصف المؤرخ اليونانى « بلوتارخ »plutarch« » الفينيقيين بالاستبداد والحقد ، وفى القرن الثانى الميلادى نعتهم « أبيان »Appian« » اليونانى بأنهم قوم قساة جفاة فى حالة قوتهم ، واذا ما انتابهم الضعف فهم أذلاء ويتصفون بالخنوع [1] . ومن بين الذين كتبوا عن الفينيقيين نجد بعض المنصفين مثل « بومبونيوس الاسبانى »Pompnius« » الذى وصف الفينيقيين فى القرن الأول الميلادى فقال :

« ان الفينيقيين سلالة ذكية ، متفوقون فى الحرب والسلم ، وبارعون فى الكتابة والأدب والفنون الاخرى والملاحة والمعارك الحربية وفى ادارة امبراطوريتهم » . [٢]

وحتى الآن لم نعثر على وثائق فينيقية مكتوبة توضح لنا علاقات الفينيقيين بالشعوب الأخرى مثل المصريين والأشوريين ، أو أن تتبين لنا أساليب الفينيقيين التجارية مع جيرانهم ورحلاتهم البحرية والمناطق التى وصلوا اليها ومنجزاتهم الفنية والصناعية .

وهكذا ينبغى علينا كباحثين أن نتعامل مع ما نقرؤه عن الفينيقيين فى المصادر المختلفة بشىء من الحذر .

لقد عاش الفينيقيون على الشريط الساحلى الشرقى للبحر الأبيض المتوسط والذى يمتد من طرطوس شمالا حتى جبل الكرمل جنوبا . ولهذه المنطقة أهمية جغرافية كبرى حيث تقع بين مهدين من مهود الحضارات القديمة ، فالى الجنوب تقع مصر والى الشرق تقع بلاد ما بين النهرين ، وشغلت الرقعة التى عاش فيها الفينيقيون أجزاء من الهلال الخصيب وفلسطين وسوريا ولبنان . وتأثرت نتيجة هذا الموقع بالمؤثرات الثقافية من مصر وبلاد بابل .

ولقد أطلق الانجيل اسم الكنعانيين على السكان الذين كانوا يقطنون هذه الرقعة الساحلية التى شغلتها « فينيقيا » . وتاريخ وصول الفينيقيين الى تلك المنطقة غير معروف على وجه التحديد . ولكن الامر المؤكد ان هناك هجرات سامية من شبه الجزيرة العربية ومن منطقة الخليج العربي بالتحديد [٣] قد توالت صوب ساحل البحر الابيض المتوسط ، وقد تمت الهجرة السامية الأولى فى سنة ٢٣٥٠ ق.م تقريبا أى منذ أكثر من ثلاثة وأربعين قرنا ، وقد اتجهت هذه الهجرة صوب الشمال الى العراق وأسست دولة الأكاديين جنوبى العراق . أما الهجرة الرئيسية الثانية فتتمثل فى تدفق العموريين فى نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ، وفى نهاية العصر البرونزى اندفع الآراميون صوب بلاد الشام فيما يوصف بالهجرة السامية الرئيسية

الثالثة . ومن المؤكد ان هناك هجرات سامية اخرى حدثت قبل الهجرتين الساميتين الاخيرتين كما تؤكد الادلة الاثرية .

وتشير رسائل تل العمارنة انه فى مستهل القرن الرابع عشر قبل الميلاد اطلق سكان كنعان على أنفسهم الاسم الاكادى « كيناهو Kinahu أو كيناو Kinahu أو كيناهنا Kinahna » [٤] . وتعنى كلمة « كنعان » فى اللغة العبرية « التاجر » وتنطبق هذه الصفة تماما على الفينيقيين . [٥]

وفى حديثنا عن الفينيقيين نتساءل من أين جاءت هذه التسمية التى اشتهر بها هذا الشعب الكنعانى حتى طغت على اسمه الأصلى ؟

نوجز الآراء التى قيلت بصدد تفسير هذه التسمية على النحو التالى :

١ — هناك رأى يرى ان الاغريق الذين كانت لهم صلة بالفينيقيين فى أواخر الألف الثانية قبل الميلاد هم الذين أطلقوا هذه التسمية . ويرد ذكر « Phoenix » فى أشعار هومير ، ويبدو ان هذا الاسم يدل على اللون الأحمر الغامق أو البنى . ثم انتقلت التسمية الى شجرة النخيل Phoenix dactilifeva التى تتميز بثمارها الحمراء . وقد أطلق

الاغريق هده التسمية على الكنعانيين لانهم بشر ذوو بشرة بنية . (٦)
٢ — يعتقد بعض الباحثين ان اسم الفينيقيين قد اشتق من صبغة حمراء أو أرجوانية تستخلص من محارات أو أسماك بحرية هى Murex Whelk والتى كانت تستخدم فى صبغ الأقمشة الجميلة التى اشتهر الفينيقيون بصبغها . (٧)
٣ — استخدم الرومان تسمية « بونى Poeni » للدلالة على القرطاجيين وهذه التسمية اشتقاق لاتينى من الاسم الاغريقى الاصلى Phoenix . وقد كان الرومان يفرقون بين « اليونيين » الغربيين و « الفينيقيين » الشرقيين رغم اعترافهم بوحدة أصلها .
٤ — ويرى عبد الحق فاضل ان اسم فينيقيا مشتق من اسم الفينيقيين ، وأن اسم الفينيقيين محور من « بنى كنعان » ويعلل ذلك بأن اللاتين كانوا يسمون الفينيقيين والقرطاجيين Punicus كما تشهد بذلك المعاجم والمأثورات وأن القرطاجيين كانوا يسمون أنفسهم « بنى كنعان » كما تصرح بذلك رخامه (٨) عثر عليها فى البرازيل ، ومكتوب عليها باللغة القرطاجية عام ١٢٥ ق.م ما ترجمته بالعربية :
« هنا نحن بني كنعان من فرايم حملنا الحقارة ، أليس حراما أن نحصل هكذا » .
وقد أخذ اللاتين عن الاغريق صيغة التسمية Phoenices بالفاء ، ثم نتيجة الاحتكاك المباشر بالفينيقيين — بنى كنعان — وجدوا أن الأصوب أن تنطق بالباء لا الفاء فقالوا Punicus' Poenicus' Poeniceus'
و Poeni

كيف كون الفينيقيون دولتهم ؟

تتميز سهول ساحل البحر الأبيض المتوسط الشرقى ، حيث أقام الفينيقيون دولتهم ، بكثرة الكتل الجبلية المفرقة والتى تعوق استمرار الاتصال بين أجزائها ، وقد أدى ذلك الى قيام مجموعة من المدن كانت كل مدينة منها دولة قائمة بذاتها ، ويطلق على هذا النمط من الدول « الدولة المدينية » . وبطبيعة الحال كانت هذه الدول المدينية صغيرة وضعيفة عسكريا وغير مستقرة سياسيا وبمرور الزمن استطاعت بعض المدن القوية أن تفرض سيطرتها على المدن الأقل قوة حتى انتهى الأمر باتحادها .
ولما كانت فينيقيا تواجه البحر من الغرب وتواجه جبالا عالية من الشرق ، فقد اتجه

سكانها نحو البحر يعيشون على أسماكه في بداية الامر ثم اتخذوه سبيلا للتجارة مع الأقطار المطلة عليه حتى برعوا في هذا المجال وساعدهم على ذلك أمور نذكر بعضا منها : ألفتهم للبحر الذى عاشوا على شواطئه ، ووفرة أخشاب الأرز على الجبال المجاورة لهم مما مكنهم من استخدامها فى صناعة السفن ، وكان لصفاء السماء أثر كبير فى استعانة الفينيقيين بالنجم القطبى فى اسفارهم .

وقد سعت المدن الفينيقية الى استغلال موارد بيئتها المحيطة بها ، واختلفت عما يسود فى مجتمعات الدول المجاورة فى انها (أى المدن الفينيقية) كانت مجتمعات حضرية اقتصادياوسياسيا . وكانت جبلا Gubla (جبال الانجيل وجبيل الحديثة) أول مدينة تظهر في فينيقيا . وقد عرفت جبلا عند الاغريق باسم بيبلوس Byblos الذى اشتقت منه كلمة Bible « وتعنى كتابا » وذلك لأن مدينة بيبلوس كانت مركزا لأوراق البردى التى شاع استخدامها آنذاك فى الكتابة . (٩) وجدير بالذكر ان نشير الى أن مدينة بيبلوس هى المدينة الوحيدة التى لقيت اهتماما من علماء الآثار وحظيت بعدد من عمليات التنقيب . وقد ظهرت بعد بيبلوس مدن فينيقية أخرى مثل ارادوس (ارواد الحالية) ثم تلتها صور وصيدا .

علاقات الفينيقيين بجيرانهم :

تؤكد الادلة الأثرية التى عثر عليها وجود علاقات تجارية بين الفينيقيين وجيرانهم ، فقد ثبت اتصال (جبلا) بمصر القديمة قبل ان يتوحد الوجهان القبلى والبحرى في مملكة واحدة ، حيث كان الملوك المحليون يرسلون بعثاتهم الى لبنان للحصول على خشب الارز والتنوب الذى استخدم فى بناء السفن والمعابد والقصور ، وقد وجدت أقدم بقايا شجرالأرز فى هرم بناه سنفرو منذ أكثر من ٤٥٧٠ سنة (أى حوالى سنة ٢٦٠٠ ق.م) . وقد تم العثور كذلك على بعض الأوانى الفخارية الكنعانية فى قبور ترجع لنفس هذه الفترة . (١٠) وفى مقابل الاخشاب والفخار كان الكنعانيون او الفينيقيون يستوردون من مصر الذهب والبردى وبعض الادوات المعدنية ، واستمرت العلاقات التجارية بين مصر وساحل الشام وازدهرت برا وبحرا بعد ان أصبحت مصر امبراطورية ، وصارت بيبلوس وصور وصيدا أسواقا هامة ليس فقط لمصر بل ولدول الجزيرة العربية عبر « طريق البخور » . وارتبطت هذه المدن كذلك بمراكز التجارة والصناعة فى منطقة الهلال الخصيب .

ومعروف ان العلاقة التجارية والثقافية بين دول غير متكافئة فى قوتها تؤدى فى النهاية الى سيطرة الدول القوية وبسط نفوذها على الدول الضعيفة وهذا ما حدث بالفعل إذ أن المدن الفينيقية خضعت للنفوذ المصرى . وحينما اجتاح الهكسوس مصر السفلى سيطروا كذلك على فينيقيا لكن ذلك لم يدم طويلاً اذ أن المصريين طردوا الهكسوس واستعادوا فينيقيا التى أصبحت جزءا من امبراطوريتهم .

ويرد فى قوائم غنائم تحتمس الثالث الذى استولى عليها من بلاد الشام ، الاطباق والأوانى ، والمدى الذهبية ، والموائد المطعمة بالعاج والأبنوس والذهب ، مما يدل على دلالة واضحة على مستوى المعيشة المرتفع الذى كان يتمتع به الفينيقيون .

وفى بداية القرن الرابع عشر ق.م. سيطر الحيثيون والعموريون على فينيقيا ولم يستطع اخناتون فرعون مصر آنذاك من الوقوف فى وجه الحيثيين أو صد هجماتهم لانشغاله بدينه الجديد الذى وحد الالهة . وحينما ولى رمسيس الثانى حكم مصر اعاد نفوذها وسيادتها على

فينيقيا ولم يستمر طويلا لان قوة مصر أخذت في الضعف وتقلص نفوذها تدريجيا مما أتاح للمدن الفينيقية فى استعادة استقلالها .[11]

استقلال فينيقيا وتوسعها الاقليمى : (انظر الخريطة رقم ١)

بعد أن اضمحل نفوذ المصريين والحيثيين نعمت المدن ولمدة ثلاثة قرون (من ١٢٠٠ ق.م — ٩٠٠ ق.م) بفترة عمها السلم والازدهار والرخاء الاقتصادى . ولقد ساعد على استقرار المدن الفينيقية انها اختارت ملوكا يحكمون فى اطار ما يعرف بالحق الالهى مما أكسبهم هيبة دينية ونفوذا سياسيا . ولم تكن سلطة هؤلاء الملوك مطلقة بل عرفت هذه المدن مجالس لكبار الشخصيات تضم قباطنة السفن والتجار وعمداء العائلات الارستقراطية . وكان لهذه المجالس آراء يصغى اليها الملوك .

وقد تم فى بعض الفترات ظهور ائتلافات اختيارية بين بعض المدن إنبثقت من واقع المصالح الذاتية . ومما هو جدير بالذكر أن التنافس التجاري بين المدن والولاء للملك والتفانى فى مراعاة المصالح المحلية لكل مدينة كانت من الامور التى تحول دون ظهور وحدة حقيقية كاملة بين هذه المدن الفينيقية . وقد تضافرت مجموعة من الظروف الطبيعية مع العوامل البشرية السابقة فى بقاء هذه المدن دون ما وحدة جامعة تربط بينها ، ومن هذه العوامل كثرة الانهار التى تفصل بين اجزاء فينيقيا المختلفة ، والكتل الجبلية التي تعوق الاتصال ، ووجود بعض المدن التى اتخذت من الجزر القريبة من الساحل مقرا رئيسيا لها .

وعلى الرغم من الظروف السابقة فقد استطاعت بعض المدن من فرض اتحاد فيدرالى يجمع بين بقية المدن مثل :

١ — مدينة اوغريت Ugarit (راس شمرا الحالية) فى أواخر السادس عشر ق.م.

٢ — مدينة اردوس وجبلا فى القرن الرابع عشر ق.م.

٣ — مدينة صيدا فى القرن الثالث عشر ق.م.

٤ — مدينة صور فى القرن الحادى عشر ق.م.

ومن أشهر ملوك صور الملك حرام الاول Hiram I (حوالى القرن العاشر ق.م) وكان صديقا زحليفا للملك سليمان وهو الذى مد سليمان بالمعماريين وعمال البناء الذين أقاموا معبده فى مدينة القدس وشيدوا بحريته او اسطوله Navy على خليج العقبة فى تل الخليفى . (١٢)

وقد كان الاشوريون يتطلعون الى السيطرة على فينيقيا منذ اوائل القرن الحادى عشر ق.م. ، ولكن غزوهم الحقيقى لم يتم الا بعد قرنين من هذا التاريخ حينما تمكن « أشور ناصر بال الثانى » (٨٨٣ — ٨٩٠ ق.م) وابنه « شلمنصر الثالث » (٨٥٨ — ٨٢٤ ق.م) من السيطرة على سوريا ، وكان خضوع الفينيقيين للغزاة الجدد خضوعا اسميا تجسد فى دفع جزية لهم ، وظل هذا الخضوع الاسمى احيانا والتام في أحيان أخرى حتى جاك شلمنصر الخامس الذى فرض ضرائب باهظة على ارادوس وبيبلوس وصور . ثم خضعت صور « لسناخريب » عام ٧٠١ ق.م وجاء ابنه « اسارهدون » الذى دمر مدينة صور تماما فى عام ٦٢٥ ق.م ، وتلا ذلك اكتساح « أشور بانيبال » المدينة عام ٦٦٤ ق.م ، وهكذا ضاعت آمال الفينيقيين فى حكم بلادهم وتبددت احلامهم امام هجمات هذا الجيش القوى . وحينما سقطت نينوى على يد البابليين عام ٦١٢ ق.م. انهارت دولة الأشوريين وظهرت

قوة البابليين الذين رأوا أنهم ورثة الاشوريين فى الساحل الفينيقي ، فشنوا هجوما على هذه المنطقة بقيادة « نيو ختنصر الثانى » واحتلوا بيت المقدس ، لكن مدينة صور قاومت باستبسال لمدة ثلاثة عشر عاما قبل ان تخضع نهائيا للبابليين عام ٥٣٣ ق.م. الذين تمكنوا من بسط نفوذهم على تلك المنطقة . لكن سيطرة البابليين لم تدم طويلا حيث تمكن والفرس من الاستيلاء على ممتلكات البابليين فى سوريا وفينيقيا التى قسموها الى ولايات وجعلوا عاصمتها صيدا . وقد استفادت فينيقيا ماديا من هذا الوضع الجديد حيث اتسع مجال تجارتها . وعندما اندلعت الحرب بين الفرس واليونانيين وقف الفينيقيون باخلاص الى جانب الفرس وعاونوهم وزودوهم بسفن من أساطيلهم . وبسبب صلف حكام الولايات من الفرس وارهاق الفينيقيين بالضرائب وبدأت حركات التمرد وقادت مدينة طرابلس اول انتفاضة ضد ظلم الحكم الفارسي وتبعتها بقية المدن ، ولكن هذه الانتفاضة لم تدم طويلا اذ استطاع الفرس تدمير صور وصيدا عام ٣٥٠ ق.م. تقريبا . ثم جاء الاسكندرالمقدونى ليضع نهاية للحكم الفارسى الذى دام قرنين من الزمن .

ولقد رحبت المدن الفينيقية (ارادوس وبيبلوس وبيروت وصور) بالحكم اليونانى الا مدينة صيدا التى أبت أن تخضع للمستعمر كعادتها وصممت على مقاومته ، ولكن ذلك الموقف لم يرض الاسكندر فصمم ان يجعل منها عبرة ومثلا لسائر المدن فحاصرها لمدة سبعة أشهر حتى استسلمت ، وكان ثمن صمودها حيث أباد الاسكندر ثمانية آلاف من سكانها وباع ثلاثين ألفا منهم كأرقاء . (١٣)

وبعد وفاة الاسكندر الاكبر اصبحت فينيقيا جزءا من المملكة السورية تحت حكم سلوقس Seleucid ، وفى عام ٦٤ ق.م. حل الحكم الرومانى محل الحكم السلوقى وفقدت المدن الفينيقية استقلالها وشخصيتها وذابت فى كيان الامبراطورية الرومانية .

أهم اسهامات الفينيقيين الحضارية :

تتمثل أهم الاسهامات الحضارية الفينيقية فى المجالات الآتية :

١ — ابتكار الحروف الابجدية .
٢ — التفوق الملاحى والكشوف الجغرافية .
٣ — انشاء المستوطنات والموانىء الساحلية .
٤ — المهارة التجارية .
٥ — النبوغ فى مجال صناعات عديدة .
٦ — التفوق فى مجالات حضارية اخرى .

أولا : ابتكار الحروف الابجدية :

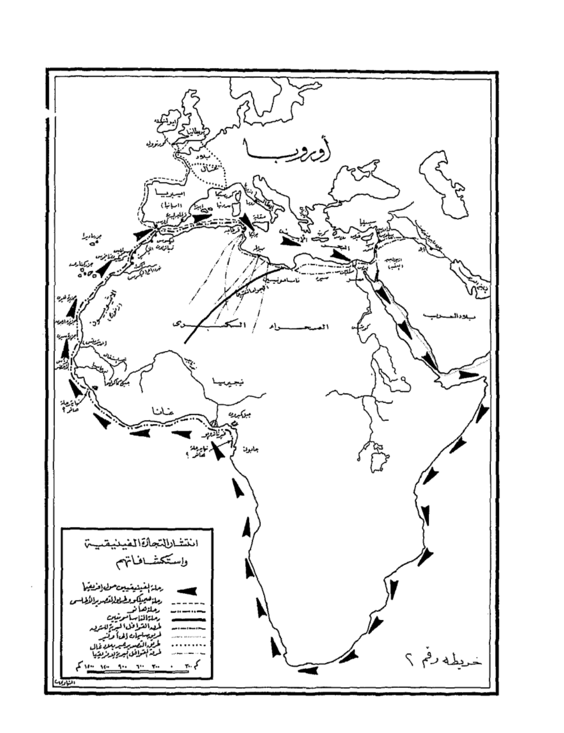
وترد فى الانجيل اشارات عن تجارة الفينيقيين الاولية ، وذلك فى المعاملات التجارية بين « حرام العظيم » ملك « صور » وبين « داود » و « سليمان » والتى كانت تتكون من شحنات من أشجار الارز مصحوبة بنجارين وبنائين لبناء منزل « لداود » وكذلك « لسليمان » الذى كان يعطى « حرام » مقابل ذلك ألف معيار من القمح وعشرين معيارا من الزيت كل سنة . ثم قام « حرام » بمساعدة « سليمان » بالاهتمام بشؤون تجارة البحر الأحمر ، وذلك بتمويله بالسفن والربابنة الذين أبحروا الى أوفير Ophir (فى الهند ؟) وجلبوا منها الذهب .(٣٢)

وترد اشارات عن شهرة الفينيقيين التجارية فى المصادر الاغريقية ابتداء من الالياذة والاوديسا فنازلا . ويبدو ان حركة النقل التجاري بين فينيقيا وبلاد اليونان قد تقلصت تماما أثر ازدهار التجارةالإغريقيةفى القرن الثامن ق.م ، مما أدى الى تناحر بين الدولتين المستعمرتين بلغ أوجه عام ٤٨٠ ق.م ، بهزيمة « قرطاجة » على يد الاغريق . وقد لقى الفينيقيون المنافسة الاغريقية أيضا فى اسبانيا ولكنهم استطاعوا استعادة نفوذهم بطرد الاغريق من الساحل الجنوبي الشرقى لشبه الجزيرة .(٣٣)

وبالاضافة الى تجارة الفينيقيين فى المواد الخام مثل الأخشاب من لبنان والمعادن من الغرب والصبغة الارجوانية التى اشتهروا بها ، فانهم كانوا يتاجرون أيضا بالبضائع المصنعة مثل الأقمشة والمنتجات الزراعية والأدوات المعدنية بجانب دورهم كوسطاء فى بعض الأحيان فى نقل البضائع الاغريقية والمصرية . وتشيرالى ذلك المخلفات التى عثر عليها فى « قرطاجه » من التمائم والقلائد المصنوعة فى مصر والتى وجدت بكميات كبيرة وتنتمى زمنيا لفترة حكم الاسرة السادسة والعشرين . ويبدو ان البضائع المصنوعة فى مصر قد اخذت تقل بعد نهاية القرن السادس ق.م ، وأخذت تحل محلها منتجات المصانع الفينيقية فى الغرب أو « قرطاجة » نفسها .(٣٤)

ومن المحتمل ان الفينيقيين والاغريق كانوا يتاجرون مع ايطاليا ، لأن وجود بعض البضائع الفينيقية مثل الزجاج والقلائد ، والمصنوعات العاجية الخ .. تدل على وجود صلة بين هؤلاء وبين المستعمرات الاغريقية في ايطاليا . ولأنه من المستبعد أن تكون هذه البضائع قد وصلت على متن السفن الاغريقية او حملها الاترسكيون الذين لم تكن لهم صلات تجارية مع مدن الساحل الشرقى للبحر الابيض المتوسط ، فيمكن الافتراض بأن الفينيقيين أنفسهم هم الذين أتوا الى هنالك. ومعروف أيضا من نص المعاهدة التى وقعت بين « قرطاجة » و « روما » عام ٥٠٩ ق.م ، ان الاولى كانت لها مصالح تجارية فى أواسط ايطاليا . وبموجب هذه المعاهدة التى حددت مناطق النفوذ السياسى والتجارى بينهما ، وافقت « قرطاجة » على عدم الحاق الضرر بمدن رومانية معينة وعدم اقامة قلعة فى لاتيوم Latium (٣٥)

وكان للفينيقيين صلات تجارية مع دول أخرى .. مثل « اوفير Ophir » (التى لم يحدد موقعها بالضبط .. ويرجح انها في الهند) وفى افريقيا عن طريق البحر الاحمر . اما فينيقيو « قرطاجة » فقد أنشأوا صلات تجارية عن طريق البر والبحرمع المناطق الواقعة جنوب


أوروبا
بريطانيا
ايبيريا
(اسبانيا)
كورسيكا
سردينيا
صقلية
قرطاجة
سيناء
مصر
بلاد العرب
الصحراء الكبرى
ناسامونيين
نيجيريا
غانا
جابون
انتشار التجارة الفينيقية
واستكشافاتهم
رحلة الفينيقيين حول إفريقيا
رحلة هيميلكو وطريق القصدير الأطلسي
رحلة هانو
رحلة الناسامونيين
طريق القوافل البرية الشرقية
طريق القصدير عبر بلاد غال
طرق القوافل البرية إلى إفريقيا
كم ٣٠٠ ٠ ٣٠٠ ٦٠٠ ٩٠٠ ١٢٠٠ ١٥٠٠ كم
خريطه رقم ٢

الوصول الى الاراضي الزراعية الغنية في سوريا . وكانت الغابات التى تغطى هذه الجبال مصدرا لأخشاب الارز والتنوب التى اعتمدت عليها صناعة السفن . ومعروف ان الساحل الفينيقى تكثر به التعاريج مما أتاح قيام الموانىء الجيدة كما كان ضيق الاراضى الزراعية دافعا لهم للاتجاه نحو الصناعة والبحر .

لكل هذه الاسباب الف الفينيقيون ركوب البحر وقاموا برحلات عديدة واستكشافات مثيرة .

وقد أبحر الفينيقيون فى البحر الابيض المتوسط ولكننا لا نستطيع ان نطلق على هذه الرحلات بانها استكشاف وذلك لان طرق الملاحة الرئيسية في هذا البحر كانت معروفة ومطروقة منذ العصر البرونزى ان لم تكن قبل ذلك . ولكى نقف على اسهام الفينيقين فى الكشف الجغرافى يجب ان ننظر الى ما وراء هذا البحر .. ومن حسن الحظ ان هناك اشارات وردت في بعض قصص الكتاب القدماء تساعدنا في التعرف على منجزاتهم في هذا المضمار [١٦] وهى ثلاث رحلات قاموا بها فالمؤرخ هيرودوت مثلا يصف لنا كيف استطاعت فئة من الفينيقيين بإيعاز من فرعون ومصر نخاو الثانى (٦٠٩ = ٥٩٣ ق.م) الإبحار عن طريق البحر الأحمر لندور حول افريقيا فى رحلة استغرقت ثلاثة أعوام كانوا خلالها يتوقفون كل عام لزراعة المحاصيل وحصدها للحصول على المؤن الغذائية ثم يعاودون السير [١٧] . وهذه القصة لقيت قبولا عند مثير من المعلقين المحدثين وذلك استنادا على الكلام الذى ورد على لسان الرحالة أنفسهم بأنهم عندما كانو يبحرون حول ليبيا (افريقيا) كان موضع الشمس على يمينهم [١٨] .

اما الرحلتان الأخريان فهما : رحلة « هانو Hanno «» الذى ذهب حتى غرب افريقيا ثم رحلة هيملكو Himilco الذى أبحر شمالا حول شبه جزيرة ايبريا . ولأن اخبار هاتين الرحلتين لم يرد ذكرهما فى كتابات « هيرودوت » الذى كتب عن الرحلة حول افريقيا المشار اليها آنفاً ، فمن المرجح ان الرحلتين لم تحدثا حينذاك بل حدثتا حوالى عام ٤٢٥ ق.م أو فى وقت لاحق بقليل . ومعرفتنا برحلة « هانو » أكثر من معرفتنا برحلة « هيملكو » لان وصف هانو القصير عن رحلته قد حفظ لنا فى ترجمته الاغريقية ، فى حين ان رحلة « هيملكو » لا نعرف عن تفاصيلها الا ما تضمنه كتاب « » Ora Maritima « » للكاتب الجغرافى الرومانى « افينوس Avienus « » الذى كتب فى القرن الرابع ق.م ويرد ذكر الرحلتين أيضا عند « بلينى الاكبر Pliny « » الذى أبدى شكوكه في صدق رحلة هانو . وقد بوشرت الرحلتان عندما كانت قرطاجة تحاول جاهدة تقوية وتدعيم مصالحها فى الغرب خاصة بعد المنافسة الاغريقية التي عاقت تقدمها فى بسط نفوذها على الاماكن القريبة منها .

وربما كان الغرض من رحلة « هيملكو » هو فتح « طريق القصدير » الغربى لان الكميات المستخرجة من مناجم اسبانيا لم تعد تكفى لسد احتياجات الدولة . ولعدم وجود مصادر اخرى عن هذه الرحلة غير اقتباس « افينوس » لقصة عمرها ثمانمئة سنة فاننا لا نستطيع تحديد الاماكن التي وصل اليها « هيملكو » فى رحلته هذه على وجه الدقة ولا اين انتهت ، ولكن

من بعض اسماء الاماكن التى وردت فى الكتاب نستطيع ان نستخلص بأن « هيملكو » واصل رحلته بدون توقف عبر القنال الانجليزى حتى «كورنول» فى جنوب غربي بريطانيا ممهداً بذلك الطريق لقرطاجة لتشارك فى تجارة القصدير البريطانى مع تجار البحر الأبيض الآخرين الذين كانوا ينقلونه على الطريق البرى عبر بلاد الغال(فرنسا) . (١٩)

وليس هناك دليل أثرى مباشر يؤكد اتصال الفينيقيين ببريطانيا فى ذلك الوقت مما يؤيد قصة « هيملكو » ، ولو أن هناك عدداً من مخلفات أثرية ترجع للعصر الحديدى وجدت فى كورنول تشير الى وجود اتصالات ايبرية ، والنقود القرطاجية التى وجدت فى بريطانيا تنتمى الى فترة لاحقة ولا تعنى بالضرورة وجود اتصال مباشر بين البلدين . (٢٠)

أما بالنسبة لرحلة « هانو » فالوضع يختلف تماما . فالمخطوطة الوحيدة الباقية لا يتعدى عمرها الزمنى القرن العاشر الميلادى ، وتعرضت للتحريف نتيجة النقل الكثير . ورغم ذلك فالقصة تعرضت للتعليق من قبل كثير من الكتاب المحدثين لطرافتها والتفاصيل التى اشتملت عليها . وقد تقبل معظم الكتاب القصة الاساسية ولكنهم اختلفوا فيما بينهم فى تعريف وتحديد الاماكن التى ذكرها « هانو » وفى أقصى نقطة وصل اليها فى رحلته . فالقصة تنقصها الدقة ومليئة بالتناقضات . وقد قيل فى تفسير ذلك بأن « هانو » ربما لجأ الى ذلك للتمويه ولتضليل أعداء « قرطاجة » وتخويفهم حتى لا يتبعوا أثره وينافسوهم فى خيرات البلاد التى اكتشفوها . (٢١)

ويجرى نص القصة كالآتى :

« هذه هى قصة رحلة هانو (ملك القرطاجيين) الطويلة فى البلاد الليبية التي تقع فيما وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) والتى أهداها على لوحة إلى معبد كرونوس : — (٢٢)

١ — قرر القرطاجيون ان يبحر هانو الى ما وراء أعمدة هرقل ويؤسس مدنا فينيقية — ليبية . وفعلا أبحر «هانو» فى ٦٠ سفينة وفى رفقة ٣٠٠٠٠ رجل وامرأة مع كل الامدادات والمؤن والضروريات .

٢ — وبعد أن أبحروا فيما وراء الاعمدة لمدة يومين قمنا بانشاء أول مدينة أطلقنا عليها اسم « تمياتيريون « Thymiaterion » فى ربوة وفى أسفلها كان يقع سهل فسيح .

٣ — ومن هناك أبحرنا غربا حتى وصلنا « سولويس « Soloeis » وهى عبارة عن ربوة أو قمة جبلية ناتئة تغطيها الاشجار وعليها انشأنا معبد « بوسيدون « Poseidon » .

٤ — ثم واصلنا الرحلة شرقا لمدة نصف يوم حتى وصلنا بحيرة قريبة من البحر يغطيها دغل من القصب الطويل تقتات عليها الافيال وحيوانات أخرى مفترسة .

٥ — وبعد مسيرة يوم واحد من هذه البحيرة أنشأنا مدنا ساحلية تحمل الاسماء الآتية : « كريكون تايخوس « Krikon Teichos » و « غايت « Gytte » و « أكرا « Akra » و « مليتا « Melitta » و « أرامبيس « Arambys » .

٦ — ومن هناك واصلنا السير حتى وصلنا النهر الكبير « ليكسوس Lixos » الذى ينبع من ليبيا وعلى جانبيه يرعى الرعاة الذين يدعون « الليكسيت « Lixitae » قطعانهم ، وقد قضينا فترة معهم وأصبحنا أصدقاء .

٧ — والى الداخل من موطن « الليكسيت » يقطن الاثيوبيون غير المضيافين فى أرض تعج بالحيوانات المتوحشة وتحيط بها جبال عظيمة ، ويقول هؤلاء بأن نهر « ليكسوس » ينبع من هناك ، وانه يعيش وسط هذه الجبال ساكنو الكهوف Troglodytes : قوم ذوو مظاهر غريبة ويجرون أسرع من الخيول على حد زعم « الليكسيت » .

٨ — وبمساعدة مترجمين من « الليكسيت » أبحرنا جنوبا على طول الساحل الصحراوى لمدة يومين ، ثم ابحرنا شرقا لمدة يوم واحد ووصلنا جزيرة محيطها خمسة استاديا (حوالى ٥ كم) وتقع فى الطرف الآخر من الخليج وعليها أنشأنا مستوطنا اطلقنا عليه اسم « سيرن Cerne » ، التى تقع على حسب تقديرنا مقابل قرطاجة مباشرة لان المسافة من قرطاجة الى أعمدة هرقل ومن هناك الى سيرن تبدو متساوية .

٩ — ومن هنا أبحرنا فى نهر كبير يسمى « شرتيس Chretes » حتى وصلنا بحيرة بداخلها ثلاث جزر اكبر مساحة من سيرن . وبعد مسيرة يوم كامل وصلنا الى نهاية البحيرة ، وتشرف عليها جبال عالية تزخر باناس متوحشين يلبسون جلود حيوانات متوحشة وقد أخذوا يرموننا بالحجارة وأفلحوا فى طردنا ومنعنا من الارساء على البر .

١٠ — ومن هناك واصلنا الابحار حتى وصلنا الى نهر آخر واسع يعج بالتماسيح وفرس البحر ، ثم قفلنا عائدين الى « سيرن » .

١١ — ومن « سيرن » أبحرنا جنوبا لمدة اثنى عشر يوما على مقربة من الساحل الذى كان يقطنه الاثيوبيون الذين كانوا يهربون منا وكانوا يرطنون بلغة لم يستطع حتى « الليكسيت » فهمها .

١٢ — وفى آخر يوم ألقينا مراسينا قرب جبال عالية تكسوها أشجار ذات أوراق مبرقشة ولها رائحة ذكية .

١٣ — وبعد أن أبحرنا حول هذه الجبال لمدة يومين وصلنا خليجا كبيرا يحف به على الجانبين سهل تغطيه بالليل نيران صغيرة وكبيرة توقد على مسافات معينة .

١٤ — وبعد ان تزودنا بالماء من هنا أبحرنا لمدة خمسة أيام على طول الساحل حتى وصلنا خليجا أطلق عليه مترجمونا اسم « القرن الغربى Horn of the West » وكانت به جزيرة كبيرة بها بحيرة مالحة وبداخلها جزيرة اخرى صغيرة رسونا عليها . وأثناء النهار لم تقع أبصارنا الا على غابات مترامية الاطراف ، وعند الليل رأينا نيرانا تشتعل وسمعنا أصواتا مبهمة تصحبها دقات الطبول وعزف الناى . وقد تملكنا الخوف وغادرنا الجزيرة بعد أن نصحنا العرافون بذلك .

١٥ — ومن هنا أبحرنا بسرعة وطفنا حول ساحل مفعم برائحة البخور المحترقة ، وكانت انهار الحمم النارية تشق طريها الى البحر ولم تستطع الاقتراب من اليابسة لشدة الحرارة .

١٦ — وعلى عجل غادرنا ذلك المكان وأبحرنا لمدة أربعة أيام كنا خلالها نرى النيران وهى تتصاعد في الليل يتوسطها لهيب طويل يكاد يصل عنان السماء ، وعند النهار عرفنا انه جبل عال يطلق عليه « عجلة الالهة Chariot of the Gods » .

١٧ — ولقد واصلنا الابحار على طول ساحل ملتهب مليء بالحمم لمدة ثلاثة أيام حتى

وصلنا خليجا يسمى « القرن الجنوبى Horn of the South » « » .

١٨ — وفى الطرف البعيد من هذا الخليج ظهرت جزيرة فى وسطها بحيرة وبداخلها جزيرة تعج بالمتوحشين كان أكثرهم اناثا ذوات أجسام مغطاة بالشعر عرفها المترجمون بالغوريلا . وقد قمنا بمطاردتهم ولكننا لم نستطع القبض على الذكور الذين تسلقوا الصخور وفروا بعيدين وهم يرموننا بالحجارة ، ولكننا استطعنا القبض على ثلاث اناث لأنهن لم يقاومن بشراسة . وقد قمنا بقتلهن وأتينا بجلودهن الى قرطاجة . وتوقفنا عن الابحار هنا لنفاذ مؤننا » .

الى هنا ينتهى نص القصة ...

هناك اتفاق عام حول تحديد ومطابقة المواضيع التى ذكرها « هانو » ليكسوس الذى اتفق على أنه « وادى دراع Draa » « » جنوبى المغرب . أما « الليكسيت » فيبدو انهم « البربر » فى حين ان « الاثيوبيين » زنوج كما تعنى كلمة « اثيوبيا » فى اللغة الاغريقية . واستخدام « الليكسيت » كمترجمين يوضح الى حد ما معرفة هؤلاء بالاقاليم الواقعة الى الجنوب من منطقتهم . اما تحديد موقع « سيرن » التى أسسها « هانو » على مسافة ثلاثة أيام من نهر « ليكسوس » فهو مهم جدا لانها تمثل أبعد مستوطنة دائمة للفينيقيين على ساحل غرب افريقيا ورد ذكره على لسان الكتاب القدماء . وقد افترضت ثلاثة تحديدات لموقع « سيرن » :

١ — جزيرة هيرن Herne مقابل الصحراء (الاسبانية سابقا) .

٢ — جزيرة ارقوين Arguin على مسافة ٢٠٠ ميل من جزيرة هيرن .

٣ — جزيرة غير محددة بدقة قرب دلتا نهر السنغال .

ويتفق معظم المصنفين المحدثين أن نهر « شريتس » هو نهر السنغال . وقد استبعد ان يرجع « هانو » الى « هيرن » بعد ان وصل الى نهر السنغال ولذلك يرجح ان يكون موضع « سيرن » قرب مصب نهر السنغال ، ونجد بعض التأييد لهذا الرأى فى وصف حركة النقل والتجارة فى « سيرن » الذى ورد فى كتابات « سكايلاكس Scylax » الذى تكلم عن « مدينة كبيرة كان الفينيقيون يبحرون اليها » . وهذا الوصف ينطبق على مدينة نهرية ... ولا يوجد نهر صالح للملاحة قرب جزيرتى « هيرن » و « أرقوين » . وبالاضافة الى ذلك فان هذا الساحل الصحراوى المقفر ليس بالمكان الذى تقام فيه مستوطنات لتدعيم علاقات تجارية مع منطقة آهلة بالسكان . ويعتقد ان ما فعله « هانو » هو أنه أبحر فى فرع من فروع نهر السنغال فى اتجاه المنبع ورجع عن طريق آخر نحو مصبه ووجد النهر يعج بالتماسيح وأفراس البحر .

أما النتوء الجبلى المكسو بالاشجار فقد يكون « الرأس الأخضر Cape Verde » « » ويمثل الخليج الكبير مصب نهر غامبيا » .

ويدب الخلاف بين الكتاب عن آخر نقطة وصل اليها الرحالة هانو : بعضهم يقولون بأنه وصل الى « الكميرون » أو حتى « جابون » فى حين يحدد آخرون « سيراليون » كآخر نقطة

وصل اليها . وهذا الفريق الأخير يستند فيما ذهب اليه على نقطتين أساسيتين :
الأولى :
قلة الرياح في خليج غينيا والحرارة الشديدة والتيارات العكسية مما يجعل التجديف مرهقا وصعبا خاصة لمسافات طويلة .
والثانية :
التواقيت الزمنية التى يذكرها « هانو » تتناقض مع رحلة طويلة كهذه .
أما الذين يرجحون الرحلة الطويلة (الى الكميرون وجابون) فيستندون فى حججهم على الآتى :
ان جبل « الكميرون » وهو جبل بركانى مرتفع (١٣٫٣٧٠ قدم) يطابق حسب الوصف « عجلة الالهة » أكثر من جبل « كاكوليما » (٢٫٩١٠ قدم) فى غينيا . [٢٣]
أما عن النشاطات الفينيقية فى استكشاف جزر المحيط الاطلسي فالأدلة عليها قليلة جدا . ولكننا لا نستبعد ان يكون الفينيقيون على معرفة بجزر « ماديرا » و « كنارى » لقربها من الساحل الافريقي الذى أنشأوا عليها مستوطنات تجارية لهم . والمرجع القديم الوحيد هو رواية « ديودورس » عن سفينة ضلت طريقها فى المحيط الاطلسى بسبب الرياح الشديدة ورست فى جزيرة ذات مناخ طيب — ربما تكون « ماذيرا » . ويذكر « ديودورس » أيضا كيف أن الأترسكيين Etruscans حاولوا تأسيس مستوطن لهم هناك ولكن القرطاجيين منعوهم من ذلك .. ولكن لم يعثر على مستوطنات فينيقية فى جزيرة « ماديرا » حتى الان . [٢٤]
أما جزر « كنارى » فهى قريبة جدا من الساحل الافريقي لدرجة اننا لا نستبعد معرفة الفينيقيين بها ، وان كان بقاء حضارة قبيلة « الجوانش Guanche » كما هى فى بدائيتها وتأخرها حتى القرن الخامس عشر الميلادى وبدون أى تغيير يدل على عدم احتكاكهم بحضارات أجنبية . ومن المحتمل أيضا ان الفينيقيين وصلوا جزر « الازور » ، فقد عثر فيها فى عام ١٧٤٩ على ثمانى قطع نقود بونية تنتمى الى القرنين الرابع والثالث.م ولكنها فقدت . [٢٥] ولكن يجب ألا نعلق أهمية كبرى على هذه العملات الا من الناحية الاستكشافية ... فاذا كانت الجزر القريبة من الساحل الافريقى مثل « ماديرا » و « كنارى » خالية من المستوطنات الفينيقية فمن المستبعد أن نبحث عن هذه المستوطنات فى جزيرة بعيدة مثل « الازور » .
أما بالنسبة للاستكشافات البرية عبر الصحراء الكبرى فالاشارة الوحيدة لها هى ما ورد فى قصة كاتب يونانى يدعى « اثينيوس » (حوالى عام ٢٠٠ ق.م) ذكر بأن قرطاجيا يدعى « ماغو Mago » عبر الصحراء ثلاث مرات .. بدون ماء ! [٢٦] ورغم ما فى القصة من مبالغات فاننا يجب ان لا نستبعد اغراءات ثروات افريقيا للتجار الفينيقيين واحتمالات تجهيز رحلات تجارية عبر الصحراء للحصول على هذه الثروات اما بأنفسهم أو بواسطة وسطاء مثل الجرمانتيين Garamates الذين كانوا يقطنون المنطقة الخلفية لمدينة طرابلس الحالية . ويذكر « هيرودوت » أن خمسة ناسمونيين Nasamones قد عبروا الصحراء ووصلوا

مدينة يسكنها زنوج أقزام ، ونهرا يجرى من الشرق الى الغرب وتكثر فيه التماسيح . (٢٧) وربما يكون نهر النيجر . وكانت هناك طرق برية تربط بين قرطاجة ومصر .

ويعتبر الفينيقيون أول من أبحروا فى المحيط الأطلسى ، وأول من استوطنوا فى جزيرة « سردينيا » وأسسوا بها خمسة مستوطنات وذلك حوالى عام ٨٠٠ ق.م. كما أنهم أول من استعانوا بالنجم القطبى North Star فى الابحار ليلا مستخدمين جداول المسافات . وقد اطلق الاغريق ، الذين تعلموا فن الملاحة من الفينيقيين ، على هذا النجم اسم « النجم الفينيقي » وقد طور الفينيقيون سفنهم الشراعية حتى تتمكن من الابحار بعيدا عن الساحل ولمسافات طويلة فى رحلاتهم التجارية .

ثالثا : إنشاء المستوطنات او المستعمرات :

يرجع تاسيس المستعمرات الى فترة الاستقلال الفينيقي ، وربما دفع الغزو الاشورى الفينيقيين الى الاسراع فى اقامة المستعمرات بالاجزاء الغربية من حوض البحر الأبيض المتوسط في محاولة لايجاد مرافىء آمنة وأسواق جديدة . ويبدو ان هذه العملية بدأت حسب قول « بلينى وديودورس وسيليولوس » فى أواخر القرن الثانى عشر ق.م ، على ان الفترة ما بين القرن العاشر والسابع ق.م هى التى شهدت اقامة معظم المستعمرات (٢٨) فى حوض البحر الابيض المتوسط ابتداء من سيلسيا (جنوب تركيا) ومصر عبر اليونان وصقلية الى جنوب بلاد الغال (فرنسا) واسبانيا وشمال افريقيا وقبرص ومالطة وابرزا وسردينيا ، وما زالت بعض هذه المستعمرات تحمل الاسماء السامية مثل : قادس فى اسبانيا (بمعنى حائط) وبوتيكا (المدنية القديمة) وقرطاجه (المدينة الجديدة) ومالطه (ربما سامية بمعنى مأوى) وتربط اسطورة يونانية مدينة (كورنث) باله من أصل « صورى » يدعى « ملكارت Melkarth » وان زائرا صوريا يدعى «كادموس Cadmus » (بمعنى القادم الجديد) أتى بالحروف الابجدية وأنشأ « طيبة » ثم واصل سيره للبحث عن اخته « أوروبا » التى اشتقت القارة اسمها منها . (٢٩)

وأشهر المستوطنات الغربية هى « قرطاجة » وقد تم تأسيسها حوالى عام ٨١٤ ق.م على يد مستوطنين من « صور » ، وقد أخذت « قرطاجة » تقوى سياسيا وتجاريا حتى فرضت سيادتها على جزء كبير من شمال افريقيا وجنوبى اسبانيا ، وأصبحت منافسا خطيرا للمدينة الناشئة آنذاك روما ، وعندما أخذت « صور » تعانى سياسيا وتجاريا من التوغل الاشورى الزاحف والتنافس الاغريقى المتزايد ، اخذت قرطاجة دور الحامى للمستعمرات الفينيقية المجاورة لها وهكذا ازداد نفوذها حتى امتدت امبراطوريتها من ليبيا حتى أسبانيا .

وقد بلغ مجموع المستوطنات الفينيقية خمسين مستوطنة على أقل تقدير ، وتتفاوت هذه المستوطنات من محطات تجارية صغيرة الى مدن كبيرة مثل قرطاجة وقادس وقرطاجة الجديدة فى اسبانيا ، ولما كان الهدف من وراء تأسيس هذه المستعمرات تجاريا فى المقام الأول فان هذه المستوطنات لم تشهد هجرات على مستوى كبير من الوطن الأم ــ فينيقيا .

رابعا : مهارة الفينيقيين التجارية :

بدأت تجارة القوافل فى الشرق الأدنى — على حسب ما ورد فى الانجيل — فى وقت مبكر . وكانت تأتى بالعاج والرقيق والحبوب والماشية والذهب من افريقيا الى آسيا وترجع محملة بالمعادن والمنتجات المعدنية والأقمشة الى مصر ، وكانت البضائع الخفيفة الوزن تنقل برا على ظهور الدواب بينما كانت الطرق البحرية الساحلية والنهرية تستخدم — كلما سنحت الفرصة — لنقل البضائع الثقيلة مثل الخشب . (٣٠)

وتوضح النقوش الاشورية سفنا نهرية صغيرة يقودها فينيقيون وهى تفرغ حمولتها من الخشب فى بلاد ما بين النهرين ، ولكننا لا ندرى كيف وصلت السفن الى هناك وربما تكون الأخشاب قد انقلبت براً من الأجزاء الدنيا من نهر العاصى أو عن طريق البحر الى « طرسوس » (فى تركيا) ومنها الى بلاد ما بين النهرين عبر الطريق الرئيسي من آسيا الصغرى .

ويرد ذكر التجار الكنعانيين من « بيبلوس » فى الكتابات المصرية ابتداء من المملكة القديمة فصاعدا ، وليس من المستبعد ان تكون الملاحة والتجارة والتبادل الفكرى قد استمر بين المنطقتين بدون انقطاع حتى استقلال فينيقيا . وقد كانت الامبراطوريتان المصرية والأشورية تشجعان هذه التجارة لما يعود عليهما من فوائد اقتصادية ، وما من شك فى أن المدن الساحلية قد تركت لتمارس هذه التجارة بحرية وبدون تدخل من هاتين القوتين . ولكن المغامرات البحرية الفينيقية الطويلة لم تبدأ إلا بعد حوالى ١٢٠٠ ق.م ، حين انهزم المينويون والما يسينون الذين كانوا يسيطرون على تجارة الحوض الشرقى للبحر الابيض المتوسط ، ومنذ فترة كانت المدن الساحلية الفينيقية تتحين الفرصة لتنطلق بتجارتها الناشئة الى آفاق جديدة نحو الغرب : فسكان بحر ايجه المهزومون كانت لهم صلات تجارية قوية بجنوب ايطاليا وصقلية وجزر البحر التيرانى كما ان أخبار ارسابات المعادن الغنية فى اسبانيا (حديد وقصدير) وبريتانى وبريطانيا (قصدير) كانت شائعة فى ذلك الوقت . وقد أعانهم فى اقامة الصلات التجارية الجديدة التجار المايسنين الذين استوطنوا فى المدن الفينيقية . (٣١)

ومن المحتمل ان الهجرات الفينيقية الاولى كانت لغرض التجارة أكثر منها للاستيطان والاستعمار .. ورغم ان التوغل العبرى Hebrews قد أدى الى ازدحام سكانى فى هذه المنطقة الساحلية ، مما أدى الى هجرة بعض السكان الاصليين من الكنعانيين شمالا نحو المدن الفينيقية فمن المستبعد أن تكون هذه الزيادة السكانية قد جاءت نتيجة لاستيطان المستعمرات الكثيرة التى انشئت فى البداية كما تصورها المصادر القديمة . واذا استثنينا بعض المدن الرئيسية مثل « قرطاجه » و « يوتيكا Utica » و « قادس » فمن المرجح أن معظم تلك المستعمرات الاولى ، خاصة فى الغرب ، كانت عبارة عن مرافىء على مسافات معينة من بعضها البعض حيث تلقى السفن مراسيها لفترة لتتزود بالمؤن ثم تعاود المسير . وعدم وجود بقايا أثرية خاصة بهذه الفترة فى هذه المواضيع قد يؤيد هذا الكلام .

في مقدمة ما أسهم به الفينيقيون حضاريا ابتكارهم لنظام الحروف الابجدية الحالى وهم بهذا الابتكار قد اسدوا خدمة جليلة للبشرية جمعاء . ولا يقل هذا الابتكار عن اكتشاف الزراعة او الثورة الصناعية من حيث أهميته . لقد كان الانسان فى البداية يستخدم صورا ليعبر عن آرائه للآخرين ، وطريقة استخدام الصور طريقة مرهقة وبطيئة نشأت مستقلة فى عدة اماكن ثم تطورت الى نوع من الكتابة المقطعية والتى تطورت بدورها الى الكتابة الابجدية التى ظهرت فى مصر لأول مرة ، ولكن الأبجدية المصرية (الهيروغليفية) كانت رموزا ، وكانت هذه الرموز أربعة وعشرين رمزا كل منها عبارة عن صورة من البيئة المحلية .

وقد ظهرت الكتابة الصورية أيضا فى سومر وبابل ، وهي ما يعرف بالحروف المسمارية وكان على المرء اذا أراد ان يعبر عن نفسه ان يتقن استخدام ٥٦٠ رمزا يمثل كل رمز منها مقطعا . (١٤)

ولما كانت هذه الوسائل التى استخدمها الانسان فى الكتابة بطيئة ومرهقة ولم تكن عملية في التعاملات التجارية ، فقد ابتكر الفينيقيون نظام الابجدية الحالية . ونحن لا نعرف على وجه الدقة كيف تم ذلك الابتكار وكل ما نعرفه ان التجار الساميين الذين كانوا يتاجرون مع مصر فى شبه جزيرة سيناء استطاعوا تطويع الرموز المصرية ، ووصل هذا التطوير الى الفينيقيين الذين ادخلوا عليه الكثير من التعديلات فى القرن الثالث عشر ق.م حتى صار نظاما ابجديا يتكون من اثنين وعشرين حرفا بعد حذف الحروف اللينة . (١٥)

واقتبس الفينيقيون من المصريين أيضا طريقة الكتابة ورق البردى بحبر مصنوع من عصارات نباتية ، وكانت هذه الطريقة أجدى وأيسر من طريقة البابليين الذين كانوا يجمعون لوحات من الطين اللين حتى تجف بعد الكتابة وتصبح قوية .

ويبدو ان الفينيقيين هم أول من نظم حروف الكتابة ورتبها ترتيبا ثابتا وأطلقوا على الحرف الأول « ألف Aleph « » (ثور) والثانى « بيت beth « » (منزل أو بيت) وهكذا ، واقتبس الاغريق الحروف الفينيقية وقلدوا أصواتها وقالوا « ألفا Alpha « » و « بيتا Beta « » . وقد اشتق تعبير أبجدية أو Alphabet من الحروف الاولى وفق تنظيم الفينيقيين .

وهكذا نجد أن نظام الأبجدية اسهام فينيقى لولاه لاخذت الحضارة منحى مختلفا ولما قطعت البشرية هذا الشوط العظيم فى مجال العلوم والثقافة .

ثانيا التفوق الملاحى والكشوفات الجغرافية : (انظر الخريطة رقم ٢) .

اتجه الفينيقيون الى البحر لعوامل عديدة منها ان فينيقيا كانت مطوقة بدول قوية من الشمال (الحيثيون) ومن الشرق (الآراميون) ومن الجنوب (الفلسطينيون) وكان الطريق الوحيد المفتوح أمامهم هو الاتجاه نحو الغرب الى البحر . كما كانت جبال لبنان العالية التى كانت تحمى المدن الساحلية من هجمات الآراميين كانت ايضا حاجزا يحول بين فينيقيا وبين

الصحراء الكبرى ونيجيريا وربما المناطق الجنوبية من غرب افريقيا . فقد كانت الصحراء الكبرى آنذاك أقل جفافا وكانت هناك طرق قوافل بين مصر وموريتانيا وبين ساحل البحر الابيض وبين نيجيريا ، ومن المرجح ان الفينيقيين هم الذين أتوا بمنتجات هذه الرقعة الكبيرة من الذهب والعاج والحيوانات البرية والمستأنسة الى المناطق المتحضرة حول البحر الابيض المتوسط وربما كان القرطاجيون يستخدمون طريقا داخليا الى مصر يمر عبر واحة سيوه . ويؤيد « هيرودوت » وجود تجارة ساحلية للفينيقيين مع سكان الساحل الغربي لشمال افريقيا تمارس فيها اسلوب المقايضة . وترد قصة عرضية فى كتاب « رحلات Periplus » اغريقي عن تجارة قائمة بين الاثيوبيين والتجار الفينيقيين فى ساحل غرب افريقيا الممتد حتى مدينة « سيرن Cerne » » (٣٦) وهناك بقايا أثرية فينيقية عثر عليها حديثا فى المغرب مما يدل على وجود صلات تجارية مع هذه المنطقة .

ويعتبر الفينيقيون أول من وضعوا قوانين للمعاملات التجارية البحرية وقد عرفت باسم Rhodian Law نسبة الى جزيرة رودس ، وينص القانون على أن أية خسارة يكتبدها قبطان بحرى نتيجة محاولاته لانقاذ سفينته اذا تعرضت للخطر (غرق مثلا) لا بد ان يتقاسمها جميع أصحاب البضائع الذين لهم بضائع فى هذه السفينة بنسب معينة . ومثلا اذا اضطر قبطان سفينة لرمي بضاعة أحد التجار فى البحر فى سبيل انقاذ سفينته من غرق محدد فان خسارة هذا التاجر يتحملها كل التجار الذين لهم بضاعة فى السفينة وصاحب السفينة . وكان هذا القانون مطبقا فى كل انحاء حوض البحر الأبيض المتوسط ويعرف فى القانون البحرى الحديث بـ Gross average

العملة الفينيقية :

مع أن استخدام العملة فى التجارة بدأ فى بلاد الاغريق اثناء القرن السابع ق.م ، وأصبح شائعا فى بداية القرن السادس ق.م ، الا ان الفينيقيين لم يهتموا بفكرة استخدام العملة مبكرا رغم ميولهم ونزعاتهم التجارية . فطبيعة تجارتهم وتاريخها وعاداتهم التجارية القديمة واتصالاتهم الكثيرة واحتكاكهم مع أقوام بدائية فى معاملاتهم التجارية اكسبتهم مهارة فى استخدام اسلوب المقايضة . وحتى عندما كان الفينيقيون خاضعين لسيطرة الفرس لم يقوموا بأية محاولة لصك عملة لانهم لم يروا فائدة تجنى من ذلك ولان تجارتهم مع بلاد الاغريق كانت قد اضمحلت تماما .

وفى حوالى منتصف القرن الخامس ق.م، ضربت أول عملة فينيقية فى « صور » وتبعتها « صيدا » و « ارادوس » و « بيبلوس » فى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن الرابع ق.م ، وربما يدل على هذا الضعف السياسي الذى أصاب الامبراطورية الفارسية وانبعاث التجارة الفينيقية مع بلاد الاغريق . أما باقى المدن فلم تضرب عملتها حتى الفترة الهلنستية . وقد كانت هذه النقود الفينيقية مصنوعة من الفضة او البرونز ، أما العملة الذهبية السائدة آنذاك فكانت الدارية Daric نسبة الى دارة الفارسى . (٣٧)

أما المدن الفينيقية في الغرب فقد بدأت صك عملاتها في وقت لاحق . وكانت أول نقود « قرطاجية » تتكون من ذهب على الطريقة الفينيقية ومن دراخما فضية على مقياس عملة يوتيكا ، وقد ضربت هذه النقود في صقلية في نهاية القرن الخامس ق.م عندما كانت « قرطاجة » في حاجة الى نقود لتدفع المرتبات لجنودها . وقد صكت هذه المجموعة من النقود على الطريقة الفينيقية من ذهب وبرونز والكتروم (مزيج طبيعي من ذهب وفضة) . اما العملات الفضية فقد كانت نادرة حتي أواخر القرن الخامس ق.م حين استولى هميلكار Hamilcar على مناجم الفضة الاسبانية . ومنذ نهاية القرن الثالث ق.م سادت النقود البرونزية في « قرطاجة » وانتشرت الى اماكن عديدة حتى بريطانيا والأزور . (٣٨)

أما المدن الفينيقية الاخرى في الغرب التي كانت تمتلك عملات خاصة بها وذلك قبل القرن الثالث ق.م فتتمثل في « صقلية » التي بدأت في صك عملتها في القرن الخامس ق.م ، وقادس و « أبيزا » (القرن الثالث ق.م) ، وكانت « قرطاجة » تملك دار صك في « قرطاجة الجديدة » في اسبانيا وكانت معظم عملاتها من الفضة .

خامسا : النبوغ الصناعي عند الفينيقيين :

أوضح الانجيل وكذلك الحفريات الاثرية أن الكنعانيين كانوا ، مثل بقية الشعوب السامية يحترفون الزراعة والرعي ، ومن المتوقع ان هؤلاء الكنعانيين اتخذوا صيد الأسماك حرفة عندما استقروا بجانب البحر ، كما أن كثرة الأخشاب الصالحة لعمل السفن في الغابات المجاورة كانت من الاسباب التي أدت الى قيام تجارة بين « بيبلوس » ومصر في الاخشاب .

وقد عمل الفينيقيون على تطوير صناعات محلية قوامها المواد الخام المحلية ثم المواد المستوردة . ومن الصناعات التي نبغ فيها الفينيقيون : —

١ — الصناعات الخشبية والحجرية :

كان لوفرة أشجار الأرز في لبنان دور في حذق الفينيقيين صناعة الأدوات المصنوعة من الخشب ، وقد كان الخشب يستخدم بكثرة في بناء المنازل خاصة في الزخارف الداخلية . وكانوا أيضا يبنون منازلهم من الحجارة والآجر والطين .. ولكن المنازل التي تتكون من عدة طوابق كانت تبنى عادة من الأخشاب . وكثير من التوابيت الخشبية التي وجدت في مصر كانت من عمل الفينيقيين . (٣٩) وكانت الاثاثات الخشبية تطعم بالعاج وكذلك بعض التماثيل الخشبية ، ولكن معظم هذه الأعمال قد اندثرت مع الزمن .

وقد برع الفينيقيون في الأعمال الحجرية كبناء المنازل والمعابد والتوابيت وقد كان لوجود

الأحجار لأعمال البناء أهمية كبرى فى اختيار مواقع مستعمراتهم الجديدة ، وكانت اكثر الاحجار استعمالا هى الجيرية والرملية لسهولة نحتها . ولكن أحجام القوالب الحجرية كانت غير متناسقة ويتوقف الحجم على الغرض الذى سيستخدم من أجله : ففى بناء الحيطان الحاجزة كانوا يستخدمون قوالب كبيرة غير منحوتة بدقة فى حين أن بناء المنازل كان يتطلب أحجاما أصغر منحوته بدقة وعناية مع استخدام « مونه » من الجير احيانا . (٤٠)

٢ ـــ صناعة النسيج والصباغة :

لا نعرف على وجه الدقة والتحديد كيف نشأت صناعة النسيج عند الفينيقيين ولا عن الصناعة نفسها لانه لم يعثر على بقايا أقمشة فينيقية فى الاماكن الأثرية الفينيقية ولا حتى من مصر التى كانت تزخر بأنواع من الاقمشة المختلفة . ولكننا نرى فى نقوش المقابر المصرية آسيويين من عناصر سامية يلبسون ثيابا صوفية واسعة وذات ألوان كثيرة وبعضها ملفوفة حول الجسم بعناية . وفى « بوابة البلوات » التى أقامها « شلمنصر الثالث » قرب مدينة « نمرود » فى العراق لتسجيل حملاته نرى الفينيقيين وهم يلبسون ثيابا طويلة وملفوفة حول أجسامهم مع قلنسوات ، وبما أن الصور المنحوتة توضح الزى العادى للفينيقيين كالذى نراه فى النقوش المصرية فليس ببعيد أن تكون تلك الصور تمثل الفينيقيين . ويبدو من هذه النقوش ان الفينيقيين كانوا يفضلون الزى المتقن الصنع ذا الالوان الكثيرة والمطرزة . وحتى فى « قرطاجة » احتفظ الفينيقيون وخاصة الرجال ، بزيهم الشرقى وكان تمسكهم بزيهم مثار تعليق الرومان والاغريق ، وكان لبسهم بسيطا فى شكله ومنظره ، أما النساء فقد آثرن الازياء الاغريقية . (٤١)

هذا وقد عثر على أدوات الغزل والنسيج فى بعض المقابر ، كما أن هناك بعض اشارات عابرة لصناعة النسيج فى بعض كتابات الكتاب القدماء مثل « ديودورس » ويبدو من هذه الاشارات ان هذه الصناعة كانت تتم فى المنازل .

أما فن الصباغة فقد كان منتشرا فى أرجاء الممالك الفينيقية ، وكانت « صور » و « صيدا » من أهم مراكز هذه الصناعة . ويبدو انها كانت محتكرة عند الفينيقيين الشرقيين ولكن بقايا اصداف المريق Murex وأوعية الصباغة التى عثرت فى الغرب تدل على أن هذه المهنة كانت تمارس هنا أيضا .. كما فى « دار عسافى Essafi قرب « رأس بون » فى تونس التى كانت مركزا لصناعة الأصباغ وصيد الاسماك . ويمكن أن نعتبر الفينيقيين أول من استخدموا صبغة المريق فى صبغ الأقمشة . والطريقة كالآتى : عندما يموت هذا الرخوى ويتعفن يفرز سائلا أصفر اللون يضفى على القماش درجات من اللون تتراوح من الاحمر الوردى الى البنفسجى الغامق ويزداد اللون غمقا عند التعرض لأشعة الشمس . وطريقة عمل الصبغة هى أن يكسر الصدف وتستخرج المادة الداخلية وترمى فى الأوعية حيث تتحول الى

سائل . ولأن عملية استخراج الصبغة وعملية صبغ الأقمشة كانت مكلفة فقد كانت الأقمشة الارجوانية غالية لا يقتنيها الا الاثرياء .

٣ ــ الأعمال المعدنية :

استخدم الحديد فى منطقة ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى حوالى عام ١٢٠٠ ق.م. عندما كانت « فينيقيا » تتطلع للاستقلال ، ولا يستبعد أن يكون الفينيقيون قد عرفوا الحديد لان الفلسطينيين كانوا يستخدمونه أيضا . ولكن الفينيقيين اشتهروا بمهارتهم فى الاعمال النحاسية والبرونزية والمعادن النفيسة حيث كانوا يستجلبون النحاس من قبرص وبعض البلاد الاسيوية ، والذهب والفضة من أثيوبيا وربما من آسيا الصغرى . وقد كان الطلب على هذه المعادن وكذلك القصدير كبيرا ولذلك سعى الفينيقيون للحصول عليها اينما كانت متوفرة . ورغم انه لم يعثر على بقايا معامل المعادن للآن فى المواضيع الا انه ربما يعثر عليها فى المستقبل . وذلك لأن ذكر مصاهر الحديد والنحاس يرد فى نقوش العمران الجنائزية كما تظهر عليها صور المطارق والمقابض وأدوات أخرى مماثلة كما ان هناك اشارات فى كثير من الكتب القديمة على مهارة هؤلاء العمال الفينيقيين فى هذا المجال . [٤٢] وكذلك وجدت بعض الادوات المعدنية ومن أبرزها ــ من الناحية الفنية والمهارية ــ تلك الاوانى المعدنية المزخرفة والتى تنتمى للقرن السابع ق.م والتى عثر عليها فى « قبرص » و « إترووريا » فى ايطاليا و « نمرود » وفى اليونان . وقد امتاز الفينيقيون فى صنع وتصميم أدوات الزينة المعدنية خاصة من الفضة والذهب ، ونجد أنواعا من العقود والاقراط والقلائد والاساور ليس فى « فينيقيا » و « قبرص » فحسب بل فى « قرطاجة » ، و « سردينيا » . اما أدوات الزينة الذهبية التى وجدت فى اسبانيا فقد ظهر بأنها من صنع فنيين محليين تأثروا بالفينيقيين . [٤٣] كما وجدت الاوانى والأدوات الفخارية وباعداد كبيرة فى كثير من الأماكن الفينيقية .

صناعة الزجاج وصقله :

عرف الفينيقيون صناعة الزجاج منذ وقت مبكر وبرعوا فيها لدرجة ان « بلينى » كان يعتقد بأن الزجاج قد تم اختراعه فى « فينيقيا » . واذا كان ذلك صحيحا فلا بد ان نشير الى ما يسمى بـ Gore-made glass أو الزجاج الذى كان يصنع عن طريق النفخ والذى اخترع حوالى الألف الاولى قبل الميلاد . وقد وجدت انواع من المصنوعات الزجاجية فى المواقع الفينيقية مثل القلائد والتمائم والجعل ويعتقد بأنها فينيقية الصنع . [٤٤]

وقد عرفت صناعة الزجاج أيضا فى بلاد الرافدين ومصر ، ولكن زجاج هذين البلدين كان يختلف من حيث الشكل والتفاصيل عن الزجاج الذى كان معروفا ومتداولا فى منطقة

البحر الابيض المتوسط . وحتى فى مصر فان هذا النوع من الزجاج لم يكن معروفا فى الألف الاولى ق.م الا فى منطقة الدلتا ولذلك يمكن أن ينسب هذا الزجاج الى الساحل السورى أى « فينيقيا » أو جزيرة « رودس » . وفى الوقت الحاضر لا نستطيع أن نفصل فى ذلك .. والى أن يبت فى هذا الموضوع فهناك قول « بلينى » المشار اليه بأن الزجاج من اختراع الفينيقيين

أما الزجاج البارد Cold-cut glass فقد كان من اختصاص الاشوريين الذين كانوا يستخدمونه فى قصورهم منذ القرن الثامن ق.م وشاع استخدامه عند الفرس بعد ذلك بثلاثة قرون ، ولكن هناك اختلافا فى الشكل . وبعض الزجاج الذى وجد فى اسبانيا يحمل الشكل الفينيقى الخالص الذى نجده فى الادوات المعدنية والخزفية .

الملامح الاخرى للحضارة الفينيقية :

على الرغم من أن الحضارة الفينيقية هى اساس حضارة سامية الا أن لها ملامح مميزة تظهر واضحة فى دينهم وفنهم وأدبهم .

الدين :

وعمل الفينيقيون الساحل الشرقى للبحر الابيض المتوسط اثناء العصر البرونزى عندما كانت الزراعة تمثل المصدر الرئيسي للمعيشة . وكان دينهم يتعلق أساسا بالقوى الطبيعية وعملياتها الغامضة التى كانت تمنحهم النبات والحيوان لاطعامهم . وكانت آلهتم آلهة اخصاب لها ارتباط بالاشجار والحقول والانهار والينابيع وتتم عبادتهم أحيانا فى معابد ولكن فى الغالب الاعم فوق التلال . وكانت كل مدينة تطلق على رئيس الهتها اسم ب بعل» (بمعنى مالك او سيد) وعلى رفيقته اسم « بعله » (بمعنى عشيقة) وكانت عبادتها تتم سويا . وقد اكتسب « ملكارت » « بعل » مدينة « صور » شعبية كبيرة عندما أخذت المدينة تتفوق وتزدهر . أما رئيس الهة مدينة « اوغاريت Ugarit » « فكان يعرف بـ « أل El »« ورفيقته باسم « آلات Elat » « ، وكان له ابن يدعى « عليان Aliyan » « وابنة باسم « عشترت Ashtart » « .

أما طقوس عبادة الاخصاب فكانت تتضمن البكاء على موت الهة النبات فى الصيف والدعاء له لكى يتغلب على عدوه (الهة الموت Mot) ، ثم الاحتفال ابتهاجا بعودة الحياة للآلهة فى فصل الربيع . أما عبادة الاخصاب لـ « تموز » (ادونيس) و « عشتار » التى كانت تأخذ « بيبلوس » مركزا لها ، فقد انتشرت الى « قبرص » و « اليونان » والعالم الرومانى . و « عشتار » هى بعلة مدينة « بيبلوس » . ومن الطقوس الاخرى التى كانت تمارس حول معبد « عشتار » ما يسمى بالدعارة المقدسة وكذلك قتل الاطفال حديثى الولادة . (٢٥)

الفنون :

يعكس الفن الفينيقي نفس تلك السمات التي تميز بها فن المرحلة الاخيرة من العصر البرونزي في كونه مؤلفاً من عناصر مستمدة من مصادر مختلفة وفي محاولته للتوفيق بين المعتقدات (الدينية) المتعارضة . وكما تحمل الفنون الفينيقية طابع الاقطار التي كانت تتاجر معها فانها أيضا تركت أثرها وطابعها على فنون هذه البلاد . ومثلا نجد النفوذ المصرى ظاهرا في النقوش العاجية والمجوهرات في حين أن الأوعية المعدنية المنقوشة تعكس نفوذ بلاد ما بين النهرين والاناضول . ولكن هذا لا يعني ان الفينيقيين كانوا مقلدين فقط ، فقد تجلت عبقريتهم واصالتهم في الاسلوب الجديد والاضافات التي جادت بها قرائح الحرفيين وكانت نتيجتها تلك الاعمال الفنية الرائعة التي تميزوا بها . فقد برع الحرفيون الفينيقيون في اعمال البرونز والنحاس ووصلوا بصناعة الزجاج والعاج الى آفاق جديدة ومستوى رفيع . أما في الاعمال المعدنية فلم يكن لهم نظير ، وفوق هذا فقد اشتهروا بأنهم أول من قاموا بزخرفة اواني الزينة (الزهريات) المعدنية بالزهور الصناعية . وقد تأثر الفن الاغريقي بالفن الفينيقي .

ولقد برع الفينيقيون في نحت العاج الذي كان شائعا في « فينيقيا » وسوريا وكذلك في « قرطاجة » وقد كان الفينيقيون يستوردون سن الفيل من الهند (وبلاد بنت) عبر البحر الاحمر بعد ان نفذ المورد السوري ، في حين ان القرطاجيين كانوا يستوردون ما يحتاجون اليه من العاج من الاقاليم الجنوبية ومن المزارع الخاصة لتربية الافيال التي أنشئت في شمال افريقيا (لغرض تمويل الجيش بالافيال للأغراض الحربية) . وكان العاج المنقوش يستخدم في زخرفة أو تطعيم الاثاثات المنزلية وعمل التماثيل والادوات الصغيرة مثل الامشاط والصناديق الصغيرة وأدوات الزينة ودبابيس الشعر . وكانت التجارة في هذه الادوات العاجية رائجة جدا . أما الادوات المصنوعة من العظم كانت عادة تستخدم في تزيين الصناديق الخشبية وادوات الزينة مثل اوعية المرهم وكذلك للتمائم والاختام .

وقد حفظ الفينيقيون التراث الفني لعصر البرونز من الضياع في العصور المظلمة ونقلوها للغرب ، ونحن مدينون لهم بمعرفتنا الحالية عن انتاجات المراكز الحضارية التي سادت في تلك الفترة . وبواسطتهم انتشرت الاشكال الحيوانية Moties الايرانية والاسكانية في اقليم البحر الابيض المتوسط واصبحت تقلد بواسطة اليونانيين والايطاليين .

أما عن أدبهم فقد سبقت الاشارة الى اختراعهم للحروف الأبجدية ، أما باقي اعمالهم الأدبية فقد اندثرت الا النذر اليسير منها .

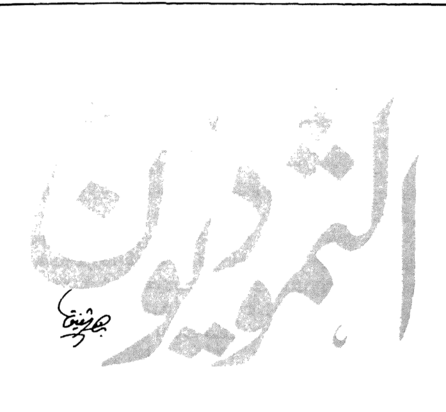
ولان الزراعة كانت تمثل ـــ خاصة فى قرطاجة ـــ قطاعا اقتصاديا مهما عند الفينيقيين فقد اهتم الفينيقيون بالرى وتمرسوا فى هذا الفن قبل ١٥٠٠ ق.م وربما ساعد هؤلاء فى انتشار فن الرى حول الشواطىء الجنوبية للبحر الابيض المتوسط وذلك من خلال رحلاتهم التجارية ومستعمراتهم التى اقيمت هناك .

الخلاصة :

الفينيقيون أمة بحرية عاشت على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى منذ القرن الرابع عشر ق.م وقد عرفت بالكنعانيين واطلق اليونانيون على الكنعانيين اسم الفينيقيين من Phoenix الذى يدل على اللون الاحمر .

وقد دفعت الظروف الجغرافية الفينيقيين الى الاتجاه نحو البحر الابيض المتوسط حيث نشأت المدن الفينيقية على ساحله وكانت كل مدينة بمثابة دولة وكانت هذه المدن تتحد احيانا فيما بينها مكونة اتحادا فيدراليا تحت زعامة احدى المدن القوية . وفى فترة استقلال فينيقيا من النفوذ الاجنبى توسعت اقليميا وانشأت مستعمرات عديدة فى حوض البحر الابيض منها « قرطاجة » .

ولقد أسهم الفينيقيون اسهامات حضارية كبيرة ، أهمها على الاطلاق ابتكار نظام الابجدية السائد الآن ، ونبوغهم فى فنون الملاحة البحرية حيث أبحروا فى المحيط الاطلسي ، واستعانوا بالنجم القطبي فى اسفارهم ليلا وداروا حول افريقيا وعرفوا ساحلها الغربى . كما اشتهروا بمهارتهم التجارية حيث وضعوا قانونا للمعاملات التجارية كما تفوقوا فى بعض الصناعات كصناعة السفن وصناعة الزجاج والاصباغ والاقمشة وصناعة ادوات الزينة العاجية والذهبية .



اعـــداد :

ابراهيم يوسف الشتلة

الجزيرة العربية

أنها الأرض التى عاش عليها الثموديون وهى الأرض التى أعطت العراق ومصر والشام العناصر البشرية التى أنبتت بها الحضارات وهى المنهل الذى يروى فيه العلماء ظمأهم الشديد نحو معرفة سمات تلك العناصر البشرية ... التى كانت سببا فى إشعاع نور الحضارات فى الشرق القديم

إبراهيم يوسف أحمد الشتلة

الثموديون

يعتبر الثموديون من القبائل العربية الذين عاشوا وتجولوا في الجزيرة العربية ، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم ، قال تعالى

« والى ثمود أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »

صدق الله العظيم

وقال تعالى

« وثمود الذين جابوا الصخر بالواد »

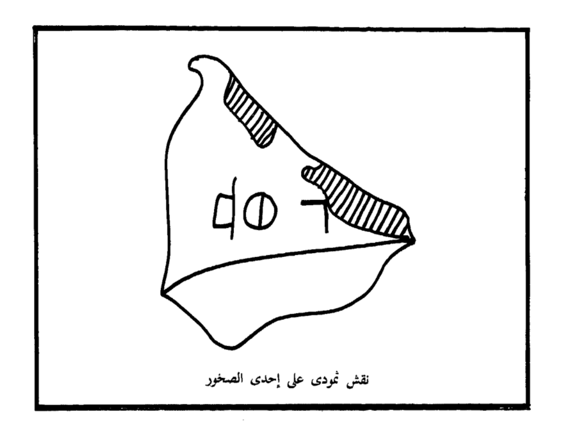
صدق الله العظيم

وقد خلفوا لنا القليل من الصخور المنقوشة بكتاباتهم ورسومهم التي تنتشر في جنوب وشمال ووسط الجزيرة العربية ، ويمكن القول بأن الثموديين كان لهم الفضل الكثير في معرفة تاريخ وحضارة الجزيرة العربية من خلال ما تركوه لنا من نقوش ورسوم ، وكونوا الابجدية الثمودية ، التي بمعرفتها امكن قراءة وترجمة كتاباتهم ، وبدراسة هذه تم القاء الضوء على حضارات الجزيرة العربية خاصة وحضارات بأبجديتها الكاملة حلقة بين أبجديات جنوب الجزيرة العربية وشمالها حيث كان للثموديين في الشمال قوة عظيمة ، ونشاط تجاري مزدهر استطاعوا عن طريق نفوذهم ونشاطهم التأثير على حضارات الشمال ، واذا كانت نقوشهم يعود بعضها الى قرابة ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، فيمكن أن نتصور ما كانت عليه مجتمعاتهم النشطة خاصة وأنهم تجولوا في ارجاء الجزيرة العربية ، لكنهم لم يتركوا لنا آثار قائمة او مدن باقية لهم . فكل ما تركوه هى النقوش والرسوم .

ويقول بعض علماء الآثار والدراسات الشرقية القديمة بان الدوائر البحرية المنتشرة في كافة انحاء الجزيرة هى أماكن تجمعات ثمودية ، إلاّ أن الأدلة الأثرية والتاريخية التي تؤيد ذلك لم تظهر بعد غير ان الآثار الثمودية تقترن فى بعض المواقع مثل الحناكية شمال حائل لى اكثر من ثمانية آلاف سنة وربما تكون الثمودية امتدادا لها .

وكانت النقوش الثمودية محل نقاش واهتمام علماء الآثار والدراسات الشرقية خلال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض هذا العام ١٣٩٩ هـ حيث عرض العالم الاثرى أ.ج. دروز في الندوة التسلسل الزمني لحضارات الجزيرة العربية من خلال النقوش التي خلفتها لنا الحضارات القديمة بها ، وذكر بأن المخربشات الثمودية التى تتواجد بكثرة هائلة فى جميع انحاء عرب الجزيرة العربية هى واحدة من أهم مصادره فى تأريخه لحضارات الجزيرة وتسلسلها الزمنى ذكر فورستر Forster فى كتابه الجغرافيا التاريخية للجزيرة العربية Histovical Geography of Arabia أن

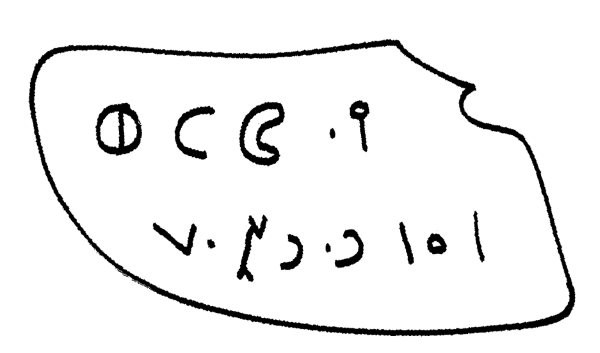
قبائل ثمودينى Thamudeni أو ثموديتاى Thamuditae هم أكثر القبائل شهرة وهم الذين ذكروا فى الكتب الكلاسيكية وينتمون الى ثمود Thamud الذين كانوا منذ آلاف السنين فى جنوب الجزيرة العربية وطردهم الحميريون وهاجروا الى بلاد الحجاز وانتشروا فى شمال الجزيرة العربية .



نقش ثمودى على إحدى الصخور

Modiana أو Madiana وكانت معظم سواحل البحر الأحمر تحت سيطرتهم وتحكموا فى طرق التجارة وتنظيمها وتوفير الحماية لها وكان لهـم قـوة كبيرة فى شمال الحجاز والجزيره العربية وكانوا منتشرين فى معظم تلك المناطق بقوتهم ونفوذهم ويبرهن على ذلك العديد من النقوش الثمودية التى تركوها لنا .

وقد اهتم الجغرافيون الأوربيون بالبحث عن ما خلفته الحضارات القديمة فى الجزيرة العربية ، وقام العديد منهم خلال القرنين السابقين باكتشاف العديد من النقوش الثمودية ، أثبتت لنا تلك النقوش مدى ما كانوا عليه من قوة وتأثير ، وألقت مزيداً من الضوء على حياتهم ومجتمعاتهم .



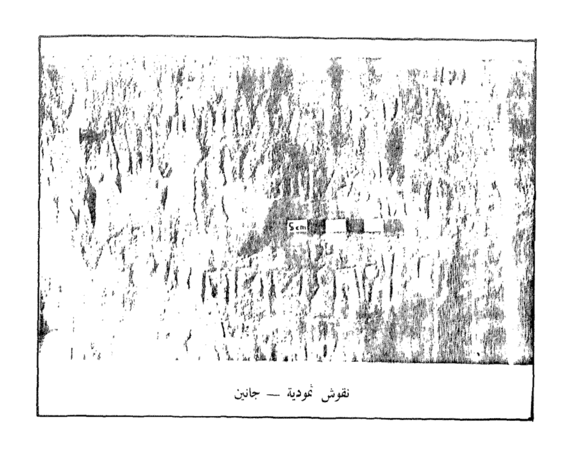
نقش ثمودى على جزء من حجر

وذكرت النقوش المسمسارية بالعراق ، أن الثموديين الذين يعيشون فى الجزيرة العربية يسكنون منطقة تسمى بـ خاجابا Hajappa وذكرت فى الانجيل بإسم Efa وهذا الاسم مذكور ومحفوظ على نقوش معبد روافسا .

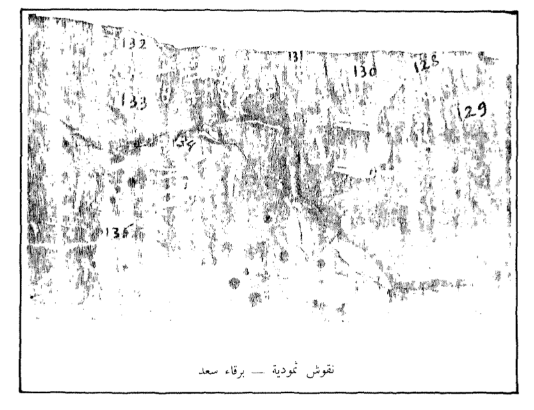
وذكرت بعض المصادر أن الثموديين اشتركوا فى حروب الرومان بقيادة الامبراطور جستنيانوس الذى إستخدمهم في بداية القرن السادس الميلادى كفرسان مهرة فى جيوشه ، نظراً لما كانوا يتمتعون به من قوة حربية بارعة ومهارة فى ركوب الخيل واستخدام أحدث وسائل القتال وقتذاك ، الأمر الذى جعل الاباطرة الرومان يستعينون بهم ، لاكقوات احتياطية أو للامدادات بين صفوف جيوشهم ، لكن استخدموا كقوات من الدرجة الأولى فى القتال .

وفى رأيي أن الرومان بعد فشل جيوشهم فى الحروب داخل الجزيرة العربية وبسبب عدم كفاءة قواتهم القتالية في الصحراء ـــ حيث كانت معظم حروبهم وانتصاراتهم داخل أوربا وفى دول البحر الابيض المتوسط ـــ لذلك كانت قواتهم تفتقر الى خبرة طويلة فى ضروب الصحراء ، وما قد وصل اليه الجيش الروماني من فشل خلال حملة إيليوس جالوس عام ٢٤ قبل الميلاد ، داخل الجزيرة العربية خير دليل على ذلك .

وكان على الرومان العمل على الاستعانة بأمهر الفرسان المدربين على الحروب داخل الجزيرة العربية ،للاستعانة بهم فى حروبهم ضد قبائل الشرق ، ووجد أباطرة الرومان فى فرسان القبائل الثمودية خير معين لهم فى حروبهم ، وبذلك يمكن القول بأن الثموديين لم يكونوا



نقوش ثمودية — جانين



نقوش ثمودية — برقاء سعد

مجرد تجمعات ازدهرت تجارتهم بل كان لهم من القوة ما جعلهم يسيطرون على اماكن شاسعة شمال وغرب الجزيرة العربية ورأى فيهم أباطرة الرومان الأمل على نجاح حملاتهم في المنطقة .

وذكر الكتاب الكلاسيكيون أنهم سيطروا على معظم المنطقة العربية الصخرية Arabia Petraea وهى المنطقة التي تقع شمال غرب الجزيرة العربية ، حيث اطلق الكتاب الكلاسيكيون على الجزيرة العربية أسماء ثلاثة :

العربية الصخرية 1 - Arabia Petraea

العربية الصحراوية 2 - Arabia Deserta

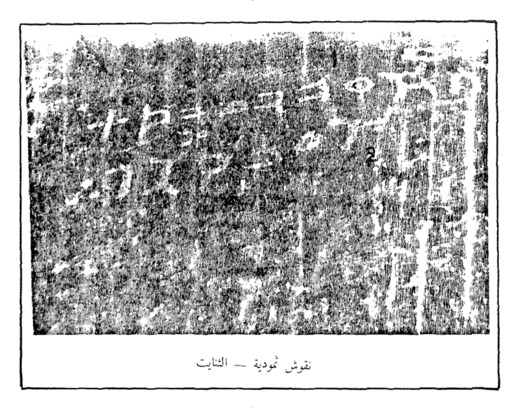
العربية السعيدة 3 - Arabia Telix

وذكر الكتاب أن الثموديين سيطروا على شمال وغرب الجزيرة وهى المنطقة التى اطلقوا عليها — كما ذكرت من قبل — Arabia Petraea « العربية الصخرية »

ذكر ريد W.L. Reed في كتابه :

Ancient Records From Northern Arabia

وثائق قديمة من شمال الجزيرة العربية أنه تم العثور فى سكاكا على حجرين عليهما نقوش



نقوش ثمودية — الثنايت

وأول إشارة تاريخية مسجلة تذكر الثموديين ظهرت في قائمة سرجون II بالعراق ، حيث عثر على قائمة باللغة المسمارية تذكر الملك سرجون فى احدى انتصاراته التى حققها بعد حملاته على الجزيرة العربية وتؤرخ بعام ٧١٥ قبل الميلاد وتقول :

« إن قبائل ثمود وعباديد مرسمان
وخيابا من قبائل العرب سكان البادية
الذين لم يصل خبرهم الى حكيم ولا عالم
ولم يدفعوا الجزية لأحد قبلي ، كل هذه
الأمم نجلتها باسم آشور إلهي .... »

ذكر فيلبى Philby في كتابه Sheba's Daughters أنه عثر على حدود الربع الخالى على صخرة ضخمة عليها العديد من النقوش الثمودية وقد ذكر برين دو Brian Doe فى كتابه جنوب الجزيرة العربية Southern Arabia ان المخربشات Graffiti التى توجد وتنتشر بكميات هائلة على الصخور فى جنوب الجزيرة العربية والتى تركها الثموديون وتحتوى على العديد من الكتابات الثمودية والاشكال الآمية ، وأنواع عديدة من الحيوانات والنباتات ، كل ذلك يوضح لنا مدى ما وصلوا اليه من تقدم وازدهار فى مجتمعاتهم فى جنوب الجزيرة العربية .

ومع أن هناك العديد من الكتابات الثمودية بجنوب الجزيرة العربية بحروفها الكثيرة ، إلاّ أنها لم تعطينا تطورا واضحا للابجدية الثمودية — كما تبين لنا كتابات الشمال — لكنها فى نفس الوقت تعطينا الشخصية المميزة والمعروفة للكاتب القديم فى جنوب الجزيرة العربية .

وأول ترجمة لهذه النقوش المبكرة التى عثر عليها فى الجنوب ، قام بها العالم إميل ريدجر Emik R.Rödiger عام ١٨٣٧ م ، وكذلك العالم فيلهلم H.F. Wilhelm عام ١٨٤١ م .

وأول نص متكامل نحويا عثر عليه فى جنوب الجزيرة نشر بمعرفة العالمة ماريا هيفنر Maria Höfner عام ١٩٤٣ م ، وقد أكمل دراسة جميع النقوش الثمودية التى تم جمعها من مختلف مناطق الممالك القديمة ، العالم A.F.L. Beeston ، وقد عثر على مناطق النقوش فى منطقة لحج Lahej ومنطقة وادى حضرموت وجميعها تؤكد وجودهم فى الجنوب قبل الميلاد بآلاف السنين فى مجتمعات ثقافية ومتحضرة .

ذكر موسيل A.Musil فى كتابه « شمال الحجاز » Northern Hegaz ان القبائل الثمودية التى هزمها الملك الآشورى سرجون فى القرن الثامن قبل الميلاد هى نفس القبائل التى ذكرها الجغرافيون والمؤرخون اليونان والرومان . وذكر ديودورس الصقلى Diodorus S. فى كتابه « كتاب التاريخ » Bibliotheca Historica ان القبائل الثمودية كانت منتشرة فى أماكن عديدة على الساحل الغربى للجزيرة العربية حيث كونوا مجتمعات كبيرة ومتحضرة تعمل بالتجارة وذكره بطليموس Ptolemy فى كتابه Geography ان الثموديين منتشرون فى شمال غرب الجزيرة العربية ووفقا للنقوش الثمودية العديدة على معبد روافا الذى شيد فى القرن الثانى الميلادى — وتركلنا الثموديون العديد من النقوش على جدرانه ، يتبين لنا أن مجتمعات الثموديين كانت منتشرة فى جميع مناطق واحة تيماء وخاصة جهة الغرب بالقرب من الطريق

العظيم الذى يوصل من جنوب الجزيرة العربية الى سوريا شمالاً .

وذكر بطليموس Ptolemy ، أنهم سكنوا منطقة مدين Madan أو

ثمودية بالاضافة الى العديد من النقوش التى تركوها لنا فى بلاد نجد وهى نقوش ثمودية ذات الطابع النجدى الذى يختلف عن الطابع الخاص بالنقوش الثمودية فى منطقة تبوك ومنطقة الحجاز فى حائل على جبل ياطب اكتشفت مئات من النقوش الثمودية التى ساعدت على كشف جوانب متعددة فى تاريخ وحضارة الثموديين .

فى منطقة الجوف عثر على مخربشات ثمودية عديدة ذات الطابع الحجازى ، اكتشفها هوبر Huber ويوتنج Euting ، وكذلك نقوش الطوير شمال سكاكا التى نشرها فان دن براندن Van den Branden وكل هذه النقوش تعطينا معرفة طيبة عن حياة الثموديين .

أعطى ريد Reed فى كتابه السالف الذكر العديد من النقوش الثمودية على الصخور ، وقد أعطى أبجدية كاملة للحروف الثمودية ، وظهر من النصوص الثمودية المتعددة فى شمال ووسط وغرب الجزيرة العربية ، ان الثموديين كان لهم لهجات عديدة ، وقدأورد ريد Reed الابجدية الخاصة بقبائل منطقة تبوك فى الشمال ووصلت حروفها الى عدد ٢٧ حرف منها أحرف أخذت أشكالاً متعددة مثل : ·

حرف « م » ظهر له ٦ أشكال مختلفة .

حرف « ش » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

حرف « ف » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

ولم يظهر حرف « ض » فى أبجدية قبائل تبوك أما أبجدية قبائل الحجاز فقد اشتملت على عدد ٢٦ حرف ، من بينها أحرف أخذت أشكالا متعددة مثل :

حرف « أ » ظهر له ٤ أشكال مختلفة .

حرف « ك » ظهر له ٥ أشكال مختلفة .

وقد ظهر حرف « ض » فى أبجدية الحجاز فى حين اختفت حروف « غ » و « ظ » .

أما أبجدية قبائل نجد فقد اشتملت على عدد ١٧ حرف فقط .

لكن الأمر لم ينتـه على ما أورده ريد فى الابجديات الثمودية ، فما زالت رمال المملكة العربية السعودية تخفى فى طياتها العديد من الادلة الاثرية التى تؤرخ للثموديين وجبال المملكة ما زالت قممها تحمل العديد من الصخور المنقوشة بالكتابات والنصوص الثمودية التى سوف تعطى المزيد من تطور كتاباتهم ومن ثم الثقافة والفكر .

وقد عرض الاستاذ/عبد المنعم عبد الحليم سيد خلال الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض هذا العام ١٣٩٩ هـ موضوعا بعنوان « المظاهر الحضارية فى شبه الجزيرة العربية » وحاول فيه إبراز اللغة الثمودية كفرع من فروع الكتابة السامية ، وتساءل عما إذا كان الاصل المصرى القديم للكتابة السامية الجنوبية « بفرعيها العربي الجنوبي والعربي الشمالي » عن طريق اشتقاق حروف هذه الكتابة من علامات الكتابة البروتوسينائية

Proto-Sinaitic وهل تم ذلك باشتقاق حروف الكتابة العربية الجنوبية « السبئية وغيرها » فى اليمن من البروتوسينائية ، ثم من العربية الجنوبية اشتقت الكتابة العربية الشمالية « الثمودية » وما شابهها .... ؟ أم كان ذلك الانتقال عن طريق اشتقاق حروف إحدى كتابات الحجاز القديمة التى يسميها بعض الباحثين « الثمودية القديمة » — تمييزا لها عن الثمودية المعروفة — من البروتو سينائية ، ومن الثمودية القديمة اشتقت حروف الكتابة العربية الجنوبية ... ؟

كل هذه التساؤلات التى أوردها الاستاذ عبد المنعم عبد الحليم سيد فى الندوة ، سوف نجد أجوبتها واضحة من خلال مجهودات إدارة الآثار والمتحف في البحث والتنقيب عن الثموديين وباقى شعوب الجزيرة العربية .

ويتضح من خلال ما تم الكشف عنه من كتابات للثموديين ، أن حضارة الثموديين كانت اكثر ازدهارا من المناطق الغربية والشمالية فى تبوك والعلا ووادى السرحان والحجاز ، وقد قامت إدارة الآثار والمتاحف بعمل مسح أثرى شامل لتلك المناطق الشمالية وتم العثور على العديد من النقوش الثمودية .

وقد تم الكشف خلال المسح الاثرى عام ١٣٩٨ هـ فى منطقة جبة على العديد من النقوش الثمودية يعود تاريخها الى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وقد ألقى الاستاذ/أحمد حسين شرف الدين ، خبير اللغات العربية القديمة بإدارة الآثار والمتاحف وقتذاك القى الضوء على تاريخ منطقة جبة التى احتوت على هذه النقوش الثمودية ، ويقول فى تقريره عن جبة :

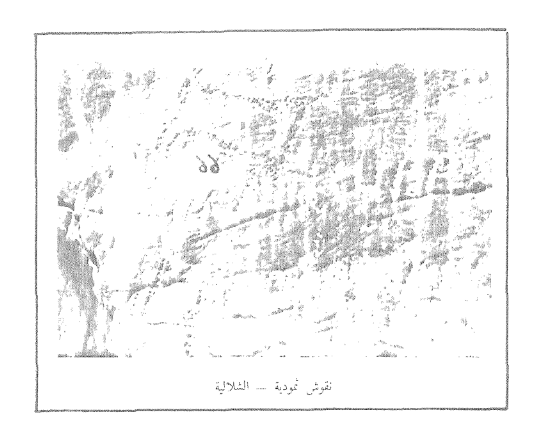
إن تلك المنطقة كانت مكاناً يستريح فيه رجال القوافل التى تسافر بين نجد ودومة الجندل وكانت همزة الوصل التجارية والعسكرية بين منطقتين هامتين وحيويتين .

أما فى الماضى السحيق فكانت دون شك مركزاً لتجمع بشرى زاخر يدل على ذلك آلاف النقوش والصور والمخربشات التى يضمها جبل أم سلمان الذى يهيمن على البلدة من الشمال الى الجنوب بطول ٦ كيلومترات وتعتبر النقوش الكثيرة والمنتشرة في انحاء متعددة من جبل أم سلمان دليلاً واضحا على وفرة سكان المنطقة فى القدم ، كما تعتبر الصور الفنية المحفورة على الصخر والموجودة فى موقع الثنايت وأم شداد والفوطة والشلالة والحنيكة .... دليلاً صريحاً على قيام حضارة فى هذا المكان كما تمثل المستوى الفنى الذى شهدته الجزيرة العربية خلال الالف الثالث قبل الميلاد .

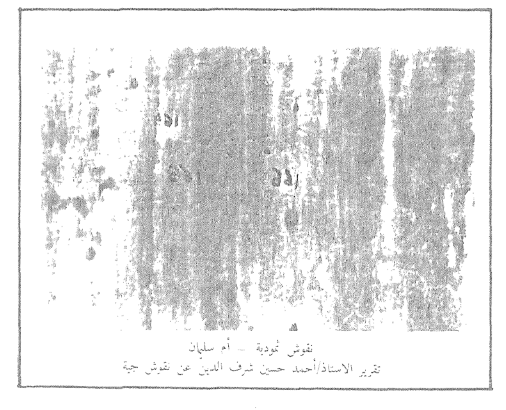
وفي جبة تم العثور على عدد ٣٢٤ نقشاً ثمودياً ، وتتسم هذه النقوش فى جبة وكذلك فى حائل بأنها من النوع المعروف بالثمودى النجدى وقليل منها من ذلك النوع المعروف الشائع فى المنطقة الشمالية الغربية والمعروف بالثمودى الحجازى ...

وتتميز نقوش جبة لا سيما الموجود منها في موقع الثنايت بخاصية فريدة فى الاسلوب الكتابى وجمال الخط ومدلول المحتوى

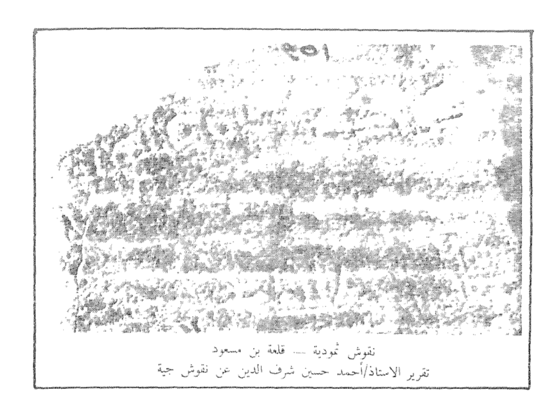
ويتضح فى الخلاصة صورة ما كان عليه الثموديون من تقدم فكرى وثقافى الى جانب تقدمهم الحضارى .



نقوش ثمودية ــ الشلالية

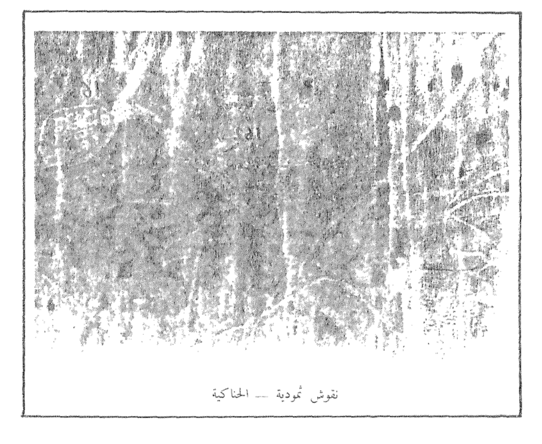


نقوش ثمودية ــ أم سليمان
تقرير الاستاذ/أحمد حسين شرف الدين عن نقوش جبة

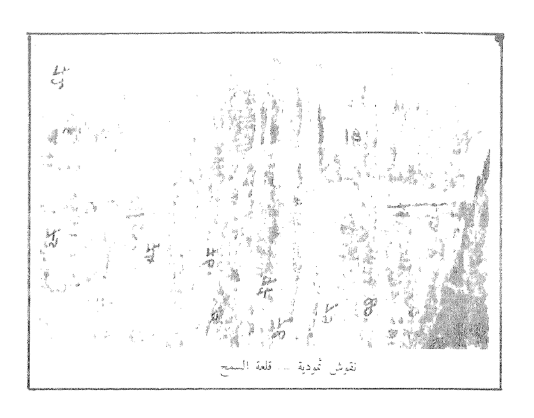


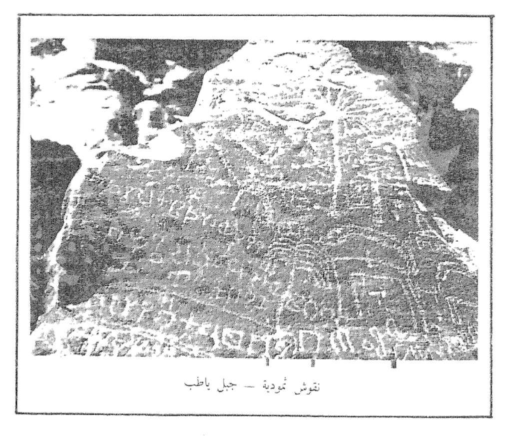
نقوش ثمودية ـــ قلعة بن مسعود

تقرير الاستاذ/أحمد حسين شرف الدين عن نقوش جية



نقوش ثمودية ـــ الحناكية

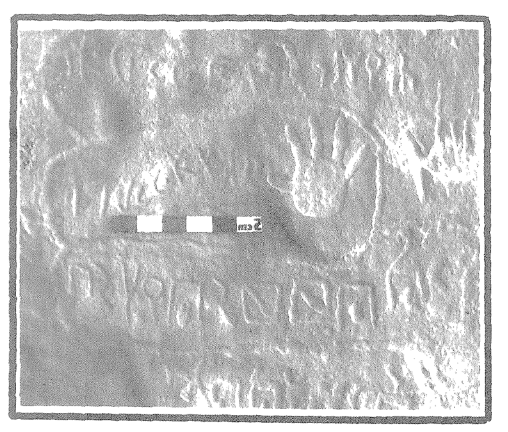

نقوش ثمودية ــ قاعة السمح


نقوش ثمودية ــ جبل باطب









مراجع البحث

1 - Forster,
Historical Geography of Arabia,Duncanand Malcoln, London

2 - C.M. Daughty,
Travels in Arabia, Randson House, Newyork, 1921

3 - H.ST.J.B. Philiby.
Sheba's Daughters, Methuen and Co, London, 1939

4 - A.Musil,
Northrn of Hegaz, Newyork, 1926

5 - W.L. Reed, T.V. Winnett,
Ancient Records From North of Arabia, Toronto Press 1970

6 - Brian Doe,
Shouthern Arabia, Thames and Hudson, 1971

٧ — جورجي زيدان .
العرب قبل الاسلام ، دار الهلال

٨ — أحمد حسين شرف الدين
تقرير المسح الأثرى عام ١٣٩٨ هـ
إدارة الآثار والمتاحف

المملكة العربية السعودية والجامعة العربية

بقلم : عصام ضياء الدين السيد
الباحث بالدارة

إذا كانت الفكرة السائدة حول انشاء الجامعة العربية تقول بأنها خرجت لأول مرة من لندن حينما أعلن بها أنطوني ايدن وزير خارجية حكومة تشرشل اثناء الحرب الكبرى الثانية ، فإنه يجب ألا يغيب عن بالنا أن الوحدة العربية كانت بحق هدفا تسعى الدول العربية لتحقيقه من أجل الوصول الى مطالبها الوطنية . وانه اذا كان الانجليز قد بادروا بطرح فكرة انشاء الجامعة العربية الا ان هذه الجامعة ما كان ولم يكن في وسعها ان تقوم ما لم يعمل العرب بأنفسهم على انشائها (١)

ثم ان هذه الدعوة حقيقة لم تكن اجتهاداً شخصيا من ايدن ولا وحيا هبط اليه ليجمع الدول العربية في اطار واحد . فسياسة الاستعمار البريطاني — كما هو معلوم — كانت تقوم على الفرقة بين الاوطان عملا بمبدأ « فرق تسد » . وانما يعترف ايدن على حد تصريحه الصادر في ٢٩ مارس ١٩٤٠ بكون هذه رغبة عربية فقال :

« ان كثيرين من مفكري العرب يرغبون في أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة اكبر من النصيب الذي تتمتع به الان ، وهم يأملون منا المساندة في تحقيق هذه الوحدة ، لذلك لا يجوز لنا ان نهمل اي دعوة يوجهها الينا اصدقاؤنا العرب في هذا الصدد ... » . (٢)

اذن فالفكرة عربية في الاساس ، ولكن للدور الضالع للسياسة البريطانية في العالم العربي آنذاك مال بعض ساسة العرب لمساندة بريطانيا لهم في تحقيق هذا الامر . ففي أعقاب تصريح ثان لايدن في البرلمان البريطاني من ان الخطوة الاولى يجب ان يقوم بها العرب انفسهم ، قام مصطفى النحاس رئيس الوزراء المصري امام مجلس الشيوخ المصري ، وأعلن أن على الحكومات العربية التداول فيما بينها وأنه « يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من آمال ، على حده ، ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها في التوفيق والتقريب بين آراء مختلف الحكومات العربية ما استطاعت السبيل الى ذلك ، ثم تدعوهم جميعا الى مصر في اجتماع ودى لهذا الغرض حتى يبدأ السعى للوحدة العربية من جبهة متحدة بالفعل ، فإذا تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد في مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ اللازم من القرارات حتى تتحقق الإغراض التي تنشدها الأمة العربية » . (٣)

والحق يقال ان الملك عبد العزيز آل سعود راودته منذ البداية المخاوف فكان من رأيه أن اقتراح مستر ايدن بانشاء الجامعة العربية انما يثير الشك في نوايا الانجليز . وبينما أثمرت الاتصالات التي دارت بين القاهرة وبقية العواصم العربية على عقد مؤتمر في الاسكندرية فى الفترة بين ٢٥ سبتمبر و ٧ اكتوبر ١٩٤٤ ، وانتهى المؤتمر بعقد بروتوكول الاسكندرية الذي اعلنت فيه الدول العربية اتفاقها على التعاون والتضامن في نطاق منظمة رسمية تحمل اسم

جامعة الدول العربية ، اذا بالملك عبد العزيز يقرر عدم توقيع بلاده على ميثاق الجامعة الذى تحدد له يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ . وكانت وزارة أحمد ماهر فى مصر قد اعقبت وزارة النحاس التي أقيلت فحاولت وزارة ماهر جاهدة اقناع الملك عبد العزيز بالعدول عن موقفه إلا أنه أصر على رأيه . وتقرر ايفاد عبد الرحمن عزام على رأس بعثة الحج المصرية كأمير للحج ، وكان يشغل وقتها منصب سفير بديوان وزارة الخارجية المصرية ، حتى يتسنى له مقابلة الملك عبد العزيز لمحاولة اقناعه بالموافقة على اشتراك بلاده فى ميثاق الجامعة العربية . وتم اللقاء وأعرب الملك عن مخاوفه ازاء نوايا الانجليز فكان رأيه « ان واحداً مثل انتونى ايدن لا يمكن أن يتطوع بالايحاء الى البلاد العربية بانشاء الجامعة إلا اذا كانت بريطانيا تجرى وراء تحقيق بعض المآرب الاستعمارية من انشائها » . فرد عليه عزام بقوله « قد يكون هذا صحيحا

يا طويل العمر .. ولكن المهم أن يتم انشاء هذه الجامعة وبعدها يمكن للعرب أن يجعلوا منها أداة تعمل فى خدمتهم لا فى خدمة بريطانيا » . ووافق الملك عبد العزيز أخيراً على اشتراك بلاده في التوقيع على ميثاق الجامعة ولكنه اشترط لذلك تحقيق رغبة المملكة العربية السعودية في أن يكون عزام أمينا عاماً للجامعة حتى تكون الجامعة فى خدمة العرب ولا تسير في ركاب سياسة الانجليز .

وبالفعل تم التوقيع على ميثاق الجامعة في ٢٢ مارس ١٩٤٥ حيث تكونت الجامعة من العربية السعودية ومصر وسوريا والعراق وشرق الاردن ولبنان واليمن . واختير عزام اميناً عاما للجامعة بناء على رغبة الملك عبد العزيز .

ففى الحق كان عزام مؤهلا لأن تعقد اليه مقاليد رئاسة الجامعة لرصيده الوطنى والقومى فى الكفاح ضد الاستعمار . فضلا عن أنه كان دبلوماسيا موهوبا وثوريا سياسيا وبرلمانيا ممتازا من خلال تاريخ كفاحه .

وحقيقة كانت مخاوف الملك عبد العزيز فى محلها ، فسرعان ما قدمت الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج على ما أسمته « روح الميثاق » . فانكشفت بذلك نواياها فقد تصورت تلك الحكومة أن بوسعها الاعتماد على بعض اعوانها من السياسيين فى تسخير الجامعة العربية لتكون في خدمتها حيث كان يقود هذا الاتجاه نورى السعيد وفاضل الجمالى وغيرهما . الا ان الاتجاه القومى العربى كان واقفا بالمرصاد للاتجاه المضاد الذى كان يعمل لحساب الانجليز فى الجامعة فتم الرد على مذكرة الاحتجاج البريطانية بيد عزام . (٤)

على اية حال سارت الجامعة فى طريقها القومى وظهرت لأول مرة بعد اعلان ميلادها على مسرح الاتصالات السياسية الدولية حينما كلفت عبد الرحمن عزام بالدفاع عن قضايا العرب وعلى رأسها قضية فلسطين أمام الرأى العام فى اوربا .

ولكن ثمة حقيقة تاريخية يجب ألا تغيب عن الأذهان وهى أن الموحى لهذه الفكرة فى الاساس كان الملك عبد العزيز الذي ظل مواليها إلى أن خرجت إلى حيز التنفيذ .

فالراصد للمقابلة التاريخية التى جمعت الملك عبد العزيز بالرئيس الأميركى روزفلت على ظهر الطراد « كونيرى » فى « البحيرات المرة » بقناة السويس قبل ظهر يوم الخميس ٢ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥) يلاحظ أن الملك عبد العزيز قد طرح فكرة ارسال وفد عربي الى كل من امريكا وبريطانيا لتنوير الرأى العام فيهما بقضية فلسطين . فرحب الرئيس روزفلت بالرأى واعتبر الفكرة جيدة للغاية لأنه سلم بأن كثيراً من الناس فى امريكا وانجلترا يجهلون ذلك . (٥)

وتبنت الجامعة الفكرة ، وقر قرارها على تفويض عزام بالذهاب الى لندن كى يوقف الرأى العام فيها وكذلك رجال الحكومة البريطانية فى اسرع وقت ممكن على حقيقة شعور الدول العربية بعد تكوين الجامعة لا سيما أن دولها أصبحت متضامنة متفهمة لكل المسائل التى تخص أى دولة منها مع رغبتها فى السلم والوفاق والتعاون الدولى على أن يكون حل الأمور عن طريق احترام الحقوق والمساواة . فأصبح على عزام مسئولية شرح مشاكل العرب كل على حده . فكانت مهمته لذلك شائكة فإنه بقدر ما سيتعرض حتما للهجوم من الصهيونيين فى العاصمة

البريطانية فإنه سيضع السياسة الاستعمارية البريطانية فى مأزق من جراء تفجيره لقضايا الاستقلال الوطنى ولوضعه النقاط على الحروف باعلان الموقف العربي الموحد ازاء فلسطين .

وكان من الطبيعى ، قبل أن يحل عزام بالعاصمة البريطانية ، أن يتشاور مع أولى الأمر في عدد من عواصم الدول العربية حول مسائل العرب المختلفة بغية الاستئناس بآرائهم وارشاداتهم للقيام بمهمته . فقصد أولا المملكة العربية السعودية فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٥ وبرفقته الشيخ حافظ وهبه ، ولدى وصوله الى جده تقابل مع بعض رجال الحكومة السعودية . كما قدر له مقابلة وزير امريكا المفوض المستر ادى وكان حديثه فى مسائل طرابلس (ليبيا) وسوريا ولبنان وفلسطين حيث أعرب المستر إدى عن عطف أمريكا على أمانى البلاد العربية . ثم قصد عزام بعد ذلك الرياض حيث تقابل مع الملك عبد العزيز مقابلات طويلة اليوم التالى من وصوله . وكان الحديث عن القضايا العربية حيث أبدى الملك عبد العزيز كل استعداد فيما يتعلق بمسألة فلسطين فلم يتوان فى الإعراب عن الدفاع عن حقوق العرب هناك بكل ما أوتى من قوة . وأن أقل ما تنتظره الامم العربية فى الحال من بريطانيا هو وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين . وكان من الطبيعى ألا يقتصر الأمر على فلسطين وانما دار الحديث على مسألة استقلال طرابلس وخطة الجامعة نحوها حيث قام عزام باطلاعه على ما تضمنته مذكرة الأمانة العامة ومذكرة الحكومة المصرية . ولما جاءت مسألة سوريا ولبنان أظهر الملك رغبته الشديدة في أن يسود الائتلاف والاتحاد بين أبنائهما متفقا فى ذلك مع قرار مجلس الجامعة بمطلب الجلاء عنها ، كما تمنى كل خير لمصر ووجوب حصولها على الاستقلال التام .

وتوجه عزام بعد ذلك الى كل من بغداد ودمشق وبيروت وقفل راجعا إلى مصر بعد أن إطمأن الى وحدة الكلمة العربية ثم قام برحلته فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٥ الى لندن والتى استمرت حتى ٢٦ اكتوبر ١٩٤٥ . واجتمع اليه وزراء العرب المفوضين سوريا ولبنان والعراق والسفير المصرى والقائم بأعمال المفوضية السعودية فعرض عليهم نتائج مباحثاته فى عواصم الدول العربية وما تم الاتفاق عليه من التشاور معهم والاستعانة بهم فى مهمته . فتمكن عزام من شرح جميع المشاكل العربية شرحا وافيا حتى يزيل اللبس وسوء الظن لرجال الصحافة ولكثير من أعضاء مجلس النواب واللوردات ورجال الأعمال والمهتمين بمسائل الشرق ، كذلك شملت مقابلاته بعض وكلاء وكبار وزارة الخارجية وكبار رجال وزارتى المستعمرات والاستعلامات . هذا فضلا عن مقابلاته للمستر اتلى رئيس الوزارة البريطانية والمستر بيفن وزير الخارجية والمستر هول وزير المستعمرات . (٦) كما انتهز الفرصة للاتصال بوزراء خارجية الدول الكبرى . (٧)

وفي المؤتمر الصحفى الذى انعقد في ٤ اكتوبر ١٩٤٥ أجاب عزام على الأسئلة التى وجهت اليه عن الجامعة ودورها من أجل فلسطين ، وعما يتوقعه من حكومة العمال للجامعة العربية ، وعن موقف الجامعة من المعاهدة المصرية البريطانية بل وموقفها من استقلال الهند . وفي خضم هذه الأسئلة وجه اليه سؤال ماكر أجاب عليه بأمانة فقيل له هل كل دول الجامعة تتمتع بحكومات ديمقراطية ؟ فرد عزام قائلا بأن « معظم هذه الدول لديها حكومات

ديمقراطية دستورية مستقلة . وأن تلك التى ليس لديها حكومات برلمانية هما العربية السعودية واليمن . وعلى الرغم من أن العربية السعودية ليس لديها حكومة برلمانية الا أن لديها نظاما يتسم بديمقراطية اكثر من أى دولة اخرى نعرفها لأن ملك العربية السعودية من الممكن أن يقترب منه بالذات أى واحد من رعاياه وفى اى وقت ، فهو يستمع ويصغى للمطالب وينفذ ارادة شعبه لأنه على صلة وثيقة بشعبه فلديه مجالس من رؤساء وقادة القبائل . وكما أعلم شخصيا بأنه ليس هناك أى مكان تتخذ فيه القرارات بعد مشورة واسعة كما فى العربية السعودية » . (٨)

وعلق عزام على انطباعاته حول جهوده في بريطانيا قائلا أمام الجامعة العربية « ففيا يتعلق بالدوائر الرسمية فى لندن يكاد الانسان يلمس أنها تعطف على الدول العربية انما يتفاوت عطفها على المسألة الصهيونية » . أما مقابلاته لبعض النواب البريطانيين فقال انها « تركت لديه شعورا غير طيب اذ فيهم المتعصب تعصبا أعمى للفكرة الصهيونية ويعتقدون انهم على حق حين يدافعون عن مذهبهم . على أنه يمكن تغيير شعور هذا الفريق بالعمل على اقناعهم بأن العرب هم الضعفاء وأن مجال الاصلاح والتقدم فسيح فى بلادهم والطبقات الفقيرة لديهم تكون الاغلبية. أما اليهود فأقوياء بالعلم والمال والوسائل » . ويرى عزام لتحقيق ذلك وجوب ممارسة الدعاية ودعوة بعض اعضاء مجلس العموم البريطاني بصفة عامة وبعض زعماء حزب العمال بصفة خاصة لزيارة بلاد الشرق الاوسط ، وأن من المستحسن ان تكون الدعوة صادرة عن جامعة الدول العربية . (٩)

وحينما فرغ عزام من تقديم تقريره عن رحلته الى الجامعة جرت مناقشة من اعضاء الوفود العربية يهمنا منها فى هذا الصدد ما جرى على لسان وفد المملكة العربية السعودية الذي كان يترأسه الشيخ يوسف ياسين ، وزير الدولة ونائب وزير الخارجية السعودية ، وعضو مستشار المفوضية السعودية بمصر خير الدين الزركلى .

فعقب الشيخ يوسف ياسين بقوله :

« الواقع أن التقرير الذى قدمه عزام بك تقرير قيم وان مجهوده كان عظيما وموفقا . كما أن هذه الرحلة لم يكن مقرراً أن تؤدى الى نتيجة معينة ولم يكن المقصود منها القيام بالمفاوضة ، انما كان المطلوب بيان وجهات نظر الامم العربية فى المسائل المتعلقة بها . ونحمد الله سبحانه وتعالى على نجاح هذه الرحلة وتوفيقها حيث ظهرت حقائق كثيرة لمن يجهلها . فهذه الناحية من التقرير هى الناحية التى كانت ترجى للبلاد العربية جميعا . وبناء عليه أرى أن تكون الظروف مواتية لرحلة أخرى إلى امريكا يقوم بها عزام بك أو أى رجل من رجال الجامعة مؤيداً منها . » .

أما فيما يتعلق بموضوع الدعاية فإنه يرى تشكيل لجنة خاصة لكي يستوفى بحثها بشكل مجد مفيد حتى يمكن الوصول الى النتيجة المطلوبة لا سيما وأن مكاتب الدعاية الموجودة بالفعل هى مكاتب مستقلة المطلوب الاستفادة منها بقدر الإمكان ، وأن الأفضل لهذه المكاتب أن تكون مرتبطة بجهة معينة وأفضل أن تكون لها رابطة جامعة سواء فى مصر أو فى لندن أو فى واشنطن ، وأن اختيار الأعضاء يجب ألا يكون قاصراً على الفلسطينيين وحدهم بل من العرب بصفة عامة . وأكد الشيخ فى النهاية أن قضية فلسطين انما هى قضية الامة العربية

بأجمعها (١٠) .

وحرى بنا الإشارة الى تعقيب عزام على مناقشات الأعضاء المثيرة فقد لفت انتباههم الى أن الاهتمام بقضية فلسطين يجب ألا يغيب معها الإهتمام ببقية القضايا العربية حتى لا تذهب البلاد العربية الاخرى ضحية بجانب فلسطين التى لا أمل لها الا بقوة البلاد العربية المستقلة . حيث أن ما بذلته الجامعة ، كجامعة عربية متحدة منذ انشائها ، من جهود لمصلحة قضية

فلسطين لم تبذل لمصلحة استقلال أية دولة عربية اخرى . ثم ان ملوك ورؤساء الدول العربية لم يقصروا فى الاعلان عن مرافعتهم لقضية فلسطين ، فيعلن الملك عبد العزيز بصراحة لمثلى الكونجرس « انه يوم سعيد ذلك الذى أقتل فيه أنا وأولادى فى سبيل تحرير فلسطين » .

على أية حال طالب عزام المجتمعين بالعمل على رفع الجامعة العربية الى مستوى هيئة دولية تتناول المسائل الدولية على اسس واسعة وفى افق شامل لا كهيئة سياسية موضعية ، فعليها أن تتعاون مع مجلس الأمن الدولى وتدخل في نظام الامم المتحدة ويكون لها كيان كجامعة دولية ، وحينما يتحقق ذلك فإن مشاكل العرب تكون قابلة للحل .

وفى النهاية طالب بوضع تنظيم دعاية عربية ، على ان تكون هذه الدعاية تابعة للجامعة العربية وتكون قسما من اقسامها يعرف اغراض الدول العربية ومشاكلها وأوضاع كل منها ويغذى الدعاية للبلاد العربية فى هذه النواحى وغيرها . (١١)

وعقد مجلس الجامعة الاجتماع الثالث فى ٢ ذى الحجة ١٣٦٤ (نوفمبر ١٩٤٥) وبحث فى مسألة تنظيم أعمال النشر والصحافة والاذاعة فى الجامعة فكانت وجهة نظر المملكة العربية السعودية ، والتى عبر عنها خير الدين الزركلى ، « بأن للمسألة ناحيتين الاولى - الدعاية لفلسطين والثانية الدعاية للجامعة ، ففيما يتعلق بالناحية الاولى قد أنشىء مكتبان للدعاية لفلسطين بقرار من الجامعة ، ولدول الجامعة أن تساعد القائمين بشئون المكتبين وكما لاحظ عزام .... أن القائمين بهذين المكتبين من الفلسطينيين ويعزفون الشئون الفلسطينية حق المعرفة ويصعب عليهم معرفة غيرها مما يخص البلاد العربية ، ومع ذلك يمكن للحكومات التى تعاونهم أن تحدد لهم المسائل التى لا يجوز لهم ان يتعدوها حتى لا يقعوا فى الخطأ . أما الدعاية للجامعة فأخشى أن يكون هذا اللفظ — لفظ الدعاية —كريها لان وزارات الدعاية لم تظهر إلا فى خلال هذه الحرب ... لذلك لا ارى ضرورة لإنشاء مكتب دعاية للجامعة . لان هذه الدعاية يمكننا أن نقوم بها عن طريق الصحافة والاذاعة والنشر لا عن طريق الرحلات . ولدينا اكبر مثل على نجاح الرحلات ما قام به عزام بك فى رحلته الأخيرة . وأرى ضرورة تقوية مكتب النشر والصحافة فهذا أحسن دعاية ، دون ذكر لفظ دعاية ، بأن نزيد الاعتماد المدرج له فى الميزانية على أن تبقى المكاتب المخصصة للدعاية لفلسطين كما هي » . (١٢)

وأكد الشيخ يوسف ياسين من جهة اخرى على وجوب قيام العلاقة والارتباط بين المكاتب القائمة بالدعاية لفلسطين فى لندن وواشنطن ، والجامعة العربية حتى تجد القوة والتأييد . (١٣)

بيان
عن اجتماع ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم

تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية ممثلين بأشخاصهم أو بوكلائهم فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى زهراء انشاص فى يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور . وقد حضر حضرة صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحيى ملك اليمن .

و بعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشؤون العربية ، وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها و بين جميع دول العالم ، وأن عليها تبذل كل ما تستطيع فى سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها .

ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها ، فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هى قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية يحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ، و يعتبرون ذلك نقضا صريحا للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولهم عظيم الأمل أن لا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة ، والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصا منهم على دوام هذه الصداقة ، وتفاديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك و يفضى إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام .

أما فيما رأوا زيادة على ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ليتخذ أفعل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين .

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس و برقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شؤون العرب ومصالحهم أن تهيىء الأسباب لهذا الاستقلال ، وأن تتعهده فى بادئ الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية .



ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها وجلاء القوات البريطانية عنها أمر لابد منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم، وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويسندونها بكل مافى استطاعتهم. وقد سرهم ما سارعت إليه الحكومة البريطانية فى تصريحها الذى ألقاه المستر أتلى رئيس وزارتها فى مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذى أعلن فيــه عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية ، ممــا كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم، والذى يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهدا جديدا فى علاقاتها مع مصر الشقيقة، تلك العلاقات التى يرجون أن تقام على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين،وهم يعلمون أن فى هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام فى هذه الناحية من العالم .

ثم تناولوا شؤون البلاد العربيــة الأخرى ، وقد عرض عليهم كثير من شكواها ، فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعى لحريتها ، وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم فى جامعة الدول العربية .

وأخيرا يغتنمون فرصة اجتماعهم هذه ليبعثوا كإخوة متضامنين متحدين. إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ، ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد .

ثم قرر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملكى التوجه بوافر الشكر إلى أخيهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق على أن هيأ لهم هذا الاجتماع التاريخى الذى يرجون للعرب من ورائه خيرا لبلادهم وإعزازا لجامعتهم .

زهراء إنشاص فى ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ (٢٩ مايو سنة ١٩٤٦)

أيها العرب

أقدم إليكم، مع مزيد الغبطة، هذا البيان الذى أذاعته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عقب انفضاض اجتماع أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم فى زهراء إنشاص. وليس لى ما أقوله إلا الشكر لله تعالى ثم لجلالة الملك فاروق الذى فكر فى هذا الاجتماع التاريخى ودعا إليه، وإن قضية العرب قد خطت بهذا الاجتماع وهذا البيان خطوة عظيمة أخرى فى سبيل الحق والحرية. وسيسير العرب دائما إلى الأمام فى طريق تحقيق أهدافهم الإنسانية السامية بعون الله ومشيئته.

حرر فى ٦ رجب سنة ١٣٦٥ (٦ يونيه سنة ١٩٤٦)

الأمين العام

عبد الرحمن عزام

والحق يقال لقد تعددت آراء المجلس بشأن الدعاية . فرأى يقول بأن تتولى كل دولة بنفسها الدعاية لقضاياها . ورأى آخر يقول بأن تتولى الجامعة فى بعض الظروف الدعاية لجميع الدول . الا أن الاجتماع كان على وجوب الدعاية لفلسطين والاسراع بها . ورؤى فى اثناء المناقشة أن تنشأ مؤسسة تابعة للجامعة باسم الدعاية أو الاذاعة أو النشر مع رصد المبالغ اللازمة لها . وقد رأى عزام أن تشكل لجنة من بعض أعضاء المجلس لبحث هذا الموضوع من جميع نواحيه وتقديم تقرير عنه . (١٤)

وبالفعل خرج المجتمعون بالموافقة العامة على تشكيل لجنة تمثل فيها جميع الدول وذلك : أولا لوضع نظام فى الامانة العامة لشأن ادارة الصحافة والنشر والاذاعة . ثانيا : تنسيق العمل لمكتبى انجلترا وامريكا العربيين تحت اشراف الجامعة . (١٥)

وعقدت اللجنة الفرعية جلستها فى ٨ نوفمبر ١٩٤٥ وقررت ما يلي :

١ ـــ تكليف بعض الأعضاء بالاتصال بهيئات الأحزاب والجماعات الفلسطينية لتتفق هذه الهيئات على طريقة لتنظيم الدعاية لفلسطين وادارة مكتبيها فى لندن وواشنطن وعلاقة هذه الدعاية بجامعة الدول العربية وأمانتها العامة . وأوكل صرف المبالغ التى وضعتها الدول العربية بواسطة وزرائها المفوضين في لندن وواشنطن الى أن يوضع النظام النهائى لهذين المكتبين .

٢ ـــ ان يضاف الى الموازنة مبلغ ٣٠ ألف جنيه سنويا يوزع على باب الصحافة والنشر والدعاية فيصبح مجموعة الموازنة ١٥٠ الف جنيه . (١٦)

وأيد الشيخ يوسف ياسين اقتراح حميد فرنجيه ، رئيس الوفد اللبنانى لدى الجامعة ، من ضرورة المشاورة مع الهيئات والجماعات الفلسطينية وبالذات فى مسألة مقاطعة الواردات القادمة من فلسطين التى يكون اليهود وراءها . (١٧)

وقرر المجلس اختيار لجنة للنظر فى المقترحات الخاصة بالسياسة العامة للجامعة بالنسبة لفلسطين . (١٨) ووضعت تلك اللجنة مذكرتها ورأى الأعضاء انها غير كافية . فكلف كل من الشيخ يوسف ياسين (السعودية) ومكرم عبيد (مصر) وأبو شهلا (لبنان) والأمين العام للجامعة لوضع صيغة جديدة للمذكرة على ضوء ما طرح من آراء واقتراحات . وقدمت المذكرة من جديد وفيها تلفت الحكومات العربية نظر الحكومتين الامريكية والبريطانية من خطورة استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين. وتطلب الحكومات العربية أن لا تتخذ الحكومتان الأميركية والبريطانية أى قرار يتعلق بالهجرة لفلسطين أو يمس أى تسوية لقضية فلسطين بدون مشاورة الدول العربية وموافقتها . وقرر المجلس الموافقة على المذكرة وتكليف الأمين العام ابلاغها الى كل من الحكومتين الامريكية والانجليزية كما طلب من حكومات دول الجامعة أبلاغها بالطرق الدبلوماسية الى الحكومتين المذكورين . (١٩)

ولا جدال فى ان الصهيونية السياسية ومن ورائها من ضللت من يهود العالم قد استغلت العاطفة المتأججة فى امريكا نحو العطف على ما أسموه بالقضية الانسانية لليهود فقاوموا بشدة كي لا تبدد تلك العاطفة ، وكى لا تنصرف اليهودية العالمية الى التفكير فى أمر آخر غير الدولة

اليهودية فى فلسطين إذا ما طال الزمن عليها ، لا سيا وانهم قد ضاقوا ذرعا ببطء بريطانيا نفسها بالرغم من أنها كانت من أشد الدول رعاية لهم بل هى التي اوجدتهم من العدم ووضعت نفسها في خدمتهم ربع قرن فانقلبوا عليها وعقروها ولجأوا الى وسائل من العنف والقسوة لا نظير لها من نسف وتدمير واغتيال .

كل ذلك والجامعة العربية لا تزال فى مرحلة النشوء فاصطدمت بوسائل الصهيونة العالمية في الوقت الذي لا تملك فيه الجامعة إلا وسائل محدودة ثم أن احوال الدول العربية زادت الصهيونية غلوا فاعتقدوا بعجز العرب عن مداومة الكفاح بسبب ما كان عليه أهل فلسطين من تفرق وضعف وانصراف الى الحياة اليومية ، وما كان فيه جيرانهم فى سوريا ولبنان من مصائب وشرور مع فرنسا ، ومما انتاب العراق من ارتباك بسبب حربه مع الانجليز ، وما اصيبت به مصر من تصدع فى الصفوف واختلاف فى الآراء والنزعات .

فلم تملك الجامعة العربية حقيقة غير كسب معارك للدعاية الهادئة المنتظمة وبالكلمة الطيبة التى تلقى فى اوانها وظرفها فيتناقلها البرق وتنفذ رغم حصار خصوم الجامعة الى صحف العالم ومحطات اذاعته ونواديه ومجتمعاته . وساعد وجود خمس دول من دول الجامعة ممثلة فى كثير من المؤسسات الدولية للأمم المتحدة على تمزيق الحجاب بين العرب ونشر الدعوة التى وجدت الجامعة من اجلها ولم تتدخر وسعا فى تعميقها .

واضطرت بريطانيا للاستعانة بالجامعة العربية فى عام ١٩٤٦ حينا دعت لعقد مؤتمر لحل المسألة الفلسطينية ، وحضره ممثلو الجامعة والأمين العام كما اشترك فيه ممثلو فلسطين . وعلى الرغم من أن تلك المفاوضات لم تنته الى حل عادل الا ان الصهيونية لم ترض على بريطانيا لاشراك الجامعة ، فإشتد لذلك الارهاب الصهيوني . وللأسف لم تفعل بريطانيا ما يجب عليها للقضاء على هذا الارهاب تمهيداً لتسوية المسألة الفلسطينية ، بل اتجهت نحو هيئة الامم المتحدة للتخلص من مسئوليتها والوصول الى مهادنة اليهودية العالمية ومصانعتها من غير ان تقع فى خصومة مباشرة عنيفة مع جامعة الدول العربية . فانتقلت بذلك المسألة الفلسطينية من الصراع الثلاثي بين العرب والبريطانيين واليهود إلى الميدان العالمى فى هيئة الامم المتحدة ودخلت فى دور جديد . (٢٠)

والراصد لموقف العربية السعودية فى كل الاحوال فانه يلاحظ أنها طلبت من بقية الدول الاعضاء التدبر فى كل أمر بدقة بحيث تكون قرارات المجلس مبنية على الحكمة والواقع حتى يكون القرار نافذا . وأكدت الحكومة العربية السعودية بأنها لن تتقاعس عن العمل الذى يقرره مجلس الجامعة . وطلبت من الجامعة ضرورة جمع أهل فلسطين على رأى واحد وكلمة واحدة محذرة بعدم جواز اعطاء أهل فلسطين وعوداً خلابه يقعوا بعدها فى المهالك ثم يجدوا الجامعة وقد تخلت عنهم . (٢١)

وبالفعل خرجت الجامعة باتفاق على وجوب توحيد كلمة عرب فلسطين عن طريق ايجاد « هيئة فلسطينية عربية عليا » تعتمدها الجامعة العربية ، وتدبير المال اللازم للقضية الفلسطينية عن طريق انشاء صندوقين احدهما خاص بانقاذ الاراضي ويدعى « صندوق انقاذ اراضى

فلسطين » والثاني « صندوق مساعدة عرب فلسطين » . (٢٢)

وطالب الشيخ يوسف ياسين من الأعضاء بوجوب الاسراع في تنفيذ هذا الأمر . (٢٣) لا سيما وقد اقترحت الحكومة العراقية اثناء اجتماع الملك عبد العزيز والملك فاروق ان تصرف الدول العربية مليونا من الجنيهات لانقاذ أراضي فلسطين . (٢٤)

كما طالب الشيخ يوسف ياسين بان تضع الحكومات العربية تشريعا يقضي بأن الحركة الصهيونية حركة عدائية ضد هذه الحكومات ثم ادانه كل من يقدم للصهيونية المال أو أية معونة باعتباره مجرما . وكان الشيخ يقصد بذلك اليهود المتجنسين بجنسية الدولة العربية الموجودين فيها لكونهم يقدمون ٢٥٪ من اموالهم بانتظام للحركة الصهيونية . (٢٥)

تلك مواقف المملكة العربية السعودية في أقل من عامين من قيام الجامعة العربية نخرج منها بحرص الملك عبد العزيز ، منذ البداية ، على ضرورة أن تكون الجامعة بمنأى عن المؤثرات الأجنبية لأية دولة كبرى فحينما توجس خيفة من دور بريطانيا في الدعوة لتأسيس الجامعة فإنه فضل التريث عن الاقدام على توقيع بلاده على الميثاق ، وحينما وثق في تحقيق رغبته في ان تكون امانة الجامعة في أيد أمينة باختيار عبد الرحمن عزام امينا لها لم يتوان في المشاركة بدور حيوي للمملكة على الساحة العربية ، تماما كما هو الحال قبل قيام الجامعة العربية فيذكر له التاريخ أنه أول من دعا لطرح قضايا العرب ، وعلى الأخص فلسطين ، أمام الرأى العام الأوربي والأمريكي . وحققت الجامعة العربية هذه الفكرة حينما أوفدت عزام ليسمع العالم قضايا العرب فكان ذلك أول عمل من نوعه على الصعيد العربي .

ففي الحق لم تترددالعربية السعودية في مساندة قضايا العرب من أجل الاستقلال فأعلنت تأييدها لقضايا الاستقلال الوطني لكل من مصر وليبيا وسوريا ولبنان فضلا عن فلسطين التي نالت النصيب الأوفر في الجهود وذلك يتضح بجلاء من خلال استقراء محاضر اجتماعات الجامعة العربية التي ان دلت على شيء انما تدل على الموقف الثابت للمملكة في تأييد ومساندة قضايا العرب من أجل الاستقلال في المرحلة الأولى لقيام جامعة الدول العربية .

عصام ضياء الدين السيد

المصادر والهوامش

(١) جميل عارف : صفحات من المذكرات السرية لأول أمين عام للجامعة العربية الجزء الأول ص ٢٦٠ — ٢٦١ .
(٢) نفس المرجع : ص ٢٦١ .
(٣) نفس المرجع : ص ٢٦٢ .
(٤) نفس المرجع : ص ٢٦٣ — ٢٦٦ .
(٥) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز . الجزء الثالث ص ١١٦٦
(٦) وثائق الجامعة العربية : تقرير عبد الرحمن عزام (ملحق رقم ١) لمضبطة الجلسة الثانية لاجتماعات الجامعة العربية فى ٣٠ ذو القعدة ١٣٦٤ (٥ نوفمبر ١٩٤٥) .
(٧) جميل عارف : المرجع السابق ص ٢٧٩ .
(٨) وثائق الجامعة العربية : ملحق لمضبطة الجلسة الثانية بعنوان :
Questions answered by Abderrahman Bey Azzam at Press Conference 4.10.1945.
(٩) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثانية لاجتماعات الجامعة العربية فى ٥ نوفمبر ١٩٤٥ كلمة الأمين العام ص ٣ — ٤ .
(١٠) نفس المصدر : كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ١٠ .
(١١) نفس المصدر : كلمة الأمين العام ص ١٣ — ١٤ .
(١٢) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة لاجتماعات الجامعة العربية فى ٧ نوفمبر ١٩٤٥ كلمة خير الدين الزركلي ص ٥ .
(١٣) نفس المصدر : كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ١٠ .
(١٤) نفس المصدر : كلمة رئيس الجلسة جميل مردم وزير سوريا المفوض في مصر ص ٨ .
(١٥) نفس المصدر : ص ١٠ . والجدير بالذكر ان المكتب العربي في لندن شغل بال عزام ووزراء العرب المفوضين فلقد كان يضم هذا المكتب خمسة موظفين من الفلسطينيين لا يطلقون على أنفسهم فلسطينيين بل عربا لأنهم يفخرون بالتحدث باسم العرب ، وبناء على ذلك سمى المكتب العربي . ونظراً لهوية الأعضاء الفلسطينيين فإنهم تعرضوا لهجوم اليهود عليهم الذين قالوا ان اعضاء المكتب فلسطينيون لا صفة لهم بالجامعة . فشكى اعضاء المكتب لعزام من عدم وصاية الجامعة العربية على مكتبهم ، ولذلك فضل عزام أن يظهر فى الحال شبه تبنى للمكتب واعتباره مكتبا عربيا له اتصال بالجامعة حتى يكون موضع احترام وتقدير . وأباح لاعضاء المكتب التحدث فقط عن فلسطين دون ما الخوض فى المسائل العربية الاخرى لعدم المامهم الكافى بها .
(١٦) وثائق الجامعة العربية : مضبطة الجلسة الرابعة لاجتماعات الجامعة العربية في ٨ نوفمبر ١٩٤٥ ص ١١
(١٧) نفس المصدر ص ١١ — ١٢ .
(١٨) نفس المصدر ص ١١ ، وقد تشكلت اللجنة على النحو التالي :
١ — حمدى الباجه جي رئيس وزراء العراق ووزير الخارجية .
٢ — الشيخ يوسف ياسين وزير دولة ونائب وزير الخارجية السعودية .
٣ — حسن بن على عضو فى الوفد اليمنى لدى الجامعة .

٤ ــ محمد الشريقي وزير الخارجية الاردنية .
٥ ــ حبيب أبو شهلا عضو فى الوفد اللبناني لدى الجامعة .
٦ ــ عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة .

(١٩) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الخامسة لاجتماعات الجامعة العربية فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٥ .

(٢٠) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة (دور الانعقاد العادى السابع) ملحق رقم ٣ فى ٦ اكتوبر ١٩٤٧ .

(٢١) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الثالثة فى ١٠ يونيو ، ١٩٤٦ بفندق بلودان الكبير (اجتماع غير عادى) كلمة الشيخ يوسف ياسين ص ٥ .

(٢٢) نفس المصدر : ملحق رقم (٣) تقرير اللجنة الداخلية في ١٠ يونيو ١٩٤٦ المرفق مع مضبطة الجلسة الثالثة لاجتماعات الجامعة العربية .

(٢٣) نفس المصدر : مضبطة الجلسة الخامسة لاجتماعات الجامعة العربية فى ١١ يونيو ١٩٤٦ تعقيب الشيخ يوسف ياسين ص ٤ .

(٢٤) نفس المصدر : كلمة حمدى الباجه جى ص ٧.

(٢٥) نفس المصدر : مضبطة الجلسة السادسة لدور الانعقاد غير العادى لمجلس الجامعة فى بلودان ١٢ يونيو ١٩٤٦ .

المسجد الأموي بدمشق
بين الحقيقة والأسطورة
كما جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر

للدكتور أحمد رمضان أحمد
كلية الآداب - جامعة عين شمس

ابن عساكر هو ابو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الملقب ثقه الدين والمعروف بابن عساكر.

ولد الحافظ في دمشق سنة ٤٩٩ هـ واخذ شيئا من العلم عن أهله وانتفع بصحبة جده أبى الفضل فى النحو، وتفقه فى حداثته على الفقيه ابى الحسن السليمى (١). ومن ثم فقد كان للبيئة التى نشأ فيها الحافظ بن عساكر أثر كبير فى اتجاهه نحو العلم ونبوغه فيه، فقد نبت فى بيت قضاء وحديث وفقه. كما كان ابوه الحسن بن هبة الله بن الحسين بن عبدالله الشافعي (المتوفى سنة ٥١٩ هـ/١١٢٥ م) شيخا صالحا عدلا وهو رأس بيت معمور بالأئمة والمحدثين (٢) والعلماء الذين كان لهم شأن كبير فى القرنين السادس والسابع للهجرة. وكان اخوه الأكبر الصائن هبةالله بن الحسن المتوفى سنة (٥٦٣ هـ/١١٦٧ م) فقيها ثقة، تفقه بدمشق على ابى الحسن بن المسلم ونصرالله بن محمد، رحل الى بغداد وتفقه على علمائها، فلما عاد الى دمشق، درس بالغزالية وافتى وكتب وكان معنيا بصفة خاصة بعلوم القرآن والنحو واللغة. أما اخوه الثانى محمد بن الحسن فقد كان قاضيا وقد تفقه اولاده السنة فى علم الحديث ودرّسوه.

وكانت أمه من بيت قرشي . وهو بيت عربي عرف بالعلم وينتهي نسبه الى بني أمية .
وقد تولى الكثير من أفراد هذا البيت قضاء دمشق مدة طويلة . وقد كان جده لامه يحيي بن علي بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٣٤ هـ/١١٣٩ م عالما بالنحو والعروض الى جانب علمه بالفقه والحديث ، تولى القضاء بدمشق مرة ، وكان ينوب عنه فيه ابنه ابو المعالي (٣) .

كما تولى خالاه (أبو المعالي محمد بن يحيي ، وابو المكارم سلطان بن يحيي) قضاء دمشق وقد كانا على قدر كبير من العلم . وقد تفقه ابو المكارم على كبار العلماء مثل نمر المقدسي ، وارتحل الى العراق ومصر طلبا في الاستماع الى علماء الحديث . كما جلس ابو المكارم بالمسجد الجامع بدمشق للوعظ والارشاد . فقد تحدث عنه ابن عساكر فقال : « انه كان واعظا طيب الصوت وكان لوعظه في بغداد شأن حتى أن أبا بكر محمد بن القاسم الشهرزوري حين وصل الى دمشق ارسل رسولا يقول اشتقت الى سماع القاضي ابي المكارم لاني سمعته بالعراق وسأل اباه(اى والد ابن عساكر) حتى أجاب لانه كان قد ترك الوعظ (٤) .

وكانت اخته (اخت ابن عساكر) زوجة محمد بن علي بن محمد بن الفتح السليمي ، وبيت السليمي بيت علم ووجاهة ، فقد كان لاخته ولدان عالمان هما ابو طالب الحسن وشرف الدين وكانا ممن قرأ عليهما ابن عساكر التاريخ فيما بعد (٥) .

لقد كان لهذه البيئة التي نبت وترعرع فيها ابن عساكر شأن كبير ، فقد جمع افرادها اطراف العلم واسباب الفضل ، ومن ثم فقد وجد فيها الحافظ بن عساكر ما ساعده ورغبة في العلم والمعرفة حتى غدا مؤرخ الشام وحافظ العصر (٦) .

فلم يكد يبلغ الحافظ بن عساكر السادسة من عمره حتى اقبل على العلم يرعاه أبوه ويسمعه الصائن اخوه ، ثم اخذ يتردد الحافظ على كبار الشيوخ يومئذ فيقرأ على سبيع بن قيراط ، ويستمع الى أبي القاسم النسيب ، وأبي الفرج الصوري ، وقوام بن زياد ، وأبي طاهر الحنائي الذين اخذ عنهم الحديث ، كما انتفع بصحبة جده فاخذ عنه النحو والعربية ثم يشارك في سنه المبكرة كما يشارك الكبار ، كل ذلك وابن عساكر لم يبلغ الحلم بعد .

ولم يكتف ابن عساكر بما حصل عليه في هذه السن المبكرة من العلم والمعرفة ، بل رحل في صباه الى الشرق رحلة دامت خمس سنين ، فسمع بمكة ، ومنى ، والمدينة ، والكوفة ، وأصبهان القديمة ، ومرو ، ونيسابور ، والشاهجان ، وهرات ، وسرخس ، وطوس ، وبسطام ، والري ، وزنجان ، وبلاد كثيرة في العراق وخراسان والجزيرة والشام .

ويبدو أن الحافظ بن عساكر كان قد اكتفى بمن اخذ عنهم من الشيوخ في هذا الجزء من آسيا ولم يتعداها الى افريقية ، فقد بلغ عدد شيوخه الف وثلثماية شيخا وثمانين امرأة ونيفا .
ولعل اشهر من أخذ عنهم هو أبو سعد السمعاني الذي كان رفيقه في بعض رحلاته (٧) وغدا الحافظ بن عساكر محدث الشام ، ومن اعيان فقهاء الشافعية فقد قال عنه ابن خلكان (٨) « كان الحافظ ابن عساكر فخر الشافعية وأمام اهل الحديث في زمانه وحامل لوائهم . فقد غلب عليه الحديث واشتهر به وبالغ في طلبه الى ان جمع ما لا يتفق لغيره ، فصنف التصانيف المفيدة وكان حسن الكلام على الاحاديث ، محظوظا في الجمع والتأليف ، لم ير الا مشتغلا بعلم وعبادة ، يحاسب نفسه كل لحظة ولم يجتمع في شيوخه ما اجتمع فيه من

لزوم طريقة واحدة منذ اربعين سنة وعدم التطلع الى أسباب الدنيا وأعراضه عن المناصب الدينية كالامامة والخطابة بعد أن عرضتا عليه . فقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي قد بنى له دار الحديث النورية فدرّس بها الى حين وفاته غير ملتفت الى غيرها ولا متطلع الى زخرف الدنيا .

لقد عاصر الحافظ بن عساكر الملكين نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين الايوبى واتصل بهما اتصالا وثيقا ، فقد كانت منزلته منزلة الاستاذ من تلميذه او الاخ من أخيه . بل ان نور الدين كان السبب في تعجيل الحافظ بتأليف كتابه تاريخ دمشق ولما توفى الحافظ سنة ٥٧١ هـ/١١٧٥ م ، شيع [٩] صلاح الدين الأيوبى جنازته وصلى عليه فى ميدان الحسا ، ودفن بمقبرة الباب الصغير الى جانب حجرة معاوية [١٠]

أما عن تآليف الحافظ بن عساكر فكما يقول ابن خلكان وغيره ممن تناولوا ترجمة حياته وسيرته ، فقد بلغت اربعين مصنفا ، اجلها (تاريخ مدينة دمشق واخبارها وتسمية من حلها أو وردها أو اجتاز بنواحيها) .

وعن هذا المصنف العظيم ننقل ما جاء فى ابن خلكان : « ما أظن هذا الرجل (ابن عساكر) الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه ، وشرع فى الجمع من ذلك الوقت والا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب » . وأردف ابن خلكان ذلك بقوله « ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذى ظهر هو الذى اختاره وما صح له هذا ، الا بعد مسودات مايكاد يحصرها وله غيره تواليف حسنة »

أما مصنفاته الاخرى التى خاض عبابها ، فهى الحديث والفقه والتاريخ والاخبار والادب . ولم يكن اعتماده فيها على النقل فقط ، بل كان يستعمل العقل والمنطق ، وفى القليل الذى وصل الينا من مصنفاته برهان على ذلك . وكما قال كرد على : فقد عنى بحل المشاكل يناقش ويجادل بعيدا عن تعصب اهل مذهبه وهو بذلك اقرب الى الاجتهاد منه الى الجمود والتقليد ، كذلك كان الحافظ بن عساكر مؤرخا ومحدثا صادقا وهما من أعظم الصفات التى تتوفر للمؤرخ المجيد .

ولعل من أهم ما نفعه فى دراسته وما سجله فى مصنفاته ، رحلاته المتعددة فى ديار الاسلام فى مطلع شبابه وتلقيه العلم على ائمة العلماء والاخذ عن من اشتهر فى الامصار من الرجال ، ولو اضفنا الى ما تقدم ما كان له من حظوة عند الملوك والامراء وما تيسر له من الاطلاع على مجاميع ومصنفات ما فى خزائنهم ومجموعاتهم ، كل ذلك كان حريا أن يقبل الناس على ما يقول ويكتب .

وقد يكون من المفيد ان ننقل نبذا مختصرة مما ذكره اصدقاؤه ومعاصروه فى ترجمة حياته ووصف مؤلفاته ، فقد ذكر السمعانى [١١] : إنه كان كثير العلم ، غزير الفضل ، حافظا متقنا ، دينا خيرا ، حسن السمت ، جمع بين معرفة المتون والاسانيد ، متثبتا محتاطاً ويقول الاصفهانى [١٢] : « هو الحافظ الذى تفرد بعلم الحديث والاعتقاد الصحيح ، المنزه عن التشبيه ، المحلى بالتنزيه ، المتوحد بالتوحيد ، المظهر شعار الاشعرى بالحد الحديد والجد الجديد والايد السديد » .

والذى يعنينا من مؤلفات شيخنا ابن عساكر البالغ عدد المعروف منها اربعين ، مصنفه عن تاريخ دمشق ، والذى قال عنه العماد فى الجريدة انه يقع فى سبعمائة كراسة ، كل كراسة عشرون ورقة . وقال العماد انه فى خمسماية وسبعين جزءا والنسخة الجديدة ثمانماية جزء . أما عن المدة التى استغرقها ابن عساكر فى تأليف هذا المصنف الضخم فلم يذكرها احد من المؤرخين صراحة ، وان استطاعوا ان يصلوا اليها استنتاجا فقد ذكر ابن خلكان (١٣) نقلا عن المنذرى فى تاريخه : ما اظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت » . وفى اعتقادنا ان المنذرى على حق فيما ذهب اليه ، ذلك أن اتساع اطراف هذا المصنف وغزارة مادته ، وتنوع ما فيه يؤكد بان الحافظ ابن عساكر قد استغرق فى تأليفه عمره ، ومن ثم فان المنطلق يدعو الى الظن بأنه قد بدأ تأليفه وهو فتى . وقد استطاع صلاح الدين (١٤) المنجد ان يحدد بعد الاستقراء والمقارنة التاريخ الذى بدأ فيه كتابة مصنفه (تاريخ دمشق) فقد استشهد فى ذلك بما ذكره رفيقه السمعانى (١٥) فى حديثه عن رحلة ابن عساكر الى بلاد العجم اذ قال : « دخل نيسابور قبلى بشهر (اى ابن عساكر) سمعت معجمه . والمجالسة للدينورى وكان قد شرع فى التاريخ الكبير لدمشق وقد لقيته بنيسابور اول ما وردتها سنة تسع وعشرين (١٦) وقد دامت رحلته الى العجم الى سنة ثلاثة وثلاثين وخمسماية (١٧) » . واستدل صلاح المنجد مما تقدم بان الحافظ ابن عساكر بدأ تاريخه بدمشق قبيل رحلته الى خراسان وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاما ، ولما كان أقدم سماع على الحافظ فى النسخة الجديدة المؤلفة فى ثمانين مجلدا سنة ٥٥٩ هـ كما يقول ابنه القاسم (١٨) ، ومن ثم نستطيع ان نقدر ان الحافظ سلخ فى تأليف تاريخه ثلاثين سنة أو أقل قليلا (١٩) .

وقد سمى الحافظ بن عساكر مصنفه هذا عن دمشق (تاريخ مدينة دمشق وذكر فصلها وتسمية من حلها من الاماثل واجتاز بنواحيها من وارديها واهلها) . وكما سبق ان ذكرنا ان مصنفه هذا يقع فى ثمانين مجلدا وقد تفضل مشكورا المجمع العلمى العربى بدمشق بنشره فى ثمانين مجلدة تشتمل كل منها على عشرة اجزاء من الأصل ، وتبلغ عدد صفحاتها نحو (٩٠٠) صفحة من القطع الكبير ، وقد عهد المجمع بتحقيق الجزء الخاص بفضائل الشام وفتوح الشام عامة وخطط دمشق الى الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد . أما عن الترجمة لكل من دخلها أو اجتاز بنواحيها من (انبيائها وهداتها) وخلفائها وولاتها وفقهائها وقضاتها وعلمائها ورواتها وقرائها ونحاتها وشعرائها ورواتها الى نخبة من العلماء الافاضل نذكر منهم الاستاذ محمد أحمد دهمان .

وقد رأينا أن نقتصر فى وصفنا وتفنيدنا لهذا المصنف الضخم لابن عساكر على المجلدة الثانية منه المشتملة على خطط دمشق وذكر مساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وانهارها وأفنيتها . وهو الجزء الذى سنعتمد عليه فى الموضوع الذى سنشارك به فى المؤتمر العالمى لابن عساكر الا وهو (المسجد الاموى بدمشق بين الحقيقة والاسطورة كما جاء فى كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر) .

أما عن الاسباب التى دعتنا الى اختيار هذا الموضوع ، الاّ وهو المسجد الاموى بين

الحقيقة والاسطورة ، هو كثرة ما ورد من الاساطير عن هذا المسجد بالذات فى كتابات ابن عساكر ، ولعل ذلك من أبرز المآخذ على قلتها فى كتابات ابن عساكر وفى ذلك يقول كرد على [٢٠] : « وقد يؤخذ على ابن عساكر انه جمع فى اخبار الفضائل التى فى مفتتح تاريخه عن مدينة دمشق كثيرا من الضعيف وكثيرا من الاساطير » ولكن سرعان ما يعود كرد على فيبرر منهج ابن عساكر فيقول « وسبب ذلك انه حرص على ان لا يخلى كتابه مما يفيد جميع الطبقات وقد يسرد أشياء لا يعتقدها فيما نحسب . والعقل يمحص وينفى الزغل . وابن عساكر اعلم الناس بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . والمؤرخ قد ينقل أخبار اهل النحل والمذاهب من دون أن ينفيها أو يقرها فلا يستدل بذلك على انه يعتقدها » ثم ينهى كرد على نقده هذا بقوله : « واى كتاب للمحدثين والاقدمين سلم من نقد ومؤاخذة » . وقد ادرك الحافظ بن عساكر نفسه ، ما قد يكون فى الكتاب من مآخذ فقال : « هذا مبلغ علمى وغاية جهدى عما وقع الى وثبت عندى ، فمن وقف فيه على تقصير أو خلل أو عثر فيه على تغيير او زلل ، فليعذر اخاه ذلك متطولا وليصلح ما يحتاج الى اصلاحه متفضلا » [٢١] .

على أننى لا أود أن يتبادر الى الذهن اننى قد اخترت موضوعى هذا لكى أنقد كتابات ابن عساكر أو أضع قصصه ورواياته واساطيره موضع التنفيذ أو أعرض ما ذكر من أحاديث للعدل والتجريح ، ولكننى أردت أن أعرض لأسلوب كتابة التاريخ والرواية التى كانت سائدة فى كتابات مؤرخى المسلمين فى تلك الازمان ، بل وربما كان هذا الاسلوب فى ذلك الوقت هو المنهج السوى القويم ، ومن ثم فقد وجب علينا نحن المحدثين من المؤرخين أن نتصدى لتوضيح هذا المنهج والاسلوب فلا نقيمه او نزنه بمقاييسنا وموازيننا الحديثة حتى لا نغمط حق هؤلاء العظام من المؤرخين اصحاب السبق ونجردهم مما لهم من فضل وعلم استفاد به وما يزال كل من جاء بعدهم من المؤرخين وارتوى من معينهم .

وقد أردت باختيارى للمسجد الاموى بصفة خاصة من بين الآثار التى ذكرها ابن عساكر بمدينة دمشق ، أن أبين بالدليل المادى ، الفرق بين الحقيقة والاسطورة فيما جاء عنه فى كتابات ابن عساكر ، ذلك ان هذا الجامع هو المسجد الوحيد بمدينة دمشق بل واول مسجد فى العالم الاسلامى كله ، الذى ما يزال باقيا على حالته الاولى منذ انشائه سنة ٨٦ هـ حتى الآن .

واذا أضفنا الى ما تقدم أن ابن عساكر أعطى المسجد الأموى لدمشق اهتماما خاصا ، فقد بدأ به تاريخ مدينة دمشق ، بل كان المسجد بيت القصيد فى دمشق فعقد له ستة ابواب ذكر فيها شرفه وفضله ، وقسمة الكنيسة ثم هدمها ، وبناء الجامع واخباره وما يتصل به ، لتبين السبب الذى من أجله وقع اختيارى على الموضوع الذى نحن بسبيل بحثه .

وقبل أن نبدأ بدراسة المسجد الاموى كما جاء فى تاريخ ابن عساكر ، كان لا بد لنا ان نقدم له بدراسة موجزة لمدينة دمشق التى لم تحظ مدينة فى الاسلام بتاريخ لها يضاهى تاريخها الذى صنفه الحافظ بن عساكر . فقد خصص لها المجلدتين الاولى والثانية فبين فيهما تخطيط دمشق وسورها وأبوابها وخططها وانهارها ومصانعها ومساجدها وآثارها وفضائلها

وخصائصها . وما يتصل بذلك من تقويمها وتخطيطها .

على أن ابن عساكر لم يكن أول من كتب عن مدينة دمشق . فقد سبقه الى ذلك عدد كبير من المؤرخين الذين كتبوا عن دمشق وخططها ولعل اولهم قاضي دمشق احمد بن المعلى [٢٢] المتوفى سنة (٢٨٦) هـ . واذا كان هذا المؤلف لم يصلنا ، الاّ أن ابن جبير [٢٣] قد رآه واطلع عليه ونقل الكثير منه في رحلته ، كما روى ونقل عنه ابن عساكر الكثير من نصوصه في تاريخه عن دمشق وخاصة ما تضمنه عن بناء المسجد الجامع وقصة الكنيسة .

كذلك كتب ابن ابى العجائز [٢٤] في القرن الرابع الهجرى كتابا اسماه تاريخ دمشق ، وهذا المصنف ايضا لم يصلنا وان كان ابن عساكر قد نقل الكثير منه وخاصة فيما كتبه عن خطط دمشق وقراها المنتشرة في الغوطة وأرباضها التى سكنها بنوا أمية .

وفي القرن الخامس الهجرى صنف على بن محمد العربى المتوفى سنة ٤٤٤ هـ كتابه المعروف باسم فضائل الشام ودمشق ، ولعل اهم ما ذكره الربعى عن المسجد الأموى هو الحق الذى حدث سنة ٤٦١ هـ من قبل جند الفاطميين اثناء الفتن والثورات التى اجتاحت مدينة دمشق في عصر الدولة الفاطمية .

وفي القرن السادس صنف هبة الله بن احمد الاكفاني المتوفى سنة (٥٢٤) هـ كتابا ذيّل فيه على تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني سماه تتمة تاريخ داريا وتسمية من حدث من اهلها وفيه سجل أثبت فيه آثار دمشق .

وبرغم كثرة المصادر التاريخية التي سبقت الحافظ بن غساكر والتى كتبت عن تاريخ مدينة دمشق والتى ذكرناها آنفا ، الا أن ماكتبه ابن عساكر عنها يعتبر جديدا كل الجدة من حيث الاسلوب والمنهج ، ومن حيث احاطته احاطة تامة بتاريخ هذه المدينة ، ومن ثم فان كتابه عن تاريخ مدينة دمشق يعتبر أعظم تاريخ ألف عن مدينة .

على أنني لست في مجال التعريف بجميع النواحي التى تناولها الحافظ بن غساكر في تاريخ مدينة دمشق ولكنني سأشير فقط اشارة عابرة الى الناحية التى نحن بصدد دراستها من تاريخ دمشق ونعني بها خططها .

ولعل أهم ما تميز به تاريخ الحافظ بن عساكر والتى تفوق بها عمن سبقه فيمن كتب عن تاريخ دمشق ، أنه تكلم في شيء من الاسهاب عن خطط دمشق فخصص لها المجلة الثانية [٢٥] هذا عدا ما جاء عن الخطط في ثنايا تراجم الاشخاص الذين ذكرهم . وعلى الرغم من أن هناك بعض المؤرخين الذين كتبوا عن خطط بعض البلدان الاسلامية ، الا ان كتاباتهم كان يعتريها كثير من النقص وعدم الترتيب ، اذ كان جلها مبعثرا بين ثنايا موضوعات الكتاب مما جعل الوصول اليها وجمعها عملية شاقة ليس من اليسير الوصول اليها . فمثلا نذكر منها القشيرى الذى كتب عن مدينة الرقة [٢٦] ولم يذكر شيئا عن خططها ، كذلك كتب حمزة السهمى عن مدينة جرجان ولم يتحدث عن خططها الا في باب واحد هو خطط المساجد [٢٧] .

ولعل المؤرخ الوحيد الذى تناول في شيء من الاسهاب عن خطط بغداد في كتابه عن

تاريخ بغداد هو الخطيب البغدادى [٢٨] وأن كان ينقصه الترتيب الذى امتاز به وتفوق على من سبقوه فيه شيخنا المؤرخ الحافظ بن عساكر .

ومما يذكر للحافظ بن عساكر بالفضل والسبق فى موضوع خطط مدينة دمشق ، أنه أضاف ابوابا أصيلة لم يروها عن غيره ممن سبقوه ، مثل المساجد وباب الانهار والقنى والحمامات . أما الابواب المتعلقة بالمسجد الاموى بدمشق (موضوع بحثنا) فقد أخذ الكثير منها عن أبن المعلى [٢٩] .

وقد رأينا أن نتناول كل باب من الابواب الستة التى خصصها ابن عساكر للحديث عن المسجد الاموى بدمشق لكى نبين الروايات والقصص الحقيقية منها والاسطورية كل على حدة .

الباب الأول
ذكر شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله
وقول من قال انه لا يوجد فى الاقطار مثله

لقد أورد الحافظ بن عساكر فى شرف المسجد الجامع بدمشق ما جاء فى كتاب فضائل الشام [٣٠] ودمشق وكذا فى عيون التواريخ ما قاله قتادة فى تفسير سورة التين[٣١] قال : أقسم الله تبارك وتعالى بمساجد أربعة قال (والتين) وهو مسجد دمشق والزيتون وهو مسجد بيت المقدس (وطور سينين) وهو حيث كلم الله موسى ، (والبلد الأمين) وهو مكة .

ثم يروى الحافظ عن زيد مَيْسَرة [٣٢] : أربعة أجبل مقدسة بين يدى الله سبحانه وتعالى : طور زيتا وطور سينا وطور تينا وطور تيمانا .

قال فطور زيتا بيت المقدس وطور سينا طور موسى وطور تينا مسجد دمشق وطور تيمانا مكة .

ويذكر الحافظ ايضا عن الحارث ان يزيد كان يقول : اربعة اجبل مقدسة فذكر نحوه ، وأنبأ عن محمد بن شعيب قال : سمعت عثمان بن ابى عاتكة عن أهل العلم انهم كانوا يقولون (والتين مسجد دمشق) وانهم ادركوا فيه شجرا من تين قبل أن يبنيه الوليد .

ويذكر ايضا عن القاسم بن عثمان الجوعى : سمعت مروان بن محمد يقول فى قول الله تبارك وتعالى (والتين والزيتون) قال : التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس .

على اننا اذا رجعنا الى جمهور المفسرين نجدهم يفقون على ان ما ورد فى سورة التين من قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) ، وهى أقسام ببقاع مباركة شريفة . والتين هو الجبل الذى عليه دمشق والزيتون هو الجبل الذى عليه بيت المقدس ، ويقال للأول طور زينا ، وللثانى طور زيتا لانهما منبت التين والزيتون ، وطور سينين الجبل الذى كلم الله زينا ، وللثانى طور زيتا لانهما منبت التين والزيتون ، وطور سينين الجبل الذى كلم الله تعالى الى شأنه ، موسى عليه السلام ، ويقال له طور سيناء ، والبلد الامين هو مكة

والمتعاطفات متناسبة، في أن المراد منها أماكن مخصومة . وقيل المراد بهما الشجرتان (٣٣) المعروفتان ، وقيل التين والزيتون كناية عن مواضع وليس المقصود هو القسم بالاشجار نفسها وإنما كنى بها عن مغارسها (٣٤) .

نخرج من مجمل التفاسير التي اوردها الحافظ بن عساكر ، والتفاسير الأخرى التي ذكرناها ان هناك اختلافا بيّنا في التفاسير ، وخاصة بالنسبة لآية التين (والتين) . فالبعض قال انها تعني مسجد دمشق والبعض ذكر انها تعني جبل طور تينا التي تقع عليه مدينة دمشق . ومن ثم فقط كان على الحافظ ابن عساكر ان يذكر التفسيرين وأن يرجح أحدهما . وهذا يوضح لنا اسلوب ابن عساكر في الكتابة فهو كما قال عنه محمد كرد علي (٣٥) : « ان ابن عساكر ينقل أخبار أهل النحل او المذهب دون أن ينفيها أو يقرأها ، فلا يستدل بذلك على أنه يعتقدها » . ومما يؤخذ على ابن عساكر أن حبه لمسقط رأسه دمشق جعله يسدد في اخبار فضائلها كل ما كتبه ورواه الاقدمون حتى الضعيف ، هذا مع العلم أن ابن عساكر اعلم الناس بالروايات الضعيفة والموضوعة .

ومن الروايات والقصص الاسطورية التي اوردها الحافظ بن عساكر في شرف الجامع الاموي بدمشق ، نذكر عن يحيى بن اسماعيل عن عبيدالله بن ابي المهاجر قال : (٣٦) « كان خارج باب الساعات (٣٧) صخرة يوضع عليها القربان ، فما تقبل منه جاءت نار فأخذته وما لم يتقبل بقي على حاله » . وعن كعب الاحبار : (٣٨) « ليبنين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاما » . وعن القاسم (٣٩) بن عبد الرحمن قال : « أوحى الله تبارك وتعالى ان هب ظللك وبركته لجبل بيت المقدس (٤٠) قال ففعل . فأوصى الله تبارك وتعالى اليه : أما اذا فعلت فاني سأبني لك في حضنك بيتا ـ قال عبد الرحمن ، قال الوليد في حضنك أي في وسطه وهو هذا المسجد ، يعني مسجد ـ أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاما ، ولا تذهب الايام والليالي حتى أرد عليك وبركتك . قال : فهو عند الله تعالى بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع » .

واضح من هذه القصص والروايات أنها اسطورية وليست حقيقية كما انه واضح ان الحافظ ابن عساكر نقلها على علاتها دون أن يمحصها أو ينفي الزغل عنها . ولعل السبب في ذلك كما ذكر محمد كرد علي (٤١) : « حرص ابن عساكر الايخلي كتابه بما يفيد جميع الطبقات ، وقد يسرد أشياء لا يعتقدها فيما نحسب » . وفي اعتقادنا أن ابن عساكر قد تعمد في سرد هذه الاساطير العجيبة الخرافية والخارقة للعادة هو اظهار شرف وتميز المسجد الاموي بدمشق عن باقي مساجد الامصار الاسلامية .

على أنه ينبغي أن نقرر هنا ان الحافظ بن عساكر لم يكن مبتدعا لهذا المنهج او الاسلوب في سرد الاسطورة او الخرافة ، فان تدوين الاساطير وكتابة السير (٤٢) بدأ منذ العصر الاموي ، فان طبيعة المجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية ، وما كان يسوده من مفاخرة الافراد والقبائل بحسبها ونسبها ، جعل الكثير منهم يحرصون على رواية مفاخرهم ، ومفاخر قبائلهم ومثالب خصومهم ، وبرغم مما في هذه الاخبار والقصص من خرافة ومن خيال

وغموض وعدم الدقة (٤٣) ، فان مؤرخي العصور الوسطى قد نقلوها على علاّتها (٤٤)

ولم يقتصر الامر على تحريف السيرة او القصة فحسب ، بل ان ائمة الحديث متفقون على ان احاديث كثيرة قد وضعت منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (٤٥) ، كما كثرت الاحاديث الموضوعة في عهد الفتنة الاولى بعد مقتل عثمان (٤٦) . ثم اخذ يزداد وضع الحديث وينمو حتى استفحل الامر فيما بعد ، فقد اخذ الامويون يرجون بالاحاديث فى فضائل عثمان بن عفان وفضائل الامويين وكل ما يمت لهم بصلة ، ليس من حيث الحسب والنسب فحسب ، بل تعدى ذلك الى الاماكن والبقاع مثل مدينة دمشق عاصمتهم ، والمسجد الاموى جامعهم ، والذى نقل الكثير منه شيخنا المؤرخ ابن عساكر فى شرف مسجد دمشق .

ومن القصص المثيرة التى يذكرها ابن عساكر فى شرف المسجد الاموى ، انه لما امر الوليد بن عبد الملك (٤٧) ببناء مسجد دمشق وجدوا فى حائط المسجد القبلى لوحا من حجر فيه كتاب نقش ، فأتوا به الوليد ، فبعث الى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث الى العبرانيين فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه (٤٨) ، فبعث اليه ، فلما قدم عليه اخبره بموضع ذلك اللوح ، فوجده فى ذلك الحائط فقرأه وهب وكان مكتوبا عليه فى النهاية « كتب فى زمن سليمان بن داود عليهما السلام » .

والقصة فى مجملها معقولة مقبولة ، الاّ أننا نقف عند ذكر ، أن اللوح لم تكن الكتابة المنقوشة عليه اللغة اللاتينية (لغة الدولة الرومانية) ، ولم تكن باللغة العبرية علما بأن اللوح قد كتب عليه انه فى زمن سليمان بن داود عليهما السلام ، وهو نبى اليهود ولغتهم العبرية . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى اذا استعرضنا اللغات الأخرى التى كانت معروفة فى عهد وهب ابن منبه ، لوجدنا اللغة البهلوية وهى الفارسية القديمة وكان يعرفها الكثيرون فى عهد الوليد ابن عبد الملك ، بل ان بعض الدراهم الفضية التى كانت تصك فى فارس فى عهد الدولة الاموية كانت ما تزال تحتفظ بصور ملوك الفرس الساسان وبعض الالفاظ والحروف البهلوية (٤٩) . أما اللغات الاخرى فهى الخط المسمارى والمسند ، لغة أهل حمير واللخميين ، وان كنا نستبعد ان يكتب بهما فى زمن سليمان بن داود وفى منطقة دمشق بالذات ، والذى نرجحه فى هذه القصة أن يكون ابن منبه نفسه قد اوردها فى احدى كتب المغازى والسير (٥٠) التى أشرنا اليها فى (الهامش) ، ثم نقلها عنه المسعودى (٥١) وعنهم نقل ابن عساكر دون نقد أو تفنيد .

ومن القصص الاسطورية التى لا تقل غرابة عن القصة السالفة الذكر وجود رأس يحيي بن زكريا حين ارادوا بناء مسجد دمشق ، والتى اخرجت من تحت ركن من اركان القبة ، وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير . وقد وردت هذه القصة فى كثير من المصادر التاريخية (٥٢) التى سبقت ابن عساكر ، ولكن شيخنا لم يناقشها أو يفندها . ومنطوق القصة كما جاء عن زيد بن واقد قال : وكلنى الوليد على العمال فى بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وأتي وبين يديه الشمع ، فنزل فاذا هى كنيسة لطيفة واذا فيها صندوق فيه سقط وفى السقط رأس يحيي بن زكريا عليهما السلام ، مكتوب

عليه : هذا راس يحيي بن زكريا ، فامر الوليد فرد الى المكان وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من الاعمدة فجعل عليه عمود مسبك (مسلط) [٥٣] الرأس .

والذى نود مناقشته فى هذه القصة ، بأى لغة كتب اسم يحيي بن زكريا ، وهل كتب على الصندوق او السفط او الرأس ؟ . ويبدو واضحا من هذه القصة ، الجانب الاسطورى الطريق الذى قصد به تشريف موضع المسجد ، ونحن لا نستبعد كتابة الاسطورة فى عصر الوليد بن عبد الملك ، اذ من المعروف ان بداية تدوين الاساطير ، كما ذكر المسعودى [٥٤] وغيره ، كان فى العصر الاموى ، فقد روى ان عبيد ابن شربه ، مولى معاوية بن ابى سفيان الف له (كتاب الملوك واخبار الماضين) . كما روى ان معاوية كان يستمع كل ليلة الى شيء من أخبار العرب وأيامها واخبار العجم وملوكها ، وكان يأتيه غلمان بكتب يقومون على حفظها ويقرأون له مما جاء فيها قصص وروايات الملوك وأساطيرهم وأخبار دولهم [٥٥] . وقد سار على نهج معاوية فى حبه لسماع السيرة والقصة والاسطورة ، كل من جاء بعده من ملوك بنى أمية عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز [٥٦] . وليس من المستبعد أن تكون قصة وجود رأس النبى يحيي بن زكريا من الاساطير التى شاعت فى عهد الوليد بن عبد الملك من قبيل تقديس البقعة التى اقيم عليها المسجد الاموى بدمشق .

ومن الشواهد المادية التى يمكن الاستشهاد بها فى عدم صحة هذه الرواية انه لم يعثر على عمود او دعامة مما تقوم عليها اروقة المسجد جميعها ، وكلها ترجع [٥٧] الى عصر الوليد بن عبد الملك ، تتميز عن باقى الاساطين والاعمدة .

هذا ولم يذكر ابن فضل الله العمرى [٥٨] ، وهو من مؤرخى القرن الثامن الهجرى ، وصف جامع دمشق وصفا مسهبا انه وجد عمودا او دعامة لها وصف مغاير لباقى الاعمدة . وهو كما قال عنه أحمد زكي باشا محقق كتابه [٥٩] : « ان ما أورده مغاير (اى ابن فضل الله العمرى عن مسجد دمشق والاقصى من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية لم يجر بها قلم كاتب قط ، لا من عرب ولا من عجم ، لا قديما ولا حديثا » .

ومما تجدر الاشارة اليه ، انه يوجد الآن فى رواق القبلة فى وسط الرواق الثانى تقريبا ومقصورة معدنية مربعة الشكل يقال لها مشهد يحيي بن زكريا [٦٠] ، وبرغم دقة ابن فضل الله المتناهية فى وصف الجامع ، الا انه لم يشر الى تلك المقصورة اى اشارة على الاطلاق ، ومن ثم فاننا نستطيع القول بأنها انشئت بعد القرن الثامن الهجرى على أقل تقدير .

الباب الثانى

معرفة ما ذكر من الامر الشايع الذائع

من هدم الوليد بقية كنيسة مريحنا وادخاله اياها فى الجامع

تكاد تجمع كل الروايات التى ذكرها ابن عساكر عن هدم الوليد للنصف الثانى من كنيسة القديس يوحنا وادخاله اياها فى الجامع الاموى بدمشق على النحو التالى : ـ انه دخل

يوما على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ابو عبدالله بن المغيرة [٦١] بن عبد الملك فرآه مغموما ، فقال له : يا أمير المؤمنين ما سبيلك ؟ قال : يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد ، وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها فى المسجد فأبوا علينا ، وقد اقطعتهم قطائع كثيرة ، وبذلت لهم مالا ، فامتنعوا فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ، لا تغتم ، قد دخل خالد من باب الشرقى بالسيف ، وباب الجابية دخل منه أبو عبيدة بن الجراح بالامان . فما سحهم الى اى موضع بلغ السيف ، فان يكن لنا فيه حق اخذناه . فقال له : فرجت عنى فتول انت هذا فتولاه . فبلغت المساحة الى تسويق الريحان (انظر مخطط دمشق القديمة) حتى حاذى القنطرة الكبيرة بأربعة اذرع وكسر بالذراع [٦٢] القاسمى ، فاذا باقى الكنيسة قد دخل فى المسجد ، فبعث اليهم فقال لهم : هذا حق قد جعله الله لنا لنصلى فيه ، ولم يصل المسلمون فى غضب ولا ظلم ، نأخذ حقنا الذى جعله الله لنا . فقالوا يا أمير المؤمنين قد اقطهتنا اربع كنائس . وبذلت لنا من المال كذا وكذا ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين ان تتفضل علينا به فأفعل . فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا اليه ، فاعطاهم كنيسة حميد بن درة وكنيسة أخرى حيث سوق الجبن وكنيسة مريم وكنيسة المصلبة (انظر مخطط دمشق القديمة) .

وقد أثار كثير من المستشرقين ضجة كبيرة حول قسمة كنيسة يوحنا نصفين واتخاذ المسلمين الجانب الشرقى منها مسجدا لهم ، وادعوا ان النص السالف الذكر والذى جاء فيه ان الكنيسة كان نصفها يقع فى الجزء الذى اخذه عبيدالله بن الجراح صلحا والنصف الآخر اخذه خالد بن الوليد بحد السيف . ولما كانت المعاهدة التى أبرمت بين المسلمين وبين أهل دمشق من المسيحيين تقضى بأن يترك العرب ما اخذ صلحا لأهل البلاد ويستولون فقط على ما أخذ بحد السيف ، انما هو من وضع ابن عساكر ليبرر به نقض الوليد للمعاهدة التى كانت ما تزال قائمة يومئذ . بل لقد ذهب المستشرق كانتانى [٦٣] Contineau وكذا المستشرق (دوسو) [٦٤] Dussaud وسوفاجية [٦٥] Sauvaget الى أن هذا الخبر الذى اورده ابن عساكر ذو صبغة اسطورية وأنه من وضع ابن عساكر .

وقد ناقش هذا الموضوع صلاح الدين المنجد [٦٦] ورد على كثير من ادعاءات المستشرقين نخص بالذكر منهم كاتانى والمانس وهارتمان فاقحمهم بالحجة والبرهان المادى . فذكر ان هذا الخبر قد ذكره عدد كبير من مؤرخى المسلمين قبل ابن عساكر مثل ابن جبير [٦٧] فى رحلته والذى نقله عن ابن المعلى . فقد قال فى رحلته : كذلك ذكر ابن المعلى فى تاريخه تاريخا عنى فيه بتفصيل موضوع بناء الجامع الاموى وقصة الكنيسة . ومن ثم فاننا نستطيع القول بأن النص الذى اورده الحافظ بن عساكر عن بناء المسجد وقصة الكنيسة ، قد سبقه اليه احمد بن المعلى بثلاثة قرون وأنه صحيح لا ريب فيه .

الباب الثالث
ما ذكر في بناء المسجد الجامع
واختيار بانيه وموضعه على سائر المواضع

ولما اراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق ، استقدم له الصناع والعمال من شتى البلاد الاسلامية التى اشتهرت بصناعة البناء ، وذلك تطبيقا لنظام الالتزام (٦٩) ، وقوامه فى الاسلام التزام اقاليم العالم الاسلامى بتقديم الصناع ، والفنيين ، ومواد الصناعة الى الحكومة المركزية للقيام بما تريده من الاعمال الفنية الجليلة (٧٠)

وقد ذكر ابن عساكر عن ابن المعلى ، لما اراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج الى صناع كثيرة ، فكتب الى الطاغية (ملك الروم) : « ان وجّه الى بمائتى صانع من صناع الروم ، فانى اريد أن أبنى مسجدا لم يبن فى مصر قبل ولا يكون بعدى مثله ، فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش وخربت الكنائس فى بلدى وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم » (٧١) . ويضيف ابن فضل الله العمرى (٧٢) ، (اى ملك الروم) « لئن كان ابوك فهمها فاغفل عنها ، انها لوصمة عليه ، ولئن كنت فهمتها وغيّبت عن أبيك انها لوصمة عليك ، وانا موجه ما سالت». فاراد (اى الوليد) ان يجد جوابا فجلس عقلاء الرجال يذكرون ، فقال الفرزدق : انا أجيب ، قال الله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » . فسرّى عنهم .

ونحن لا نشك فى صحة هذه الرواية ولكننا نستبعد الاسلوب العدائى الذى طلب به الوليد من ملك الروم ارسال العمال ، خاصة وانه قد طلب كذلك عمالا من الروم لبناء مسجد المدينة . هذا ونود ان نشير هنا الى أن عمال الروم انما جاءوا لزخرفة المسجد بالفسيفساء (٧٣) الذين برعوا فى صنعه وتخصصوا فيه (٧٤) . أما باقى عمال البناء فقد وفدوا من مصر والشام ومن العراق وبلاد فارس نطبيقا لنظام الالتزام السالف الاشارة اليه .
هذا بالاضافة الى ان كل المؤرخين مثل البلاذرى (٧٥) وابن عبد ربه (٧٦) والابشهى (٧٧) والبيهقى (٧٨) وغيرهم ذكروا العلاقات الطيبة بين الدولة الاموية ، وتبادل المصالح بينهما ، فقد كانت مصر تصدر القرطاس (الورق) من البردى الى امبراطور الروم بينما كان الروم يصكون للدولة الاموية الدنانير الذهبية ، ومن ثم فاننا نستبعد اسلوب التهديد الذى كتب به الوليد بن عبد الملك رسالته فى طلب عمال بناء من الروم .

الباب الرابع
كيفية ما رخم وزوق ومعرفة كمية المال الذى عليه أنفق

تحدث الحافظ بن عساكر عن رخام وتزويق مسجد دمشق . فنقل عن أحمد بن المعلى قوله : « ما فى مسجد دمشق من رخام شىء ، الا رخامتا المقام . فانه يقال أنهما من عرش سبأ ، واما الباقى فكله مرمر » ، ويضيف فيقول « أنبأ الحسن بن يحيي قال سمعت أبا جعفر يقول : هاتان الرخامتان اللتان فى جانبى المقام من عرش سبأ » ، ويضيف ابن فضل الله العمرى (٧٩) فيقول : « المقام هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما السماقى البّراق ولا يدرى ما قيمتهما » .

ونلاحظ هنا ان ابن عساكر يعود لسرد الاساطير دون حرج ، فيردد ما جاء فى المصادر السابقة عليه من أن بعض الرخام الذى استعمل فى زخرفة مسجد دمشق مأخوذ من عرش سبأ ، وهو شىء يصعب معرفته واثباته ، وأن كان ليس من المستبعد أن يكون بعض الرخام الذى زخرف به المسجد قد أحضر من مدينة (تدمر) .

هذا وقد اعطانا ابن فضل الله العمرى وصفا مفصلا عن رخام مسجد دمشق فيقول : وبمسجد دمشق من الرخام الابيض وقرمئين من الابل ، ففيه من الملوك كالغرابى والمنقط والمشحم والاخضر والسماقى غير اللوحين (اللذين قيل انهما من عرش سبأ) شىء كثير ، والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام (أى فى القرن الثامن الهجرى عصر ابن فضل الله العمورى) .

أما عن الاموال التى صرفت على بناء مسجد دمشق فقد حرص ابن عساكر على جمع كل الروايات والاخبار التى قيلت فى هذا الصدد . فقد اورد حديث الوليد بن مسلم عن احتجاج الامة على الوليد على نفقاته الباهظة فى تزويق المسجد ، ورد الوليد المقنع على أهل الشام ، اذ قال : « لما اخذ الوليد فى بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤونته ، تكلم الناس وقالوا : محق بيوت الاموال فى نقش الخشب وتزويق الحيطان . فصعد المنبر (الوليد) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد بلغنى مقالتكم وليس الامر على ما ظننتم . الا وانى امرت باحصاء ما فى بيوت اموالكم فاصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة » . ويضيف ابن فضل الله العمرى (٨٠) قول الوليد : « يا اهل دمشق انى رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فاحببت أن يكون مسجدكم الخامس » .

أما عن الاموال التى انفقت على المسجد فيقول ابن عساكر نقلا عن خالد بن تبوك : (٨١) حدثنى شيخ من اهل العلم : ان عبد الملك اشترى العمودين الاخضرين الكبيرين اللذين تحت النسر (اى قبة النسر) من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بالف وخمسمائة دينار » وينقل عن عمرو بن مهاجر (٨٢) ، وكان على بيت مال المسلمين فى عهد الوليد ، انهم حسبوا ما انفقوا على مسجد دمشق فكان أربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار » ومعنى ذلك ان ما انفق هو (٥ر٦٠٠ر٠٠٠) دينارا .

الباب الخامس
ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز هم برقم رده على النصارى حين قاموا فى طلبه

لقد عرف الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعدل والانصاف حتى لقب بخامس الخلفاء الراشدين . من ثم فقد كثرت القصص والروايات الحقيقية والمبالغ فيها بل والتى خرجت عن حد المعقول والمقبول .يروونها عنه . يريدون بها تكريمه ونشر محاسنه كأسوة حسنة يحتذى بها . وبرغم ما كان عليه عمر بن عبد العزيز من كريم الاخلاق وما تحلى به من عظيم الصفات . الا انه لم يسلم من غمز الناس ولمزهم . فقد غضب عليه اهل الشام عندما رأوه يريد انصاف النصارى برد ما أخذه المسلمون من كنيستهم التى اضافوها الى مسجد دمشق (٨٣) . فقالوا انه انما فعل ذلك من اجل امه النصرانية . ومن المعروف ان امه . أم ولد رومية .

وجريا على المنهج والاسلوب الذى اتخذه الحافظ بن عساكر فى كتاباته . يورد لنا عددا من القصص والروايات التى احاطت بموضوع طلب النصارى برد ما دخل من كنيستهم فى مسجد دمشق . فيذكر عن ابن المعلى . عن ابن جابر وغيره : ان النصارى رفعوا الى عمر ابن عبد العزيز ما اخذوا عليه العهد فى كنائسهم . لا تهدم ولا تسكن (٨٤) . وجاءوا بكتابهم اليه وكلمهم عمر ورفع (٨٥) لهم فى الثمن حتى بلغ مائة الف دينار . فأبوا . فكتب عمر على محمد بن سويد الفهرى : (٨٦) ان ادفع اليهم كنيستهم الا ان يرضوا برضاهم. فاعظمه ذلك وأعظم الناس وفيهم يومئذ بقية من اهل الفقه . فشاورهم محمد بن سويد الفهرى فقالوا : هذا أمر عظيم . ندفع اليهم مسجدنا وقراءنا فيه وقد أذنا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم كنيسة ؟ فقال رجل منهم . ها هنا خصلة : لهم كنائس عظام حول مدينتهم . دير مران وباب توما والراهب (٨٨) وغيرها احبوا ان نعطيهم كنيستهم . ولا تبقى حول مدينة دمشق كنيسة ولا بالغوطة الا هدمت . وإن شاءوا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة . ونسجل لهم بها سجلا وتركوا ما يطلبون . فعرض ذلك عليهم فقالوا : انظرونا ننظر فى أمرنا . فتركهم ثلاثا . فقالوا نحن نأخذ الذى عرضت علينا وتكتب الى الخليفة تخبره انا قد رضينا بذلك . ويسجل الخليفة من قبله سجلا منشورا بامان على ما فى الغوطة من كنيسة من ان تهدم أو تسكن . فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسره وسجل لهم ما فى كنائسهم التى خارج مدينة دمشق والغوطة انهم آمنوا ان تخرب أو تسكن واشهدوا لهم شهودا .

ويسجل الحافظ بن عساكر النصوص التى وردت فى المراجع التاريخية الخاصة بنزع كل ما له قيمة من مسجد دمشق لبيعه ورده الى بيت المال وذلك حرصا منه على اموال المسلمين التى يعتقد أنها انفقت فى غير حقها . ومما يؤخذ على الروايات التى سردها ابن عساكر ان

بعضها ضعيف وغير معقول . بل انها تصل الى حد الاسطورة . ومع ذلك لا يرى شيخنا المؤرخ حرجا في سردها . وذلك جريا على ما كان متبعا في عصره . فقد كان المؤرخ ينقل اخبار اهل النحل والمذاهب دون أن ينفيها او يقرها فلا يستدل من ذلك على انه يعتقدها (٨٩) .

ومن هذه الروايات ما ذكره ابن عساكر عن عمرو بن مهاجر (٩٠) قال : سمعت عمر ابن عبد العزيز يقول : «رأيت اموالا انفقت في غير حقها ، فانا مستدرك ما استدركت منها . فراده (٩١) في بيت المال . عامد الى ذلك الفسيفساء (٩٢) والرخام فاقلعه واطينه (٩٣) . وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالا . وانزع تلك البطائن فأبيع ذلك وادخله بيت المال » (٩٤) .

هذه الرواية وان كانت مقبولة معقولة من حيث المضمون . وهو تقشف عمر بن عبد العزيز وحرصه الشديد على اموال المسلمين ورغبته في انتزاع الاشياء التي يمكن نزعها من المسجد وردها الى بيت المال ، الا ان تفاصيل الرواية غير مستساغة على الاطلاق . فمن غير المعقول ان يأمر شخص سويّ كعمر بن عبد العزيز بتخريب بيت من بيوت الله لكي ينتزع منه القطع الزجاجية منه القطع الزجاجية (الخردة) التي تعرف بالفسيفساء . والتي تكمن قيمتها في ترصيعها على الجدران وليس في قيمتها المادية (٩٥) . هذا بالاضافة الى أن نزعها يخرب الجدران ومن ثم فان اعادة الجدران يحتاج الى اموال قد لا تقل كثيرا عن القيمة المادية للفسيفساء الزجاجية . ويستمر ابن عساكر في سرد بقية الرواية فيقول : فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم (الامر) . فخرج اليه اشرافهم وفيهم خالد القسرى فقال لهم : ائذنوا لى حتى اكون انا المتكلم . فاذنوا له . فلما اتوا دير سمعان استأذنوا على عمر . فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليه فقال له خالد : يا امير المؤمنين ! بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا . قال : رأيت اموالا انفقت في غير حقها وانا مستدرك ما أدركت فرداه الى بيت المال . فقال له : والله ما ذاك لك يا أمير المؤمنين . فقال عمر : لمن هو ؟ لأمك الكافرة ! وغضب عمر . فقال خالد : ان تلك نصرانية فقد ولدت مؤمنا . فاستحى عمر وقال : صدقت ! فما قولك ما ذاك لي ؟ .

الى هنا والرواية صحيحة ومقبولة ، الا أن بقيتها التي وردت على لسان خالد القسرى ، والتي يقول فيها انه كان يفرض على الجنود الذين يذهبون الى غزو بلاد الروم حمل قفير من الفسيفساء ، وقدر ذراع مربع من الرخام ، فغير معقول ، بل ولم نجد له ما يؤيده في المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت الحروب التي قامت بين الدولة الاموية والبيزنطية بالبحث والدراسة سواء القديمة منها او المحدثة . هذا بالاضافة الى أن الفسيفساء ليس بنبات يزرع فيجده الجندي العربي في النزاع فيحمله ، أو ملقى في الطرقات أو على سطوح الجبال والوديان ، بل هو يجهز خصيصا للبناء الذى سيزخرف (٩٦) بالزجاج ، والرخام الملون ، ومن الصدف ، وفي بعض الاحيان من الاحجار النصف كريمة . بل من حبات اللؤلؤ كما هو الحال في قبة الصخرة ، ومسجد دمشق والمسجد الاقصى (٩٧) ، كما ان الرخام لم يكن

الواحا ملقاة فيسهل حملها ، بل تقطع من المحاجر حسب الطلب او تؤخذ من الخرائب .

فقد رد خالد القسرى على عمر بن عبد العزيز بقوله : انا كنا معشر أهل الشام واخواننا من أهل مصر والعراق ، نغزو فيفرض على الرجل منا ان يحمل من أرض الروم قفيزا بالصفير من الفسيفساء وذراعا فى ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب الى حلب ، ويستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل حمص الى حمص فيستأجر على ما حملوه الى دمشق . ويحمل اهل الشام ومن وراءهم حصتهم الى دمشق . فذاك قولى ما ذاك لك . فسكت عمر .

أما عن السبب الذى من اجله عدل عمر بن عبد العزيز عن تجديد المسجد مما فيه من الزخرف والزينة ، ورده الى بيت المال ، فقد سرد الحافظ ابن عساكر ثلاثة انواع من الروايات بعضها يصل فى تفصيله ومضمونه الى حد الاسطورة والبعض الآخر يمكن قبوله على علاته والبعض صحيح معقول .

أما عن النوع الاول من الرواية ، فهو ما ذكره عمرو بن مهاجر قال : ثم جاءه (أى عمر ابن عبد العزيز) بريد مصر من واليها واليـا يخبره ان قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من الروم عليهم رجل منهم يريدون الوفود الى أمير المؤمنين . فكتب اليه أن وجههم الى ووجه معهم عشرة من المسلمين عليهم ممن يحسن الكلام بالرومية ، ولا تعلمونهم بذلك حتى يحملوا الى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، وخارج باب البريد (٩٨) . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم فى دخول المسجد ، فاذن لهم ، فمروا فى الصحن حتى دخلوا من الباب الذى يواجه القبه ، فكان أول ما استقبلوا المقام ، ثم رفعوارؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيا عليه ، فحمل الى منزله ، فقام ما شاء الله ان يقيم ، ثم افاق فقالوا له بالرومية ما قصتك ، وما الذى عرض لك حين دخلت هذا المسجد ؟ قال : انا معشر أهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها ، فلذلك اصابنى الذى أصابنى . فلما قدموا على عمر أخبروه بما سمعوا منه فقال عمر : لا أرى مسجد دمشق الا غيظا على الكفار ، فترك ما كان همّ به من أمره .

وقبل أن ننتقل الى النوع الثانى من الرواية أود أن أسأل . لماذا أتعب أهل رومية أنفسهم بالذهاب الى مصر بينما بلاد الشام أقرب اليهم فهى على تخوم بيزنطة الجنوبية ؟ .

أما النوع الثانى من الرواية وهو الذى يمكن قبوله مع شيء من الحذر ، فهى فى مضمونها تشبه الرواية السابقة ، الا انها تختلف عنها فى أن وفد رومية أتى عمر بن عبد العزيز بدمشق ، فأرسل معهم عمر من يعرف الرومية وقال : لا تعلموهم انكم تعرفون الرومية واحفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، لم يغش على رئيسهم كما الحال فى الرواية السابقة وانما قال :

كم للاسلام قالوا مئة سنة . قال تصغرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البنيان الاّ ملك عظيم . وتنتهى الرواية كما انتهت السابقة عليها ، اذ يقول عمر بن عبد العزيز اما اذ هو غائظ العدو فدعه .

أما الرواية الثالثة فهى التي تتفق وشخصية عمر بن عبد العزيز بل يستسيغها العقل ويقرها المنطق ، اذ هي تقول : أراد عمر بن عبد العزيز ان يمحو الذهب الذى في المسجد فقيل له انه اذ جرد لم يكن له ثمن ، فتركه .

الباب السادس
ذكر ما كان في الجامع من القناديل والآلات
ومعرفة ما عمل فيه وفى البلد بأسره من الطلسمات

ان ما أورده هنا شيخنا الحافظ بن عساكر من روايات صحيحة معظمها ، اذ أنها تتصل بأشياء مادية بعضها ما يزال باقيا ومحفوظا في خزائن المسجد ، ومتاحف الدولة بدمشق ، والبعض الآخر سجله المصورون في مخطوطات صنعت خصيصا لهذه الآلات مثل الساعات المائية التي وجدت في مسجد دمشق والتى نسب اليها بعض أبواب المسجد . ومن أشهر المخطوطات العلمية التى عنيت عناية خاصة بالساعات المائية من بين الآلات الميكانيكية الاخرى (كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل) لابن الرزاز (٩٩) الجزرى ، اذ يوجد جزء منه نسخه خطاط مصرى اسمه محمد بن احمد (سنة ٧٥٥ هـ/ سنة ١٣٥٤ م) لاحد امراء سلاطين المماليك البرجية في مصر ، محفوظ الآن في متحف الفنون الجميلة في بوسطن بالولايات المتحدة ، وقد وضع متن المخطوط بصورة تمثل ساعات مائية (١٠٠) . كما ظفرت تصاوير هذا المخطوط بعناية كثير من الدارسين وخاصة مجموعة الساعات التى ينطبق اوصافها تماما على وصف الساعات التى جاء ذكرها في روايات ساعات مسجد دمشق ، فقد ظهر في رسمها صور حيوانية ورسوم طير كما هو الحال بساعات مسجد دمشق .

فقد ذكر الحافظ بن عساكر عن أبى محمد بن الاكفاني : انما سمي الجامع القبلى (١٠١) باب الساعات لانه كان عمل هناك ساعات (١٠٢) يعلم بها كل ساعة تمضى من النهار . عليها صورة عصافير وحية وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست » فهى اذن من الساعات الدقاقة التى وصفها وصورها ابن الرزاز الجزرى .

أما الرواية التي ذكرت عن القنديل البلورى الذى كان موجودا في مسجد دمشق حتى اوائل القرن الثالث الهجرى على اكثر تقدير ، فواضح فيها الاسلوب الاسطورى الخالى من الاسانيد أو التحقيق التاريخي ، اذ جاء فيها ، انه لما كان في ايام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد (١٠٣) ، احتفروا موضعا فوجدوا بابا من حجارة مغلقا ، فاذا داخله مغارة فيها تمثال انسان من حجارة على فرس من حجارة في يد التمثال الواحدة الدرة التى كانت في المحراب (اى القنديل البلورى) ويده الاخرى مطبوقة ، فكسرت فاذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف لم تكسرها ، لم يسوس في هذه البلدة قمح أو شعير .

أما عن الرواية التى تقول بان الخليفة الامين العباسي كان يحب البلورة (١٠٤) ، فكتب الى صاحب شرطة دمشق فوجهها اليه . فلما قتل ردها المأمون ليشنع بذلك على الامين فلم نجد لها سندا من مصدر تاريخى يمكن الاعتماد عليه . ولعل الذى قصها احد أتباع المأمون من الفرس أعداء العنصر العربى أتباع الامين .

أما عن قصة الطلاسم التى وجدت بمسجد دمشق التى تقى الجامع من الحشرات الضارة ، فهى وان كانت خرافة واسطورة من حيث الموضوع الا انها حقيقة ثابتة ، اذ أن الكثير من مساجدنا فى مصر مثل الجامع الازهر ومدرسة السلطان الغورى وغيرها كثير ما زال يحتفظ بالواح حجرية ورخامية عليها كتابة غير مقروءة تشبه حساب الفلك ولغة السحر تعرف بطلاسم الحشرات . فقد ذكر ابو الفضل يحيي بن على القاضى : « انه ادرك فى جامع دمشق قبل حريقه (١٠٥) طلسمات لسائر الحشرات معلقة فى السقف فوق البطائن مما يلى السبع (١٠٦) وانه لم يكن يوجد فى الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق فلما احترقت الطلسمات وجدت » .

الباب السابع
ما ورد فى أمر السُّبْع
وكيف كان ابتداء الحضور فيه والجمع

ولعل من اهم الحقائق الثابتة التى أوردها شيخنا الحافظ بن عساكر ، والتى لم تذكرها كثير من المصادر التاريخية ، هو ما قيل فى امر السُّبْع وما جاء فى أمر بداية التدريس فى مسجد دمشق . أما المقصود بالسُّبْع (١٠٧) فهو السبع من القرآن ، ثم أصبح اسم علم يطلق على المكان الذى يقرأ فيه السبع من المسجد ، ويحدد لنا ابن جبير (١٠٨) مكان السبع من مسجد دمشق فيقول : ان موضع السبع فى المسجد ، الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة ، وأن قراءة السبع لا تتعدى ذلك الموضع متصلا مع جدار القبلة الى الجدار الشرقى ، ووقت قراءته كل يوم اثر صلاة الصبح . وقد اوقف كثير من الحبوس على اسباع كثيرة (١٠٩) .

أما عن ابتداء الدرس فى مسجد دمشق فيقول فقيه الشام الاوزاعى عن حسان ابن عطية : الدراسة (١١٠) محدثة ، احدثها هشام بن اسماعيل المخزومى (١١١) فى قدمته على عبد الملك فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح فى مسجد دمشق ، وعبد الملك فى الخضراء فأخبر أن عبد الملك يقرأ فى الخضراء ، فقرأ هشام بن اسماعيل المخزومى ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرأ بقراءته » .

يفهم من هذه الرواية ان مسجد دمشق قد اتخذ مكانا للدراسة فى عهد عبد الملك ابن

مروان اى قبل توسعته واعادة بنائه فى عهد الوليد بن عبد الملك .

وهكذا نستطيع القول بانه اذا كان معاوية بن أبى سفيان [١١٢] هو أول من جعل المسجد الجامع يلعب دوراً سياسياً هاماً ، وذلك عندما طلب من جميع الامراء وعمال الاقاليم اقامة مساجد [١١٣] جامعة تمثل مسجد الدولة الرسمى وأمرهم بذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة والدعاء له ، ومن ثم اصبح ذكر اسم الخليفة فى خطبة الجمعة يكون شارة من شارات الخلافة وان حذف اسمه يعنى خلعه [١١٤] . فان مسجد دمشق فى عهد عبد الملك ابن مروان كان أول مسجد رسمى اتخذ مكانا للدرس .

وبعد .

فهذا قليل من كثير مما ذكره وأورده شيخنا المؤرخ الجليل الشأن الحافظ بن عساكر فى الابواب الستة التى خص بها الجامع الاموى فى خطط مدينة دمشق . على انى لا أدعى انى ناقشت أو أوردت جميع ما ذكره أو رواه عنه ، فذلك يحتاج الى مصنف كبير لا يتسع المجال له فى هذه الندوة العالمية . ومن ثم فقد عنيت بمناقشة الظاهر منها والذى يمكن أن يعطى فكرة متكاملة عن اسلوب ابن عساكر ومنهجه الذى هو فى الواقع منهج المؤرخين فى العصور الوسطى .

والله الموفق والمعين .

فهرس المصادر والمراجع العربية

١ ـ عبد الكريم بن احمد السمعانى : اخبار رحلة السمعانى المتوفى (سنة ٥٦٢ هـ/سنة ١١٦٦ م) .

٢ ـ عبد الكريم بن أحمد السمعانى : التجبير (مخطوط) .

٣ ـ محمد بن محمد الاصبهانى : الخريد (مخطوط) توفى (سنة ٥٩٧ هـ/سنة ١٢٠٠ م) .

٤ ـ عبد الرحمن بن على بن الجوزى : المنتظم ت (سنة ٥٩٧ هـ/سنة ١٢٠٠ م) .

٥ ـ القاسم بن على الشافعى (ابن الحافظ بن عساكر) : معجم الادباء ت (سنة ٦٠٠ هـ/سنة ١٢٠٣ م) .

٦ ـ : تذكرة الحفاظ .

٧ ـ ياقوت ، بن عبد الله الرومى : معجم الادباء ت (سنة ٦٢٦ هـ/سنة ١٢٢٨ م) .

٨ ـ ابن النجار ، محمد بن محمود : ذيل تاريخ بغداد (مخطوط) (سنة ٦٤٣ هـ/سنة ١٢٤٥ م) .

٩ ـ سياط بن الجوزى : مرآة الزمان ت (سنة ٦٥٤ هـ/سنة ١٢٥٦ م) .
١٠ ـ ابو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل : الروضتين ت (سنة ٦٦٥ هـ/سنة ١٢٥٨ م) .
١١ ـ ابن خلكان ، أحمد بن محمد : وفيات الاعيان ت (سنة ٦٨٢ هـ/سنة ١٢٨٣ م) .
١٢ ـ ابو الفداء ، اسماعيل بن على : تاريخ أبى الفداء ت (سنة ٧٣٢ هـ/سنة ١٣٣١ م) .
١٣ ـ الذهبى ، محمد بن احمد : تذكرة الحفاظ ت (سنة ٧٤٨ هـ/سنة ١٣٤٧ م) .
١٤ ـ الصفدى ، خليل بن ايبك : الوافى بالوفيات مخطوط ت (سنة ٧٦٤ هـ/سنة ١٣٦٢ م) .
١٥ ـ للسبكى ، عبد الوهاب بن على : طبقات الشافعية ت (سنة ٧٧١ هـ/سنة ١٣٦٩ م) .
١٦ ـ ابن كثير ، اسماعيل : البداية والنهاية ت (سنة ٧٧٤ هـ/سنة ١٣٧٢ م) .
١٧ ـ ابن القاضى شهبة ، تقى الدين أحمد بن محمد : طبقات الشافعية (مخطوط) ت (سنة ٨٥١ هـ/سنة ١٤١٢ م) .
١٨ ـ ابن تغرى بردى ، يوسف : النجوم الزاهرة ت (سنة ٨٧٤ هـ/سنة ١٤٦٩ م) .
١٩ ـ النعيمى ، عبد القادر : تنبيه الطالب ت (سنة ٩٢٧ هـ/سنة ١٥٢٠ م) .
٢٠ ـ ابن العماد ، عبد الحى : شذرات الذهب ت (سنة ١٠٨٩ هـ/سنة ١٦٧٨ م) .
٢١ ـ البستانى ، بطرس : دائرة المعارف ت (سنة ١٣٠٠ هـ/سنة ١٨٨٢ م) .

٢٢ ـ كرد على محمد : كنوز الأجداد .
٢٣ ـ ابن الفقيه الهمذانى : البلدان .
٢٤ ـ احمد بن طيفور : تاريخ بغداد (طبع ليبزج سنة ١٩٠٨ م) .
٢٥ ـ محمد احمد دهمان : جبل قاسيون دمشق سنة ١٩٤٦ م .
٢٦ ـ محمد كرد على : خطط الشام دمشق سنة ١٩٢٥ م .
٢٧ ـ ابن جبير : الرحلة ليدن سنة ١٨٥٢ م .
٢٨ ـ المحب الطبرى : الرياض النضرة فى مناقب العشرة القاهرة (١٣٢٧ هـ) .
٢٩ ـ ابن الحورانى : الزيارات (الاشارات الى اماكن) دمشق (١٣٢٧ هـ) .
٣٠ ـ على بن ابى بكر الهراوى : الزيارات (الاشارات الى معرفة) دمشق (١٩٥٣ م) .
٣١ ـ ابن الطولونى : الشمعة المضيئة فى اخبار القلعة الدمشقية دمشق (سنة ١٣٤٨ هـ) .

٣٢ ـ ابن ابى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ـ القاهرة .
٣٣ ـ ابن الطولونى : القلائد الجوهرية فى تاريخ الطحالبة ـ دمشق (١٩٤٩ م) .
٣٤ ـ الحسن بن احمد الاربلى : مساجد دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها دمشق (سنة ١٩٤٧ م) .
٣٥ ـ مسجد دمشق : صلاح الدين المنجد دمشق سنة ١٩٤٨ م
٣٦ ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار فى ممالك الامصار القاهرة سنة ١٩٢٤ م .
٣٧ ـ ابن واصل الحموى : مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب القاهرة سنة ١٩٥٢ م .
٣٨ ـ عبدالله بن محمد البدرى : نزهة الانام فى محاسن الشام القاهرة سنة ١٣٤١ هـ .

(١) محمد كرد على : كنوز الاجداد .
(٢) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢١٣ .
(٣) السبكى : جـ ٤ ص ٣٢٤ ، شذرات الذهب جـ ص ٣٢٤ للعماد الاصفهانى .
(٤) ابن القاضى شبهه : طبقات الشافعية (مخطوط) ورقة ٢٠٥ .
(٥) السمعانى : التحبير (مخطوطة) ورقة ١١٣ .
(٦) مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر ـ نشرها صلاح المنجد ص ١٤ .
(٧) كرد على : كنوز الاجداد .
(٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان .
(٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص .
(١٠) سبط بن الجوزى : الخريدة .
(١١) عبد الكريم أحمد السمعانى : التحبير وهو مخطوط ذكر فيه اشارات كثيرة الى الحافظ فى رحلته واستشهد بآرائه فى المحدثين .
(١٢) العماد الاصفهانى : الخريدة (مخطوط) . لقى الاصفهانى ابن عساكر بدمشق سنة ٥٦٢ هـ وتردد عليه وسمع منه بعض التاريخ وشيئا مما الفه وقد أنشده الحافظ ابن عساكر شعره .
(١٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٢ .
(١٤) صلاح الدين المنجد : تاريخ مدينة دمشق جـ ١ ص ٣١ .
(١٥) القاسم بن على الشافعى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٢٠ .
(١٦) السمعانى : التحبير ورقة ١٦ .
(١٧) العماد : الخريدة (مخطوط) ورقة ١٤٧ .
(١٨) ابو شامة : ذيل الروضتين ص ٤٧ .
(١٩) صلاح المنجد : تاريخ دمشق ص ٣٣ .
(٢٠) كرد على : كنوز الاجداد .
(٢١) ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ١ ص ٥ .
(٢٢) عبد القادر بدران : تهذيب ابن عساكر جـ ٢ ص ٩٤ .
(٢٣) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦٣ .
(٢٤) هو أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن حميد المشهور بابن ابى العجائز.
(٢٥) قام بتحقيقه الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٢٦) القشيرى : تاريخ الرقة (مخطوطة) بالمدرسة الظاهرية .
(٢٧) حمزة السهمى : تاريخ جرجان ص ١٦ .
(٢٨) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١ ص ٦٦ الى ١٢٦ .
(٢٩) تهذيب التهذيب : جـ ١ ص ٨٠ .
(٣٠) فضائل الشام ودمشق : ص ٣٦ .
(٣١) فضائل الشام ودمشق : ص ٦١ . عيون التواريخ حوادث سنة ٨٦ هـ.
(٣٢) المرجع السابق .
(٣٣) تفسير الالوسى : جـ ٣٠ ص ١٧٣، ١٧٤ .
(٣٤) الامام محمد عبده : ص ١١٨، ١١٩ .
(٣٥) محمد كرد على : كنوز الاجداد .
(٣٦) فضائل الشام ودمشق ص ٦٢ ، معجم البلدان لياقوت ص ٥٨٨ .
(٣٧) انظر الباب السادس فى البحث .
(٣٨) ابن الفقيه : كتاب البلدان .
(٣٩) فضائل الشام ودمشق ص ٣٨ .
(٤٠) كمال الدين محمد بن محمد المقدسى : اتحاف الاخصا بفضل المسجد الاقصى (مخطوطة) رقم (٤٠٧) دار الكتب المصرية .
(٤١) محمد كرد على : كنوز الاجداد .
(٤٢) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ١٧٣ ، ج ٤ ص ٨٩ ، جـ٥ ص ٧٧.
(٤٣) F. Krenk the Two oldest books on Arabic Folklore (in Eslamic Calture II)
(٤٤) زكى محمد حسن : دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى دار الاسلام والمؤرخين الاوروبيين فى العصور الوسطى ص ٦ - ٨ (مجلة كلية الآداب ببغداد جـ ٢ سنة ١٩٥٧) .
(٤٥) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ص ٣٨ .
(٤٦) ابن الاثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة جـص ٢٣٣ .
(٤٧) فضائل الشام ودمشق ص ٣٤ .
(٤٨) يرجع نسب وهب بن منبه الى أسرة فارسية الاصل استقرت في اليمن قبل الاسلام وهو من الرعيل الاول من كتاب المغازى توفى (سنة ١١٠ هـ/سنة ٧٢٨ م) ، وقد اشتهر وهب بمعرفة اخبار اهل الكتاب من يهود ومسيحيين عن طريق اهل اليمن من اهل الكتاب . وينسب الى وهب بن منبه (كتاب المبتدأ) الذى استغله الثعلبى فى كتابه (عرائس المجالس فى قصص الانبياء) ويضم الكتاب كثيرا من قصص الانبياء كما ينسب الى وهب (كتاب الملوك المتوجه من حمير واخبارهم وغير ذلك) وهو التاريخ الخرافى القديم لليمن . (ياقوت : معجم الادباء جـ ٧ ص ٢٣٣) .
(٤٩) Pope A.V : A Survey of Persion Art & An Introduction to Persian Art simce the seventh Century.
(٥٠) يوسف هورفتس : المغازى الاول ومؤلفوها (ترجمة حسين نصار - القاهرة ١٩٤٩) .
(٥١) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٢ (المطبعة البهية سنة ١٣٤٦ هـ) .
(٥٢) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٧ .
(٥٣) لعل كلمة (مبسط) التى وردت فى المخطوطة وكلمة (مسفط) التى صححها الدكتور صلاح الدين المنجد فى تحقيقه للمخطوط هى (مسمط) اى غير مجوف وهو اصطلاح معمارى يطلق على الاعمدة وتيجانها الغير مجوفة .

(٥٤) مروج الذهب جـ ٣ ص ١٧٣ .
(٥٥) F. Krenko : The Two oldest books on Arabic Folklore p. 72
(٥٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٨٩ .
(٥٧) Creswell : Early Muslim Architecture vol I p. 162
(٥٨) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار فى الممالك والامصار جـ ١ ص ١٩٠ .
(٥٩) لقد حقق احمد زكى باشا كتاب ابن فضل الله العمرى (سنة ١٩٢٤ م/سنة ١٣٤٢ هـ) اى قبل صدور موسوعة الاستاذ كرزويل عن العمارة الاسلامية التى ظهر الجزء الاول منها الذى يحتوى وصف جامع دمشق فى سنة ١٩٣٢ م .
(٦٠) مدينة دمشق وآثارها - مديرية الآثار بدمشق .
(٦١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٥ ، فضائل الشام ودمشق ص ٤٠ .
(٦٢) هناك ثلاثة مقاييس للذراع فى العصر الاسلامى - ذراع اليد ويبلغ ٤٨ سنتيمتر . والذراع الحديدى (او القاسمى) وهو (٥٧ سم) . والذراع المعمارى او المصرى وهو (٧٥ سم) (باسلامة : وصف الحرم المكى) .
(٦٣) Sauvaget : Esquisse d'une Histoire de la ville de Damas.
(٦٤) Dussaud : Topographis Historique de la Syrie Antique et Medieval.
(٦٥) Cantineau : Le Parlers Arabes du Haran (Paris 1946)
(٦٦) تاريخ مدينة دمشق (تحقيق صلاح الدين المنجد) المجلدة الثانية ص ١١ .
(٦٧) ابن جبير : الرحلة ص ٢٦٤ .
(٦٨) تهذيب التهذيب : جـ ١ ص ٨٠ ، مهذب ابن عساكر جـ ٢ ص ٩٤ .
(٦٩) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣٣ .
(٧٠) اشار البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان : ان الوليد بن عبد الملك كتب الى عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة المنورة بأمره يهدم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم واعاد بنائه ، وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعا من الروم والقبط من اهل مصر واهل الشام ، فبناه وزاد فيه .
(٧١) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٦ .
(٧٢) مسالك الابصار : ص ١٨٣ .
(٧٣) H. Lammens : Etudes sur le siecle de Omayyad, p. 93 Beyrouth (1930)
(٧٤) لقد أثبتت مارجريت فان برشم التى تخصصت فى دراسة فسيفساء قبة الصخرة والمسجد الاموى بان الفسيفساء الموجود بهذين البنائين ، انما صنع بأيدى عمال سوريين تتلمذوا على ايدى الروم . وليس من المستبعد ان يكون معهم قلة من عمال الروم (فسيفساء قبة الصخرة) .
(٧٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٩ (دار الكتب) .
(٧٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ٢٨٤ .
(٧٧) الابشهى : المستطرف فى كل من مستظرف جـ ٢ ص ٤٧ .
(٧٨) البيهقى : المحاسن والمساوىء ص ٤٩٨ .
(٧٩) مسالك الابصار ص ١٨٥ .
(٨٠) مسالك الابصار : ص ١٨٨ .
(٨١) عيون التواريخ سنة ٨٦ تأليف محمد بن شاكر الكتبى .
(٨٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٩٢ ، مسالك الابصار ص ١٨٧ .

(٨٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٢٥ .
(٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٥١ .
(٨٥) ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ص ١٩٠ .
(٨٦) كان محمد بن سويد الفهري عامل عمر بن عبد العزيز على دمشق (تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١٠) .
(٨٧) مسالك الابصار : ص ١٩٠ .
(٨٨) انظر مخطط دمشق القديمة .

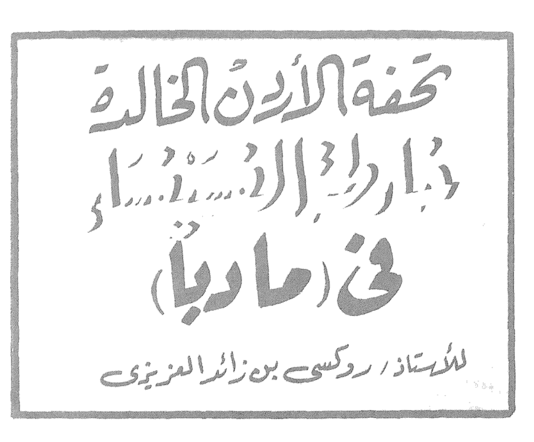
(٨٩) محمد كرد علي : كنوز الاجداد .
(٩٠) محمد شاكر الكتبي : عيون التواريخ سنة ٨٦ هـ .
(٩١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٥١ .
(٩٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٩٤
(٩٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الابصار ص ١٩١ .

(٩٤) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ١٠٨ .
(٩٥) Margritte Van Berchem, la Aqusa Mosque.
(٩٦) Talbult Rice : T8he Byzantine Art p: 75
(٩٧) Creswell : Early muslim Architecture Vol I p. 119
(٩٨) انظر مخطط دمشق القديمة .
(٩٩) لقد كلف نور الدين محمد بن قرا أرسلان ، احد سلاطين بني ارتق في ديار بكر ابن الرزاز الجزري

(سنة ١١٨١ م) ان يكتب مقالا عن مخترعاته من الحيل الميكانيكية ، التي تشتمل على وصف للالات المختلفة من ضاغطة ورافعة وناقلة ومتحركة ومن اهمها في ذلك الوقت الساعة المائية والساعة الدقاقة . وقد أتم الجزري كتابه هذا (سنة ١٢٠٦ م) . وقد تم توضيح متن الكتاب بالصور التي سهلت فهم الآلة كما انها اصبحت سجلا عظيما افادنا في تفهم شكل تلك الآلات التي اندثرت أو التي لا يوجد لها أثر في المتاحف . (احمد تيمور : التصوير عند العرب ص ٤٢ ـ ١٨٢ ، جورجي زيدان : التمدن الاسلامي جـ ٢ ص ٤٣ .

(١٠٠) زكي حسن : اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية شكل (٨٨٦).
(١٠١) كان اسم باب الساعات يطلق على الباب القبلي حتى القرن الرابع ، أما في القرن السادس فقد اطلق اسم باب الساعات على باب جيرون الشرقي كما جاء في رحلة ابن جبير ص ٢٧١ .
(١٠٢) يذكر ابن ابي اصيبعة في كتابه (عيون الانباء في طبقات الاطباء جـ ٢ ص ١٨٤) ان ساعات مسجد دمشق صنعت في عهد نور الدين زنكي على يد فخر الدين ابن الساعاتي . وكانت تعرف باسم (بنكام) اى الساعة المائية التي وصفها ابن جبير في رحلته (هامش ص ١٩٨ مسالك الابصار) .

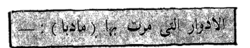
(١٠٣) مسالك الابصار : ص ١٩٤ .
(١٠٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٤٩ .
(١٠٥) كان حريق الجامع في نصف شعبان سنة ٤٦١ هـ . وكان سببه ان امير الجيوش بدر الجمالي ورد من مصر الى دمشق وفي هذه السنة وقع قتال بين المشارقة والمغاربة فضربوا دارا كانت مجاورة للجامع بالنار فبادرت الى الجامع (مسالك الابصار ص ١٩٨).
(١٠٦) انظر باب ذكر ما كان في الجامع من القناديل والآلات ومعرفة ما عمل فيه وفي البلد بأسره من الطلسمات .
(١٠٧) الحسن بن أحمد الاربلي : مساجد دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ص ٥٨ .
(١٠٨) الرحلة : ص ٢٩٤ .
(١٠٩) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس جـ ١ ص ٢٣ . كرد علي : خطط الشام جـ ٦ ص ٣٥ .
(١١٠) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٥٩ .
(١١١) كان عامل عبد الملك على المدينة المنورة (البداية والنهاية جـ ٩ ص ١٦٠).
(١١٢) الزراكشي : اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٧ .
(١١٣) المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٢٤٦ .
(١١٤) سعاد ماهر : مساجد مصر جـ ١ ص ٣١ .



تعريف بـ (مادبا) [1]

(مادبا) كلمة سامِيَّة ، معناها : « مكان طيب » او « مياه هادئة » وهى مدينة سياحية ، احتفظت باسمها هذا منذ اقدم العصور ، وتقع جنوبى (عمَّان) عاصمة الأردن ـ بانحراف قليل الى الغرب . وقد ورد ذكر (مادبا) فى نصب (ميشع) [2] يوم اضحت سهولها مسرحا لحروب دامية .

وقد أصاب (مادبا) دمار تام ، يوم استولى عليها (الاشوريون) ، في عداد ما استولوا عليه فى الاردن ، فظلت موءودة من المائة التاسعة قبل الميلاد ، الى المائة الثانية بعد الميلاد ، يوم جدد الانباط حياتها .



الادوار التى مرت بها (مادبا) : ـــ

وقد مرَّت (مادبا) بادوار عديدة ، فكانت : ـــ

أ ـــ مدينة مُؤابيَّة .



ب — ومن المؤابيين ، تسلمها الانباط ، الذين اتخذوا (بطرا) — سلع — عاصمة لهم ، وقد تكلم اهلها لغة الانباط ، معتزين بعروبتهم .

ج — وبعد الانباط خضعت لسلطة رومية ، فازدهرت ، وكان فيها دار لسك النقود .

د — ثم حكمها البيزنطيون .

ه — ومنهم انتزعها الفرس .

و — ثم استولى عليها العرب .

وقد نكبت (مادبا) بزلازل دمرتها ،ووأدتها تحت اطباق الثرى ، وأشهر تلك الزلازل . زلزال سنة ١٠٣٣ للميلاد الذى استمر اربعين يوماً متتالية ، [٣] وقد هدم مع (مادبا) كلاً من (اريحا) و (نابلس) واباد سكان هذه المدن ، ابادة تامة ، الا من هرب ، قبل ان يدرك مدينته واهلها الوأد ! .

تحفة الاردن الخالدة خارطة الفسيفساء في مادبا وكيف اكتشفت زائر (مادبا) لا بد له من أن يزور التحفة الخالدة ، التى عزَّ نظيرها فى عالم الأثار ، اعنى بها (خارطة الفسيفساء) التى ابقتها يد الفنان الاردنى (سليمان) — سليمانوس —

أما كيف اكتشفت هذه التحفة ، فان الدولة العثمانية ، كانت قد وهبت (خربة مادبا) سنة ١٨٨٠ لثلاث عشائر ، هى : —

أ — عشيرة ٱلعُزَيْزات ،

ب — عشيرة الكَرادشِة ،

ج — عشيرة ٱلمَعَاعِيَة ، ويسمون نفسهم اليوم (المعايعة) تفريقاً بينهم وبين المعاعية . احدى فرق عشيرة (الأزايدة) .

وبعد ان اقامت هذه العشائر في كهوف (مادبا) ، حاولت ان تبنى لها مساكن ، ومعابد ، فعثر أحد رهبان الروم الارثوزكس سنة ١٨٨٤ على تلك الخارطة . فكتب رسالة الى بطريرك الروم الارثوزكس في (القدس) . يخبره بامر هذه التحفة النادرة ، التى تشمل على اسماء مدن في شرقي الاردن ، وفي فلسطين . غير ان تلك الرسالة ، ظلت بلا جواب الى

سنة ١٨٩٠ حيث عثر عليها اتفاقا ، بطريرك الروم الارثوزكس في القدس ، المدعو (جراسيموس) خليفة البطريرك الذي تسلم رسالة الراهب ، ولم يجب عنها ، وكان البطريرك (جراسيموس) هذا محباً للآثار . فانفذ للحال مهندساً الى (مادبا) وأمره بأن يدخل الخارطة ، في بناء كنيسة الروم الارثوذكس التى اختير لها موضع تلك الخارطة . التي سلم الجزء الكبير منها من غارات الاطفال ، الذين كانوا يغيرون على تلك المكعبات ويقتلعونها ليمارسوا العابهم بها .

ويشاء حظ العلم ، ان يزور (مادبا) في تلك السنة احد علماء الآثار ، فينشر وصفا لقسم صغير من هذه التحفة ، يمثل البحر الميت ، وسفينة ، وكتابة مأخوذة عن (بركة يعقوب) .

وقد شهد أربعة من رهبان الروم الارثوزكس ، انهم رأوا الخارطة — قبل ان يعبث بها العمال — صالحة ، لكن العمال ، دمروا قسماً منها ! ..

أما المهندس الذي ارسله البطريرك للاشراف على بناء الكنيسة ، فانه لما انجز البناء ، وضم الخارطة الى صحن الكنيسة ، عاد ، واخبر البطريرك ان الخارطة ، ليست لها تلك القيمة التي يصفون ! ..

لكن هناك من قال : « انه لم يعثر على الخارطة كاملة ، الا عندما كاد العمال ينهون فرش الكنيسة بالبلاط . »(٤)

مدير مكتبة دير الروم ينبه على اهمية هذه الخارطة : —

وفي خريف سنة ١٨٩٦ ، زار (مادبا) مدير مكتبة دير الروم الارثوزكس في القدس المدعو (كليوفاس كريكيلس) ، وهو يوناني الاصل ومن خريجي (اثينة) وكان مولعا بالتاريخ ، والآثار . فما أن رأى تلك التحفة ، حتى ذهل لقيمتها النادرة الوجود في العالم ، وحزن لما اصابها من دمار ، وسارع حالا ، الى نقل ما عليها من الكتابات ، وخطط لها رسما اوليا نشره سنة ١٨٩٧ .

فكان مقاله والرسم الملحق به ، سببا للاحتفاظ بما بقي من هذه الخارطة ، ولتوجيه الانظار في عالم الآثار الى تحفة الاردن الخالدة ، ودرة (مادبا) الواسطة . ومنذ ذلك التاريخ ، اخذ علماء الآثار يتوافدون على (مادبا) .

عالمان بارزان يدرسان خارطة الفسيفساء المادبية : ـــ

سمح العلامة (فنسان) [٥] والعلامة (لاغرانج) [٦] بهذه الخارطة فزارا (مادبا) في شباط سنة ١٨٩٧ . وقضيا فيها اربعة ايام ، درسا خلالها الخارطة فخرجا بنتيجة ، هي انها من اعظم الآثار . ثم نشر (لاغرانج) عنها مقالاً ضافياً ، ما يزال حتى اليوم مرجعا رئيسا عنها . وفي اذار سنة ١٨٩٧ ، بلغ الامر اكاديمية المخطوطات في (باريس) . فاهتمت بالامر ، فطبع مقال (لاغرانج) في الخامس والعشرين من اذار سنة ١٨٩٧ طبعة منفردة ، ووزع في (باريس) فتوجهت انظار علماء الآثار الى هذه التحفة النادرة .

أما (فنسان) فانه قد خدم الآثار ، وخدم هذه الخارطة ، بانه قد رسمها ، وجعل رؤيتها ميسرة لكل من اراد رؤيتها ، وكان عمله موقظاً لهمة علماء صنعوا مثل صنيعه،منهم : ـــ

أ ـــ العالم (جيرميه ديران)

ب ـــ والعالم (وستفنسون)

ج ـــ وعالم روسي مجهول .

وقد استخدم رسومهم ، مؤرخو الخارطة المثالون .

رسم الخارطة بالوانها الطبيعية : ـــ

ثم انبرى لرسم هذه الخارطة بالوانها الطبيعية كل من :

أ ـــ (بلمر) ب ـــ و (غوته)

كان ذلك سنة ١٩٠٢ ، لكن هذا الرسم الملون لم ينشر الا سنة ١٩٠٦ في عشر صور ، بهذا العنوان : THE MADABA MOSAIC. I-X

خارطة موزاييك مادبا [٧]

ورسم (ايلمر) و (غوته) أقرب الرسوم شبها بهذه الخارطة .

تحقيق صحة هذه الخارطة وصدقها : ـــ

كل ما تقدم ، لم يقنع (فكتور غولد) العالم المحقق . فجاء الى (مادبا) ، وحقق في المكان نفسه ، صحة ماسبق كله ، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٥١ ولعل اهم بحث تناول هذه التحفة الخالدة ، بامتياز ، تفوّق على كل ما سبقه من بحوث . ملأت مجلات الآثار ، هو ذلك المقال المسهب . الشامل ، المثبت في معجم الآثار . في ملحق معجم التوراة المنشور

سنة ١٩٥٣ ، وفي كتاب جعل وقفاً على هذه الخارطة سنة ١٩٥٤ [٨]

ماذا نلاحظ عند النظرة الاولى الى هذه الخارطة ؟

ان النظرة الاولى الى هذه الخارطة ، تثبت لنا انها قد رممت مرتين : —

أ — المرة الاولى تمت بوحدات من مكعبة من الفسيفساء ثبتت في الاماكن التي عبث بها محطمو الصور ، لانها كانت تشتمل على كائنات حية — مثل البحارين الاربعة ، المسافرين في البحر الميت ، والاسد المهاجم ظبية ، في صحراء مؤاب — وقد جري هذا الترميم ما بين سنة ٧١٧ — سنة ٧٢٠ م .

ب — والترميم الثاني وهو من النوع ، غير الفنى ، الذي غرضه ملء الفراغ ، وقد جري يوم تم اكتشاف هذه التحفة النادرة .

وقد كان حسن الحظ يخدم الآثار والتاريخ ، لان التدمير لم يصب مدناً من (آسيا الصغرى) ، كما قال بعض علماء الآثار .

واذا نظرنا الى الخارطة ، بوضعها الطبيعي ، وجدنا محورها مدينة (القدس) ووجدنا الخارطة تنتهي جنوبا بـ (النيل) مع احتمال انه وجد فروع لـ (النيل) وصورة لـ (الاسكندرية) من هذه الناحية . تصل شمالا الى (صرفت) — صرفند حالياً — ويحتمل انها تضم (صيدا) وقد عثر على فسيفساء في احد بيوت (مادبا) ورد فيها اسم (صرفت) ومعه هذه الكلمات : « صرفت ، الضيعة الطويلة ، هناك اقيم الصبي في ذلك اليوم » [٩] ولا شك في ان هذا الاثر ، كان اصلاً في القسم الشمالي من الخارطة ، التي لم يكن في وسع صانعها ان يوسعها جنوبا وشمالا ، اكثر مما صنع ، بسبب جدران المعبد الذي صنعت الخارطة لتجميله ، أما غرباً ، فكنت ترى البحر المتوسط ، وقد بقي شيء منه . والذي ثبت ، هو ان القسم الخاص بالاردن من الخارطة ، لم يكن يتعدى مدينة الكرك . اذاً فالخارطة ، كانت تحتل حيزا معينا من المعبد القديم . فقد قدر طول الخارطة الاصلي باربعة وعشرين متراً (٢٤) وعرضها بستة امتار (٦) ما عدا اطار الزينة [١٠]

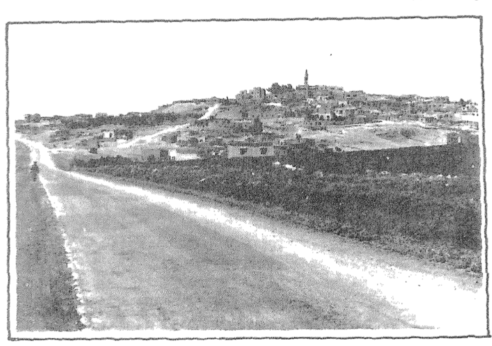
وقد كان اتجاه الخارطة الى الشرق ، وفقا لاتجاه المعابد ، بحيث كان يسهل على من يتجه الى الشرق ، ان يرى الخارطة ، ويقرأها ، لذلك نرى جميع الابنية المثبتة في هذه الخارطة ، مواجهة لمن يستقبل الشرق .

وصف الخارطة : —

الخارطة — أصلاً — وضعت للارض المقدسة ، لذا فانها كانت تشمل (فلسطين) و (شرقي الاردن) فمن هنا نعلم انها وضعت في ضوء (التوراة) و (الانجيل) وقد ورد فيها ما يقرب من نصف الاماكن المذكورة في الانجيل . ولا سيما (انجيل يوحنا) وقدمت لنا معلومات وافية ، عن الايام البيزنطية ، ومما تمتاز به هذه الخارطة ، ان صانعها . كان يضع اسماء المدن والاماكن القديمة ، والاسماء المعاصرة لصنع الخارطة ، وفوق هذا . انه يرد في الخارطة — احياناً — ذكر لما جرى من الحوادث في بعض الاماكن . وفي بعض الصحارى خاصة . وتثبت نصوصا — في الغالب — مأخوذة من بركة (يعقوب) و (موسى) وقد خطت الكتابات باللون الاسود ، ما عدا ما ورد منها في الجبال ، فانه خط باللون الابيض — وكله بمكعبات من الحجر — اما الكتابات المهمة . فانها خطت باللون الاحمر . كاسماء المدن الشهيرة مثل (القدس) و (بيت لحم) .

وقد اختيرت المدن الواردة في الخارطة ، اما لكونها مهمة . واما لوقوع حوادث ذات قيمة تاريخية ، جرت فيها . واحيانا وردت بعض البلدان لملء الفراغ ، لان رجال الفن في الشرق ، كانوا ينفرون من ابقاء الفراغ في اعمالهم . (HORROR VACUI)

ومثلت طبيعة البلاد بجبالها ، وبحارها ، وانهارها ، لما لها من الاهمية ، واحيانا لملء الفراغ ، ولاحياء الخارطة نفسها زيدت مناظر بشرية ، وصور سفن ، وحيوانات ، وأسماك ، ونباتات .



اسلوب رجل الفن المادبي : —

اذا نحن نظرنا الى وضح الخارطة ، ادركنا ان صاحب الفن ، ومن معه من المساعدين ، كانوا عندما صوروا المدن الكبيرة مثل (القدس) وغيرها يعينون لكل واحدة منها مكانها . وكانوا يصورون المدينة قبل تصويرهم للجبال . ولنهر الاردن . وقد اكتفوا — احيانا — بالفسحة الضيقة الباقية لذكر ما ارادوا من الكلام . واحيانا كانوا يهملون الحاق الضيع باسمائها ، كما وقع في ضيع عديدة في السهل الساحلي .

وقد جعل صاحب الفن للمدن نسبة امتداد تناسب مقام المدينة . واهميتها . وتقليدا للاغريق ، وللمصريين . ولسكان ما بين النهرين ، ابرزوا المدن كأنها مدن صورت من الطيّارة ، مجموعة بكل ما فيها من بنايات ، ضمن مربع اسود . كما لو انها جعلت زخارف في بساط شرقي .

وقد أظهر المدن الكبرى بميزتها الخاصة . فصور (القدس) و (غزّة) بشارعيها الرئيسين ، و (اللد) بساحها البيضية ، و (بيت جبرين) بعينها المستديرة ، و (الكرك) بصخرتها العالية . أما الضيع ، فيمتاز بعضها من بعض بعلو السطوح ، ولا سيما بتعدد الابراج المرتفعة ، فوق سور المدينة ، وذلك تقليدا للطراز الاغريقي . (١١) وفي الخارطة ابنية شتى : — من معابد ، معظمها أبنية صغيرة بسطح مائل من الآجر الاحمر ، نقلاً عن تصوير الهياكل في الخارطات الرومانية ، وفيها حمام غربي (الكرك) ومستنقعات في (الزّارة) وفيها ممران في (نهر الاردن) وبرج بقربه .

وقد تفوق الفنان الاردني — المادبي — في عرضه جمال المناظر الفلسطينية بمختلف الالوان ، فصوَّر الجبال سوداً سواداً متماوجاً ، بحسب سطح الارض ، وصور (سيناء) بنوع من الالوان يضاهي اجمل ما صوره الرحالة لمكان . وصور وادي الاردن بلون أبيض .

مشتملات الخارطة : —

تشمل الخارطة على معظم البحر الميت — بحيرة لوط — وقسم من الحجر المتوسط ، غير ما تقدم ذكره من مدن وجبال ، وقد جعل امواجها تتماوج ، ما بين اللون الازرق ، والبني ، والابيض ، كأنَّ زوبعة — في يوم عاصف — قد غشت تلك الامواج ، وقد جعل مجرى نهر الاردن ونهر النيل مفروشين بهذه الالوان نفسها ، وقد اتقن اتقانا مذهلا ، تصوير وادي الموجب (أرنون) ووادي (الحسا) اللذين يظهران من فوق الصخور ، فيجري كل منهما في منبسط اخضر بين الجبال متجهين نحو البحر الميت ، الامر الذي يدل على ان الفنان المادبي ، صانع هذه التحفة الخالدة ، شديد التعلق بلواء (مادبا) ، وبسائر (موآب) .

اخيرا . نجد في هذه الخارطة صورة لاربعة ملاحين ، في البحر الميت . وصورة اسد . يطارد ظبية في سهول موآب . واربع سمكات في الاردن . كأن واحدة منهن تحاول الهرب . وسبع سمكات في النيل . وبعض شجرات النخيل . وحبّات بلح حمر . قد سقطن. وغيرها .

عهد الخارطة : —

ان الخراب الذي اصاب هذه الخارطة ، لم يبق من الكتابات التي عليها ، سوى كلمات لا تستطيع ان تعطينا احكاما جازمة . وهناك هذه الكلمات الباقية : « من شعب مدينة مادبا هذه محبة المسيح » لذلك ترانا مضطرين الى ان نبحث عن كتابات قريبة من هذه الخارطة ، لعلها تضع في يدنا دليلا نتكىء عليه .

فعلى بعد مائة متر من مكان الخارطة ، نجد بئرا . كتبت — في جانبها الغربي — هذه الكلمات : « رمّم في عهد (يوستينانوس) ملك الرومان » وقد تبين لنا . ان زمن الفسيفساء في (مادبا البيزنطية) يتراوح — خاصة ما بين سنة ٥٧٨ م — اي بعد موت (يوستنيانوس) بقليل — وسنة ٦٠٨ . فوق هذا ، فان التشابه الذي بين فسيفساء (مادبا) و (جرش) و (ماعين) يوحي بان الخارطة صنعت في اواسط القرن السادس للميلاد ، ولا سيما ان الخارطة تشمل كنيسة (العذراء) في (القدس) — NEA — التي دشنها (يوستنيانوس) سنة ٥٤٣ ، وهي احدث بناء اشتملت عليه الخارطة .

ثم ان التشابه بين فن الخارطة ، وفن (كنيسة الرسل) في (مادبا) — التي زينها (سلمانوس) ، وفرغ منها سنة ٥٧٨ يعطينا دليلا ، على ان (سلمانوس) — سلمان — هو صاحب هذه التحفة الخالدة . [١٢] وقد كان (سلمان) هذا عالما ، مدققا ، خبيرا بمنطقة (موآب) و (مادبا) و (مدينة القدس) . ودقة عمله . تثبت لنا انه كان هائما بفنه ، هياما ، ما بعده من هيام ! .

صانع الخارطة اعتمد على مرجع قديم :

صانع خارطة (مادبا) على ما يبدو ،لم يكتف بمعلوماته الشخصية ، بل اعتمد على بعض المصادر ، التي امدته بمعلومات قيمة . لان اوائل الذين درسوا هذه الخارطة لاحظوا ان لها صلة شديدة بكتاب يدعى (الانزما ستكون) لمؤلفه (اوسابيوس القيسري) [١٣] مع الخروج عن رأي مؤلف (الانوما ستكون) اختيرت لها المدن التي على الطرق الرسمية وفوق هذا فان واضع خارطة (مادبا) استعان بخارطة تصويرية تبين للزائر ميزة كل مدينة لم تر ميزة مدينة ، في العهد الذي عظمت فيه اهمية الارض المقدسة . لانها تشتمل على الاسماء التي

وردت في التوراة والانجيل مرتبة على الحروف الابجدية ، مصحوبة ببعض الوصف ، وقد ترجمه واتمه القديس (ابرونيموس) [١٤]

قيمة هذه الخارطة : —

لقد مضى على انجاز الخارطة ثلاثة عشرة نا ، ولم يعثر على شبيه لها ، من اجل هذا احتفظت بمقام فريد ، وقيمة لا تضاهى في تاريخ الخارطات ، لان الماضي لم يترك لنا خارطة لفلسطين ، غير خارطة (مادبا) وسوى الخارطة التى . تدعى (TABULA PEUTINGERIANA) التي تمثل طرق الامبراطورية الرومانية ، على رق عرضه ٣٤ سم وطوله ٦ ستة امتار ، وهذه الخارطة ، يرتقي عهدها ، الى القرن الثالث بعد الميلاد ، وقد وصلت الينا عن طريق نسخة استنسخها عنها احد الرهبان ، في القرن الثالث عشر ، وقد عثر على نسخة الراهبهذه في أواخر القرن الخامس عشرفسلمها الذى عثر عليها إلى صديق له من رجال الآثار الالمانيين في (اوغسبورغ) واسمه : كونوراد بيوتنجر (CONRAD PEUTINGER) فدعيت الخارطة باسمه ، وهي الان في (فينا) [١٥]

تسهيلات لدراسة هذه الخارطة : —

تسهيلا لدراسة هذه الخارطة ، قسمت الى اربعة اقسام : —

١ — القسم الشرقي من الخارطة ، يشتمل على نهر الاردن ، والبحر الميت ، وشرقي الاردن .

٢ — القسم الشمالي الشرقي من الخارطة يشتمل على ضواحي اريحا والسامره .

٣ — القسم الثالث وهو الاوسط ، ويشتمل على ضواحي القدس واللد والبحر الميت .

٤ — القسم الرابع ، يشتمل على الخليل ، والساحل الفلسطيني والنيل .

وعلينا ان نعلم ان مدينة (القدس) ، هي محمور خارطة (مادبا) ، وقد اعتمد صانع هذه الخارطة على الجهات الاصلية الطبيعية ، ولم يتبع اصطلاح الخارطة المتعارف عليه ، فالجهات هكذا : —

الشرق

الجنوب

الشمال

الغرب

وزائر الاردن ، للاطلاع على آثارها ، تعد زيارته مخفقة ، ان لم يزر (مادبا) ويطلع على تحفتها الخالدة .

هوامش ومراجع

(١) مادبا وضواحيها صفحة ٤ طبعة ١٩٦١ .
(٢) ميشع هو ملك مؤاب . وهو الذى هاجمه ملك اسرائيل ويهوذا وادوم من الجنوب . ولما اشتدت عليه الحرب ، اخذ ابنه البكر ، ولي عهده فاصعده محرقة على سور (الكرك) . فارتدعنه محاصروه . وقد ترك لنا ميشع يصف فيه ايامه — وسكت عن الذل الذى لحقه في بعض المواقع . — ولغة هذا النصب حروفه تشبه العبرية وحروفها ، وقد وجد هذا النصب سائح الماني اسمه (كلاين) سنة ١٨٦٨ ، وقد اخذعنه المستشرق الفرنسي (كلرمون غانو) صورة ، وتمكن من شراء معظم هذا النصب الموجود الآن في (مُتْحَف اللوفر) في (باريس) راجع الصفحة السادسة من تاريخ مادبا وضواحيها ، للوقوف على ترجمة الجزء المهم من هذا الاثر .
(٣) مادبا وضواحيها صفحة ١٣١ .
(٤) مادبا وضواحيها ص ٥٤/٥٥ .
(٥) فنسان عالم من علماء الآثار من رهبان الدوفيكان عاش في القدس .
(٦) لاغرانج من علماء الآثار وهو دوفيكي ايضا ، عاش في القدس .
(٧) مادبا وضواحيها ص ٥٥ Hlecle Rq : 815-860 T.xApt. Madaba
(٨) وفي ملحق معجم التوراة سنة ١٩٥٣ O'callaghan 627-704
(٩) مادبا وضواحيها ص ٥٦ سفر الملوك O'callaghan 702-703 The Madba 77
(١٠) مادبا وضواحيها ص ٥٦ سفر الملوك
(١١) تاريخ مادبا وضواحيها ص ٥٨ The Madba 15
(١٢) تاريخ مادبا وضواحيها ص ٥٩
(١٣) اوسابيوس القيسري عاش في (فلسطين) سنة ٢٦٠ — ٣٤٠ م وكان متضلعاً في العلوم التاريخية ، وقد أبقى لنا به كتابه الذي ذكرناه وهو مؤلف ثمين في ما يخص جغرافية الارض المقدسة .
(١٤) هو (Jérome) ولد في (ستريدون) ـ المانيا ـ قضى زمناً متنسكاً بالقرب من حلب ثم انتقل لى (بيت لحم) صاحب تفاسير الكتاب المقدس ترجم الى اللاتينية وهو الذي ترجم التوراة والانجيل واعتبرت ترجمته هي النص القانوني .
(١٥) تاريخ مادبا ص ٦٠ .

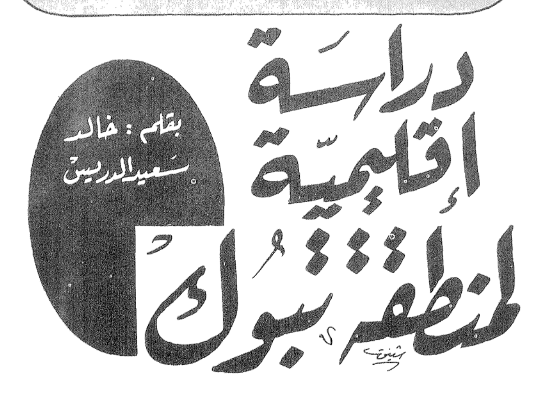
* ملاحظة : — تاريخ ماد — هو الكتاب المعروف بـ (مادبا وضواحيها) أو صفحات من التاريخ الاردني ومن حياة البادية تأليف (سابا) و (القريزي) طبع في القدس سنة ١٩٦١ .

* ملاحظة ثانية : في ال ٢٩ من شهر اذار سنة ١٩٨٠ ، يكون قد مرت على انشاء (مادبا) الحديثة ـ او احياء مادبا مائة سنة تماما .

من خلال هذه الدراسة الكاشفة عن نمط الاستقرار وعن الدور الذي يؤديه هذا الاستقرار . نأخذكم عبر صفحات الدارة في دراسة اقليمية لمنطقة تبوك لنعرف أبعاد الواقع الذي عاشته وتعيشه مدينة تبوك . ومن ثم يتعين أن نستخلص النتائج الكاشفة بكل الوضوح عن : —

١ — عبقرية المكان في حضن الارض الصحراء في الشمال الغربي من الجزيرة العربية .

٢ — عبقرية الانسان الذي يتشبث بالمكان طلبا للاستقرار وتحدياً للصحراء .



ومن خلال هذا الاستخلاص نطل على مدينة تبوك بمتابعة ذكية لعبقرية العوامل الحاكمة للتفاعل الايجابي الذي تمخض عن استخدام موقعها الجغرافي الحاكم لحساب الدور الوظيفي المعين منذ وقت بعيد .

ويكون المطلوب ثانيا ان نتابع خط سير الاحداث الكاشفة للعلاقات الانسانية بكل جوانبها على كل المستويات بين الجزيرة العربية من ناحية والشام ومصر من ناحية اخرى حضاريا واجتماعيا واقتصاديا . لكي نطلع على دورها الوظيفي الحاكم لحساب كل التحركات صنعت واقامت هذه العلاقات على المدى الزمني الطويل .

٢ ــ قيمة بعض العوامل التي تؤثر بمصير تبوك عندما تكون مكانتها غير ثابتة المستوى .
وبهذا المنطق نطل على مدينة تبوك المعاصرة من خلال متابعة القرار الحاسم الذي ثبت مكانتها وجدد حيوية الاستقرار وصولاً الى قمة التفوق في اداء دورها الوظيفي . وتقييم هذا القرار النابع من ارادة المملكة العربية السعودية والرامي الى دعم وجودها ومكانتها بين الدول من ناحية والى تقديم رسالتها العربية والاسلامية من ناحية اخرى . ومن ثم يتعين ان نستخلص النتائج الكاشفة بكل الوضوح عن :ــ
١ ــ قيمة مدينة تبوك من الناحية الجغرافية لحساب الردع ودرء العدوان المباشر على المملكة وسيادتها المطلقة .
٢ ــ قيمة موقع مدينة تبوك لحساب الدعم المباشر للقدرة القتالية على الجبهتين الاردنية والسورية .
ولتكون هذه الدراسة تحليلية وكاشفة لكل هذه النتائج يجب ان تشتمل الدراسة عن مدينة تبوك على الناحية التاريخية والسياسية وعلى معاصرتها لاحداث وسياسة ومنهج تنتهجها المملكة العربية السعودية .

تبوك في التاريخ

شهدت مدينة تبوك اكثر من رحلة اوصلتها للشهرة والمجد حيناً ولعدمها حين آخر مما جعل لها قصة يحكيها لنا التاريخ ليصور لنا كيف كانت لحساب الاستقرار بقدر ما كانت جسراً للعلاقة بين الناس في جزيرة العرب والشام ومصر بصفة خاصة . ومن خلال صعوبة البقاء في المجد والشهرة حينا والوصول الى قاع الانزواء حينا اخر . ومن خلال الصمود لحساب الاستقرار في كل حين تستحق بلدة تبوك ان تلفت النظر ويكون من شأن الدراسة ان تتقصى كل الحقائق الكاشفة لهذه المعاني في كلا الفترتين .
فمدينة تبوك تقع في احضان أرض متميزة على الجبهة السعودية الشمالية في شمال غرب الجزيرة العربية ويتجلى هذا التميز من حيث شكل السطح العام ومن حيث وفرة المياه الجوفية وقد جاء اختيار هذا الموقع على سطح تحاتي واسع ومكشوف تمزقه مئات من الروافد والاخوار والوديان الفارغة ويعرف هذا الموقع باسم « هضبة الحسمة » وتطل على هذا السطح الذي يحتضن موقع مدينة تبوك من ناحية الغرب الارض الوعرة المضرسه المنحدرة من الحافه الجبلية الانكسارية الاصل والنشاءة المعروفة بجبال مدين وجاءت بالتالي وفرة الماء لكي تدعم هذا الاختيار وتساعد على الحياة في البلدة وتغذي جذور الاستقرار المتشبث بها .
واختيار هذا الموقع كان موفقا والانسب لكي تفلح مدينة تبوك ويهيأ لها الاستقرار بكل الانفتاح لاداء وتنفيذ دورها الوظيفي المنوط بها عسكريا واقتصاديا . وكان من مزايا هذا الموقع المناسب ان يكون استراتيجيا بالفعل . ولما لا وهو يكفل للبلدة الحد الاقصى من المنعة والحماية « نظراً لموقعها » أضف لذلك مراقبتها بكل المرونة للحركة من حولها على محور الشمال وصولاً

الى الشام وعلى محور الجنوب وصولاً الى الحجاز . وان تخدم أهداف هذه الحركة لحساب العلاقات السوية أو غير السوية بين الناس والناس .

وليس غريبا ان يشهد التاريخ لمدينة تبوك وقد شهدت التحركات الايجابية ووجهتها لحساب التجارة والمصالح المشتركة بين الشام وجزيرة العرب وقت السلم ، واستطاعت ايضا ان توجه التحركات الايجابية لحساب التصدي للعدوان واحباط التحدي عندما تتردى العلاقات بين النظامين الحاكمين في جزيرة العرب والشام وقت الحرب . وربما شهد القطاع الذي يحتضن مدينة تبوك ويضع الاستقرار في انسب مكان ، أهم وأخطر التحركات منذ زمن سحيق ، مثل تلك التي قذفت بموجات بشرية من حين الى حين . تطلب الهجرة والنزوح عن مواطنها في جزيرة العرب هروبا من الشح والتقتير . وتهدف للاستيطان في الشام او مصر طلبا لحياة أفضل وأغلب الظن ان هذه الموجات البشرية المتلاحقة لم يكن العدوان في نيتها اصلا لانها كانت تطلب الحياة وتسعى للتعايش .

وليس من المستغرب ان تكون تبوك نافذة من أهم النوافذ التى تسللت منها قبائل وبطون عربية وقد تحركت هذه القبائل قبل الاسلام تحت تأثير الضاغط الاقتصادي في مواطنها وكانت تبحث عن رحلة ميسرة بأقل قدر من المشقة وان تتطلع لحياة افضل في أرض أوفر مطراً وأقل شحاً من مواطنهم في قلب الجزيرة العربية ، وقد شهدت تبوك هذه الهجرة في اعقاب الغزو الاسلامي لكل من الشام ومصر . وكانت الهجرة للبحث عن حياة افضل في المواطن الجديده. وكان المرور على محاور الحركة الانسب وصولا للهدف . وذلك ليستطيع المهاجرون بلوغ غايتهم . ولا شك ان هذه الموجات البشرية تحت تأثير الحافز الديني لنشر الاسلام وتحت تأثير الضاغط الاقتصادي ، قد تداخلت في الناس وانخرطت في صياغة البنية البشرية في كل من الشام ومصر والاقطار التي وصلت اليها هذه الموجات المهاجرة من جزيرة العرب ومن ثم اسهمت في نشر الاسلام بقدر ما استطاعت في بث العروبة وصولا الى التعريب الحقيقي .

اذن فعلينا ان نتبين كيف عاشت بلدة تبوك وتوطن الاستقرار فيها وهي تغطي صفحة من الارض في مساحات واسعة على سطح هضبة الحسمة .

وفي اعتقاد الأثريين بصفة عامة ان نقصان كمية المطر على هذه الارض . قد بدأ منذ نهاية الدور المطير الثاني في عصر البلايسترين الاعلى وفي اعتقادهم ايضا ان الجفاف قد تصاعد بالفعل من بعد زيادة شح المطر زيادة طفيفة في العصر الحجري الحديث : لكي تسيطر الصحراء ويتأتى الشح في جزيرة العرب . وقد دعا الجفاف والشح بالضرورة الى فرض الضاغط الاقتصادي والى تصعيده مع مرور الوقت لكي يخل الحجم الاكبر من الحياة عن هذه الأرض .

ويطلب الاستيطان في ارض اكثر سخاء . ومع ذلك فان الهجرة والنزوح عن هذه الارض في جزيرة العرب لم تكن ينضب معين الحياة تماما . ويبدو ان الحجم الاقل من الحياة قد تشبث بها . وفي اعتقاد الباحثين بصفة عامة إن البعض الاقل الذي تشبث بالارض في جزيرة العرب تصدى للمشقة بالفعل ولجأ فريق منهم الى حياة البداوة طلبا للحياة ، ولجأ

الفريق الاخر الى حياة الاستقرار وتجمع في مواقع مؤهلة طبيعيا لكي تحتويه وتؤمن وجوده . ولم يكن من الغريب ان تجد مدينة تبوك الفرصة لكي تحتوي حصة من الاستقرار . ولم يكن ايضاً من الغرابة ان تتحمل تبوك من خلال موقعها الجغرافي المسئولية لحساب الحياة ونبغها المتضرر بالجفاف ولحساب الحركة وسعيها المتلهف على النزوح والمهجرة .

ويبدو ان موقع بلدة تبوك الجغرافي قد فرض على نمط الاستقرار فيها ان يلعب الدور المنوط بها لحساب الحركة والبداءة من حولها وان يتحمل الضغط العدواني الذي تعرفه البداوة والحركة في وقت واحد . ويستوى في ذلك ان يكون الضاغط العدوانى نابعاً من تحركات فعلية تطلب الحياة في الارض من حولها او نابعا من تحركات استيطانية تطلب النزوح والحياة فيها وراء جزيرة العرب .

وهنا نريد ان نتابع قصة حياة بلدة تبوك في التاريخ والسياسة وان نتحسس احوال الاستقرار فيها من خلال هذه المرحلة على النحو التالي :

١ ــ مرحلة عتيقة تبدأ من الماضي البعيد السابق لظهور الاسلام .

٢ ــ مرحلة تالية لظهور الاسلام حول منطقة النواة في المدينة المنورة .

٣ ــ مرحلة معاصرة تصور الاستجابة لارادة التغيير التي تحدد اهداف وتطلعات المملكة العربية السعودية الى ما هو افضل .

تبوك العتيقة

تتسم قصة حياة بلدة تبوك في المرحلة العتيقة بقدر كبير من الغموض ولا يكون غريبا ان يحجب هذا الغموض عن البحث معظم التفاصيل الكاشفة لقصة الاستقرار وامكانياته في الموقع الحاكم الذي توجد فيه بلدة تبوك .

ويتصور معظم الباحثين ان موقع بلدة تبوك الجغرافي الحاكم قد استقطب الاستقرار لكي تكون في المرحلة السابقة لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي ، ويتلمس هذا البعض المعرفة لها من خلال ما ورد عن ذكرها في ثنايا دراسات بطليموس الجغرافي في وقت سابق للميلاد . وربما عرفت بلدة تبوك آنذاك تحت اسم « نبأوا » وقد يأتي اعتقاد بعض الباحثين تحريف ذلك الاسم العتيق في وقت لاحق الى « تبوك » . Thapouc

وبصرف النظر عن مقدار الغموض الذي طوق اخبار هذا الموقع في قلب الصحراء ، يؤكد البحث ان بلدة تبوك كانت لحساب الاستقرار وفي خدمة الحركة وكان من شأن موقعها الجغرافي ان يشهد التقاء الطرق التي تتفرق شمالا الى انحاء الشام . وعبرسيناء الى مصر . او التي تنتشر جنوبا في انحاء جزيرة العرب ، وكأنها كانت في مكان هو اشبه ما يكون بعنق الزجاجة على جبهة الشمال الغربي من جزيرة العرب ، ومن هذا المنطق اتخذت بلدة تبوك مكانة في الموقع الحاكم في ارض الحسمة ، وانطلاقا من استراتيجية الموقع سعت السلطة في جزيرة العرب من ناحية ، وفي الشام من ناحية اخرى للسيطرة على موقع بلدة تبوك .

وبات على بلدة تبوك ان تدفع ثمن هذا الصراع من أجل السيطرة والتسلط على موقعها وكان المطلوب دائما ان تؤمن السلطة الغالبة منهما ذاتها من خلال السيطرة على تبوك وان تحكم شكل وطبيعة واهداف العلاقة بينها وبين السلطة المغلوبة . وكان المطلوب ايضا ان يتحمل الاستقرار في موقع بلدة تبوك وطأة هذا الموقف الصعب والناجم عن الصراع بين السلطتين . وان يعمل لحساب السلطة الغالبة ضد السلطة المغلوبة .

وعلى زمن ظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي . كانت سلطة الروم في ارض الشام هي الغالبة . وكان طبيعيا ان تسيطر هذه السلطة على بلدة تبوك وان تتخذ منها مركزا متقدما يلعب الدور لحساب سيطرتها وتسلطها .

وما من شك في ان الاسلام قد تحمل مسئولية جمع الناس من خلال الدعوة الى الله . لتكون امة مؤمنة . وتحمل مسئولية حيازة الارض لكي تحتوي هذه الامة المؤمنة . وكان طبيعيا ان تأخذ دولة الاسلام بسياسة حاسمة تستهدف التصدي للعدوان واحباط التحديات المفروضة عليها من الداخل ومن الخارج لكي تدعم مسئوليتها العظمى .

— ومن هذا المنطلق استشعرت دولة الاسلام بالخطر على الاسلام وعلى وجود الدولة عندما لوحت به السلطة الغالبة على ارض الشام في شكل من اشكال التحدي . وربما تصاعد هذا الخوف من خلال سيطرة نفوذ الروم الغالب على موقع بلدة تبوك الحاكم للتحركات المرنة من والى جزيرة العرب . ولم تستبعد قيادة دولة الاسلام في المدينة المنورة من ان تصبح بلدة تبوك النافذة التي يطل من خلالها هذا الخطر لكي يفرض عدوانا على الاسلام ويقوض الدولة المظفرة في مهدها .

وعلى هذا كان القرار الحاسم الذي أعلنه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم . وكان القبول بهذا القرار استمراراً للايمان المطلق وقد وجه هذا القرار الحاسم الجهاد في سبيل الله الوجهة التى استهدفت غزو تبوك ، وكان المطلوب من خلال هذا الغزو أن يأخذ المسلمون بزمام المبادرة وصولا الى هدفين متكاملين لحساب دولتهم فى مواجهة التحدي من خارج جزيرة العرب . ويتمثل هذان الهدفان فى : -

١ — فرض سلطة دولة الاسلام على أرض من صميم جزيرةالعربوتحديدالاستقرار في بلدة تبوك وأعلاء كلمة الاسلام والدعوة الى الله بين أهليها .

٢ — فرض رقابة دولة الاسلام علىتخومها في موقع جغرافي حاكم يقطع الطريق على الخطر المتربص بالاسلام على ارض الشام . ويؤمن وجود الدولة في مجالها الحيوي .

وانطلاقة القوة الاسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الى بلدة تبوك كانت حاسمة . وقد اتخذت الحرب شكلاً من أشكال الحرب الوقائية بقصد تحرير الارض والناس .

وبالنظر الى المسافة بين المدينة المنورة وبلدة تبوك « ٧٠٠ كم » فبكل تأكيد كانت المرحلة صعبة وكانت المشقة التي تحملها الجهاد لكي يسقط حاجز المسافة ولكي ينتصر لحساب الدين والدولة هائلة ، وبهذا الانتصار كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الاسلام ودولته الفتية من ناحية وفي قصة حياة بلدة تبوك من ناحية اخرى .

كان من شأن انتصار الاسلام الحاسم في تبوك ان ينهي المرحلة العتيقة من قصة حياتها تماما وان تبدأ مرحلة اخرى وهي في احضان الاسلام وتعمل بكل الكفاءة لحساب دولته المظفرة . ومن بعد انتصار الاسلام اصبحت بلدة تبوك نقطة انذار مبكر ترقب التحركات المريبة والعادية ، لحساب دولة الاسلام . وتحملت المسئولية بكل الكفاءة عن ارض التخوم الفاصلة بين سلطة دولة الاسلام الغالبة في جزيرة العرب ، وسلطة دولة بيزنطة في الشام ومصر . ومن ثم كانت أول علامة من العلامات التى تنبىء بان دولة الاسلام : —

١ — صاحبة السلطة الغالبة على تخومها .

٢ — مهيأة لتأكيد وجودها وترسيخ مكانتها في مجتمع الدول .

٣ — تتهيأ لتوسيع قاعدتها فيا وراء جزيرة العرب .

وكانت مسئولية الاستقرار في بلدة تبوك عندئذ جسيمة واصبح الاستقرار فيها حريصا على الوفاء بالمهمة في كل الظروف وعلى كل المستويات .

وتروى القصة التي تحكى سير الاحداث عن غزوة تبوك ان هذا الاسم قد ظهر وشاع استخدامه في وقت متأخر على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . وتشير القصة الى ان الرسول قد طلب من الجند المتقدمين ضمن طلائع الغزو الزاحف اليها ، ألا يمسوا عين الماء فيها ، وقد سبق الى العين رجلان بالفعل ، وكانت العين تنبض بشيء من الماء وعندئذ خرج الرجلان عن طاعة الامر وأدخلا في العين سهميهما على امل ان يزيد الماء فيها . وعندما علم الرسول بذلك غضب منهما وقال لهما : « ما زلتما تبوكانها منذ اليوم » ومن ثم كانت البلدة لتعرف باسم تبوك .

هذا ولا يفوتنا ان نذكر انه كان من شأن تمديد خط سكة حديد الحجاز ان يمر ببلدة تبوك لكي يصل الى المدينة المنورة ، وقد استفادت مدينة تبوك من تشغيل هذا الخط في :

خدمة الحج الى بيت الله ، وخدمة التجارة ، وخلق روح المنافسة بينه وبين النقل البحري والتي اكتسبت مرونة من خلال حفر وتشغيل قناة السويس لحساب التجارة الدولية في البحر الأحمر، وقد اثبت تشغيل هذا الخط الحديدي ايجابية بالفعل . وهكذا ظلت مدينة تبوك مزدهرة تنعم بالشهرة والمجد لبعض الوقت حتى كانت اللعبة السياسية التي فرضت عليها دوراً هداماً وتأتي نتائج هذا الدور الهدام من خلال توقيف تشغيل واستخدام خط سكة حديد الحجاز توقيفاً كلياً وترتب على ذلك انخفاض ملحوظ في معدلات الحياة بجميع مجالاتها . وهنا لا ننسى ان نشير الى ان سكان بلدة تبوك لا يتحملون مسئولية التلاعب بمصيرها وبمكانتها ذلك لانهم لا يملكون بالفعل زمام كل العوامل الحاكمة لحركة المرور بها . ومن ثم كانت مكانة بلدة تبوك دائماً من صنع ارادة القوة أو الدولة التي تمتلك حق استخدام وتنظيم حركة المرور بها .

تبوك المعاصرة :

هذا وكانت رغبة الدولة السعودية حاسمة عندما اتخذت القرار البناء الذي يضع او يعيد بلدة تبوك الى مكانتها الصحيحة وقد بنى هذا القرار الحاسم تأسيساً على رغبة صادقة في دعم وتنمية الاستقرار في بلدة تبوك . وكانت ارادة الدولة السعودية في هذه الحالة الحرص على تحمل المسئولية لكن تمسك بزمام كل العوامل الحاكمة التى تهيىء اسباب النجاح الفعلي لهذا التغيير المطلوب بكل الالحاح لحساب المصلحة العليا .

وبهذا المنطق الذي يدعمه حق السيادة اقدمت الدولة السعودية على صنع هذا التغيير وقد يأتي ذلك التغيير من خلال تجهيز بلدة تبوك لكي تكون قاعدة عسكرية كبيرة تتمركز فيها بعض الالوية من القوات المسلحة ، وكان المطلوب من الاستقرار في بلدة تبوك ان يستجيب لهذا التغيير ويتحمل المسئولية كما يلي :

١ ــ تأمين حدود الدولة من خلال السيطرة الحاسمة على الموقع الحاكم للتحركات البرية لحساب التجارة والحج في الشمال الغربي من المملكة .

٢ ــ دعم القوة الاردنية السورية ومساندة القدرة القتالية التي تواجه التحدي الصهيوني الجاثم على أرض فلسطين السليبة .

وهكذا بدأت في قصة تبوك مرحلة جديدة تحسبا للانفتاح الاقتصادي الذي تفرضه التنمية الشاملة في المملكة العربية السعودية ، وتعود بلدة تبوك في اطار خطر التنمية لكي تكون مسئولة عن دعم وتأمين حركة المرور على الطرق من خلال جبهة الشمال الغربي من والى المملكة العربية السعودية . وقد أتاح القرار الذي اتخذته ونفذته الدولة السعودية تعديلاً مادياً ومعنوياً . واتخذت بلدة تبوك شكل وسمات البلدة او المدينة الصغيرة ، وقد التزمت الدولة بتنفيذ جميع المشروعات الانمائية الهامة لكي تقوم بالدور الوظيفي المناط بها لحساب كل الاهداف العسكرية والاقتصادية في المقابل . وكان من شأن النمو الاقتصادي ان يساعد على النمو السكاني :

وقد لوحظ في عملية احصاء عام ١٣٩٤ هـ بالنظر لعملية التقدير في تسجيل البيانات لعام ١٣٨٣ هـ لوحظ ازدياد السكان خلال المدة المحصورة بين التاريخين كما يلي :

سكان اقليم تبوك سبعة امثال .

ــ مدينة تبوك اثنا عشر مثلاً .

ــ البادية ثمانية أمثال . وما من شك في أن عمليات التنمية قد دعت بالضرورة الى استقطاب السكان وجذبهم في شكل هجرات وافرة لطلب الاستيطان في بلدة تبوك بصفة خاصة . وفي الاقليم الاداري بصفة عامة . وكان من شأن المهاجرين الوافدين ان يشتركو بكل الجهد في تنفيذ عمليات التنمية لحساب هذا التغيير الى ما هو افضل ويستفيدوا من منافع هذا التغيير اقتصادياً وحضارياً ، واقترن النمو الثاني في بلدة تبوك بقطاع كبير شيدته الدولة ويمثل

هذا القطاع امتدادا متخصصا ومخصصا لحساب الوية الجيش من القوات المسلحة . وعلى هذا فقد سجلت الدولة اهتماما بالخدمات والمرافق لكي تضفي على البلدة سمة العصرية وذلك كما ارادت وتريد حكومة المملكة العربية السعودية . ومن خلال عمليات التنمية المخططة التي تتولاها الدولة بشكل مباشر أو غير مباشر بدأ التغيير يأخذ مجراه . وتتحمل هيئة التخطيط في المدينة مسئولية متابعة التنفيذ بكل الاهتمام ، ويكون المطلوب منها ايضا ان تحرك التنفيذ تحريكا متوازنا لانجاح البرنامج الزمني ولتحقيق معدلات النمو والتحسين المتوقعة ومن خلال التنفيذ حسب البرنامج الزمني للخطة شهدت بلدة تبوك حصاد هذا التغيير بالفعل وقد تمثل هذا الحصاد الذي انتفع به الاستقرار فيما يلي :

١ — فتح وتجهيز الطرق والشوارع المعبرة .

٢ — تكامل امتدادات السكن الجديدة متأثرة بالطابع العصري .

٣ — تخصيص الفراغات في مساحات كافية بين الوحدات السكنية لحساب الحدائق والمرافق والخدمات العامة والخاصة توزيعا تمليه الحاجة .

٤ — فتح وتمديد الطرق المعبدة لحساب الحركة والمرور المرن السريع على جبهة الشمال الغربي من المملكة اتصالا بالدول المجاورة مع الاخذ بعين الاعتبار اسقاط حاجز المسافات بين الدول المجاورة من ناحية والموانىء البحرية التي تطل من خلالها على العالم الخارجي من ناحية اخرى . ولئن التزمت الدولة باعداد الطرق فقد التزمت ايضا بانشاء وتجهيز المطار في بلدة تبوك وكأن هذا الالتزام منطقيا لحساب الحركة الاكثر سرعة ، وكان المطلوب اشتراك النقل الجوي بحصة مناسبة في دعم مكانة بلدة تبوك لاداء دورها الوظيفي والرئيسى المنوط بها .

وبهذا الجهد الصادق استطاعت الدولة السعودية ان تتصدى لعامل المسافة بين مدينة تبوك وسائر انحاء المملكة . وكان استخدام الحركة على الطرق التي أنجحت عملية التغيير كما ان هذا الاستخدام الناجح قد اسقط حاجز المسافة بينها وبين مراكز الثقل الاقتصادية في المملكة . وكان من الطبيعي ان تتداخل قدرات وامكانيات مدينة تبوك الاقتصادية في بنية الاقتصادالوطني السعودي . تداخلا كليا من غير ان يتضرر التغيير او التداخل بمنطق العزلة او روح الانطواء .

ومهما يكن من امر فقد أخذت خطة التنمية على عاتقها مسئولية دعم التغيير لحساب التقدم والتحسين في مدينة تبوك . وقد استوعب السكان في مدينة تبوك عمليات التغيير على كل المستويا لحساب هذا التقدم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري . وكان المطلوب دائما ضمان الحد الاقصى من التوازن والتزامن بين التقدم في مدينة تبوك من ناحية والتقدم في مدن المملكة من ناحية اخرى . كما كان المطلوب ايضا ان يثبت التقدم والتحسين الذي انتفع به الاستقرار في بلدة تبوك روح ومنطق وارادة التغيير لحساب التقدم والتحسين في مناطق الحضر والبادية في الاقليم الظهير المباشر من حولها ، وقد يخشى من ان يتصدى التأخر للتقدم لكي يعطله جزئيا او يوقفه تماما .

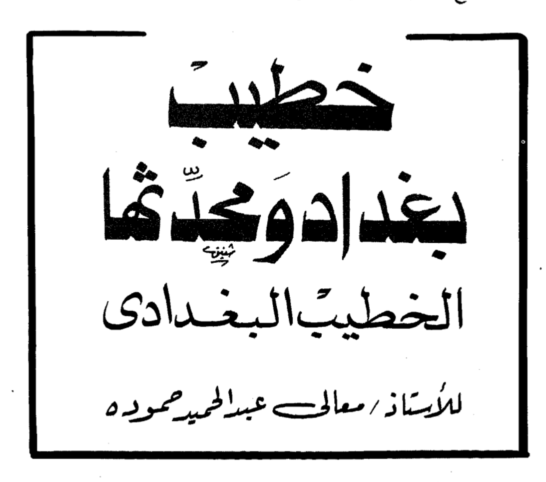
خالد سعيد الدريس

بقدر ما انجبت بغداد من علماء تركوا بصماتهم على الادب والتاريخ والفكر الاسلامي بقدر ما كان ابنها الخطيب البغدادي سمة مميزة كبيرة لها .. وشخصية جليلة القدر لم تترك بصماتها فحسب على بغداد ولكن على التاريخ الاسلامي والادب وعلوم الحديث كلها .

والخطيب البغدادي شخصية فذة ومتميزة .. من كافة جوانبها فيكفي انه سمع الاحاديث والعلوم المختلفة ولم تتجاوز سنوات عمره اثنى عشرعاما ويقول في ذلك الحافظ ابن كثير : [1] « ولد سنة احدى وتسعين وثلاثمائة واول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة » .

وكون الخطيب اصبح وهو في هذا العمر يقرأ ويعي ويسمع ويتفهم ويسأل فان هذا يدل على ان الله تبارك وتعالى قد هيأه لتلقي العلوم المختلفة وتهيئة لكي يكون اسمه من أشهر من كتبوا ودافعوا عن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .. والدفاع عن احاديث النبي انما هو دفاع عن الدين ..

ومع الخطيب البغدادي .. نتأمل حياته .. وثقافته .. ومؤلفاته .



من هو الخطيب البغدادي

أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدى . أبو بكر الخطيب البغدادي أحد مشاهير الحفاظ وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة له نحو من ستين مصنفا ويقال بل مائة مصنف .

ولد سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وقيل سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة والاول أشهر وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة . نشأ ببغداد وتفقه على يد أبي طالب الطبري وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الاسفراني وسمع الخطيب الحديث الكثير ورحل الى البصرة وأصبهان والشام والحجاز .

سمى « الخطيب » لانه كان يخطب بدرب ريحان . وسمع بمكة المكرمة على القاضي ابي عبدالله محمد بن سلامة القضاعي وقام برحلات واسعة لاستكمال دراسته . قرأ صحيح البخاري على كريمة بنت احمد في خمسة ايام . ورجع الى بغداد وحظى عند الوزير ابي القاسم بن مسلمة [٢] بمكانة كبيرة .

تجلت غيرة الخطيب على الدين الاسلامي حين زعم اليهود — لعنهم الله — ان معهم كتابا نبويا فيه اسقاط الجزية عنهم وتصدى لهم الوزير ابن مسلمة واحضر لهم الخطيب الذي قام رحمه الله بموقف غاية في البراعة والتحليل الصحيح اذ قال خطيب بغداد :

« هذا كذب . فقيل له : وما الدليل على كذبه ؟ فقال الخطيب :

« لان فيه شهادة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن اسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة وانما أسلم معاوية يوم الفتح . وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس فاعجب الناس ذلك » .

وحين وقعب فتنة البساسيري ببغداد واسقط البساسيري وليه ابن المسلمة ٤٥٠ هجرية (١٠٥٨ ميلادية) منعت الحنابلة الخطيب ان يواصل تدريسه بجامع المنصور فذهب الى دمشق وقبض عليه بتهمة اللواطة ولم ينج من عقوبة الموت التي قضى بها عليه والى الفاطميين الا للمكانة التي اضفاها عليه علمه (وسنقوم باذن الله بكشف هذه التهمة من اساسها) .

فر الخطيب من دمشق الى بيت المقدس ثم صور فمدينة حلب ولم يتمكن من العودة الى وطنه إلا سنة ٤٦٢ هجرية (١٠٦٩ م) ولفظ انفاسه الاخيرة وصعدت روحه الى بارئها سنة ٤٦٣ هجرية (١٠٧١ ميلادية) .

دعاء الخطيب البغدادي عند زمزم

قبل ان نتحدث عن مكانة الخطيب البغدادي يهمنا ان نسجل موقفا للخطيب لنتعرف

فيه منه على لجوء الخطيب البغدادي الى الله تعالى ونفيا — في نفس الوقت — عن التهمة التي الصقت به وهو منها براء — تهمة اللواطة — ..

ذلك الموقف حين خرج من بغداد سنة ٤٤٤ هجرية في طريقه الى بيت الله الحرام فيمر على دمشق وصور ثم يصل الى مكة المكرمة ويقضي فريضة الحج ويتجه الى بئر زمزم فيشرب منه ثلاث شربات آخذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ماء زمزم لما شرب له »

ويسأل الله عز وجل ثلاث حاجات :

الاولى ان يحدث بتاريخ بغداد ببغداد

الثانية : ان يملي الحديث بجامع المنصور

الثالثة : ان يدفن عند قبر بشر الحافي

ذلك الدعاء ان دل على شيء فانما يدل على عقل راجح للخطيب البغدادى فهو يلجأ الى الله عز وجل طالبا العلم والكتابة والعلوم والتاريخ وان يكون هذا كله بجامع المنصور حيث ضمانا لنشر حديثه وكتاباته وحديثه عن احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم بعد وفاة الخطيب — وهو يعلم انه سيلقى الله الحي الذى لا يموت — يتمنى ان يهيىء الله له جوارا حسنا بعد مماته حتى اذا بعث الناس من قبورهم يوم القيامة خرج من قبره فوقع نظره على بشر بن الحارث الحارفي وهو رجل لم تدنس نفسه الدنيا .

وتحقق للخطيب كل الذى طلبه من الله عز وجل ..

مصادر ثقافة الخطيب وينابيع اثاره

اعتمد الخطيب البغدادي في ثقافته على شيوخ شتى أخذ منهم العلم وبرع فيه حتى انه بعد فترة وجيزة انطبق عليه المثل القائل « ان التلميذ يتفوق على استاذه » وما يأت هذا كله من فراغ مطلقا ولكن المتأمل لمصادر ثقافة الخطيب يجد ان الله عز وجل هيأ له الاسباب التى جعلته ينهل من العلوم والمعرفة ويصير الى ما صار إليه .

فمن الشيوخ الذين أخذ الخطيب منهم العلم

— ابراهيم بن عقيل بن جيش بن محمد أبو اسحاق بن المكبرى . من علماء النحو .

— ابراهيم بن مخلد بن جعفر الباقر حى ابو اسحاق فى أهل العلم والمعرفة بالأدب كان ينتحل مذهب ابن جرير الطبرى .

— أحمد بن حسن الحيري . أبو بكر . أصولى متكلم محدث .

— أحمد بن الحسين الكسار . أبو نصر راوي سنن النساء .

ــ أحمد بن عبدالله بن اسحاق المهراني . أبو نعيم . الحفاظ صاحب حلية الاولياء .
ــ أحمد بن محمد بن دوست أبو سعيد النيسابورى .
شيخ الشيوخ ببغداد .
ــ أحمد بن محمد بم أحمد أبو الحسين بن المتيم . الواعظ أقدم البغداديين سماعا ممن اخذ منهم الخطيب .
ــ أحمد بن محمد بن عبدالله بن حفص بن الليل . أبو المالينى الحافظ . طاووس الفقهاء وكان عنده من الكتب الطوال ما لم يكن عند غيره .
ــ أحمد بن محمد بن غالب . أبو بكر البرقانى . ذو حظ في علم العربية . عارف بالفقه لم ير الخطيب اثبت منه .
ــ الحسن بن محمد بم عبدالله بم حسنوية . أبو الاصبهانى .
ــ طاهر بن عبدالله بن طاهر أبو الطيب الطبرى . فقيه لم ير أبو اسحاق الشيرازي اكمل اجتهادا واشد تحقيقا واجود نظرا منه .
ــ عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد . أبو نصر بن الصباغ . فقيه . شافعى . صاحب الشامل .
ــ على بن يحيي بن جعفر . أبو الحسن بن عبدكويه ــ محدث . امام جامع اصفهان .
ــ القاسم بن جعفر بن عبد الواحد . أبو عمر الهاشمى . راوى السنن .
ــ محمد بن أحمد بن رزقويه . ابو الحسن البزاز . محدث كثير السماع والكتابة .

ومن اقرانه الذين حدث عنهم وحدثوا عنه

ــ أبو اسحاق الشيرازى. ابراهيم بن على الفيروزابادى . فقيه شافعى واول مدرس في النظامية ببغداد .
ــ ابن خيرون أبو الفضل . أحمد بن الحسن بن أحمد . حافظ ناقد .
ــ ابو محمد الكتانى . عند العزيز بن احمد . صوفى حافظ جليل .
ــ أبو نصر بن كاكولا . على بن هبة الله بن جعفر . لم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه .
ــ أبو الحسن الطيورى . المبارك بن عبد الجبار بن أحمد . محدث كبير .
ــ أبو عبدالله الحميدى الاندلسى .. محمد بن فتوح بن عبدالله . أحد حافظ عصره .
ــ المقدسى . نصر بن ابراهيم بن نصر . من كبار الفقهاء الاجلاء .
وغيرهم كثيرون ..
وكان نتيجة لهذه المصادر الثقافية والعلمية الجليلة ان اتت الثمرة اشهر مما يريد الخطيب البغدادي نفسه .. فصار الخطيب علما من اعلام بغداد يرفرف في سماء الادب والعلوم

والحديث في التاريخ الاسلامى .

وكانت الثمرة التالية لذلك ان تلاميذ الخطيب البغدادى صاروا هم ايضا من ينابيع الثقافة فى بغداد ودمشق وصور وحمص واماكن اخرى عديدة .

بلاغة شعر الخطيب

ليس كل من قال شعرا يعد بليغا .. ولكن المتأمل في الشعر العربى ذاته والذى قاله الخطيب يدرك ان خطيب بغداد لم يكن يقل الشعر على عواهنه بل انه ايضا كان فصيحا بالادب بليغا وصل الى ما لم يصل اليه اقرانه او شيوخه .

ولنحيا مع ابيات من قصيدة جيدة المطلع حسنة اللفظ عميقة المعنى ذكرها ابن الجوزى [٣]

لعمرك ما شجانى رسم دار — وقفت به ولا رسم المغانى
ولا أثر الخيام أراق دمعى — لأجل تذكرى عهد الغوانى
ولا ملك الهوى يوما قيادى — ولا عاصيته فثنى عنانى
ولم أطمعه فىّ وكم قتيل — له فى الناس ما تحصى دعانى
عرفت فعاله بذوى التصابى — وما يلقون من ذل الهوان

ومنها ايضاً

ولم أك فى الشدائد مستكينا — أقول لها ألا كفى كفانى
ولكنى صليب العود عود — ربيط الجأش مجتمع الجنان
أبى النفس لا أختار رزقا — يجيىء بغير سيفى أو سنانى
فعز فى لظى باغيه يهوى — ألذ من المذلة في الجنان

وقد ترجمه ابن عساكر [٤] ترجمة حسنة وأورد له من شعره قوله :

لا يغبطن أخا الدنيا لزخرفها ولا للذة عيش عجلت فرحا
فالدهر أسرع شيىء فى تقلبه وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلا فيه منيته وكم مقلد سيفا من قربه ذبحا

اتهام باطل للخطيب

يصعب على المرء منا ان يصدق ان انسانا بلغ مثل هذا الشأن الكبير وهذا الانسان لا غبار عليه في دينه بل انه حج الى بيت الله الحرام وكان مدافعا كبيرا عن الاحاديث النبوية وعلوم الدين الاسلامي .. يصعب على المرء منا ان يصدق الاتهامات التي كالها بعضهم للخطيب البغدادى .

وبرغم ان القول يقول : كلما علا نجم المرء كلما ازداد تعرضا للهجوم من الحاقدين وبرغم ان هذه القول ينطبق على الخطيب الا انه انصافا للحق وضمانا لشرف الكلمة يحسن بنا ان نفند هذه المزاعم التى الصقها البعض بالخطيب البغدادى وسار من ورائه عدد من الكتاب فأوردوا تلك الاتهامات دون محاولة لكشفها او ثباتها .

وكانت تلك الاتهامات تنحصر في شيئين :

١ ـــ اتهامه باللواطة .

٢ ـــ اتهامه بقول الشعر الغير عفيف في حب الغلمان .

وكما قلنا رغبة في تحديد الحقيقة والتعرف على هذهالاتهاماتهل هى صحيحة أم لا يحسن بنا ان نعرف هذهالاتهامات ومصادر رواتها كى يمكن بعدها الوصول الى الحقيقة .

حين حل شهر صفر من سنة ٤٥٩ هجرية اضطر الخطيبالبغداديالى مغادرة دمشق على أسوأ ما تكون المغادرة فهو مهدد بالقتل ومعرض للاهانة وذلك انه كان من بين الكتب التي سمعها وقرأها :

كتاب فضائل الصحابة [٥]

وكتاب فضائل العباس [٦]

ودرس الخطيب هذين الكتابين بامعان شديد وعلم الحسين على المعروف بالمقرى الدمشقى وكان شيعيا بالغ التعصب فدس الخبر الى أمير الجيوش وقال : هو ناصبى [٧] يروى فضائل الصحابة وفضائل العباس في الجامع .

فأمر أمير الجيوش بالقبض عليه .

الى هنا وان سلمنا بصدق هذه الرواية ـــ والخلفيات تؤكد صدقها للتعصب الرهيب فى

المذاهب — فان هذه الحادثة لا تشين الخطيب مطلقا فالفطاحل من المؤلفين والعلماء والكتاب تعرضوا بهذا وغيره كثيرا .

الا ان الوقيعة حدثت بعد هذا مباشرة اذ يقول ابن طاهر [٨] طاعنا في الخطيب : (كان سبب خروج ابى بكر الخطيب من دمشق الى صور انه كان يختلف اليه صبى مليح فتكلم الناس فى ذلك وكان أمير البلد رافضيا [٩] فبلغته القصة فجعل ذلك سببا للفتك به) .

وقع اتهام الخطيب البغدادى اذن ..

وكما يقال الكذب ساقاه صغيرتان .. وكأن الله يريد ان يكشف الحقيقة اذا بابن طاهر نفسه يكشف كذبته الحمقاء وفريته الهابطة فيقول :

(وكان صاحب الشرطة سنيا فقصد الخطيب تلك الليلة مع جماعة ولم يمكنه ان يخالف الأمير فأخذه وقال : قد أمرت فيك كذا وكذا ولا أجد لك حيلة الا أن أعبر بك على دار الشريف ابن أبى الجن [١٠] فاذا حاذيت الباب اقفز وادخل الدار فأرجع الى الأمير بالقصة) .

تلك كانت العبارة بنصها .. ولا يمكن لنا ان يتصور عقلنا ان صاحب الشرطة يغامر بنفسه وبمركزه وعنقه في سبيل ان يمهد سبل الفرار للخطيب البغدادى .. وان جاز وقبلنا ان صاحب الشرطة اراد ان يغامر بكل شيء وان ييسر الهروب للخطيب .. فماذا يا ترى كان رأى الجماعة التى رافقت صاحب الشرطة في القبض على الخطيب البغدادى ؟؟؟

ان تسلسل الاحداث المنطقية في هذه الرواية يجعلنا لا نأخذ بها كقرائن ثابتة بل يجعلنا نصل الى الصواب الفعلى وهو ان سبب اتهام الخطيب باللواطة مرجعه الاول والاخير هو التعصب المقيت للمذاهب كما يقول بذلك ابن عساكر في كتابه [١١] وكما يقول الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية [١٢] بالنص « اتفق يوما أنه قرأ فضائل العباس فثار عليه الروافض وأتباع الفاطميين وأرادوا قتله » .

هذه واحدة .. والواحدة الثانية ان كل المصادر الصحيحة والوثيقة بالتاريخ والأدب لم تذكر ولو شبهة واحدة يمكن ان تدين الخطيب البغدادى .

وعن الاتهام الثانى بذكر الشعر غير العفيف فى حب الغلمان فلم يثبت ان الخطيب البغدادى قال مثل هذه الأشعار .. وان كان الخطيب قد بدرت منه مثل هذه الأشعار فان الكثير قالوا مثل هذا تمرنا على قول الشعر أو تظرفا فيه [١٣]

ولا يسعنا هنا الا ان نستشهد بقول رب العالمين جل وعلا فى القرآن الكريم [١٤] « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

الصورة العامة للخطيب البغدادى

برغم المكانة العالية التى وصل اليها الخطيب البغدادى الا انه لم يتطرق اليه الغرور فى اى يوم من الايام ولقد كان الخطيب انسانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معـان وماتشير اليه من ايماءات .

ولنتعرف على جملة اخلاقه الفاضلة رحمه الله .

وها هى اقوال علماء العصر الذين قالوا ما يمكن ان يبرىء ذمتهم أمام الله عز وجل والتاريخ .

ففى تاريخ دمشق يرد قول على لسان الذهلى : (١٥) « انه لم يدرك مثله » .

وفى نفس المصدر نقرأ لأبى على البردانى قوله : (١٦) « ما رأيت مثله ولا أظن رأى مثل نفسه ولكن التكبر والخيلاء لا يجد ان منالا منه وقد عرف عن نفسه علو الكعب واكبار الناس فهو متواضع فى نفسه وفيما يعتقده فيها وهو اذا سأله أحدهم عند لقائه قائلا : انتهى الحفظ الى الدارقطنى . أنا أحمد بن على الخطيب » . والسمعانى (١٧) يصف اخلاق الخطيب جملة فيقول : «كان فى درجة الكمال والرتبة العليا خلقا وخلقا وهيئة ومنظرا » .

ويمتد التقييم لعلم الخطيب وعمله فيقول ابن ماكولا فى تاريخ دمشق : (١٨) «كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا واتقانا وضبطا لحديث رسول الله صلى عليه وسلم وتفننا فى علله وأسانيده وخبرة برواته وناقليه وعلما بصحيحه وغريبه ومفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه » .

وهذا الوصف جامع مانع ترى فيه الخطيب قويا فى علمه عظيما فى تحقيقه وخبرته وهو وصف صدر عن ابن ماكولا وغنى عن القول ان نقول ان ابن ماكولا كان متينا فى الحديث عارفا بالخطيب متتبعا لكل ما يكتب الخطيب من سمين وغث وفى هذا الرأس الكفاية وعليه الاعتماد .

مؤلفات ومصنفات الخطيب

برع الخطيب البغدادى فى مؤلفاته التى أخذت جهده الكبير والتى قضى فيها سنوات عمره كلها فى كتابة تلك المؤلفات البارعة والمصنفات المفيدة النافعة . ولقد تجلت براعة الخطيب البغدادى فى اشهر مؤلفاته « تاريخ بغداد » (١٩) ثم ابرز باقى براعته فى مؤلفاته عن الحديث النبوى وعلم الحديث والفقه والاصول والكلام والعبادات والائمة والفقهاء والمسلمين والقرآن الكريم وغيرها فجاءت مؤلفات الخطيب البغدادى من كل بستان زهرة .

ومما يؤسف له ويجلب الحزن والأسى ان تلك المؤلفات العديدة والمصنفات المفيدة قد ضاعت وأنمحت فلم يبق منها الا عدة مؤلفات متناثرة هنا وهناك .

ومن تلك الكتب :

ــ تاريخ بغداد
ــ أبطال النكاح
ــ اجازة المجهول
ــ احاديث مالك
ــ الاحتجاج للشافعى
ــ أدب الفقيه
ــ اذا اقيمت الصلاة
ــ اسماء من روى عن مالك
ــ أمالى الخطيب
ــ البخلاء
ــ البسملة من الفاتحة
ــ تالى التلخيص
ــ التطفيل
ــ تقييد العلم
ــ تلخيص المتشابه
ــ التنبيه والتوقيف
ــ الحيل
ــ خطبة عائشة
ــ القول في علم النجوم
ــ كشف الاسرار
ــ الرباعيات
ــ غنية الملتمس
ــ مختصر السنن
ــ المسلسلات
ــ من حدث ونسى
ــ مناقب أحمد بن حنبل
ــ مناقب الشافعى
ــ المؤتنف والمؤتلف
ــ الوفيات

وغيرها من المؤلفات والمصنفات العديدة

مكانة الخطيب عند الناقدين

حين نريد تقييم الخطيب البغدادى فان الناحية العقلية الصحيحة تفرض علينا ان نسقط من الحساب اقوال اتباع ومؤيدى الخطيب وكذا اقوال خصومه .. ولنأخذ عند التقييم بأقوال الناقدين الاجلاء الذين لا هم لهم سوى الحقيقة لا اكثر ولا اقل .

فهذا ابن الاكفانى يقول : (٢٠) (كان ثقة ضابطا خلوصا متقنا متيقظا متحررا) .

وهذا السمعانى يقول : (٢١) (كان ثقة صدوقا متحريا حجة) .

ويقول عبد العزيز الكتانى : (٢٢) (كان ثقة حافظا متقنا ضابطا) .

ويقول عنه ابن ماكولا : (٢٣) (كان ابو بكر آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظا واتقانا وضبطا لحديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم —) .

وقد لقبوه بالحافظ .. والحافظ لقب عزيز يقتضى علو الشأن وقد حدد الفقهاء والعلماء عن الحافظ فقال بعضهم « هو من حفظ اربعمائة ألف حديث » وقال آخرون « عشرة الاف حديث » وبالقول الاخير أخذ به الإمام الجليل أحمد بن حنبل وصحابة كثيرون من المحدثين .

والخطيب امام عصره يقول فى ذلك السمعانى : (٢٤) « علامة العصر » .

وقال ابن النجار : (٢٥) « انتهى اليه علم الحديث وحفظه فى وقته » .

ويكرر السمعانى اعجابه بالخطيب فيقول صراحة : (٢٦) «كان امام عصره بلا مدافعة وحافظ وقته بلا منازعة » .

ويصل السبكى بوصفه للخطيب الى القمة فيقول : (٢٧) « ما طاف سور بغداد على نظيره يروى عن افصح من نطق بالضاد ولا أحاطت جوانبها بمثله وان طفح ماء دجلتها وروى عن كل صاد » .

ولم ير النقاد مثل الخطيب ويقول في هذا المقام أبو على البردانى : (٢٨) « أما حافظ وقته أبو بكر الخطيب فما رأيت مثله ولا أظنه رأى مثل نفسه » .

ويصفون الخطيب بدارقطنى زمانه .. وهذا قمة شرف ما بعده شرف للخطيب البغدادى فيقول ابن ماكولا : « لم يكن للبغداديين بعد أبى الحسن الدارقطنى من يجرى مجراه ولا قام بعده بهذا الشأن سواه » (٢٩) .

ويقول المؤتمن الساجى : « ما أخرجت بغداد بعد الدارقطنى أحفظ من أبى بكر الخطيب » (٣٠) .

ويقول أبو اسحاق الشيرازى : « أبو بكر الخطيب يشبه الدراقطنى ونظرائه فى معرفة الحديث وحفظه » (٣١) « هوذا دارقطنى عصرنا » (٣٢) .

والخطيب ختم به الحديث فيقول ابن عساكر : (٣٣) (انه ختم به ديوان المحدثين) .

ويقول السمعانى : (٣٤) (انتهى اليه معرفة علم الحديث وحفظه وختم به الحفاظ) .

ويقول أبو الحسن الهمذانى : (ومات علم الحديث بوفاته) .

وان كان الخطيب أحد الذين خدموا الحديث وعلومه فقد استطاع ان يرفع من شأنه الى الاتقان وبذلك استحق ان يعترف بقدره ومكانته وعلو كعبه والاينسى نصيبه من المديح والثناء وكان ذلك فدل على أنه أخلص للعلم اخلاصا لا شك فيه وغدا الخطيب راية كبرى خفاقة فى علم الحديث والأدب والتواريخ .

وفاة الخطيب

بعد حياة طويلة اسعده الله فيها بالعلم ورفع مقامه بين الناس وعلا شأنه فى التاريخ قاطبة مرض الخطيب في نصف شهر رمضان من سنة ٤٦٣ هجرية وكأنما قد شعر فى مرضه هذا بدنو أجله فلم يشأ الا أن يختم حياته بعمل صالح يودع به الحياة ويزيد من حسناته .

كان الخطيب قد صحب معه من الشام ثروة من الثياب والذهب فكتب الى القائم بأمر الله « انى اذا مت يكون مالى لبيت المال » ثم أوصى ان يتصدق بكل ما يخلفه من ثياب وغيرها ووقف جميع كتبه وتصانيفه على المسلمين وسلمها الى أبى الفضل بن خيرون فكان يعيرها فصارت الى ابنه الفضل فاحترقت فى داره . (٢٥)

واشتد به المرض ودنا الاجل .. وفى الساعة الرابعة من ضحى يوم الاثنين السابع من ذى الحجة سنة ٤٦٣ هجرية صعدت الروح الى بارئها عز وجل .

جنازة كبيرة لوداع الخطيب الى مثواه الأخير

تأخرت جنازة الخطيب الى اليوم التالى وأخرج بكرة يوم الثلاثاء من حجرته وعبروا بالجثمان الى جامع المنصور فى الجانب الغربى للصلاة فيه وكان فى انتظار جثمانه القضاة والأشراف والنقباء والشهود والفقهاء وأهل العلم والصوفية والعامة وخلق عظيم . وتقدم القاضى أبو الحسين ابن المهتدى بالله العزيز فصلي بالناس وكبر عليه اربعا على باب المقصورة ثم حملت جنازته ومعها ذلك الخلق العظيم وبين يدى الجنازة جماعة ينادون :

« هذا الذى كان يدافع عن رسول الله »

« هذا الذى كان ينفى الكذب عن رسول الله »

« هذا الذى كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وكان الناس يتبركون بحمل النعش وكان فيمن حمله شيخ الخطب الامام أبو اسحاق الشيرازى رئيس الشافعية ببغداد وكان عمره آنذاك سبعين عاما .

وتم مواراة جثمان ذلك العملاق العظيم التراب .

وعادت قوافل الناس لاول مرة دون خطيب بغداد .. والقلوب حزينة للامام الذي أحب بغداد فعشقته وتعشق الحديث فوهبه وعطف على المحدثين فأفادهم بثمرة علمه ...... وكثر الزائرون لقبره في الايام التى تلت وفاته وختم على قبره عدة ختمات من القرآن الكريم .

وبعد ؟؟؟

فتلك كانت صورة عن الخطيب البغدادى ابن بغداد .. كان عظيما فى حياته عظيما فى مماته عظيما فى تاريخه الذى تركه يتحدث عنه .. مدافعا عن احاديث النبى صلى الله عليه وسلم فصار الخطيب علما من اعلام الحديث والتاريخ وستظل الاجيال تتدارس حياته ومواقفه الى ان تتوقف الاقلام كلها عن الكتابة .

بقلم
معالى عبد الحميد حموده

المصــادر

١ — تاريخ بغداد   الخطيب البغدادي .(مكتبة محافظة الاسكندرية)
٢ — الأنساب   السمعانى (مكتبة محافظة الاسكندرية)
٣ — تاريخ دمشق   على بن الحسن ابن عساكر (مكتبة محافظة الاسكندرية)
٤ — وفيات الأعيان   ابن خلكان — مصر — المطبعة الميمنية.سنة ١٣١٠ « مكتبة محافظة الاسكندرية »
٥ — طبقات الشافعية الكبرى   السبكى (مكتبة محافظة الاسكندرية)
٦ — ارشاد الأريب فى معرفة الأديب   لياقوت — مطبوعات دار المأمون
٧ — تاريخ الأدب العربى   كارل بروكلمان — دار المعارف بمصر
٨ — الحضارة الاسلامية   آدم متز — ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة
٩ — كتاب دول الاسلام   الحافظ شمس الدين الذهبى تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤
١٠ — الوسيط في الأدب العربي   أحمدالاسكندرى ومصطفى عنانى — دار المعارف

١١ ـــ الخطيب البغدادى	بمصر يوسف العش ـــ قدم له أحمد أمين ـــ المكتبة العربية في دمشق ـــ ١٩٤٥/٣/١٥ (مكتبة محافظة الاسكندرية .

(١) البداية والنهاية ١٠٢/١٢ .

(٢) رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى أبى القاسم على بن الحسن بن أحمد المعروف بابن مسلمة .

(٣) في المنتظم .

(٤) تاريخ دمشق .

(٥) الامام أحمد بن حنبل .

(٦) محمد بن أحمد بن رزقويه . أبو الحسن البزاز .

(٧) أي متعصبا ضد على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(٨) رجل أجمعت كل المصادر على كذبه ووقيعته وحقده على الخطيب البغدادى

(٩) من الرافضة .

(١٠) على بن ابراهيم بن العباس بن أبى الجن .

(١١) تاريخ دمشق ٣٤٩/٤ .

(١٢) البداية والنهاية ١٠٢/١٢ .

(١٣) انظر الوسيط في الأدب العربي .

(١٤) سورة الشعراء الآيات ٢٢٦/٢٢٤ .

(١٥) أبو شجاع الذهلي .

(١٦) ارشاد الأريب فى معرفة الأديب لياقوت .

(١٧) الانساب للسمعانى (الجزء العشرون) .
(١٨) على بن هبة الله بن جعفر . أبو نصر بن ماكولا (٤٢٢ — ٤٨٧) لم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه .
(١٩) سنة ١٣٤٩ هجرية (١٩٣١ ميلادية) على أساس مخطوطة كوبرلبلي .
(٢٠) فى ابن حاتم — الاربعين .
(٢١) فى الارشاد .
(٢٢) تاريخ دمشق .
(٢٣) المصدر السابق .
(٢٤) فى الارشاد .
(٢٥) فى الوفيات .
(٢٦) الانساب .
(٢٧) طبقات الشافعية الكبرى .
(٢٨) تاريخ دمشق .
(٢٩) المصدر السابق .
(٣٠) المصدر السابق .
(٣١) المصدر السابق .
(٣٢) المصدر السابق .
(٣٣) المصدر السابق .
(٣٤) الارشاد .
(٣٥) المنتظم — الارشاد .

وذكر السبكى ان بعض مصنفاته احترق بعد موته قبل أن يخرج الى الناس . وقال الذهبى في تاريخ الاسلام فى حوادث سنة ٤٨٣ هجرية ان دار أبى الفضل بن خيرون نهبت فى هذه السنة .



د . يوسف القاضي

لقد خلق الله الانسان وخصه بميزات عقلية ولغوية ليسهل عليه التمتع بما خلق سبحانه وتعالى . وللتفكير بماضيه وحاضره ومستقبله ، وليشكره على آلائه ونعمه التي لا تحصى .

ويولد الطفل أول ما يولد وليس له من الحول والقوة الا ما يساعده على شعوره بالأمن والاطمئنان ، وما هو متعلق بطعامه ونظافته . فهو يعتمد على والديه أو ذويه اعتمادا كليا في رعايته وتوفير أسباب الحنان والقبول والرفق والغذاء والمأوى له .

ويندرج الطفل في مدارج النمو على مر الأيام . فينمو جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا وينزع للاستقلال رويدا رويدا عن ذويه ليكون لنفسه شخصية متميزة عن غيرها من ابناء جنسه . وهذا ما يسمى بالفروق الفردية .

الفروق الفردية والتقويم :

من المتعارف عليه تربويا ونفسيا أن لكل فرد من الأفراد ميزات وخصائص ومقدرات خاصة لها حدودها التي لا يمكن تجاوزها ، وهي كفاءات وخصائص تولد مع الطفل على صورة استعداد يعوزه البروز والنمو والتطور المستمر ، وهذا يتطلب تحريضا وتشجيعا وتشويقا من البيئة التي يعيش فيها الطفل وخاصة من الوالدين والعائلة التي ينتمي اليها . فلا بد لنمو هذه الكفاءات والقدرات من تغذية وتنمية شأنها في ذلك شأن الخصائص الجسمانية .

ومسئولية الوالدين حيال ولدهما النامي تتضمن ضمن ما تتضمنه وجوب مراعاة ما عنده من استعداد وقدرات ، فلا يكلفونه ما هو فوق طاقته ، ولا ما هو غير معد له ولا مهيأ . فلا يوجهانه الى ممارسة أمر لا يملك المقدرات اللازمة لتحقيقه ولا يهيئان له كما ينهج منهجا لا تتفق خصائصه مع خصائص الفرد وقدراته ومن هنا يمكننا القول ان مسئولية الوالدين تتضمن العمل على تنمية استعدادات الطفل عن طريق تشجيعها المستمر ، وتغذية مواهبه الخاصة به تغذية مستمرة متواصلة لتنمو هذه المواهب وتساعده في تكوين شخصية مستقلة تؤهله ليشق طريقه بنجاح في هذه الحياة . وهذا ليس بالامر الهين ولا بالسهل المنال ، فالأمر يتطلب معرفة ورغبة صادقة ، وجهدا وعناية من قبل الوالدين والقائمين على رعايته وتربيته .

ومما تقدم يتضح لنا أهمية العلاقات الاجتماعية والعائلية وأثرها على الفرد وعلى سيره ونشاطه بصورة عامة . وهذا ينطبق على الطالب كما ينطبق على غيره ممن يخوضون معترك الحياة على اختلافها وتنوعها . فقد دلت التجارب التي قام بها عدد من المربين وعلماء النفس أن من أفضل أنواع العلاقات التي تربط بين الوالدين وأطفالهم ما يغلب فيها طابع الحب والمكافأة والاحترام المتبادل ، على طابع الحنق والعقاب بحيث يحد ويخفف من أثر العقاب ، ويحصره في نطاق مقتضيات الحياة الواقعية من اجتماعية واقتصادية وتربوية . ففي رجحان كفة الحب والتشجيع والمكافأة على كفة الحنق والغيظ توفير للأمن اللازم لنمو الطفل نموا طبيعيا سويا مقبولا من المجتمع . كما أن في القدر اليسير من العقاب تكمن بذور القلق الذي تتطلبه الحياة الطبيعية الواقعية . فيشب الطفل وهو مهيأ بدوره في الحياة على وجه مرضى ومقبول . وهذا يختلف من طفل لطفل ، فلا يمكن التعميم ولو كانوا أشقاء .

وكما ان لنوع العلاقات الاجتماعية والعائلية دخلا ملحوظا وأثرا واضحا على حصول بعض الاضطرابات التي يعاني منها بعض الطلبة في المدارس ، فان للمدرسة كذلك ، وللمادة الدراسية والمناهج ، والمدرس ، وطريقة التدريس ، لها كلها مجتمعة أو متفرقة آثارها التي قد تسبب الاضطرابات والبلبلة الفكرية لدى الطالب ، مما قد يؤدي به الى ترك المدرسة والدراسة بنفوره منها ، او بعدم تجاوبها في ترتيب نشاطات الطفل وتنظيمها وتهيئتها لتتناسب مع متطلبات الفرد الاجتماعية والعقلية والنفسية والجسمية .

مما تقدم نستنتج مدى تأثير العلاقات الاجتماعية والعائلية في توجيه الطالب ، وان تفهمها من قبل الوالدين والمدرسة يعتبر واجبا تربويا لانه قد يوفر على الطالب الكثير من الوقت والجهد ويبعد عنه الكثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية والتربوية التي يعاني منها العديد من الطلاب، والتي يمكن ارجاع اسبابها ومسبباتها الى امور نفسية وتكوينية واجتماعية

وتربوية . فتتضافر جهود المدرسة والبيت لتوفير الجو المناسب للطالب من الامور التربوية التي لا غنى عنها لمساعدته في النجاح وتخطي الصعوبات التي تعترض سبيله . فبالاضافة للامور التربوية والاجتماعية التي ذكرت أعلاه والتي لها دخل ملحوظ في تقرير مستقبل الطالب ونجاحه . وهناك الامتحانات الرسمية التي تسبب للطالب الكثير من الاضطرابات النفسية والعصبية خاصة وان خطورة هذه الاضطرابات قد لا تقف عند فترة معينة من فترات الامتحانات فقط ، بل تتعداه الى حياة الطالب ومستقبله .

التقويم والامتحانات المدرسية :

من الأسئلة التي تتردد على الالسنة قبيل نهاية السنة الدراسية تلك التي تتعلق بالاضطرابات النفسية التي تصيب الطالب خلال ايام الامتحانات المدرسية النهائية الرسمية منها وشبه الرسمية . فالى اي مدى تؤثر تلك الاضطرابات على حياته الطالب في حاضره ومستقبله ؟

مما لا شك فيه أن التفكير في الامتحانات النهائية والاقتراب من مواعيدها يسببان ارقاً وهموماً لكثير من الطلاب حتى المتفوقين منهم ، وخاصة اذا كانت الاهمية المعطاة لهذه الامتحانات والنتيجة المترتبة عليها كبيرة ، بحيث تقرر مصير الطالب الدراسي وربما مصيره في الحياة المقبلة .

فمن المتعارف عليه علميا ان التفكير وثيق الصلة بالانفعال ، والفرد الذي يعاني انفعالا حادا يتعرض ، في معظم الحالات ، للمعاناة من توتر عصبي وذهني فيصبح والحالة هذه ، غير قادر على التفكير تفكيرا سليما . فيستحيل عليه ان يتبين الامور على حقيقتها او ان ينظر للأوضاع نظرة موضوعية لا تشترك فيها نوازعه الشخصية او تحرفها عن معانيها وفحواها اضطراباته الانفعالية . فعوامل الفشل والنجاح والرهبة من الامتحانات يسبب للطالب الكثير من الاضطرابات النفسية والعقلية التي تتنازع تفكيره وتنغص عليه حياته في المنزل وفي المدرسة ، وربما بقيت آثارها الى ما بعد انقضاء مدة الامتحانات وظهور النتائج . وربما تعدتها لتلازمه مدى الحياة .

الاختبارات الشهرية كمحاولة للتخفيف من آثار الامتحانات النهائية :

لقد تنبه كثير من المربين والمشرفين على المدارس والتعليم الى اخطار الامتحانات النهائية . فعملوا للتخفيف من شأنها والتقليل من وزنها ، فبدلا من ان يجعلوا من امتحانات نهاية السنة الدراسية المقرر الوحيد لنجاح الطالب او فشله . (وهذا مما يدعو الطالب للتفكير فيها باستمرار والالتهاء عما يدور حوله في حياته العادية ، فتعيق نموه الاجتماعي والنفسي والجسمي) ، جعلوها ، مضافة اليها أعمال السنة كلها معيارا لمعرفة تقدم الطالب ومدى استيعابه وتفهمه للمادة . كما انه أصبح بالامكان ان يعرف المدرس ، بعد دراسة نتائج أعمال

السنة بالتالي . نجاح طريقته التي يتبعها بالتدريس في حينه . فيعمل على تطويرها حسبما تقتضيه ظروف العمل ليضمن تفهمهم للمعلومات والعمل على توظيف تلك المعلومات للوصول الى الاهداف المرجوة . لذلك فقد اتجه الكثير من المدرسين لاجراء اختبارات اسبوعية او شهرية (دورية) . تضاف الى ملاحظاتهم المستمرة للطالب داخل الفصل وخارجه مما يمكنهم من معرفة قدرات طلابهم بصورة أحسن وأدق عن ذى قبل . كما انهم اصبح بمقدورهم تقويم طريقة التدريس التي يتبعونها وتعديلها او تطويرها قبل فوات الاوان . (لقد فاتهم فرص كثيرة عندما كانوا ينتظرون الى آخر العام الدراسي او الى آخر الفصل الدراسي لاجراء تقويم للطلاب) .

ومع ان الاختبارات الاسبوعية والشهرية ظلت قاصرة عن تحقيق الهدف المرجو منها . ألا وهو مساعدة الطلاب . والمدرس على تبين طريقة تدريسه والدراسة بصورة عامة الا ان لها فوائد اخرى يمكن ايجازها بما يلي : —

أ — امكانية تعديل وتطوير المادة الدراسية بما يتلاءم وحاجة الطلاب .

ب — امكانية مساعدة الادارة المدرسية في تطوير وتعديل المناهج المدرسية بما يتلاءم وحاجة المجتمع والطلاب والمدرسة .

ج — امكانية مساعدة اولياء امور الطلاب على تفهم نشاطات ابنائهم المدرسية والاجتماعية فترة بعد فترة وبصورة مستمرة ، بدلا من الانتظار حتى نهاية العام الدراسي لمعرفة رسوب ابنائهم ونجاحهم .

وبالرغم من المحاولات المتكررة من آثار الامتحانات النهائية . الا أنها لا زالت تعتبر المعيار الذي يقرر مصير الطلاب في كثير من بلدان العالم : ونتيجة لهذا الاعتبار فان الكثير منهم يغفلون واجباتهم الصحية والاجتماعية التي يستحسن أن يمارسونها كأعضاء نافعين في مجتمع متطور ، يغفلون عنها وينغمسون في التفكير المستمر بالامتحانات النهائية فينسون تناول غذائهم بصورة مستمرة ومنتظمة مما يسبب لهم هزالا وضعفا جسميا . وهذا الضعف في الجسم يؤثر على التفكير السليم للطالب . والنتيجة لهذا الهبوط في معظم الحالات. أما انه يكون على شكل تدهور عام وانهيار صحي ، او تذمر ونفور من المدرسة والدراسة بشكل عام . ومن ثم التشرد في الازمة ، وممارسة اعمال لا طائل من ورائها . ويمكن تخفيض آثار الامتحانات النهائية كما يلي : —

أ — حالات من الأرق وقلة النوم أو صعوبته ، وهذا مرده في الغالب للارهاق واختلال نظام النوم مع ما يصاحبه من تراكم الافكار وتشابكها .

ب — طغيان التفكير المستمر في النجاح وتوقع الفشل ونتائجها . وهذا متعلق بالاهمية المعطاة للامتحانات النهائية ، فكلما كانت كبيرة كلما كان التأثير أعمق وأهم .

ج — ضعف عام في الجسم . ومرد هذا الى قلة الاكل وسوء التغذية . وعدم انتظام تناول الوجبات . بالاضافة الى ما تسببه من أرق وسير وتشعب الافكار .

د — كنتيجة لما سبق ذكره ، فقد تنشأ حالات واضطرابات نفسية ، فتزيد من اضطراب

العقل وتشويشه وتطغى على تصرفات الطالب — فتشلها شللا جزئيا او كليا .

٥ — اغفال واجبات اخرى كالواجبات الاجتماعية والصحية والجسمية بصورة عامة .

نستنتج مما سبق ذكره ، أن للامتحانات النهائية آثارها المضرة بمستقبل الطلاب بصورة عامة . فاذا كان لا بد منها ولا يمكن الاستغناء عنها بالمستقبل القريب فانه من المستحسن ان يهيأ الطلاب لها . وكبداية لتهيئة الطلاب نورد لهم بعض النصائح لعلهم يستفيدون من تطبيقها .

نصائح للطلاب :

الهدف من ايراد هذه النصائح هو الاستعانة بها قدر الامكان لتعين الطالب او لتكون ذات نفع له في التغلب على بعض الاضطرابات التي ورد ذكرها ، وتمكنه من التصرف بحكمة اثناء ادائها ، مفترضين ان المادة المعطاة هي في مستوى الطالب ومتناوله ، وأن المناهج الدراسية مناسبة وموزونة ومنظمة حسب المستوى ، وحسب حاجة الفرد وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه ويتعامل معه .

وهذه بعض النصائح : —

١ — من المفروض ان يكون الطالب قد قام بدراسة المادة المعطاة له وفهمها على مدار الفصل وعلى دفعات . وهذا يسهل له مراجعة المادة واستذكارها وقت الامتحان النهائي .

أما اذا فاته فعليه ان يعرف النقاط الهامة في المادة ، ويحاول فهمها فيما تبقى له من الوقت قبل دخول الامتحان النهائي . لأن محاولة فهم المادة كلها ان لم يكن مستحيلا ، فانه من الصعب ان يقوم بذلك في وقت متأخر مثل الوقت الذي يسبق الامتحانات عادة .

٢ — تنظيم وقت الطلاب هو من الاهمية بمكان في تقرير فشله او نجاحه على ان يشمل التنظيم المخطط الواعي طيلة ايام دراسته ، ويستمر معه في حياته العملية بعد انتهاء الدراسة .وهذا يعني تنظيم وقت الدرس ، ووقت كاف للراحة والاستجمام لاستعادة نشاط قواه العقلية والجسمية . كما انه ينبغي تخصيص وقت كاف للنوم وآخر للأكل ووقت آخر لواجباته الاجتماعية على اختلافها . فالتخطيط الهادف لهذه الامور يجنب الطالب الكثير من الاضطرابات والتشويش الفكري . كما ويمكنه من استعمال وقته استعمالا مفيدا دون ضياع .

٣ — ان يبتعد قدر الامكان عن استظهار المادة وحفظها غيبا قدر الامكان ، ويسعى جهده لفهم المادة فهما جيدا متقنا بحيث يتمكن من صياغتها بلغته الخاصة عند الاجابة عليها او مناقشتها واستعمالها ، لان ذلك يثبت المادة في ذهنه لمدة اطول ويمكنه من تطويرها واستعمالها على اشكال مختلفة وحسب الحاجة لتطبيقها في المستقبل .

٤ — الاهتمام بتوفير الغذاء والراحة الجسمية للطالب ما امكن ذلك لان تجديد النشاط كما اسلفت ، بتوفير الغذاء والراحة اللازمة له يعمل على تنشيط مدارك التلميذ الفعلية ويجعله اكثر استعدادا لتقبل معلومات ودراسات اكثر فأكثر ، وبصورة فعالة . والاهمال في ذلك يؤدي العكس .

٥ ـــ دخوله قاعة الامتحان بثقة وبصورة عادية ما امكن ذلك .

٦ ـــ قراءة كل سؤال بتمعن وروية وتفهم قبل البدء بالاجابة . هذا بالاضافة الى معرفة ما هو المطلوب من السؤال فيحاول ان يجيب عليه فقط ، حتى لا يضيع وقته في كتابة اشياء غير مطلوبة . لان الوقت اثمن من ان يهدر بدون فائدة ، وخاصة في أوقات الامتحانات النهائية .

٧ ـــ بعد قراءة السؤال بتمعن وروية وتفهم ، على الطالب ان يكتب النقاط الرئيسية التي يعتبرها أساسية في الاجابة عن السؤال . ثم يبدأ بعد ذلك بتفصيل تلك النقاط وتوضيحها نقطة بعد اخرى حتى ينتهي منها جميعها .

٨ ـــ عند الاجابة عن الاسئلة الطويلة ، التي تسمى اسئلة المقال على الطالب ان يعطي رأيه فيما كتب . لان ذلك يظهر مدى تفهمه للمادة وتمكنه من الاستفادة مما جاء فيها من معلومات ومهارات . فالتربية الحديثة تعتبر المادة وسيلة لبلوغ غاية أسمى من الحفظ والتسميع ـــ الا وهي النمو المتكامل للتلميذ في النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمية .

٩ ـــ على الطالب ان يكتب بلغة صحيحة ومفهومة قدر الامكان ، على ان يكون خطه مقروءا وواضحا ـــ فالاجابة المرئية والمكتوبة بلغة صحيحة توحي لقارئها بأن الطالب صاحب الاجابة ، هو انسان منظم لافكاره وعمله ، فيزيد ذلك من تقديره . فالقصد من الامتحان عادة هو معرفة نضوج الطالب ونموه ومدى تنظيمه للمعلومات والاستفادة منها ، لا ارهاقه او ارهابه ، أو كتابة ما سبق أن حفظه من معلومات .

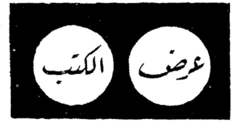
١٠ ـــ المحافظة على تسلسل الافكار اثناء الاجابة ما امكن وربطها ببعضها البعض بحيث تكون وحدة متكاملة . وهذا يكشف عن مدى نضوج الطالب وتفهمه للمادة . وهي من الامور التي تسعى التربية الحديثة اليها وتشجعها .

١١ ـــ على الطالب ان يحضر معه لقاعة الامتحان لوازمه والادوات المتعلقة بالامتحان .

١٢ ـــ على الطالب ان يدخل قاعة الامتحان وهو قانع بما فهمه من معلومات ، لأن أية محاولة متأخرة لتفهم المعلومات او اضافة معلومات جديدة في الساعات الاخيرة التي تسبق الجلوس للامتحان ، ربما تؤدي لتشويش افكاره وتربكه بحيث يضيع بعض ما عرفه وفهمه سابقا .

هذه بعض النصائح اقدمها لطلابنا الاعزاء لعلهم يستفيدون مما ورد فيها حسبما تسمح لهم ظروفهم سائلا المولى أن يأخذ بيدهم لما فيه الخير والصلاح .

د. يوسف القاضي





وكتابه
عُقد الجواهر والدرر

عرض : يحيى ساعاتي

من كتب التراث الجيدة التي لا تزال حبيسة الاهمال ... رغم أهميتها ... وعلاقتها الوثيقة بالحياة الثقافية والفكرية في الجزيرة العربية كتاب عقد الجواهر والدرر فى أخبار القرن الحادى عشر للشلي . أحد أعلام القرن الثانى عشر الهجرى . وقد ترجم فيه لعدد كبير من رجال القرن الحادى عشر ومن خلال تلك التراجم أعطى صورة واضحة المعالم للحركة الفكرية في العالم العربي والجزيرة العربية خاصة .

والشلي مؤلف الكتاب هو جمال الدين محمد بن أبى بكر بن أحمد بن أبى بكر بن عبدالله بن أبى بكر بن علوى بن عبدالله بن على بن عبد الله بن علوى الشلي . وهو ينتسب الى أسرة الباعلوى التى ينتسب اليها جميع السادة الحضارم ، والتى كان لها شأن كبير فى لبلاد الحضرمية ومناطق أخرى من العالم الاسلامى .

وقد ولد الشلي فى مدينة تريم بأواسط حضرموت عام ١٠٣٠ هجرية /١٦٢١ ميلادية ىشأ فى أسرة علم وفضل اذ كان والده من العلماء المعتبرين فى زمانه وترجم له المحبي في خلاصة الأثر .

ومنذ البداية سلك الشلي طريق العلم فما أن بلغ العاشرة حتى كان قد أنهى حفظ القرآن الشريف على : عبد الله بن عمر باغريب ، وفى تلك السنة المبكرة بدأ في حفظ أمهات المتون من مثل القصيدة الغزالية والاربعين النووية والأجرومية والقطر والملحمة والإرشاد ، ثم بدأ في القراءة على العلماء في عصره فدرس الفقه والتفسير والحديث والأصول والعربية ، وكان من أبرز من قرأ عليهم فخر الدين أبو بكر بن شهاب الدين وعبد الرحمن بن علوى الفقيه ، ومحمد بن محمد بارضوان وعقيل بن عمران باعمر ، وعمر بن عبد الرحيم بارجا ، واثناء طلبه للعلم فى حضرموت تردد بين مدينتي ضمار وظفار ، ودفعه الشغف بالعلم والحب فى طلب المعرفة الى أن يرحل الى الهند فدرس هناك على جماعة من علمائها ، ولا شك أن رحلته تلك قد وسعت من أفقه وعمقت من ثقافته وأوقفته على حياة جديدة لم يألفها فى بلاده .

ولم يطل مكث الشلي فى الهند طويلا ... فترك ... قاصدا مهبط الوحى ومنبع الاسلام مكة المكرمة التى كانت تعج بالعلماء من محدثين وفقهاء وأصوليين ومفسرين ، وينقل عنه المحبي فى خلاصة الأثر من ترجمته لنفسه قوله عند وصوله مكه ونزوله فيها مشيرا الى من أخذ عنهم ودرس عليهم : « ومنهم الشيخ خاتمة الحفاظ أبو مهدى عيسى بن محمد بن محمد الثعالبي الجعفرى المغربى ولازمته مدة اقامته بمكة فأخذت عنه جميع العلوم المذكورة الا الفقه فأرويه عنه بالاجازة ، وسمعت منه الحديث المسلسل بالاولية وسورة الصف ومسند الصحبة وألبسني الخرقة الشريفة والقننى الذكر وأجازنى بجميع مروياته ومنهم العالم العامل المربى المكمل صفى الدين أحمد بن محمد المدنى الشهير بالقشاش قرأت عليه بعض الجامع الصغير وناولنيه بيده وأجازني بجميع مروياته ، ولقنني الذكر والبسني الخرقة ، وصافحني ، ومنهم شيخ الإسلام ، عبد العزيز الزمزمى ، أخذت عنه الفقه وصافحنى وأجازنى بجميع مروياته ، ومؤلفاته ، وقرأت علم الفرائض والحساب على الأولين من الثلاثة وقرأت علم الميقات والحساب بسند الخرقة والصحبة على شيخنا خاتمة المحققين محمد بن محمد بن سليمان المغربى ، وأجازنى وأطعمنى الاسودين بسنده الى سيد المرسلين ، ومنهم السيدان ،

المشهوران فى الحرمين ، اماما المشرقين والمغربين الشيخ حمد بن علوى والسيد زين باحسن . أخذت عنهما علم التصوف وصحبتهما . والبسانى الخرقة الشريفة وحكمانى وصافحانى ولقنانى الذكر » .

ومن العلماء الذين أخذ عنهم ودرس عليهم عبدالله باقشير وغيره . وقد قام الشلي بالتدريس في الحرم المكى ، وجلس مكان أحد مشائخه وهو على بن الجمال بعد وفاته . وقد درس عليه خلق كثير . وقد وضع الشلي جملة من المؤلفات لم يطبع منها غير المشرع الروى وما استطعنا حصره من مؤلفاته هى التالية :

١ — تاريخ مكة .
٢ — رسالة فى الاصطرلاب .
٣ — رسالة فى علم الميقات للآلة .
٤ — رسالة فى معرفة اتفاق المطالع واختلافها .
٥ — رسالة فى معرفة ظل الزوال كل يوم لعرض مكة .
٦ — رسالة فى المقنطر .
٧ — السنا الباهر بتكميل النور الساهر فى اخبار القرن العاشر .
٨ — شرح الايضاح لابن حجر .
٩ — شرح جمع الجوامع للسيوطى .
١٠ — شرح على مختصر الايضاح لابن حجر .
١١ — شرح منطق السيوطى .
١٢ — عقد الجواهر والدرر فى اخبار القرن الحادى عشر .
١٣ — المشرع الروى فى مناقب آل باعلوى .
١٤ — المنحة المكية شرح التحفة القدسية فى الفرائض .

وفاته :

وقد كانت وفاة الشلي عام ١٠٩٣ هجرية /١٦٨٢ ميلادية فى مكة المكرمة .

× × ×

عقد الجواهر والدرر فى أخبار القرن الحادى عشر

يعتبر الكتاب حلقة من حلقات اهتمام المسلمين بالتراجم ، وقد ترجم فيه لعديد من علماء القرن الحادى عشر وكان لعلماء الجزيرة العربية والحجاز خاصة النصيب الأوفر من هذا الكتاب . ويتحدث الشلي عن منهجه فى الكتاب في مقدمته فيقول : « أما بعد فان من التاريخ فوائد جيادا وفرائد تزين بعقودها الانام نحوراً واجياد الإستمالة على حوادث الزمان ووقائع الدوران مما فيه عبرة لمن اعتبر وافادة لمن يأتى من البشر .. وقد أفادنا السابقون بأخبارهم واطلعونا على آثارهم وفى هذا القرن من أعيان الافاضل ، وأفاضل الاعيان من يتحلى بهم جيد الزمان ، ويزدهى بهم العصر والأوان ،فجمعت ما اتفق لى كتابته وظهر من

أخبار هذا القرن الحادى عشر من اهل الديار الحجازية وغيرها من الديار الافاقية . وضممت الى ذلك فوائد تقربها العين وجواهر يقول لها البحر من أين . ولا اذكر ما تنفر منه النفوس والعقول . ولاأركب الصعب مع تيسر الذلول ولا اسلك طريق البحر أن رضى مدح وأن سخط قدح ولا اروغ روغان الثعالب أرصح من جانب وأقدح من جانب بل أسلك مسلك الاعتدال وان كان المترجم من أهل الاعتزال واذكر فى كل ترجمة كل ما ذكره غيرى من أخباره واجتنى من رياضة بواكر ثماره وسميته عقد الجواهر والدرر من اخبار القرن الحادى عشر.. »

وقد رتب المؤلف التراجم فى كتابه على السنوات ، وابتدأ بعام ١٠٠١ (السنة الأولى بعد الألف) وأول من تحدث عنه وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسين العلوى .

وهو يتحدث عندما يعرض للمترجم له عن نسبه وعلمه ومولده ووفاته وأساتذته ومن أخذ عنهم وأخذوا عنه وعن مؤلفاته .. ومن الاشخاص الذين ترجم لهم فى كتاب : أبو بكر الخزرجي ، أبو بكر السقاف ، أبو بكر بن بلفقيه ، الشريف أبو طالب ، أبو نمى عبد الكريم ، ابراهيم المأمونى ، أحمد بن شيخ عيدروس ، احمد المرشدى ، أحمد العمودى ، احمد باعنتر ، حميد السندى ، زين الدين التريمي ، شيخ بن عمر السقاف ، عبد القادر الطبرى ، عبد القادر بن شيخ عبد روس ، على باشيبان ، عمر بن عبد الرحمن باجمال الشريف محسن ، منصور بن بركات ، هاشم الحبشى ، يحيي الاصيلي ، يحيي المنقارى ، يحيي الاحسائى ، يوسف الزفزاف وكنموذج للتراجم فى عقود العجيمى المكى الحنفى جامع الفنون العلمية النافعة والمقدم فيها على اقرانه والحائز قصب السيف فى حفظ نفائس الفوائد العربية فى زمانه وهو ممن جمع الله له بين العلم والعمل والعقل الرصين . ومزيد المعرفة والتمكين ، والحفظ المتين والفصاحة والاستحضار العجيب من كل مشهور وغريب . وله قدم راسخ فى علوم الحقيقة وسلوك الطريقة والتربية والارشاد ومعرفة جيدة لكلام الشيخ محي الدين بن عربى والاسناد ولد سنة خمسين والف بمكة المشرفة ونشأ بها وحفظ القرآن ، وأخذ عن أكابر علمائها كالعلامة شيخنا زين العابدين الطبرى ، والشيخ على بن الجمال والعلامة محمد البابلي ، وأخذ بالمدينة عن الشيخ أحمد بن محمد الدجانى القشاشى وتلقن فيه الذكر ولبس منه الخرقة وأخذعنه علوم الطريقة وأحسن تربيته وأخذعن شيخناروح الدين عيسى بن محمد المغربى الجعفرى المالكى وأخذ عن الوافدين الى مكة عن شيخنا محمد بن محمد العيساوى الشافعى الدمشقى والشيخ عبد القادر بن أحمد الغصين الفزى ... وانتفع به جماعة كثيرون ، وله مصنفات عديدة ورسائل كثيرة منها تاريخ فى الطائف ومدحه جماعة كثيرة بقصائد عظيمة » ..

وتوجد من عقد الجواهر عدة نسخ حاليا فهناك نسخة بمكتبة ذخيرة عبد السلام بجامعة عليكرة بالهند خطها نسخ معتاد ، وهى من القرن الثالث عشر الهجرى وتقع فى ٣٠٨ صفحة ومسطرتها ٢١ سطرا منها مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقمها (ف ٣٠٢١) .

وهناك نسخة منه في رامبور أشار اليها بروكلمان (٦٤١/١) .

وفي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخة نفيسة خطها نسخ جيد بأولها فهرس باسماء المترجم لهم داخل مربعات مذهبة ، مع اشارة الى الصفحات والهوامش بالصفحتين الاولى والثانية فيهما زخرفة ، وجميع الصفحات مجدولة بالذهب والسواد ، وبعض الكلمات بالحمرة وعلى بعض الهوامش تعليقات ، وتقع هذه النسخة في ١٧٧ ورقة وقد قام بنسخها علي بن ابراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي الجبيني في رمضان سنة تسع وتسعين وألف ، ومن هذه النسخة صورة في قسم المخطوطات بجامعة الرياض .

محمد بن زين العابدين البكري ١٤٠	محمد السروجي ١٤٣	محمد ابن المنوفي ١٤٥	محمد بن ابي بكر العيدروس ١٤٨	محمد المرابط ١٦١
محمد الكواكبي ١٦١	محمد قاسم البقري ١٦١	محمد البرقاني ١٦٤	محمود بن اعا داش ١١٦	محمود الموصلي ١٢٩
الشريف محسن ٧٦	الشريف مسعود بن ادريس ١٢	السلطان مراد بن السلطان سليم ٧	السلطان مراد ابن السلطان احمد ٩٩	مصطفى بن سوار الحموي ١١٨
مصطفى بن سعد الدين ١٣٣	مصطفى العرامسي ١٢٣	مصطفى البابي ١٤٥	مقبول الزيلعي ١٢٠	منجد بن راجح ٥٨
منصور بن بركات ٥٨	السيد ميرزا ٦٩	حرف النون	نور الدين الزيادي ٥٣	نعمة افندي الجيلاني ٦٣
حرف الهاء	هاشم الحبشي ٨٩	حرف الياء	يحيى الاصيلي ٣	السيد يحيى الحسيني ٤١
يحيى المقاري ١٢٨	يحيى المنكلي ١٤٨	يحيى الشاوي ١٦٢	يحيى الاحسائي ١٦٢	يس العليمي ١٠٩
	يس الخليلي ١٢٩	يوسف البلقيني ٩٣	يوسف الغيشي ١٠٩	
		يوسف الزفزاف ١٦٣		

محمد بن ابي بكر المؤلف ١٦٦

كتاب عقد الجواهر والدرر في أخبار
القرن الحادي عشر تأليف الشيخ
الفاضل محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر
ابن عبد الله بن أبي بكر بن علوي
ابن عبد الله بن علي بن الشيخ
الإمام عبد الله بن علوي بن
الأستاذ الأعظم الفقيه
المقدم رضي الله عنهم — الشهير بالشلي
كذا كتب نسبه في كتابه
المشرع الروي في
مناقب السادة
آل باعلوي
رحم الله الجميع
آمين

مات المؤلف رحمه الله
سنة ١٠٩٣

هو الكريم
مما أودعه مدد الإحسان لدى الفقير إلى ربه المعطي
السيد إبراهيم عصمت القاضي بمحكمة الشهادات
أحسن الله إليه ورحمه ووالديه
بكرمه

زبدة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر
للفاضل الكامل حاوي الفضائل
والفواضل محمد أمين جلبي بن فضل الله
المحبي ابن محب الدين الدمشقي
الحنفي الأصل رتبه على الحروف
وكتبت منه إلى أثناء حرف الميم يسر الله
له الإكمال وكتبه الفقير إلى الله سليمان
ابن محمد بن عبد العزيز الحنفي الجينيني
في رمضان سنة تسع وتسعين وألف
وقد يسر الله له إكماله في سنة
وكتب الناس منه نسخا

٤٨٩
من كتب التواريخ
٥٠ ح

وقريحة منقادة وقادة ۝ وشيت كنار نثرسارت انهرا ۝
كم حيلة في البحث اظلم نقعها ۝ يمشي جواد الفكر فيها القهقرا ۝
ايات فضلك مثل مجدك احكمت ۝ وسنا سنابك نقعه قد نوّرا ۝
وجياد فكرك كالرماح كواعب ۝ وضيا كالك نورح قد ازهرا ۝
من كنت انت لرمله ذاكيف لا ۝ يزهو بحلة رفعة وتكبرا ۝
فاسلم ودم في ظل عيش ارغد ۝ ما اهتز غصن في الرياض ونورا ۝

۝ وكتب اليه ايضا سنة ثلاثين والف ما صورته ۝

اليوم مثل الحول حين ارى ۝ وجهك والساعة كالشهر ۝
ان ابهى ما تجملت به السطور والطروس ۝ واشهى ما استعذبته الانفس
وطلبته النفوس ۝ دعاء على ممر الدهور لا ينقضي ۝ وابتهال باكف الضراعة
للاجابة يقتضي ۝ ان يديم على صفحات خدود الوجود شامة دهرها وواحد
وقتها وعالم عصرها ۝ خاتمة العلماء المتفقهين ۝ مالك زمام البلاغة بفضله المتين
شيخ الاسلام والمسلمين ۝ المستجمع لمكارم الاخلاق والشيم والمنفرد بمزاياها
عند الخلق والامم ۝ المشتهر عند العرب والعجم ۝ بانه ملك من العلم زمامه
وجعل العكوف عليه لزامه ۝ فانقاد اليه انقياد الجواد ۝ وجرى في
ميدانه بحسن السبق والفكر الوقاد ۝ عالم الغرب والشرق ۝ ومزيل ما يعارض
من المسائل بحسن الجمع والفرق ۝ الجامع بين رياستي العلم والعمل ۝ والمانع
باطن صفا السريرة من لحوق عوارض العلل ۝ كنز العلوم والكشف
بحر الهداية الذي ارتوى منه بالعب والرشف ۝ صدر الشريعة الغرا ۝ وشيخ
حرم التربة بالافتا والاقرا ۝ الا يمكن حصر وصفه بالتفصيل ۝ فان الاطناب
فيه طويل ۝ وانما احيل على ما قيل ۝ انت الذي وقف الثنا بسوقه ۝
وجرى الندا بعروقه قبل الدم ۝ فالله سبحانه يمتع المسلمين بهذه
الاخلاق ۝ ويديم فخار اهل الوجود ببقاء صاحب هذه الاستحقاق ۝
ولا زال مذهب النعمان متحليا بعقوده ۝ متوشحا بمطارفه وبروده ۝ وان
النفت خاطره نبذا الى وروده ۝ والمخلص في دعايه حال ركوعه وسجوده ۝
فهو بخير وعافية ونعم وافية ۝ يرجو من الله دوامها بدوام دعايكم اذ لا
شك انا من جملة منسوبيكم وانسابكم فانك الاصل في زكا هذا الزرع ونموه ۝

والسبب

ورئيسها المشهور وكوكب هذا البيت المنير المعمور وله نظم حسن منه قوله

اما وانعطاف الغصن من هيف القد ۰ وما الحيا والروض من جنة الخلد
واقداح احداق تدار بخمرة ۰ منزهة صفاء عن الرسم والحد
لسان الهوى العذري والصدق والوفا ۰ وما كان قبل الجد آدم من عهد
الية بر اقسم الصدق انشد ۰ متيم على تلك الصبابة والوجد
بان غرامي والعفاف تخلقا ۰ بنعتهما قبل السكون الى المهد
واني ياذات الجمال تعبدي ۰ بدين الهوى الحقيق معتقد عندي
ومن حضرة الاطلاق كنت فتى على ۰ يقين بان مطلق الحب والوجد
فناءي به عن البقاء وغيبتي ۰ حضوري وغيبي في عوالم رشد
وذلي به عز واوج سيادتي ۰ اذا ما دعاني من هويت بيا عبدي
فلا تعترض من هام في الحب والغرض ۰ عليك له التسليم تسلم من الطرد
واني زين العابدين ووالدي ۰ محمد نجل الزين والصادق الوعد
بصديق خير المرسلين وسبطه ۰ بلغنا من الانساب واسطة العقد
بباب عريض الجاه اعظم شافع ۰ واكرم من اعطى وجاد بما يجدي
مرد جميع الكائنات باسرها ۰ ومعنى كمال الفضل من ذروة المجد
مدى الدهر ما شمس المعارف اشرقت ۰ مع الآل والصحب الائمة في الرشد
وما اقسم الصب المشوق بقوله ۰ اما وانعطاف الغصن من هيف القد

وله ايضاً

قم فان الصباح للتنفيس ۰ ودواعيه قد سرت في النفوس
ونسيم الصبا رسول الى الروض بطل كلؤلؤ مغروس
والشحارير كالمزامير تشدوا ۰ كقسوس تدق بالناقوس
فاجتل الراح للعذارى سحيرا ۰ لدى البدر طالعا بشموس
وادرها بدور رحان التصابي ۰ من مدام عتيقة خندريس
عانس وهي في الحقيقة عذرا ۰ عجوز حديثها في رسيس
تتلظى غيظا فتمنع بشرا ۰ حين اضحت تلوح ضمن كؤوس
هي داء الهموم فاعجب لداء ۰ جالب الري مذهب للبؤس
حدثتنا من قبل ان يخلق الكر ۰ م حديث التنويع والتجنيس
ثار انس الكليم فاخلع نعالا ۰ في حماها مع كل مولى رئيس

والارشاد ومعرفة جيدة لكلام الشيخ محيي الدين بن عربي وان سناد ولد سنة ثمن
والف بمكة المشرفة ونشاء بها وحفظ القرآن واخذ عن اكابر علمايها كالعلامة شيخنا
زين العابدين الطبري والشيخ علي بن الجمال والعلامة محمد البابلي واخذ بالمدينة
عن الشيخ احمد بن محمد الدجاني القشاشي وتلقن منه الذكر ولبس منه الخرقة واخذ
عنه علوم الطريقة واحسن تربيته واخذ عن شيخنا روح الدين عيسى بن محمد
المغربي الجعفري المالكي واخذ عن الوافدين الى مكة منهم الشيخ محمد بن محمد العيثاوي
الشافعي الدمشقي والشيخ عبد القادر بن احمد الفصيح الغزي والشيخ محمد المرابط
وسيدي محمد بن ابي بكر الدلائي المغربي واجازه غالب مشايخه وكتب له الشيخ علي
الشبراملسي اجازة وكذا الشيخ عبد القادر الصفوري الدمشقي الشافعي والسيد
محمد بن كمال الدين بن حمزة الحسيني نقيب الاشراف بدمشق وعالم المغرب عبد القادر
ابن محمد الفاسي ومن اهل اليمن الشيخ احمد العجل الزبيدي وهو من المعمرين لانه يروي
بالاجازة عن علامة دمشق بدر الدين محمد بن محمد الغزي الشافعي عن الحافظ السيوطي
وعن الامام يحيى بن مكرم الطبري عن كل من جده الامام محب الدين محمد بن محمد الطبري
وشيخ الاسلام زكريا وله اعتناء باسانيد الشيوخ ومنه سلسل العلما وجلس للتدريس
في المسجد الحرام وانتفع به جماعة كثيرون وله مصنفات عديدة ورسايل كثيرة منها
تاريخ في الطايف وممدوح جماعة كثيرة بقصايد عظيمة منهم تلميذه احمد بن محمد علي
المدرس المدني عند ختمه المنار في اصول الحنفية مدحه بقصيدة

بياض في الاصل المنقول منه

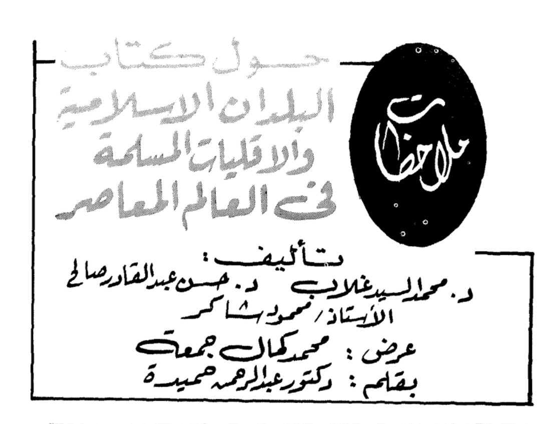
زين العابدين بن محمد الصديقي البكري ذو العقل الراجح والفهم القادح حذا حذو
ابيه فهو حفظه الله نجيب ابن نجيب واريب بن اريب فيه من لطف الشيم وعميم الكرم
ما تضيق عنه السطور ويبقى على مدى الدهور وهو الآن مرجع اهل مصر

موجود بمصر حفظه الله تعالى
ابراهيم

وزيهم

والسبب الداعي الى اعتنائي به وسموه . بامور يشهد بها الخاطر .
فيشهد بالاقرار بنعم الله في الباطن والظاهر غير ان الخاطر كله عندكم وفي تامل البعد لكم وما
حصل الي العام من فقدكم . روضة العلم سلي بعد ضحكه . والبس من بنفسج جلبابه .
وبكى النايحات منثور دمع فشقيق النعمان بان وغاب . فالله تعالى يجعل لكم الثواب
ويعوضكم خيرا فيمن بقي من الانجاب . وكتب اليه سنة ست وثلاثين والف قوله
ملكت سورة الرحيل عناني . واهاجت سواكن الشجاني . اتمنى سيرا ومن يملك السير .
طريح الهوى اسير التداني . يا خليلي وقفة بالمصلى . عند حد السرى ودرك الاماني .
فاعطفا وانزلا وبثا سلامي . لوجيه العلى فريد المعاني . مرشد الفضل وابنه من يضاهي .
عالم الدين عابد الرحمان . انا ما بين لوعة علم الله . وشوقي اليه لطول الزمان .
اين مني الحنين من ذات طوق . سلبتها النوى غصون البان . لو تطيق البلاد شوقي لماذا .
حنت خضوعا بربها احيان . وبقلبي من الوجيب اليه . مثل ما بالبلاد من دملان .
من عيش النوى وحق التصابي . وليالي الرضا وانس التداني . ان قصدي لقياك لكن قيادي .
بيد ليس لي بها من يدان . فاجاب بقوله . يا خليلي بالصفا اسعداني .
وبوصل من الاياس عداني . واحملا بعض ما الاقي وبثا . حال صب متيم القلب عاني .
جسمه في جياد والقلب منه . في قرى مصر دايم الخفقان . لم يزل شيقا ولوعا دواما .
شاخص الطرف ساهر الاجفان . يرقب النجم ليله واذا اصبح اضحى يناشد الركبان .
هل رايتم او سمعتم حديثا . عن قديم الاخا عظيم المعاني . الصفي الوفي ذي العهد .
النقي التقي فخر الزمان . مرتاج العارفين الذي قد نال ارث العوارف العرفان .
من غدا المبتلى بالمعضلات . فلم يسمح له الزمان بثاني . خص بالعلم والرياسة والود .
وهذه مواهب الرحمان . فهو كنز وجمع لعلوم . قد حواها بغاية الاتقان .
وهو صدر الشريعة المشرع العذب البسيط المحيط والبرهان . دام فينا مبلغا ما يرجى .
من مراد ورفعة وامان . ما تغنى على الرياض هزار . واجابته الغمام بالاغاني .
الشيخ حسن ابو البقا بن عمر العجيمي المكي الحنفي جامع الفنون العلمية
النافعة والمتقدم فيها على اقرانه . والحايز قصب السبق في حفظ نفايس الفوايد
العربية في زمانه . وهو ممن جمع الله له بين العلم والعمل والعقل الرصين . ومزيد
المعرفة والتمكين . والحفظ المتين . والفصاحة والاستحضار العجيب في كل
مشهور وغريب . وله قدم راسخ في علوم الحقيقة . وسلوك الطريقة . والتربية

موجود بمكة المشرفة حفظه الله
وهو الذي ارسل لي هذا التاريخ
من مكة الى دمشق فكتبت منه
هذه النسخة جزاه الله خيرا
كاتبه الفقير ابراهيم بن
سليمان الجينيني ثم
الدمشقي عفي عنه



وردت للدارة هذه الدراسة للدكتور عبد الرحمن حميده ونحن نشكر له اهتمامه بالدارة وحرصه عليها ، كما نود ان يطلع اساتذة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية على هذه الملاحظة العلمية ليواكبوا البحث قبولا للصواب منه وردا يبين الصواب منهم — فقيمة الخطأ تعطي قيمة الصواب .

وكم يكون جميلا من الدكتور الناقد ان يبعث صورة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ليأخذ الاجابة منهم .

لقد كانت مبادرة طيبة من مجلة الدارة أن قدمت هدية جزيلة الفائدة الى جانب العدد الثاني من مجلتها الغراء للسنة الخامسة (محرم ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م) والذى يحمل شعار المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول الذي اقامته كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في شهر صفر الخير من عام ١٣٩٩ هـ الموافق شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ م .

والكتاب المذكور هو عرض وتلخيص لكتاب يحمل الاسم نفسه صدر بمناسبة المؤتمر الآنف الذكر ، ويقع في ثلاثين وسبعمائة صفحة عدا المقدمة التي دبجتها يراع الاستاذ الدكتور فتحي عثمان .

اما الكتاب « الهدية » والذي يعرضه الاستاذ محمد كمال جمعه فيقع في مائة واثنتين وخمسين صفحة من ورق صقيل جيد ويضم بضعة مصورات جغرافية توضيحية .

ومما لا شك فيه ان الاستاذ جمعة بذل جهدا مشكورا في تلخيص الكتاب الاصلي والتعليق عليه واخراجه على شكل كتاب سهل المأخذ يمكن ان يكون في متناول القارىء العادي الذي يود القاء نظرة على بلاد المسلمين والاقليات المسلمة المبعثرة فوق مختلف بقاع كرتنا الارضية .

غير ان هذا الجهد الفردي لم يكن — ويا للاسف — كافيا لاصدار كتاب وجيز خالٍ من الاخطاء المطبعية والعلمية الكثيرة ، والتي يعود بعضها في الواقع للكتاب الاصل الذي اصبح هدفا لانتقادات شتى من خطية وشفوية ، بينما يختص الكتاب « المعروض » بنصيب من هذه الاخطاء العديدة والتي سأعددها في الصفحات القادمة آملا نشر هذه الملاحظات في العدد القادم من مجلة الدارة تعميماً للفائدة وفي سبيل معرفة أفضل للعالم الاسلامي الذي نتشرف جميعا بالانتساب اليه والذي يضم ربع سكان الارض .

الاخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠	١٠	قلعتهم	قاعدتهم
٢٠	١١	على غير	على غيره
٢١	١٩	موانيها	موانئها
٢٥	١٢	القطسنطينية	القسطنطينية
٣١	١٨	قشمير	كشمير
٣٧	الأخير	قلقا	مالآقا
٣٩	١٥	بإيران الغربية	بإيان الغربية
٤١	١٧	قنقاسيا	قفقاسيا
٤٢	في الخارطة	ستاخربول	ستافروبول
٤٣	١٤	أذربكستان	أوزبكستان
٤٤	١٧ و ١٩	أذربكستان	أوزبكستان
٤٧	٢	قازاخشبان	قازاخستان
٤٩	٢	الأوزيك	الأوزبك
٤٩	٧	والأنتيمون	والأنتيموان (الأثمد)
٥٢	١١	سوالن	سواكن
٥٢	الأخير	برتو	برنو

٥٥	١٤	معاوية بن جديح	معاوية بن حديج
٥٥	١٦	قزان	فزان
٥٦	٦	مرون	مروان
٥٦	١٣	الدئمة	الدائمة
٥٧	٥	فأخذ يثأر	فأخذ بثأر
٥٧	١٢	ادراس	أوراس
٥٩	٦	واد تون	واد نون
٥٩	١٠	ادرغشت	اودغشت
٦١	٣	القرنيين	القرنين
صفحة	**السطر**	**خطأ**	**صواب**
٦١	٤	موقادشيو	موقاديشو
٦٢	١٤	فنعات	ضفاف
٦٢	١٦	لمثونة	لمتونة
٦٣	٥	الندلاني	الفولاني
٦٣	١٦	والقوكولار	التوكولور (التكارنة)
٦٣	١٩	حامبيا	جامبيا (غامبيا)
٦٥	١٢	مورتيانيا	موريتانيا
٦٦	١٧	صنفاي	صنغاي
٦٦	١٩ و ٢٠	الغلاني	الفولاني
٦٧	٢	الغلاني	الفولاني
٦٨	٥	فقيها	ففيها
٦٨	٨	وجاد وجاد	اوغا دوغو
٦٨	٨	ابيدجان	ابيجان
٦٨	١١	وجادوجو	اوغادوغو
٦٩	٦	اسبيجان	ابيجان
٦٩	١٢	سيراليون	سيرراليون
٦٩	١٥	الموكسيت	البوكسيت
٧٠	٨	صادرتها	صادراتها
٧٠	١٢	لدمية	لومية
٧١	الأخير	الغولاني	الفولاني
٧٢	٢	الغلانيين	الفولانيين
٧٢	٧	الغلاني	الفولاني
٧٢	٧	اليوردبا	اليوروبا
٧٢	١٢ و ١٣	اليوردبا	اليوروبا

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧٢	١٤ و ٢٠	الغلانيين	الفولانيين
٧٣	١٠	اليورديا	اليوروبا
٧٣	١١ و ١٥	والغلاني	والفولاني
٧٧	١٠	ودارتور	ودارفور
٨١	١٥	الغلابات	القلابات
٨٢	٦	مراعي	مراعٍ
٨٣	١ و ٣ و ٦	موزنبيق	موزمبيق
٨٣	٤	فقد ستطاعت	فقد استطاعت
٨٤	١٨	البانتود	البانتو
٨٥	٥	موروتي	موروني
٨٥	١١	رونمو	زوغو
٨٦	١١	العرفية	العرقية
٩٢	٢ و ٣	لكثو	لكنو
٩٣	٤	تزاوجو	تزاوجوا
٩٧	٦	خلقت	خلفت
٩٧	٨	اضطردهم	اضطروهم
٩٧	١٠	لغة مورد	لغة مورو
٩٧	١٤	وصلولو	وصولو
٩٩	١٦	كاشفر	كاشغر
١٠١	٦ و ٨	كاشفر	كاشغر
١٠١	١٧	كالسو	كانسو
١٠٤	١٩	كبرين	كيرين
١٠٨	٥	عدوا	عدواً
١٠٨	٧	اليونان	اليابان
١٠٩	١١	المائدية	الماندية
١٠٩	١٢	تميكو	تمبوكتو

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١٠	الأخير	جايون	جابون (غابون)
١١٠	٤	الغولاني	الفولاني

١١٠	١٢	ربو موني	ريو موني
١١١	٥	الفونسيون	الفرنسيون
١١١	١٠	ساتومي	سانتومي
١١١	١٨	مميسة	ممبسّة (ممباسّة)
١١٢	٧	بلتقون	يلتفّون
١١٢	٢١	كينيا	تانزانيا
١١٣	١٠	فيها	منها
١١٦	١٦	ستاغي	ستانلي
١١٧	٣	التبشيرية	البعثات التبشيرية
١١٧	٥	١٣٠ ه	١٣٣٠ ه
١١٧	٦	يغدون	يفدون
١١٧	١٣	البانتور العربية	البانتو بالعربية
١٢٢	٨ و ١٣	زيمبابوي	ريمبابوي
١٢٣	١٦	نجاري	بخاري
١٢٤	٥	الغولي	الفولغا
١٢٤	١٦	سلاني	سلافي
١٢٦	١٣	الألبانين	الألبانيين (الألبان)
١٢٦	١٧	الوليد ين عبد الملك	الوليد بن عبد الملك
١٢٧	٢	العثانيون	العثمانيون
١٢٨	٤	سلانية	سلافية
١٢٨	١٧	مولوافيا	مولدافيا
١٣٠	١	الهولندية	البولندية
١٣٠	٧	ردسيا	روسيا

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣١	٧	ردسيا اسما	روسيا اسمها
١٣١	١٩	في القرن ١٣٢ ه	في القرن ١٣ هـ
١٣٣	٧	أونا	أوفا
١٣٣	٩ و ١٥ و ١٦ و ٢١	نتاريا	تتاريا
١٣٤	٤	الجوناش	الجوفاش
١٣٤	٨ و ١٤	نتاريا	تتاريا
١٣٤	١٩	نهر ادرال	نهر أورال

١٣٥	٥	الثمانين	العثمانيين
١٣٦	٣	فسرا وهم	قسراً وهم
١٣٨	١٩	مولدانيا	مولدافيا
١٣٨	٢١	بولنده	رومانيا
١٣٩	٧	يجويون	يجوبون
١٤٠	١٤	أضن	آخن
١٤٠	١٥	ادربا	اوروبا
١٤٣	٨	ديتريت	ديترويت
١٤٧	١	جوياتا	جويانة
١٤٧	٣	ترنداد	ترينيداد
١٤٧	١٣	سلاني	سيدني

غموض وتناقض وتخبط

صفحة ١٢ سطر ١٦ « والمملكة مركز « تنظيم الدول الاسلامية » . هذا علما بأن المملكة المقصودة هي المملكة العربية السعودية » .

صفحة ٢٤ سطر ٩ : « وبلغت قيمة القطاع الزراعي عام ١٣٩٤ هـ مبلغ ٦٨٥ مليون ليرة » ولعل المقصود بذلك قيمة انتاج القطاع الزراعي .

صفحة ٢٨ سطر ١٢ : « ويمثل أحفاد الايرانيين القدماء الرافدين » .

صفحة ٣٥ سطر ١ : « فقدت الهند تسيطر على ثلثي مساحة كشمير » .

صفحة ٣٨ سطر ٢١ : « بنحو ٦٤٠٠ كم من الطرق الأنجلوية » .

صفحة ٤٢ سطر ٨ : « والغاز الطبيعي من التبغ ١٧ ٪ من مجموع انتاجه في الاتحاد السوفيتي » .

صفحة ٤٥ سطر ٢ : « ويمثل الاوزبك (المسلمون) ٢٣ ٪ من جملة السكان ويمثل الروس ٩ر١١ ٪ وتصل نسبة المسلمين الى ٩٨ ٪ » .

صفحة ٥٩ سطر ١٣ : « كذلك فقد الاسلام من مدن المغرب مع التجار الى بعض المراكز القائمة على حافة الصحراء » .

صفحة ٦٣ سطر ٧ : « ورفع مسلمو الفوتاتورد لواء الجهاد لنشر الاسلام » .

صفحة ٧٦ من سطر ٩ : « وحكمها سلطان مسلم .... حتى آخر الفقرة في سطر ١٦ » .

صفحة ٧٧ سطر ١٤ : « وتعيش القبائل السودانية والمستعربة فتعيش في الشمال الشرقي كما تعيش القبائل المغربية ؟ في المرتفعات الغربية » .

صفحة ٨٣ سطر ١٢ : « ثم خدمت الحكم الاسلامي واقتسمت المنطقة الدول الاستعمارية » .

صفحة ٨٦ سطر ٤ : « ويبلغ عدد المسلمين ٧٢٪ منهم » .
صفحة ١٢٨ سطر ١٧ : « وتلقى السلطات الحاكمة تكاثر المسلمين بشكل كبير » .
صفحة ١٢٩ سطر ٢ : « وفكروا في مشروع شامل لتنصير المسلمين فساروا بصورة جماعية ، ولكن مقاومة المسلمين القوية حالت دون اتمامه » .
صفحة ١٣٥ سطر ٨ : « ولما حاول الشيوعيون الاستيلاء عليها قاومهم فلجأ الشيوعيون الى حرب التجويع فأهلكوا ما يقرب من ستين الفاً ، وقتلوا مائة الف ، وقتلوا زهاء خمسين الفاً ، ثم دخلوا معاقل المسلمين وهدموا كثيرا من المساجد والمعاهد الدينية . وبدأ عدد المسلمين يتناقص . ولما انهزم الفيلق القرمي أمام الالمان في الحرب العالمية الثانية واستعاد الروس الشيوعيون تلك الجهات بعد هزيمة الالمان اتهموا اهلها بأنهم عملاء وقاموا بطمس ما كان قد بقي من معالم الاسلام فيها ، وقتلوا ما يقرب من نصف مليون ، وعملوا على نقل الباقي الى سيبيريا ، واقاموا الجمهورية ؟ » .
صفحة ١٣٧ سطر ٣ : « وتمسك السكان بدينهم فنفته السلطات الحاكمة الى سيبيريا ثم اضطرت الى اعادته » .

ركاكة في التعبير واخطاء نحوية

ورد في صفحة ١١ سطر ٨ : « وفيها سيدنا ابراهيم قد وضع قواعد بيت الله الحرام » .
وكان من الأفضل ان يقول المؤلف : « وفيها وضع سيدنا ابراهيم عليه السلام قواعد بيت الله الحرام » .
وفي صفحة ١٦ سطر ١٨ : « والسكان يبلغ السنّيون منهم نحو ٧٥٪ والباقي شيعة » .
وحبذا لو قال : « وتبلغ نسبة السكان المسلمين السنيين منهم نحو ٧٥٪ والباقي من الشيعة » .
وفي صفحة ٣٢ سطر ٩ : « وعملوا على ممالقة الهندوس ضد المسلمين » وربما كان المقصود بهذه العبارة القول « وعملوا على محاباة الهندوس على حساب المسلمين » .
صفحة ٣٨ سطر ١٢ : « ويكاد الملاويون والباكستانيون والعرب في ماليزيا ان يكونوا من أهل السنة » ؟؟

صفحة ٥٤ سطر ٧ : « ثم أعاد جيش بقيادة عبدالله بن سعد للاستيلاء على طرابلس » .
صفحة ٥٦ سطر ١٤ : « أما عن اقتصاديات البلاد فهناك الزراعة حيث ارتفعت اشجار الزيتون الى اكثر من ٣٥ مليون شجرة عام ١٩٧٠ » .
صفحة ٥٧ سطر ٢٠ : « وقد قررت الحكومة تضيق زراعة الكروم » .
صفحة ٦٥ سطر ١٥ : « وثمة طريق آخر ان الاسلام قد وفد مع قوافل التجار » .
صفحة ٦٦ سطر ١٧ : « وولى المارية ولاة كاكمون ؟ تابعون لهم » .
صفحة ٦٧ سطر ١٤ : « وفيها ثروة غنية حيوانية وأكبر قبائل مالي هي البمبار » والأرجح أن يقول « وفيها ثروة حيوانية هامة واكبر قبائل مالي هي البمبارا » .

صفحة ٧٠ سطر ٩ : « ويقدر رصيد الحديد » والصحيح « ويقدر احتياطي الحديد » .

صفحة ٨٤ سطر ٣ : « وعدد سكان زنجبار يقدر بحوالي اربعمائة الف » .

صفحة ١٠٥ سطر ٦ : « وكان المسلمون قد ابدوا قيام الجمهورية الوطنية السابقة على الحكم الشيوعي » .

صفحة ١١٨ سطر ٤ : « الذين تحتاجهم المدارس الاسلامية خاصة » .

صفحة ١٢٧ سطر ١٦ : « كان الأغالبة في تونس قد تمكنت من فتح مالطة عام ٢٥٦ هـ » .

صفحة ١٣٣ سطر ١٥ : « والتتار لغتهم اصلها تركي ولكنهم اجبروا على التحدث بالروسية » .

اخطاء في المعلومات

في الصفحة ٤ والسطر ٩ وفي « التقديم » وردت عبارة « وشارك في اعداده ثلاثة من الاساتذة المتخصصين في حقل الجغرافيا وهم الدكتور محمد السيد غلاب ، والاستاذ محمود شاكر ، والدكتور محمد فتحي عثمان » ، وهكذا أغفل — سهوا — اسم الدكتور حسن عبد القادر صالح الذى ورد اسمه على الغلاف .

في الصفحة ١٣ سطر ٣ يقول المؤلف في معرض كلامه عن الجمهورية العربية اليمنية : « وقد بلغ عدد السكان عام ١٣٩٥ هـ نحو ٤٧١ر٨٩٣ » وربما كان الأصح لو كتب ان عدد سكان اليمن يفوق عشرة اضعاف هذا الرقم .

وفي الصفحة نفسها سطر ٤ « الا ان الزيديين يبلغون ثلثهم » والحقيقة اكثر من نصفهم .

وفي صفحة ١٥ وسطر ١٧ يقول « وبلغت قيمة الصادرات عام ١٣٩٥ هـ نحو ٦٧٥ مليون دولار وبلغت الواردات نحو ٢٥٠٠ مليون دولار » اي ان صادرات دولة الامارات العربية المتحدة تبلغ حوالي ربع وارداتها ، ويقول في السطر ١٦ « وبلغت القروض التي قدمها صندوق ابو ظبي للانماء للاقطار العربية والاسلامية عام ١٣٩٥ هـ نحو ١٥١ مليون دولار » والسؤال هنا كيف يمكن لدولة ذات ميزان تجاري يشكو من العجز ان تقدم القروض ؟

ويقول في صفحة ١٨ سطر ٤ « ومما يدل على نهضة البلاد الحديثة (اي الكويت) ان فيها معلما لكل ١٥ تلميذاً وطبيباً لكل ٨٠ فرداً . وتبدو نسبة الاطباء هذه مذهلة حقاً ، اي ان في الكويت ١٥٠٠ طبيب ، او اكثر من ضعف اطباء سورية التي تحوي من السكان ما يعادل تسعة اضعاف سكان الكويت ، هذا علماً لأن اعلى نسبة للاطباء في دول اوروبا الغربية مثل النمسا لا تتجاوز طبيباً واحداً لكل ٤٥٠ مواطناً » .

وورد في صفحة ٢٢ السطر الاول « وكانت بريطانيا اثناء انتدابها قد منحت اليهود وعد

بلفور » وهذا خطأ كبير لان وعد بلفور صدر في خريف عام ١٩١٧ اي قبيل استيلاء الانكليز على فلسطين وقبل فرض نظام الانتداب على دويلات بلاد الشام .

وفي صفحة ٢٦ سطر ٧ يقول : « وبلغت قيمة الصادرات (السورية) في عام ١٣٩٥ هـ نحو ٣٤٤٠ مليون ليرة يمثل البترول نسبة ٨٠٪ من قيمتها والحقيقة يمثل القطن ٦٠٪ من قيمة الصادرات ولا يمثل النفط اكثر من ٨٪ من مجمل الصادرات » .

ويذكر في صفحة ٢٧ سطر ٥ « واعتنق زعيمها دين الاسلام الذي أعلن عام ٦٩٩ هـ استقلاله » والحقيقة لقد اعتنق أجداد عثمان الذي ينسب اليه العثمانيون دين الاسلام قبل وصوله الى الاناضول على راس قبيلته بزمن طويل .

وفي صفحة ٥٨ سطر ١٧ « والمغرب رابع دول العالم في انتاج الكوبالت فبلغ انتاجه ٩٧٨٠٠٠٠ طن عام ١٩٧١ » والواقع ان هذا الرقم مذهل حقاً وغير معقول لان انتاج المغرب من الكوبالت كان ٤١٠٠ طن عام ١٩٥٧ وارتفع الى ١٦٧٠٠ طن عام ١٩٦٥ وليس من المنتظر ان يتجاوز هذا الرقم مقدار ٥٠٠٠٠ طن في عام ١٩٧١ .

وفي صفحة ٦١ سطر ١٣ يقول : « كان الايطاليون قد احتلوا الصومال الشمالي عام ١٨٨٩ » والصحيح ان الانكليز هم الذين احتلوا الصومال الشمالي وليس الطليان .

وفي صفحة ١٣٣ سطر ١٦ « ويبلغ سكان تتاريا (هكذا) ٣١٥ مليون نسمة » .

وفي صفحة ١٣٥ سطر ٨ « واضطهد التتار المسلمين فطردوا خمسمائة الف منهم » هذا علماً بأن التتار مسلمون .

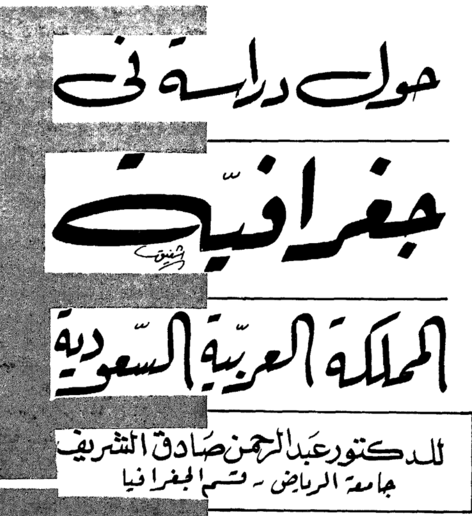
وفي صفحة ١٣٧ سطر ١٢ « ويسكنون قمم جبل القوقاز » وهذا جهل مطبق والصحيح يسكنون الاودية . لان قمم الجبال تتغطى بالثلوج في معظم ايام السنة ، وبالتالي يستحيل السكن فيها لشدة برودتها .

وفي صفحة ١٣٨ سطر ١ « ولاية الاديجا » والصحيح ولاية « الأديغة » .

وفي صفحة ١٤١ سطر ٤ « فرنسا : فيها يعيش اكثر من اربعمائة الف مسلم » والصحيح يعيش في فرنسا اكثر من مليون ونصف من المسلمين .

صفحة ١٤١ سطر ١٥ « فقد قامت الحكومة الاسبانية بتسليم مسجد قرطبة للمسلمين » وهذا زعم يحتاج الى برهان .

صفحة ١٤٢ سطر ٢ « أسس مسجد في روما العاصمة » والواقع لم يتم بعد تنفيذ هذا المشروع بسبب مقاومة الكثير من الطليان .



ورد في مجلة الدارة العدد الثاني السنة الخامسة محرم ١٤٠٠ هـ ديسمبر ١٩٧٩ م مقال بعنوان حول دراسة في جغرافية المملكة العربية السعودية « مدينة بريدة » للدكتور محمد السليمان السديس الاستاذ المساعد بجامعة الرياض من الصفحات ١١٤ - ١٣١ . والمقال في الواقع نقد لمقالنا في مجلة الدارة العدد الأول السنة الخامسة ربيع ثاني ١٧٩٩ هـ مارس ١٩٧٩ م يحمل ذلك العنوان .

أود أن أنوه في بداية هذا الرد أنني ممن يؤمنون بضرورة النقد العلمي البناء ، ويعتبرونه وسيلة مثلى للبحث عن الحقيقة لا سيما في الحالات التي لا تتاح فيها المناقشة . فبالنقد وحده يستطيع المرء ان يطلع عن بعض الهفوات التي يصعب تداركها دون ان ينبه اليها شخص آخر . وقد سبق وان أشرت في بعض كتاباتي عن المملكة « بأنني لا أدعي الكمال وأنني أرحب بكل نقد بناء ، وكنت باستمرار اتمنى أن يرد أو يعلق على كتاباتي الاخوة المختصون حتى أستفيد من تعليقاتهم واتجنب ما ينبغي تجنبه .

ومن هذا المنطق فاني أشكر الزميل الدكتور محمد السديس على تكبده عناء هذه المهمة ، غير أن الفائدة لم تكتمل بسبب بُعد اختصاصه عن الجغرافيا . فجاءت جميع ملاحظاته في مجال واحد وهو المجال اللغوي ، بالرغم من أنه حاول أن يصنف تعليقاته في فقرات عديدة مثل : اسلوب البحث ، وأمور لغوية ونحوية ، وتحريفات في اسماء الرجال والدقة العلمية في ايراد المعلومات .

لا أنتقص من أهمية المقدرة اللغوية لأي باحث في مجال علمي ، ولا أدعى أن على الباحث أن يوجه جلّ اهتمامه الى موضوع بحثه فحسب ، ويهمل أداة التعبير عن عمله وهي اللغة ، بل عليه أن يتمكن من تلك الأداة ويعرض موضوعه بلغة سليمة وسلسة وبعيدة عن التعقيد .

ولذلك في الوقت الذي اكرر فيه شكري للزميل الدكتور السديس على بعض الملاحظات اللغوية القيمة ، أسجل أنني أخالفه الرأي في بعضها ، غير أن ما يحز في النفس ان معظم الهفوات التي اشار اليها لم اكن مسؤولاً عنها لأنها أخطاء مطبعية . لقد رجعت الى إدارة المجلة بعد صدور العدد واتضح لي أن كل هذه الأخطاء مطبعية ووعد رئيس التحرير بتدارك ذلك حيث أن المجلة ليس لها مصحح متفرغ .

لذلك لا أود أن أعدد تلك الملاحظات التي أشار اليها الاستاذ الناقد وأطنب في تفصيلها ، باعتبارها أخطاء مطبعية .

غير أنه أبدى ـ مع الأسف ـ بعض الملاحظات اللغوية دون وجه حق ، ومن ذلك أنه اعترض في ص ١٢١ س ١١ على استعمال لفظ « العامّ » مرة بصيغة المذكر ومرتين بصيغة المؤنث في ص ٢٦١ س ٥،٦،٧ على التوالي . مع العلم أنها كتبت في المرة الاولى بصيغة المذكر لأنها تصف اسماً مذكراً وهو « المخطط العام » ، وكتبت في المرتين الاخريين بصيغة المؤنث لأنها تصف اسماً مؤنثاً في الحالتين هما : « النظافة العامة » و « الصحة العامة » .

وطلب الدكتور الناقد في ص ١٢٤ س ٢ استعمال كلمة معبدة بدلاً من كلمة « مزفلته » في حين أن الكلمتين ليستا مترادفتين ، وتتضمن الثانية شيئا لا تفيده الاولى . فالطريق « المزفلته » هي طريق معبدة وبالاضافة الى ذلك فهي مبنية من الحصى وفضلات البترول « الزفت » . ولا نعلم بالعربية كلمة بمفردها تفيد هذا المعنى . وقد وضعنا كلمة « المزفلته » بين قوسين في أول مرة للدلالة على أنها كلمة معربة وليست عربية .

وأود ان أنوه أن الزميل السديس أبدى تفضيله في مواضع عدة استعمال تعبير أو تركيب بدلا عن آخر ، أخالفه الرأي في بعضها ولا أرى خيرا من استعماله كما ورد في النص . ورغم انني لا أود الخوض في مناقشة هذا الأمر أورد بعض الأمثلة ومن ذلك :

- عدم استساغته استعمال تعبير : « عُرفت بريدة كمحطة في طريق حجاج العراق » .
- واستعمال كلمة « ما عدا » مرتين بينهما ثلاثة أسطر .
- واستعمال « أُتْبِعَت المنطقة للدولة السعودية ... » بصيغة المبني للمجهول .
- واستعمال « وتتصل شمالاً بغرب بمدينة حائل » .
- واستعمال « الاحتلال التركي ـ المصريِ » إشارة الى حملة ابراهيم باشا ابن والي مصر من

قبل الاتراك على نجد . فالتعبير لا يعني تحالفاً تركياً مصرياً في الحملة نقول « احتلال الاتراك والمصريين » .

وليعذرني الدكتور السديس إذا قلت أنه جانب الحقيقة تماماً حينا تجاوز في نقده الحدود اللغوية وأبدى ملاحظتين جغرافيتين خاطئتين . لا ألومه على هذا الخطأ لأن الموضوع خارج عن اختصاصه ، ولكن ما كان عليه أن يخوض فيه . والملاحظتان هما :

أ ـ لقد اعترض في ص ١٢٢ س ٩ على استعمال تعبير « شرق شمال شرق المدينة المنورة » وهو تعبير يستعمل في الأدب الجغرافي . إذ نستعمل في الجغرافيا أربعة تعابير للدلالة على الجهات الأصلية هي : الشرق والغرب والشمال والجنوب . ونستعمل أربعة تعابير أخرى للدلالة على الجهات الفرعية الواقعة بينها وهي : الشمال الشرقي والجنوب الشرقي والجنوب الغربي والشمال الغربي .

ولكننا إذا أردنا أن نصف مكانا بأنه يقع في جهة الشمال الشرقي بالنسبة الى مكان آخر غير أنه يقع في اتجاه أقرب للشرق منه للشمال (كما هي الحال فيما ورد في النص) نقول أنه يقع في شرق الشمال الشرقي ، وفي حالة ما إذا كان موقعه في اتجاه اقرب للشمال منه للشرق بالنسبة للموقع الأول نقول : إنه يقع في شمال الشمال الشرقي . وهكذا فاننا نستعمل ثمانية اتجاهات إضافية يقع كل اثنين منها على جانبي كل اتجاه فرعي ، مما يزيد الوصف دقة.

ب ـ واعترض في ص ١٢٨ الفقرة ٣ على طريقة تقسيمنا لمنطقة بريدة وعلى إحالة القارىء الى مقال سابق لنا في مجلة الخفجي لاستجلاء طريقة التقسيم ، وذلك في ص ٢٦٤ .

إذا رجعنا فعلاً الى مقالنا في مجلة الخفجي العدد الأول السنة الثامنة ص ١٨ نقرأ تحت العنوان الفرعي « توزيع سكان أمارة القصيم » ما يلي : « ومن أجل دراسة توزيع سكان امارة القصيم حاولنا تقسيم الأمارة الى عدد من **المناطق الجغرافية** تضم كل منها عدداً من الأمارات الصغيرة » . هذا يعني بوضوح ان التقسيم كان محاولة من قبلنا وليست نقلاً عن شيء سابق ، وأنه يعتمد على العوامل الجغرافية طبيعية كانت أم بشرية لا على عوامل اخرى . ولذلك فلا يفترض ان تنطبق حدودها على حدود التقسيمات المألوفة والتي استعملتها أية جهة اخرى حكومية كانت أو غير حكومية ، كوزارة من الوزارات أو مؤسسة حكومية أو أهلية أو شركة استشارية ... الخ . فوزارة الزراعة مثلا قد تجعل المذنب الواقعة في جنوب عنيزه وبالقرب منها تابعة لبريدة وليس لعنيزة . أما العوامل الجغرافية فتقتضي ان تكون المذنب ـ جزءاً من منظقة عنيزة ، كما تقتضي ان تكون الرس ورياض الخبراء والبكيرية منطقة واحدة تقع في قطاع واحد من وادي الرمة وفي كلا جانبيه الجنوبي والشمالي . وتقتضي ان تكون المنطقة التي تضم عيون الجوى والدغمانية والقوارة (لا الفوارة) منطقة جغرافية واحدة وتقع فيما بين حوضي وادي الرمه ووادي الترمس . أما الفوارة فهي تشكل مع منطقة عقله في عالية موقع الابانات مع أحواض ، وافدة الشمالية وتقع كلها في منطقة الدرع العربي .

وقد أحلنا القارىء الى مقالنا في مجلة الخفجي الذي يبحث هذا التقسيم حتى تتضح

العملية لمن يجد غموضا في النص ويصعب عليه استيعابه . ذلك لاننا لا نود أن نكرر ما بحث في ذلك المقال . فلو تكرم الزميل الناقد وتكلف عناء الرجوع الى مقالنا في الخفجي لوفر على نفسه المكابدة.

لقد أشرنا ان حدود امارات بريدة الفرعية حسبما وردت في جداول نتائج التعداد الزراعي الشامل الذي نشرته وزارة الزراعة عن العام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م تختلف عن الحدود التي افترضناها للمناطق الجغرافية الفرعية التي تتكون منها أمارة بريدة .

وبالرغم من أنه لم ينص صراحة في نشرة وزارة الزراعة على حدود الأمارات الفرعية ولم يرد لها خريطة ، غير أنه تهيأ لنا من تعداد اسماء المواقع أنها تضم كل منطقة الاسياح وبعض المساحات من « منطقة الرس كالبعيرية » ... الخ . وبكلمات اخرى ان نشرة وزارة الزراعة جعلت البكيرية مع منطقة بريدة في حين أنها تشكل من وجهة نظر جغرافية جزءاً من منطقة الرس ... وهكذا بالنسبة للمناطق الاخرى .

د. عبد الرحمن الشريف

مطابع دار الهلال للأوفست
الرياض : تلفون ٤٠١٥٢٦٨

ملخص الأبحاث بالإنجليزية

THE PHOENICIANS AND THEIR CONTRIBUTIONS TO WORLD CIVILSATION

The Phoenicians were second to none as explorers and traders From a precarious foothold on the Levant coast these venturesome people were able to dominate the seas in the first millennium B.C. From their homeland in Phoenicia they spread across the Mediterranean to establish a chain of colonies on its shores and islands, the most important and influencial being Carthage. As traders, they carried raw materials and manufactured goods throughout the Meditrranean at least as far north as britanny. As explorers they voyaged round Africa, and sailed to west African coast and north to Cornwall in the British Isles, and thus were instrumental in the diffusion of cultures and the interactions of civilisations, particularly in the Mediterranean basin. Apart from trading, exploration and establishment of colonies, the most enduring contribution of this influential, but little known, civilisation to modernworld was development of the alphabet.

northeast of the village of Al-Malqa. Within the past few years, parts of Qa Al-Kharma are being cultivated.

Based on the study of the drainage system of the Qasim region, the following obsevations emerged.

1) There are other important wadis in the area particularly Wadi At-Turmus and Wadi Al-Jarimah.
2) Wadi Ar-Rummah and its **tributaries** constitute the backbone of the drainage system of the Qasim.
3) The sabkhahs are part of the drainage system.
4) The drainage system is generally oriented towards the east.
5) There is a strong correlation between the drainage system and the settlement pattern in the Qasim region.

(1) Ahmed A. Shamekh, Spatial Patterns of Bedouin Settlement in Al-Qasim Region, Saudi Arabia. Lexington: Department of Geography, University of Kentucky, 1975, pp. 57-59.

(2) Mahood Taha Abu AL-Ula, Jughrafiyat Shibh Jazeerat Al-Arab, Juzu 1: Al-Mamlakah Al-Arabiyah As-Saúdiyah ("Geography of the Arabian Peninsula,Part1: Kingdom of Saudi Arabia") (Cairo: Lajnat Al-Bayan Al-Arabi Press, 1965), p. 81.

(3) Abdulrahman Sharif, Mantiqat Unayzah: Dirasah Iclimiyyah. ("Area of Unayzah: A Regional study.") (Cairo: An-Nahdah al-Arabiyyah Press, 1969, p. 54.

(4) Shaib means the same as wadi (dry river course). but Shaib is usually smaller than wadi.

(5) Jabal Tamaiyah is inaccurately labeled as Jabal Tamariyah in the geographic map of area: U. S. G. S. , Geographic Map of the Wadi Ar-Rimah Quadragle, Kingdom of Saudi Arabia, Washington, D. C.: 1963, Mape I 206 B.

(6) Miheer orMaheer in Arabic means puzzeled or confused, and when applied to a river or wadi it refers to sluggishness of the waters near the stream's termination area.

(7) U. S. G. S., "Geological Map of the Wadi Ar-Rimah Quadrangle, Kingdom of Saudi Arabia." (Washington, D. C.: 1963, Map I-206A).

(8) Sabkhat Mushattit is incorrectly labeled as Sabkhat Al-Awsajiyah (Awshaziyah) in the geologic map of the area. Although Sabkat Al-Awsajiyah is accurately located on that map. it was not labeled. Reference to: U. S. G. S., "Geologic Map of Wadi Ar-Rimah...," op. cit.

Rawdat Az-Zughaybiyah is located about ten kilometers east of Unayzah. and Wadi Ar-Rummah partially empties its floods here. In addition it receives flood water from small streams in Safra Unayzah to the west. Although the geologic map of the area designated Az-Zughaybiyah as sabkha, there is little saline incrustation.[7] In fact, the natives of the area do not think of or call it sabkhah. To the contrary, it is thought of and called rawdah, or a flat basin of silt and mud soils and covered with vegetation. It has long been cultivated on a small scale, and since 1960 it is farmed extensively on commercial scale using deep-drilled artesian wells for irrigation with good results.

Sabkhat Al-Zughaybiyah is located just east of the village of Al-Awshaziyah and about five kilometers south of Az-Zughaybiyah. Sabkat Al-Awshaziyah and Az-Zughaybiyah occupy similar sites with one important difference. Sabkhat Al-Awshaziyah is fed entirely by floods from the Safra to west and Wadi Ar-Rummah does not reach it. Sabkat Al-Awshaziyah is a true sabkha and the salt content is so high that it is mined for table salt.

The largest of the sabkhas in Qasim is Qa Az-Zulayyim, which like Az-Zughaybiyah receives floods from both Wadi Ar-Rummah and smaller streams from the hills to the west. Qa Az-Zulayyim is located east and northeast of the village of Az-Zulayyim, and the relatively large Shaib Az-Zulayyim empties in this sabkha.

Approximately ten kilometers south of Qa Az-Zulayyim lies Sabkhat Mushattit. It takes its name from Urayq Mushattit, a small narrow vein of sand located on its western side. Like Sabkat Al-Awshaziyah to the west, Sabkhat Mushattit receives floods only from local streams to the west. The name Mushattit is also applied to a small hamlet, as well as to a small wadi: Shaib Mushattit which empties in the sabkha.[8]

In another location in Qasim, in the south, lies Qa Al-Kharma where the floods of the great Wadi Ar-Risha andsmaller wadis terminate. This sabkha is located some twenty-five kilometers

the east, Wadi Ar-Risha is joined by Wadi Ash-Shara in the south, Wadi Arjah in the north, and by smaller wadis elsewhere.

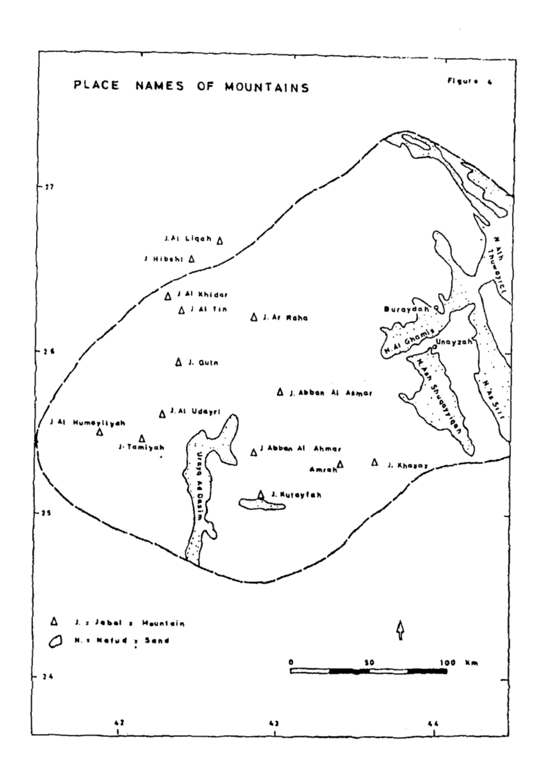
Othr Wadis

Aside from Wadi Ar-Rummah and its tributaries, the only other wadis of considerable size in Qasim are Wadi At-Turmus, and Wadi Al-Jarimah. Wadi At-Turmus froms the northern boundary of Qasim, and begins in the west (outside Qasim) as Shaib Ai-Uzaym about twenty kilometers south of the village of Al-Uzaym. Other smaller tributaries also come from Jabal Hibshi, Al-Hudoob, and Jabal Aba Al-Liqah and continue eastward as Wadi Al-Chaymar. It proceeds east then northeast as Wadi Al-Turmus and terminates near the recent village of Al-Miheer (Miheer At-Turmus, 27°.20' N and 43°.38' E).[6] There, it is blocked by the sands of Nazarat Umm Thamayd which is part of Nafud Al-Mazhoor, which in turn forms the western side of Ad-Dahna. The total length of Wadi At-Turmus from southwest to northeast is about 180 kilometers. In its middle and lower course its width averages about four kilometers. The channel of Wadi At-Turmus has a smooth gradient and thus the wadi spread itself widely.

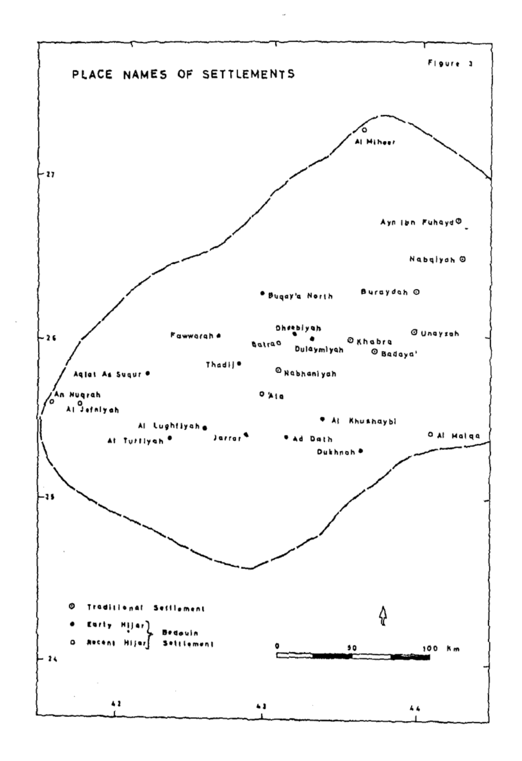
The third largest wadi in Qasim is Wadi Al-Jarimah which straddles the district of Al-Asyah from north to south. It originates near the hamlet of Dheedah and terminates some fifty kilometers to the south, east of the village of Ayn Ibn Fuhayd. Numerous streams descend eastward from Safra Al-Asyah to join Wadi Al-Asyah are located on the western (right) bank of Wadi Al-Jarimah.

Sabkhas (playas)

Of relevance to the description of drainage patterns in Al-Qasim is the presence of sabkha (s), or salt flats and inland playas, which are common in all desert areas. There are five large sabkha areas in Qasim, four of which are located in the eastern part. They are covered withQuaternary deposits of silt, clay, and muddy sand and are usually saline.



PLACE NAMES OF MOUNTAINS
Figure 4
J. Al Liqah
J Hibshi
J Al Khidar
J Al Tin
J. Ar Raha
Buraydah
N. Al Ghamis
Unayzah
N. Ash Shuqayyiqah
N. Ath Thuwayrat
N. As Sirr
J. Qutn
J. Abban Al Asmar
J. Al Udayri
J. Al Humaylliyah
J. Tamiyah
Uraya Ad Dasim
J Abban Al Ahmar
Amrah
J. Khazaz
J. Kurayfah
J. = Jabal = Mountain
N. = Nafud = Sand
0
50
100 Km
27
26
25
24
42
43
44


PLACE NAMES OF SETTLEMENTS
Figure 3
Al Miheer
27
Ayn Ibn Fuhayd
Nabqiyah
Buqay'a North
Buraydah
Dheebiyah
26
Fawwarah
Batra
Dulaymiyah
Khabra
Unayzah
Badaya'
Thadij
Aqlat As Suqur
Nabhaniyah
An Nuqrah
'Ala
Al Jefniyah
Al Khushaybi
Al Lughfiyah
Al Turfiyah
Jarrar
Ad Dath
Al Malqa
Dukhnah
25
Traditional Settlement
Early Hijar
Recent Hijar
Bedouin Settlement
0
50
100 Km
24
42
43
44

23^0.30.N. and proceeds northward. Two large wadis join Wadi Al-Jarir from the west: Wadi Al-Furdaykhiyah in the south, and Wadi Sahuq in the north. Wadi Sahuq is a large wadi in its own right, and begins in the hills and mountains just east of Harrat Khayber, and several branches join it before it merges with Wadi Al-Turfiyah. Several smaller wadis join Wadi Al-Jarir from the east. Wadi Al-Jarir ends its long journey in the north where it empties in Wadi Ar-Rummah about seventeen kilometers northwest of the village of Al-Lughfiyah.

(5) Shaib Jarrar originates in the mountains of Abban Al-Ahmar but now stops about eight kilometers south of Wadi Ar-Rummah. The village of Jarrar is located in its upper course.

(6) Shaib Ad-Dath also begins in the mountains of Abban Al-Ahmar, and some branches originate in Jabal Al-Luhayb and Jabal Kutayfah. Shaib Ad-Dath runs north leaving the village of Ad-Dath on its right bank. It joins Wadi Ar-Rummah some twenty kilometers north of the village of Ad-Dath.

(7) Shaib Al-Khushaiybi begins in Jabal Amrah and proceeds northward leaving the village of Al-Khushaiybi between two of its branches. It empties in Wadi Ar-Rummah at AlQaryiah (The Village).

(8) Wad Dukhna originates in Jabal Khazaz and the areas south of the town of Dukhnah. It runs north leaving the town of Dukhnah on its left bank and joins Wadi Ar-Rummah near the town of Al-Badaya (Badaya Al-Ulya).

(9) The great Wadi Ar-Risha used to join Wadi Ar-Rummah in the region near, Unayzah but now is stopped some sixty kilometers to the south by the sands of Nafud Ash-Shuqayyiqah where it empties in Qa Al-Kharma. Wadi Ar-Risha begins south of Riyadh — Hijaz road (near the intersection of 44^0 E and 24^0 N) and proceeds northward. It is joined by several wadis from the west and from south to north are: Wadi Tinan (muddy), Wadi Al-Huyayshah, Shaib Audakh, Shaib Al-Athlah, and Shaib Rubaiq. From

the village of Buqay'a Ash-Shamaliyah (Buqay'a North). The village of Waqt is on its banks. Wadi Waqt and Wadi Al-Amudah join together just south of the village of Marghan. About eight kilometers to the south, Wadi Al-Jarayir also joins the main stream; (b) Shaib Al-Jurayir begins in the hills northwest of the village of Al-Jurayir.[4] The villages of Al-Jurayir and An-Nawmaniyah are located on its course. This tributary joins the main stream (Marghan) midway between the villages of Thadij and Thuwaydij. All these streams join Wadi Ar-rummah fifteen kilometers east of the village of Ata.

(4) Shaib Subayh begins just east of the village of Al-Batra, and the village of Subauh is located midwey its course before it joins Wadi Ar-Rummah.

(5) Shaib Ad-Dulaymiyah and its western tributary: Shaib Adh-Dheebiyah originate in Sanaf Adh-Dheebiyah and As-Simar (Simar Adh-Dheebiyah) to the north, northeast, and northwest of the town of Adh-Dheebiyah. The town of Ad-Dulaymiyah is located on the eastern bank of this wadi; Shaib Ad-Dulaymiyah is the last major wadi to empty in Wadi Ar-Rummah from the north.

More numerous and powerful tributaries join Wadi Ar-Rummah from the south, and are from west to east as follow:

(1) Wadi Al-Jifn originates near the yillageof An-Nuqrah, west of the hamlet of Al-Jifn.

(2) Wadi al-Humayliyah begins in Jabal Al-Humayliyah and joins Wadi Al-Jifn about five kilometers before they both terminate in Wadi Ar-Rummah some seven kilometers southeast of Aqlat As-Suqur.

(3) Wadi Ar-Rijlah originates in Jabal Tamaiyh and Jabal Al-Udayri, and joins Wadi Ar-Rummah some thirty kilometers east.[5]

(4) The longest and largest of all tributaries currently emptying in Wadi Ar-Rummah is the great Wadi Al-Jarir. It originates southwest of Afif (south of Riyadh — Hijaz road) near

Wadi Al-Batin formed a single river which emptied near the Arabian Gulf in Iraq. Thus, Wadi Ar-Rummah after being blocked in the east by Nafud Ath-Thuwayrat reappears eighty kilometers to the northeast as Wadi Al-Ajradi in the southern edge of At-Taysiyah region. After Wadi Al-Ajradi is blocked by the sands of Ad-Dahna it reappears as Wadi Al—Batin. Wadi Al-Batin takes the same general direction of northeast, and forms the boundary of Kuwait and ends

near Basra, Iraq. This ancient river would have had "a total length of 765 miles distributed as follows: 375 miles of Wadi Ar-Rummah at present, 265 miles of Wadi Al-Batin from Ad-Dahna sand to Basra, Iraq, 25 miles of Wadi Al-Ajradi and, 100 miles for parts of the river covered by the sands of Nafud Ath-Thuwayrat and Ad—Dahna."[2]

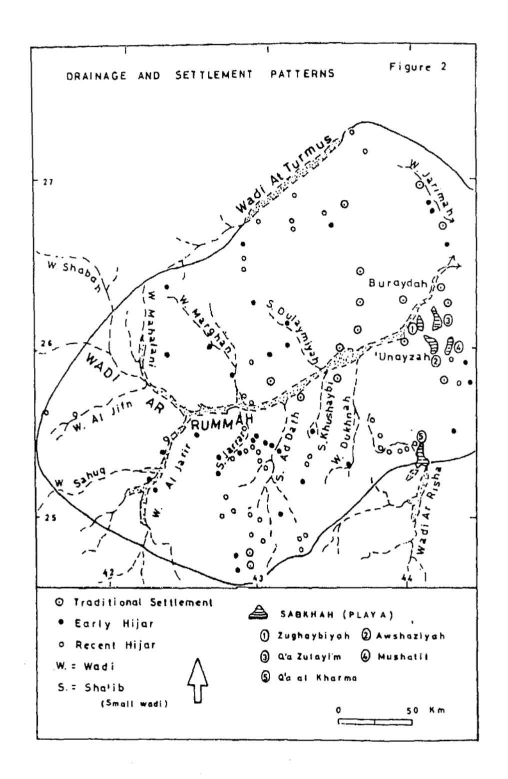
Altogether it is said that more than 300 Wadis large and small join Wadi Ar-Rummah proper.[3] Most settlementslocated on these tributaries are bedouin villages. We are concerned here only with the major tributaries. Four wadis originate in Harrat Khaybar, Harrat Hutaym and hills to their eastand join together near the intersection of $26^{0}.00$ north and $41^{0}.00$ east to from Wadi Ar-Rummah. They are from south to north as follows: Wadi Al-Makhariq, Wadi Ar-Rummah, Wadi Qahd, and Wadi Asmarah.

Numerous tributaries join Wadi Ar-Rummah from both north and south. The mostimportantnorthern tributaries arranged from west to east are:

(1) Wadi Shabah originates east of Harrat Hutaym, but with important tributaries originating in or near Jabal Aja.

(2) Wadi Al-Mahlany begins in Jabal Hibshi and Jabal Al-Khidar and joins Wadi Ar-Rummah near Aqlat As-Suqur.

(3) Wadi Marghan consists of four branches: (a) Wadi Al-Jarayir is the largest of the four and originatesin Jabal Al-Muwasham and Jabal At-Teen. The town of Al-Fawwarah is located on its western bank; (b) Wadi Al-Amudah begins in Jabal Ar-Raha and surrounding hills. The village of Al-Amudah is on its eastern bank; (c) Wadi Waqt originates in the hills near


DRAINAGE AND SETTLEMENT PATTERNS
Figure 2
Wadi At Turmus
W. Jarimah
W. Shabah
Buraydah
W. Mahalani
W. Marghan
S. Dulaymiyah
'Unayzah
WADI AR RUMMAH
W. Al Jifn
S. Khushaybi
W. Dukhnah
S. Ad Dath
S. Jarrarah
W. Al Jarir
W. Sahuq
Wadi Ar Risha
27
26
25
42
43
44
Traditional Settlement
Early Hijar
Recent Hijar
W. = Wadi
S. = Sha'ib
(Small wadi)
SABKHAH (PLAYA)
1 Zughaybiyah
2 Awshaziyah
3 Q'a Zulaylim
4 Mushatil
5 Q'a al Kharma
0
50 Km

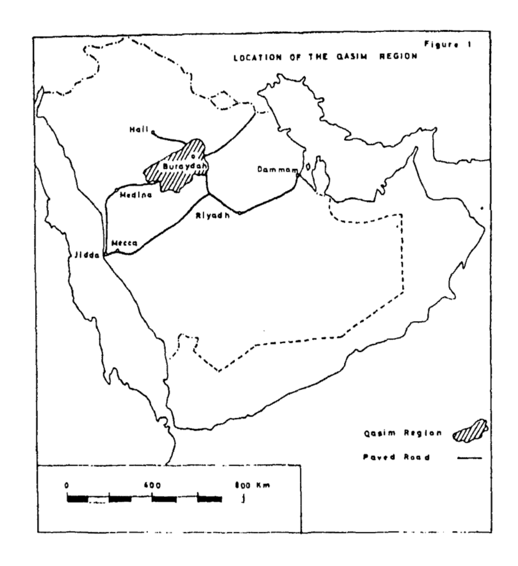
Khaybar, Harrat Hutaym, and the hills and mountains located east of these Harrats (exposed lava beds) which are all located northeast and east of Medina. Other branches originate in Jabal Shammar, southwest of the city of Hail. Wadi Ar-Rummah proceeds east then northeast in conformity with the general trend of the terrain. East of Unayzah, Wadi Ar-Rummah fills the depressions of Rawdat Az-Zughaybiyah and farther east the larger Qa Az-Zulayim.

Wadi Ar-Rummah continues in a northeast course leaving the village of An-Nabqiyah on its right and proceeding for about ten kilometers before it is stopped by the sands of Nafud Ath-Thuwayrat (Figure 2).

As described above, Wadi Ar-Rummh has a total length of 375 miles, most of which lie within the Qasim region. The width of its channel increases towards the east, lower course, and reaches a maximum of twelve kilometers between the towns of Al-Badaya and Riyad Al-Khabra, and ten kilometers northwest of Unayzah. In its lower course, east of Thadij, Wadi Ar-Rummah averages eight kilometers in width except where it is attacked by sand in Al-Makhnaq east of Al-Badaya (Badaya As-Sufla) where it is 300 meters, and north of Unayzah in Al-Wadi (Wadi Abu Ali) where it is 500 meters wide. Near its termination point, north of An-Nabqiyah in the rough country of Afjat Al-Hisanah. Wadi Ar-Rummah is only about fifty meters in width.

Wadi Ar-Rummah is dry most of the time and floods only once in several years. During the past twenty years it flooded only on four occasions of several days each. It is recorded that one such flooding continued for forty days, which is rare. In January, 1965,Waid Ar-Rummah flooded and the gauge si te near Unnayzah recorded some two million cubic meters which were discharged through the Unayzah-Buraydah gap over a period of eight days.

It is generally believed, however, that Wadi Ar-Rummah with its vast drainage system and major tributaries was a real river flowing year-around in past geologic periods when Arabia enjoyed a more humid climate. Moreover, it is believed that Wadi Ar-Rummah and



Wadi Ar-Rummah

The most distinct physical characteristic of Qasim is the great Wadi Ar-Rummah the greatest wadi in Arabia, and drains Qasim as well as large parts of central, northern, and western Najd. The heart of Qasim with its urban and rural areas, as well as most other settlements of Qasim are located on or near Wadi Ar-Rummah and its tributaries.

Wadi Ar-Rummah originates, outside Qasim, in Harrat

DRAINAGE SYSTEM INTHE QASIM REGION OF SAUDI ARABIA

BY

AHMAED A. SHAMEKH, Ph.D.
CHAIRMAN' GEOGRAPHY DEPARTMENT
UNIVERSITY OF RIYADH
RIYADH, SAUDI ARABIA
Accepted for publication in ADDARAH (A periodical issued by KING ABDUL AZIZ Research Centre inRiyadh) No. 3, Vol. 5, 1979.

DRAINAGE SYSTEM IN THE QASIM REGION OF SAUDI ARABIA

BY

AHMED A. SHAMEKH, PH. D.

This study describes in detail the drainage pattern of the qasim region. The objective is to give an overview of one particular aspect of the physical geography of the area. The study of the drainage system of an area is an important topic in its own-right. It is more important, however, because the drainage pattern correlates very strongly with the settlement pattern.[1] This is true everywhere, but it is more pronounced in the qasim and other arid regions of the earth.

The Qasim is located in central Saudi Arabia and in the northern part ofNajdor Central Province (Figure 1). The qasim is one of the most important parts of the country because of its large population and productive agriculture. The population of the area is over 316,000 people and its area is abtout 60,000 square kilometers. The density of the population is about 5.3 persons per square kilometer.

The paper will concentrate on wadi Ar-Rummah, the main stream of the area. Otherlarge wadis and salt flats will also be discussed.

ADDARAH

Notice :

— All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh

— Articles are arranged technically, regardless of the writers' **prestige.**

— This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— **Price :**

a) In Saudi Arabia :
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.

b) In Arab Countries :
The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.

c) Non Arab Countries
$1 a copy.
$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with

the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

FIFTH YEAR
NO : 4

RAJAB 1400
JUNE 1980

RIYADH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

P.O.B. 2945
TEL: 38646





QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
VOLUME 4 (5) 1400 A.H. / 1980 A.D.

IN THIS ISSUE

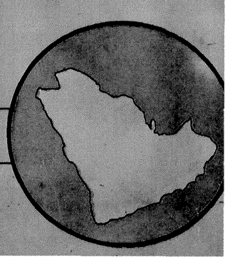
DRAINAGE

SYSTEM INTHE

QASIM REGION

OF SAUDI ARABIA





مطابع دار الهلال للأوفست
الرياض : تلفون ٤٠١٥٢٦٨

